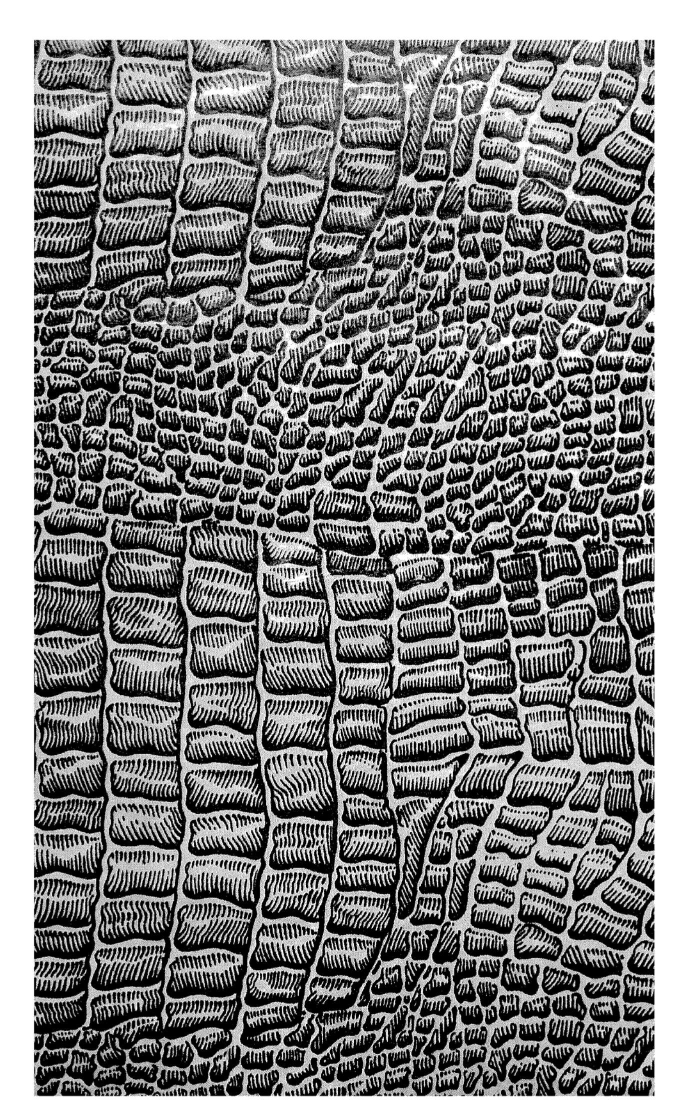
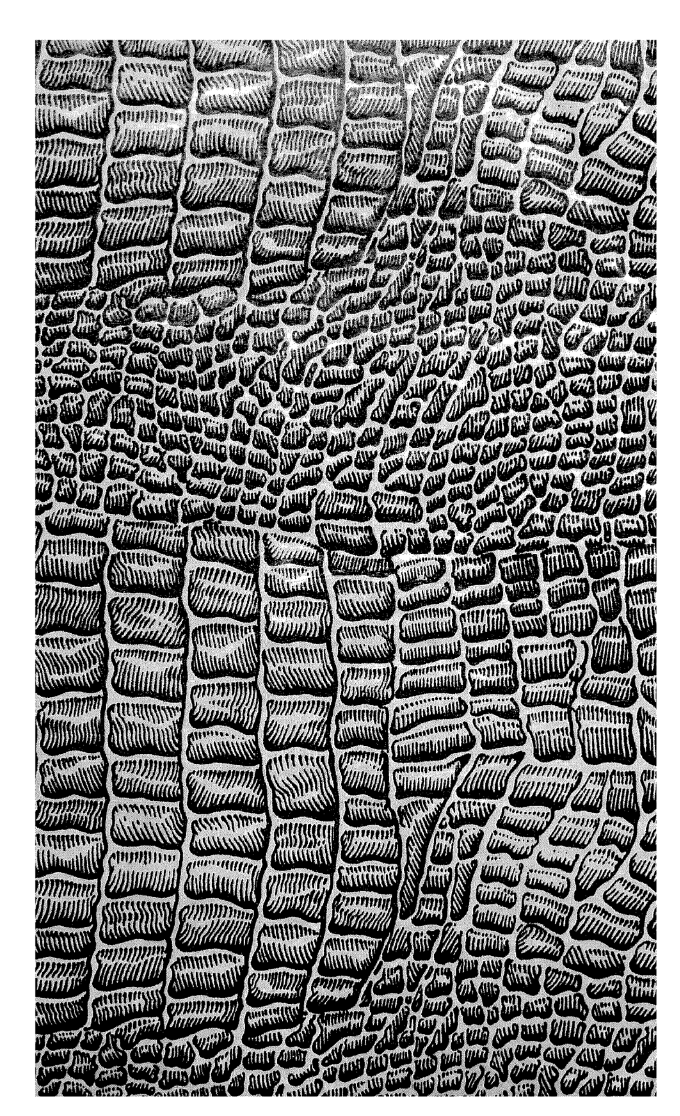
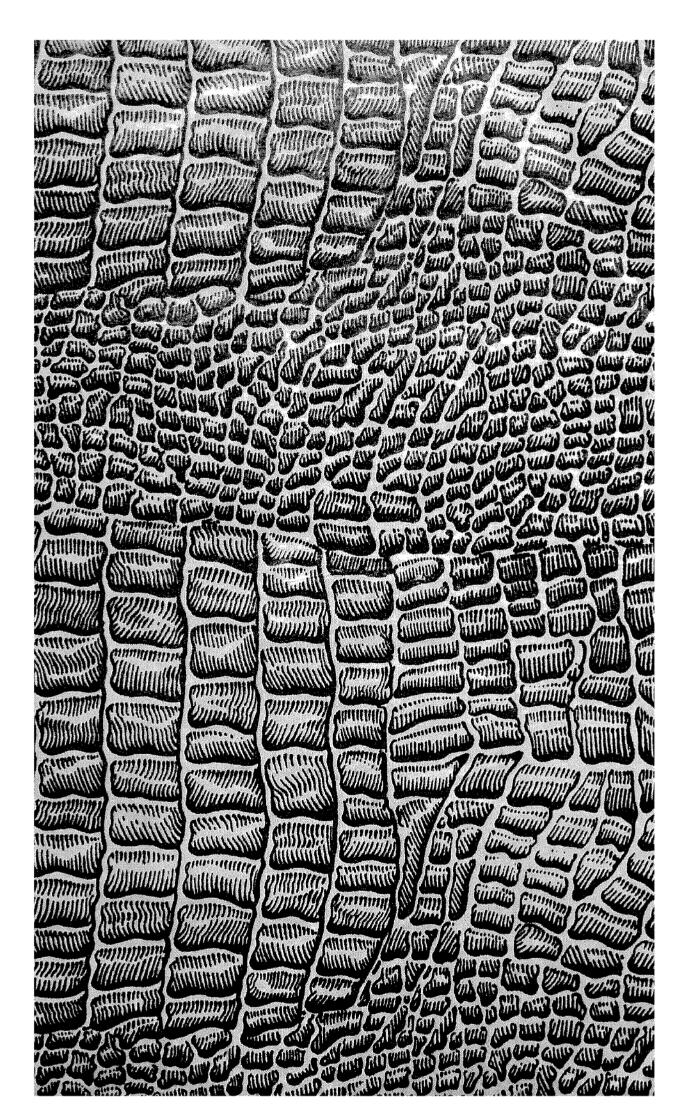










الجزء الثالث

[قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة]
[بمطبعة « بريل » بمدينة ليدن فى سنة ١٨٧٩ م]

راجعه وصححه وضبطه

نخبة من العلماء الأجلاء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع نوبار باشا

١٣٥٧هـ — ١٩٣٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة أربعة عشرة

ففى أول يوم من المحرّم سنة أربعة عشرة فيما كتب إلىّ به السرىّ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم خرج عمر حتى نزل على ماء يدعى صِرارًا فعسكر به ولا يدرى الناس ما يريد أيسير أم يقيم وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شىء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف وكان عثمان يدعى فى إمارة عمر رديفًا قالوا والرديف بلسان العرب الذى بعد الرجل والعرب تقول ذلك للرجل الذى يرجونه بعد رئيسهم وكانوا إذا لم يقدر هذان على علم شىء مما يريدون ثلّثوا بالعباس فقال عثمان لعمر ما بلغك ما الذى تريد فنادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس إليه فأخبرهم الخبر ثم نظر ما يقول الناس فقال العامّة سِرْ وسِرْ بنا معك فدخل معهم فى رأيهم وكره أن يدعهم حتى يُخرجهم منه فى رفق فقال استعِدّوا وأعِدّوا فإنى سائر إلا أن يجىء رأى هو أمثل من ذلك ثم بعث إلى أهل الرأى فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأعلام العرب فقال أحضرونى الرأى فإنى سائر فاجتمعوا جميعا وأجمع مَلَؤهم على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقيم ويرميه بالجنود فإن كان الذى يشتهى من الفتح فهو الذى يريد ويريدون وإلا أعاد رجلا وندب جندا آخر وفى ذلك ما يغيظ العدو ويرعوى المسلمون ويجىء نصر الله بإنجاز موعود الله فنادى عمر الصلاة جامعة فاجتمع الناس إليه وأرسل إلى علىّ عليه السلام وقد استخلفه على المدينة فأتاه وإلى طلحة وقد بعثه على المقدمة فرجع إليه وعلى المجنبتين الزُّبير وعبد الرحمن بن عوف فقام فى الناس فقال إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخوانا والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شىء من شىء أصاب غيره وكذلك يحق على المسلمين

أن يكونوا أمرهم شورى بينهم بين ذوى الرأى منهم فالناس تبعٌ لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم ومن أقام بهذا الأمر تبعٌ لأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة فى حرب كانوا فيه تبعاً لهم يا أيها الناس إنى إنما كنت كرجل منكم حتى صرفنى ذوو الرأى منكم عن الخروج فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلا وقد أحضرت هذا الأمر من قدمتُ ومن خلفتُ وكان على عليه السلام خليفته على المدينة وطلحة على مقدمته بالأعوص فأحضرهما ذلك (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد بن إسحاق عن صالح بن كيسان عن عمر بن عبد العزيز قال لما انتهى قتل أبى عبيد بن مسعود إلى عمر واجتماع أهل فارس على رجل من آل كسرى نادى فى المهاجرين والأنصار وخرج حتى أتى صراراً وقدم طلحة بن عبيد الله حتى يأتى الأعوص وسمى لميمنته عبد الرحمن بن عوف ولميسرته الزبير بن العوام واستخلف علياً رضى الله عنه على المدينة واستشار الناس فكلُّهم أشار عليه بالسير إلى فارس ولم يكن استشار فى الذى كان حتى نزل بصرار ورجع طلحة فاستشار ذوى الرأى فكان طلحة ممن تابع الناس وكان عبد الرحمن ممن نهاه فقال عبد الرحمن فما فديتُ أحداً بأبى وأمّى بعد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل يومئذ ولا بعده فقلت يا بأبى وأمّى اجعل عَجُزها بى وأقم وابعث جنداً فقد رأيت قضاء الله لك فى جنودك قبلُ وبعدُ فإنه إن يُهزَم جيشك ليس كهزيمتك وإنك إن تُقتل أو تهزم فى أنف الأمر خشيتُ أن لا يكبّر المسلمون وأن لا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً وهو فى ارتياد من رجل وأتى كتاب سعْد على حَفَف مَشورتهم وهو على بعض صدقات نجْد فقال عمر فأشيروا علىّ برجل فقال عبد الرحمن وجدته قال من هو قال الأسد فى براثنه سعد بن مالك ومالأه أولو الرأى (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن خُلَيْد بن زُفَر عن أبيه قال كتب المثنى إلى عمر باجتماع فارس على يزدجرد وببعوثهم وبحال أهل الذمّة فكتب إليه عمر أن تَنَحّ إلى البَرّ وادع من يليك وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم حتى يأتيك أمرى وعاجلتهم الأعاجم

فزاحفتهم الزحوف وثار بهم أهل الذمّة فخرج المثنى بالناس حتى ينزل العراق ففرّقهم فيه من أوله إلى آخره فأقاموا ما بين غضىّ إلى القُطْقُطانة مسالحه وعادت مسالح كسرى وثغوره واستقر أمر فارس وهم فى ذلك هائبون مُشْفِقون والمسلمون متدفقون قد ضروا بهم كالأسد ينازَع فريسته ثم يعاود الكرّ وأمراؤهم يكفكفونهم لكتاب عمر وإمداد المسلمين (كتب إلى السرىّ) بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم عن سيف بن عمر عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد قال قد كان أبو بكر استعمل سعداً على صدقات هوازن بنجد فأقرّه عمر وكتب إليه فيمن كتب إليه من العُمّال حين استنفر الناس أن ينتخب أهل الخيل والسلاح ممن له رأى ونجدة فرجع إليه كتاب سعد بمن جمع الله له من ذلك الضرب فوافق عمر وقد استشارهم فى رجل فأشاروا عليه به عند ذكره (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة بإسنادهما قالا كان سعد بن أبى وقاص على صدقات هوازن فكتب إليه عمر فيمن كتب إليه بانتخاب ذوى الرأى والنجدة ممن كان له سلاح أو فرس فجاءه كتاب سعد إنى قد انتخبت لك ألف فارس مُؤْدٍ كلهم له نجدة ورأى وصاحبُ حِيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم ووافق كتابه مشورتهم فقالوا قد وجدته قال فمن قالوا الأسد عادِيًا قال من قالوا سعد فانتهى إلى قولهم فأرسل إليه فقدم عليه فأمّره على حرب العراق وأوصاه فقال ياسعد سعد بنى وُهَيْب لا يغرّنك من الله إن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله فإنّ الله عزّ وجلّ لا يمحو السيّئ بالسيّئ ولكنه يمحو السيّئ بالحسن فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواءٌ الله ربُّهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويُدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيتَ النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عليه منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمْهُ فإنه الأمر هذه عظتى إيّاك إن تركتها ورَغبت عنها حَبِطَ عَمَلك وكنت من الخاسرين ولما أراد أن يسرّحه دعاه فقال إنى قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا

الحقّ فعوّد نفسك ومن معك الخير واستفتح به واعلم أنّ لكل عادة عتادًا فعتاد الخير الصبر فالصبرَ الصبرَ على ما أصابك أو نابك يجتمع لك خشية الله واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين فى طاعته واجتناب معصيته وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً منها السر ومنها العلانية فأما العلانية فأن يكون حامده وذامّه فى الحق سواءً وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس فلا تزهد فى التحبب فان النبيين قد سألوا محبّتهم وإن الله إذا أحبّ عبدا حببه وإذا أبغض عبداً بغضه فاعتبرْ منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك فى أمرك ثم سرحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفير المسلمين فخرج سعد بن أبى وقاص من المدينة قاصدا العراق فى أربعة آلاف ثلاثة ممن قدم عليه من اليمن والسَّراة وعلى أهل السَّرَوات حُمَيْضة بن النعمان بن حُميضة البارقىّ وهم بارقٌ وألْمَعُ وغامِدٌ وسائر إخوتهم فى سبعمائة من أهل السراة وأهلُ اليمن ألفان وثلاثمائة منهم النَّخَع بن عمرو وجميعهم يومئذ أربعة آلاف مقاتلتهم وذراريّهم ونساؤهم وأتاهم عمر فى عسكرهم فأرادهم جميعا على العراق فأبوا إلا الشأم وأبى إلا العراق فسمح نصفهم فأمضاهم نحو العراق وأمضى النصف الآخر نحو الشأم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن حنَش النَّخَعىّ عن أبيه وغيره منهم أن عمر أتاهم فى عسكرهم فقال إنّ الشرف فيكم يامعشر النخع لمتر يّعسيروا مع سعد فنزعوا إلى الشأم وأبى إلا العراق وأبوا الا الشأم فسرّح نصفهم إلى الشأم ونصفهم إلى العراق (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمستنير وحَنَش قالوا وكان فيهم من حَضْرَمَوْت والصَّدِف ستمائة عليهم شَدّاد بن ضَمْعَج وكان فيهم ألف وثلثمائة من مَذْحِج على ثلاثة رؤساء عمرو بن مَعْدِيكَرِبَ على بنى منَبّه وأبو سَبْرة بن ذؤيْب على جُعْفىّ ومن فى حِلف جعفى من إخوة جَزْءٍ وزُبَيْدة وأنَس الله ومن لفهم ويزيد بن الحارث الصُّدائىّ على صداء وجَنْب ومُسْلِية فى ثلثمائة هؤلاء شهدوا من مذحج فيمن خرج من المدينة مَخْرَجَ سعد منها وخرج معه من

قيس عَيْلان ألف عليهم بشر بن عبد الله الهلالى (كتب إلىّ السرى) عن شعيب
عن سيف عن عبيدة عن إبراهيم قال خرج أهل القادسية من المدينة وكانوا أربعة
آلاف ثلاثة آلاف منهم من أهل اليمن وألف من سائر الناس (كتب إلى السرى)
عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وسهل عن القاسم قالوا وشيعهم عمر من
صرار إلى الأعوص ثم قام فى الناس خطيبا فقال إن الله تعالى إنما ضرب لكم
الأمثال وصرف لكم القول ليحيي بها القلوب فان القلوب ميتة فى صدورها حتى
يحييها الله من علم شيئاً فلينتفع به وإن للعدل أمارات وتباشير فأما الأمارات فالحياء
والسخاء والهين واللين وأما التباشير فالرحمة وقد جعل الله لكل أمر بابًا ويسّر
لكل باب مفتاحا فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد والاعتبار ذكرُ الموت
بتذكر الأموات والاستعداد له بتقديم الأعمال والزهدُ أخذُ الحق من كل أحد
قِبَله حقٌّ وتأديةُ الحق إلى كل أحد له حق ولا تصانع فى ذلك أحدا واكتف بما
يكفيك من الكَفاف فان من لم يكفه الكفاف لم يُغنه شىء إنى بينكم وبين الله
وليس بينى وبينه أحد وإن الله قد ألزمنى دفع الدعاء عنه فأنهُوا شكاتكم إلينا فمن
لم يستطع فإلى من يبلّغناها نأخذ له الحق غير متعتَع وأمر سعدا بالسير وقال إذا انتهيت
إلى زَرود فانزل بها وتفرقوا فيها حولها واندب من حولك منهم وانتخبْ أهل
النجدة والرأى والقوة والعُدّة (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن
محمد بن سوقة عن رجل قال مرّت السَّكون مع أول كندة مع حُصَيْن بن نُمَير السكونى
ومعاوية بن خديج فى أربعمائة فاعترضهم فإذا فيهم فِتْية دُلْم سباط مع معاوية
ابن خديج فأعرض عنهم ثم أعرض ثم أعرض حتى قيل له مالك ولهؤلاء قال إنى
عنهم لمتردد وما مر بى قوم من العرب أكره إلىّ منهم ثم أمضاهم فكان بعدُ يُكثر أن
يتذكرهم بالكراهية وتعجب الناس من رأى عمر وكان منهم رجل يقال له سودان
ابن حُمْران قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وإذا منهم حليف لهم يقال له خالد
ابن مُلْجَم قتل علىّ بن أبى طالب رحمه الله وإذا منهم معاوية بن خديج فنهض فى
قوم منهم يتبع قَتَلة عثمان يقتلهم وإذا منهم قوم يَقْرُون قتلة عثمان (كتب إلى

(السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة عن ماهان وزياد باسناده قالوا وأمد عمر سعدا بعد خروجه بألفَىْ يمانىّ وألفى نجدىّ مُؤْدٍ من غطفان وسائر قيس فقدم سعد زَرُودَ فى أول الشتاء فنزلها وتفرقت الجنود فيما حولها من أمواه بنى تميم وأسد وانتظر اجتماع الناس وأمر عمر وانتخب من بنى تميم والرباب أربعة آلاف ثلاثة آلاف تميمى وألف رِبّىّ وانتخب من بنى أسد ثلاثة آلاف وأمرهم أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحَزْن والبسيطة فأقاموا هنالك بين سعد بن أبى وقاص وبين المثنى بن حارثة وكان المثنى فى ثمانية آلاف من ربيعة ستة آلاف من بكر بن وائل وألفان من سائر ربيعة أربعة آلاف ممن كان انتخب بعد فصول خالد وأربعة آلاف كانوا معه ممن بقى يوم الجسر وكان معه من أهل اليمن ألفان من بجيلة وألفان من قضاعة وطيئ ممن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك على طيئ عدى بن حاتم وعلى قضاعة عمرو بن وَبَرة وعلى بجيلة جرير بن عبد الله فبينا الناس كذلك سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد مات المثنى من جراحته التى كان جرحها يوم الجسر انتقضت به فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية وسعد يومئذ بزرود ومع بشير يومئذ وجوه أهل العراق ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر منهم فرات بن حيان العجلى وعتيبة فردهم مع سعد (كتب إلى السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد باسناده وزياد عن ماهان قالا فمن أجل ذلك اختلف الناس فى عدد أهل القادسية فمن قال أربعة آلاف فلمخرجهم مع سعد من المدينة ومن قال ثمانية آلاف فلاجتماعهم بزرود ومن قال تسعة آلاف فللحاق القيْسيِّين ومن قال اثنا عشر ألفاً فلدفوف بنى أسد من فروع الحزن بثلاثة آلاف وأمر سعداً بالإقدام فأقدم ونهض إلى العراق وجموع الناس بشراف وقدم عليه مع قدومه شراف الأشعثُ بن قيس فى ألف وسبعمائة من أهل اليمن فجميع من شهد القادسية بضعة وثلاثون ألفاً وجميع من قسم عليه فىء القادسية نحو من ثلاثين ألفاً (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عبد الملك بن عمير عن زياد عن جرير قال كان أهل اليمن ينزعون إلى الشأم وكانت مضر تنزع إلى العراق فقال

عمر أرحامكم أرسخ من أرحامنا ما بال مضر لا تذكر أسلافها من أهل الشأم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى سعد بن المرزبان عمن حدثه عن محمد بن حذيفة بن اليمان قال لم يكن أحد من العرب أجرأ على فارس من ربيعة فكان المسلمون يسمونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفرس وكانت العرب فى جاهليتها تسمى فارس الأسد والروم الأسد (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن طلحة عن ماهان قال قال عمر والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يَدَعْ رئيسا ولا ذا رأى ولا ذا شرف ولا ذا سطة ولا خطيبا ولا شاعرا إلا رماهم به فرماهم بوجوه الناس وغررهم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبى قال كان عمر قد كتب إلى سعد مرتحله من زرود أن ابعث إلى فرج الهند رجلا ترضاه يكون بحياله ويكون رِدءًا لك من شىء إن أتاك من تلك التخوم فبعث المغيرة بن شعبة فى خمسمائة فكان بحيال الاُبلّة من أرض العرب فأتى غُضَيًّا ونزل على جرير وهو فيها هنالك يومئذ فلما نزل سعد بشراف كتب إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غضى إلى الجبانة فكتب إليه عمر إذا جاءك كتابى هذا فعشر الناس وعرف عليهم وأمّرْ على أجنادهم وعبّهم ومُرْ رؤساء المسلمين فليَشْهَدوا وقدّرْهم وهم شهود ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدْهم القادسية واضمم إليك المغيرة بن شعبة فى خيله واكتب إلىّ بالذى يستقرّ عليه أمرُهم فبعث سعد إلى المغيرة فانضم إليه وإلى رؤساء القبائل فأتوه فقدر الناس وعباهم بشراف وأمّر أمراء الأجناد وعرف العرفاء فعرّف على كل عشرة رجلا كما كانت العرافات أزمان النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء وأمّر على الرايات رجالا من أهل السابقة وعشر الناس وأمر على الأعشار رجالا من الناس لهم وسائل فى الإسلام وولى الحروب رجالا فولى على مقدماتها ومجنباتها وساقتها ومجرّداتها وطلائعها ورجلها وركبانها فلم يفصل إلا على تعبية ولم يفصل منها إلا بكتاب عمر وإذنه فأما أمراء التعبية فاستعمل زهرة بن عبد الله ابن قتادة بن الحوية بن مَرْثد بن معاوية بن معن بن مالك بن أرثم بن جُشم بن

الحارث الأعرج وكان ملك هَجَر قد سوده فى الجاهلية ووفده على النبى صلى الله عليه وسلم فقدمه ففصل بالمقدمات بعدالإذن من شراف حتى انتهى إلى العُذيبْ واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعْتَمّ وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان أحدَ التسعة الذين قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فتمّمهم طلحة بن عبيد الله عشرة فكانوا عرافة واستعمل على الميسرة شُرحبيل بن السِّمْط بن شرحبيل الكِنْدىّ وكان غلاما شابا وكان قد قاتل أهل الردة ووفّى اللهَ فعرف ذلك له وكان قدغلب الأشعث على الشرف فيما بين المدينة إلى أن اختُطت الكوفة وكان أبوه ممن تقدم إلى الشأم مع أبى عبيدة بن الجراح وجعل خليفته خالد بن عُرْفطة وجعل عاصم بن عمرو التيمى ثم العَمْرىّ على الساقة وسواد بن مالك التميمى على الطلائع وسلمان بن ربيعة الباهلى على المجردة وعلى الرجل حَمَّال بن مالك الأسدىّ وعلى الركبان عبد الله بن ذى السهمين الخَثْعَمى فكان أمراءُ التعبية يلون الأمير والذين يلون أمراءَ التعبية أمراء الأعشار والذين يلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات والذين يلون أصحاب الرايات والقوّاد رءوس القبائل وقالوا جميعا لا يستعين أبو بكر فى الردة ولا على الأعاجم بمرتد واستنفرهم عمر ولم يولّ منهم أحدا (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن مُجالد وعمرو بإسنادهما وسعيد بن المرزبان قالوا بعث عمر الأطبة وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى ذا النور وجعل إليه الأقباض وقسمة الفىء وجعل داعيتهم ورائدهم سلمان الفارسى (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن أبى عمر وعن أبى عثمان النَّهْدىّ قال والترجمان هلال الهَجَرىّ والكاتب زياد بن أبى سفيان فلما فرغ سعد من تعبيته وأعد لكل شىء من أمره جماعا ورأسا كتب بذلك إلى عمر وكان من أمر سعد فيما بين كتابه إلى عمر بالذى جمع عليه الناس وبين رجوع جوابه ورحله من شراف إلى القادسية قدوم المُعَنَّى بن حارثة وسلمى بنت خَصَفة التيميّة تَيْم اللات إلى سعد بوصية المثنى وكان قد أوصى بها وأمرهم أن يعجلوها على سعد بزرود فلم يفرغوا لذلك وشغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر وذلك أن الآزاذ مردبن

الأزاذبه بعثه إلى القادسية وقال له ادعُ العرب فأنت على من أجابك وكن كما كان آباؤك فنزل القادسية وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به مقاربة ووعيدا فلما انتهى إلى المعنى خبره أسرى المعنى من ذى قار حتى بيته فأنامه ومن معه ثم رجع إلى ذى قار وخرج منها هو وسلمى إلى سعد بوصية المثنى بن حارثة ورأيه فقدموا عليه وهو بشراف يذكر فيها أن رأيه لسعد ألا يقاتل عدوه وعدوهم يعنى المسلمين من أهل فارس إذا استجمع أمرهم وملؤهم فى عُقر دارهم وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حَجَر من أرض العرب وأدنى مَدَرة من أرض العجم فإن يُظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم وإن يكن الأخرى فاؤا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يردّ الله الكرّة عليهم فلما انتهى إلى سعد رأى المثنى ووصيته ترحّم عليه وأمّر المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً وخطب سلمى فتزوجها وبنى بها وكان فى الأعشار كلها بضعة وسبعون بدْريًّا وثلثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صُحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك وثلثمائة ممن شهد الفتح وسبعمائة من أبناء الصحابة فى جميع أحياء العرب وقدم على سعد وهو بشَراف كتاب عمر بمثل رأى المثنى وقد كتب إلى أبى عبيدة مع كتاب سعد ففصل كتاباهما إليهما فأمر أبا عبيدة فى كتابه بصرف أهل العراق وهم ستة آلاف ومن اشتهى أن يلحق بهم وكان كتابه إلى سعد أمّا بعد فسِرْ من شَراف نحو فارس بمن معك من المسلمين وتوكّل على الله واستعِنْ به على أمرك كله واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمّة عددهم كثير وعُدّتهم فاضلة وبأسهم شديد وعلى بلد منيع وإن كان سهلا كؤودٍ لبحوره وفيوضه ودآدِئه إلا أن توافقوا غَيْضاً من فَيْض وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدءوهم الشد والضرب وإياكم والمناظرة لجموعهم ولا يخدعَنّكم فإنهم خَدَعة مكَرة أمرهم غير أمركم إلا أن تجادّوهم وإذا انتهيت إلى القادسية والقادسية باب فارس فى الجاهلية وهى أجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الآصل وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة فتكون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحَجَر والمَدَر على حافات الحجر وحافات

المدر والجراع بينهما ثم الزم مكانك فلا تبرحه فإنهم إذا أحسّوك أنغضتهم ورمَوْك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم ورجلهم وحدّهم وجدهم فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوتُ أن تُنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم وإن تكن الأخرى كان الحجر فى أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم وكانوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتى الله بالفتح عليهم ويردّ لكم الكرة. وكتب إليه أيضاً باليوم الذى يرتحل فيه من شَراف فإذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عُذَيب الهِجانات وعذيب القوادس وشرّق بالناس وغرّبْ بهم ثم قدم عليه جواب كتاب عمر أما بعد فتعاهد قلبك وحادثْ جندك بالموعظة والنية والحِسبة ومن غفل فليُحْدِثهما والصبرَ الصبرَ فإن المعونة تأتى من الله على قدر النية والأجر على قدر الحِسبة والحذرَ الحذرَ على من أنت عليه وما أنت بسبيله واسألوا الله العافية وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله واكتب إلى أين بلغك جمعُهم ومَن رأسُهم الذى يلى مصادمتكم فإنه قد منعنى من بعض ما أردت الكتاب به قلّةُ علمى بما هجمتم عليه والذى استقر عليه أمر عدوكم فصِفْ لنا منازل المسلمين والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفة كأنى أنظر إليها واجعلنى من أمركم على الجليّة وخف الله وارجه ولا تدل بشىء واعلم أن الله قد وعدكم وتوكل لهذا الأمر بما لا خُلْف له فاحذر أن تصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم فكتب اليه سعد بصفة البلدان القادسية بين الخندق والعَتيق وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر فى جوف لاحٍ إلى الحيرة بين طريقين فأما أحدهما فعلى الظهر وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يُدعى الحُضوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخَوَرْنَق والحيرة وأما عن يمين القادسية إلى الوَلَجَة فيض من فيوض مياههم وأن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلى ألْبٌ لأهل فارس قد خفوا لهم واستعدوا لنا وأن الذى أعدّوا لمصادمتنا رُسْتَم فى أمثال له منهم فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم وأمر الله بعدُ ماض وقضاؤه مسلّم إلى ما قدّر لنا وعلينا فنسأل

الله خير القضاء، خير القَدَر فى عافية فكتب اليه عمر قد جاءنى كتابك وفهِمتُه فأقم بمكانك حتى يُنغض الله لك عدوك واعلم أن لها مابعدها فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله وجعل عمر يدعو لسعد خاصة ويدعون له معه وللسلمين عامة فقدّم زُهْرةَ سعد حتى عسكر بعُذيب الهجانات ثم خرج فى أثره حتى ينزل على زُهرة بعذيب الهجانات وقدّمه فنزل زهرة القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة وقدَيْس يومئذ أسفل منها بميل (كتب الىّ السرىُّ) عن شعيب عن سيف عن القعقاع بإسناده قال وكتب عمر إلى سعد إنى قد أُلقِىَ فى رُوعى إنكم اذا لقيتم العدو هزمتموهم فاطرحوا الشك وآثِروا التقيَّة عليه فإن لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو قرفه بإشارة أو بلسان كان لا يدرى الأعجمى ما كلمه به وكان عندهم أمانا فأجروا ذلك له مجرى الأمان وإياكم والضَّحِك والوفاءَ الوفاءَ فإن الخطاء الوفاء بقية وان الخطاء بالغدر الهلكة وفيها وهنُكم وقوة عدوكم وذهاب ريحكم وإقبال ريحهم واعلموا أنى أحذّركم أن تكونوا شَيناً على المسلمين وسبباً لتوهينهم (كتب إلىّ السرىُّ) عن شعيب عن سيف عن عبد الله بن مُسلِم العُكْلىّ والمقدام بن أبى المقدام عن أبيه عن كرب بن أبى كرب العكلى وكان فى المقدمات أيام القادسية قال قدّمنا سعد من شراف فنزلنا بعذيب الهجانات ثم ارتحل فلما نزل علينا بعذيب الهجانات وذلك فى وجه الصبح خرج زُهرة بن الحَوِيّة فى المقدمات فلما رُفع لنا العذيب وكان من مسالحهم استبنّا على بروجه ناساً فما نشاءُ أن نرى على برج من بروجه رجلا أو بين شُرْفتين إلا رأيناه وكنا فى سَرَعان الخيل فأمسكنا حتى تلاحق بنا كَثْف ونحن نرى أن فيها خيلا ثم أقدمنا على العذيب فلما دنونا منه خرج رجل يركض نحو القادسية فانتهينا إليه فدخلناه فإذا ليس فيه أحد وإذا ذلك الرجل هو الذى كان يتراءى لنا على البروج وهو بين الشُّرَف مكيدة ثم انطلق بخبرنا فطلبناه فأعجزنا وسمع بذلك زُهرة فاتّبعَنا فلحق بنا وخلّفَنا وأتبعه وقال إن أفلت الرَّبِيءُ وأتاهم الخبر فلحقه بالخندق فطعنه فجدّله فيه وكان أهل القادسية يتعجبون من شجاعة

ذلك الرجل ومن علمه بالحرب لم يُرَ عين قوم قط أثبت ولا أربط جأشاً من ذلك الفارسى لولا بعد غايته لم يلحق به ولم يُصِبه زُهرة ووجد المسلمون فى العذيب رماحا ونُشّابا وأسفاطاً من جلود وغيرها انتفع بها المسلمون ثم بث الغارات وسرحهم فى جوف الليل وأمرهم بالغارة على الحيرة وأمّر عليهم بكَيْر بن عبد الله الليثى وكان فيها الشّماخ الشاعر القيسى فى ثلاثين معروفين بالنجدة والبأس فسرَوْا حتى جازوا السَّيْلَحين وقطعوا جسرها يريدون الحيرة فسمعوا جَلَبة وأزفلة فأحجموا عن الإقدام وأقاموا كمينا حتى يتبينوا فما زالوا كذلك حتى جازوا بهم فإذا خيول تقدم تلك الغَوْغاء فتركوها فنفذت الطريق الى الصنين وإذا هم لم يشعروا بهم وإنما ينتظرون ذلك العين لا يريدونهم ولا يأبهون لهم إنما همّتهم الصنّين وإذا أخت آزاذمَرْد بن آزاذبه مرزبان الحيرة تزَفّ إلى صاحب الصنين وكان من أشراف العجم فسار معها من يبلغها مخافة ما هو دون الذى لقوا فلما انقطعت الخيل عن الزواف والمسلمون كمين فى النخل وجازت بهم الاثقال حمل بكَيْر على شيرزاذ بن آزاذبه وهو بينها وبين الخيل فقصم صُلبه وطارت الخيل على وجوهها وأخذوا الأثقال وابنة آزاذبه فى ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم ما لا يُدرى قيمته ثم عاج واستاق ذلك فصبح سعداً بعذيب الهجانات بما أفاء الله على المسلمين فكبّروا تكبيرة شديدة فقال سعد أقسم بالله لقد كبّرتم تكبيرة قوم عرفتُ فيهم العز فقسم ذلك سعد على المسلمين فالخمس نفله وأعطى المجاهدين بقيته فوقع منهم موقعاً ووضع سعد بالعذيب خيلا تحوط الحريم وانضم اليها حاطة كل حريم وأمّر عليهم غالب بن عبد الله الليثى ونزل سعد القادسية فنزل بقُدَيْس ونزل زُهرة بحيال قنطرة العتيق فى موضع القادسية اليوم وبعث بخبر سريّة بكير وبنزوله قُديساً فأقام بها شهراً ثم كتب الى عمر لم يوجه القوم الينا أحداً ولم يُسنِدوا حرباً الى أحد علمناه ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به واستنصر الله فانّا بمنحاة دنيا عريضة دونها بأس شديد قد تقدم الينا فى الدعاء اليهم فقال (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) وبعث سعد فى مقامه ذلك الى أسفل الفرات عاصم بن عمرو فسار حتى أتى

ميسان فطلب غنما أو بقرا فلم يقدر عليها وتحصن منه من فى الافدان ووغلوا فى الآجام ووغل حتى أصاب رجلا على طف أجمة فسأله واستدله على البقر والغنم فحلف له وقال لا أعلم وإذا هو راعى مافى تلك الأجمة فصاح منها ثور كذب والله وها نحن أولاء فدخل فاستاق الثيران وأتى بها العسكر فقسم ذلك سعد على الناس فأخصبوا أياما وبلغ ذلك الحجاج فى زمانه فأرسل إلى نفر ممن شهدها أحدهم نذير ابن عمرو والوليد بن عبد شمس وزاهر فسألهم فقالوا نعم نحن سمعنا ذلك ورأيناه واستقناها فقال كذبتم فقالوا كذلك إن كنت شهدتها وغبنا عنها فقال صدقتم فما كان الناس يقولون فى ذلك قالوا آية تبشير يُستدل بها على رضاء الله وفتح عدونا فقال والله ما يكون هذا إلا والجمع أبرار أتقياء قالوا والله ماندرى ما أجنّت قلوبهم فأما مارأينا فانّا لم نر قوما قطُّ أزهد فى دنيا منهم ولا أشد لها بُغضا ما اعتُدَّ على رجل منهم فى ذلك اليوم بواحدة من ثلاث لا بجُبْن ولا بغدر ولا بغُلول وكان هذا اليوم يوم الأباقِر وبثّ الغارات بين كَسْكَر والانبار فحَوَوْا من الأطعمة ما كانوا يستكفون به زمانا وبعث سعد عيونا الى أهل الحيرة والى صلوبا ليعلموا له خبر أهل فارس فرجعوا اليه بالخبر بأن الملك قد ولّى رُستم بن الفَرخزاذ الأرْمَنيّ حَرْبَه وأمره بالعسكرة فكتب بذلك إلى عمر فكتب اليه عمر لا يكرُبنّك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به واستعن بالله وتوكل عليه وابعث اليه رجالا من أهل المنظرة والرأى والجلد يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وفَلْجًا عليهم واكتب الىّ فى كل يوم ولمّا عسكر رُستم بساباط كتبوا بذلك الى عمر (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن أبى ضمرة عن ابن سيرين واسماعيل بن أبى خالد عن قَيْس بن أبى حازم قالا لما بلغ سعداً فصول رستم الى ساباط أقام فى عسكره لاجتماع الناس * فأما اسماعيل فانه قال كتب اليه سعد أن رستم قد ضرب عسكره بساباط دون المدائن وزحف الينا * وأما أبو ضمرة فانه قال كتب اليه أن رستم قد عسكر بساباط وزحف الينا بالخيول والفيول وزهاء فارس وليس شىء أهمّ الىّ ولا أنا له أكثر ذكراً منّى لما أحببت أن أكون عليه ونستعين بالله ونتوكل عليه وقد بعثت فلانا وفلانا وهم مارصفت (كتب إلىّ السرىّ)

عن شعيب عن سيف عن عمرو والمجالد باسنادهما وسعيد بن المرزبان أن سعد بن أبي وقاص حين جاءه أمر عمر فيهم جمع نفرا عليهم نجار ولهم آراء ونفرا لهم منظر وعليهم مهابة ولهم آراء فأما الذين عليهم نجار ولهم آراء ولهم اجتهاد فالنعمان بن مقرّن وبُسْر بن أبى رُهْم وَحَملة بن جُوَيّة الكِنانى وحنظلة بن الربيع التيمى وفُرات ابن حيان العِجْلِىّ وعدى بن سهيل والمغيرة بن زُرارة بن النباش بن حبيب وأما من لهم منظر لاجسامهم وعليهم مهابة ولهم آراء فعُطارد بن حاجب والأشعث بن قيس والحارث بن حسّان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معديكرب والمغيرة بن شعبة والمعنّى بن حارثة فبعثهم دُعاة الى الملك * حدثنى محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفى قال حدثنا أمَيّة بن خالد قال حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن قال قال أبو وائل جاء سعد حتى نزل القادسية ومعه الناس قال لا أدرى لعلنا لا نزيد على سبعة آلاف أو نحو من ذلك والمشركون ثلاثون ألفاً أو نحو ذلك فقالوا لنا لا يدى لكم ولا قوة ولا سلاح ما جاء بكم ارجعوا قال قلنا لا نرجع وما نحن براجعين فكانوا يضحكون من نَبْلنا ويقولون دوك دوك ويشبّهونها بالمغازل قال فلما أبينا عليهم أن نرجع قالوا ابعثوا الينا رجلا منكم عاقلا يبيّن لنا ما جاء بكم فقال المغيرة بن شعبة أنا فعبر اليهم فقعد مع رستم على السرير فنخروا وصاحوا فقال إن هذا لم يزدنى رفعة ولم يُنقص صاحبكم قال رستم صدقت ماجاء بكم قال انا كنا قوما فى سَوْق ضلالة فبعث الله فينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه فكان مما رزقنا حبة زُعمت تنبُتُ بهذا البلد فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا لا صبر لنا عن هذه أنزِلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة فقال رستم إذاً نقتلكم فقال إن قتلتمونا دخلنا الجنة وإن قتلناكم دخلتم النار أو أدّيتم الجزية قال فلما قال أدّيتم الجزية نخروا وصاحوا وقالوا لا صلح بيننا وبينكم فقال المغيرة تعبرون إلينا أو نعبر اليكم فقال رستم بل نعبر اليكم فاستأخر المسلمون حتى عبر منهم من عبر فحملوا عليهم فهزموهم قال حصين فحدثنى رجل منا يقال له عبيد بن جحش السُّلَمى قال لقد رأيتُنا وإنّا لنَطَأُ على ظهور الرجال ما مسّهم سلاح قتل بعضهم بعضاً ولقد رأيتنا أصبْنا جرابا من كافور فحسبناه ملحًا لا نشك أنه ملح فطبخنا لحماً فجعلنا نُلقيه

فى القِدر فلا نجد له طعماً فمرّ بنا عِبادىّ معه قميص فقال يا معشر المُعربين لا تفسدوا طعامكم فان ملح هذه الأرض لا خير فيه هل لكم أن تأخذوا هذا القميص به فأخذناه منه وأعطيناه منا رجلا يلبسه فجعلنا نُطيف به ونعجب منه فلما عرفنا الثياب إذا ثمن ذلك القميص درهمان قال ولقد رأيتنى أقرب إلى رجل عليه سِواران من ذهب وسلاحه فجاء فما كلمته حتى ضربتُ عنقه قال فانهزموا حتى انتهوا إلى الصَّراة فطلبناهم فانهزموا حتى انتهوا إلى المدائن فكان المسلمون بكُوثى وكان مسلحة المشركين بدَيْر المسلاخ فأتاهم المسلمون فالتقوا فهُزم المشركون حتى نزلوا بشاطئ دجلة فمنهم من عبر من كَلواذَى ومنهم من عبر من أسفل المدائن فحصروهم حتى ما يجدون طعاماً يأكلونه إلّا كلابَهم وسنانيرهم فخرجوا ليلا فلحقوا بجَلولاءَ فأتاهم المسلمون وعلى مقدمة سعد هاشم بن عتبة وموضع الوقعة التى ألحقهم منها فريد قال أبو وائل فبعث عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان على أهل الكوفة ومُجاشِع بن مسعود على أهل البصرة (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبى وطلحة عن المغيرة قالوا خرجوا من العسكر حتى قدموا المدائن احتجاجا ودُعاةً ليزدجرد فطوَوا رستم حتى انتهوا إلى باب يزدجرد فوقفوا على خيول عُرُوات معهم جنائب وكلها صهّال فاستأذنوا فحبسوا وبعث يزدجرد إلى وزرائه ووجوه أرضه يستشيرهم فيما يصنع بهم ويقوله لهم وسمع بهم الناس فحضروهم ينظرون اليهم وعليهم المقطَّعات والبرود وفى أيديهم سياط دقاق وفى أرجلهم النعال فلما اجتمع رأيهم أذن لهم فأدخلوا عليه (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن طلحة عن بنت كيسان الضَّبّيّة عن بعض سبايا القادسية ممن حسن إسلامه وحضر هذا اليوم الذى قدم فيه وفود العرب قال وثاب اليهم الناس ينظرون اليهم فلم أر عشرة قط يعدلون فى الهيئة بألف غيرَهم وخيلهم تخبط ويوعد بعضها بعضا وجعل أهل فارس يسوءهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم فلما دخلوا على يزدجرد أمرهم بالجلوس وكان سيئ الأدب فكان أول شىء دار بينه وبينهم أن أمر الترجمان بينه وبينهم فقال سَلْهم ما يسمُّون هذه الأردية فسأل

النعمان وكان على الوفد ما تُسمى رداءَك قال البُرْد فتطيَّر وقال بُرْدجهان وتغيرت ألوان فارس وشق ذلك عليهم ثم قال سلهم عن أحذيتهم فقال ما تسمُّون هذه الأحذية فقال النعال فعاد لمثلها فقال ناله ناله فى أرضنا ثم سأله عن الذى فى يده فقال سوط والسوط بالفارسية الحريق فقال احرقوا فارس أحرقهم الله وكان تطيرُه على أهل فارس وكانوا يجدون من كلامه (كتب إلىَّ السرىُّ) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي بمثله وزاد ثم قال الملك سلهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا أمن أجل أنا أجممنا كم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فقال لهم النعمان بن مقرِّن إن شئتم أجبت عنكم ومن شاء آثرته فقالوا بل تكلم وقالوا للملك كلام هذا الرجل كلامنا فتكلم النعمان فقال إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرّفنا الشر وينهانا عنه ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تُقاربه وفرقة تباعده ولا يدخل معه فى دينه إلا الخواص فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب وبدأ بهم وفعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين مكره عليه فاغتبط وطائع أتاه فازداد فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسَّن الحسَنَ وقبّح القبيح كله فان أبيتم فأمرٌ من الشر هو أهون من آخر شرٌّ منه الجزاءُ فان أبيتم فالمناجزة فان أجبتم إلى ديننا خَلّفنا فيكم كتاب الله وأقمنا كم عليه أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وإن اتقيمونا بالجزاء قبلْنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم قال فتكلم يزدجرد فقال إنى لا أعلم فى الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بينٍ منكم قد كنا نوكّل بكم قُرى الضواحى فيكفونناكم لا تغزوكم فارسُ ولا تطمعون أن تقوموا لهم فان كان عددٌ لحق فلا يغرَّنكم منا وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خِصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملّكنا عليكم ملكا يرفق بكم فأسكت القوم فقام المغيرة بن زُرارة بن النبَّاش الأسَيْدى فقال أيها الملك إن هؤلاء

رؤوس العرب ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الاشراف وانما يكرم الأشرافَ الاشرافُ ويعظّم حقوق الأشراف الأشراف ويفخم الأشراف الأشراف وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك فجاوبنى لأكون الذى أبلّغك ويشهدون على ذلك إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالما فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا وأما المنازل فانما هى ظهر الأرض ولا نلبس إلا ماغزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ديننا أن يقتل بعضنا بعضا ويغير بعضنا على بعض وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهى حية كراهية أن تأكل من طعامنا فكانت حالنا قبل اليوم على ماذكرت لك فبعث الله إلينا رجلا معروفا نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده فأرضه خير أرضنا وحسبه خير أحسابنا وبيته أعظم بيوتنا وقبيلته خير قبيلتنا وهو بنفسه كان خيرنا فى الحال التى كان فيها أصدقنا وأحلمنا فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد أول من ترب كان له وكان الخليفة من بعده فقال وقلنا وصدق وكذبنا وزاد ونقصنا فلم يقل شيئاً إلا كان فقذف الله فى قلوبنا التصديق له واتّباعه فصار فيما بيننا وبين رب العالمين فما قال لنا فهو قول الله وماأمرنا فهو أمر الله فقال لنا إن ربكم يقول إنى أنا اللهُ وحدى لاشَريك لى كنت إذلم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهى وأنا خلقت كل شيء وإلىّ يصير كل شيء وإن رحمتى أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدُلّكمْ عَلَى السبيل التى بها أنجيكمْ بعدالموت من عذابى ولأحلكم دارى دار السّلام فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عندالحق وقال من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ماعليكم ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ومن أبى فقاتلوه فأنا الحكم بينكم فمن قُتل منكم أدخلته جنتى ومن بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه فاخترْ إن شئت الجزية عن يدوأنت صاغر وإن شئت فالسيف أو تُسلم فتُنجى نفسك فقال أتستقبلنى بمثل هذا فقال مااستقبلت إلا من كلمنى ولو كلمنى غيرك لم أستقبلك به فقال لو لا

أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندى فقال ائتونى بوقر من تراب فقال احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن ارجعوا الى صاحبكم فأعلموه أنى مرسل اليكم رستم حتى يدفنكم ويدفنه فى خندق القادسية وينكّل به وبكم من بعد ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم فى أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور ثم قال من أشرفكم فسكت القوم فقال عاصم بن عمرو وافتات ليأخذ التراب أنا أشرفهم أنا سيد هؤلاء فحمّلنيه فقال أكذاك قالوا نعم فحمله على عنقه فخرج به من الايوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها ثم انجذب فى السير فأتوا به سعداً وسبقهم عاصم فمر بباب قديس فطواه فقال بشروا الأمير بالظفر ظفرنا إن شاء الله ثم مضى حتى جعل التراب فى الحجر ثم رجع فدخل على سعد فأخبره الخبر فقال أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون فى كل يوم قوة ويزداد عدوهم فى كل يوم وهناً واشتد ماصنع المسلمون وصنع الملك من قبول التراب على جلساء الملك وراح رستم من ساباط الى الملك يسأله عما كان من أمره وأمرهم وكيف رآهم فقال الملك ما كنت أرى أن فى العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا علىّ وما أنتم بأعقل منهم ولا أحسن جوابا منهم وأخبره بكلام متكلمهم وقال لقد صدقنى القوم لقد وعد القوم أمراً ليدركنّه أو ليموتن عليه على أنى قد وجدت أفضلهم أحمقهم لما ذكروا الجزية أعطيته ترابا فحمله على رأسه فخرج به ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أعلم قال أيها الملك إنه لأعقلهم وتطير الى ذلك وأبصرها دون أصحابه وخرج رستم من عنده كئيبا غضبان وكان منجما كاهنا فبعث فى أثر الوفد وقال لثقته ان أدركهم الرسول تلافينا أرضنا وإن أعجزوه سلبكم الله أرضكم وأبناءكم فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم فقال ذهب القوم بأرضكم غير ذى شك ما كان من شأن ابن الحجامة المُلكُ ذهب القوم بمفاتيح أرضنا فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظا وأغار بعد ما خرج الوفد إلى يزدجرد الى أن جاءوا الى صيادين قد اصطادوا سمكا وسار سَوادُ بن مالك التميمىّ الى النجاف والفِراض الى جنبها فاستاق ثلثمائة دابّة من بين بغل وحمار وثور فأوقروها سمكا واستاقوها

فصبحوا العسكر فقسم السمك بين الناس سعد وقسم الدوابّ ونفل الخمس إلا ما رُدَّ على المجاهدين منه وأسهم على السبي وهذا يوم الحيتان وقد كان الآزاذمرد ابن الآزاذبه خرج فى الطلب فعطف عليه سواد وفوارس معه فقاتلهم على قنطرة السَّيْلَحين حتى عرفوا أن الغنيمة قد نجت ثم اتبعوها فأبلغوها المسلمين وكانوا انما يقرَمون الى اللحم فاما الحنطة والشعير والتمر والحبوب فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوا به لو أقاموا زمانا فكانت السرايا انما تسرى للحوم ويسمون أيامها بها ومن أيام اللحم يوم الأباقر ويوم الحيتان وبعث مالك بن ربيعة بن خالد التيمى تيم الرباب ثم الوائلىّ ومعه المساور بن النعمان التيمىّ ثم الرُّبَيعىّ فى سريّة أخرى فأغارا على الفَيُّوم فأصابا إبلا لبنى تغلب والنمر فشلاها ومن فيها فغدوا بها على سعد فنحرت الإبل فى الناس وأخصبوا وأغار على النَّهْرَيْن عمرو بن الحارث فوجدوا على باب ثوراء مواشى كثيرة فسلكوا أرض شَيْلَى وهى اليوم نهر زياد حتى أتوا بها العسكر وقال عمر وليس بها يومئذ الا نهران وكان بين قدوم خالد العراق ونزول سعد القادسية سنتان وشىء وكان مقام سعد بها شهرين وشيئا حتى ظفر قال والاسناد الأول وكان من حديث فارس والعرب بعد البويب ان الأنوشجان ابن الهربذ خرج من سواد البصرة يريد أهل غضى فاعترضه أربعة نفر على أفناء تميم وهم بإزائهم المُسْتَورِد وهو على الرباب وعبد الله بن زيد يسانده الربابُ بينهما وجَزْء بن معاوية وابن النابغة يسانده سعد بينهما والحسن بن نيار والأعور ابن بشامة يسانده على عمرو والحصين بن معبد والشبه على حنظلة فقتلوه دونهم وقدم سعد فانضموا اليه هم وأهل غضى وجميع تلك الفرق (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو بإسنادهم قالوا وعج أهل السواد الى يزدجرد بن شهريار وأرسلوا اليه أن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبه الا الحرب وان فعل العرب مذ نزلوا القادسية لا يبقى عليه شىء وقد أحربوا ما بينهم وبين الفرات وليس فيما هنالك أنيس إلا فى الحصون وقد ذهب الدواب وكل شىء لم يحتمله الحصون من الأطعمة ولم يبق إلا أن يستنزلونا

فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا وكتب إليه بذلك الملوك الذين لهم الضياع بالطف وأعانوهم عليه وهيجوه على بعثه رستم ولما بدا ليزدجرد أن يرسل رستم أرسل إليه فدخل عليه فقال له إنى أريد أن أوجهك فى هذا الوجه وإنما يُعَدّ للأمور على قدرها وأنت رجل أهل فارس اليوم وقد ترى ما جاء من أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولى آل أردشير فأراه أن قد قبل منه وأثنى عليه فقال له الملك قد أحبُّ أن أنظر فيما لديك لأعرف ما عندك فصف لى العرب وفعلهم منذ نزلوا القادسية وصف لى العجم وما يلقون منهم فقال رستم صفة ذئاب صادفت غِرَّةً من رِعاء فأفسدت فقال له ليس كذلك إنى إنما سألتك رجاء أن تعرب صفتهم فأقوّيك لتعمل على قدر ذلك فلم تُصِبْ فافهم عنى إنما مثلهم ومثل أهل فارس كمثل عقاب أوفى على جبل يأوى إليه الطير بالليل فتبيت فى سَفْحه فى أوكارها فلما أصبحت تجلت الطير فأبصرته يرقبها فإن شذ منها شيء اختطفه فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته وجعلت كلما شذ منها طائر اختطفه فلو نهضت نهضة واحدة ردّته وأشدُّ شيء يكون فى ذلك أن تنجو كلها إلا واحدا وإن اختلفت لم تنهض فرقة إلا هلكت فهذا مثلهم ومثل الأعاجم فاعمل على قدر ذلك فقال له رستم أيها الملك دعنى فإن العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضرهم بى ولعل الدولة أن تثبت بى فيكون الله قد كفى ونكون قد أصبنا المكيدة ورأى الحرب فإن الرأى فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر فأبى عليه وقال أى شيء بقى فقال رستم إن الأناة فى الحرب خير من العجلة وللأناة اليوم موضع وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرة وأشد على عدونا فلجّ وأبى فخرج حتى ضرب عسكره بساباط وجعلت تختلف إلى الملك الرسل ليرى موضعا لإعفائه وبعثه غيره ويجتمع إليه الناس وجاء العيون إلى سعد بذلك من قِبَل الحيرة وبنى صلوبا وكتب إلى عمر بذلك ولما كثرت الاستغاثة على يزدجرد من أهل السواد على يدى الآزاذمرد ابن الآزاذبه جشعت نفسه واتقى الحرب برستم وترك الرأى وكان ضيقا لجوجا فاستحث رستم فأعاد عليه رستم القول وقال أيها الملك لقد اضطرنى تضييع الرأى إلى إعظام نفسى وتزكيتها ولو أجد من ذلك بدًّا لم أتكلم به فأنشدك الله فى نفسك

وأهلك وملكك دعني أقم بعسكرى وأسرّح الجالنوس فإن تكن لنا فذلك وإلا فأنا على رجل وابعث غيره حتى اذا لم نجد بدًّا ولا حيلةً صبرنا لهم وقد وهنّاهم وحسرناهم ونحن جامّون فأبى الا أن يسير (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السرىّ الضبّىّ عن ابن الرُّفيل عن أبيه قال لما نزل رستم بساباط وجمع آلة الحرب وأداتها بعث على مقدمته الجالنوس فى أربعين ألفاً وقال ازحف زحفاً ولا تنجذب الا بأمرى واستعمل على ميمنته الهُرْمزان وعلى ميسرته مهْران بن بَهْرام الرازىّ وعلى ساقته البيرزان وقال رستم ليشجّع الملك ان فتح الله علينا القوم فهو وجهنا الى ملكهم فى دارهم حتى نشغلهم فى أصلهم وبلادهم الى أن يقبلوا المسألة أو يرضوا بما كانوا يرضون به فلما قدمت وفود سعد على الملك ورجعوا من عنده رأى رستم فيما يرى النائم رؤيا فكرهها وأحسّ بالشرّ وكره لها الخروج ولقاء القوم واختلف عليه رأيه واضطرب وسأل الملك أن يمضى الجالنوسَ ويُقيم حتى ينظر مايصنعون وقال إن غناء الجالنوس كغنائى وان كان اسمى أشد عليهم من اسمه فإن ظفر فهو الذى نريد وإن يكن الأخرى وجّهتُ مثله ودفعنا هؤلاء القوم الى يوم ما فإنى لاأزال مرجوّا فى أهل فارس مالم أُهزم ينشَطون ولاأزال مهيباً فى صدور العرب ولا يزالون يهابون الإقدام مالم أباشرهم فإن باشرتهم اجترؤا آخرَ دهرهم وانكسر أهل فارس آخر دهرهم فبعث مقدمته أربعين ألفاً وخرج فى ستين ألفاً وساقته فى عشرين ألفاً (كتب الىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم قالوا وخرج رستم فى عشرين ومائة ألف كلهم متبوع وكانوا بأتباعهم أكثر من مائة ألف وخرج من المدائن فى ستين ألف متبوع (كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رستم زحف لسعد وهو بالقادسية فى ستين ألف متبوع (كتب الىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم قالوا لما أبى الملك إلا السير كتب رستم الى أخيه والى رؤس أهل بلاده من رستم الى البندوان مرزبان الباب وسهم أهل فارس الذى كان لكل

كون يكون فيفض الله به كل جند عظيم شديد ويفتح به كل حصن حصين ومن يليه فرُمّوا حصونكم وأعِدّوا واستعِدّوا فكأنكم بالعرب قد وردوا بلادكم وقارعوكم عن أرضكم وأبناءكم وقد كان من رأيى مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوساً فأبى الملك (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن الصلت بن بَهرام عن رجل أن يزدجرد لما أمر رستم بالخروج من ساباط كتب الى أخيه بنحو من الكتاب الأول وزاد فيه فإن السمكة قد كدّرت الماء وأن النعائم قد حسنت وحسنت الزهرَة واعتدل الميزان وذهب بَهْرام ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا ويستولون على مايلينا وان أشد مارأيت أن الملك قال لتسيرن اليهم أو لأسيرن اليهم أنا بنفسى فأنا سائر اليهم (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السرى عن ابن الرُّفيل عن أبيه قال كان الذى جرأ يزدجرد على ارسال رستم غلام جابان منجم كسرى وكان من أهل فرات بادقلى فأرسل اليه فقال ماترى فى مسير رستم وحرب العرب اليوم فخافه على الصدق فكذبه وكان رستم يعلم نحوا من علمه فثقل عليه مسيره لعلمه وخف على الملك لما غره منه وقال إنى أحب أن تخبرنى بشىء أراه أطمئن به الى قولك فقال الغلام لزُرْنا الهندى أخبره فقال سلنى فسأله فقال أيها الملك يُقبل طائر فيقع على إيوانك فيقع منه شىء فى فيه هاهنا وخطّ دارةً فقال العبد صدق والطائر غراب والذى فى فيه درهم وبلغ جابان أن الملك طلبه فأقبل حتى دخل عليه فسأله عما قال غلامه فحسب فقال صدق ولم يصب هو عقعق والذى فى فيه درهم فيقع منه على هذا المكان وكذب زرنا ينزو الدرهم فيستقر هاهنا ودور دارة أخرى فما قاموا حتى وقع على الشرفات عقعق فسقط منه الدرهم فى الخط الأول فنزا فاستقر فى الخط الآخر ونافر الهندىّ جابان حيث خطأه فأتيا ببقرة نتوج فقال الهندى سخلتها غراء سوداء فقال جابان كذبت بل سوداء صبغاء فنحرت البقرة فاستخرجت سخلتها فإذا هى ذنبها بين عينيها فقال جابان من هاهنا أتى زرنا وشجعاه على إخراج رستم فأمضاه وكتب جابان إلى جُشْنَسْماه أن أهل فارس قد زال أمرهم وأديل عدوُّهم عليهم

وذهب مُلك المجوسية وأقبل مُلك العرب وأديل دينهم فاعتقدْ منهم الذمّة ولا تخلبنّك الأمور والعجل العجل قبل أن تؤخَذ فلما وقع الكتاب اليه خرج حشلسياه إليهم حتى أتى المغى وهو فى خيل بالعتيق وأرسله إلى سعد فاعتقد منه على نفسه وأهل بيته ومن استجاب له ورده وكان صاحب أخبارهم وأهدى للمغى فالوذق فقال لامرأته ماهذا فقالت أظن البائسة امرأته أراغت العصيدة فأخطأتها فقال المغى بؤسا لها (كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد وعمرو باسنادهم قالوا لما فصل رستم من ساباط لقيه جابان على القنطرة فشكا اليه وقال ألا ترى ما أرى فقال له رستم أما أنا فأقاد بخشاش وزمام ولا أجد بدًّا من الانقياد وأمر الجالنوس حتى قدم الحيرة فمضى واضطرب فسطاطه بالنجف وخرج رستم حتى ينزل بكوثى وكتب إلى الجالنوس والآزاذ مرد أصيبا لى رجلا من العرب من جند سعد فركبا بأنفسهما طليعةً فأصابا رجلا فبعثا به اليه وهو بكوثى فاستخبره ثم قتله (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السرى عن ابن الرُّفيل عن أبيه قال لما فصل رستم وأمر الجالنوس بالتقدم إلى الحيرة أمره أن يصيب له رجلا من العرب فخرج هو والآزاذمرد سريّةً فى مائة حتى انتهيا إلى القادسية فأصابا رجلا دون قنطرة القادسية فاختطفاه فنفر الناس فأعجزوهم إلا ما أصاب المسلمون فى أُخْرَياتهم فلما انتهيا إلى النجف سرحا به إلى رستم وهو بكوثى فقال له رستم ماجاءَ بكم وماذا تطلبون قال جئنا نطلب موعود الله قال وماهو قال أرضكم وأبناؤكم ودماؤكم إن أبيتم أن تسلموا قال رستم فإن قُتلتم قبل ذلك قال فى موعود الله ان من قُتل منا قبل ذلك أدخله الجنة وأنجز لمن بقى منا ماقلت لك فنحن على يقين فقال رستم قد وُضِعْنا إذا فى أيديكم قال ويحك يارستم إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها فلا يغرنك ماترى حولك فإنك لست تُجاول الإنس إنما تجاول القضاءَ والقدر فاستشاط غضبا فأمر به فضربت عنقه وخرج رستم من كوثى حتى ينزل ببُرْس فغصب أصحابه الناس أموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور فضج العلوج إلى رستم وشكوا إليه مايلقون فى أموالهم وأبنائهم فقام فيهم فقال يامعشر

أهل فارس والله لقد صدق العربي والله ماأسلمنا الا أعمالنا والله للعرب في هؤلاء وهم لهم ولنا حربٌ أحسنُ سيرةً منكم إن الله كان ينصركم على العدو ويمكّن لكم في البلاد بحُسن السيرة وكفِّ الظلم والوفاءِ بالعهود والإحسان فأما إذا تحوّلتم عن ذلك إلى هذه الأعمال فلا أرى الله إلا مغيّرا مابكم وما أنا بآمن أن ينزع الله سلطانه منكم وبعث الرجال فلقطوا له بعض من يُشكَى فأتى بنفر فضرب أعناقهم ثم ركب ونادى في الناس بالرحيل فخرج ونزل بحيال دير الأعور ثم انصبّ إلى المِلطاط فعسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النّجف بحيال الخَوَرْنق إلى الغَرِيَّين ودعا بأهل الحيرة فأوعدهم وهم بهم فقال له ابن بُقَيْلة لاتجمع علينا اثنتين إن تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن أنفسنا وبلادنا فسكت (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي والمقدام الحارثي عمن ذكره قالا دعا رستم أهل الحيرة وسُرادقُه إلى جانب الدير فقال ياأعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا وكنتم عيونالهم علينا وقوّيتموهم بالأموال فاتّقوه بابن بُقَيلة وقالوا له كن أنت الذى تكلمه فتقدم فقال أما أنت وقولك انا فرحنا بمجيئهم فماذا فعلوا وبأى ذلك من أمورهم نفرح إنهم ليزعمون أنا عبيد لهم وما هم على ديننا وإنهم ليشهدون علينا أنا من أهل النار وأما قولك انا كنا عيونا لهم فما الذى يحوجهم إلى أن نكون عيونا لهم وقد هرب أصحابكم منهم وخلّوا لهم القرى فليس يمنعهم أحد من وجه أرادوه إن شاؤا أخذوا يمينا أو شمالا وأما قولك إنا قوّيناهم بالأموال فإنا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا إذلم تمنعونا مخافة أن نُسبَى وأن نُحرب وتُقتل مقاتلتُنا وقد عجز منهم من لقيهم منكم فكنا نحن أعجز ولعمرى لأنتم أحب إلينا منهم وأحسن عندنا بلاءً فامنعونا منهم نكن لكم أعوانا فإنما نحن بمنزلة علوج السواد عبيد من غلب فقال رستم صدقكم الرجل (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن النضر عن ابن الرُّفَيل عن أبيه قال رأى رستم بالدير أن ملكا جاء حتى دخل عسكر فارس فختم السلاح أجمع (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وأصحابه وشارَكهم النضر بإسناده قالوا ولما اطمأن رستم أمر الجالنوس

أن يسير من النجف فسار فى المقدمات فنزل فيما بين النجف والسَّيْلَحين وارتحل رستم فنزل النجف وكان بين خروج رستم من المدائن وعسكرته بساباط وزحفه منها إلى أن لقى سعدا أربعة أشهر لا يُقدم ولا يقاتل رجاء أن يضجَروا بمكانهم وأن يُجهدوا فينصرفوا وكره قتالهم مخافة أن يلقى مالقى من قبله وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله وينهضه ويقدمه حتى اقتحمه فلما نزل رستم النجف عادت عليه الرؤيا فرأى ذلك الملك ومعه النبى صلى الله عليه وسلم وعمر فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ثم دفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فدفعه النبى صلى الله عليه وسلم إلى عمر فأصبح رستم فازداد حزنا فلما رأى الرُّفيل ذلك رغب فى الإسلام فكانت داعيتَه إلى الإسلام وعرف عمر أن القوم سيطاولونهم فعهد إلى سعد وإلى المسلمين أن ينزلوا حدود أرضهم وأن يطاولوهم أبداً حتى يُنغضوهم فنزلوا القادسية وقد وطنوا أنفسهم على الصبر والمطاولة وأبى الله إلا أن يتمّ نوره فأقاموا واطمأنوا فكانوا يغيرون على السواد فانتسفوا ما حولهم فحووه وأعدّوا للمطاولة وعلى ذلك جاؤا أو يفتح الله عليهم وكان عمر يمدهم بالأسواق إلى ما يصيبون فلما رأى ذلك الملك ورستم وعرفوا حالهم وبلغهم عنهم فعلهم علم أن القوم غير منتهين وأنه إن أقام لم يتركوه فرأى أن يشخص رستم ورأى رستم أن ينزل بين العتيق والنجف ثم يطاولهم مع المنازلة ورأى أن ذلك أمثل ماهم فاعلون حتى يصيبوا من الإحجام حاجتهم أو تدور لهم سعود (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم قالوا وجعلت السرايا تطوف ورستم بالنجف والجالنوس بين النجف والسَّيْلَحين وذو الحاجب بين رستم والجالنوس والهُرْمزان ومِهْران على مجنّبتيه والبيرزان على ساقته وزاذ ابن بهَيْش صاحب فُرات سِرْيا على الرّجالة وكنارَى على المجرّدة وكان جنده مائة وعشرين ألفا ستين ألف متبوع مع الرجل الشاكرى ومن الستين ألفا خمسة عشر ألف شريف متبوع وقد تسلسلوا وتقارنوا لتدور عليهم رَحى الحرب (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قَيْس عن موسى بن طَريف قال قال الناس لسعد لقد ضاق بنا المكان فأقدِمْ فزبر من كلمه بذلك وقال إذا

كفيتم الرأى فلا تكلفوا فإنا لن نقدم إلا على رأى ذوى الرأى فاسكتوا ما سكتنا عنكم وبعث طليحة وعمراً فى غير خيل كالطليعة وخرج سواد وحُمَيْضة فى مائة مائة فأغاروا على النهرين وقد كان سعد نهاهما أن يمعنا وبلغ رستم فأرسل إليهم خيلا وبلغ سعداً أن خيله قد وغلت فدعا عاصم بن عمرو وجابرا الأسدىّ فأرسلهما فى آثارهم يقتصانها وسلكا طريقهما وقال لعاصم إن جمعكم قتال فأنت عليهم فلقيهم بين النهرين وإصْطِيمِيَا وخيل أهل فارس محتوشتهم يريدون تخلص ما بين أيديهم وقد قال سواد لحيضة اختَرْ إما أن تقيم لهم وأستاق الغنيمة أو أقيم لهم وتستاق الغنيمة قال أقِمْ لهم ونَهْنِهْهُمْ عنى وأنا أبلّغ لك الغنيمة فأقام لهم سواد وانجذب حيضة فلقيه عاصم بن عمرو فظن حيضة أنها خيل للأعاجم أخرى فصدعنها منحرفا فلما تعارفوا ساقها ومضى عاصم إلى سواد وقد كان أهل فارس تنقّذوا بعضها فلما رأت الأعاجم عاصما هربوا وتنقذ سواد ما كانوا ارتجعوا فأتوا سعدا بالفتح والغنائم والسلامة وقد خرج طليحة وعمرو فأما طليحة فأمره بعسكر رستم وأما عمرو فأمره بعسكر الجالنوس فخرج طليحة وحده وخرج عمرو فى عدّة فبعث قيس بن هبيرة فى آثارهما فقال إن لقيت قتالا فأنت عليهم وأراد إذلال طليحة لمعصيته وأما عمرو فقد أطاعه فخرج حتى تلقى عمرا فسأله عن طليحة فقال لا علْمَ لى به فلما انتهيا إلى النجف من قبل الجَوْف قال له قيس ما تريد قال أريد أن أغير على أدنى عسكرهم قال فى هؤلاء قال نعم قال لا أدعك والله وذاك أتعرض المسلمين لما لا يطيقون قال وما أنت وذاك قال إنى أمِّرت عليك ولو لم أكن أميرا لم أدعك وذاك وشهد له الأسود بن يزيد فى نفر أن سعدا قد استعمله عليك وعلى طليحة إذا اجتمعتم فقال عمرو والله ياقيس إن زمانا تكون على فيه أميرا لزمانُ سوء لأن أرجع عن دينكم هذا إلى دينى الذى كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحبُّ إلى من أن تتأمر على ثانية وقال لئن عاد صاحبك الذى بعثك لمثلها لنفارقنه قال ذاك اليك بعد مرتك هذه فرده فرجعا الى سعد بالخبر وبأعلاج وأفراس وشكا كل واحد منهما صاحبه أما قيس فشكا عصيان عمرو وأما عمرو فشكا غلظة

قيس فقال سعد ياعمرو الخير والسلامة أحب إلىّ من مُصاب مائة بقتل ألف أتعمد إلى حَلْبة فارس فتصادمهم بمائة ان كنت لأراك أعلم بالحرب مما أرى فقال ان الأمر لكما قلت وخرج طليحة حتى دخل عسكرهم فى ليلة مقمِرة فتوسّم فيه فهتك أطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه ثم خرج حتى مر بعسكر ذى الحاجب فهتك على رجل آخر بيته وحل فرسه ثم دخل على الجالنوس عسكره فهتك على آخر بيته وحل فرسه ثم خرج حتى أتى الخرارة وخرج الذى كان بالنجف والذى كان فى عسكر ذى الحاجب فاتبعه الذى كان فى عسكر الجالنوس فكان أولهم لحاقا به الجالنوسى ثم الحاجبى ثم النجفى فأصاب الأولين وأسر الآخر وأتى به سعداً فأخبره وأسلم فسماه سعد مسلما ولزم طليحة فكان معه فى تلك المغازى كلها

(كتب إلى السرىّ) عن شعيب عن سيف عن أبى عمرو عن أبى عثمان النهْدى قال كان عمر قد عهد إلى سعد حين بعثه إلى فارس ألاّ يمرّ بماءٍ من المياه بذى قوة ونجدة ورئاسة إلا أشخصه فإن أبى انتخبه فأمره عمر فقدم القادسية فى اثنى عشر ألفا من أهل الأيام وأناس من الحمراء استجابوا للمسلمين فأعانوهم أسلم بعضهم قبل القتال وأسلم بعضهم غِبَّ القتال فأشركوا فى الغنيمة وفُرضت لهم فرائض أهل القادسية ألفين ألفين وسألوا عن أمنع قبائل العرب فعادُّوا تميما فلما دنا رستم ونزل النجف بعث سعد الطلائع وأمرهم أن يصيبوا رجلا ليسأله عن أهل فارس فخرجت الطلائع بعد اختلاف فلما أجمع ملأُ الناس أن الطليعة من الواحد إلى العشرة سمحوا فأخرج سعد طليحة فى خمسة وعمرو بن مَعْدِيكرب فى خمسة وذلك صبيحة قدم رستم الجالنوس وذا الحاجب ولا يشعرون بفصولهم من النجف فلم يسيروا إلا فرسخا وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسَرْحهم على الطفوف قد ملؤها فقال بعضهم ارجعوا إلى أميركم فانه سرَّحكم وهو يرى أن القوم بالنجف فأخبروه الخبر وقال بعضهم ارجعوا لا يَنْذَر بكم عدوكم فقال عمرو لأصحابه صدقتم وقال طليحة لأصحابه كذبتم ما بُعثتم لتخبروا عن السرح وما بُعثتم إلا للبر قالوا فما تريد قال أريد أن أخاطر القوم أو أهلك فقالوا أنت

رجل فى نفسك غدر ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن مِحْصَن فارجع بنا فأبى وأتى سعداً الخبر برحيلهم فبعث قيس بن هبيرة الأسدى وأمّره على مائة وعليهم إن هو لقيهم فانتهى إليهم وقد افترقوا فلما رآه عمرو قال تجلّدوا له وأرَوْه أنهم يريدون الغارة فردّهم ووجد طليحة قد فارَقهم فرجع بهم فأتواسعدا فأخبروه بقُرب القوم ومضى طليحة وعارض المياه على الطفوف حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه وينظر ويتوسّم فلما أدبر الليل خرج وقد أتى أفضل من توسّم فى ناحية العسكر فإذا فرس له لم ير فى خيل القوم مثله وفسطاط أبيض لم ير مثله فانتضى سيفه فقطع مِقوَد الفرس ثم ضمه إلى مقود فرسه ثم حرك فرسه فخرج يعدو به ونذر به الناس والرجل فتنادَوْا وركبوا الصعْبة والذلول وعجل بعضهم أن يسرج فخرجوا فى طلبه فأصبح وقد لحقه فارسٌ من الجند فلما غشِيَه وبوّأ له الرمح ليطعنه عدل طليحة فرسه فندر الفارسىّ بين يديه فكر عليه طليحة فقصم ظهره بالرمح ثم لحق به آخر ففعل به مثل ذلك ثم لحق به آخر وقد رأى مصرع صاحبيه وهما ابنا عمه فازداد حنقا فلما لحق بطليحة وبوّأ له الرمح عدل طليحة فرسه فندر الفارسى أمامه وكرّ عليه طليحة ودعاه إلى الأسار فعرف الفارسى أنه قاتله فاستأسر وأمره طليحة أن يركض بين يديه ففعل ولحق الناس فرأوا فارسَيِ الجند قد قتِلا وقد أسر الثالث وقد شارف طليحة عسكرهم فأحجموا عنه ونكصوا وأقبل طليحة حتى غشى العسكر وهم على تعبية فأفزع الناس وجوّزوه إلى سعد فلما انتهى إليه قال ويحك ما وراءك قال دخلت عساكرهم وجُستها منذ الليلة وقد أخذت أفضلهم توسّمًا وماأدرى أصبت أم أخطأت وهاهو ذا فاستخبِرْه فأقيم الترجمان بين سعد وبين الفارسى فقال له الفارسى أتؤمننى على دمى إن صدقتك قال نعم الصدق فى الحرب أحب إلينا من الكذب قال أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمن قِبَلى باشرتُ الحروب وغشِيتها وسمعت بالأبطال ولقِيتُها منذ أنا غلام إلى أن بلغت ماترى ولم أرو لم أسمع بمثل هذا أن رجلا قطع عسكرين لا يجترئ عليهما الأبطال إلا عسكر فيه سبعون ألفاً يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ماهو دون فلم يرضَ أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس

الجند وهتك أطناب بيته فأنذره فأنذرنا بأنه به فطلبناه فأدركه الأول وهو فارس الناس يعدل ألف فارس فقتله فأدركه الثانى وهو نظيره فقتله ثم أدركته ولا أظن أنى خلفت بعدى من يعدلنى وأنا الثائر بالقتيلين وهما ابنا عمى فرأيت الموت فاستأسرت ثم أخبره عن أهل فارس بأن الجند عشرون ومائة ألف وأن الأتباع مثلهم خدّام لهم وأسلم الرجل وسمّاه سعد مسلما وعاد إلى طليحة وقال لا والله لا تُهزَمون مادمتم على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح والمؤاساة لا حاجة لى فى صُحبة فارس فكان من أهل البلاء يومئذ (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس عن موسى بن طريف قال قال سعد لقيس بن هُبيرة الأسدى اخرج ياعاقل فإنه ليس وراءك من الدنيا شىء تحنو عليه حتى تأتينى بعلم القوم فخرج وسرح عمرو بن معديكرب وطليحة فلما حاذى القنطرة لم يسِرْ إلا يسيراً حتى لحق فانتهى إلى خيل عظيمة منهم بحيالها تردعن عسكرهم فإذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذى الحاجب فارتحل الجالنوس فنزل ذو الحاجب منزله والجالنوس يريد طَيْزَناباذ فنزل بها وقدّم تلك الخيل وأن ما حمل سعدا على إرسال عمرو وطليحة معه لمقالةٌ بلغتْه عن عمرو وكلمة قالها لقيس بن هبيرة قبل هذه المرّة فقال قاتِلوا عدوكم يامعشر المسلمين فأنشب القتال وطاردهم ساعة ثم إن قيسا حمل عليهم فكانت هزيمتهم فأصاب منهم اثنى عشر رجلا وثلاثة أسراء وأصاب أسلابا فأتوا بالغنيمة سعداً وأخبروه الخبر فقال هذه بشرى إن شاء الله إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدَّهم فلهم أمثالُها ودعا عمرا وطليحة فقال كيف رأيتما قيسا فقال طليحة رأيناه أكمانا وقال عمرو الأمير أعلم بالرجال منا قال سعد إن الله تعالى أحيانا بالإسلام وأحيابه قلوباً كانت ميتة وأمات به قلوباً كانت حية وإنى أحذّركما أن تؤثرا أمر الجاهلية على الإسلام فتموت قلوبكما وأنتما حيّان الزَما السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق فما رأى الناس كأقوام أعزّهم الله بالإسلام (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وزياد وشاركهم المجالد وسعيد بن المَرْزُبان قالوا فلما أصبح رستم من الغد من يوم نزل السيلحين قدم

الجالنوس وذا الحاجب فارتحل الجالنوس فنزل من دون القنطرة بحيال زُهرة ونزل إلى صاحب المقدّمة ونزل ذو الحاجب منزله بطيزَناباذ ونزل رستم منزل ذى الحاجب بالخرارة ثم قدم ذا الحاجب فلما انتهى إلى العتيق تياسر حتى إذا كان بحيال قديس خندق خندقا وارتحل الجالنوس فنزل عليه وعلى مقدمته أعنى سعدا زهرة بن الحويّة وعلى مجنّبتيه عبد الله بن المُعْتَمّ وشرحبيل بن السمط الكندى وعلى مجردته عاصم بن عمرو وعلى المُرامية فلان وعلى الرجْل فلان وعلى الطلائع سواد بن مالك وعلى مقدمة رستم الجالنوس وعلى مجنبتيه الهرمزان ومهران وعلى مجردته ذو الحاجب وعلى الطلائع البيرزان وعلى الرجّالة زاذبن بُهَيْش فلما انتهى رستم إلى العتيق وقف عليه بحيال عسكر سعد ونزّل الناس فما زالوا يتلاحقون ويُنزِلهم فينزلون حتى أعتموا من كثرتهم فبات بها تلك الليلة والمسلمون مُمْسِكون عنهم قال سعيد بن المرزبان فلما أصبحوا من ليلتهم بشاطئ العتيق غدا منجّم رستم على رستم برؤيا أريها من الليل قال رأيت الدلو فى السماء دلوا أفرغ ماؤه ورأيت السمكة سمكة فى ضحضاح من الماء تضطرب ورأيت النعائم والزهرة تزدهر قال ويحك هل أخبرت بها أحداً قال لا قال فاكتمها.

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبى قال كان رستم منجما فكان يبكى مما يرى ويقدم عليه فلما كان بظهر الكوفة رأى أن عمر دخل عسكر فارس ومعه ملك فختم على سلاحهم ثم حزمه ودفعه إلى عمر (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم وكان قد شهد القادسية قال كان مع رستم ثمانية عشر فيلا ومع الجالنوس خمسة عشر فيلا (كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن المجالد عن الشعبى قال كان مع رستم يوم القادسية ثلاثون فيلا (كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن سعيد بن المرزبان عن رجل قال كان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا منها فيل سابور الأبيض وكانت الفيلة تألفه وكان أعظمها وأقدمها (كتب إلىّ السرى) ن شعيب عن سيف عن النضر عن ابن الرفيل عن أبيه قال كان معه

ثلاثة و ثلاثون فيلا معه فى القلب ثمانية عشر فيلا و معه فى المجنبتين خمسة عشر فيلا (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن المجالد وسعيد و طلحة و عمرو وزياد قالوا فلما أصبح رستم من ليلته التى باتها بالعتيق أصبح راكباً فى خيله فنظر إلى المسلمين ثم صعد نحو القنطرة وقد حزر الناس فوقف بحيالهم دون القنطرة وأرسل إليهم رجلا إن رستم يقول لكم أرسلوا إلينا رجلا نكلمه ويكلمنا وانصرف فأرسل زُهرة إلى سعد بذلك فأرسل إليه المغيرة بن شُعبة فأخرجه زهرة إلى الجالنوس فأبلغه الجالنوس رستم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن النضر عن ابن الرفيل عن أبيه قال لما نزل رستم على العتيق وبات به أصبح غادياً على التصفح والحَزْر فسايَرَ العتيق نحو خفّان حتى أتى على مُنْقَطَع عسكر المسلمين ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة فتأمل القوم حتى أتى على شىء يُشرف منه عليهم فلما وقف على القنطرة راسل زُهرة فخرج إليه حتى واقفه فأراده على أن يصالحهم ويجعل له جُعْلاً على أن ينصرفوا عنه وجعل يقول فيما يقول أنتم جيراننا وقد كانت طائفة منكم فى سلطاننا فكنا نُحسن جِوارهم ونكف الأذى عنهم ونوليهم المرافق الكثيرة ونحفظهم فى أهل باديتهم فنُرعيهم مرَاعِينا ونميرهم من بلادنا ولا نمنعهم من التجارة فى شىء من أرضنا وقد كان لهم فى ذلك معاش يعرض لهم بالصلح وإنما يخبره بصنيعهم والصلح يريد ولا يصرِّح فقال له زهرة صدقتَ قد كان ما تذكر وليس أمرنا أمر أولئك ولا طِلبتنا طلبتهم إنا لم نأتكم لطلب الدنيا إنما طلبتنا وهمّتنا الآخرة كنا كما ذكرت يدين لكم من ورد عليكم منا ويضرع إليكم يطلب ما فى أيديكم ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولا فدعانا إلى ربه فأجبناه فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم إنى قد سلطت هذه الطائفة على من لم يَدِنْ بدينى فانا منتقم بهم منهم وأجعل لهم الغلبة ماداموا مقِرّين به وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ ولا يعتصم به أحد إلا عزّ فقال له رستم وما هو قال أما عموده الذى لا يصلح منه شىء الا به فشهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بما جاء به من عند الله تعالى قال ما أحسن هذا وأى شىء أيضاً قال وإخراج العباد من عبادة

العباد إلى عبادة الله تعالى قال حسنٌ وأى شىء أيضاً قال والناس بنو آدم وحَوَّاء اخوة لأب وأم قال ماأحسن هذا ثم قال له رستم أرأيت لو أنى رضيت بهذا الأمر وأجبتكم اليه ومعى قومى كيف يكون أمركم أترجعون قال إى والله ثم لانقرب بلادكم أبداً الا فى تجارة أو حاجة قال صدقتنى والله أما ان أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدَعوا أحداً يخرج من عمله من السفلة كانوا يقولون اذا خرجوا من أعمالهم تعدَّوا طَوْرهم وعادَوْا أشرافهم فقال له زُهرة نحن خير الناس للناس فلا نستطيع أن نكون كما تقولون نطيع الله فى السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فحَمُوا من ذلك وأنِفوا فقال أبعَدكم الله وأسحقكم أخزى الله أخرعنا وأجبننا فلما انصرف رستم ملتُ الى زهرة فكان اسلامى وكنت له عديداً وفرض لى فرائض أهل القادسية ﴿كتب الى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وزياد بإسنادهم مثله قالوا. وأرسل سعد الى المغيرة بن شَعْبة وبُسْر بن أبى رُهْم وعَرْفَجة بن هَرْثمة وحذيفة بن مِحْصَن ورِبْعِى بن عامر وقِرْفة بن زاهر التيمى ثم الوائلى ومذْعور بن عَدِى العجلى والمضارب ابن يزيد العجلى ومَعْبَد بن مُرَّة العجلى وكان من دُهاة العرب فقال انى مُرسلكم الى هؤلاء القوم فما عندكم قالوا جميعاً نتبع ماتأمرنا به وننتهى اليه فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شىء نظرنا أمثلَ ماينبغى وأنفعَه للناس فكلمناهم به فقال سعد هذا فعل الحَزَمة اذهبوا فتهيئوا فقال ربعى بن عامر ان الأعاجم لهم آراء وآداب ومتى نأتهم جميعاً يروا انا قد احتفلنا بهم فلا تزِدْهم على رجل فمالؤه جميعاً على ذلك فقال فسرّحونى فسرّحه فخرج ربعى ليدخل على رستم عسكره فاحتبسه الذين على القنطرة وأرسل إلى رستم لمجيئه فاستشار عظماءَ أهل فارس فقال ماترون أنُباهى أم نتهاوَن فأجمع ملؤهم على التهاون فاظهروا الزِّبْرِج وبسطوا البُسُط والنمارق ولم يتركوا شيئاً ووضع لرستم سرير الذهب وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب وأقبل ربعى يسير على فرس له زبّاء قصيرة معه سيف له مَشُوف وغمده لِفافة ثوبٍ خَلَق ورمحُه معلوب بقِدّ معه حَجَفة من جلود البقر

على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف ومعه قوسه ونبله فلما غشى الملكَ وانتهى اليه والى أدنى البسط قيل له انزلْ فحملها على البساط فلما استوت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين فشقهما ثم أدخل الحبل فيهما فلم يستطيعوا أن ينهوه وانما أروه التهاون. وعرف ما أرادوا فأراد استخراجهم وعليه درع له كأنها اضاة ويَلْمَقُه عباءة بعيره قد جابها وتدرعها وشدها على وسطه بسَلَب وقد شد رأسه بمِعجرته وكان أكثر العرب شعرةً ومعجرته نِسعة بعيره ولرأسه أربع ضفائر قد قمن قياماً كأنهن قرون الوعلة فقالوا ضَعْ سلاحك فقال انى لم آتِكم فأضع سلاحى بأمركم أنتم دعوتمونى فإن أبيتم أن آتيكم إلا كما أريد والا رجعت فاخبروا رستم فقال ائذنوا له هل هو الا رجل واحد فاقبل يتوكأ على رمحه وزُجّه نصلٌ يقارب الخطو ويزجّ النمارق والبسط فما ترك لهم نمرقة ولا بساطاً الا أفسده وتركه منهتكا مخرَّقاً فلما دنا من رستم تعلق به الحرس وجلس على الأرض وركز رمحه بالبسط فقالوا ما حملك على هذا قال إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه فكلمه فقال ما جاءبكم قال الله ابتعثنا والله جاءبنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه فمَن قبل منا ذلك قبِلْنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضَه يليها دوننا ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نُفضِيَ الى موعود الله قال وما موعود الله قال الجنة لمن مات على قتالِ من أبى والظفر لمن بقى فقال رستم قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا قال نعم كم أحب اليكم أيوما أو يومين قال لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا وأراد مقاربته ومدافعته فقال إن مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه سلم وعمل به أئمتنا أن لا نمكّن الأعداء من آذاننا ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فانظر فى أمرك وأمرهم واخترْ واحدة من ثلاث بعد الأجل اختر الإسلام وندَعك وأرضك أو الجزاءَ فنقبل ونكف عنك وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه وإن كنت اليه محتاجا منعناك أو المنابذة فى اليوم الرابع ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين

اليوم الرابع إلا أن تبدأنا أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى قال أسيدُهم أنت قال لا ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض يُجير أدناهم على أعلاهم فخلص رستم برؤساء أهل فارس فقال ما ترون هل رأيتم كلاما قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل قالوا معاذ الله لك أن تميل الى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب أما ترى الى ثيابه فقال وَيْحكم لا تنظروا الى الثياب ولكن انظروا الى الرأي والكلام والسيرة ان العرب تستخف باللباس والمأكل ويصونون الأحساب ليسوا مثلكم فى اللباس ولا يرون فيه ما ترون وأقبلوا اليه يتناولون سلاحه ويزهّدونه فيه فقال لهم هل لكم الى أن تُرُوني فأريكم فأخرج سيفه من خِرَقه كأنه شُعْلة نار فقال القوم اغمده فغمده ثم رمى تُرساً ورموا حجفته فخُرق ترسهم وسلمت حجفته فقال يا أهل فارس إنكم عظّمتم الطعام واللباس والشراب وإنّا صغّرناهن ثم رجع الى أن ينظروا الى الأجل فلما كان من الغد بعثوا أن ابعث الينا ذلك الرجل فبعث اليهم سعد حذيفة بن محصن فأقبل فى نحو من ذلك الزيّ حتى إذا كان على أدنى البساط قيل له انزل قال ذلك لو جئتكم فى حاجتي فقولوا لملككم أله الحاجة أم لي فإن قال لي فقد كذب ورجعت وتركتكم فإن قال له لم آتكم الا على ما أحب فقال دعوه فجاء حتى وقف عليه ورستم على سريره فقال انزل قال لا أفعل فلما أبى سأله ما بالك جئت ولم يجئ صاحبنا بالأمس قال إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا فى الشدة والرخاء فهذه نوبتي قال ما جاء بكم قال إن الله عز وجل منّ علينا بدينه وأرانا آياته حتى عرفناه وكنا له منكرين ثم أمرنا بدُعاء الناس الى واحدة من ثلاث فأيها أجابوا اليها قبلناها الاسلام وننصرف عنكم أو الجزاءَ ونمنعكم إن احتجتم الى ذلك أو المنابذةَ فقال أو الموادعة الى يوم ما فقال نعم ثلاثاً من أمس فلما لم يجد عنده إلا ذلك رده وأقبل على أصحابه فقال ويْحكم ألا ترون الى ما أرى جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا وحقّر ما نعظّم وأقام فرسه على زِبْرِجنا وربطه به فهو فى يُمن الطائر ذهب بأرضنا وما فيها اليهم مع فضل عقله وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا فهو فى يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا حتى أغضبهم وأغضبوه فلما كان من

الغد أرسل ابعثوا الينا رجلا فبعثوا اليهم المغيرة بن شعبة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى عثمان النهدى قال لما جاء المغيرة الى القنطرة فعبرها الى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم فى إجازته ولم يغيّروا شيئاً من شارتهم تقوية لتهاونهم فأقبل المغيرة بن شعبة والقوم فى زيّهم عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبُسُطهم على غَلْوة لا يصل الى صاحبهم حتى يمشى عليهم غلوةً وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشى حتى جلس معه على سريره ووسادته فوثبوا عليه فترتروه وأنزلوه ومغثوه فقال كانت تَبْلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم إنّا معشر العرب سواءٌ لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محارباً لصاحبه فظننت أنكم تُواسون قومكم كما نتواسى وكان أحسن من الذى صنعتم أن تُخبرونى أن بعضكم أرباب بعض وإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه ولم آتكم ولكن دعوتمونى اليوم علمت أن أمركم مضمحلّ وأنكم مغلوبون وأن مُلكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول فقالت السفلة صدق والله العربى وقالت الدهاقين والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون اليه قاتل الله أولينا ما كان أحمقهم حين كانوا يصغّرون أمر هذه الأمة فمازحه رستم ليمحو ما صُنع وقال له يا عربى إن الحاشية قد تصنع مالا يوافق الملك فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عما ينبغى من ذلك فالأمر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق ما هذه المغازل التى معك قال ما ضرّ الجمرة ألا تكون طويلة ثم راماهم وقال ما بال سيفك رثًّا قال رثُّ الكسوةِ حديد المضربةِ ثم عاطاه سيفه ثم قال له رستم تكلم أم أتكلم فقال المغيرة أنت الذى بعثت الينا فتكلم فأقام الترجمان بينهما وتكلم رستم فحمد قومه وعظّم أمرهم وطوله وقال لم نزل متمكّنين فى البلاد ظاهرين على الأعداء أشرافاً فى الأمم فليس لأحد من الملوك مثل عزّنا وشرفنا وسلطاننا نُنصر على الناس ولا ينصرون علينا إلا اليوم واليومين أو الشهر والشهرين للذنوب فاذا انتقم الله فرضى رد الينا عزّنا وجمعنا لعدونا شرّ يوم هو آت عليهم ثم إنه لم يكن فى الناس أمة أصغر عندنا أمراً منكم كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيئاً ولا نعدكم وكنتم اذا قحطت أرضكم وأصابتكم السَّنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم

بالشيء من التمر والشعير ثم نردّكم وقدعلمت أنه لم يحملكم على ماصنعتم إلا ما أصابكم من الجهْد فى بلادكم فأنا آمرٌ لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم وآمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين وتنصرفون عنا فإنى لست أشتهى أن أقتلكم ولا آسركم فتكلم المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه وقال إن الله خالق كل شيء ورازقُه فمن صنع شيئا فإنما هو يصنعه والذى له وأما الذى ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء والتمكّن فى البلاد وعظم السلطان فى الدنيا فنحن نعرفه ولسنا نُنكره فالله صنعه بكم ووضعه فيكم وهو له دونكم وأما الذى ذكرت فينا من سُوء الحال وضيق المعيشة واختلاف القلوب فنحن نعرفه ولسنا ننكره والله ابتلانا بذلك وصيّرنا إليه والدنيا دُوَل ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ويصيروا إليها ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شُكر كان شُكركم يقصر عما أوتيتم وأسلمكم ضَعْف الشكر إلى تغيّر الحال ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر كان عظيم ما تتابع علينا مستجلبًا من الله رحمة يُرَفِّهُ بها عنا ولكنّ الشأن غير ما تذهبون إليه أو كنتم تعرفوننا به إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا ثم ذكر مثل الكلام الأول حتى انتهى إلى قوله وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكُن لنا عبداً تؤدى الجزية عن يد وأنت صاغر وإلا السيف إن أبيت فنخر نخرة واستشاط غضبا ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الصبح غداً حتى أقتلكم أجمعين فانصرف المغيرة وخلص رستم تألفا بأهل فارس وقال أين هؤلاء منكم ما بعد هذا ألم يأتكم الأولان فحسّراكم واستحرجاكم ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا وسلكوا طريقا واحداً ولزموا أمراً واحداً هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين والله لئن كان بلغ من إرْبهم وصَوْنهم لسِرِّهم أن لا يختلفوا فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم لئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شيء فلجوا وتجلّدوا وقال والله إنى لأعلم أنكم تَصغون إلى ما أقول لكم وإن هذا منكم رِئاء فازدادوا اللجاجة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن النضر عن ابن الرُّفيل عن أبيه قال فأرسل مع المغيرة رجلا وقال له إذا قطع القنطرة ووصل إلى أصحابه فناد إن الملك كان منجما قد حسب لك ونظر فى أمرك فقال إنك غداً

تُفقأ عينك ففعل الرسول فقال المغيرة بشرتنى بخير وأجر ولولا أن أجاهد بعد اليوم أشباهكم من المشركين لتمنيتُ أن الأخرى ذهبت أيضا فرآهم يضحكون من مقالته ويتعجبون من بصيرته فرجع الى الملك بذلك فقال أطيعونى ياأهل فارس وإنى لأرى لله فيكم نقمة لاتستطيعون ردها عن أنفسكم وكانت خيولهم تلتقى على القنطرة لاتلتقى الا عليها فلايزالون يبدؤن المسلمين والمسلمون كافون عنهم الثلاثة الأيام لا يبدءونهم فإذا كان ذلك منهم صدوهم وردعوهم (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال كان ترجمان رستم من أهل الحيرة يُدعَى عبُود (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي وسعيد بن المرزبان قالا دعا رستم بالمغيرة فجاء حتى جلس على سريره ودعا رستم ترجمانه وكان عربيا من أهل الحيرة يُدعَى عبُود فقال له المغيرة ويحك ياعبود أنت رجل عربى فأبلِغه عنى اذا أنا تكلمت كما تُبلغنى عنه فقال له رستم مثل مقالته وقال له المغيرة مثل مقالته الى احدى ثلاث خلال الى الإسلام ولكم فيه مالنا وعليكم فيه ماعلينا ليس فيه تفاضُل بيننا أو الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون قال ماصاغرون قال أن يقوم الرجل منكم على رأس أحدنا بالجزية يحمده أن يقبلها منه الى آخر الحديث والإسلام أحب الينا منهما (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن عبيدة عن شقيق قال شهدت القادسية غلاما بعد ما احتملت فقدم سعد القادسية فى اثنى عشر ألفا وبها أهل الأيام فقدمتْ علينا مقدمات رستم ثم زحف الينا فى ستين ألفا فلما أشرف رستم على العسكر قال يامعشر العرب ابعثوا الينا رجلا يكلمنا ونكلمه فبعث اليه المغيرة بن شعبة ونفراً فلما أتوا رستم جلس المغيرة على السرير فنخر أخو رستم فقال المغيرة لاتنخر فمازادنى هذا شرفا ولانقص أخاك فقال رستم يامغيرة كنتم أهل شقاء حتى بلغ وان كان لكم أمرٌ سوى ذلك فأخبرونا ثم أخذ رستم سهما من كنانته وقال لاتروا ان هذه المغازل تغنى عنكم شيئا فقال المغيرة مُجيبا له فذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكان مما رزقنا الله على يديه حبّة تنبت فى أرضكم هذه فلما أذقناها عيالنا قالوا لاصبرَ لنا عنها فجئنا

لنُطعمهم أو نموت فقال رستم اذًا تموتون أو تُقتلون فقال المغيرة اذًا يدخل من من قتل منا الجنة ويدخل من قتلنا منكم النار ويظفر من بقى منا بمن بقى منكم فنحن نخيرك بين ثلاث خلال الى آخر الحديث فقال رستم لاصلح بيننا وبينكم (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزيادقالوا أرسل اليهم سعد بقية ذوى الرأى جميعاً وحبس الثلاثة فخرجوا حتى أتوه ليعظموا عليه استقباحا فقالوا له ان أميرنا يقول لك ان الجوار يحفظ الوُلاة وانى أدعوك الى ماهو خير لنا ولك العافية أن تقبل مادعاك الله اليه ونرجع الى أرضنا وترجع الى أرضك وبعضنا من بعض إلا أنّ داركم لكم وأمركم فيكم وماأصبتم مما وراءكم كان زيادة لكم دوننا وكنا لكم عونا على أحد إن أرادكم أو قوى عليكم واتق الله يارستم ولايكونن هلاك قومك على يديك فإنه ليس بينك وبين أن تُغْبَط به الاأن تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك فقال إنى قد كلمت منكم نفراً ولو أنهم فهموا عنى رجوت أن تكونوا قد فهمتم وإن الأمثال أوضح من كثير من الكلام وسأضرب لكم مثلكم تبصروا أنكم كنتم أهل جَهدٍ فى المعيشة وقَشَفٍ فى الهيئة لاتمتنعون ولاتنتصفون فلم نُسيء جِواركم ولم ندعْ مواساتكم تقحمون المرة بعد المرة فنميركم ثم نردكم وتأتوننا أجراءَ وتجاراً فنحسن اليكم فلما تطاعمتم بطعامنا وشربتم شرابنا وأظلكم ظلنا وصفتم لقومكم فدعوتموهم ثم أتيتمونا بهم وانما مثلكم فى ذلك ومثلنا كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه ثعلبا فقال وما ثعلب فانطلق الثعلب فدعا الثعالب إلى ذلك الكرم فلما اجتمعن عليه سد عليهن صاحب الكرم الجُحر الذى كنّ يدخلن منه فقتلهن وقد علمتُ أن الذى حملكم على هذا الحرص والطمع والجهد فارجعوا عنا عامكم هذا وامتاروا حاجتكم ولكم العَوْد كلما احتجتم فانى لا أشتهى أن أقتلكم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عمارة بن القعقاع الضبى عن رجل من يربوع شهدها قال وقال وقد أصاب أناس كثير منكم من أرضنا ما أرادوا ثم كان مصيرهم القتل والهرب ومن سن هذا لكم خير منكم وأقوى وقد رأيتم

أنتم كلما أصابوا شيئا أصيب بعضهم ونجا بعضهم وخرج مما كان أصاب ومن أمثالكم فيما تصنعون مثل جرذان ألِفت جرَّة فيها حَبّ وفى الجرَّة ثقْب فدخل الأول فأقام فيها وجعل الآخر يَنقُلن منها ويرجعن ويكلمنه فى الرجوع فيأبَى فانتهى سمن الذى فى الجرة فاشتاق إلى أهله ليُريهم حُسن حاله فضاق عليه الجُحر ولم يُطِق الخروج فشكا القَلَق إلى أصحابه وسألهم المخرج فقلن له ما أنت بخارج منها حتى تعود كما كنت قبل أن تدخل فكف وجوّع نفسه وبقى فى الخوف حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخلها أتى عليه صاحب الجرة فقتله فاخرُجوا ولا يكونن هذا لكم مثلا (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن النضر عن ابن الرُّفيل عن أبيه قال وقال لم يخلق الله خلقا أولع من ذُباب ولا أضرّ ما خلاكم يا معشر العرب ترون الهلاك ويدليكم فيه الطمع وسأضرب لكم مثلكم إن الذباب إذا رأى العسل طار وقال من يوصلنى إليه وله درهمان حتى يدخله لا ينهنهه أحد إلا عصاه فاذا دخله غرق ونشِب وقال من يخرجنى وله أربعة دراهم وقال أيضا إنما مثلكم مثل ثعلب دخل جُحراً وهو مهزول ضعيف إلى كرم فكان فيه يأكل ما شاء الله فرآه صاحب الكرم ورأى ما به فرحمه فلما طال مكثُه فى الكرم وسمِن وصلحت حاله وذهب ما كان به من الهزال أشِر فجعل يعبث بالكرم ويفسد أكثر مما يأكل فاشتد على صاحب الكرم فقال لا أصبر على هذا من أمر هذا فأخذ له خشبة واستعان عليه غِلمانه فطلبوه وجعل يراوغهم فى الكرم فلما رأى أنهم غير مُقلعين عنه ذهب ليخرج من الجحر الذى دخل منه فنشب اتسع عليه وهو مهزول وضاق عليه وهو سمين فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكرم فلم يزل يضربه حتى قتله وقد جئتم وأنتم مهازيل وقد سمنتم شيئا من سمن فانظروا كيف تخرجون وقال أيضا إن رجلا وضع سَلًّا وجعل طعامه فيه فأتى الجِرذان فخرقوا سله فدخلوا فيه فأراد سدّه فقيل له لا تفعل إذاً يخرِقنَه ولكن انقب بحياله ثم اجعل فيها قصبة مجوَّفة فاذا جاءت الجرذان دخلن من القصبة وخرجن منها فكلما طلع عليكم جُرَذ قتلتموه وقد سددتُ عليكم فايا كم أن تقتحموا القصبة فلا يخرج منها أحد

إلا قُتل وما دعاكم إلى ما صنعتم ولا أرى عددا ولا عُدّة ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة باسنادهما وزياد معهما قالوا فتكلم القوم فقالوا أما ما ذكرتم من سُوء حالنا فيما مضى وانتشار أمرنا فلما تبلغ كُنْهَه يموت الميّت منا إلى النار ويبقى الباقى منا فى بؤس فبينا نحن فى أسْوَإ ذلك بعث الله فينا رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِنَا إلى الإنس والجن رحمة رحم بها من أراد رحمته ونقمة ينتقم بها ممن ردّ كرامته فبدأ بنا قبيلة قبيلة فلم يكن أحد أشد عليه ولا أشد إنكارا لما جاء به ولا أجهد على قتله وردّ الذى جاء به من قومه ثم الذين يلونهم حتى طابقْناه على ذلك كلنا فنصبنا له جميعا وهو وحده فَرْدٌ ليس معه إلا الله تعالى فأعطى الظفر علينا فدخل بعضنا طوعا وبعضنا كرها ثم عرفنا جميعا الحق والصدق لما أتانا به من الآيات المعجزة وكان مما أتانا به من عند ربنا جهاد الأدنى فالأدنى فسِرْنا بذلك فيما بيننا نرى أن الذى قال لنا ووعدنا لا يُخرم عنه ولا يُنْقَض حتى اجتمعت العرب على هذا وكانوا من اختلاف الرأى فيما لا يطيق الخلائق تأليفَهم ثم أتيناكم بأمر ربنا نجاهد فى سبيله ونَنفُذُ لأمره ونتنجز موعوده وندعوكم إلى الإسلام وحكمه فان أجبتمونا تركناكم ورجعنا وخلفنا فيكم كتاب الله وإن أبيتم لم يحل لنا إلا أن نعاطيكم القتال أو تفتدوا بالجزى فان فعلتم وإلا فان الله قد أورثنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم فاقبلوا نصيحتنا فوالله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم ولَقتالكم بعدُ أحب إلينا من صلحكم وأما ما ذكرت من رثاثتنا وقلتنا فان أداتنا الطاعة وقتالنا الصبر وأما ما ضربتم لنا من الأمثال فانكم ضربتم للرجال والأمور الجسام وللجد والهزل ولكنا سنضرب مثلكم انما مثلكم مثل رجل غرس أرضا واختار لها الشجر والحب وأجرى اليها الأنهار وزينها بالقصور وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها ويقومون على جنانها فخلا الفلاحون فى القصور على مالا يحب وفى الجنان بمثل ذلك فأطال نظرتهم فلما لم يستحيوا من تلقاء أنفسهم استعتبهم فكابروه فدعا اليها غيرهم وأخرجهم منها فان ذهبوا عنها تخطفهم الناس وإن أقاموا فيها صاروا خَوَلا لهؤلاء يملكونهم ولا يملكون عليهم فيسومونهم

الخسفَ أبدا وو الله إن لو لم يكن ما نقول لك حقا ولم يكن إلا الدنيا لما كان لنا عما ضَرِينا به من لذيذ عيشكم ورأينا من زِبرِجكم من صبر ولقارعنا كم حتى نغلبكم عليه فقال رستم أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم فقالوا بل اعبروا الينا فخرجوا من عنده عشيا وأرسل سعد الى الناس أن يقفوا مواقفهم وأرسل اليهم شأنكم والعبور فأرادوا القنطرة فأرسل اليهم لا ولا كرامة أما شيء قد غلبنا كم عليه فلن نردّه عليكم تكلفوا مِعبرًا غير القناطر فباتوا يسكرون العتيق حتى الصباح بأمتعتهم

يوم أرماث

(كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد عن عبيد الله عن نافع وعن الحكم قالا لما أراد رستم العبور أمر بسَكر العتيق بحيال قادس وهو يومئذ أسفل منها اليوم مما يلي عين الشمس فباتوا ليلتهم حتى الصباح يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقًا واستتمّ بعد ما ارتفع النهار من الغد (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم قالوا ورأى رستم من الليل أن ملكا نزل من السماء فأخذ قِسِيَّ أصحابه فختم عليها ثم صعد بها إلى السماء فاستيقظ مهموما محزونا فدعا خاصته فقصها عليهم وقال إن الله لَيَعِظُنا لو أن فارس تركونى أتّعِظ أما ترون النصر قد رُفع عنّا وترون الريح مع عدونا وأنا لا نقوم لهم فى فعل ولا مَنطق ثم هم يريدون مغالبة بالجبريّة فعبروا بأثقالهم حتى نزلوا على ضفّة العتيق (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الأعْمَش قال لما كان يوم السكر لبس رستم درعَيْن ومِغفرًا وأخذ سلاحه وأمر بفرسه فأسرج فأتى به فوثب فإذا هو عليه لم يمسّه ولم يضعْ رِجله فى الركاب ثم قال غداً ندقهم دقا فقال له رجل إن شاء الله فقال وإن لم يشأ (كتب إلى السرى) بن يحيى عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد باسنادهم قالوا قال رستم إنما ضغا الثعلب حين مات الأسد يذكرهم موت كسرى ثم قال لأصحابه قد خشيتُ أن تكون هذه سنة القرود ولما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم وجلس رستم على سريره وضُرب

عليه طيارة وعبّى فى القلب ثمانية عشر فيلا عليها الصناديق والرجال وفى المجنّبتين ثمانية وسبعة عليها الصناديق والرجال وأقام الجالنوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميسرته وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين وكان يزدجرد وضع رجلا على باب إيوانه إذ سرّح رستم وأمره بلزومه وإخباره وآخرَ حيث يسمعه من الدار وآخر خارج الدار وكذلك على كل دعوة رجلا فلما نزل رستم قال الذى بساباط قد نزل فقاله الآخر حتى قاله الذى على باب الإيوان وجعل بين كل مرحلتَيْن على كل دعوة رجلا فكلما نزل وارتحل أو حدث أمرٌ قاله فقاله الذى يليه حتى يقوله الذى يلى باب الأيوان فنظم مابين العتيق والمدائن رجالا وترك البُرُد وكان ذلك هو الشأن وأخذ المسلمون مصافهم وجعل زُهرة وعاصم بين عبدالله وشرحبيل ووكل صاحب الطلائع بالطراد وخلط بين الناس فى القلب والمجنّبات ونادى مناديه ألا إن الحسد لايحلّ الا على الجهاد فى أمر الله يا أيها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد وكان سعد يومئذ لايستطيع أن يركب ولا يجلس به حُبون فإنما هو على وجهه فى صدره وسادة هو مُكِبّ عليها مُشرِف على الناس من القصر يرمى بالرقاع فيها أمرُه ونهيه إلى خالد بن عُرْفُطة وهو أسفل منه وكان الصفّ إلى جنب القصر وكان خالد كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهدًا مُشرِفا (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن القاسم بن الوليد الهمدانى عن أبيه عن أبى نِمْران قال لما عبر رستم تحول زُهرة والجالنوس فجعل سعد زهرة مكان ابن السمط وجعل رستم الجالنوس مكان الهُرْمُزان وكان بسعد عِرْق النساء ودماميل وكان إنما هو مكب واستخلف خالد بن عُرْفُطة على الناس فاختلف عليه الناس فقال احملونى وأشرِفوا بى على الناس فارتَقَوْا به فأكبّ مطّلعاً عليهم والصفُّ فى أصل حائط قُدَيْس يأمر خالداً فيأمر خالد الناس وكان ممن شغب عليه وجوه من وجوه الناس فهم بهم سعد وشتمهم وقال أمَ والله لولا أنّ عدوّكم بحضرتكم لجعلتكم نكالاً لغيركم فحبسهم ومنهم أبو مِحْجَن الثقفىّ وقيدهم فى القصر وقال جرير أما إنى بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن أسمع وأطيع لمن

ولاه الله الأمر وإن كان عبداً حبشيا وقال سعد والله لايعود أحد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم بإزائهم إلا سنّت به سُنّة يؤخذبها من بعدى (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد باسنادهم قالوا أن سعدا خطب من يليه يومئذ وذلك يوم الاثنين فى المحرم سنة أربعة عشر بعد ماتهدم على الذين اعترضوا على خالد بن عُرْفُطة فحمد الله وأثنى عليه وقال إن الله هو الحق لاشريك له فى المُلك وليس لقوله خُلف قال الله جل ثناؤه (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) إن هذا ميراثكم وموعود ربكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج فأنتم تطعمون منها وتأكلون منها وتقتلون أهلها وتجبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم وقد جاءكم منهم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعِزُّ مَن وراءكم فإن تزهدوا فى الدنيا وترغبوا فى الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ولا يقرب ذلك أحدًا إلى أجله وإن تفشلوا وتَهِنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتُوبِقوا آخرتكم . وقام عاصم بن عمرو فى المجرّدة فقال إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين مالا ينالون منكم وأنتم الاعلون والله معكم إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم وإن خُرتم وفشلتم والله لكم من ذلك جار وحافظ لم يبق هذا الجمع منكم باقية مخافةَ أن تعودوا عليهم بعائدة هلاكٍ الله اللهَ اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها أوَلا ترون أن الأرض وراءكم بسابس قِفارٌ ليس فيها خَمَر ولا وَزَر يُعقل اليه ولا يُمتنَع به اجعلوا همكم الآخرة وكتب سعد إلى الرايات إنى قد استخلفت عليكم خالد بن عُرْفُطة وليس يمنعنى أن أكون مكانه إلا وَجَعى الذى يعودنى ومابى من الجنون فإنى مُكبّ على وجهى وشخصى لكم باد فاسمعوا له وأطيعوا فانه إنما يأمركم بأمرى ويعمل برأيى فقُرئ على الناس فزادهم خيرا وانتهوا إلى رأيه وقبلوا منه وتحاثوا على السمع والطاعة وأجمعوا على عُذر سعد والرِّضا بما صنع (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن حلام عن مسعود قال وخطب

أمير كل قوم أصحابه وسير فيهم وتحاضوا على الطاعة والصبر وتواصوا ورجع كل أمير إلى موقفه بمن والاه من أصحابه عند المواقف ونادى منادى سعد بالظهر ونادى رستم پادشهان مرندر أكل عمر كبدى أحرق الله كبده علم هؤلاء حتى علموا (كتب إلى السرى) عن شعيب قال حدثنا سيف عن النضر عن ابن الرُّفيل قال لما نزل رستم النَّجف بعث منها عينًا إلى عسكر المسلمين فانغمس فيهم بالقادسية كبعض مَن ندّ منهم فرآهم يستاكون عند كل صلاة ثم يصلون فيفترقون إلى مواقفهم فرجع اليه فأخبره بخبرهم وسيرتهم حتى سأله ما طعامهم فقال مكثتُ فيهم ليلة لا والله ما رأيت أحداً منهم يأكل شيئاً إلا أن يمصوا عِيدانا لهم حين يُمسُون وحين ينامون وقُبيلَ أن يُصبحوا فلما سار فنزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذن مؤذن سعد الغداة فرآهم يتحشحشون فنادى فى أهل فارس أن يركبوا فقيل له ولِمَ قال أما ترون إلى عدوكم قد نُودِىَ فيهم فتحشحشوا لكم قال عينه ذلك انما تحشحُشهم هذا للصلاة فقال بالفارسية وهذا تفسيره بالعربية أتانى صوت عند الغداة وانما هو عُمَر الذى يكلم الكلاب فيعلمهم العقل فلما عبروا تواقفوا وأذن مؤذن سعد للصلاة فصلى سعد وقال رستم أكل عمر كَبِدِى (كتب إلى السرى) قال حدثنا شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد باسنادهم قالوا وأرسل سعد الذين انتهى اليهم رأى الناس والذين انتهت اليهم نجدتهم وأصناف الفَضل منهم إلى الناس فكان منهم من ذوى الرأى النفرُ الذين أتوا رستم المغيرة وحُذَيفة وعاصم وأصحابهم ومن أهل النجدة طُلَيْحة وقَيس الأسدىّ وغالب وعمرو بن مَعْديكرِب وأمثالهم ومن الشعراء الشّمّاخ والحُطَيْئة وأوس بن مَغْراء وعَبْدة بن الطبيب ومن سائر الأصناف أمثالهم وقال قبل أن يُرسلهم انطلقوا فقوموا فى الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس فإنكم من العرب بالمكان الذى أنتم به وأنتم شُعراء العرب وخُطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم فسيروا فى الناس فذكروهم وحَرّضوهم على القتال فساروا فيهم فقال قيس ابن هُبَيرة الأسدىّ أيها الناس احمدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم يَزِدْكم واذكروا

آلاء الله وارغبوا اليه فى عاداته فان الجنة أو الغنيمة أمامكم وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القَفْر والظراب الخُشن والفلوات التى لا يقطعها الأدِلة وقال غالب أيها الناس احمدوا الله على ما أبلاكم وسلوه يزدكم وادعوه يُجِبكم يا معاشر مَعَدّما عِلتُكم اليوم وأنتم فى حصونكم يعنى الخيل ومعكم من لا يعصيكم يعنى السيوف اذكروا حديث الناس فى غد فانه بكم غدًا يُبْدَأ عنده وبمن بعدكم يُثَنَّى وقال ابن الهُذَيْل الأسدىّ يامعاشر معدّا اجعلوا حصونكم السيوف وكونوا عليهم كأسود الأجم وتَرَبَّدوا لهم تربُّدَ النمور وادَّرِعوا العجاج وثِقوا بالله وغضوا الأبصار فاذا كلت السيوف فانها مأمورة فأرسلوا عليهم الجنادل فانها يؤْذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه وقال بُسْر بن أبى رُهْم الجُهَنى احمدوا الله وصدقوا قولكم بفعل فقد حمدتم الله على ما هداكم له ووحدتموه ولا إله غيره وكبرتموه وآمنتم بنبيه ورُسُله فلا تَموتُن إلا وأنْتم مُسْلِمُون ولا يكونن شىء بأهون عليكم من الدنيا فانها تأتى من تهاون بها ولا تميلوا اليها فتهرُب منكم لتميل بكم انصروا الله ينصُرْكم وقال عاصم بن عمرو يا معاشر العرب انكم أعيان العرب وقد صمدتم الأعيان من العجم وانما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم لا تحدثوا اليوم أمرا تكونون به شَيْنا على العرب غداً وقال ربيع بن البلاد السعدى يا معاشر العرب قاتلوا للدين والدنيا وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين وإن عظَّم الشيطان عليكم الأمر فاذكروا الاخبار عنكم بالمواسم مادام للاخبار أهل وقال رِبْعى بن عامر إن الله قد هداكم للإسلام وجمعكم به وأراكم الزيادة وفى الصبر الراحة فعَوِّدوا أنفسكم الصبر تعتادوه ولا تعودوها الجَزَع فتعتادوه وقام كلهم بنحو من هذا الكلام وتواثق الناس وتعاهدوا واهتاجوا لكل ما كان ينبغى لهم وفعل أهل فارس فيما بينهم مثل ذلك وتعاهدوا وتواصوا واقترنوا بالسلاسل وكان المقترنون ثلاثين ألفاً (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبى أن أهل فارس كانوا عشرين ومائة ألف معهم ثلاثون فيلا مع كل

فيل أربعة آلاف (كتب إلى السرى) بن يحيى عن شعيب عن سيف عن حلام عن مسعود بن خراش قال كان صف المشركين على شفير العتيق وكان صف المسلمين مع حائط قُدَيْس الخندقُ من ورائهم فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق ومعهم ثلاثون ألف مسلّسَل وثلاثون فيلا تُقاتِل وفيلة عليها الملوك وقوف لا تُقاتل وأمر سعد الناس أن يقرؤا على الناس سورة الجهاد وكانوا يتعلمونها (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد باسنادهم قالوا قال سعد الزموا مواقفكم لا تحركوا شيئا حتى تصلوا الظهر فإذا صليتم الظهر فانى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا واعلموا أن التكبير لم يُعطه أحد قبلكم واعلموا أنما أعطيتموه تأييداً لكم ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا ولتُستتم عدتكم ثم إذا كبَّرتُ الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لاحول ولا قوة إلا بالله (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن الرَّيان عن مُصْعَب بن سعد مثله (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن زكرياء عن أبى اسحاق قال أرسل سعد يوم القادسية فى الناس إذا سمعتم التكبير فشدوا شسوع نعالكم فاذا كبرتُ الثانية فتهيؤا فاذا كبرت الثالثة فشدوا النواجذ على الأضراس واحملوا (كتب إلى السرى) بن يحيى عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد باسنادهم قالوا لما صلى سعد الظهر أمر الغلام الذى كان ألزمه عمر اياه وكان من القراء ان يقرأ سورة الجهاد وكان المسلمون يتعلمونها كلهم فقرأ على الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد فقرئت فى كل كتيبة فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم قالوا لما فرغ القُرّاء كبّر سعد فكبر الذين يلونه تكبيره وكبر بعض الناس بتكبير بعض فتحشحش الناس ثم ثنّى فاستتم الناس ثم ثلّث فبرز أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج من أهل فارس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وخرج غالب بن عبد الله الأسدىّ وهو يقول

قد عَلِمَتْ واردَةُ المسائح ذاتُ اللّبانِ والبَنانِ الواضِحِ
أَنى سَمامُ البَطَلِ المُشايحِ وفارِجُ الأمْرِ المُهِمّ الفادِحِ

فخرج إليه هُرْمُز وكان من ملوك الباب وكان متوّجا فأسره غالب أسراً فجاء سعداً فأدخل وانصرف غالب إلى المطاردة وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول

قد عَلِمَتْ بَيضاءُ صَفْراءُ اللَّبَبْ مِثْلُ اللجَيْنِ إذ تَغَشَّاهُ الذَهَبْ
أَنى امْرُؤٌ لامَنْ يُعِينه السَّبَبْ مِثْلى على مِثْلِكَ يُغْرِيهِ العَتَبْ

فطارد رجلا من أهل فارس فهرب منه واتبعه حتى إذا خالط صفهم التقى بفارس معه بغلة فترك الفارس البغل واعتصم بأصحابه فحَمَوْه واستاق عاصم البغل والرّحْل حتى أفضى به إلى الصف فإذا هو خباز الملك وإذا الذى معه لَطَفُ الملك الاخبصةُ والعسل المعقود فأتى به سعداً ورجع إلى موقفه فلما نظر فيه سعد قال انطلقوا به إلى أهل موقفه وقال إن الأمير قد نفّلكم هذا فكلوه فنفّلهم إياه قالوا وبينا الناس ينتظرون التكبيرة الرابعة إذ قام صاحب رجالة بنى نهد قيس بن حِذْيَم ابن جُرْثومة فقال يابنى نَهْد انهدوا إنما سميتم نَهْدًا لتفعلوا فبعث إليه خالد بن عُرْفُطة والله لتكُفَنّ أولا وَلّيَنّ عملك غيرَك فكَفّ ولما تطاردت الخيل والفُرسان خرج رجل من القوم ينادى مَرْد ومَرْد فانتدب له عمرو بن معديكَرِب وهو بحياله فبارزه فاعتنقه ثم جلد به الأرض فذبحه ثم التفت إلى الناس فقال إن الفارسىّ إذا فقد قوسَه فإنما هو تَيْس ثم تكتبت الكتائب من هؤلاء وهؤلاء (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال مرّ بنا عمرو بن معديكرب وهو يحضض الناس بين الصفين وهو يقول إن الرجل من هذه الأعاجم إذا ألقى مِزْراقه فإنما هو تيس فبينا هو كذلك يحرضنا إذ خرج إليه رجل من الأعاجم فوقف بين الصفّين فرمى بنُشّابة فما أخطأت سِيَةَ قوسه وهو متنكبها فالتفت إليه فحمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمِنْطَقته فاحتمله فوضعه بين يديه فجاء به حتى إذا دنا منا كسر عنقه ثم وضع سيفه على حَلْقه فذبحه ثم ألقاه ثم قال هكذا فاصنعوا بهم فقلنا ياأبا ثَوْر من يستطيع

أن يصنع كما تصنع وقال بعضهم غير إسماعيل وأخذ سِوَرَيْه ومنطقته ويَلْمَق ديباجٍ عليه (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم أن الأعاجم وجهت إلى الوجه الذى فيه بجيلةُ ثلاثة عشر فيلا (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبى خالد قال كانت يعنى وقعة القادسية فى المحرّم سنة أربعة عشر فى أوله وكان قد خرج من الناس إليهم فقال له أهل فارس أحِلْنا فأحالهم على بجيلة فصرفوا إليهم ستة عشر فيلا (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا لما تكتبت الكتائب بعد الطراد حمل أصحاب الفِيَلة عليهم ففرقت بين الكتائب فابذعرّت الخيل فكادت بَجيلة أن تُؤكل فرّت عنها خيلها نِفارًا وعمن كان معهم فى مواقفهم وبقيت الرجالة من أهل المواقف فأرسل سعد إلى بنى أَسَد ذَبِّبوا عن بجيلة ومن لافّها من الناس فخرج طلَيحة بن خُوَيْلِد وحَمّال بن مالك وغالب ابن عبد الله والرِبِّيل بن عمرو فى كتائبهم فباشروا الفيلة حتى عدلوها ركبانها وإن على كل فيل عشرين رجلا (كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد ابن قيس عن موسى بن طريف أن طليحة قام فى قومه حين استصرخهم سعد فقال ياعشيرتاه إن المنوَّه باسمه الموثوق به وإن هذا لو علم أن أحداً أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ابتدؤهم الشَّدّة وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحَرِبة فإنما سُمِّيتم أَسَدًا لتفعلوا فِعلهُ شدّوا ولا تصدّوا وكرّوا ولا تفرُّوا لله درُّ ربيعة أىَّ فَرِيٍ يَفرون وأىَّ قِرْن يُغنون هل يوصَل إلى مواقفهم فأغنوا عن مواقفكم أعانكم الله شدوا عليهم باسم الله فقال المَعْرور بن سوَيْد وشَقيق فشدوا والله عليهم فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسنا الفيلة عنهم فأخّرت وخرج إلى طليْحة عظيم منهم فبارزه فما لبّثه طليحة أن قتله (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا وقام الأشعث بن قيس فقال يامعشر كندة لله درُّ بنى أسد أىَّ فَرِيٍّ يَفْرون وأىَّ هَذٍّ يهُذّون عن موقفهم منذ اليوم أغنى كل قوم مايليهم وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس أشهَدُ ماأحسنتم إسوة قومكم

العرب منذ اليوم وإنهم ليُقتَلون ويقاتلون وأنتم جثاةٌ على الرُّكب تنظرون فوثب اليه عدد منهم عشرة فقالوا عثّر الله جَدَّك انك لتؤبِّسُنا جاهدا ونحن أحسن الناس موقفاً فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا إسوتهم فها نحن معك فنهد ونهدوا فأزالوا الذين بإزائهم فلما رأى أهل فارس ماتلقى الفيلة من كتيبة أسد رموهم بحدهم وبدروا المسلمين الشّدّة عليهم ذو الحاجب والجالنوس والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حَلْبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة وقد ثبتوا لهم وقد كبّر سعد الرابعة فزحف اليهم المسلمون ورحى الحرب تدور على أسد وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول فكانت الخيول تحجم عنها وتَحيد وتلِحّ فرسانهم على الرّجْل يشمسون بالخيل فأرسل سعد الى عاصم ابن عمرو فقال يامعشر بنى تميم ألستم أصحاب الإبل والخيل أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة قالوا بلى والله ثم نادى فى رجال من قومه رماةٍ وآخرين لهم ثَقافة فقال لهم يامعشر الرماة ذبّوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال يامعشر أهل الثقافة استدبِروا الفيلة فقَطِّعوا وُضُنها وخرج يحميهم والرحى تدور على أسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة فأخذوا بأذنابها وذباذب توابيتها فقطعوا وضنها وارتفع عُواؤهم فما بقى لهم يومئذ فيل إلا أعرِى وقُتل أصحابها وتقابل الناس ونُفّس عن أسد وردّوا فارساً عنهم إلى مواقفهم فاقتتلوا حتى غربت الشمس ثم حتى ذهبت هَدْأة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة وكانوا ردءًا للناس وكان عاصم عادية الناس وحاميتهم وهذا يومها الأول وهو يوم أرماث (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الغصن عن القاسم عن رجل من بنى كنانة قال جالت المجنبات ودارت على أسد يوم أرماث فقتل تلك العشية منهم خمسمائة رجل فقال عمرو بن شَاس الأسدى

جَلَبْنَا الخَيْلَ من أكنافِ نِيقٍ   إلى كِسْرَى فوافَقَها رِعالا
تَرَكْنَ لهم على الأقسام شجْوًا   وبالحَقْوَيْنِ أيّامًا طِوالا
وداعِيَةٍ بفارِسَ قد تَرَكْنا   تُبكّى كلّما رَأَتِ الهِلالا

قَتَلنا رُسْتُمًا وَبَنِيهِ قَسْرًا تُثيرُ الخيلُ فوقَهُم الهَيالا
تركْنا منهُمُ حَيْثُ التَقَيْنا قِيامًا ما يُريدون ارتِحالا
وفَرَّ البيرُزانُ ولم يُحامِ وكان على كتيبتِه وَبالا
ونَجَّى الهُرْمُزَانَ حِذارُ نَفْسٍ وركْضُ الخيلِ مُوصِلةً عِجالا

وقال أيضا

لقد عَلِمَتْ بنو أسدٍ بأنا أولوا الأحلام إن ذكروا الحلوما
وأنا النازلون بكلِّ ثَغرٍ ولو لم تُلْفِهِ إلا هَشِيما
ترى فينا الجِيادَ مُسوّماتٍ مع الأبطال يَعْلُكْنَ الشَكيما
ترى فينا الجِيادَ مجلحاتٍ تُنهنهُ عن فَوارِسها الخصوما
بجمعٍ مثل سَلْمِ مكفهرٍّ تشبّهُهُمْ إذا اجتمعوا قروما
بمثلهم تُلاقى يومَ هَيْجٍ إذا لاقَيْتَ بأساً أو خصوما
نَفَينا فارساً عما أرادت وكانت لا تُحاوِل أن تَرِيما

٨ يوم أغواث

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وكان سعد قد تزوّج سلمَى بنت خَصَفة امرأة المثنى بن حارثة قبله بشراف فنزل بها القادسية فلما كان يوم أرماث وجال الناسُ وكان لا يُطيق جِلْسةً إلا مستوفِزاً أو على بطنه جعل سعد يتَمَلمل ويحول جَزَعًا فوق القصر فلما رأت ما يصنع أهل فارس قالت وامُثنَّياهْ ولا مُثنّى للخيل اليوم هى عند رجل قد أضجره مايرى من أصحابه وفى نفسه فلطم وجهها وقال أين المثنى من هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحى يعنى أسداً وعاصما وخيله فقالت أغَيْرةً وجُبْنًا قال والله لا يعذرنى اليوم أحد إذا أنت لم تعذرينى وأنتِ تَرَيْنَ مابى والناس أحقُّ ألا يعذِرونى فتعلقها الناس فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه وكان غير جَبان ولا ملوم ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبية وقد وكل سعد رجالا بنقل الشهداء إلى العُذَيْب ونقلِ الرثيث فأما الرثيث فأسلموا إلى النساء يقمن عليهم إلى قضاء الله عز وجل عليهم وأما الشهداء فدفنوهم

هنالك على مُشَرِّق وهو وادٍ بين العُذيْب وبين عين الشمس فى عُدْوتَيْه جميعاً الدنيا منهما إلى العذيب والقُصوى منهما من العُذيب والناس ينتظرون بالقتال حَمْلَ الرثيث والأموات فلما استقلت بهم الإبل وتوجهت بهم نحو العذيب طلعت نواصى الخيل من الشأم وكان فتح دِمَشْق قبل القادسية بشهر فلما قدم على أبى عُبَيدة كتاب عمر بصَرْف أهل العراق أصحاب خالد ولم يذكر خالدا ضَنَّ بخالد فحبسه وسرح الجيش وهم ستة آلاف خمسة آلاف من ربيعة ومضر وألف من افناء اليمن من أهل الحجاز وأمَّر عليهم هاشم بن عُتبة بن أبى وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو فعجله أمامه وجعل على إحدى مجنبتَيْه قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المرادىّ ولم يكن شهد الأيام أتاهم وهم باليرموك حين صُرف أهل العراق وصُرف معهم وعلى المجنبة الأخرى الهَزهاز بن عمرو العجلىّ وعلى الساقة أنس بن عباس فانجذب القعقاع وطوى وتعجل فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطعوا أعشارا وهم ألف فكلما بلغ عشرة مَدَى البَصَر سرَّحوا فى آثارهم عشرة فقدم القعقاع أصحابه فى عشرة فأتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود فقال يا أيها الناس إنى قد جئتكم فى قوم والله ان لو كانوا بمكانكم ثم أحسُّوكم حسدوكم حُظْوتَها وحاولوا أن يطيروا بها دونكم فاصنعوا كما أصنع فتقدم ثم نادى من يبارز فقالوا فيه بقول أبى بكر لا يُهزَم جيشٌ فيهم مثل هذا وسكنوا اليه فخرج اليه ذو الحاجب فقال له القعقاع من أنت قال أنا بهْمَن جاذَوَيْه فنادى يا لِثأرات أبى عبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر فاجتلدا فقتله القعقاع وجعلت خيله تَرِد قِطَعًا ومازالت ترد إلى الليل وتنشط الناس وكأن لم يكن بالأمس مصيبة وكأنما استقبلوا قتالهم بقتل الحاجبى وللَحاق القِطَع وانكسرت الأعاجم لذلك ونادى القعقاع أيضا من يبارز فخرج اليه رجلان أحدهما البيرزان والآخر البِنْدوان فانضم الى القعقاع الحارث بن ظَبْيان بن الحارث أخو بنى تَيْم اللات فبارز القعقاع البيرزان فضربه فأذرى رأسه وبارز ابن ظَبْيان البندوان فضربه فأذرى رأسه وتوردَّهم فرسان المسلمين وجعل القعقاع يقول يا معاشر المسلمين باشروهم بالسيوف فانما يحصد

بها الناس فتواصى الناس وتشايعوا اليهم فاجتلدوا بها حتى المساء فلم ير أهل فارس فى هذا اليوم شيئاً مما يعجبهم وأكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا فى هذا اليوم على فيل كانت توابيتها تكسرت بالأمس فاستأنفوا علاجها حين أصبحوا فلم ترتفع حتى كان الغد (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبى قال كانت امرأة من النخع لها بنون أربعة شهدوا القادسية فقالت لبنيها إنكم أسلمتم فلم تبدلوا وهاجرتم فلم تثربوا ولم تَنْبُ بكم البلاد ولم تُقحِمكم السّنة ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدى أهل فارس والله إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خُنْتُ أباكم ولا فضحت خالكم انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره فأقبلوا يشتدون فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء وهى تقول اللهم ادفع عن بنىّ فرجعوا إليها وقد أحسنوا القتال ما كلم منهم رجل كَلْمًا فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء ثم يأتون أمهم فيُلقونه فى حَجْرها فتردّه عليهم وتقسمه فيهم على ما يُصلحهم ويُرضيهم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا فأزر القعقاع يومئذ ثلاثة نفر من بنى يربوع رياحيِّين وجعل القعقاع كلما طلعت قطعة كبّر وكبّر المسلمون ويحمل ويحملون واليربوعيون نُعَيم بن عمرو بن عتاب وعتاب بن نعيم بن عتاب ابن الحارث بن عمرو بن هَمّام وعمرو بن شبيب بن زِنباع بن الحارث بن ربيعة أحد بنى زيد وقدم ذلك اليوم رسولٌ لعمر بأربعة أسياف وأربعة أفراس يقسمها فيمن انتهى إليه البلاء إن كنت لقيت حربا فدعا حَمّالَ بن مالك والرِّبِّيل بن عمرو ابن ربيعة الوالبيّين وطليحة بن خويلد الفَقْعسىّ وكلهم من بنى أسد وعاصم بن عمرو التميمى فأعطاهم الأسياف ودعا القعقاع بن عمرو واليربوعيِّين فحملهم على الأفراس فأصاب ثلاثة من بنى يربوع ثلاثة أرباعها وأصاب ثلاثة من بنى أسد ثلاثة أرباع السيوف فقال فى ذلك الربِّيل بن عمرو

لقد علم الأقوامُ أنّا أحقهم ... إذا حصلوا بالمُرْهَفات البواتِرِ
وما فتِئَتْ خيلى عشيّة أرمثوا ... يَذودون رَهْوًا عن جُموع العشائرِ

لَدُنْ غُدْوَةٍ حتى أتى الليلُ دونهم وقد أفلحتْ أُخْرَى الليالى الغوابر

وقال القعقاع فى شأن الخيل

لم تعرف الخيل العِرابُ سَواءَنا عَشيَّةَ أغْواثٍ بجَنْب القَوادِسِ

عشيَّةَ رُحْنا بالرِّماح كأنَّها على القوم ألوانُ الطُّيورِ الرَّسارِسِ

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن القاسم بن سُليم بن عبد الرحمن السعدى عن أبيه قال كان يكون أول القتال فى كل أيامها المطاردة فلما قدم القعقاع قال يا أيها الناس اصنعوا كما أصنع فنادى من يبارز فبرز له ذو الحاجب فقتله ثم البيرزان فقتله ثم خرج الناس من كل ناحية وبدأ الحرب والطعان وحمل بنو عم القعقاع يومئذ عشرة عشرة من الرَّجالة على إبل قد ألبسوها فهى مجللة مبرقعة وأطافت بهم خيولهم يحموهم وأمرهم أن يحملوا على خيلهم بين الصفين يتشبهون بالفيلة ففعلوا بهم يوم أغواث كما فعلت فارس يوم أرماث فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلا نفرت بهم خيلهم وركبتهم خيول المسلمين فلما رأى ذلك الناس استنوا بهم فلقى فارس من الإبل يوم أغواث أعظم مما لقى المسلمون من الفيلة يوم أرماث وحمل رجل من بنى تميم ممن كان يحمى العشرة يقال له سواد وجعل يتعرَّض للشهادة فقُتل بعد ما حمل وأبطأت عليه الشهادة حتى تعرَّض لرستم يريده فأصيب دونه (كتب إلىّ السرىُّ) عن شعيب عن سيف عن الغُصن عن العلاء ابن زياد والقاسم بن سليم عن أبيه قالا خرج رجل من أهل فارس ينادى من يبارز فبرز له عِلْباء بن جحش العِجلىّ فنفحه علباء فأسحره ونفحه الآخر فأمْعاه وخرا فأما الفارسى فمات من ساعته وأما الآخر فانتثرت أمعاؤه فلم يستطع القيام فعالج إدخالها فلم يتأتَّ له حتى مر به رجل من المسلمين فقال يا هذا أعنى على بطنى فأدخله له فأخذ بِصِفاقَيْه ثم زحف نحو صف فارس ما يلتفت إلى المسلمين فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من مَصْرَعه إلى صف فارس وقال

أَرْجُو بها من ربِّنا ثَوابا قد كنتُ مِمَّنْ أحْسَنَ الضِّرابا

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الغصن عن العلاء والقاسم

عن أبيه قالا وخرج رجل من أهل فارس فنادى من يبارز فبرز له الأعرف ابن الأعلم العقيلى فقتله ثم برز له آخر فقتله وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه وندر سلاحه عنه فأخذوه فغبّر فى وجوههم بالتراب حتى رجع إلى أصحابه وقال فى ذلك

وإن يأخذوا بَزّى فإنى مُجَرَّبٌ خَرُوجٌ من الغَمّاءِ مُحْتَضِرُ النصْرِ
وإنى لحَامٍ من وراءِ عشيرتى رَكُوبٌ لِآثارِ الهَوى مُحْفِلَ الأمْرِ

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الغصن عن العلاء والقاسم عن أبيه قالا فحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة كلما طلعت قطعة حمل حملة وأصاب فيها وجعل يرتجز ويقول

أُزْعِجُهُمْ عَمْدًا بها إزْعاجا أطعَنُ طَعْناً صائباً ثَجّاجا
أَرْجُو به من جنةٍ أفواجا

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا قتل القعقاع يوم أغواث ثلاثين فى ثلاثين حملة كلما حمل حملة قتل فيها فكان آخرهم بُزُرْجُمْهر الهمذانى وقال فى ذلك القعقاع

حَبَوْته جيّاشةً بالنفَسِ هَدّارةً مثلَ شُعاع الشمسِ
فى يوم أغواثٍ فَليلِ الفُرْسِ أَنْخُسُ بالقوم أشَدَّ النَّخْسِ
حتى تَفِيضَ مَعْشَرى ونَفْسى

وبارز الأعْوَر بن قُطبة شَهْرَبَرازَ سِجِسْتان فقتل كل واحد منهما صاحبه فقال أخوه فى ذلك

لم أرَ يوماً كان أحلَى وأمَرّْ من يوم أغواثٍ إذِ افترَّ الثَّغَرْ
من غيرِ ضَحْكٍ كان أَسْوَى وأَبَرّْ

(كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد وشاركهم ابن مِخراق عن رجل من طَيِّءٍ قالوا وقاتلت الفرسان يوم الكتائب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف النهار فلما عدل النهار تزاحف الناس فاقتتلوا بها صَتيتًا حتى

انتصف الليل فكانت ليلة ارماث تُدعى الهَدْأة وليلة أغواث تدعى السواد والنصف الأول يدعى السواد ثم لم يزل المسلمون يرون فى يوم أغواث فى القادسية الظفر وقتلوا فيه عامة أعلامهم وجالت فيه خيل القلب وثبتَ رَجْلهم فلولا أن خيلهم كرّت أخذ رستم أخذا فلما ذهب السواد بات الناس على مثل ما بات عليه القوم ليلة ارماث ولم يزل المسلمون ينتمون لَدُن أمسوا حتى تفايئوا فلما أمسى سعد وسمع ذلك نام وقال لبعض من عنده إن تمّ الناس على الانتماء فلا توقِظْنى فإنهم أقوياء على عدوهم وإن سكتوا ولم يَنتَمِ الآخرون فلا توقظنى فإنهم على السَّواء فإن سمعتَهم ينتمون فأيقظنى فإن انتماءَهم من السُّوء فقالوا ولما اشتد القتال بالسواد وكان أبو مِحْجَن قد حُبس وقُيِّد فهو فى القصر نصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقيله فزبره ورده فنزل فأتى سلمَى بنت خَصَفة فقال ياسلمى يابنت آل خصفة هل لك إلى خير قالت وما ذاك قال تخلين عنى وتُعيريني البَلقاء فلله علىَّ إن سلمنى الله أن أرجع إليكِ حتى أضع رجلى فى قَيْدى فقالت وما أنا وذاك فرجع يرسف فى قيوده ويقول

كفَى حَزَناً أن تَرْدِىَ الخَيْلُ بالقَنا ... وأترَكَ مشدداً علىَّ وثاقاً
إذا قُمتُ عنّانى الحديدُ واغلِقَتْ ... مصاريعُ دونى قد تُصِمُّ المُناديا
وقد كنت ذا مالٍ كثيرٍ وإخْوَةٍ ... فقد تركونى واحداً لا أخا ليا
ولله عهدٌ لا أخيسُ بعهده ... لئن فُرِجَتْ أن لاأزورَ الحوانيا

فقالت سلمى إنى استخرت الله ورضيت بعهدك فأطلقته وقالت أما الفَرَس فلا أعِيرها ورجعتْ إلى بيتها فاقتادها فأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها ثم دب عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كَبَّر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين فقالوا بسرجها وقال سعيد والقاسم عُرْيًا ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة فكبّر وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه ثم رجع من خلف المسلمين الى القلب فندر أمام الناس فحمل على القوم يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه وكان يقصف الناس ليلتئذ قصْفًا منكرًا وتعجب الناس

منه وهم لا يعرفونه ولم يروه من النهار فقال بعضهم أوائل أصحاب هاشم أو هاشم نفسه وجعل سعد يقول وهو مُشرِف على النـاس مُـكِبّ من فوق القصر والله لولا مَحْبس أبي مِحْجَن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء وقال بعض النـاس إن كان الخَضِر يشـهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخَضِر وقال بعضهم لولا أن الملائكة لا تُباشر القتال لقلنا ملكٌ يثبتنا ولا يذكره النـاس ولا يأبهون له لأنه بات فى محبسه فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس وتراجع المسلمون وأقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج ووضع عن نفسه وعن دابته وأعاد رجليْه فى قيديه وقال

لقد علِمَتْ ثَقيفٌ غيرَ فَخْرٍ ... بأنا نحن أكرَمُهم سُيُوفَا
وأكثرُهُمْ دُروعا سابِغـاتٍ ... وأصبَرُهم إذا كَرِهوا الوُقُوفَا
وأنا وَفدُهم فى كل يومٍ ... فإن عَمِيُو فَسَلْ بِهِمُ عَرِيفَـا
وليلةَ قادِسٍ لم يَشْـعُروا بى ... ولم أُشْعِرْ بمَخْرَجِى الزحُوفَا
فإن احْبَسْ فذلكمُ بلائى ... وإن أترَكْ أذيقُهـمُ الحُتوفا

فقالت له سلمى يا أبا محجن فى أى شىء حبسك هذا الرجل قال أَمَا والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدِبّ الشعر على لسانى يبعثه على شفتى أحياناً فيُساء لذلك ثنائى ولذلك حبسنى قلت

إذا مِتُّ فادْفِنّى إلى أصل كَرْمَةٍ ... تُرَوِّى عِظامى بعد موتى عُرُوقها
ولا تَدْفِنَنّى بالفَـلاة فإننى ... أخافُ إذا ما مِتُّ أن لا أذوقُها
وتُرْوِى بخمر الحُصّ لَحدى فإننى ... أسيرٌ لهـا من بعدِ ما قد أسوقُها

ولم تزل سلمى مغاضبة لسعد عشية أرماث وليلة الهدأة وليلة السواد حتى إذا أصـبحتْ أتته وصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبى محجن فدعا به فأطلقه وقال اذهب فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله قال لا جَرَمَ والله لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبداً

يوم عماس

(كتب إلىّ السرىّ) ابن يحيى عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم وابن مخراق عن رجل من طيء قالوا فاصبحوا من اليوم الثالث وهم على مواقفهم وأصبحت الأعاجم على مواقفهم وأصبح ما بين الناس كالرِجلة الحمراء يعنى الحَرَّة مِيلٌ فى عرض ما بين الصفين وقد قتل من المسلمين ألفان من رثيث وميت ومن المشركين عشرة آلاف من رثيث وميت وقال سعد من شاء غسل الشهداء ومن شاء فليدفنْهم بدمائهم وأقبل المسلمون على قتلاهم فاحرزوهم فجعلوهم من وراء ظهورهم وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر ويبلغون الرثيث إلى النساء وحاجب بن زيد على الشهداء وكان النساء والصبيان يحفرون القبور فى اليومين يوم أغواث ويوم ارماث بعُدْوتَىْ مُشَرَّق فدُفن ألفان وخمسمائة من أهل القادسية وأهل الأيام فمر حاجب وبعض أهل الشهادة ووُلاةِ الشهداء فى أصل نخلة بين القادسية والعذَيْب وليس بينهما يومئذ نخلة غيرُها فكان الرثيث إذا حُملوا فانتُهى بهم اليها وأحدهم يَعقِل سألهم أن يقفوا به تحتها يستَرْوح الى ظلها ورجل من الجرحى يُدعى بجيرا يقول وهو مستظلّ بظلها

ألا يا اسلَمِي يا نخلة بين قادِسٍ ... وبين العُذَيْب لا يجاوِرُكِ النخلُ

ورجل من بنى ضبة أو من بنى ثور يُدعى غيلان يقول:

ألا يا اسلَمِي يا نخلةً بين جَرْعةٍ ... يجاورُكِ الجُمّانُ دونكِ والرَّعلُ

ورجل من بنى تيم الله يقال له رِبْعِىّ يقول:

أيا نخلة الجَرْعاءِ يا جَرْعةَ العِدَى ... سَقَتْكِ الغوادِى والغُيوثُ الهواطِل

وقال الأعور بن قُطبة:

أيا نخلة الرُّكبان لازُلْتِ فانضُرِى ... ولازال فى أكناف جَرْعائِكِ النخل

وقال عوف بن مالك التميمى ويقال التيْمىّ تيم الرباب:

أيا نخلةً دون العذيب بتَلْعةٍ ... سقِيتِ الغَوادِى المُدْجِنات من النخلِ

(كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا وبات القعقاع ليلته كلها يسرّب أصحابه إلى المكان الذى فارقهم فيه من الأمس ثم قال إذا طلعتْ لكم الشمس فأقبِلوا مائة مائة كلما توارى عنكم مائة فليتبعها مائة فان جاء هاشم فذاك وإلا جدَّدتم للناس رَجاءً وجِدًّا ففعلوا ولا يشعر بذلك أحد وأصبح الناس على مواقفهم قد أحرزوا قتلاهم وخلَّوْا بينهم وبين حاجب بن زيد وقتلى المشركين بين الصفين قد أضيعوا وكانوا لا يعرضون لامواتهم وكان مكانهم مما صنع الله للمسلمين مكيدة فتحها ليشدّ بها أعضاد المسلمين فلما ذرّقرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل وطلعت نواصيها كبَّر وكبَّر الناس وقالوا جاء المَدَد وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها فجاؤا من قِبَل خَفّان فتقدم الفرسان وتكتّبت الكتائب فاختلفوا الضرب والطعن ومددهم متتابع فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى اليهم هاشم وقد طلعوا فى سبعمائة فأخبروه برأى القعقاع وما صنع فى يوميه فعبّى أصحابه سبعين سبعين فلما جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم فى سبعين معه فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث ولم يكن من أهل الأيام إنما أتى من اليمن اليرموك فانتدب مع هاشم فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب كبَّر وكبَّر المسلمون وقد أخذوا مصافّهم وقال هاشم أول القتال المطاردة ثم المراماة فأخذ قوسه فوضع سهما على كَبِدها ثم نزع فيها فرفعت فرسه رأسها فخلّ أذنها فضحك وقال واسوأتاه من رمية رجل كل من رأى ينتظره أين ترون سهمى كان بالغاً فقيل العتيق فنزّقها وقد نزع السهم ثم ضربها حتى بلغت العتيق ثم ضربها حتى بلغت العتيق ثم ضربها فاقبلت به تخرقهم حتى عاد الى موقفه وما زالت مقَانبه تطلع الى الأولى وقد بات المشركون فى علاج توابيتهم حتى أعادوها وأصبحوا على مواقفهم واقبلت الفيلة معها الرّجالة يحمونها أن تقطع وُضُنها ومع الرجالة فرسان يحمونهم إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل واتباعه ليُنفِروا بهم خيلَهم فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس لأن الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش وإذا أطافوا به كان آنس فكان القتال كذلك حتى عدل النهار وكان يوم عماس من أوله الى آخره شديدا

العرب والعجم فيه على السواء ولا يكون بينهم نُقطة إلا تعاوَرَها الرجال بالاصوات حتى تبلغ يزدجرد فيبعث اليهم أهل النجدات ممن بقى عنده فيقْوَون بهم وأصبحت عنده للذى لقى بالأمس الأمداد على البرد فلولا الذى صنع الله للمسلمين بالذى ألهم القعقاع فى اليومين وأتاح لهم بهاشم كسر ذلك المسلمين (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي قال قدم هاشم بن عتبة من قِبَل الشأم معه قيس بن المكشوح المرادى فى سبعمائة بعد فتح اليرموك ودمشق فتعجّل فى سبعين فيهم سعيد بن نِمْران الهمدانى قال مجالد وكان قيس بن أبى حازم مع القعقاع فى مقدمة هاشم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن جَنْدَب ابن جَرْعَب عن عصمة الوابلى وكان قد شهد القادسية قال قدم هاشم فى أهل العراق من الشأم فتعجل فى أناس ليس معه أحد من غيرهم إلا نفيْر منهم ابن المكشوح فلما دنا تعجل فى ثلثمائة فوافق الناس وهم على مواقفهم فدخلوا مع الناس فى صفوفهم (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي قال كان اليوم الثالث يوم عماس ولم يكن فى أيام القادسية مثله خرج الناس منه على السواء كلهم على ما أصابه كان صابرا وكلما بلغ منهم المسلمون بلغ الكافرون من المسلمين مثله وكلما بلغ الكافرون من المسلمين بلغ المسلمون من الكافرين مثله (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن الرَّيان عن اسماعيل بن محمد بن سعد قال قدم هاشم بن عتبة القادسية يوم عماس فكان لا يقاتل إلا على فرس أنثى لا يقاتل على ذَكَر فلما وقف فى الناس رمى بسهم فأصاب أُذن فرسه فقال واسوأتاه من هذه أين ترون سهمى كان بالغاً ولم يُصِب أذن الفرس قالوا كذا وكذا فأجال فنزل وترك فرسه ثم خرج يضربهم حتى بلغ حيث قالوا (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا وكان فى الميمنة (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن الرَّيان عن اسماعيل بن محمد قال كنا نرى أنه كان على الميمنة وما كان عامةُ جُنن الناس إلا البراذع براذع الرحال قد أعرضوا فيها الجريد وعصّب من لم يكن له وِقاية رؤسَهم بالأنساع (كتب إلىّ السرىّ) عن

شعيب عن سيف عن أبي كِبْران الحسن بن عُقبة أن قيس بن المكشوح قال مقدمه من الشأم مع هاشم وقام فيمن يليه فقال لهم يامعشر العرب إن الله قدمنّ عليكم بالإسلام وأكرمكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فأصبحتم بنعمة الله إخوانا دعوَتُكم واحدة وأمركم واحد بعد إذ أنتم يعدو بعضكم على بعض عَدْو الأسْد ويختطف بعضكم بعضا اختطاف الذئاب فانصروا الله ينْصركم وتنجَّزوا من الله فتح فارس فإن إخوانكم من أهل الشأم قد أنجز الله لهم فتح الشأم وانتثال القصور الُحمر والحصون الحمر (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن المقدام الحارثى عن الشعبي قال قال عمرو بن معديكرب انى حاملٌ على الفيل ومن حوله لفيل بإزائهم فلا تَدَعونى أكثر من جزر جَزور فإن تأخرتم عنى فقدتم أبا ثور فأنى لكم مثل أبي ثور فإن أدركتمونى وجدتمونى وفى يدى السيف فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم وستره الغبار فقال أصحابه ماتنتظرون ماأنتم بخُلقاء أن تُدكوه وان فقدتموه فقد المسلمون فارسهم فحملوا حملة فأفرج المشركون عنه بعد ماصرعوه وطعنوه وان سيفه لفى يده يضاربهم وقد طُعن فرسه فلما رأى أصحابه وانفرج عنه أهل فارس أخذ برجل فرس رجل من أهل فارس فحركه الفارسىُّ فاضطرب الفرس فالتفت الفارسى الى عمرو فهمّ به وأبصره المسلمون فغشُوه فنزل عنه الفارسى وحاضر الى أصحابه فقال عمرو أمكنونى من لجامه فأمكنوه منه فركبه (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن عبد الله بن المغيرة العبدى عن الأسود بن قيس عن أشياخ لهم شهدوا القادسية قالوا لما كان يوم عماس خرج رجل من العجم حتى اذا كان بين الصفين هدر وشقشق ونادى من يبارز فخرج رجل منا يقال له شَبْر ابن علقمة وكان قصيرا قليلا دميما فقال يامعشر المسلمين قد أنصفكم الرجل فلم يجبه أحد ولم يخرج اليه أحد فقال أما والله لولا أن تزدرونى لخرجت اليه فلما رأى أنه لا يُمنع أخذ سيفه وحَجَفته وتقدم فلما رآه الفارسى هدر ثم نزل اليه فاحتمله فجلس على صدره ثم أخذ سيفه ليذبحه ومِقْوَدُ فرسه مشدود بمِنْطقته فلما استل السيف حاص الفرس حيصة فجذبه المقود فقلبه عنه فأقبل عليه وهو

يُسْحب فافترشه فجعل أصحابه يصيحون به فقال صيحوا ابدا لكم فوالله لا أفارقه حتى أقتله وأسلبه فذبحه وسلبه ثم أتى به سعدا فقال اذا كان حين الظُّهر فأتنى فوافاه بالسَّلَب فحمد الله سعد وأثنى عليه ثم قال انى قد رأيت أن أنحله اياه وكل من سلب سلبًا فهو له فباعه باثنى عشر ألفاً (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا ولما رأى سعد الفيلة تُفرّق بين الكتائب وعادت لفعلها يوم ارماث أرسل الى أولئك المُسْلِمة ضَخْم ومُسْلِم ورافع وعَشَنّق وأصحابهم من الفرس الذين أسلموا فدخلوا عليه فسألهم عن الفيلة هل لها مَقاتِل فقالوا نعم المشافر والعيون لا يُنتفَع بها بعدها فأرسل الى القعقاع وعاصم ابنَى عمرو أكفِيانى الأبيض وكانت كلها آلفة له وكان بإزائهما وأرسل الى حَمَّال والرِّبّيل اكفيانى الفيل الأجرب وكانت آلفة له كلها وكان بإزائهما فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصَمَّين ليِّنين ودبَّا فى خيل ورجل فقالا اكتنِفوه لتحيِّروه وهما مع القوم ففعل حَمَّال والرِّبّيل مثل ذلك فلما خالطوهما اكتنفوهما فنظر كل واحد منهما يمنة ويَسرة وهما يريدان أن يتخبَّطا فحمل القعقاع وعاصم والفيل متشاغل بمن حوله فوضعا رمحَيْهما معا فى عينى الفيل الأبيض وقبع ونفض رأسه فطرح سائسه ودلَّى مشفره فنفحه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه فقتلوا من كان عليه وحمل حَمَّال وقال للربيل اختَرْ إما أن تضرب المشفر وأطعن فى عينه أو تطعن فى عينه وأضرب مشفره فاختار الضرب فحمل عليه حَمَّال وهو متشاغل بملاحظة من اكتنفه لا يخاف سائسه إلا على بِطانه فانفرد به أولئك فطعنه فى عينه فأقعى ثم استوى ونفحه الربيل فأبان مشفره وبُصر به سائسه فبقر أنفه وجبينه بفأسه (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبى قال قال رجلان من بنى أسد يقال لهما الربيل وحَمَّال يامعشر المسلمين أى الموت أشد قالوا أن يُشَدّ على هذا الفيل فنزّقا فرسيهما حتى إذا قاما على السنابك ضرباهما على الفيل الذى بإزائهما فطعن أحدهما فى عين الفيل فوطئ الفيل من خلفه وضرب الآخر مشفره فضربه سائس الفيل ضربة شائنة بالطَّبَرْزين فى وجهه فأفلت بها هو والربيل وحمل القعقاع

وأخوه على الفيل الذى بإزائهما ففقآ عينيه وقطعا مشفره فبقى متلدّدًا بين الصفين كلما أتى صف المسلمين وخزوه وإذا أتى صف المشركين نخسوه (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبى قال كان فى الفيلة فيلان يعلمان الفيلة فلما كان يوم القادسية حملوهما على القلب فأمر بهما سعد القعقاع وعاصما التميميَّين وحمّالا والربيل الأسَديَّين فذكر مثل الأول إلا أن فيه وعاش بعد وصاح الفيلان صياح الخنزير ثم ولّى الأجرب الذى عُور فوثب فى العتيق فاتّبعته الفيلة فخرجت صف الأعاجم فعبرت العتيق فى أثره فأتت المدائن فى توابيتها وهلك من فيها (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا فلما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون بأهل فارس ومال الظل تزاحف المسلمون وحماهم فرسانهم الذين قاتلوا أول النهار فاجتلدوا بها حتى أمسوا على حَرْدٍ بالسيوف وهم فى ذلك على السواء لأن المسلمين حين فعلوا بالفيول ما فعلوا تكتبت كتائب الإبل المجففة فعرقبوا فيها وكفكفوا عنها وقال فى ذلك القعقاع بن عمرو

حَضَّضَ قومى مَضرَحِىُّ بن يَعْمَرٍ فلله قومى حين هَزُّوا العَواليا
وما خام عنها يومَ سارَتْ جموعُنا لأهل قُدَيْس يمنعون المواليا
فإن كنتُ قاتلتُ العدوَّ فَللتُهُ فإنى لألقَى فى الحروب الدَّواهيا
فُيولا أراها كالبُيوت مُغِيرةً أسمِّل أعياناً لها ومآقيا

كتب إلى السرى عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا لما أمسى الناس من يومهم ذلك وطعنوا فى الليل اشتد القتال وصبر الفريقان فخرجا على السواء إلا الغماغم من هؤلاء وهؤلاء فُسميت ليلة الهَرير لم يكن قتال بليل بعدها بالقادسية (قال أبو جعفر) كتب إلى السرى عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد بن قيس عن عبد الرحمن بن جيش انّ سعداً بعث ليلة الهرير طُليحة وعمراً إلى مخاضة أسفل من العسكر ليقوما عليها خَشيةَ أن يأتيه القوم منها وقال لهما إن وجدتما القوم قد سبقوكما اليها فانزلا بحيالهم وإن لم تجداهم عَلموا بها فأقيما حتى يأتيكما أمرى وكان عمر قد عهد إلى سعد ألا يولى رؤساء أهل الرِّدّة على مائة فلما انتهيا إلى المخاضة

فلم يريا فيها أحداً قال طليحة لو خُضنا فأتينا الأعاجم من خلفهم فقال عمرو لا بل نعبر أسفل فقال طُليحة إنّ الذى أقوله أنفع للناس فقال عمرو إنك تدعونى إلى ما لا أطيق فافترقا فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق وحده وسفل عمرو بأصحابهما جميعاً فأغاروا وثارت بهم الأعاجم وخشى سعد منهما الذى كان فبعث قيس بن المكشوح فى آثارهما فى سبعين رجلاً وكان من أولئك الرؤساء الذين نهى عنهم أن يولّيهم المائة وقال إن لحقتَهم فأنت عليهم فخرج نحوهم فلما كان عند المخاضة وجد القوم يكردون عمراً وأصحابه فنهنه الناسُ عنه وأقبل قيس على عمرو يلومه فتلاحيا فقال أصحابه إنه قد أمر عليك فسكت وقال يتأمّر علىّ رجل قد قاتلتُه فى الجاهليّة عُمْرَ رجل فرجع إلى العسكر وأقبل طليحة حتى إذا كان بحيال السِكْر كبّر ثلاث تكبيرات ثم ذهب فطلبه القوم فلم يدروا أين سلك وسفل حتى خاض ثم أقبل إلى العسكر فأتى سعداً فأخبره فاشتدّ ذلك على المشركين وفرح المسلمون وما يدرون ما هو (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن قدامة الكاهلىّ عمن حدثّه أن عشرة إخوة من بنى كاهل بن أسَد يقال لهم بنو حَرْب جعل أحدهم يرتجز ليلتئذ ويقول

أنا ابن حَرْبٍ ومعى مِخراقى أضرِبُهم بصارمٍ رَقْراقِ
إذْ كره الموت أبو إسحاقِ وجاشتِ النفسُ على التَّراقِى
صَبْرًا عِفاقُ إنّه الفِراقُ

وكان عِفاق أحد العشرة فأصيب فَخِذ صاحبِ هذا الشعر يومئذ فأنشأ يقول

صَبْرًا عِفاقُ إنّها الأساوِرَهْ صَبْرًا ولا تَغْرُرْكَ رِجْلٌ نادِرَهْ

فمات من ضربته يومئذ (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن النَّضْر عن ابن الرُّفَيْل عن أبيه عن حميد بن أبى شجّار قال بعث سعد طليحة فى حاجة فتركها وعبر العتيق فدار إلى عسكر القوم حتى إذا وقف على رَدْم النهر كبّر ثلاث تكبيرات فراع أهل فارس وتعجب المسلمون فكف بعضهم عن بعض للنظر فى ذلك فارسلت الأعاجم فى ذلك وسأل المسلمون عن ذلك ثم إنهم عادوا وجدّدوا

تعبية وأخذوا فى أمر لم يكونوا عليه فى الأيام الثلاثة والمسلمون على تعبيتهم وجعل طليحة يقول لا تعدموا امرءً ضعضعكم وخرج مسعود بن مالك الأسدى وعاصم ابن عمرو التميمى وابن ذى البردين الهلالى وابن ذى السهمين وقيس بن هبيرة الأسدى وأشباههم فطاردوا القوم وانبعثوا للقتال فاذا القوم لمة لا يشدون ولا يريدون غير الزحف فقدموا صفا له أذنان وأتبعوا آخر مثله وآخر وآخر حتى تمت صفوفهم ثلاثة عشر صفاً فى القلب والمجنبتين كذلك فلما أقدم عليهم فرسان العسكر راموهم فلم يعطفهم ذلك عن ركوبهم ثم لحقت بالفرسان الكتائب فأصيب ليلتئذ خالد بن يعمر التميمى ثم العمرى فحمل القعقاع على ناحيته التى رمى بها مزدلفا فقاموا على ساق فقال القعقاع

سَقَى ٱللّٰهُ يا خَوْصاءُ قَبْرَ ابنِ يَعْمَرٍ إذا ارتحل السُّفَّارُ لم يترحَّلِ
سقى الله أرضاً حلّها قبرُ خالدٍ ذِهابَ غَوَادٍ مُدْجِناتٍ تُجَلْجِلُ
فأقسمتُ لا يَنْفَكُّ سيفى يَحُسُّهم فإن زحل الأقوامُ لم أَتَزَحَّلِ

فزاحفهم والناس على راياتهم بغير إذن سعد فقال سعد اللهم اغفرها له وانصره قد أذنت له إذ لم يستأذنى والمسلمون على مواقفهم إلا من تكتب أو طاردهم وهم ثلاثة صفوف فصف فيه الرجالة أصحاب الرماح والسيوف وصف فيه المرامية وصف فيه الخيول وهم أمام الرجالة وكذلك الميمنة وكذلك الميسرة وقال سعد ان الأمر الذى صنع القعقاع فاذا كبرت ثلاثاً فازحفوا فكبر تكبيرة فتهيؤا ورأى الناس كلهم مثل الذى رأى والرحى تدور على القعقاع ومن معه (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عُبَيْدِ الله بن عبد الأعلى عن عمرو بن مرة قال وقام قيس بن هبيرة المرادى فيمن يليه ولم يشهد شيئاً من لياليها إلا تلك الليلة فقال إن عدوكم قد أبى إلا المزاحفة والرأى رأى أميركم وليس بأن تحمل الخيل ليس معها الرجالة فان القوم إذا زحفوا وطاردهم عدوهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم ولم يطيقوا أن يقدموا عليهم فتيسروا للحملة فتيسروا وانتظروا التكبيرة وموافقة حمل الناس وان نشاب الأعاجم لتجوز صف المسلمين (كتب

إليّ السرى) عن شعيب عن سيف عن المستنير بن يزيد عمن حدثه قال وقال دريد بن كعب النخعي وكان معه لواء النخع إن المسلمين قد تهيؤا للمزاحفة فاسبقوا المسلمين الليلة إلى الله والجهاد فانه لا يَسبق الليلةَ أحد إلا كان ثوابه على قدر سَبْقه نافسوهم في الشهادة وطيبوا بالموت نفساً فإنه أنجى من الموت إن كنتم تريدون الحياة وإلا فالآخرة ما أردتم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الأجلح قال قال الأشعث بن قيس يا معشر العرب إنه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على الموت ولا أسخى أنفساً عن الدنيا تنافسوا الأزواج والأولاد ولا تجزعوا من القتل فانه أماني الكرام ومنايا الشهداء وترجل (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد قال قال حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار ترجلوا أيها الناس وافعلوا كما نفعل ولا تجزعوا مما لابد منه فالصبر أنجى من الفَزَع وفعل طُليحة وغالب وحمّال وأهل النجدات من جميع القبائل مثل ذلك (كتب إليّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن عمرو والنضر بن السرى قالا ونزل ضِرار ابن الخطاب القُرَشيّ وتتابع على التسرع اليهم الناس كلهم فيما بين تكبيرات سعد حين استبطؤه فلما كبّر الثانية حمل عاصم بن عمرو وحتى انضم الى القعقاع وحملت النخع وعصى الناس كلهم سعداً فلم ينتظروا الثالثة إلا الرؤساء فلما كبر الثالثة زحفوا فلحقوا بأصحابهم وخالطوا القوم فاستقبلوا الليل استقبالا بعد ما صلوا العشاء (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة عن أبيه قال حمل الناس ليلة الهرير عامّةً ولم ينتظروا بالحملة سعدا وكان أول من حمل القعقاع فقال اللهم اغفرها له وانصره وقال واتميماهْ سائر الليلة ثم قال أرى الأمر ما فيه هذا فإذا كبّرتُ ثلاثا فاحملوا فكبّر واحدة فلحقهم أسد فقيل قد حملت أسد فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم واأسداهْ سائر الليلة ثم قيل حملت النخع فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم وانخعاهْ سائر الليلة ثم قيل حملت بجيلة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم وابجيلتاه ثم حملت الكنود فقيل حملت كندة فقال واكندتاه ثم زحف الرؤساء بمن انتظر التكبيرة فقامت حربهم على ساق حتى الصباح

فذلك ليلة الهرير (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن نويرة عن عمه أنس بن الحُليس قال شهدتُ ليلة الهرير فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم حتى الصباح أفرِغ عليهم الصبر إفراغًا وبات سعد بليلة لم يَبِت بمثلها ورأى العرب والعجم أمرًا لم يروا مثله قط وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد وأقبل سعد على الدعاء حتى إذا كان وجه الصبح انتهى الناس فاستدل بذلك على أنهم الأعلوْن وأن الغلبة لهم (كتب إلىَّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الأعْوَر بن بَيَان المنقرى قال أول شيء سمعه سعد ليلتئذ مما يستدل به على الفتح فى نصف الليل الباقى صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول

نحن قتلْنا مَعْشَرًا وزائدا أربعةً وخمسةً وواحِدا

نُحْسَبُ فوق اللِّبدِ الأساودا حتّى إذا ماتوا دعوتُ جاهِدا

الله ربّى واحترزتُ عامِداً

(كتب إلىَّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الأعور ومحمد عن عمه والنضر عن ابن الرُّفَيْل قالوا اجتلدوا تلك الليلة من أولها حتى الصباح لا ينطقون كلامُهم الهرير فسُميت ليلة الهرير (كتب إلىَّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن الرَّيَّان عن مُصْعَب بن سعد قال بعث سعد فى تلك الليلة بِجادا وهو غلام إلى الصفّ إذ لم يجد رسولا فقال انظر ماترى من حالهم فرجع فقال ما رأيتَ أىْ بُنَىَّ قال رأيتهم يلعبون فقال أو يَجِدّون (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن جرير العَبْدى عن عابِس الجُعْفى عن أبيه قال كانت بإزاء جعفى يوم عماس كتيبة من كتائب العجم عليهم السلاح التامّ فازدلفوا لهم فجالدوهم بالسيوف فرأوا أن السيوف لا تعمل فى الحديد فارتدعوا فقال حَمَيْضة مالكم قالوا لا يجوز فيهم السلاح قال كما أنتم حتى أرِيَكم انظروا فحمل على رجل منهم فدق ظهره بالرمح ثم التفت الى أصحابه فقال ما أراهم إلا يموتون دونكم فحملوا عليهم فأزالوهم الى صفهم (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي قال لا والله ما شهدها من كِنْدة خاصة إلا سبعمائة وكان بإزائهم تُرْك

الطَّبَرى فقال الأشعث ياقوم ازحفوا لهم فزحف لهم فى سبعمائة فأزالهم وقتل تُرْكا فقال راجزهم

نحن تركنا تُركهم فى المَصْطَرْ   مُختضباً من بَهَرانِ الأبْهَرْ

﴿ ليلة القادسية ﴾

﴿كتب الى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا وأصبحوا ليلة القادسية وهى صُبْحة ليلة الهرير وهى تسمى ليلة القادسية من بين تلك الأيام والناس حَسْرَى لم يغمضوا ليلتهم كلها فسار القعقاع فى الناس فقال إن الدبْرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة واحملوا فإن النصر مع الصبر فآثروا الصبر على الجزع فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح ولما رأت ذلك القبائل قام فيها رجال فقام قيس بن عبد يَغوث والأشعث بن قيس وعمرو بن معديكرب وابن ذى السَّهْمَيْن الخثعمى وابن ذى البُرْدَيْن الهلالى فقالوا لا يكونن هؤلاء أجدّ فى أمر الله منكم ولا يكونن هؤلاء لأهل فارس أجرأ على الموت منكم ولا أسخى أنفسا عن الدنيا تَنافَسوها فحملوا مما يليهم حتى خالطوا الذين بإزائهم وقام فى ربيعة رجال فقالوا أنتم أعلم الناس بفارس وأجراهم عليهم فيما مضى فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم بالجرْءَة فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهُرْمزان والبيرزان فتأخروا وثبتا حيث انتهيا وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة وركد عليهم النقْع وهبّت ريحٌ عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت فى العتيق وهى دبور ومال الغبار عليهم وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهى واقفة فاستظل فى ظل بغل وحِمْلِه وضرب هلال بن علّفة الحمل الذى رستم تحته فقطع حباله ووقع عليه أحد العِدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال من ظهره فَقارًا ويضربه ضربة فنفحت مسكا ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحمه هلال عليه فتناوله وقدعام وهلال قائم

فأخذ برجله ثم خرج به إلى الجُدّ فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال وصعد السرير ثم نادى قتلتُ رستم وربِّ الكعبة إلىّ إلىّ فاطافوا به وما يُحِسّون السرير ولا يرونه وكبّروا وتنادَوا وانبثّ قلب المشركين عندها وانهزموا وقام الجالنوس على الردم ونادى أهل فارس إلى العبور وانسفر الغبار فاما المقترنون فانهم جشعوا فتهافتوا فى العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبِّروهم ثلاثون ألفا وأخذ ضرار بن الخطاب دِرَفْش كابيان فعُوِّض منها ثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألف ألف ومائتى ألف وقتلوا فى المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا فى الأيام قبله (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عَطيّة عن عمرو بن سَلِمة قال قتل هلال بن عُلّفة رستمَ يوم القادسيّة (كتب إلى السرىّ) عن شعيب عن سيف عن ابن مِخراق عن أبى كعب الطائىّ عن أبيه قال أصيب من الناس قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف من المسلمين فدُفنوا فى الخندق بحيال مُشرِّق (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا لما انكشف أهل فارس فلم يَبْقَ منهم بين الخندق والعتيق أحد وطبّقت القتلى مابين قدَيْس والعتيق أمر سعد زُهرة باتباعهم فنادى زهرة فى المقدمات وأمر القعقاعَ بمن سفل وشُرَحْبيل بمن علا وأمر خالدَ بن عُرْفُطة بسَلْب القتلى وبدَفْن الشهداء فدُفن الشهداء شهداء ليلة الهرير ويوم القادسية حول قُدَيْس ألفان وخمسمائة وراءَ العتيق بحيال مُشرِّق ودُفن شهداء ما كان قبل ليلة الهرير على مشرِّق وجُمعت الأسلاب والأموالُ فجُمع منها شىءٌ لم يُجمَع قبله ولا بعده مثله وأرسل سعد إلى هلال فدعى له فقال له أين صاحبك قال رميت به تحت أبغُل قال اذهبْ فجِئْ به فذهب فجاء به فقال جَرِّدْه إلا ماشئتَ فأخذ سلبه فلم يَدَعْ عليه شيئاً ولما رجع القعقاع وشرحبيل قال لهذا آغدُ فيما طلب هذا وقال لهذا اغد فيما طلب هذا فعلا هذا وسفل هذا حتى بلغا مقدار الخرّارة من القادسية وخرج زُهرة بن الحَوِيّة فى آثارهم وانتهى إلى الردم وقد بثقوه ليمنعوهم به من الطلب فقال زهرة يابُكَيْر أقدِم فضرب فرسه وكان

يقاتل على الإناس فقال ثِبِي أطْلالُ فتجمعت وقالت وَثْبًا وسورَة البَقَرَةِ وأوثب زهرةُ وكان عن حصان وسائرُ الخيل فاقتحمته وتتابع على ذلك ثلثمائة فارس ونادى زهرة حيث كاعت الخيل خذوا أيها الناس على القنطرة وعارضونا فمضى ومضى الناس إلى القنطرة يتبعونه فلحق بالقوم والجالنوس فى آخرهم يحميهم فشاوله زهرة فاختلفا ضربتين فقتله زهرة وأخذ سلبه وقتلوا مابين الخرارة إلى السَّيْلَحين إلى النَّجَف وأمسوا فرجعوا فباتوا بالقادسية (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عبدالله بن شُبْرُمَة عن شَقيق قال اقتحمنا القادسية صدر النهار فتراجَعْنا وقد أتى الصلاة وقد أصيب المؤذن فتشاح الناس فى الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف فأقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل فأذَّن (ثم رجع الحديث) وتراجع الطلبُ الذين طلبوا مَن علا على القادسية ومن سفل عنها وقد أتى الصلاة وقد قُتل المؤذن فتشاحوا على الأذان فأقرع بينهم سعد وأقاموا بقية يومهم ذلك وليلتَهم حتى رجع زُهرة وأصبحوا وهم جميعٌ لا ينتظرون أحدًا من جندهم وكتب سعد بالفتح وبعدة من قتلوا ومن أصيب من المسلمين وسمّى لعُمَر من يعرف مع سعد بن عُمَيْلة الفزارىّ (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن النضر عن ابن الرُّفيل عن أبيه قال دعانى سعد فأرسلنى أنظر له فى القتلى وأسمى له رؤسهم فأتيته فأعلمته ولم أر رستم فى مكانه فأرسل إلى رجل من التَّيْم يُدعى هلالاً فقال ألم تُبلِغنى أنك قتلت رستم قال بلى قال فما صنعت به قال ألقيته تحت قوائم الأبغُل قال فكيف قتلته فأخبره حتى قال ضربت جبينه وأنفه قال جِئْنا به فأعطاه سلبه وكان قد تخفف حين وقع إلى الماء فباع الذى عليه بسبعين ألفاً وكانت قيمة قلنسوته مائة ألف لو ظفر بها وجاء نفر من العِباد حتى دخلوا على سعد فقالوا أيها الأمير رأينا جسد رستم على باب قصرك وعليه رأس غيره وكان الضرب قد شوّهه فضحك (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا وقال الدَّيْلَم ورؤساء أهل المسالح الذين استجابوا للمسلمين وقاتلوا معهم على غير الإسلام اخواننا الذين دَخلوا فى هذا الأمر من أول الشأن أصوَبُ منا وخير ولا

والله لا يفلح أهل فارس بعد رستم الا من دخل فى هذا الأمر منهم فأسلموا وخرج صبيان العسكر فى القتلى ومعهم الأداوى يسقون من به رمق من المسلمين ويقتلون من به رمق من المشركين وانحدروا من العذيب مع العشاء قال وخرج زهرة فى طلب الجالنوس وخرج القعقاع وأخوه وشرحبيل فى طلب من ارتفع وسفل فقتلوهم فى كل قرية وأجمة وشاطئ نهر ورجعوا فوافوا صلاة الظهر وهنأ الناس أميرهم وأثنى على كل حى خيراً وذكره منهم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن سعيد بن المرزبان قال خرج زهرة حتى أدرك الجالنوس ملكا من ملوكهم بين الخرارة والسيلحين وعليه يارقان وقلبان وقرطان على برذون له قد خضد فحمل عليه فقتله قال والله إن زهرة يومئذ لعلى فرس له ماعنانها إلا من حبل مضفور كالمقود وكذلك حزامها شعر منسوج فجاء بسلبه إلى سعد فعرف الأسارى الذين عند سعد سلبه فقالوا هذا سلب الجالنوس فقال له سعد هل أعانك عليه أحد قال نعم قال من قال فنفله الله سلبه (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن عبيدة عن ابراهيم قال كان سعد استكثر له سلبه فكتب فيه إلى عمر فكتب اليه عمر إنى قد نفلت من قتل رجلا سلبه فدفعه اليه فباعه بسبعين ألفاً * وعن سيف عن البرمكان والمجالد عن الشعبى قال لحق به زهرة فرفع له الكرة فما يخطئها بنشابة فالتقيا فضربه زهرة فجدله ولزهرة يومئذ ذؤابة وقد سود فى الجاهلية وحسن بلاؤه فى الإسلام وسابقة وهو يومئذ شاب فتدرع زهرة ما كان على الجالنوس فبلغ بضعة وسبعين ألفاً فلما رجع إلى سعد نزع سلبه وقال ألا انتظرت اذنى وتكاتبا فكتب عمر إلى سعد تعمد إلى مثل زهرة وقد صلى بمثل ما صلى به وقد بقى عليك من حربك ما بقى تكسر قرنه وتفسد قلبه امض له سلبه وفضله على أصحابه عند العطاء بخمسمائة * وعن سيف عن عبيد عن عصمة قال كتب عمر إلى سعد أنا أعلم بزهرة منك وان زهرة لم يكن ليغيب من سلب سلبه شيئاً فإن كان الذى سعى به إليك كاذباً فلقاه الله مثل زهرة فى عضديه يارقان وإنى قد نفلت كل من قتل رجلا سلبه فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً * وعن سيف عن عبيدة عن إبراهيم وعامر أن

أهل البلاء يوم القادسية فُضلوا عند العطاء بخمسمائة خمسمائة فى أعطياتهم خمسة وعشرين رجلا منهم زهرة وعِصْمة الضَّبىّ والكلَج وأما أهل الأيام فإنه فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على أهل القادسية * وعن سيف عن عبيدة عن يزيد الضخم قال فقيل لعمر لو ألحقتَ بهم أهل القادسية فقال لم أكن لألحق بهم من لم يدرِكهم وقيل له فى أهل القادسية لو فضلت من بعُدَتْ داره على من قاتلهم بفنائه قال وكيف أفضلهم عليهم على بعد دارهم وهم شجَن العدوّ وما سوَّيت بينهم حتى استطبتهم فهلا فعل المهاجرون بالأنصار إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا * وعن سيف عن المجالد عن الشعبي وسعيد بن المرزبان عن رجل من بنى عبْس قال لما زال رستم عن مكانه ركب بغلا فلما دنا منه هلال نزع له نشابة فأصاب قدمه فشكّها فى الركاب وقال بيايَه فأقبل عليه هلال فنزل فدخل تحت البغل فلما لم يصل اليه قطع عليه المال ثم نزل إليه ففلق هامته * وعن سيف عن عبيدة عن شَقيق قال حملنا على الأعاجم يوم القادسية حملة رجل واحد فهزمهم الله فلقد رأيتنى أشرت إلى إسوار منهم فجاء إلى وعليه السلاح التام فضربت عنقه ثم أخذت ما كان عليه * وعن سيف عن سعيد بن المرزبان عن رجل من بنى عَبْس قال أصاب أهل فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب الناس قبلهم قتلوا حتى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه فيضرب عنقه وحتى إنه ليأخذ سلاحه فيقتله به وحتى إنه ليأمر الرجلين أحدَهما بصاحبه وكذلك فى العدّة * وعن سيف عن يونس بن أبى اسحاق عن أبيه عمن شهدها قال أبصر سَلْمان ابن ربيعة الباهلى أناساً من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها وجلسوا تحتها وقالوا لا نبرح حتى نموت فحمل عليهم فقتل من كان تحتها وسلبهم وكان سلمان فارس الناس يوم القادسية وكان أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت والآخر عبد الرحمن بن ربيعة ذو النور ومال على آخرين قد تكتّبوا ونصبوا للمسلمين فطحنهم بخيله * وعن سيف عن الغصن عن القاسم عن البَهِىّ أن الشعبي قال كان يقال لسَلْمَان أبصَر بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور فكان موضع المَحبَس

اليوم دارَ عبدالرحمن بن ربيعة والتى بينها وبين دار المختار دار سَلْمان وأن الأشعث ابن قيس استقطع فِناءً كان قدّامها هو اليوم فى دار المختار فأَقْطِعه فقال له ماجرأك علىَّ يا أشعث والله لئن حُزْتَها لأضربنك بالجُنْثىّ يعنى سيفه فانظر ما يبقى منك بعد فصدف عنها ولم يتعرّض لها؛ وعن سيف عن المهلب ومحمد وطلحة وأصحابه قالوا وثبت بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة استقتلوا واستحيوا من الفرار فأبادهم الله فصمد لهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين ولم يتبعوا فالّة القوم فصمد سلمان بن ربيعة لكتيبة وعبدالرحمن بن ربيعة ذو النور لأُخرى فصمد لكل كتيبة منها رأس من رؤساء المسلمين وكان قتال أهل هذه الكتائب من أهل فارس على وجهَيْن فمنهم من كذب فهرب ومنهم من ثبت حتى قتل فكان ممن هرب من أمراء تلك الكتائب الهرْمزان وكان بإزاء عُطارِد واهود وكان بإزاء حنْظَلة ابن الربيع وهو كاتب النبي صلى الله عليه وسلم وزاذُ بن بُهَيْش وكان بإزاء عاصم ابن عمرو وقارن وكان بإزاء القعقاع بن عمرو وكان ممن استقتل شهْريار بن كنارا وكان بإزاء سلمان وابن الهـرْبِذ وكان بإزاء عبد الرحمن والفرُّخانَ الأهْوازى وكان بإزاء بسر بن أبى رُهْم الجهنى وخسْرَوْ شنوم الهَمَذانى وكان بحيال ابن الهذيْل الكاهلى ثم إن سعداً اتبع بعد ذلك القعقاع وشرحبيل من صوب فى هزيمته أو صعد عن العسكر واتبع زهرةَ بن الحوِيّة الجالنوس

ذكر حديث ابن إسحاق

(قال أبو جعفر الطبرى رحمه الله) رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال ومات المثنى بن حارثة وتزوج سعد بن أبى وقاص امرأته سلمى ابنة خصفة وذلك فى سنة أربعة عشر وأقام تلك الحجّة للناس عمر بن الخطاب ودخل أبو عبيدة ابن الجراح تلك السنة دِمشق فشتا بها فلما أصافت الروم سار هِرَقْل فى الروم حتى نزل أنْطاكِيَةَ ومعه من المستعربة لَخمٌ وجذام وبَقَيْن وبَلِي وعامِلة وتلك القبائل من قُضاعة وغسّانُ بشر كثير ومعه من أهل أرْمينِيَّة مثل ذلك فلما نزلها أقام بها

وبعث الصَّقَّلار خَصِيًّا له فسار بمائة ألف مُقاتل معه من أهل أرمينية اثنا عشر ألفاً عليهم جَرَجة ومعه من المستعربة من غسان وتلك القبائل من قضاعة اثنا عشر ألفاً عليهم جَبَلَة بن الأيهم الغسّانى وسائرهم من الروم وعلى جماعة الناس الصَّقلار خصىّ هرقل وسار إليهم المسلمون وهم أربعة وعشرون ألفا عليهم أبو عبيدة ابن الجراح فالتقوا باليرموك فى رجب سنة خمسة عشر فاقتتل الناس قتالا شديداً حتى دُخل عسكر المسلمين وقاتل نساء من نساء قريش بالسيوف حين دخل العسكر منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام حتى سابقْن الرجال وقد كان انضم إلى المسلمين حين ساروا إلى الروم ناس من لَخْم وجُذام فلما رأوا جِد القتال فروا ونجوا إلى ما كان قُرْبهم من القرى وخذلوا المسلمين ❊ حدثنا ابن حُميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عروة بن الزُّبير عن أبيه قال قال قائل من المسلمين حين رأى من لخم وجذام ما رأى

القومُ لَخْمٌ وجُذَامٌ فى الهَرَبْ ونحنُ والرومُ بمَرْجٍ نَضطرِبْ
فإن يعودوا بَعْدَها لا نَصْطَحِبْ

❊ حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن وهب بن كيسان عن عبد الله ابن الزبير قال كنت مع أبى الزبير عام اليرموك فلما تعبى المسلمون للقتال لبس الزبير لأمتَه ثم جلس على فرسه ثم قال لمولَيين له احبسا عبد الله بن الزبير معكما فى الرحل فإنه غلام صغير قال ثم توجه فدخل فى الناس فلما اقتتل الناس والروم نظرت إلى ناس وقوف على تلّ لا يقاتلون مع الناس قال فأخذت فرساً للزبير كان خلّفه فى الرحل فركبته ثم ذهبت إلى أولئك الناس فوقفت معهم فقلت أنظر ما يصنع الناس فإذا أبو سفيان بن حرب فى مَشْيَخة من قريش من مُهاجرة الفتح وقوفا لا يقاتلون فلما رأونى رأوا غلاما حَدَثاً فلم يتَّقونى قال فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتهم الحرب للروم يقولون إيهٍ إيهٍ بَنِى الأَصْفَر فإذا مالت الروم وركبهم المسلمون قالوا يا ويح بنى الأصفر فجعلتُ أعجب من قولهم فلما هزم الله الروم ورجع الزبير جعلت أحدّثه خبرهم قال فجعل يضحك ويقول قاتلهم الله

أبوا إلا ضِغنًا وماذا لهم إن يظهر علينا الروم لنحن خير لهم منهم ثم إن الله تبارك وتعالى أنزل نصره فهزمت الروم وجموع هرقل التى جمع فأصيب من الروم أهل ارمينية والمستعربة سبعون ألفاً وقتل الله الصقلار وباهان وقد كان هرقل قدمه مع الصقلار حين لحق به فلما هزمت الروم بعث أبو عبيدة عياض بن غنم فى طلبهم فسلك الأعماق حتى بلغ مَلَطْيَة فصالحه أهلها على الجزية ثم انصرف ولما سمع هرقل بذلك بعث إلى مقاتلتها ومن فيها فساقهم إليه وأمر بمَلَطْية فحُرقت وقُتل من المسلمين يوم اليرموك من قريش من بنى أمية بن عبدشمس عمرو بن سعيد بن العاصى وأبان بن سعيد بن العاصى ومن بنى مخزوم عبدالله بن سفيان بن عبدالأسد ومن بنى سهم سعيد بن الحارث بن قيس/قال وفى آخر سنة خمسة عشرة قتل الله رستم بالعراق وشهد أهل اليرموك حين فرغوا منه يوم القادسية مع سعد بن أبى وقاص وذلك أن سعداً حين حسر عنه الشتاء سار من شَراف يريد القادسية فسمع به رستم فخرج إليه بنفسه فلما سمع بذلك سعد وقف وكتب إلى عمر يستمدُّه فبعث إليه عمر المغيرة بن شعبة الثقفى فى أربعمائة رجل مدداً من المدينة وأمدَّ بقيس ابن مكشوح المرادى فى سبعمائة فقدموا عليه من اليرموك وكتب إلى أبى عبيدة أن أمِدَّ سعد بن أبى وقاص أمير العراق بألف رجل من عندك ففعل أبو عبيدة وأمَّر عليهم عِياض بن غنم الفِهْرىَّ وأقام تلك الحِجَّة للناس عمر بن الخطاب سنة خمسة عشرة وقد كان لكسرى مرابطة فى قصر بنى مقاتل عليها النُّعْمان بن قبيصة وهو ابن حَية الطائى ابن عم قبيصة بن إياس بن حية الطائى صاحب الحيرة فكان فى منظرة له فلما سمع بسعد بن أبى وقاص سأل عنه عبدالله بن سنان بن جرير الأسدى ثم الصَّيْداوِىّ فقيل له رجل من قريش فقال أما إذ كان قُرَشِيا فليس بشىء والله لأجاهدنه القتال إنما قريش عبيد من غلب والله ما يمنعون خفيراً ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير فغضب حين قال ذلك عبد الله بن سنان الأسدى فأمهله حتى إذا دخل عليه وهو نائم فوضع الرمح بين كَتِفَيْه فقتله ثم لحق بسعد فأسلم وقال فى قتله النعمان بن قبيصة

لقد غادَرَ الأقوامُ ليلةَ أدْلجوا بقصر العِبادِى ذا الفَعالِ مُجَدَّلا
دَلفتُ له تحت العجاج بِطَعْنةٍ فأصبح منها فى النجيع مُرَمَّلا
أقول له والرمح فى نَغض كِتْفِهِ أبا عامرٍ عنك اليمينُ تَحَلَّلا
سَقَيتُ بها النعْمانَ كأساً رَوِيَّةً وعاطيْتُه بالرمح سَمًّا مُثَمَّلا
تركتُ سباعَ الجَوِّ يَعْرِفْنَ حوله وقد كان عنها لِابن حيَّةَ مَعْزِلا
كفيتُ قريشاً إذ تَغَيَّبَ جَمْعُها وهَدَّمتُ للنعمان عِزًّا مُؤَثَّلا

ولما لحق سعد بن أبى وقاص المغيرة بن شعبة وقيس بن مكشوح فيمن معهما سار إلى رستم حين سمع به حتى نزل قادِس قرية إلى جانب العذيب فنزل الناس بها ونزل سعد فى قصر العذيب وأقبل رستم فى جموع فارس ستين ألفاً مما أُحصِىَ لنا فى ديوانه سوى التباع والرقيق حتى نزل القادسية وبينه وبين الناس العتيق جسرُ القادسية وسعد فى منزله وَجِعٌ قد خرج به قَرْح شديد ومعه أبو محجن بن حبيب الثقفى محبوس فى القصر حبسه فى شرب الخمر فلما أن نزل بهم رستم بعث إليهم أن ابعثوا إلىَّ رجلا منكم جليداً أكلِّمْهُ فبعثوا إليه المغيرة بن شعبة فجاءه وقد فرق رأسه أربع فِرَق فرقة من بين يديه إلى قفاه وفرقة إلى أذنيه ثم عقص شعره ولبس بُردًا له ثم أقبل حتى انتهى إلى رستم ورستم من وراء الجسر العتيق مما يلى العراق والمسلمون من ناحيته الأخرى مما يلى الحجاز فيما بين القادسية والعذيب فكلمه رستم فقال إنكم معشر العرب كنتم أهل شَقاءٍ وجهدٍ وكنتم تأتوننا من بين تاجر وأجير ووافد فأكلتم من طعامنا وشربتم من شرابنا واستظللتم من ظِلالنا فذهبتم فدعوتم أصحابكم ثم أتيتمونا بهم وإنما مَثَلُكم مَثَل رجل كان له حائط من عِنَب فرأى فيه ثعلباً واحداً فقال ما ثعلب واحد فانطلق الثعلب فدعا الثعالب إلى الحائط فلما اجتمعن فيه جاء الرجل فسد الجحر الذى دخلن منه ثم قتلهن جميعاً وقد أعلم أن الذى حملكم على هذا معشر العرب الجهدُ الذى قد أصابكم فارجعوا عنا عامكم هذا فانكم قد شغلتمونا عن عمارة بلادنا وعن عدونا ونحن نُوقِرُ لكم ركائبكم قمحا وتمراً ونأمر لكم بكُسوة فارجعوا عنا عافاكم الله فقال المغيرة

ابن شعبة لا تذكرُ لنا جهداً إلا وقد كنا فى مثله أو أشد منه أفضلُنا فى أنفسنا عيشا الذى يقتل ابن عمه ويأخذ ماله فيأكله نأكل الميتة والدم والعظام فلم نزل كذلك حتى بعث الله فينا نبياً وأنزل عليه الكتاب فدعانا الى الله والى ما بعثه به فصدقه منا مصدّق وكذبه منا آخر فقاتل من صدقه من كذبه حتى دخلنا فى دينه من بين مُوقِن به وبين مقهور حين استبان لنا أنه صادق وأنه رسول من عند الله فأمرنا أن نقاتل من خالفنا وأخبرَنا أن من قُتل منا على دينه فله الجنة ومن عاش ملك وظهر على من خالفه فنحن ندعوك إلى أن تؤمن بالله ورسوله وتدخل فى ديننا فإن فعلت كانت لك بلادك لا يدخل عليك فيها إلا من أحببتَ وعليك الزكاة والخُمس وإن أبيتَ ذلك فالجزية وإن أبيتَ ذلك قاتلناك حتى يحكم الله بيننا وبينك قال له رستم ما كنت أظن أنى أعيش حتى أسمع منكم هذا معشر العرب لا أمسى غداً حتى أفرُغ منكم وأقتلكم كلكم ثم أمر بالعَتيق أن يُسكَر فبات ليلته يسكُر بالزرع والتراب والقَصَب حتى أصبح وقد تركه طريقاً مَهْيَعًا وتعبى له المسلمون فجعل سعد على جماعة الناس خالد بن عُرْفُطة حليف بنى أمية بن عبد شمس وجعل على ميمنة الناس جرير بن عبد الله البَجَلىّ وجعل على ميسرتهم قيس بن المكشوح المُرادىّ ثم زحف إليهم رستم وزحف إليه المسلمون وما عامّةُ جُنَنِهم فيما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر غير براذع الرحال قد عرّضوا فيها الجريد يُترِّسون بها عن أنفسهم وما عامّة ماوضعوه على رؤوسهم إلا أنساع الرحال يطوى الرجل نِسْع رحله على رأسه يتّقى به والفُرس فيما بينهم من الحديد واليلامق فاقتتلوا قتالا شديدا وسعد فى القصر ينظر معه سلمَى بنت خَصَفة وكانت قبله عند المثنى بن حارثة فجالت الخيل فرعبت سلمى حين رأت الخيل جالت فقالت وامثنياهْ ولا مُثنًّى لى اليوم فغار سعد فلطم وجهها فقالت أغَيْرةً وجُبْنًا فلما رأى أبو مِحْجن ما تصنع الخيل حين جالت وهو ينظر من قصر العُذيب وكان مع سعد فيه قال

كَفَى حَزَناً أن تَرْدِىَ الخَيْلُ بالقنَا ... وأُتْرَكَ مشدوداً علَىّ وثاقيا
إذا قمتُ عَنّانى الحديدُ وأُغلِقَتْ ... مَصاريعُ دونى لا تُجيبُ المُناديا

وقدْ كُنْتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوة ‏ ‏ فقَدْ تَرَكونى واحِداً إلاأخا لِيا

فكلّم زَبْراءَ أمّ ولد سعد وكان عندها محبوساً وسعد فى رأس الحصن ينظر إلى الناس فقال يازَبْراءُ أطلقينى ولك علىّ عهد الله وميثاقه لئن لم أقتل لأرجعن إليك حتى تجعلى الحديد فى رجلىّ فأطلقته وحملته على فرس لسعد بلقاءَ وخلت سبيله فجعل يشدّ على العدوّ وسعد ينظر فجعل سعد يعرف فرسه ويُنكرها فلما أن فرغوا من القتال وهزم الله جموع فارس رجع أبو مِحْجن إلى زبراء فأدخل رجله فى قيده فلما نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه تعرق فعرف أنها قد رُكبت فسأل عن ذلك زبراء فأخبرته خبر أبى محجن فخلى سبيله ❊ حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد بن إسحاق قال وقد كان عمرو بن مَعْدِيكرب شهد القادسية مع المسلمين ❊ حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحاق عن عبد الرحمن بن الاسْوَد النَخَعىّ عن أبيه قال شهدت القادسية فلقد رأيت غلاماً منّا من النخع يسوق ستين أو ثمانين رجلا من أبناء الأحرار فقلت لقد أذل الله أبناءَ الأحرار ❊ حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق عن اسماعيل بن أبى خالد مولى بجيلة عن قيس ابن أبى حازم البجلى وكان ممن شهد القادسية مع المسلمين قال كان معنا يوم القادسية رجل من ثقيف فلحق بالفرس مرتدًّا فأخبرهم أن بأس الناس فى الجانب الذى به بَجيلة قال وكُنّا رُبعَ الناس فوجهوا إلينا ستة عشر فيلا وإلى سائر الناس فيلَيْن وجعلوا يُلقون تحت أرجل خيولنا حَسك الحديد ويرشقوننا بالنشّاب فكأنه المطر علينا وقرنوا خيلهم بعضها إلى بعض لئلا يفرّوا قال وكان عمرو بن معديكرب يمرّ بنا فيقول يا معشر المهاجرين كونوا أُسوداً فإنما الأسد من أغنى شأنه فإنما الفارسى تيس إذا ألقى نَيْزكَهُ قال وكان إسوار منهم لا يكاد تسقط له نشابة فقلنا له يا أبا ثور اتقِ ذلك الفارسى فإنه لا تقع له نشابة فتوجّه إليه ورماه الفارسى بنشابة فأصاب قوسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه واستلبه سوارَيْن من ذهب ومِنطقة من ذهب ويَلْمقًا من ديباج وقتل الله رستم وأفاء على المسلمين عسكرَه وما فيه وإنما المسلمون ستة آلاف أو سبعة آلاف وكان الذى قتل رستم هلال

ابن علّفة التيْمى رآه فتوجّه إليه فرماه رستم بنشّابة فأصاب قدمه وهو يتبعه نشكّها إلى ركاب سرجه ورستم يقول بالفارسية بپايه أى كما أنت وحمل عليه هلال بن عُلّفة فضربه فقتله ثم احتز رأسه فعلّقه وولّت الفُرس فأتبعهم المسلمون يقتلونهم فلما بلغت الفرس الخرّارة نزلوا فشربوا من الخمر وطعموا من الطعام ثم خرجوا يتعجبون من رَميهم وأنه لم يعمل فى العرب وخرج جالنوس فرفعوا له كرَةً فهو يرميها ويشكّها بالنشاب ولحق بهم فرسان من المسلمين وهم هنالك فشدّ على جالنوس زُهرة بن حَوِيّة التيمى فقتله وانهزمت الفرس فلحقوا بدير قُرّةَ وما وراءه ونهض سعد بالمسلمين حتى نزل بدير قُرّة على من هنالك من الفرس وقد قدم عليهم وهم بدير قرة عياض بن غَنْم فى مدده من أهل الشأم وهم ألف رجل فأسْهَمَ له سعد ولأصحابه مع المسلمين فيما أصابوا بالقادسية وسعد وَجِعٌ من قَرْحته تلك وقال جرير بن عبد الله

أنا جريرٌ كنيتى أبو عَمْرْ ... قد نَصَرَ ٱللّٰهُ وسَعْدٌ فى القَصْرْ

وقال رجل من المسلمين أيضاً

نُقاتِلُ حتى أنزَلَ ٱللّٰهُ نَصرَهُ ... وسَعْدٌ بباب القادسية مُعْصِمُ
فأبْنا وقد آمَتْ نِساءٌ كثيرةٌ ... ونِسْوَةُ سَعْدٍ ليس فيهنّ أَيِّمُ

قال ولما بلغ ذلك من قولهما سعداً خرج إلى الناس فاعتذر إليهم وأراهم ما به من القرح فى فَخِذَيْه وأَلْيَتَيْه فعذره الناس ولم يكن سعد لَعَمْرى يُجَبَّن فقال سعد يجيب جريرا فيما قال

وما أَرْجُو بَجيلةَ غيرَ أَنّى ... أُؤَمِّلُ أَجْرَهم يوم الحِسابِ
فقد لَقِيَتْ خُيولُهُمُ خيولاً ... وَقَدْ وَقَعَ الفوارِسُ فى ضِرابِ
وقد دلفَتْ بعَرْصتهم فيولٌ ... كأنّ زُهاءَها إبلٌ جِرابُ

ثم إن الفرس هربت من دير قُرّة إلى المدائن يريدون نَهاوَند واحتملوا معهم الذهب والفضة والديباج والفِرِنْد والحرير والسلاح وثياب كسرى وبناته خلوا ما سوى ذلك وأتبعهم سعد الطلبَ من المسلمين فبعث خالد بن عُرْفُطة حليف بنى

أمية ووجه معه عِياض بن غَنْم فى أصحابه وجعل على مقدمة الناس هاشم بن عُتْبة ابن أبى وقاص، على ميمنتهم جرير بن عبد الله البجلى وعلى ميسرتهم زُهرة بن حَوِيّة التميمى وتخلف سعد لما به من الوَجَع فلما أفرق سعد من وجعه ذلك اتبع الناس بمن بقى معه من المسلمين حتى أدركهم دون دجلة على بَهُرَسِير فلما وضعوا على دجلة العسكر والأثقال طلبوا المخاضة فلم يهتدوا لها حتى أتى سعدا عِلج من أهل المدائن فقال أدلكم على طريق تُدركونهم قبل أن يُمْعِنوا فى السير فخرج بهم على مخاضة بقَطْرَبُلَّ فكان أول من خاض المخاضة هاشم بن عُتبة فى رَجْله فلما جاز اتبعته خيله ثم أجاز خالد بن عُرْفُطة بخيلة ثم أجاز عياض بن غَنْم بخيله ثم تتابع الناس فخاضوا حتى أجازوا فزعموا أنه لم يُهتَدَ لتلك المخاضة بعد ثم ساروا حتى انتهوا إلى مُظْلِم سَاباط فأشفق الناس أن يكون به كمين للعدو فتردد الناس وجَبُنوا عنه فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عُتبة فلما أجاز ألاح للناس بسيفه فعرف الناس أن ليس به شىء تخافونه فأجاز بهم خالد بن عُرْفُطة ثم لحق سعد بالناس حتى انتهوا إلى جلولاءَ وبها جماعة من الفرس فكانت وقعة جلولاء بها فهزم الله الفرس وأصاب المسلمون بها من الفىء أفضل مما أصابوا بالقادسية وأصيبت ابنة لكسرى يقال لها منجانة ويقال بل ابنة ابنه وقال شاعر من المسلمين

يارُبَّ مُهْرٍ حَسَنٍ مُطَهَّمْ يَحْمِلُ أثقالَ الغُلامِ المُسْلِمْ
يَنْجُو إلى الرحمنِ من جهنَّمْ يومَ جَلولاءَ ويوم رُسْتُمْ
ويومَ زَحفِ الكوفة المُقدَّمْ ويومَ لاقَى ضَيِّقَةً مُهَزَّمْ
وخَرَّ دينُ الكافِرين للفَمْ

ثم كتب سعد إلى عمر بما فتح الله على المسلمين فكتب اليه عمر أن قف ولا تطلبوا غير ذلك فكتب اليه سعد أيضا إنما هى سُرْبة أدركناها والأرض بين أيدينا فكتب اليه عمر أن قف مكانك ولا تتبعهم واتخذ للمسلمين دار جهرة ومنزل جهاد ولا تجعل بينى وبين المسلمين بحرا فنزل سعد بالناس الأنبار فاجتووها وأصابتهم بها الحُمَّى فلم توافقهم فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك فكتب إلى

سعد أنه لا تصلح العرب الا حيث يصلح البعير والشاة فى منابت العُشب فانظر
فلاة فى جنب البحر فارتَدْ للمسلمين بها منزلا قال فسار سعد حتى نزل كُوَيْفَة عمر بن
سعد فلم توافق الناس مع الذباب والحمى فبعث سعد رجلا من الأنصار يقال له
الحارث بن سلمة ويقال بل عثمانَ بن حُنَيْف أخا بنى عمرو بن عوف فارتاد لهم موضع
الكوفة اليوم فنزلها سعد بالناس وخط مسجدها وخط فيها الخِطَط للناس وقد
كان عمر بن الخطاب خرج فى تلك السنة إلى الشأم فنزل الجابِيَةَ وفُتحت عليه إيلياء
مدينة بيت المقدس وبعث فيها أبو عبيدة بن الجراح حنظلة بن الطُّفيل السُّلَمى إلى
حِمْصَ ففتحها الله على يديه واستعمل سعد بن أبى وقاص على المدائن رجلا من
كِنْدة يقال له شُرَحْبيل بن السمط وهو الذى يقول فيه الشاعر

ألا لَيْتَنى والمَرْءَ سعدَ بن مالك وزَبْراءَ وابن السِمْطِ فى لُجَّة البَحْرِ

ذكر أحوال أهل السواد

(كتب إلى السرىّ) عن شعيب عن سيف عن عبد الملك بن عُمَيْر عن قبيصة
بن جابر قال قال رجل منا يوم القادسية مع الفتح

نقاتل حتى أنزل الله نصره وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فبعث بها فى الناس فبلغت سعدا فقال اللهم إن كان كاذبا أو قال الذى قال رياءً
وسُمْعة وكَذِبًا فاقطع عنى لسانه ويده وقال قبيصة فوالله إنه لواقف بين الصفّين
ومئذ إذ أقبلت نشابة لدعوة سعد حتى وقعت فى لسانه فيبس شِقه فما تكلم بكلمة
حتى لحق بالله (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن المقدام بن شُرَيْح
الحارثى عن أبيه قال قال جرير يومئذ

أنا جرير كنيتى أبو عمرو قد نصر الله وسعد فى القصر

أشرف عليه سعد فقال

وما أرجو بجيلة غير أنى أؤمل أجرها يوم الحساب

وقد لقيت خيولهم خيولا وقد وقع الفوارس فى الضراب
فلولا جَمْعُ قَعقاع بن عَمْرٍو حَمَّالٍ لَلَجُّوا فى الكِذابِ
هُمُ منعوا جُموعَكُم بطَعْنٍ وضَرْبٍ مِثلِ تَشْقيقِ الإهابِ
ولولا ذاك أُلْفِيتُم رَعاعاً تُشَلُّ جموعُكم مثلَ الذبابِ

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن القاسم بن سُلَيْم بن عبد الرحمن السعدى عن عثمان بن رجاء السعدى قال كان سعد بن مالك أجرأ الناس وأشجعهم انه نزل قصرا غير حصين بين الصفين فاشرف منه على الناس ولو أعراه الصف فُواق ناقة أخذ برمته فوالله ما أكرثه هول تلك الأيام ولا أقلقه (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن سليمان بن بشير عن أم كثير امرأة همام بن الحارث النخعى قالت شهدنا القادسية مع سعد مع أزواجنا فلما أتانا أن قد فُرغ من الناس شددنا علينا ثيابنا وأخذنا الهَراوَى ثم أتينا القتلى فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه وما كان من المشركين أجهزنا عليه وتبعنا الصبيان نوليهم ذلك ونصرّفهم به (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عطية وهو ابن الحارث عمن أدرك ذلك قال لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأةً يوم القادسية من بجيلة والنَخَع وكان فى النخع سبعمائة امرأة فارغة وفى بجيلة ألف فصاهر هؤلاء ألف من أحياء العرب وهؤلاء سبعُمائة وكانت النخع تُسمَّى أصهار المهاجرين وبجيلةُ وإنما جرأهم على الانتقال بأثقالهم توطئة خالد والمثنَّى بعد خالد وأبى عُبيدة بعد المثنى وأهل الأيام فلاقَوا بأساً بعد ذلك شديدا (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلّب وطلحة قالوا وكان بُكَيْر بن عبد الله اللَّيْثىّ وعتبه بن فَرْقَد السُّلَمىّ وسِماك بن خَرَشة الانصارىّ وليس بأبى دُجانة قد خطبوا امرأة يوم القادسية وكان مع الناس نساؤهم وكانت مع النخع سبعمائة امرأة فارغة وكانوا يُسمَّون أختان المهاجرين حتى كان قريبا فتزوجهنّ المهاجرون قبل الفتح وبعد الفتح حتى استوعبوهنّ فصار اليهنّ سبعمائة رجل من الأفناء فلما فرغ الناس خطب هؤلاء النفر هذه المرأة وهى أرْوَى ابنة عامر الهِلالية هلالِ النَّخَع وكانت أختها هُنَيْدة تحت القعقاع بن عمرو التميمى

فقالت لأُختها استشيرى زوجك أيهم يراه لنا ففعلت وذلك بعد الوقعة وهم بالقادسية فقال القعقاع سأصفهم فى الشعر فانظرى لاختك وقال

إن كنتِ حاولتِ الدراهم فانكحى سِماكاً أخا الأنصار أوِ ابنَ فَرْقَدِ
وإن كنتِ حاولتِ الطِّعان فيَمِّمِى بُكَيْرًا إذا ماالخيلُ جالَتْ عن الرَّدى
وكلهمُ فى ذِروة المجد نازلٌ فشأنَكُم إنّ البَيانَ عن الغَدِ

وقالوا وكانت العرب توقَّعُ وقعةَ العرب وأهل فارس فى القادسية فيما بين العُذيب إلى عَدَنِ أبْيَنَ وفيما بين الأُبُلّةَ وأيلةَ يرون أن ثبات مُلكهم وزواله بها وكانت فى كل بلد مُصِيخةً اليها تنظُر ما يكون من أمرها حتى إن كان الرجل ليريد الأمر فيقول لا أنظر فيه حتى أنظر ما يكون من أمر القادسية فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجنّ فأتت بها ناساً من الأنس فسبقت أخبار الأنس اليهم قالوا فبدرت امرأة ليلا على جبل بصَنْعَاء لا يدرى من هى وهى تقول

حُيِّيتِ عنّا عِكْرِمَ ابنةَ خالدٍ وما خَيْرُ زادٍ بالقَليلِ المُصَرَّدِ
وحَيّتك عنّى الشمسُ عندطُلوعها وحَيّاكِ عنّى كلُّ ناجٍ مُفَرَّدِ
وحَيّتكِ عنّى عُصْبَةٌ نَخَعِيَّةٌ حِسانُ الوُجوهِ آمَنوا بمُحَمَّدِ
أقاموا لِكِسْرَى يَضْرِبونَ جُنودَه بكلِّ رَقيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
إذا ثَوَّبَ الداعى أناخوا بكَلْكَلٍ مِنَ الموت تَسْوَدُّ الغَياطِل مُجْرَدِ

وسمع أهل اليمامة مجتازاً يغنى بهذه الأبيات

وَجَدْنا الأكْثرين بنى تميمٍ غَداةَ الرَّوْع أصْبَرَهُم رِجالا
هُمُ ساروا بأَرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ إلى لَجَبٍ فَزَرَّتُهُمْ رِعالا
بُحورٌ للاكاسِرِ مِن رِجالٍ كأُسْدِ الغاب تَحْسَبُهُمْ جِبالا
تَرَكْنَ لهم بقادِسَ عِزَّ فَخْرٍ وبالخيفَيْن أيّامًا طِوالا
مُقَطَّعةً أكفهُمُ وسُوق بِمِردَى حَيْثُ قابلَتِ الرِّجالا

قال وسمع بنحو ذلك فى عامة بلاد العرب (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة قالوا وكتب سعد بالفتح وبعدة من قتلوا

وبعدة من أصيب من المسلمين وسُمى لعمر من يعرف مع سعد بن عُمَيلة الفزارىّ وشاركهم النضر بن السرى عن ابن الرُّفيل بن مَيْسور وكان كتابه أما بعد فان الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزَلْزال شديد وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤن مثل زُهائها فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفى الفجاج وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا نَعلَمُهم الله بهم عالِم كانوا يَدْوُون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دَوِىَّ النحل وهم آساد الناس لا يشبِهُهم الأسود ولم يفضُل مَن مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذ لم يُكتَب لهم (كتب إلى السرىّ) عن شعيب عن سيف عن مجالد بن سعيد قال لما أتى عمرَ بن الخطاب نزول رستم القادسية كان يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يُصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى أهله ومنزله قال فلما لقى البشير سأله من أين فأخبره قال يا عبد الله حدثنى قال هزم الله العدو وعمر يخُبّ معه ويستخبره والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه حتى دخل المدينة فاذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين فقال الرجل فهلا أخبرتنى رحمك الله إنك أمير المؤمنين وجعل عمر يقول لا عليك يا أخى (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وزياد قالوا وأقام المسلمون فى انتظار بلوغ البشير وأمر عمر يقومون أقباضهم ويحرزون جندهم ويرمون أمورهم قالوا وتتابع أهل العراق من أصحاب الأيام الذين شهدوا اليرموك ودمشق ورجعوا مُمِدّين لأهل القادسية فتوافوا بالقادسية من الغد ومن بعد الغد وجاء أولهم يوم أغواث وآخرهم من بعد الغد من يوم الفتح وقدمت أمداد فيها مُراد وهمدان ومن أفناء الناس فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عما ينبغى أن يسار به فيهم وهذا الكتاب الثانى بعد الفتح مع نذير بن عمرو ولما أتى عمر الفتح قام فى الناس فقرأ عليهم الفتح وقال إنى حريص على أن لا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض فإذا عجز ذلك عنا تآسينا فى عيشنا حتى نستوى

فى الكفاف ولوددت أنكم علمتم من نفسى مثل الذى وقع فيها لكم ولست معلمكم إلا بالعمل إنى والله ما أنا بملك فأستعبدكم وإنما أنا عبد الله عُرض علىّ الأمانة فإن أبيتها ورددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا فى بيوتكم وترووا سعدتُ وإن أنا حملتها واستتبعتكم إلى بيتى شقيت ففرحتُ قليلا وحزنت طويلا وبقيت لا أقل ولا أرد فأستعتبُ قالوا وكتبوا إلى عمر مع أنس بن الحُليس أن أقواما من أهل السواد ادّعوا عهوداً ولم يقم على عهد أهل الأيام لنا ولم يفِ به أحد علمناه إلا أهل بانقيا وبسما وأهل أُلَّيْس الآخرة وادّعى أهل السواد أن فارس أكرهوهم وحشروهم فلم يخالفوا إلينا ولم يذهبوا فى الأرض وكتب مع أبى الهياج الأسدى يعنى ابن مالك أن أهل السواد جلوا فجاءنا من أمسك بعهده ولم يجلب علينا فتممنا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم وزعموا أن أهل السواد قد لحقوا بالمدائن فأحدِث إلينا فيمن تمّ وفيمن جلا وفيمن ادعى أنه استكره وحشر فهرب ولم يقاتل أو استسلم فأنا بأرض رغيبة فى الأرض خلاء من أهلها وعددنا قليل وقد كثر أهل صُلحنا وإن أعمر لها وأوهن لعدوّنا تألفهم فقام عمر فى الناس فقال إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظه ولا يضر إلا نفسه ومن يتبع السنة وينته إلى الشرائع ويلزم السبيل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة أصاب أمره وظفر بحظه وذلك بأن الله عز وجل يقول (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) وقد ظفر أهل الأيام والقوادس بما يليهم وجلا أهله وأتاهم من أقام على عهدهم فما رأيكم فيمن زعم أنه استُكره وحُشر وفيمن لم يدّع ذلك ولم يُقِم وجلا وفيمن أقام ولم يدع شيئا ولم يَجْل وفيمن استسلم فأجمعوا على أن الوفاء لمن أقام وكف لم يزده غلبه الاخيراً وأنّ من ادّعى فصُدّق أو وفى فبمنزلتهم وإن كذّب نُبذ إليهم وأعادوا صلحهم وأن يجعل أمر من جلا إليهم فإن شاؤا وادعوهم وكانوا لهم على ذمة وإن شاؤا تموا على منعهم من أرضهم ولم يُعطوهم إلا القتال وأن يخيروا من أقام واستسلم الجزاء أو الجلاء وكذلك الفلاح وكتب جواب كتاب أنس ابن الحُليس أما بعد فإن الله جل وعلا أنزل فى كل شىء رخصة فى

بعض الحالات إلا فى أمرين العدل فى السيرة والذكر فأما الذكر فلا رخصة فيه فى حالة ولم يرض منه إلا بالكثير وأما العدل فلا رخصة فيه فى قريب ولا بعيد ولا فى شدة ولا رخاء والعدل وإن رُؤى لينا فهو أقوى وأطفأ للجور وأقمع للباطل من الجور وإن رؤى شديدا فهو أنكش للكفر فمن تم على عهده من أهل السواد ولم يُعِنْ عليكم بشىء فلهم الذمة وعليهم الجزية وأما من ادّعى أنه استكره ممن لم يخالفهم إليكم أو يذهب فى الأرض فلا تصدّقوهم بما ادّعوا من ذلك إلا أن تشاؤوا وإن لم تشاؤوا فانبذ إليهم وأبلغوهم مأمنهم وأجابهم فى كتاب أبى الهيّاج أما من أقام ولم يجل وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد بمقامهم لكم وكفهم عنكم إجابة وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك وكل من ادّعى ذلك فصُدّق فلهم الذمة وإن كذبوا نُبذ إليهم وأما من أعان وجلا فذلك أمر جعله الله لكم فإن شئتم فادعوهم إلى أن يقيموا لكم فى أرضهم ولهم الذمّة وعليهم الجزية وإن كرهوا ذلك فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم فلما قدمت كُتُب عمر على سعد بن مالك والمسلمين عرضوا على من يليهم ممن جلا وتنحى عن السواد أن يتراجعوا ولهم الذمة وعليهم الجزية فتراجعوا وصاروا ذمة كمن تمّ ولزم عهده إلا أن خراجهم أثقل فأنزلوا من ادّعى الاستكراه وهرب منزلتهم وعقدوا لهم وأنزلوا من أقام منزلة ذى العهد وكذلك الفلاحين ولم يدخلوا فى الصلح ما كان لآل كسرى ولا ما كان لمن خرج معهم ولم يُجبهم إلى واحدة من اثنتين الإسلام أو الجزاء فصارت فيئا لمن أفاء الله عليه فهى والصوافى الأولى ملك لمن أفاء الله عليه وسائر السواد ذمة وأخذوهم بخراج كسرى وكان خراج كسرى على رؤس الرجال على ما فى يدأيهم من الحصة والأموال وكان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى ومن صوب معهم وعيال من قاتل معهم وماله وما كان لبيوت النيران والآجام ومستنقع المياه وما كان للسكك وما كان لآل كسرى فلم يتأت قسم ذلك الفىء الذى كان لآل كسرى ومن صوب معهم لأنه كان متفرقا فى كل السواد فكان يليه لأهل الفىء من وثقوا به وتراضوا عليه فهو الذى يتداعاه أهل الفىء لا عظم السواد وكانت الولاة عند

تنازعهم فيها تهاونٍ بقسمة بينهم فذلك الذى شبه على الجهلة أمر السواد ولو أن الحلماء جامعوا السفهاء الذين سألوا الوُلاة قسمة لقسموه بينهم ولكن الحلماء أبوا فتابع الولاة الحلماء وترك قول السفهاء كذلك صنع على رحمه الله وكلّ من طلب إليه قسمُ ذلك فإنما تابع الحلماء وترك قول السفهاء وقالوا لئلا يضرب بعضهم وجوه بعض (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس عن عامر الشعبي قال قلت له السواد ما حاله قال أخذ عنوة وكذلك كل أرض إلا الحصون فجلا أهلها فدُعوا إلى الصلح والذمة فأجابوا وتراجعوا فصاروا ذمة وعليهم الجزاء ولهم المنعة وذلك هو السنّة كذلك صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدومة وبقى ما كان لآل كسرى ومن خرج معهم فيئا لمن أفاء الله عليه (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن طلحة وسفيان عن ماهان قالوا فتح الله السواد عنوة وكذلك كل أرض بينها وبين نهر بلخ إلا حصنا ودعوا إلا الصلح فصاروا ذمة وصارت لهم أرَضوهم ولم يُدخلوا فى ذلك أموال آل كسرى ومن اتبعهم فصارت فيئاً لمن أفاء الله عليه ولا يكون شىء من الفتوح فيئاً حتى يُقسَم وهو قوله ما غنِمتم من شىء مما اقتسمتم (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن بن أبى الحسن قال عامة ما أخذ المسلمون عنوة فدعوهم إلى الرجوع والذمة وعرضوا عليهم الجزاء فقبلوه ومنعوهم * وعن سيف عن عمرو ابن محمد عن الشعبي قال قلت له إن أناسا يزعمون أن أهل السواد عبيد فقال فعلام يؤخذ الجزاء من العبيد أخذ السواد عنوة وكل أرض علمتها إلا حصنا فى جبل أو نحوه فدُعوا إلى الرجوع فرجعوا وقبل منهم الجزاء وصاروا ذمة وإنما يقسم من الغنائم ما تُغنّم فأما مالم يُغنّم وأجاب أهله إلى الجزاء من قبل أن يتغنم فلهم جرت السنة بذلك (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى ضمرة عن عبد الله بن المستورد عن محمد بن سيرين قال البلدان كلها أخذت عنوة إلا حصون قليلة عاهدوا قبل أن يُنزلوا ثم دُعوا يعنى الذين أخذوا عنوة إلى الرجوع والجزاء فصاروا ذمة أهل السواد والجبل كله أمر لم يزل يُصنع فى أهل الفىء وإنما عمل عمر

والمسلمون فى هذا الجزاء والذمة على آخر ماعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وقد كان بعث خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل فأخذها عنوة وأخذ ملكها أُكَيْدِرَ بن عبد الملك أسيراً فدعاه إلى الذمة والجزاء وقد أخذت بلاده عنوة وأخذ أسيرا وكذلك فعل بابنى عريض وقد أخذا فادعيا أنهما أوداؤه فعقد لهما على الجزاء والذمة وكذلك كان أمر يحنة بن رُؤبة صاحب أيلة وليس المعمول به من الأشياء كرواية الخاصة من روى غير ماعمل به أئمة العدول المسلمون فقد كذب وطعن عليهم * وعن سيف عن حجاج الصواف عن مسلم مولى حذيفة قال تزوج المهاجرون والأنصار فى أهل السواد يعنى فى أهل الكتابين منهم ولو كانوا عبيداً لم يستحلوا ذلك ولم يحل لهم أن ينكحوا إماء أهل الكتاب لأن الله تعالى يقول (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً) الآية ولم يقل فتياتهم من أهل الكتابين * وعن سيف عن عبد الملك بن أبى سليمان عن سعيد بن جبير قال بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعد ماولاه المدائن وكثر المسلمات أنه بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها فكتب اليه لا أفعل حتى تخبرنى أحلال أم حرام وماأردت بذلك فكتب اليه لابل حلال ولكن فى نساء الأعاجم خلابة فان أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم فقال الآن فطلقها ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن أشعث بن سوار عن أبى الزبير عن جابر قال شهدت القادسية مع سعد فتزوجنا نساء أهل الكتاب ونحن لانجد كبير مسلمات فلما قفلنا فمنا من طلق ومنا من أمسك وعن سيف عن عبد الملك بن أبى سليمان عن سعيد ابن جبير قال أخذ السواد عنوة فدُعوا إلى الرجوع والجزاء فأجابوا اليه فصاروا ذمة إلا ماكان لآل كسرى وأتباعهم فصار فيئاً لأهله وهو الذى يتحجَّى أهل الكوفة إلى أن جُهل ذلك فحسبوه السواد كله وأما سوادهم فذلك * وعن سيف عن المستنير بن يزيد عن ابراهيم بن يزيد النخعى قال أخذ السواد عنوة فدُعوا إلى الرجوع فمن أجاب فعليه الجزية وله الذمة ومن أبى صار ماله فيئاً فلا يحل بيع شىء من ذلك الفىء فيما بين الجبل إلى العذيب من أرض السواد ولا فى الجبل *

وعن سيف عن محمد بن قيس عن الشعبي بمثله لايحل بيع شيء من ذلك الفيء فيما بين الجبل والعذيب وعن سيف عن عمرو بن محمد عن عامر قال أقطع الزبير وخبّاب وابن مسعود وابن ياسر وابن هبّار أزمان عثمان فان يكن عثمان أخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ أخطأ وهم الذين أخذنا عنهم ديننا وأقطع عمر طلحة وجرير ابن عبد الله والربيّل بن عمرو وأقطع أبامفزر دار الفيل فى عدد ممن أخذنا عنهم وإنما القطائع على وجه النفل من خمس ماأفاء الله * وكتب عمر إلى عثمان بن حنيف مع جرير أما بعد فأقطع جرير بن عبدالله قدر مايقوته لاوكس ولاشطط فكتب عثمان إلى عمر ان جريراً قدم على بكتاب منك تقطعه مايقوته فكرهت أن أمضى ذلك حتى أراجعك فيه فكتب اليه عمر أن قدصدق جرير فأنفذ ذلك وقد أحسنت فى مؤامرتى وأقطع أباموسى وأقطع علىّ رحمه الله كردوس بن هانىء الكردُوسية وأقطع سويد بن غفلة الجعفى * وعن سيف عن ثابت بن هُرَيم عن سويد بن غفلة قال استقطعت عليا رحمه الله فقال اكتب هذا ماأقطع علىّ سويدا أرضا لداذويه مابين كذا إلى كذا وماشاء الله * وعن سيف عن المستنير عن ابراهيم بن يزيد قال قال عمر إذاعاهدتم قوما فابرؤا اليهم من معرّة الجيوش فكانوا يكتبون فى الصلح لمن عاهدوا ونبرأ اليكم من معرّة الجيوش (وقال الواقدى) كانت وقعة القادسية وافتتاحها سنة ستة عشر وكان بعض أهل الكوفة يقول كانت وقعة القادسية سنة خمسة عشر قال والثبت عندنا أنها كانت فى سنة أربعة عشر وأما محمد بن اسحاق فانه قال كانت سنة خمسة عشر وقدمضى ذكرى الرواية عنه بذلك

ذكر بناء البصرة

(قال أبو جعفر) وفى سنة أربعة عشرة أمر عمر بن الخطاب رحمه الله فيمازعم الواقدى الناس بالقيام فى المساجد فى شهر رمضان بالمدينة وكتب إلى الأمصار يأمر المسلمين بذلك (وفى) هذه السنة أعنى سنة أربعة عشرة وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمر بنزولها بمن معه وقطع مادة أهل فارس عن

الذين بالمدائن ونواحيها منهم فى قول المدائنى وروايته وزعم سيف أن البصرة مُصّرت فى ربيع سنة ستة عشر وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جَلولاء وتكريت والحصنين وجهه اليها سعد بأمر عمر ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عنه فحدثنى عمر بن شبة قال حدثنا على بن محمد عن أبى مخنف عن مجالد عن الشعبى قال قُتل مهران سنة أربعة عشر فى صفر فقال عمر لعتبة يعنى ابن غزوان قد فتح الله جل وعز على إخوانكم الحيرة وما حولها وقتل عظيم من عظمائها ولست آمن أن يمدوهم إخوانهم من أهل فارس فإنى أريد أوجهك الى أرض الهند لتمنع أهل تلك الجيزة من امداد اخوانهم على اخوانكم وتقاتلهم لعل الله أن يفتح عليكم فسر على بركة الله واتق الله مااستطعت واحكم بالعدل وصل الصلاة لوقتها وأكثر ذكر الله فأقبل عتبة فى ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وضوى اليه قوم من الأعراب وأهل البوادى فقدم البصرة فى خمسمائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا فنزلها فى شهر ربيع الأول أو الآخر سنة أربعة عشر والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خُشُن فنزل الخُريبة وليس بها الاسبع دساكر بالزابُوقة والخُريبة وموضع بنى تميم والأزد ثنتان بالخُريبة وثنتان بالأزد وثنتان فى موضع بنى تميم وواحدة بالزابوقة فكتب إلى عمر ووصف له منزله فكتب اليه عمر اجمع للناس موضعا واحداً ولا تفرّقهم فأقام عتبة أشهرا لا يغزو ولا يلقى أحداً ٭ وأما محمد بن بشار فانه حدثنا قال حدثنا صفوان بن عيسى الزهرى قال حدثنا عمرو بن عيسى أبو نَعامة العَدَوى قال سمعت خالد بن عمير وشُوَيْساً أبا الرُّقاد قالا بعث عمر ابن الخطاب عتبة بن غزوان فقال له انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا فأقبلوا حتى إذا كانوا بالمِرْبَد وجدوا هذا الكذّان قالوا ماهذه البَصْرَةُ فساروا حتى بلغوا حيال الجسر الصغير فاذا فيه حلفاء وقَصَبَ نابتة فقالوا ههنا أمرتم فنزلوا دون صاحب الفُرات فأتوه فقالوا إن ههنا قوما معهم راية وهم يريدونك فاقبل فى أربعة آلاف إسوار فقال ماهم الا

ماأرى اجعلوا فى أعناقهم الحبال وأتونى بهم فحمل عتبة يرجل وقال إنى شهدت الحرب مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى إذا زالت الشمس قال احملوا فحملوا عليهم فقتلوهم أجمعين فلم يبق منهم أحد الا صاحب الفرات أخذوه أسيرا فقال عتبة ابن غزوان ابغوا النامنزلا هو أنزه من هذا وكان يوم عكاك ووَمَدفر فعوا له منبرا فقام يخطب فقال إن الدنيا قد تصرمت وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصُبابة الإناء ألا وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار فانتقلوا بخير ما بحضرتكم وقد ذكر لى لو أن صخرة ألقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفا ولتملأنه أوعجبتم ولقد ذُكر لى أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم وهو كظيظ ولقد رأيتنى وأنا سابع سبعة مع النبى صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق السمُر حتى تقرحت أشداقنا والتقطت بُردة فشققتها بينى وبين سعد فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا وهو أمير مصر من الأمصار وسيُجربون الناس بعدنا وعن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا لما توجه عتبة بن غزوان المازنى من بنى مازن بن منصور من المدائن إلى فرج الهند نزل على الشاطئ بحيال جزيرة العرب فأقام قليلا ثم أرز ثم شكوا ذلك حتى أمره عمر بأن ينزل الحَجر بعد ثلاثة أوطان إذا جتووا الطين فنزلوا فى الرابعة البصرة والبصرةُ كل أرض حجارتها جص وأمر لهم بنهر يجرى من دجلة فساقوا اليها نهرا للشفة وكان إيطال أهل البصرة البصرة اليوم وإيطان أهل الكوفة الكوفة اليوم فى شهر واحد وأما أهل الكوفة فكان مقامهم قبل نزولها المدائن إلى أن وطنوها وأما أهل البصرة فكان مقامهم على شاطئ دجلة ثم أرزو مرات حتى استقروا وبدَوْا فخنسوا فرسخا وجرّوا معهم نهرا ثم فرسخا ثم جرّوه ثم فرسخا ثم جرّوه ثم أتوا الحجر ثم جرّوه واختُطت على نحو من خطط الكوفة وكان على إنزال البصرة أبو الجرباء عاصم ابن الدُّلف أحد بنى غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم وقد كان قُطبة بن قتادة فيما حدثنى عمر قال حدثنا المدائنى عن النضر بن إسحاق السُّلمى عن قطبة بن قتادة السدوسى يُغير بناحية الخريبة من البصرة كما كان المثنى بن حارثة الشيبانى يغير بناحية الحيرة فكتب

إلى عمر يُعلمه مكانه وأنه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن قِبله من العجم فنفاهم من بلادهم وكانت الأعاجم بتلك الناحية قد هابوه بعد وقعة خالد بنهر المرأة فكتب اليه عمر إنه أتانى كتابك أنك تغير على من قبلك من الأعاجم وقد أصبت ووُفقت أقم مكانك واحذر على من معك من أصحابك حتى يأتيك أمرى فوجه عمر شريح ابن عامر أحد بنى سعد بن بكر إلى البصرة فقال له كن ردءاً للمسلمين بهذه الجبهة فاقبل إلى البصرة فترك بها قطبة ومضى إلى الأهواز حتى انتهى إلى دارس وفيها مسلحة للأعاجم فقتلوه وبعث عمر عتبة بن غزوان ❊ حدثنا عمر قال حدثنى على عن عيسى بن يزيد عن عبد الملك بن حذيفة ومحمد بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير قال إن عمر قال لعتبة بن غزوان إذ وجهه إلى البصرة ياعتبة انى قد استعملتك على أرض الهند وهى حومة من حومة العدو وأرجو أن يكفيك الله ما حولها وأن يعينك عليها وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمى أن يُمدّك بعَرفجة بن هرثمة وهو ذو مجاهدة للعدو ومكايدة فإذا قدم عليك فاستشره وقربه وادع إلى الله فمن أجابك فاقبل منه ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة والا فالسيف فى غير هوادة واتق الله فيما وليت وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إخوتك وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعززت به بعد الذلة وقويت به بعد الضعف حتى صرت أميرا مسلطاً وملكا مطاعا تقول فيسمع منك وتأمر فيطاع أمرك فيالها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على من دونك احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ولهى أخوَفهما عندى عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم أعيذك بالله ونفسى من ذلك أن الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم الدنيا فأرادوها فأرد الله ولا ترد الدنيا واتق مصارع الظالمين ❊ حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا على قال حدثنا أبو اسماعيل الهمدانى وأبو مخنف عن مجالد ابن سعيد عن الشعبى قال قدم عتبة بن غزوان البصرة فى ثلثمائة فلما رأى منبت القصب وسمع نقيق الضفادع قال إن أمير المؤمنين أمرنى أن أنزل أقصى البر من أرض العرب وأدنى أرض الريف من أرض العجم فهذا حيث واجب علينا فيه

طاعة إمامنا فنزل الخريبة وبالأبلة خمسمائة من الأساورة يحمونها وكانت مرفأ لسفن من الصين ومادونها فسار عتبة فنزل دون الاجانة فأقام نحوا من شهر ثم خرج ليه أهل الأبلة فناهضهم عتبة وجعل قطبة بن قتادة السدوسى وقسامة بن زهير المازنىّ فى عشرة فوارس وقال لهما كونا فى ظهرنا فتردان المنهزم وتمنعان من أرادنا من ورائنا ثم التقوا فما اقتتلوا مقدار جزر جزور وقسمها حتى منحهم الله أكتافهم وولوا منهزمين حتى دخلوا المدينة ورجع عتبة إلى عسكره فأقاموا أياما وألقى الله فى قلوبهم الرعب فخرجوا عن المدينة وحملوا ما خفّ لهم وعبروا إلى الفُرات وخلوا المدينة فدخلها المسلمون فاصابوا متاعاً وسلاحاً وسبياً وعينا فاقتسموا العين فأصاب كل رجل منهم درهمان وولى عتبة نافع بن الحارث اقباض الأبلة فأخرج خُمسه ثم قسم الباقى بين من أفاءه الله عليه وكتب بذلك مع نافع بن الحارث وعن بشير بن عبيد الله قال قتل نافع بن الحارث يوم الإبلة تسعة وأبو بَكرة ستة وعن داود بن أبى هند قال أصاب المسلمون بالأبلة من الدراهم ستمائة درهم فأخذ كل رجل درهمين ففرض عمر لأصحاب الدرهمين ممن أخذهما من فتح الأبلة فى الفين من العطاء وكانوا ثلثمائة رجل وكان فتح الأبلة فى رجب أو فى شعبان من هذه السنة وعن الشعبى قال شهد فتح الأبلة مائتان وسبعون فيهم أبو بَكرة ونافع بن الحارث وشبل بن معبد والمغيرة بن شعبة ومُجاشع بن مسعود وأبو مريم البلوى وربيعة بن كلدة بن أبى الصَّلْت الثقفى والحجاج وعن عَباية بن عبد عمرو قال شهدت فتح الأبلة مع عتبة فبعث نافع بن الحارث إلى عمر رحمه الله بالفتح وجمع لنا أهل دُستِ مَيسان فقال عتبة أرى أن نسير إليهم فسرنا فلقينا مرزبان دست ميسان فقاتلناه فانهزم أصحابه وأخذ أسيراً فأخذ قباؤه ومنطقته فبعث به عتبة مع أنس بن حُجية اليشكرى وعن أبى المليح الهذلىّ قال بعث عتبة أنس بن حجية إلى عمر بمنطقة مرزبان دست ميسان فقال له عمر كيف المسلمون قال انثالت عليهم الدنيا فهم يَهيلون الذهب والفضة فرغب الناس فى البصرة فأتوها وعن علىّ ابن زيد قال لما فرغ عتبة من الأبلة جمع له مرزبان دست ميسان فسار إليه عتبة

من الأبلة فقتله ثم سرح مجاشع بن مسعود إلى الفرات وبها مدينة ووفد عتبة إلى عمر وأمر المغيرة أن يصلى بالناس حتى يقدم مجاشع من الفرات فإذا قدم فهو الأمير فظفر مجاشع بأهل الفرات ورجع إلى البصرة وجمع الفيلكان عظيم من عظماء أبزقباذ للمسلمين فخرج إليه المغيرة بن شعبة فلقيه بالمرغاب فظفر به فكتب إلى عمر بالفتح فقال عمر لعتبة من استعملت على البصرة قال مجاشع بن مسعود قال تستعمل رجلا من أهل الوبر على أهل المدر تدرى ما حدث قال لا فاخبره بما كان من أمر المغيرة وأمره أن يرجع إلى عمله فمات عتبة فى الطريق واستعمل عمر المغيرة بن شعبة وعن عبد الرحمن بن جوشن قال شخص عتبة بعد ما قتل مرزبان دست ميسان ووجه مجاشعاً إلى الفرات واستخلفه على عمله وأمر المغيرة بن شعبة بالصلاة حتى يرجع مجاشع من الفرات وجمع أهل ميسان فلقيهم المغيرة وظهر عليهم قبل قدوم مجاشع من الفرات وبعث بالفتح إلى عمر (الطبرى) بإسناده عن قتادة قال جمع أهل ميسان للمسلمين فسار إليهم المغيرة وحلف المغيرة الأثقال فلقى العدو دون دجلة فقالت أردة بنت الحارث بن كلدة لو لحقنا بالمسلمين فكنا معهم فاعتقدت لواءً من خمارها واتخذ النساءُ من خمرهن رايات وخرجن يُردن المسلمين فانتهين إليهم والمشركون يقاتلونهم فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ظنوا أن مددا أتى المسلمين فانكشفوا وأتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدة وعن حارثة بن مُضرب قال فُتحت الأبلة عَنوة فقسم بينهم عتبة كـكة يعنى خبزاً أبيض * وعن محمد بن سيرين مثله (قال الطبرى) وكان ممن سبى من ميسان يسار أبو الحسن البصرى وأرطبان جد عبد الله بن عون بن أرطبان وعن المثنى بن موسى بن سلمة بن المحبق عن أبيه عن جده قال شهدت فتح الأبلة فوقع لى فى سهمى قدر نحاس فلما نظرت إذا هى ذهب فيها ثمانون ألف مثقال فكتب فى ذلك إلى عمر فكتب أن يُصبر يمين سلمة بالله لقد أخذها يوم أخذها وهى عنده نحاس فإن حلف سُلمت إليه وإلا قسمت بين المسلمين قال فحلفتُ فسلمت لى قال المثنى فأصول أموالنا اليوم منها وعن عمرة ابنة قيس قالت لما خرج الناس لقتال أهل الأبلة خرج زوجى

وابنى معهم فأخذوا الدرهمين ومكوكاً زبيب مكوكاً زبيب وإنهم مضوا حتى إذا كانوا حيال الابلة قالوا للعدو نعبر إليكم أو تعبرون إلينا قال بل اعبروا الينا فأخذوا خشب العُشر فأوثقوه وعبروا إليهم فقال المشركون لا تأخذوا أولهم حتى يعبر آخرهم فلما صاروا على الأرض كبروا تكبيرة ثم كبروا الثانية فقامت دوابهم على أرجلها ثم كبروا الثالثة فجعلت الدابة تضرب بصاحبها الأرض وجعلنا ننظر الى رؤس تندر ما نرى من يضربها وفتح الله على أيديهم ﴿ المدائنى ﴾ قال كانت عند عتبة صفية بنت الحارث بن كلدة وكانت أختها أردة بنت الحارث عند شبل بن معبد البجلى فلما ولى عتبة البصرة انحدر معه اصهاره أبو بكرة ونافع وشبل بن معبد وانحدر معهم زياد فلما فتحوا الأبلة لم يجدا قاسما يقسم بينهم فكان زياد قاسمهم وهو ابن أربع عشرة سنة له ذؤابة فأجروا عليه كل يوم دهمين * وقيل ان إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمسة عشر وقيل ستة عشر والأول أصح فكانت إمارته عليها ستة أشهر واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقى سنتين ثم رمى بما رمى واستعمل أبا موسى وقيل استعمل بعد عتبة أبا موسى وبعده المغيرة ﴿ وفيها ﴾ أعنى سنة أربعة عشر ضرب عمر ابنه عبيد الله وأصحابه فى شراب شربوه وأبا محجن وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب وكان على مكة عتاب بن أَسيد فى قول وعلى اليمن يَعلى بن منية وعلى الكوفة سعد بن أبى وقاص وعلى الشأم أبو عبيدة ابن الجراح وعلى البحرين عثمان بن أبى العاص وقيل العلاء بن الحضرمى وعلى عمان حذيفة بن مِحصن

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير قال بعضهم فيها مصّر سعد بن أبى وقاص الكوفة دلهم عليها ابن بقيلة قال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البقّ وانحدرت عن الفلاة فدلهم على موضع الكوفة اليوم

ذكر الوقعة بمَرْج الروم

﴿ وفى هذه السنة ﴾ كانت الوقعة بمرج الروم وكان من ذلك أن أبا عبيدة خرج بخالد بن الوليد من فِحْل الى حِمْص وانصرف بمن أضيف اليهم من اليرموك فنزلوا جميعا على ذى الكَلاع وقد بلغ الخبر هرقل فبعث توذَر البطريق حتى نزل بمرج دمشق وغربها فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم وجمعِهم هذا وقد هجم الشتاء عليهم والجراحُ فيهم فاشية فلما نزل على القوم بمرج الروم نازله يوم نزل عليه شنس الرومى فى مثل خيل توذرا امداداً لتوذرا وردءا لأهل حمص فنزل فى عسكر على حِدة فلما كان من الليل أصبحت الأرض من توذرا بلاقع وكان خالد بازائه وأبو عبيدة بازاء شنس وأتى خالداً الخبر أنّ توذرا قد رحل الى دمشق فأجمع رأيه ورأى أبى عبيدة أن يُتبعه خالد فأتبعه خالد من ليلته فى جريدة وقد بلغ يزيد بن أبى سفيان الذى فعل فاستقبله فاقتتلوا ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فأخذهم من خلفهم فقتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم فأناموهم ولم يفلت منهم إلا الشريد فأصاب المسلمون ما شاؤا من ظَهْر وأداة وثياب وقسم ذلك يزيد بن أبى سفيان على أصحابه وأصحاب خالد ثم انصرف يزيد الى دمشق وانصرف خالد الى أبى عبيدة وقد قتل خالد توذرا وقال خالد

نحن قَتَلْنا توذَرا وشوذرا وقَبلَه ما قد قَتلْنا حَيْـدَرا
نحن أَزَرْنا الغَيْضةَ الأكَيْدِرا

وقد ناهد أبو عبيدة بعد خروج خالد فى أثر توذرا شنس فاقتتلوا بمرج الروم فقتلهم مقتلة عظيمة وقتل أبو عبيدة شنس وامتلأ المرج من قتلاهم فأنتنت منهم الأرض وهرب من هرب منهم فلم يفلتهم وركب أكساءهم الى حمص

ذكر فتح حمْص

﴿ حكى الطبرى ﴾ عن سيف فى كتابه عن أبى عثمان قال ولما بلغ هرقل الخبر بمقتل أهل المرج أمر أمير حمص بالسير والمضىّ الى حمص وقال إنه بلغنى أن طعامهم

لحوم الإبل وشرابهم ألبانها وهذا الشتاء فلا تُقاتلوهم إلا فى كل يوم بارد فإنه لا يبقى الى الصيف منهم أحد هذا جُل طعامه وشرابه وارتحل من عسكره ذلك فأتى الرُّهاء وأخذ عامله بحمص وأقبل أبو عبيدة حتى نزل على حمص وأقبل خالد بعده حتى ينزل عليها فكانوا يُغادون المسلمين ويراوحونهم فى كل يوم بارد ولقى المسلمون بها بردا شديدا والروم حصارا طويلا فأما المسلمون فصبروا ورابطوا وأفرغ الله عليهم الصبر وأعقبهم النصر حتى اضطرب الشتاء وإنما تمسك القوم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء ❊ وعن أبى الزهراء القُشَيْرىّ عن رجل من قومه قال كان أهل حمص يتواصون فيما بينهم ويقولون تمسكوا فإنهم حُفاة فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون فكانت الروم تراجعُ وقد سقطت أقدام بعضهم فى خفافهم وإن المسلمين فى النعال ما أصيب أصبع أحد منهم حتى إذا انخنس الشتاء قام فيهم شيخ لهم يدعوهم الى مصالحة المسلمين قالوا كيف والملك فى سلطانه وعزه ليس بيننا وبينهم شىء فتركهم وقام فيهم آخر فقال ذهب الشتاء وانقطع الرجاء فما تنتظرون فقالوا البِرسام فإنما يسكن فى الشتاء ويظهر فى الصيف فقال إن هؤلاء قوم يعانون ولأن تأتوهم بعهد وميثاق خير من أن تؤخذوا عنوة أجيبونى محمودين قبل أن تجيبونى مذمومين فقالوا شيخ خَرِف ولا علم له بالحرب وعن أشياخ من غسان وبَلْقين قالوا أثاب الله المسلمين على صبرهم أيام حمص أن زلزل بأهل حمص وذلك أن المسلمين ناهدوهم فكبروا تكبيرة زلزلت معها الروم فى المدينة وتصدعت الحيطان ففزعوا الى رؤسائهم والى ذوى رأيهم ممن كان يدعوهم الى المسالمة فلم يجيبوهم وأذلوهم بذلك ثم كبروا الثانية فتهافتت منها دور كثيرة وحيطان وفزعوا الى رؤسائهم وذوى رأيهم فقالوا ألا ترون الى عذاب الله فأجابوهم لا يطلب الصلح غيركم فأشرفوا فنادوا الصلح الصلح ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم فأجابوهم وقبلوا منهم على انصاف دورهم وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبنيانهم لا ينزلونه عليهم فتركوه لهم فصالح بعضهم على صلح دمشق على دينار وطعام على كل جريب أبدا أيسروا أو أعسروا وصالح بعضهم على قدر طاقته إن

زاد ماله زيد عليه وإن نقص نُقص وكذلك كان صلح دمشق والأردُن بعضهم على شيء إن أيسروا وإن أعسروا وبعضهم على قدر طاقته ووُلوا مُعاملة ماجلا ملوكهم عنه وبعث أبو عبيدة السمط بن الأسود فى بنى معاوية والأشعث بن مِئناس فى السكون معه ابن عابِس والمقداد فى بَـلِيّ وبلالا وخالدا فى الجيش والصبّاح ابن شُتَير وذُهيل بن عطية وذا شِمستان فكانوا فى قصبتها وأقام فى عسكره وكتب الى عمر بالفتح وبعث بالأخماس مع عبد الله بن مسعود وقد وفّده وأخبره خبر هرقل وأنه عبر الماء الى الجزيرة فهو بالرُّهاء ينغمس أحيانا ويطلع أحياناً فقدم ابن مسعود على عمر فرده ثم بعثه بعد ذلك الى سعد بالكوفة ثم كتب الى أبى عبيدة أن أقم فى مدينتك وادع أهل القوة والجلد من عرب الشأم فانى غير تارك البعثة اليك بمن يكانفك إن شاء الله

حديث قِنسْرين

وعن أبى عثمان وجارية قالا وبعث أبو عبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد الى قِنسْرين. فلما نزل بالحاضر زحف اليهم الروم وعليهم مِيناس وهو رأس الروم وأعظمهم فيهم بعد هرقل فالتقوا بالحاضر فقتل ميناس ومن معه مقتلة لم يُقتلوا مثلها فأما الروم فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحد وأما أهل الحاضر فارسلوا إلى خالد انهم عرب وانهم إنما حشروا ولم يكن من رأيهم حربه فقبل منهم وتركهم ولما بلغ عمر ذلك قال أمّر خالد نفسه يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منى وقد كان عزله والمثنى مع قيامه وقال انى لم أعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلوا اليهما فلما كان من أمره وأمر قنسرين ما كان رجع عن رأيه وسار خالد حتى نزل قنسرين فتحصنوا منه فقال إنكم لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا قال فنظروا فى أمرهم وذكروا ما لقى أهل حمص فصالحوه على صلح حمص فأبى إلا على إخراب المدينة فأخربها واتطأت حمص وقنسرين فعند ذلك خنس هرقل وإنما كان سبب خنوسه أن خالداً حين قتل ميناس ومات الروم على دمه وعقد لأهل الحاضر

وترك قنسرين طلع من قبل الكوفة عمر بن مالك من قبل قَرْقيسيا وعبد الله ابن المُعتم من قبل المْوصل والوليد بن عقبة من بلاد بنى تغلب فى تغلب وعرب الجزيرة وطووا مدائن الجزيرة عن نحو هرقل وأهل الجزيرة فى حران والرقة ونصيبين وذواتها لم يُغرضوا غرضهم حتى يرجعوا اليهم إلا أنهم خلفوا فى الجزيرة الوليد لئلا يؤتوا من خلفهم فأدرب خالد وعياض مما يلى الشأم وأدرب عمر وعبد الله مما يلى الجزيرة ولم يكونوا أدربوا قبله ثم رجعوا فهى أول مُدربة كانت فى الإسلام سنة ستة عشر فرجع خالد إلى قنسرين فنزلها وأتته امرأته فلما عزله قال إن عمر ولانى الشأم حتى إذا صارت بثنية وعسلا عزلنى (قال أبو جعفر الطبرى) ثم خرج هرقل نحو القسطنطينية فاختلف فى حين شخوصه اليها وتركه بلاد الشأم فقال ابن اسحاق كان ذلك سنة خمسة عشر وقال سيف كان سنة ستة عشر

ذكر خبر ارتحال هِرقل إلى القسطنطينية

ذكر سيف عن أبى الزهراء القشيرى عن رجل من بنى قشير قالوا لما خرج هرقل من الرهاء واستتبع أهلها قالوا نحن ههنا خير منا معك وأبوا أن يتبعوه وتفرقوا عنه وعن المسلمين وكان أول من أنبح كلابها وانفر دجاجها زياد بن حنظلة وكان من الصحابة وكان مع عمر بن مالك مسانده وكان حليفاً لبنى عبد بن قُصى وقبل ذلك ما قد خرج هرقل حتى شمشاط فلما نزل القوم الرهاء أدرب فنفذ نحو القسطينية ولحقه رجل من الروم كان أسيراً فى أيدى المسلمين فافلت فقال أخبرنى عن هؤلاء القوم فقال أحدثك كأنك تنظر اليهم فُرسان بالنهار ورهبان بالليل ما يأكلون فى ذمتهم إلا بثمن ولا يدخلون إلا بسلام يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه فقال لئن كنت صدقتنى ليرثن ما تحت قدَمىّ هاتين * وعن عبادة وخالد أن هرقل كان كلما حج بيت المقدس نخلف سُورية وظعن فى أرض الروم التفت فقال عليك السلام يا سورية تسليم مودِّع لم يقض منك وطره وهو عائد فلما توجه المسلمون نحو حمص عبر الماء فنزل الرهاء فلم يزل بها حتى طلع أهل

الكوفة وفتحت قنسرين وقتل ميناس فخنس عند ذلك إلى شمشاط حتى إذا فصل منها نحو الروم علا على شرف فالتفت ونظر نحو سورية وقال عليك السلام ياسورية سلاما لا اجتماع بعده ولا يعود إليك رومى أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤم ويا ليته لا يولد ما أحلى فِعله وأمرّ عاقبته على الروم * وعن أبى الزهراء وعمرو بن ميمون قالا لما فصل هرقل من شمشاط داخلا الروم التفت إلى سورية فقال قد كنت سلمت عليك تسليم المسافر فأما اليوم فعليك السلام ياسورية تسليم المفارق ولا يعود إليك رومى أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤم وليته لم يولد ومضى حتى نزل القسطنطينية وأخذ أهل الحصون التى بين اسكندرية وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون فى عمارة مابين أنطاكية وبلاد الروم وشعث الحصون فكان المسلمون لا يجدون بها أحداً وربما كمن عندها الروم فأصابوا غرة المتخلفين فاحتاط المسلمون لذلك

ذكر فتح قَيْسارية وحصر غزة

ذكر سيف عن أبى عثمان وأبى حارثة عن خالد وعبادة قالا لما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص من فحل نزل عمرو وشرحبيل على بيسان فافتتحاها وصالحته الأردن واجتمع عسكر الروم بأجنادين وبيسان وغزة وكتبوا إلى عمر بتفرقهم فكتب إلى يزيد بأن يدفئ ظهورهم بالرجال وأن يسرح معاوية إلى قيسارية وكتب إلى عمرو يأمره بصدم الأرطبون وإلى علقمة بصدم الفيقار وكان كتاب عمر إلى معاوية أما بعد فانى قد وليتك قيسارية فسر اليها واستنصر الله عليهم وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله أالله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير فانتهى الرجلان إلى ما أمرا به وسار معاوية فى جنده حتى نزل على أهل قيسارية وعليهم ابنى فهزمه وحصره فى قيسارية ثم انهم جعلوا يزاحفونه وجعلوا لا يزاحفونه من مرة إلا هزمهم وردهم إلى حصنهم ثم زاحفوه آخر ذلك وخرجوا من صياصيهم فاقتتلوا فى حفيظة واستماتة فبلغت

قتلاهم فى المعركة ثمانين ألفاً وكملها فى هزيمتهم مائة ألف وبعث بالفتح مع رجلين من بنى الضبيب ثم خاف منهما الضعف فبعث عبد الله بن علقمة الفراسى وزهير ابن الحلاب الخثعمى وأمرهما أن يتبعاهما ويسبقاهما فلحقاهما فطوياهما وهما نائمان وابن علقمة يتمثل وهى هجيراه

أَرَّقَ عَينى أَخَوا جُـذَامِ　　كيف أنامُ وهما أمامِى

إذ يرحَلانِ والهَجيرُ طامى　　أخو حُشَيْمٍ وأخو حَرامِ

وانطلق علقمة بن مُجَزِّز فحصر الفيقار بغزة وجعل يراسله فلم يشفه مما يريد أحد فأتاه كأنه رسول علقمة فأمر الفيقار رجلا أن يقعد له بالطريق فاذا مر قتله ففطن علقمة فقال إن معى نفراً شركائى فى الرأى فأنطلق فآتيك بهم فبعث إلى ذلك الرجل لا تعرض له فخرج من عنده ولم يعد وفعل كما فعل عمر بالأرطبون وانتهى يدير معاوية إلى عمر بالخبر فجمع الناس وأباتهم على الفرح ليلا فحمد الله وقال لتحمدوا الله على فتح قيسارية وجعل معاوية قبل الفتح وبعده يحبس الأسرى عنده ويقول ما صنع ميخائيل بأسرانا صنعنا بأسراهم مثله فقطمه عن العبث بأسرى المسلمين حتى افتتحها

ذكر فتح بَيْسان ووقعة أَجْنادينْ

ولما توجه علقمة إلى غزّة وتوجه معاوية إلى قَيسارية صمد عمرو بن العاصى إلى الأرْطبون ومر بإزائه وخرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته واستخلف على عمل الاردُنّ أبا الأعوَر وولى عمرو بن العاصى مجنبتيه عبدالله بن عمرو وجنادة ابن تميم المالكى مالك بن كنانة فخرج حتى ينزل على الروم بأجنادين والروم فى حصونهم وخنادقهم وعليهم الأرطبون وكان الأرطبون أدهى الروم وأبعدها غورا وأنكاها فعلا وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيما وبإيلياء جنداً عظيما وكتب عمرو إلى عمر بالخبر فلما جاءه كتاب عمرو قال قد رمينا أرطبون الروم وبأرطبون العرب فانظروا عم تنفرج وجعل عمر رحمه الله من لدن وجه أمراء الشأم يمد

كل أمير جند ويرميه بالأمداد حتى إذا أتاه كتاب عمرو بتفريق الروم كتب إلى يزيد أن يبعث معاوية فى خيله إلى قيسارية وكتب إلى معاوية يأمره على قتال أهل قيسارية وليشغلهم عن عمرو وكان عمرو قد استعمل علقمة بن حكيم الفراسى ومسروق بن فلان العكى على قتال أهل إيلياء فصاروا بإزاء أهل إيلياء فشغلوهم عن عمرو وبعث أبا أيوب المالكى إلى الرملة وعليها التذارق وكان بإزائهما ولما تتابعت الأمداد على عمرو بعث محمد بن عمرو مدداً لعلقمة ومسروق وبعث عمارة ابن عمرو بن أمية الضمرى مدداً لأبى أيوب وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد وقال أرطبون فى نفسه والله إن هذا لعمرو أو إنه للذى يأخذ عمرو برأيه وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله ثم دعا حرسياً فساره بقتله فقال اخرج فقم مكان كذا وكذا فإذا مر بك فاقتله وفطن له عمرو فقال قد سمعت منى وسمعت منك فأما ما قلته فقد وقع منى موقعاً وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنكانفه ويشهدنا أموره فارجع فآتيك بهم الآن فإن رأوا فى الذى عرضت مثل الذى أرى فقد رآه أهل العسكر والأمير وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم وكنت على رأس أمرك فقال نعم ودعا رجلا فساره وقال اذهب إلى فلان فرده إلى فرجع إليه الرجل وقال لعمرو انطلق فجئ بأصحابك فخرج عمرو ورأى أن لا يعود لمثلها وعلم الرومى بأنه قد خدعه فقال خدعنى الرجل هذا أدهى الخلق فبلغت عمر فقال غلبه عمرو لله عمرو وناهده عمرو وقد عرف مأخذه وعاقبته والتقوا ولم يجد من ذلك بداً فالتقوا بأجنادين فاقتتلوا قتالا شديداً كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم ثم إن أرطبون انهزم فى الناس فأوى إلى إيلياء ونزل عمرو أجنادين ولما أتى أرطبون إيلياء أفرج له المسلمون حتى دخلها ثم أزالهم إلى أجنادين فانضم علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيوب إلى عمرو بأجنادين وكتب أرطبون إلى عمرو بأنك صديقى ونظيرى أنت فى قومك مثلى فى قومى والله لا تفتتح من فلسطين شيئاً

بعد أجنادين فارجع ولا تغر فتلقى ما لقى الذين قبلك من الهزيمة فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية فأرسله إلى أرطبون وأمره أن يغرب ويتنكر وقال استمع ما يقول حتى تخبرنى به إذا رجعت إن شاء الله وكتب إليه جاءنى كتابك وأنت نظيرى ومثلى فى قومك لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتى وقد علمت أنى صاحب فتح هذه البلاد وأستعدى عليك فلاناً وفلانا وفلانا لوزرائه فأقرئهم كتابى ولينظروا فيما بينى وبينك فخرج الرسول على ماأمره به حتى أتى أرطبون فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر فاقترأه فضحكوا وتعجبوا وأقبلوا على أرطبون فقالوا من أين علمت أنه ليس بصاحبها قال صاحبها رجل اسمه عمر ثلاثة أحرف فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر وكتب إلى عمر يستمده ويقول إنى أعالج حربا كؤدا صدوما وبلادا ادخرت لك فرأيك ولما كتب عمرو إلى عمر بذلك عرف أن عمرا لم يقل إلا بعلم فنادى فى الناس ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية وجميع ما خرج عمر إلى الشأم أربع مرات فأما الأولى فعلى فرس وأما الثانية فعلى بعير وأما الثالثة فقصر عنها ان الطاعون مستعر وأما الرابعة فدخلها على حمار فاستخلف عليها وخرج وقد كتب مخرجه أول مرة إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية ليوم سماه لهم فى المجردة وأن يستخلفوا على أعمالهم فلقوه حيث رفعت لهم الجابية فكان أول من لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل وأخذ الحجارة فرماهم بها وقال سرع سَرْعَ ما لَفَتُّم عن رأيكم إياى تستقبلون فى هذا الزى وإنما شبعتم منذ سنتين سَرْعَ ماندت بكم البِطْنة وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين إنها يلامقة وإن علينا السلاح قال فنعم إذا وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشرحبيل بأجنادين لم يتحركا من مكانهما

ذكر فتح بيت المقدس

وعن سالم بن عبد الله قال لما قدم عمر رحمه الله الجابية قال له رجل من يهود يا أمير المؤمنين لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء فبينا عمر

ابن الخطاب بها إذ نظر إلى كردوس من خيل مقبل فلما دنوا منه سلوا السيوف فقال عمر هؤلاء قوم يستأمنون فأمنوهم فأقبلوا فإذا هم أهل إيلياء فصالحوه على الجزية وفتحوها له فلما فتحت عليه دعا ذلك اليهودى فقيل له إن عنده لعلما قال فسأله عن الدجال وكان كثير المسألة عنه فقال له اليهودى وما مسألتك عنه يا أمير المؤمنين فأنتم والله معشر العرب تقتلونه دون باب لُدٍّ ببضع عشرة ذراعا وعن سالم قال لما دخل عمر الشأم تلقاه رجل من يهود دمشق فقال السلام عليك يافاروق أنت صاحب إيلياء لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء وكانوا قد أشجوا عمراً وأشجاهم ولم يقدر عليها ولا على الرملة فبينا عمر معسكرا بالجابية فزع الناس إلى السلاح فقال ماشأنكم فقالوا ألا ترى الخيل والسيوف فنظر فإذا كردوس يلمعون بالسيوف فقال عمر مستأمِنة ولا تُراعوا وأمّنوهم فأمنوهم وإذا هم أهل إيلياء فأعطوه واكتتبوا منه على إيلياء وحيزها والرملة وحيزها فصارت فلسطين نصفين نصفٌ مع أهل إيلياء ونصف مع أهل الرملة وهم عشر كور وفلسطين تعدل الشأم كله وشهد ذلك اليهودىّ الصلح فسأله عمر عن الدجال فقال هو من بنى بنيامين وأنتم والله يامعشر العرب تقتلونه على بضع عشرة ذراعاً من باب لدّ وعن خالد وعبادة قالا كان الذى صالح على فلسطين العوامّ من أهل إيلياء والرملة وذلك أنّ أرطبون والتذارِق لحقا بمصر مقدم عمر الجابية وأصيبا بعد فى بعض الصوائف وقيل كان سبب قدوم عمر إلى الشأم أن أبا عبيدة حضر بيت المقدس فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشأم وأن يكون المتولّى للعقد عمر بن الخطاب فكتب إليه بذلك فسار عن المدينة وعن عَدِىّ بن سهل قال لما استمد أهل الشأم عمر على أهل فلسطين استخلف عليا وخرج ممدّاً لهم فقال علىّ أين تخرج بنفسك انك تريد عدوّاً كلبا فقال إنى أبادر بجهاد العدو موت العبّاس إنكم لو قد فقدتم العباس لانتقض بكم الشرّ كما تنتقض أولُ الحبْل قال فانضم عمرو وشرحبيل إلى عمر بالجابية حين جرى الصلح فيما بينهم فشهد الكتاب وعن خالد وعبادة قال صالح عمر أهل إيلياء بالجابية وكتب لهم فيها

الصلح لكل كورة كتابا واحدا ماخلا أهل إيلياء بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماأعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيّزِها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكنُ بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يُعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بِيَعهم وصُلُبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاصى وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان وكتب وحضر سنة خمسة عشر فأما سائر كتُبهم فعلى كتاب لُدّ بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ماأعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل لُد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم أنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا ينتقض منها ولا من حيزها ولا مِللها ولا من صلبهم ولا من أموالهم ولا يُكرهون على دينهم ولا يُضارّ أحد منهم. وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يُعطوا الجزية كما يعطى أهل مدائن الشأم وعليهم ان خرجوا مثل ذلك الشرط الى آخره ثم سرّح إليهم وفرق فلسطين. على رجلين فجعل علقمة بن حكيم على نفسها وأنزله الرملة وعلقمة بن مُجزّز على صفها وأنزله إيلياء فنزل كل واحد منهما فى عمله فى الجنود التى معه وعن سالم

قال استعمل علقمة بن مجزز على ايلياء وعلقمة بن حكيم على الرملة فى الجنود التى كانت مع عمرو وضم عمراً وشُرَحْبيل اليه بالجابية فلما انتهيا الى الجابية وافقا عمر رحمه الله راكباً فقبّلا ركبتيه وضم عمر كل واحد منهما محتضنهما وعن عبادة وخالد قالا ولما بعث عمر بأمان أهل ايلياء وسكّنها الجند شخص الى بيت المقدس من الجابية فرأى فرسه يتوجّى فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه فهزه فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال قبح الله من علمك هذا ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياما يوقحه فركبه ثم سار حتى انتهى الى بيت المقدس وعن أبى صفية شيخ من بنى شيبان قال لما أتى عمر الشأم أتى ببرذون فركبه فلما سار جعل يتخلج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لاعلّم الله من علمك هذا من الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وفتحت ايلياء وأرضها كلها على يديه ماخلا أجنادين على يدى عمرو وقيسارية على يدى معاوية وعن أبى عثمان وأبى حارثة قالا افتتحت ايلياء وأرضها على يدى عمر فى ربيع الآخر سنة ستة عشر وعن أبى مريم مولى سلامة قال شهدتُ فتح ايلياء مع عمر رحمه الله فسار من الجابية فاصلا حتى يقدم ايلياء ثم مضى حتى يدخل المسجد ثم مضى حتى يدخل المسجد ثم مضى نحو محراب داود ونحن معه فدخله ثم قرأ سجدة داود فسجد وسجدنا معه وعن رجاء بن حيْوة عمن شهد قال لما شخص عمر من الجابية الى ايلياء فدنا من باب المسجد قال ارقُبوا لى كعبا فلما انفرق به الباب قال لبّيْك اللهم لبيك بما هو أحب اليك ثم قصد المحراب محراب داود عليه السلام وذلك ليلا فصلى فيه ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة فتقدم فصلى بالناس وقرأ بهم «ص» وسجد فيها ثم قام وقرأ بهم فى الثانية صدر بنى اسرائيل ثم ركع ثم انصرف فقال علىّ بكعب فأتى به فقال أين ترى أن نجعل المصلّى فقال الى الصخرة فقال ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعَك نعليك فقال أحببتُ أن أباشره بقدمى فقال قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورها اذهب اليك فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة فجعل قبلته صدره ثم قام من مُصلاه إلى كناسة

قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس فى زمان بنى اسرائيل فلما صار اليهم أبرزوا بعضها وتركوا سائرها وقال يا أيها الناس اصنعوا كما أصنع وجثا فى أصلها وحثا فى فرج من فروج قبائه وسمع التكبير من خلفه وكان يكره سُوء الرِعَة فى كل شيء فقال ماهذا فقالوا اكبر كعب وكبر الناس بتكبيره فقال علىَّ به فأتى به فقال يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ على ماصنعت اليوم نبى منذ خمسمائة سنة فقال وكيف فقال إن الروم أغاروا على بنى اسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ثم أديلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بنى اسرائيل ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وليت فبعث الله نبياً على الكُناسة فقال أبشرى أورى شَلَم عليك الفاروق ينقيك مما فيك وبعث إلى القُسطنطينية نبى فقام على تلها فقال يا قُسطنطينية مافعل أهلك ببيتى أخربوه وشبهوك كعرشى وتأولوا على فقد قضيت عليك أن أجعلك جلحاء يوماً ما لا يأوى إليك أحد ولا يستظل فيك علىّ أيدى بنى القاذروسبا وودان فما أمسوا حتى مابقى منه شيء وعن ربيعة الشامى بمثله وزاد أتاك الفاروق فى جندى المُطيع ويُدركون لأهلك بثأرك فى الروم وقال فى قسطنطينية أدعك جلحاء بارزة للشمس لا يأوى اليك أحد ولا تظلينه وعن أنس بن مالك قال شهدت ايلياء مع عمر فبينا هو يطعم الناس يوما بها أتاه راهبها وهو لا يشعر أن الخمر محرمة فقال هل لك فى شراب نجده فى كتبنا حلالا إذا حرمت الخمر فدعاه به فقال من أى شيء هذا فأخبره أنه طبخه عصيراً حتى صار إلى ثلثه فغرف بإصبعه ثم حركه فى الإناء فشطره فقال هذا طلاء فشبهه بالقطران وشرب منه وأمر أمراء الأجناد بالشأم به وكتب فى الأمصار إنى أتيت بشراب مما قد طبخ من العصير حتى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه كالطلاء فاطبخوه وارزقوه المسلمين وعن أبى عثمان وأبى حارثة قالا ولحق أرطبون بمطر مقدم عمر الجابية ولحق به من أحب ممن أبى الصلح ثم لحق عند صُلح أهل مصر وغلبهم بالروم فى البحر وبقى البحر وبقى بعد ذلك فكان يكون على صوائف الروم والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له ضُريس فقطع يد القيسى وقتله

القيسي فقال

فإن يَكُنْ أَرْطبونُ الرُّوم أَفسدَها ... فإنّ فيها بحمد اللهِ مُنْتَفَعا
بَنانَتان وجُرْموزٌ أقيم به ... صَدْرَ القَناةِ إذا ما آنَسوا فَزَعا
وإنْ يَكُنْ أَرْطَبونُ الرُّومِ قَطَّعها ... فقَدْ تَرَكتُ بها أوصالَه قِطَعا

وقال زياد بن حنظلة

تَذَكَّرتُ حَرْبَ الرُّوم لما تَطاوَلَتْ ... وإذ نَحْنُ فى عامٍ كثيرٍ نزائلُهْ
وإذْ نَحْنُ فى أَرْضِ الحجازِ وبَيْننَا ... مَسيرةُ شَهْرٍ بَيْنَهُنَّ بَلابِلُهْ
وإذ أَرْطَبُونُ الرومِ يَحْمِى بِلادَهُ ... يُحاوِلُهُ قَرْمٌ هُناكَ يُساجِلُهْ
فلما رأى الفاروق أَزْمانَ فَتْحِها ... سَما بِجُنودِ اللهِ كَيما يُصاوِلُهْ
فلما أَحَسّوهُ وخافوا صِوالَهُ ... أَتَوْهُ وقالوا أَنْتَ مِمَّنْ نُواصِلُهْ
وأَلْقَتْ إلَيْهِ الشأْمُ أَفْلاذَ بَطْنِها ... وعَيْشاً خَصيبًا ما تُعَدُّ مَآكِلُهْ
أَباحَ لَنا ما بَيْنَ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ ... مَواريث أَعْقابٍ بَنَتْها قَرامِلُهْ
وكَمْ مُثْقَلٍ لَمْ يَضْطَلِعْ باحْتِمالِهِ ... تَحَمَّلَ عِبْأً حينَ شالَتْ شَوائلُهْ

وقال أيضا

سَما عُمَرٌ لما أَتَتْهُ رَسائِلُ ... كأَصْيَدَ يَحْمِى صِرْمَةَ الحَىِّ أَغْيَدَا
وقد عَضِلَتْ بالشأْمِ أَرْضٌ بأَهلِها ... تريدُ مِن الأقوامِ مَن كانَ أَنْجَدا
فلما أَتاهُ ما أتاهُ أَجابَهُم ... بجَيْشٍ تَرَى مِنهُ الشَّبائِكَ سُجَّدَا
وأَقبَلَتِ الشأمُ العَريضَةُ بالذى ... أَراد أبو حَفْص وأَزْكى وأَزْيَدا
فقَسَّطَ فيما بَيْنَهُم كُلَّ جِزْيَةٍ ... وكلَّ رِفادٍ كان أَهْنَا وأَحْمَدا

ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

وفى هذه السنة فرض عمر للمسلمين الفروض ودون الدواوين وأعطى العطايا على السابقة وأعطى صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسُهيل بن عمرو فى أهل الفتح أقل ما أخذ من قبلهم فامتنعوا من أخذه وقالوا لا نعترف أن يكون أحد

أكرم منا فقال إنى إنما أعطيتكم على السابقة فى الإسلام لا على الأحساب قالوا فنعم إذاً وأخـذوا وخرج الحارث وسهيل بأهليهما نحو الشأم فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا فى بعض تلك الدروب وقيل ماتا فى طاعون عَمَواس ولما أراد عمر وضع الديوان قال له على وعبد الرحمن بن عوف ابدأ بنفسك قال لا بل أبدأ بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب ففرض للعباس وبدأ به ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد بدر إلى الُحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف فى ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبى بكر ومن ولى الأيام قبل القادسية كلُّ هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشأم ألفين ألفين وفرض لأهل البلاء البارع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة فقيل له لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيام فقال لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا وقيل له قد سوّيت من بُعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فنائه فقال من قربت داره أحق بالزيادة لأنهم كانوا ردءاً للحوق وشجى للعدو فهلا قال المهاجرون مثل قولكم حين سوينا بين السابقين منهم والأنصار فقد كانت نُصرة الأنصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون من بُعد وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً ثم فرض للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة ثم للروادف الثليث بعدهم ثلثمائة ثلثمائة سوّى كلَّ طبقة فى العطاء قويّهم وضعيفهم عربَهم وعجمهم وفرض للروادف الربيع على مائتين وخمسين وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها الحسن والحسينَ وأبا ذَر وسلمان وكان فرض للعباس خمسة وعشرين ألفاً وقيل اثنى عشر ألفا وأعطى نساء النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف إلا من جرى عليها الملك فقال نسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضّلنا عليهن فى القِسمة فسوِّ بيننا ففعل وفضّل عائشة بألفين لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها فلم تأخذ وجعل نساء أهل بدر فى خمسمائة

خمسمائة ونساءَ مَن بعدهم إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة ونساء من بعد ذلك إلى الأيام ثلثمائة ثلثمائة ونساء أهل القادسية مائتين مائتين ثم سوّى بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ثم جمع ستين مسكينا وأطعمهم الخبز فأحصوا ما أكلوا فوجدوه يخرج من جريبتين ففرض لكل إنسان منهم ولعياله جريبتين في الشهر وقال عمر قبل موته لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف ألفا يجعلها الرجل فى أهله وألفا يزودها معه وألفا يتجهز بها وألفا يترفق بها فمات قبل أن يفعل (قال أبو جعفر الطبرى) كتب إلى السرى عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وزياد والمجالد وعمرو عن الشعبي واسماعيل عن الحسن وأبى ضمرة عن عبد الله بن المُستورد عن محمد بن سيرين ويحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب والمستنير بن يزيد عن إبراهيم وزهرة عن أبى سلمة قالوا فرض عمر العطاء حين فرض لأهل الفىء الذين أفاء الله عليهم وهم أهل المدائن فصاروا بعد إلى الكوفة انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والأردن وفِلسطين ومِصر وقال الفىء لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم ألا فيهم سُكنت المدائن والقرى وعليهم جرى الصلح وإليهم أدى الجزاء وبهم سُدت الفروج ودُوخ العدو ثم كتب فى إعطاء أهل العطاء أعطياتهم إعطاءً واحداً سنة خمسة عشر وقال قائل يا أمير المؤمنين لو تركت فى بيوت الأموال عدة لكون إن كان فقال كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانى الله شرها وهى فتنة لمن بعدى بل أعدلهم ما أمرنا الله ورسوله طاعة لله ورسوله فهما عدّتنا التى بها أفضينا إلى ما ترون فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد قالوا لما فتح الله على المسلمين وقتل رستم وقدمت على عمر الفتوح من الشأم جمع المسلمين فقال ما يحل للوالى من هذا المال فقالوا جميعا أما لخاصته فقوته وقوت عياله لا وَكْسَ ولا شَطَطَ وكسوتهم وكسوته للشتاء والصيف ودابتان إلى جهاده وحوائجه وحُمْلانه إلى حجه وعمرته والقسم بالسوية أن يعطى أهل البلاء على قدر

بلائهم ويرمّ أمور الناس بعد ويتعاهدهم عند الشدائد والنوازل حتى تُكشف ويبدأ بأهل الفئ (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال جمع الناس عمر بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق فقال إنى كنت امرءاً تاجراً يغنى الله عيالى بتجارتى وقد شغلتمونى بأمركم فماذا ترون أنه يحل لى من هذا المال فأكثر القوم وعلى عليه السلام ساكت فقال ما تقول ياعلى فقال ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ليس لك من هذا المال غيره فقال القوم القول قول ابن أبى طالب (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد عن عبيد الله عن نافع عن أسلم قال قام رجل الى عمر بن الخطاب فقال مايحل لك من هذا المال فقال ما أصلحنى وأصلح عيالى بالمعروف وحُلة الشتاء وحلة الصيف وراحلة عمر للحج والعمرة ودابة فى حوائجه وجهاده (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مُبَشّر بن الفضيل عن سالم بن عبد الله قال لما ولى عمر قعد على رزق أبى بكر الذى كانوا فرضوا له فكان بذلك فاشتدت حاجته فاجتمع نفر من المهاجرين منهم عثمان وعلى وطلحة والزبير فقال الزبير لو قلنا لعمر فى زيادة نزيدها إياه فى رزقه فقال على وددنا قبل ذلك فانطلقوا بنا فقال عثمان إنه عمر فهلموا فلنستبرئ ماعنده من وراء نأتى حفصة فنسألها ونستكتمها فدخلوا عليها وأمروها أن تخبر بالخبر عن نفر ولا تسمى له أحداً إلا أن يقبل وخرجوا من عندها فلقيت عمر فى ذلك فعرفت الغضب فى وجهه وقال من هؤلاء قالت لاسبيل إلى علمهم حتى أعلم رأيك فقال لو علمت من هم لسؤت وجوههم أنت بينى وبينهم أنشدك بالله ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك من الملبس قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد ويخطب فيهما للجمع قال فأى الطعام ناله عندكِ أرفعَ قالت خبزنا خبزة شعير فصبينا عليها وهى حارة أسفل عُكة لنا فجعلناها هشة دسمة فأكل منها وتطعم منها استطابة لها قال فأى مبسط كان يبسطه عندك كان أوطأ قالت كِساء لنا ثخين كنا نربعه فى الصيف فنجعله تحتنا فاذا كان الشتاء بسطنا نصفه

وتدثرنا بنصفه قال ياحفصة فأبلغيهم عنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية وانى قدّرت فوالله لأضعن الفضول مواضعها ولاتبلغن بالترجية وإنما مَثَلى ومثل صاحبى كثلاثة سلكوا طريقا فمضى الأول وقد تزود وزادفبلغ ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى اليه ثم اتبعه الثالث فان لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما وكان معهما وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عطية عن أصحابه والضحاك عن ابن عباس قال لما افتُتِحت القادسية وصالح من صالح من أهل السواد وافتُتِحت دمشق وصالح أهل دمشق قال عمر للناس اجتمعوا فأحضرونى علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسية وأهل الشأم فاجتمع رأى عمر وعلىّ على أن يأخذوا من قبل القرآن فقالوا ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى يعنى من الخمس فلله وللرسول إلى الله وإلى الرسول من الله الأمر وعلى الرسول القسم ولذى القربى واليتامى والمساكين الآية ثم فسّروا ذلك بالآية التى تليها للفقراء المهاجرين الآية فأخذوا الأربعة الأخماس على ماقسم عليه الخمس فيمن بُدئ به وثنى وثلّث وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه المغنم ثم استشهدوا على ذلك أيضا واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه فقسم الأخماس على ذلك واجتمع على ذلك عمر وعلىّ وعمل به المسلمون بعده فبدأ بالمهاجرين ثم بالأنصار ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ثم فرض الاعطية من الجزاء على من صالح أودعى إلى الصلح من جزائه مردود عليهم بالمعروف وليس فى الجزاء أخماس والجزاء لمن منع الذمة ووفى لهم ممن ولى ذلك منهم ولمن لحق بهم فاعانهم الا أن يؤاسوا بفضله من طيب أنفس منهم من لم ينل مثل الذى نالوا (قال الطبرى) وفى هذه السنة أعنى سنة خمسة عشر كانت وقعات فى قول سيف بن عمرو فى قول ابن اسحاق كان ذلك فى سنة ستة عشر وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل وكذلك ذلك فى قول الواقدى نذكر الآن الأخبار التى وردت بما كان بين ماذكرت من الحروب إلى انقضاء السنة التى ذكرتُ أنهم اختلفوا فيما كان فيها من ذلك

(كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وعمرو وسعيد قالوا عهد عمر إلى سعد حين أمره بالسير إلى المدائن أن يخلف النساء والعيال بالعتيق ويجعل معهم كَثفا من الجند ففعل وعهد اليه أن يُشركهم فى كل مغنم ماداموا يخلفون المسلمين فى عيالاتهم قالوا وكان مُقام سعد بالقادسية بعد الفتح شهرين فى مكاتبة عمر فى العمل بما ينبغى فقدّم زُهرة نحو اللسان واللسان لسان البر الذى أدلعَه فى الريف وعليه الكوفة اليوم والحيرة قبل اليوم والنخيرجان معسكِر به فارفضّ ولم يثبت حين سمع بمسيرهم اليه فلحق بأصحابه قالوا فكان مما يلعب به الصبيان فى العسكر وتلقيه النساء عليهم وهم على شاطئ العتيق أمر كان النساء يلعبن به فى زَرودوذى قارى وتلك الأمواه حين أمروا بالسير فى جمادى إلى القادسية وكان كلاما أبدن فيه كالأوابد من الشعر لأنه ليس بين جمادى ورجب شيء

العَجَبُ كُلُّ العَجَبْ * بين جُمادى ورَجَبْ * أَمْرٌ قَضاه قد وَجَبْ
يَخْبُرُهُ مَن قد شَجَبْ * تحت غبارٍ وَلَجَبْ

خبر يوم بُرس

قال ثم إن سعدا ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسية كله وبعد تقديم زُهرة ابن الحوية فى المقدّمات إلى اللسان ثم أتبعه عبدالله بن المعتَم ثم أتبع عبدالله شرحبيل بن السمط ثم أتبعهم هاشم بن عتبة وقد ولاه خلافته عمل خالد بن عُرفطة وجعل خالدا على الساقة ثم أتبعهم وكل المسلمين فارس مؤد قد نقل الله اليهم ما كان فى عسكر فارس من سلاح وكراع ومال لأيام بقين من شوال فسار زهرة حتى ينزل الكوفة والكوفة كل حصباء وسهلة حمراء مختلطتَين ثم نزل عليه عبدالله وشرحبيل وارتحل زهرة حين نزلا عليه نحو المدائن فلما انتهى إلى برس لقيه بها بُصبُهرى فى جمع فناوشوه فهزمهم فهرب بصبهرى ومن معه إلى بابل وبها فالة القادسية وبقايا رؤسائهم النخيرجان ومهران الرازى والهرمزان وأشباههم فأقاموا

واستعملوا عليهم الفيرزان وقدم عليهم بصبهرى وقد نجا بطعنة فمات منها (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السرى عن ابن الرفيل عن أبيه قال طعن زهرة بصبهرى فى يوم برس فوقع فى النهر فمات من طعنته بعد ما لحق ببابل ولما هُزم بصبهرى أقبل بسطام دهقان برس فاعتقد من زهرة وعقد له الجسور وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل

يوم بابل

قالوا ولما أتى بسطام زهرة بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من فلال القادسية أقام وكتب إلى سعد بالخبر ولما نزل سعد على من بالكوفة مع هاشم بن عتبة وأتاه الخبر عن زهرة باجتماع الفرس ببابل على الفيرزان قدم عبدالله وأتبعه شرحبيل وهاشما ثم ارتحل بالناس فلما نزل عليهم برس قدم زهرة فأتبعه عبدالله وشرحبيل وهاشما وأتبعهم فنزلوا على الفيرزان ببابل وقد قالوا نقاتلهم دستا قبل أن نفترق فاقتتلوا ببابل فهزموهم فى أسرع من لفت الرداء فانطلقوا على وجوههم ولم يكن لهم همة إلا الافتراق فخرج الهرمزان متوجها نحو الأهواز فأخذها فأكلها ومهرجان قذق وخرج الفيرزان معه حتى طلع على نهاوند وبها كنوز كسرى فأخذها وأكل الماهين وصمد النخيرجان ومهران الرازى للمدائن حتى عبرا بهرسير إلى جانب دجلة الآخر ثم قطعا الجسر وأقام سعد ببابل أياما وبلغه أن النخيرجان قد خلف شهريار دهقانا من دهاقين الباب بكوثى فى جمع فقدم زهرة ثم اتبعه الجنود فخرج زهرة حتى ينزل على شهريار بكوثى بعد قتل فيومان والفرخان فيما بين سورا والدير (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السرى عن ابن الرفيل عن أبيه قال كان سعد قدم زهرة من القادسية فمضى متشعباً فى حربه وجنده ثم لم يلق جمعاً فهزمهم إلا قدم فأتبعهم لا يمرون بأحد إلا قتلوه ممن لحقوا به منهم وأقام لهم حتى إذا قدمه من بابل قدم زهرة بكير بن عبدالله الليثى وكثير بن شهاب السعدى أخا الغلاق حين عبر الصراة فيلحقون بأخريات القوم

وفيهم فيومان والفَرخان هذا ميَسانى وهذا أهوازى فقتل بكير الفرخان وقتل كثير فيومان بسورا ثم مضى زهرة حتى جاوز سورا ثم نزل وأقبل هاشم حتى نزل عليه وجاء سعد حتى ينزل عليهم ثم قدّم زهرة فسار تلقاء القوم وقد أقاموا له فيما بين الدير وكوثى وقد استخلف النخيرجان ومهران على جنودهما شهريار دهقان الباب ومضيا إلى المدائن وأقام شهريار فيما هنالك فلما التقوا بأكناف كوثى جيش شهريار وأوائل الخيل خرج فنادى ألا رجل ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إلىّ حتى أنكل به فقال زهرة لقد أردت أن أبارزك فاما إذ سمعت قولك فإنى لا أخرج إليك إلا عبداً فإن أقمتَ له قتلك إن شاء الله ببغيك وإن فررت منه فإنما فررت من عبد وكايده ثم أمر أبا نَباتة نائل بن جُعشم الأعرجى وكان من شجعان بنى تميم فخرج إليه ومع كل واحد منهما الرمح وكلاهما وثيق الخلق الا انّ الشهريار مثل الجمل فلما رأى نائلا ألقى الرمح ليعتنقه وألقى نائلٌ رمحه ليعتنقه وانتضيا سيفيهما فاجتلدا ثم اعتنقا فخرا عن دابتيهما فوقع على نائل كأنه بيت فضغطه بفخذه وأخذ الخنجر وأراغ حل ازرار درعه فوقعت ابهامه فى فم نائل فحطم عظمها ورأى منه فُتوراً فثاوره فجلد به الأرض ثم قعد على صدره وأخذ خنجره فكشف درعه عن بطنه فطعن فى بطنه وجنبه حتى مات فأخذ فرسه وسِواريه وسلبه وانكشف أصحابه فذهبوا فى البلاد وأقام زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد فأتى به سعداً فقال سعد عزمت عليك يا نائل بن جعشم لما لبست سواريه وقباءه ودرعه ولتركبن برذونه وغنمه ذلك كله فانطلق فتدرع سلبه ثم أتاه فى سلاحه على دابته فقال اخلع سواريك الا ان ترى حرباً فتلبسهما فكان أول رجل من المسلمين سُور بالعراق (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا أقام سعد بكوثى أياما وأتى المكان الذى جلس فيه ابراهيم عليه السلام بكوثى تنزل جانب القوم الذين كانوا يبشرون ابراهيم وأتى البيت الذى كان فيه ابراهيم عليه السلام محبوسا فنظر اليه وصلى على رسول الله وعلى ابراهيم وعلى أنبياء الله صلوات الله عليهم وقرأ «وتلك الأيام نداولها بين الناس»

حديث بهرسير فى ذى الحجة سنة خمسة عشر فى قول سيف

(كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو والنضر عن ابن الرُّفيل قالوا ثم إن سعداً قدم زهرة الى بَهُرَسير فمضى زهرة من كوثى فى المقدمات حتى ينزل بهرسير وقد تلقاه شيرزاذ بساباط بالصلح وتأدية الجزاء فأمضاه الى سعد فاقبل معه وتبعته المجنّبات وخرج هاشم وخرج سعد فى أثره وقد فلّ زهرة كتيبة كسرى بُوران حول المظلم وانتهى هاشم الى مظلم ساباط ووقف لسعد حتى لحق به فوافق ذلك رجوع المُقرّط أسد كان لكسرى قد ألفه وتخيره من أسود المظلم وكانت به كتائب كسرى التى تُدعى بوران وكانوا يحلفون بالله كل يوم لا يزول مُلك فارس ماعشنا فبادر المقرّط الناس حين انتهى اليهم سعد فنزل اليه هاشم فقتله وسُمى سيفه المتنَ فقبّل سعد رأس هاشم وقبّل هاشم قدم سعد فقدمه سعد الى بَهُرَسير فنزل الى المظلم وقرأ «أولم تكونوا أقسمتم من قبلُ مالكم من زوال» فلما ذهب من الليل هدأة ارتحل فنزل على الناس ببهرسير وجعل المسلمون كلما قدمت خيل على بهرسير وقفوا ثم كبروا فكذلك حتى نجز آخر من مع سعد فكان مقامه بالناس على بهرسير شهرين وعبروا فى الثالث * وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد وعلى الطائف يعلى بن منية وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبى العاص وعلى عمان حذيفة بن محصن وعلى كور الشأم أبو عبيدة بن الجراح وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبى وقاص وعلى قضائها أبو فروة وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبة

ثم دخلت سنة ست عشرة

(قال أبو جعفر) ففيها دخل المسلمون مدينة بهرسير وافتتحوا المدائن وهرب منها يزدجرد بن شهريار

ذكر بقية خبر دخول المسلمين مدينة بهرسير

(كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلّب وقالوا لما

نزل سعد على بهرسير بث الخيول فأغارت على مابين دجلة الى من له عهد من أهل الفرات فأصابوا مائة ألف فلاح فحسبوا فأصاب كل منهم فلاحا وذلك ان كلهم فارس ببهرسير فخندق لهم فقال له شيرزاذ دهقان ساباط انك لا تصنع بهؤلاء شيئا إنما هؤلاء علوج لأهل فارس لم يجروا اليك فدعهم الىّ حتى يفرق لكم الرأى فكتب عليه بأسمائهم ودفعهم اليه فقال شيرزاذ انصرفوا الى قراكم وكتب سعد الى عمر إنا وردنا بهرسير بعد الذى لقينا فيما بين القادسية وبهرسير فلم يأتنا أحد لقتال فبثثت الخيول فجمعت الفلاحين من القرى والآجام فر رأيك فأجابه إن من أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يعينوا عليكم فهو أمانهم ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به فلما جاء الكتاب خلى عنهم وراسله الدهاقين فدعاهم الى الإسلام والرجوع أو الجزاء ولهم الذمة والمنعة فتراجعوا على الجزاء والمنعة ولم يدخل فى ذلك ما كان لآل كسرى ومن دخل معهم فلم يبق فى غربى دجلة الى أرض العرب سوادىّ إلا أمن واغتبط بملك الإسلام واستقبلوا الخراج وأقاموا على بهرسير شهرين يرمونها بالمجانيق ويدبون اليهم بالدبابات ويقاتلونهم بكل عُدة (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن المقدام بن شُرَيح الحارثى عن أبيه قال نزل المسلمون على بهرسير وعليها خنادقها وحرسها وعُدة الحرب فرموهم بالمجانيق والعرادات فاستصنع سعد شيرزاذ المجانيق فنصب على أهل بهرسير عشرين منجنيقا فشغلوهم بها (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السرىّ عن ابن الرُّفيل عن أبيه قال فلما نزل سعد على بهرسير كانت العرب مطيفة بها والعجم متحصنة فيها وربما خرج الأعاجم يمشون على المُسَنَّيات المشرفة على دجلة فى جماعتهم وعُدتهم لقتال المسلمين فلا يقومون لهم فكان آخر ما خرجوا فى فى رجالة وناشبة وتجردوا للحرب وتبايعوا على الصبر فقاتلهم المسلمون فلم يثبتوا لهم فكذبوا وتولوا وكانت على زهرة بن الحوية درع مفصومة فقيل له لو أمرت بهذا الفصم فسرد فقال ولم قالوا نخاف عليك منه قال إنى لكريم على الله ان ترك سهم فارس الجند كله ثم أتانى من هذا الفصم حتى يثبت فىّ

فكان أول رجل من المسلمين أصيب يومئذ بنشابة فثبتت فيه من ذلك الفصم فقال بعضهم انزعوها عنه فقال دعونى فان نفسى معى ما دامت فى لعلى أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة أو خطوة فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهربراز من أهل اصطخر فقتله وأحيط به فقتل وانكشفوا (كتب إلىَّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن عبد الله بن سعيد بن ثابت عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد عن عائشة أم المؤمنين قالت لما فتح الله عز وجل وقتل رستم وأصحابه بالقادسية وفضت جموعهم أتبعهم المسلمون حتى نزلوا المدائن وقد ارفضت جموع فارس ولحقوا بجبالهم وتفرقت جماعتهم وفرسانهم إلا أن الملك مقيم فى مدينتهم معه من بقى من أهل فارس على أمره (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن سماك بن فلان الهجيمى عن أبيه ومحمد بن عبد الله عن أنس بن الحليس قال بينا نحن محاصرو بهرسير بعد زحفهم وهزيمتهم أشرف علينا رسول فقال إن الملك يقول لكم هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم فبدر الناس أبو مفزر الأسود ابن قطبة وقد أنطقه الله بما لا يدرى ماهو ولا نحن فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون إلى المدائن فقلنا يا أبا مفزر ما قلت له فقال لا والذى بعث محمداً بالحق ما أدرى ما هو إلا أن على سكينة وأنا أرجو أن أكون قد أنطقت بالذى هو خير وانتاب الناس يسألونه حتى سمع بذلك سعد فجاءنا فقال يا أبا مفزر ما قلت فوالله إنهم لهراب فحدثه بمثل حديثه إيانا فنادى فى الناس ثم نهد بهم وإن مجانيقنا لتخطر عليهم فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج إلينا إلا رجل نادى بالأمان فآمناه فقال ان بقى فيها أحد فما يمنعكم فتسورها الرجال وافتتحناها فما وجدنا فيها شيئاً ولا أحداً إلا أسارى أسرناهم خارجاً منها فسألناهم وذلك الرجل لأى شىء هربوا فقالوا بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه بأنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عسل افريذين بأترج كوثى فقال الملك واويله إلا أن الملائكة تكلم على ألسنتهم ترد علينا وتجيبنا عن العرب والله لئن لم يكن كذلك ما هذا إلا

شيء ألقى على فى هذا الرجل لننتهى فأرزوا إلى المدينة القصوى (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا لما دخل سعد والمسلمون بهرسير أنزل سعد الناس فيها وتحول العسكر اليها وحاول العبور فوجدوهم قد ضموا السفن فيما بين البطائح وتكريت ولما دخل المسلمون بهرسير وذلك فى جوف الليل لاح لهم الأبيض فقال ضرار بن الخطاب الله أكبر أبيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله وتابعوا التكبير حتى أصبحوا * فقال محمد وطلحة وذلك ليلة نزلوا على بهر سير (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الأعمش عن حبيب بن صهبان أبى مالك قال دفعنا إلى المدائن يعنى بهر سير وهى المدينة الدنيا فحصرنا ملكهم وأصحابه حتى أكلوا الكلاب والسنانير قال ثم لم يدخلوا حتى ناداهم مناد والله ما فيها أحد فدخلوها وما فيها أحد

حديث المدائن القصوى التى كان فيها منزل كسرى

قال سيف وذلك فى صفر سنة ستة عشر قالوا ولما نزل سعد بهرسير وهى المدينة الدنيا طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى فلم يقدر على شيء ووجدهم قد ضموا السفن فأقاموا ببهرسير أياما من صفر يريدونه على العبور فيمنعه الابقاء على المسلمين حتى أتاه اعلاج فدلوه على مخاضة تخاض إلى صلب الوادى فأبى وتردد عن ذلك وفجئهم المد فرأى رؤيا أن خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت وقد أقبلت من المد بأمر عظيم فعزم لتأويل رؤياه على العبور وفى سنة جود صيفها متتابع فجمع سعد الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون اليه معه وهم يخلصون اليكم إذا شاءوا فيناوشونكم فى سفنهم وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه فقد كفاكموهم أهل الأيام وعطلوا ثغورهم وأفنوا ذادتهم وقد رأيت من الرأى أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل فندب سعد الناس إلى العبور ويقول من يبدأ ويحمى

لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج فانتدب له عاصم ابن عمرو ذو البأس وانتدب بعده ستمائة من أهل النجدات فاستعمل عليهم عاصما فسار فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة وقال من ينتدب معى لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا فانتدب له ستون منهم أصم بنى ولاد وشرحبيل فى أمثالهم فجعلهم نصفين على خيول إناث وذكورة ليكون أسلس لعوم الخيل ثم اقتحموا دجلة واقتحم بقية الستمائة على أثرهم فكان أول من فصل من الستين أصم التيم والكلج وأبو مفزر وشرحبيل وحجل العجلى ومالك بن كعب الهمدانى وغلام من بنى الحارث بن كعب فلما رآهم الأعاجم وما صنعوا أعدوا للخيل التى تقدمت سعداً مثلها فاقتحموا عليهم دجلة فأعاموها اليهم فلقوا عاصما فى السرعان وقد دنا من الفراض فقال عاصم الرماح الرماحَ أشرعوها وتوخّوا العيون فالتقوا فاطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا نحو الجد والمسلمون يشمصون بهم خيلهم ما يملك رجالها منع ذلك منها شيئاً فلحقوا بهم فى الجد فقتلوا عامتهم ونجا من نجا منهم عورانا وتزلزلت بهم خيولهم حتى انتقضت عن الفراض وتلاحق الستمائة بأوائلهم الستين غير متعتعين ولما رأى سعد عاصما على الفراض قد منعها أذن للناس فى الاقتحام وقال قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وتلاحق عظم الجند فركبوا اللجة وان دجلة لترمى بالزّبد وانها لمسودة وإن الناس ليتحدثون فى عومهم وقد اقتربوا ما يكترثون كما يتحدثون فى مسيرهم على الأرض ففجأوا أهل فارس بأمر لم يكن فى حسابهم فأجهضوهم وأعجلوهم عن جمهور أموالهم ودخلها المسلمون فى صفر سنة ستة عشر واستولوا على ذلك كله مما بقى فى بيوت كسرى من الثلاثة آلاف ألف ألف وعما جمع شيرى ومن بعده وفى ذلك يقول أبو بجيدة نافع بن الأسود

وأَسَلْنا على المدائن خيلا ... بَحرها مِثْل بَرِّهِنّ أريضا
فانتثَلْنا خزائنَ المرءِ كِسْرَى ... يومَ وَلَّوا وحاص منّا جَريضا

(كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن الوليد بن عبدالله بن أبى طيبة عن أبيه قال لما أقام سعد على دجلة أتاه علج فقال ما يقيمك لا يأتى عليك ثالثة حتى يذهب يزدجرد بكل شىء فى المدائن فذلك مما هيّجه على القيام بالدعاء إلى العبور (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن رجل عن أبى عثمان النّهدى فى قيام سعد فى الناس فى دعائهم إلى العبور بمثله وقال طبّقنا دجلة خيلا ورجْلاً ودواب حتى ما يرى الماء من الشاطئ أحد فخرجت بنا خيلنا اليهم تنفض أعرافها لها صهيل فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلوون على شىء فانتهينا إلى القصر الأبيض وفيه قوم قد تحصنوا فأشرف بعضهم فكلمنا فدعوناهم وعرضنا عليهم فقلنا ثلاث تختارون منهن أيتهن شئتم قالوا وماهن قلنا الإسلام فان أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا وإن أبيتم فالجزية وإن أبيتم فناجزتكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم فأجابنا مجيبهم لا حاجة لنا فى الأولى ولا فى الآخرة ولكنّ الوُسطى (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن عطية بمثله قال والسفير سلمان (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السرى عن ابن الرُّفيل قال لما هزموهم فى الماء وأخرجوهم إلى الفراض ثم كشفوهم عن الفراض أجْلوْهم عن الأموال إلا ما كانوا تقدموا فيه وكان فى بيوت أموال كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف ألف ثلاث مرات فبعثوا مع رستم بنصف ذلك وأقروا نصفه فى بيوت الأموال (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن بدر بن عثمان عن أبى بكر بن حفص بن عمر قال قال سعد يومئذ وهو واقف قبل أن يُقحم الجهور وهو ينظر إلى حُماة الناس وهم يقاتلون على الفراض والله ان لو كانت الخرساء يعنى الكتيبة التى كان فيها القعقاع بن عمرو وحَمّال بن مالك والربيل بن عمرو فقاتلوا قتال هؤلاء القوم هذه الخيل لكانت أجزأت وأغنت وكتيبة عاصم هى كتيبة الأهوال فشبه كتيبة الأهوال لما رأى منهم فى الماء والفراض بكتيبة الخرساء قال ثم انهم تنادوا بعدهنات قد اعتوروها عليهم ولهم فخرجوا حتى لحقوا بهم فلما استووا على الفراض هم وجميع كتيبة الأهوال بأسرهم اقحم سعد الناس وكان الذى يساير سعدا فى الماء سلمان الفارسى فعامت بهم

الخيل وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه وليهزمن الله عدوه إن لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان الإسلام جديد ذُلت لهم والله البحور كما ذُلل لهم البر أما والذى نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجا فطبقوا الماء حتى ما يُرى الماء من الشاطئ ولهم فيه أكثر حديثاً منهم فى البر لو كانوا فيه فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئا ولم يغرق منهم أحد (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى عمر دثار عن أبى عثمان النهدى أنهم سلموا من عند آخرهم إلا رجلا من بارق يُدعى غَرْقدة زال عن ظهر فرس له شقراء كأنى أنظر اليها تنفض أعرافها عُرياً والغريق طافٍ فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه اليه فأخذ بيده فجره حتى عبر فقال البارقى وكان من أشد الناس أعجز الاخوات أن يلدن مثلك ياقعقاع وكان للقعقاع فيهم خُؤولة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا فما ذهب لهم فى الماء يومئذ إلا قدح كانت علاقته رثة فانقطعت فذهب به الماء فقال الرجل الذى كان يعاوم صاحب القدح معيّراً له أصابه القدر فطاح فقال والله انى لعلى جديلة ما كان الله ليسلبنى قدحى من بين أهل العسكر فلما عبروا اذا رجل ممن كان يحمى الفراض قد سفل حتى طلع عليه أوائل الناس وقد ضربته الرياح والأمواج حتى وقع الى الشاطئ فتناوله برمحه فجاء به الى العسكر فعرفه فأخذه صاحبه وقال للذى كان يعاومه ألم أقل لك وصاحبه حليف لقُريش من عنز يُدعى مالك بن عامر والذى قال طاح يُدعى عامر بن مالك (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن القاسم بن الوليد عن عُمير الصائدى قال لما اقتحم سعد الناس فى دجلة اقترنوا فكان سلمان قرين سعد الى جانبه يسايره فى الماء وقال سعد ذلك تقدير العزيز العليم والماء يطمو بهم ومايزال فرس يستوى قائما اذا أعيى ينشز له تلعة فيستريح عليها كأنه على الأرض فلم يكن بالمدائن أمر أعجب من ذلك وذلك يوم الماء وكان يدعى يوم الجراثيم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد قالوا كان يوم ركوب دجلة يدعى يوم الجراثيم لا يَعيى أحد

الا أنشزت له جرثومة يريح عليها (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن اسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال خضنا دجلة وهى تطفح فلما كنا فى أكثرهاماء لم يزل فارس واقف مايبلغ الماءحزامه (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الأعمش عن حبيب بن صهبان أبى مالك قال لما دخل سعد المدينة الدنيا وقطع القوم الجسر وضموا السفن قال المسلمون ماتنتظرون بهذه النطفة فاقتحم رجل فخاض الناس فما غرق منهم إنسان ولا ذهب لهم متاع غير أن رجلا من المسلمين فقد قدحاًله انقطعت علاقته فرأيته يطفح على الماء (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة قالوا وما زالت حماة أهل فارس يقاتلون على الفراض حتى أتاهم آت فقال علامَ تقتلون أنفسكم فوالله مافى المدائن أحد (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا لما رأى المشركون المسلمين وما يُهمّون به بعثوا من يمنعهم من العبور وتحملوا فخرجوا هُرّاباً وقد أخرج يزدجرد قبل ذلك وبعد ما فتحت بهرسير عياله إلى حُلوان فخرج يزدجرد بعد حتى ينزل حلوان فلحق بعياله وخلّف مهران الرازىّ والنخيرجان وكان بيت المال بالنهروان وخرجوا معهم بما قدروا عليه من حُرّ متاعهم وخفيفه وماقدروا عليه من بيت المال وبالنساء والذرارى وتركوا الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفضول والألطاف والأدهان مالا يُدرى ماقيمته وخلّفوا ماكانوا أعدوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة والأشربة فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ثم الخرساء فأخذوا فى سككها لا يلقون فيها أحداً ولا يُحسونه إلا من كان فى القصر الأبيض فأحاطوا بهم ودعوهم فاستجابوا لسعد على الجزاء والذمة وتراجع إليهم أهل المدائن على مثل عهدهم ليس فى ذلك ماكان لآل كسرى ومن خرج معهم ونزل سعد القصر الأبيض وسرح سعد زهرة فى المقدمات فى آثار القوم إلى النهروان فخرج حتى انتهى إلى النهروان وسرح مقدار ذلك فى طلبهم من كل ناحية (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الأعمش عن حبيب

ابن صهبان أبي مالك قال لما عبر المسلمون يوم المدائن دجلة فنظروا إليهم يعبرون جعلوا يقولون بالفارسية ديوان آمد وقال بعضهم لبعض والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجن فانهزموا (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عطية بن الحارث وعطاء بن السائب عن أبي البخترى قال كان رائد المسلمين سلمان الفارسى وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس قال عطية وقد كانوا أمروه بدعاء أهل بهرسير وأمروه يوم القصر الأبيض فدعاهم ثلاثاً قال عطية وعطاء وكان دعاؤه إياهم أن يقول إنى منكم فى الأصل وأنا أرق لكم ولكم فى ثلاث أدعوكم إليها مايصلحكم أن تسلموا فإخواننا لكم مالنا وعليكم ماعلينا وإلا فالجزية وإلا نابذناكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين قال عطية فلما كان اليوم الثالث فى بهرسير أبوا أن يجيبوا إلى شىء فقاتلهم المسلمون حين أبوا ولما كان اليوم الثالث فى المدائن قبل أهل القصر الأبيض وخرجوا ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ الإيوان مصلى وإن فيه لتماثيل جص فما حركها (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وشاركهم سماك الهجيمى قالوا وقد كان الملك سرب عياله حين أخذت بهرسير إلى حلوان فلما ركب المسلمون الماء خرجوا هراباً وخيلهم على الشاطئ يمنعون المسلمين وخيلهم من العبور فاقتتلوا هم والمسلمون قتالا شديداً حتى ناداهم مناد علام تقتلون أنفسكم فوالله ما فى المدائن من أحد فانهزموا واقتحمتها الخيول عليهم وعبر سعد فى بقية الجيش (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب قالوا أدرك أوائل المسلمين أخريات أهل فارس فأدرك رجل من المسلمين يدعى ثقيفاً أحد بنى عدى ابن شريف رجلا من أهل فارس معترضا على طريق من طرقها يحمى أدبار أصحابه فضرب فرسه على الإقدام عليه فأحجم ولم يقدم ثم ضربه للهرب فتقاعس حتى لحقه المسلم فضرب عنقه وسلبه (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن عطية وعمرو ودثار أبي عمر قالوا كان فارس من فرسان العجم فى المدائن يومئذ مما يلى جازر فقيل له قد دخلت العرب وهرب أهل فارس فلم يلتفت إلى قولهم

وكان واثقاً بنفسه ومضى حتى دخل بيت أعلاج له وهم ينقلون ثياباً لهم قال مالكم قالوا أخرجتنا الزنابير وغلبتنا على بيوتنا فدعا بجُلاهق وبطين فجعل يرميهنّ حتى ألزقهن بالحيطان فأفناهن وانتهى إليه الفزع فقام وأمر علجا فأسرج له فانقطع حزامه فشده على عجل وركب ثم خرج فوقف ومر به رجل فطعنه وهو يقول: خذها وأنا ابن المخارق فقتله ثم مضى ما يلتفت اليه ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن سعيد بن المرزبان بمثله واذا هو ابن المخارق بن شهاب قالوا وأدرك رجل من المسلمين رجلا منهم معه عصابة يتلاومون ويقولون من أى شئ فررنا ثم قال قائل منهم لرجل منهم ارفع لى كرة فرماها لا يُخطئ فلما رأى ذلك عاج وعاجوا معه وهو أمامهم فانتهى الى ذلك الرجل فرماه من أقرب مما كان يرمى منه الكرة مايصيبه حتى وقف عليه الرجل ففلق هامته وقال أنا ابن مُشرّط الحجارة وتفارّ عن الفارسى وأصحابه وقالوا جميعاً محمد والمهلب وطلحة وعمرو وأبو عمر وسعيد قالوا ولما دخل سعد المدائن فرأى خلوتها وانتهى الى ايوان كسرى أقبل يقرأ «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين» وصلى فيه صلاة الفتح ولا تصلى جماعة فصلى ثمانى ركعات لا يفصل بينهن واتخذه مسجداً وفيه تماثيل الجص رجال وخيل ولم يمتنع ولا المسلمون لذلك وتركوها على حالها قالوا وأتمّ سعد الصلاة يوم دخلها وذلك أنه أراد المُقام بها وكانت أول جمعة بالعراق جُمّعت جماعة بالمدائن فى صفر سنة ستة عشر

ذكر ماجمع من فىء أهل المدائن

﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وعُقبة وعمرو وأبى عمر وسعيد قالوا نزل سعد ايوان كسرى وقدم زهرة وأمره أن يبلغ النهروان فبعث فى كل وجه مقدار ذلك لنفى المشركين وجمع الفيوء ثم تحول إلى القصر بعد ثالثة ووكل بالأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن وأمره بجمع مافى القصر والايوان

والدور وإحصاء ما يأتيه به الطلب وقد كان أهل المدائن تناهبوا عند الهزيمة غارة ثم طاروا فى كل وجه فما أفلت أحد منهم بشىء لم يكن فى عسكر مِهران بالنهروان ولا بخيط ألح عليهم الطلب فتنقذوا ما فى أيديهم ورجعوا بما أصابوا من الاقباض فضموه إلى ما قد جُمع وكان أول شىء جمع يومئذ ما فى القصر الأبيض ومنازل كسرى وسائر دور المدائن (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الأعمش عن حبيب بن صُهبان قال دخلنا المدائن فأتينا على قباب تركية مملوءة سِلالا مختمة بالرصاص فما حسبناها إلا طعاماً فإذا هى آنية الذهب والفضة فقسمت بعد بين الناس وقال حبيب وقد رأيت الرجل يطوف ويقول من معه بيضاء بِصفراء وأتينا على كافور كثير فما حسبناه إلا ملحاً فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته فى الخبز (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن النضر ابن السرى عن ابن الرُّفيل عن أبيه الرفيل بن ميسور قال خرج زهرة فى المقدمة يُتبعهم حتى انتهى إلى جسر النهروان وهم عليه فازدحموا فوقع بغل فى الماء فعجلوا وكلبوا عليه فقال زهرة إنى اقسم بالله لهذا البغل لشأناً ما كلب القوم عليه ولا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضنك إلا لشىء بعد ما أرادوا تركه وإذا الذى عليه حلية كسرى ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التى كان فيها الجوهر وكان يجلس فيها للمباهاة وترجل زهرة يومئذ حتى إذا أزاحهم أمر أصحابه بالبغل فاحتملوه فأخرجوه فجاؤا بما عليه حتى رده إلى الاقباض ما يدرون ما عليه وارتجز يومئذ زهرة

فِدًى لقومى اليوم أخوالى وأعمامى هم كرهوا بالنهر خِذْلانى وإسلامى
هم فلجوا بالبغل فى الخِصام بكلِّ قطّاعٍ شُؤونَ الهام
وصَرَّعوا الفُرْسَ على الآكام كأنهم نَعَمٌ من الأنعام

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن هُبيرة بن الأشعث عن جده الكلج قال كنت فيمن خرج فى الطلب فإذا أنا ببغالين قد ردا الخيل عنهما بالنشاب فما بقى معهما غير نشابتين فألظظت بهما فاجتمعا فقال أحدهما لصاحبه ارمه

وأحميك أو أرميه وتحميني فحمى كل واحد منهما صاحبه حتى رميا بها ثم إني حملت عليهما فقتلتهما وجئت بالبغلين ما أدري ما عليهما حتى أبلغتهما صاحب الأقباض وإذا هو يكتب ما يأتيه به الرجال وما كان في الخزائن والدور فقال على رسلك حتى ننظر ما معك فحططت عنهما فإذا سقطان على أحد البغلين فيهما تاج كسرى مفسخاً وكان لا يحمله إلا اسطوانتان وفيهما الجوهر وإذا على الآخر سقطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجا منظوما (كتب إليّ السريّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب قالوا وخرج القعقاع بن عمرو يومئذ في الطلب فلحق بفارسي يحمي الناس فاقتتلا فقتله وإذا مع المقتول جنيبة عليها عَيبتان وغلافان في أحدهما خمسة أسياف وفي الآخر ستة أسياف وإذا في العيبتين أدراع فإذا في الأدراع درع كسرى ومِغفره وساقاه وساعداه ودرع هرقل ودرع خاقان ودرع داهر ودرع بَهرام شوبين ودرع سياوخش ودرع النعمان وكانوا استلبوا ما لم يرثوا استلبوها أيام غزاتهم خاقانَ وهرقلَ وداهرَ وأما النعمان وبهرام فحين هربا وخالفا كسرى وأما أحد الغلافين ففيه سيف كسرى وهرمز وقباذ وفَيروز وإذا السيوف الأخر سيف هرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان فجاء به إلى سعد فقال اختر أحد هذه الأسياف فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام وأما سائرها فنفلها في الخرساء إلا سيف كسرى والنعمان ليبعثوا بهما إلى عمر لتسمع بذلك العرب لمعرفتهم بهما وحبسوهما في الأخماس وحلى كسرى وتاجه وثيابه ثم بعثوا بذلك إلى عمر ليراه المسلمون ولتسمع بذلك العرب وعلى هذا الوجه سلب خالد بن سعيد عمرو بن معديكرب سيفه الصمصامة في الردة والقوم يستحيون من ذلك (كتب إليّ السريّ) عن شعيب عن سيف عن عبيدة بن مُعتب عن رجل من بني الحارث ابن طريف عن عصمة بن الحارث الضبي قال خرجت فيمن خرج يطلب فأخذت طريقا مسلوكا وإذا عليه حمّار فلما رآني حثه فلحق بآخر قدامه فمالا وحثا حماريهما فانتهيا إلى جدول قد كسر جسره فثبتا حتّى أتيتهما ثم تفرقا ورماني أحدهما فألظظت

به فقتلته وأفلت الآخر ورجعت إلى الحمارين فأتيت بهما صاحب الأقباض فنظر فيما على أحدهما فإذا سفطان فى أحدهما فرس من ذهب مسرج بسرج من فضة على ثفره ولببه الياقوت والزمرد منظوم على الفضة ولجام كذلك وفارس من فضة مكلل بالجوهر وإذا فى الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب ولها شناق أو زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت وإذا عليها رجل من ذهب مكلل بالجوهر كان كسرى يضعهما إلى اسطوانتى التاج (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن هبيرة بن الأشعث عن أبى عبدة العنبرى قال لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحُق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذين معه ما رأينا مثل هذا قط ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه فقالوا هل أخذت منه شيئاً فقال أما والله لولا الله ما أتيتكم به فعرفوا أن للرجل شأناً فقالوا من أنت فقال لا والله لا أخبركم لتحمدونى ولا غيركم ليقرظونى ولكنى أحمد الله وأرضى بثوابه فأتبعوه رجلا حتى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا قال سعد والله إن الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت وأيم الله على فضل أهل بدر لقد تتبعت من أقوام منهم هنات وهنات فيما أحرزوا ما أحسبها ولا أسمعها من هؤلاء القوم (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن مُبشّر بن الفُضَيل عن جابر بن عبد الله قال والله الذى لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة ولقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كالذى هجمنا عليه من أمانتهم وزُهدهم طُليحة بن خُوَيلد وعمرو بن مَعديكرب وقيس بن المكشوح (كتب الىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس العجلى عن أبيه قال لما قدم بسيف كسرى على عمر ومِنْطقته وزِبْرجه قال إن أقواماً أدوا هذا لذَوُ أمانة فقال علىّ إنك عففت فعفت الرعية (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو والمجالد عن الشعبى قال قال عمر حين نظر الى

سلاح كسرى إن أقواما أدوا هذا لذو أمانة

ذكر صفة قسم الفيء الذى أصيب بالمدائن بين أهله

وكانوا فيما زعم سيف ستين ألفاً

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد والمهلب قالوا ولما بعث سعد بعد نزوله المدائن فى طلب الأعاجم بلغ الطلب النهروان ثم تراجعوا ومضى المشركون نحو حلوان فقسم سعد الفيء بين الناس بعد ما خمسه فأصاب الفارس اثناعشر ألفا وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل وكانت الجنائب فى المدائن كثيرة (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن المجالد عن الشعبي بمثله وقالوا جميعا ونفل من الأخماس ولم يجهدها فى أهل البلاء وقالوا جميعا قسم سعد دور المدائن بين الناس وأوطنوها والذى ولى القبض عمرو ابن عمرو المُزَنىّ والذى ولى القسم سلمان بن ربيعة وكان فتح المدائن فى صفر سنة ست عشرة قالوا ولما دخل سعد المدائن أتم الصلاة وصام وأمر الناس بايوان كسرى فجعل مسجداً للأعياد ونصب فيه منبراً فكان يصلى فيه وفيه التماثيل ويجمع فيه فلما كان الفطر قيل ابرزوا فإن السُّنة فى العيدين البراز فقال سعد صلوا فيه قال فصلى فيه وقال سواء فى عُقر القرية أو فى بطنها (كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي قال لما نزل سعد المدائن وقسم المنازل بعث الى العيالات فأنزلهم الدور وفيها المرافق فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جَلولاء وتَكريت والمَوصل ثم تحولوا الى الكوفة (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد والمهلب وشاركهم عمرو وسعيد وجمع سعد الخمس وأدخل فيه كل شيء أراد أن يعجب منه عمر من ثياب كسرى وحليه وسيفه ونحو ذلك وما كان يعجب العرب أن يقع اليهم ونفل من الأخماس وفضل بعد القسم بين الناس وإخراج الخمس والقطف فلم يعتدل قسمته فقال للمسلمين هل لكم فى أن تطيب أنفسنا عن أربعة أخماسه فنبعث به الى عمر فيضعه حيث يرى فانا

لا نراه يتفق قسمته وهو بيننا قليل وهو يقع من أهل المدينة موقعا فقالوا نعم هاء الله إذاً فبعث به على ذلك الوجه وكان القطف ستين ذراعا فى ستين ذراعا بساطا واحداً مقدار جريب فيه طرق كالصور وفصوص كالأنهار وخلال ذلك كالدير وفى حافاته كالأرض المزروعة والأرض المبقلة بالنبات فى الربيع من الحرير على قضبان الذهب ونواره بالذهب والفضة وأشباه ذلك فلما قدم على عمر نفل من الخمس أناسا وقال إن الأخماس ينفل منها من شهد ومن غاب من أهل البلاء فيما بين الخُمسين ولا أرى القوم جهدوا الخُمس بالنفل ثم قسم الخمس فى مواضعه ثم قال أشيروا علىّ فى هذا القطف فأجمع ملؤهم على أن قالوا قد جعلوا ذلك لك فَرَ رأيك إلا ما كان من علىّ فإنه قال يا أمير المؤمنين الأمر كما قالوا ولم يبق إلا التروية إنك إن تقبله على هذا اليوم لم تعدم فى غد من يستحق به ماليس له قال صدقتنى ونصحتنى فقطعه بينهم (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عبد الملك ابن عمير قال أصاب المسلمون يوم المدائن بَهار كسرى ثقل عليهم أن يذهبوا به وكانوا يعدونه للشتاء إذا ذهبت الرياحين فكانوا إذا أرادوا الشرب شربوا عليه فكأنهم فى رياض بساط ستين فى ستين أرضه بذهب ووشيه بفصوص وثمره بجوهر وورقه بحرير وماء الذهب وكانت العرب تسميه القِطف فلما قسم سعد فيأهم فضل عنهم ولم يتفق قسمته فجمع سعد المسلمين فقال إن الله قد ملأ أيديكم وقد عسر قسم هذا البساط ولا يقوى على شرائه أحد فأرى أن تطيبوا به نفسا لأمير المؤمنين يضعه حيث شاء ففعلوا فلما قدم على عمر المدينة رأى رؤيا فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه واستشارهم فى البساط وأخبرهم خبره فمن بين مُشير بقبضه وآخر مُفوِّض اليه وآخر مرقق فقام على حين رأى عمر يأبى حين انتهى اليه فقال لم تجعل علمك جهلا ويقينك شكا إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت أو لبست فأبليت أو أكلت فأفنيت قال صدقتنى فقطعه فقسمه بين الناس فأصاب عليا قطعة منه فباعها بعشرين ألفا وما هى بأجود تلك القطع (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا

وكان الذى ذهب بالأخماس أخماس المدائن بشير بن الخَصاصية والذى ذهب بالفتح حُلَيس بن فلان الأسدى والذى ولى القبض عمرو والقسم سلمان قالوا ولما قسم البساط بين الناس أكثر الناس فى فضل أهل القادسية فقال عمر أولئك أعيان العرب وغُررها اجتمع لهم مع الأخطار الذين هم أهل الأيام وأهل القوادس قالوا ولما أتى بحلى كسرى وزيه فى المباهاة وزيه فى غير ذلك وكانت له عدة أزياء لكل حالة زى قال علىّ بمحلم وكان أجسم عربى يومئذ بأرض المدينة فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب وصب عليه أوشحته وقلائده وثيابه وأجلس للناس فنظر اليه عمر ونظر اليه الناس فرأوا أمرا عظيما من أمر الدنيا وفتنتها ثم قام عن ذلك فألبس زيه الذى يليه فنظروا الى مثل ذلك فى غير نوع حتى أتى عليها كلها ثم ألبسه سلاحه وقلده سيفه فنظروا اليه فى ذلك ثم وضعه ثم قال والله إن أقواما أدوا هذا لذو أمانة ونفّل سيف كسرى محلِّماً وقال أحمق بامرئ من المسلمين غرَّته الدنيا هل يبلغن مغرور منها إلا دون هذا أو مثله وما خير امرئ مسلم سبقه كسرى فيما يضره ولا ينفعه أن كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتى عن آخرته فجمع لزوج امرأته أو زوج ابنته أو امرأة ابنه ولم يقدم لنفسه فقدم امرؤ لنفسه ووضع الفضول مواضعها تحصل له وإلا حصلت للثلاثة بعده وأحمِق بمن جمع لهم أو لعدو جارفٍ ﴿كتب إلىّ السرىّ﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد ابن كريب عن نافع بن جبير قال قال عمر مَقدم الأخماس عليه حين نظر إلى سلاح كسرى وثيابه وحُليه مع ذلك سيف النعمان بن المنذر فقال لجبير إن أقواماً أدوا هذا لَذو أمانة إلى من كنتم تنسبون النعمان فقال جبير كانت العرب تنسبه إلى الأشلاء أشلاء قنَص وكان أحد بنى عجم بن قنص فقال خذ سيفه فنفّله إياه فجهل الناس عجم وقالوا لخم وقالوا جميعاً وولى عمر سعد بن مالك صلاة ما غلب عليه وحَربه فولى ذلك وولى الخراج النعمان وسويداً ابنى عمرو بن مقرِّن سويداً على ماسقى الفرات والنعمان على ماسقت دجلة وعقدوا الجسور ثم ولى عملهما واستعفيا حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو المزنى ثم ولى عملهما بعدُ حذيفة بن اليمان وعثمان

ابن حنيف * وقال وفى هذه السنة أعنى سنة ست عشرة كانت وقعة جلولاء كذلك حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق وكتب إلى السرى يذكر أن شعباً حدثه عن سيف بذلك

ذكر الخبر عن وقعة جلولاء الوقيعة

(كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال لما أقمنا بالمدائن حين هبطناها واقتسمنا ما فيها وبعثنا إلى عمر بالأخماس وأوطناها أتانا الخبر بأن مهران قد عسكر بجلولاء وخندق عليه وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الوليد بن عبد الله بن أبى طيبة البجلى عن أبيه بمثله وزاد فيه فكتب سعد بذلك إلى عمر فكتب إلى سعد أن سرِّح هاشم بن عتبة إلى جلولاء فى اثنى عشر ألفاً واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى ميمنته سِعر بن مالك وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة واجعل على ساقته عمرو بن مرة الجهنى (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وزياد قالوا وكتب عمر إلى سعد إن هزم الله الجندين جند مهران وجند الانطاق فقدِم القعقاع حتى يكون بين السواد وبين الجبل على حد سوادكم * وشاركهم عمرو وسعيد قالوا وكان من حديث أهل جلولاء أن الأعاجم لما انتهوا بعد الهرب من المدائن إلى جلولاء وافترقت الطرق بأهل آذربيجان والباب وبأهل الجبال وفارس تذامروا وقالوا إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً وهذا مكان يفرّق بيننا فهلموا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم فإن كانت لنا فهو الذى نريد وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذى علينا وأبلينا عذراً فاحتفروا الخندق واجتمعوا فيه على مهران الرازى ونفد يَزدَجِرد إلى حلوان فنزل بها ورماهم بالرجال وخلّف فيهم الأموال فأقاموا فى خندقهم وقد أحاطوا به الحَسَك من الخشب إلا طرقهم قال عمرو عن عامر الشعبى كان أبو بكر لا يستعين فى حربه بأحد من أهل الردة حتى مات وكان عمر قد استعان بهم فكان لا يؤمّر منهم أحداً إلا على النفر وما دون ذلك وكان لا يعدل أن يؤمر الصحابة إذا وجد من يجزى

عنه فى حربه فإن لم يجد ففى التابعين بإحسان ولا يُطمع من انبعث فى الردة وكان رؤساء أهل الردة فى تلك الحروب حِشوة إلى أن ضرب الإسلام بجرانه * ثم اشترك عمرو ومحمد والمهلب وطلحة وسعيد فقالوا ففصل هاشم بن عتبة بالناس من المدائن فى صفر سنة ست عشرة فى اثنى عشر ألفاً منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن ارتد وممن لم يرتد فسار من المدائن إلى جلولاء أربعاً حتى قدم عليهم وأحاط بهم فحاصرهم وطاولهم أهل فارس وجعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا وزاحفهم المسلمون بجلولاء ثمانين زحفاً كل ذلك يعطى الله المسلمين عليهم الظفر وغلبوا المشركين على حسك الخشب فاتخذوا حسك الحديد (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عقبة بن مكرَم عن بطان ابن بشر قال لما نزل هاشم على مهران بجلولاء حصرهم فى خندقهم فكانوا يزاحفون المسلمين فى زُهاء وأهاويل وجعل هاشم يقوم فى الناس ويقول إن هذا المنزل منزل له ما بعده وجعل سعد يُمده بالفرسان حتى إذا كان أخيراً احتفلوا للمسلمين فخرجوا عليهم فقام هاشم فى الناس فقال أبلوا الله بلاء حسنا يتم لكم عليه الأجر والمغنم واعملوا لله فالتقوا فاقتتلوا وبعث الله عليهم ريحاً أظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا إلا المحاجزة فتهافت فرسانهم فى الخندق فلم يجدوا بداً من أن يجعلوا فُرَضاً مما يليهم تصعد منه خيلهم فأفسدوا حصنهم وبلغ ذلك المسلمين فنظروا إليه فقالوا أننهض إليهم ثانية فندخله عليهم أو نموت دونه فلما نهد المسلمون الثانية خرج القوم فرموا حول الخندق مما يلى المسلمين بحسك الحديد لكيلا يقدم عليهم الخيل وتركوا للمجال وجهاً فخرجوا على المسلمين منه فاقتتلوا قتالا شديداً لم يقتتلوا مثله إلا ليلة الهرير إلا أنه كان أكمش وأعجل وانتهى القعقاع بن عمرو فى الوجه الذى زاحف فيه إلى باب خندقهم فأخذ به وأمر منادياً فنادى يامعشر المسلمين هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به فأقبلوا إليه ولا يمنعنكم مَن بينكم وبينه من دخوله وإنما أمر بذلك ليقوى المسلمين به فحمل المسلمون ولا يشكّون إلا أن هاشماً فيه فلم يقم لحملتهم شىء حتى انتهوا إلى باب الخندق فإذا هم بالقعقاع بن عمرو وقد أخذ به وأخذ المشركون

فى هزيمة يَمنة ويَسرة عن المجال الذى بحيال خندقهم فهلكوا فيما أعدوا للمسلمين فعقرت دوابهم وعادوا رجالة وأتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم إلا من لا يُعد وقتل الله منهم يومئذ مائة ألف فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولاءَ بما جللها من قتلاهم فهى جلولاء الوقيعة (كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عبيدالله بن محفز عن أبيه قال إنى لفى أوائل الجمهور مدخلهم ساباط ومظُلِمهَا وإنى لفى أوائل الجمهور حين عبروا دجلة ودخلوا المدائن ولقد أصبت بها تمثالا لو قسم فى بكر بن وائل لسدّ منهم مسدّا عليه جوهر فأدّيته فما لبثنا بالمدائن إلا قليلا حتّى بلغنا أن الأعاجم قد جمعت لنا بجلولاء جمعا عظيما وقدّموا عيالاتهم إلى الجبال وحبسوا الأموال فبعث إليهم سعد عمرو بن مالك بن عتبة بن أهيب ابن عبد مناف بن زهرة وكان جنُد جلولاء اثنى عشر ألفا من المسلمين على مقدّمتهم القعقاع بن عمرو وكان قد خرج فيهم وجوه الناس وفرسانهم فلما مروا ببابل مَهْروذ صالحه دهقانها على أن يفرش له جريب أرض دراهم ففعل وصالحه ثم مضى حتى قدم عليهم بجلولاء فوجدهم قد خندقوا وتحصّنوا فى خندقهم ومعهم بيت مالهم وتواثقوا وتعاهدوا بالنيران أن لا يفروا ونزل المسلمون قريبا منهم وجعلت الأمداد تقدم على المشركين كل يوم من حلوان وجعل يمدهم بكل من أمدّه من أهل الجبال واستمد المسلمون سعدا فأمدهم بمائتى فارس ثم مائتين ثم مائتين ولما رأى أهل فارس أمداد المسلمين بادروا بقتال المسلمين وعلى خيل المسلمين يومئذ طليحة ابن فلان أحد بنى عبد الدار وعلى خيل الأعاجم خرّزاذ بن خرّ هرْمز فاقتتلوا اقتتالا شديدا لم يقاتلوا المسلمين مثله فى موطن من المواطن حتى أنفدوا النبل وحتى أنفدوا النشاب وقصفوا الرماح حتى صاروا إلى السيوف والطبرزينات فكانوا بذلك صدر نهارهم إلى الظهر ولما حضرت الصلاة صلى الناس إيماء حتى إذا كان بين الصلاتين خنست كتيبة وجاءت أخرى فوقفت مكانها فأقبل القعقاع بن عمرو على الناس فقال أهالتكم هذه قالوا نعم نحن مكلون وهم مريحون والكال يخاف العَجْز إلا أن يعقب فقال إنا حاملون عليهم ومجادوهم وغير كافين ولا مقلعين حتّى يحكم

الله بيننا فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تخالطوهم ولا يكذبن أحدمنكم فحمل فانفرجوا فما نهنه أحد عن باب الخندق وألبسهم الليل رواقه فأخذوا يمنة ويسرة وجاء فى الأمداد طليحة وقيس بن المكشوح وعمرو بن معديكرب وحجر بن عدى فوافقوهم قدتحاجزوا مع الليل ونادى منادى القعقاع بن عمرو أين تحاجزون وأميركم فى الخندق فتفار المشركون وحمل المسلمون فأدخل الخندق فآتى فسطاطا فيه مرافق وثياب وإذا فرش على انسان فأنبشه فإذا امرأة كالغزال فى حسن الشمس فأخذتها وثيابها فأديت الثياب وطلبت فى الجارية حتى صارت إلى فاتخذتها أم ولد (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن حماد بن فلان البرجمى عن أبيه أن خارجة بن الصلت أصاب يومئذ ناقة من ذهب أو فضة موشحة بالدر والياقوت مثل الجفرة إذا وضعت على الأرض وإذا عليها رجل من ذهب موشح كذلك فجاء بها وبه حتى أداهما (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد والوليد بن عبدالله والمجالد وعقبة بن مكرم قالوا وأمر هاشم القعقاع بن عمرو بالطلب فطلبهم حتى بلغ خانقين ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الجبال وقدم القعقاع حلوان وذلك أن عمر كان كتب إلى سعد إن هزم الله الجندين جند مهران وجند الانطاق فقدم القعقاع حتى يكون بين السواد والجبل على حد سوادكم فنزل القعقاع بحلوان فى جند من الأفناء ومن الحمراء فلم يزل بها إلى أن تحول الناس من المدائن إلى الكوفة فلما خرج سعد من المدائن إلى الكوفة لحق به القعقاع واستعمل على الثغر قباذ وكان من الحمراء وأصله من خراسان ونفل منها من شهدها وبعض من كان بالمدائن نائبا وقالوا واشتركوا فى ذلك وكتبوا إلى عمر بفتح جلولاء وبنزول القعقاع حلوان واستأذنوه فى اتباعهم فأبى وقال لوددت أن بين السواد وبين الجبل سدا لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم حسبنا من الريف السواد إنى آثرت سلامة المسلمين على الانفال قالوا ولما بعث هاشم القعقاع فى آثار القوم أدرك مهران بخانقين فقتله وأدرك الفيرزان فنزل وتوقل فى الظراب وخلى فرسه وأصاب القعقاع سبايا فبعث بهم

إلى هاشم من سباياهم واقتسموهم فيما اقتسموا من الفيء فاتخذن فولدن فى المسلمين وذلك السبي ينسب إلى جلولاء فيقال سبي جلولاء ومن ذلك السبي أم الشعبي وقعت لرجل من بنى عبس فولدت فمات عنها فخلف عليها شراحيل فولدت له عامراً ونشأ فى بنى عبس (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب قالوا واقتسم فىء جلولاء على كل فارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب ورجع هاشم بالأخماس إلى سعد (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي قال أفاء الله على المسلمين ما كان فى عسكرهم بجلولاء وما كان عليهم وكل دابة كانت معهم الا اليسير لم يفلتوا بشيء من الأموال وولى قسم ذلك بين المسلمين سلمان بن ربيعة فكانت اليه يومئذ الأقباض والأقسام وكانت العرب تسميه لذلك سلمان الخيل وذلك أنه كان يقسم لها ويقصر بما دونها وكانت العتاق عنده ثلاث طبقات وبلغ سهم الفارس بجلولاء مثل سهمه بالمدائن (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن المجالد وعمرو وعن الشعبي قال اقتسم الناس فىء جلولاء على ثلاثين ألف ألف وكان الخمس ستة آلاف ألف (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وسعيد قالوا ونفل سعد من أخماس جلولاء من أعظم البلاء ممن شهدها ومن أعظم البلاء ممن كان نائيا بالمدائن وبعث بالأخماس مع قضاعى ابن عمرو الدؤلى من الأذهاب والأوراق والآنية والثياب وبعث بالسبي مع أبى مفزر الأسود فمضيا (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن زُهرة ومحمد بن عمرو قالا بعث الأخماس مع قضاعى وأبى مفزر والحساب مع زياد بن أبى سفيان وكان الذى يكتب للناس ويدونهم فلما قدموا على عمر كلم زياد عمر فيما جاء له ووصف له فقال عمر هل تستطيع أن تقوم فى الناس بمثل الذى كلمتنى به فقال والله ما على الأرض شخص أهيب فى صدرى منك فكيف لا أقوى على هذا من غيرك فقام فى الناس بما أصابوا وبما صنعوا وبما يستأذنون فيه من الانسياح فى البلاد فقال عمر هذا الخطيب المصقع فقال

إنّ جُنْدَنا أَطْلَقوا بالفَعالِ لِسانَنا

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن زهرة ومحمد عن أبى سلمة قال لما قُدم على عمر بالاخماس من جلولاء قال عمر والله لا يُجنه سقف بيت حتى اقسمه فبات عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن أرقم يحرسانه فى صحن المسجد فلما أصبح جاء فى الناس فكشف عنه جلابيبه وهى الأنطاع فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى فقال له عبد الرحمن ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله إن هذا لموطن شُكر فقال عمر والله ما ذاك يبكينى وتالله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم وأشكل على عمر فى أخماس القادسية حتى خطر عليه ما أفاء الله يعنى من الخمس فوضع ذلك فى أهله فأجرى خُمس جلولاء مجرى خمس القادسية عن ملإ وتشاور وإجماع من المسلمين ونفل من ذلك بعض أهل المدينة (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وسعيد وعمرو قالوا وجمع سعد من وراء المدائن وأمر بالاحصاء فوجدهم بضعة وثلاثين ومائة ألف ووجدهم بضعة وثلاثين ألف أهل بيت ووجد قسمتهم ثلاثة لكل رجل منهم بأهلهم فكتب فى ذلك إلى عمر فكتب إليه عمر أن أقر الفلاحين على حالهم إلا من حارب أو هرب منك إلى عدوك فأدركته وأْجِر لهم ما أجريت للفلاحين قبلهم وإذا كتبت اليك فى قوم فأجروا أمثالهم مجراهم فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحا فأجابه أما من سوى الفلاحين فذاك اليكم مالم تَغنَموه يعنى تقتسموه ومن ترك أرضه من أهل الحرب فخلاها فهى لكم فإن دعوتموهم وقبلتم منهم الجزاء ورددتموهم قبل قسمتها فذمة وإن لم تدعوهم ففىء لكم لمن أفاء الله ذلك عليه وكان أحظى بفىء الأرض أهل جلولاء استأثروا بفىء ما وراء النهروان وشاركوا الناس فيما كان قبل ذلك فأقروا الفلاحين ودعوا من لج ووضعوا الخراج على الفلاحين وعلى من رجع وقبل الذمة واستصفوا ما كان لآل كسرى ومن لج معهم فيئاً لمن أفاء الله عليه لا يُجاز بيع شىء من ذلك فيما بين الجبل إلى الجبل من أرض العرب إلا من أهله الذين أفاء الله عليهم ولم يجيزوا بيع ذلك فيما بين الناس يعنى

فيمن لم يُفئه الله تعالى عليه ممن يعاملهم ممن لم يفئه الله عز وجل عليه فأقره المسلمون لم يقتسموه لأن قسمته لم تتأت لهم فمن ذلك الآجام ومَغيض المياه وما كان لبيوت النار ولسكك البُرُد وما كان لكسرى ومن جامعه وما كان لمن قُتل والأرحام فكان بعد من يُرق يسأل الولاة قسم ذلك فيمنعهم من ذلك الجمهور فأبوا ذلك فانتهوا إلى رأيهم ولم يجيبوا وقالوا لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لفعلنا ولو كان طلب ذلك منهم على ملإ لقسمها بينهم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن طلحة بن الأعلم عن ماهان قال لم يثبت أحد من أهل السواد على العهد فيما بينهم وبين أهل الأيام إلا أهل قريات أخذوها عنوة كلهم نكث ماخلا أولئك القريات فلما دُعوا إلى الرجوع صاروا ذمة وعليهم الجزاء ولهم المنعة إلا ما كان لآل كسرى ومن معهم فانه صافية فيما بين حُلوان والعراق وكان عمر قد رضى بالسواد من الريف (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن طلحة عن ماهان قال كتبوا إلى عمر فى الصوافى فكتب اليهم أن اعمدوا إلى الصوافى التى أصفاكموها الله فوزّعوها على من أفاءها الله عليه أربعة أخماس للجند وخُمس فى مواضعه إلى وإن أحبوا أن ينزلوها فهو الذى لهم فلما جعل ذلك اليهم رأوا أن لا يفترقوا فى بلاد العجم وأقروها حبيسا لهم يُولونها من تراضوا عليه ثم يقتسمونها فى كل عام ولا يُولونها الا من أجمعوا عليه بالرضا وكانوا لا يجمعون إلا على الأمراء كانوا بذلك فى المدائن وفى الكوفة حين تحولوا إلى الكوفة (كتب إلى السرىّ) عن شعيب عن سيف عن الوليد بن عبد الله بن أبى طيبة عن أبيه قال كتب عمر أن احتازوا فيأكم فانكم إن لم تفعلوا فتقادم الأمر يلحج وقد قضيت الذى على اللهم إنى أشهدك عليهم فاشهد (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن الوليد بن عبد الله عن أبيه قال فكان الفلاحون للطرق والجسور والأسواق والحرث والدلالة مع الجزاء عن أيديهم على قدر طاقتهم وكانت الدهاقين للجزية عن أيديهم والعمارة وعلى كلهم الإرشاد وضيافة ابن السبيل من المهاجرين وكانت الضيافة لمن أفاءها الله خاصة ميراثا (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن

سيف عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبى ثابت بنحو منه وقالوا جميعاً كان فتح جلولاء فى ذى القعدة سنة ستة عشر فى أوله بينها وبين المدائن تسعة أشهر وقالوا جميعاً كان صلح عمر الذى صالح عليه أهل الذمة إنهم إن غشوا المسلمين لعدوهم برئت منهم الذمة وان سبوا مسلما أن ينهكوا عقوبة وان قاتلوا مسلما أن يقتلوا وعلى عمر منعتهم وبرئ عمر الى كل ذى عهد من معرة الجيوش ﴿كتب الى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد بن عبد الله والمستنير عن ابراهيم بمثله ﴿كتب الى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن طلحة عن ماهان قال كان أشق أهل فارس بجلولاء أهل الرى كانوا بها حماة أهل فارس ففنى أهل الرى يوم جلولاء وقالوا جميعاً ولما رجع أهل جلولاء الى المدائن نزلوا قطائعهم وصار السواد ذمة لهم الا ما أصفاهم الله به من مال الأكاسرة ومن لج معهم وقالوا جميعا ولما بلغ أهل فارس قول عمر ورأيه فى السواد وماخلفه قالوا ونحن نرضى بمثل الذى رضوا به لايرضى أكراد كل بلدان ينالوا من ريفهم ﴿كتب الى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن المستنير بن يزيد وحكيم بن عمير عن ابراهيم بن يزيد قال لايحل اشتراء أرض فيما بين حلوان والقادسية والقادسية من الصوافى لأنه لمن أفاءه الله عليه ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبى مثله ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس عن المغيرة بن شِبْل قال اشترى جرير من أرض السواد صافية على شاطئ الفُرات فأتى عمر فأخبره فرد ذلك الشراء وكرهه ونهى عن شراء شىء لم يقتسمه أهله ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس قال قلت للشعبى أخذ السواد عنوة قال نعم وكل أرض إلا بعض القِلاع والحصون فان بعضهم صالح وبعضهم غُلب قلت فهل لأهل السواد ذمة اعتقدوها قبل الهرب قال لا ولكنهم لما دعوا ورضوا بالخراج وأخذ منهم صاروا ذمة ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن عبد العزيز عن حبيب بن أبى ثابت قال ليس لأحد من أهل السواد عقد إلا بنى صَلوبا وأهل الحيرة وأهل

كَلواذَى وقُرى من قرى الفُرات ثم غدروا ثم دُعوا إلى الذمة بعد ما غدروا

وقال هاشم بن عتبة فى يوم جلولاء

يومُ جلولاءَ ويومُ رُستَمْ ويومُ زَحْفِ الكوفةِ المُقَدَّمْ
ويومُ عَرْضِ النَّهَرِ المحرَّمْ من بين أيامٍ خَلوْنَ صُرَّمْ
شَيَّبْنَ أصداغى فهنَّ هُرَّمْ مِثْلَ ثَغامِ البَلَدِ المحرَّمْ

وقال أبو بجيد فى ذلك

ويومَ جلولاءِ الوَقيعةِ أصْبَحَتْ كتائبُنا تَرْدى بأسْدٍ عَوابِسِ
فَضَضْتُ جموعَ الفرْسِ ثمَّ أَنَمْتُهم فَتَبًّا لأجْسادِ المجوسِ النَّجائِسِ
وأفْلَتَهنَّ الفيْرزانُ بجرْعَةٍ ومهْرانُ أرْدَتْ يومَ حَزِّ القَوانِسِ
أقاموا بدارٍ لِلمَنيَّةِ مَوْعِدٍ ولِلتُّربِ تحثوها خَجوجُ الرَّوامِسِ

* (كتب الى السرى) * عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا وقد كان عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد إن فتح الله عليكم جلولاء فسرح القعقاع بن عمرو فى آثار القوم حتى ينزل بحلوان فيكون ردءاً للمسلمين ويحرز الله لكم سوادكم فلما هزم الله عز وجل أهل جلولاء أقام هاشم بن عتبة بجلولاء وخرج القعقاع بن عمرو فى آثار القوم إلى خانقين فى جند من أفناء الناس ومن الحمراء فأدرك سبياً من سبيهم وقتل مقاتلة من أدرك وقتل مهران وأفلت الفيرزان فلما بلغ يزدجرد هزيمة أهل جلولاء ومصاب مهران خرج من حلوان سائراً نحو الرى وخلف بحلوان خيلا عليها خسروشنوم وأقبل القعقاع حتى إذا كان بقصر شيرين على رأس فرسخ من حلوان خرج اليه خسروشنوم وقدم الزينبى دهقان حلوان فلقيه القعقاع فاقتتلوا فقتل الزينبى واحتق فيه عميرة بن طارق وعبد الله فجعله وسلبه بينهما فعد عميرة ذلك حقرة وهرب خسروشنوم واستولى المسلمون على حلوان وأنزلها القعقاع الحمراء وولى عليهم قباذ ولم يزل القعقاع هنالك على الثغر والجزاء بعد ما دعاهم فتراجعوا وأقروا بالجزاء إلى أن تحول سعد من المدائن إلى الكوفة فلحق به واستخلف قباذ على الثغر وكان أصله

خراسانيا * وكان فى هذه السنة أعنى سنة ستة عشر فى رواية سيف فتح تكريت وذلك فى جمادى منها

ذكر الخبر عن فتحها

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وسعيد وشاركهم الوليد بن عبد الله بن أبى طيبة قالوا كتب سعد فى اجتماع أهل الموصل إلى الإنطاق وأقباله حتى نزل بتكريت وخندق فيه عليه ليحمى أرضه وفى اجتماع أهل جلولاء على مهران معه فكتب فى جلولاء ما قد فرغنا منه وكتب فى تكريت واجتماع أهل الموصل إلى الإنطاق بها أن سرح إلى الإنطاق عبد الله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعى بن الأفكل العنزى وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلى وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلى وعلى ساقته هانىء بن قيس وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة ففصل عبد الله بن المعتم فى خمسة آلاف من المدائن فسار إلى تكريت أربعا حتى نزل على الانطاق ومعه الروم وإياد وتغلب والنمر ومعه الشهارجة وقد خندقوا بها فحصرهم أربعين يوما فتزاحفوا فيها أربعة وعشرين زحفا وكانوا أهون شوكة وأسرع أمرا من أهل جلولاء ووكل عبد الله بن المعتم بالعرب ليدعوهم اليه والى نصرته على الروم فهم لا يخفون عليه شيئاً ولما رأت الروم أنهم لا يخرجون خرجة إلا كانت عليهم ويهزمون فى كل ما زاحفوهم تركوا أمراءهم ونقلوا متاعهم إلى السفن وأقبلت العيون من تغلب وإياد والنمر إلى عبد الله بن المعتم بالخبر وسألوه للعرب السلم وأخبروه أنهم قد استجابوا له فأرسل اليهم إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقروا بما جاء به من عند الله ثم أعلمونا رأيكم فرجعوا اليهم بذلك فردوهم اليه بالإسلام فردهم اليهم وقال إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد نهدنا إلى الأبواب التى تلينا لندخل عليهم منها فخذوا بالابواب التى تلى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه فانطلقوا حتى تواطئوهم على ذلك ونهد عبد الله والمسلمون لما يليهم

وكبروا وكبرت تغلب وإياد والنمر وقد أخذوا بالأبواب فحسب القوم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم فدخلوا عليهم مما يلي دجلة فبادروا الأبواب التي عليها المسلمون فأخذتهم السيوف سيوف المسلمين مستقبلتهم وسيوف الربعيين الذين أسلموا ليلتئذ من خلفهم فلم يفلت من أهل الخندق إلا من أسلم من تغلب وإياد والنمر وقد كان عمر عهد إلى سعد إن هم هزموا أن يأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ابن الأفكل العنزي إلى الحصنين فسرح عبد الله بن المعتم ابن الأفكل العنزي إلى الحصنين فأخذ بالطريق وقال أسبق الخبر وسر مادون القيل وأحي الليل وسرح معه تغلب وإياد والنمر فقدمهم وعليهم عتبة بن الوعل أحد بني سعد بن جشم وذو القرط وأبو وداعة بن أبي كرب وابن ذي السنينة قتيل الكلاب وابن الحجير الإيادي وبشر بن أبي حوط متساندين فسبقوا الخبر إلى الحصنين ولما كانوا منها قريبا قدموا عتبة بن الوعل فادعى بالظفر والنفل والقفل ثم ذو القرط ثم ابن ذي السنينة ثم ابن الحجير ثم بشر ووقفوا بالأبواب وقد أخذوا بها وأقبلت سرعان الخيل مع ربعي بن الأفكل حتى اقتحمت عليهم الحصنين فكانت إياها فنادوا بالإجابة إلى الصلح فأقام من استجاب وهرب من لم يستجب إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتم فلما نزل عليهم عبد الله دعا من لج وذهب ووفى لمن أقام فتراجع الهراب واغتبط المقيم وصارت لهم جميعا الذمة والمنعة واقتسموا في تكريت على كل سهم ألف درهم للفارس ثلاثة آلاف وللراجل ألف وبعثوا بالأخماس مع فرات بن حيان وبالفتح مع الحارث بن حسان وولي حرب الموصل ربعي بن الأفكل والخراج عرفجة بن هرثمة (وفي هذه السنة) أعني سنة ست عشرة كان فتح ماسبذان أيضا

ذكر الخبر عن فتحها

(كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن طلحة ومحمد والمهلب وعمرو وسعيد قالوا ولما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى المدائن بلغ سعدا أن آذين بن الهرمزان قد جمع جمعا فخرج بهم إلى السهل فكتب بذلك إلى عمر فكتب اليه عمر انه

ابعث اليهم ضرار بن الخطاب فى جند واجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدى وعلى مجنبتيه عبدالله بن وهب الراسبى حليف بجيلة والمضارب بن فلان العجلى فخرج ضرار بن الخطاب وهو أحد بنى محارب بن فهر فى الجند وقدم ابن الهذيل حتى انتهى إلى سهل ماسبذان فالتقوا بمكان يدعى بهندف فاقتتلوا بها فأسرع المسلمون فى المشركين وأخذ ضرار آذين سلما فأسره فانهزم عنه جيشه فقدمه فضرب عنقه ثم خرج فى الطلب حتى انتهى إلى السيروان فأخذ ماسبذان عنوة فتطاير أهلها فى الجبال فدعاهم فاستجابوا له وأقام بها حتى تحول سعد من المدائن فارسل اليه فنزل الكوفة واستخلف ابن الهذيل على ماسبذان فكانت أحد فروج الكوفة وفيها كانت وقعة قرقيسياء فى رجب

ذكر الخبر عن الوقعة بها

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن طلحة ومحمد والمهلب وعمرو وسعيد قالوا ولما رجع هاشم بن عتبة عن جلولاء إلى المدائن وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة فأمدوا هرقل على أهل حمص وبعثوا جندا إلى أهل هيت وكتب بذلك سعد إلى عمر فكتب اليه عمر أن ابعث اليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل ابن عبدمناف فى جند وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامرى وعلى مجنبتيه ربعى بن عامر ومالك بن حبيب فخرج عمر بن مالك فى جنده سائرا نحو هيت وقدم الحارث بن يزيد حتى نزل على من بهيت وقد خندقوا عليهم فلما رأى عمر بن مالك امتناع القوم بخندقهم واعتصامهم به استطال ذلك فترك الأخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد محاصرهم وخرج فى نصف الناس يعارض الطريق حتى يجىء قرقيسياء فى غرة فأخذها عنوة فاجابوا إلى الجزاء وكتب إلى الحارث بن يزيد أنهم استجابوا فخل عنهم فليخرجوا وإلا فخندق على خندقهم خندقا أبوابه مما يليك حتى أرى من رأيى فسمحوا بالاستجابة وانضم الجند إلى عمر والأعاجم إلى أهل بلادهم (وقال الواقدى) وفى هذه السنة غرب عمر أبا محجن الثقفى إلى باضع ٭

قال وفيها تزوج ابن عمر صفية بنت أبي عبيد * قال وفيها ماتت مارية أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ابراهيم وصلى عليها عمر وقبرها بالبقيع فى المحرم * قال وفيها كتب التأريخ فى شهر ربيع الأول * قال وحدثنى ابن أبى سبرة عن عثمان ابن عبيدالله بن أبى رافع عن ابن المسيب قال أول من كتب التأريخ عمر لسنتين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة على بن أبى طالب حدثنى عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا الدراوردى عن عثمان بن عبيدالله بن أبى رافع قال سمعت سعيد بن المسيب يقول جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم من أى يوم نكتب فقال على من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ففعله عمر ﷺ وحدثنى عبدالرحمن قال حدثنى يعقوب بن اسحاق بن أبى عتاب قال حدثنا محمد بن مسلم الطائفى عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال كان التأريخ فى السنة التى قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وفيها ولد عبدالله بن الزبير * وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب واستخلف على المدينة فيما زعم الواقدى زيد بن ثابت وكان عامل عمر فى هذه السنة على مكة عتاب بن أسيد وعلى الطائف عثمان بن أبى العاص وعلى اليمن يعلى بن أمية وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمى وعلى عمان حذيفة ابن محصن وعلى الشأم كلها أبو عبيدة بن الجراح وعلى الكوفة سعد بن أبى وقاص وعلى قضائها أبو قرة وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبة وعلى حرب الموصل ربعى بن الأفكل وعلى الخراج بها عرفجة بن هرثمة فى قول بعضهم وفى قول آخرين عتبة بن فرقد على الحرب والخراج وقيل ذلك كله كان إلى عبد الله بن المعتم وعلى الجزيرة عياض بن غنم الأشعرى

ثم دخلت سنة سبع عشرة

(ففيها) اختطت الكوفة وتحول سعد بالناس من المدائن إليها فى قول سيف بن عمر وروايته

ذكر سبب تحول من تحول من المسلمين من المدائن إلى الكوفة
وسبب اختطاطهم الكوفة فى رواية سيف

(كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا لما جاء فتح جلولاء وحلوان ونزول القعقاع بن عمرو بحلوان فيمن معه وجاء فتح تكريت والحصنين ونزول عبدالله بن المعتم وابن الأفكل الحصنين فيمن معه وقدمت الوفود بذلك على عمر فلما رآهم عمر قال والله ما هيئتكم بالهيئة التى أبدأتم بها ولقد قدمت وفود القادسية والمدائن وإنهم لكما أبدأوا ولقد انتكيتم فما غيّركم قالوا وخومة البلاد فنظر فى حوائجهم وعجل سراحهم وكان فى وفود عبد الله بن المعتم عتبة بن الوعل وذو القرط وابن ذى السنينة وابن الحجير وبشر فعاقدوا عمر على بنى تغلب فعقد لهم على أن من أسلم منهم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ومن أبى فعليه الجزاء وإنما الإجبار من العرب على من كان فى جزيرة العرب فقالوا إذا يهربون وينقطعون فيصيرون عجما فأمر أجمل الصدقة فقال ليس إلا الجزاء فقالوا تجعل جزيتهم مثل صدقة المسلم فهو مجهودهم ففعل على أن لا ينصروا وليداً ممن أسلم آباؤهم فقالوا لك ذلك فهاجر هؤلاء التغلبيون ومن أطاعهم من النمريين والأياديين إلى سعد بالمدائن وخطوا معه بعد بالكوفة وأقام من أقام فى بلاده على ما أخذوا لهم على عمر مسلمهم وذميهم * (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن ابن شبرمة عن الشعبى قال كتب حذيفة إلى عمر إن العرب قد أترفت بطونها وخفت أعضادها وتغيرت ألوانها وحذيفة يومئذ مع سعد * (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة أصحابهما قالوا كتب عمر إلى سعد أنبئنى ما الذى غير ألوان العرب ولحومهم فكتب اليه إن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة فكتب اليه إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق ابلها من البلدان فابعث سلمان رائداً وحذيفة وكانا رائدى الجيش فيرتادا منزلا برياً بحرياً ليس بينى وبينكم فيه بحر ولا جسر ولم يكن بقى

ن أمر الجيش شيء إلا وقد أسنده إلى رجل فبعث سعد حذيفة وسلمان فخرج
سلمان حتى يأتى الأنبار فسار فى غربى الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة
خرج حذيفة فى شرقى الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة والكوفة على
حصباء وكل رملة حمراء يقال لها سهلة وكل حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو
كوفة فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة دير حرقة ودير أم عمرو ودير سلسلة
خصاص خلال ذلك فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا وقال كل واحد منهما اللهم
رب السماء وما أظلت ورب الأرض وما أقلت والريح وما ذرت والنجوم وما
هوت والبحار وما جرت والشياطين وما أضلت والخصاص وما أجنت بارك
لنا فى هذه الكوفة واجعله منزل ثبات وكتب إلى سعد بالخبر ❊ حدثنى محمد
بن عبد الله بن صفوان قال حدثنا أمية بن خالد قال حدثنا أبو عوانة عن حصين
ابن عبد الرحمن قال لما هزم الناس يوم جلولاء رجع سعد بالناس فلما قدم
عمار خرج بالناس الى المدائن فاجتووها قال عمار هل يصلح بها الابل قالوا لا
إن بها البعوض قال قال عمر إن العرب لا تصلح بأرض لا يصلح بها الإبل قال
فخرج عمار بالناس حتى نزل الكوفة (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن
سيف عن مخلد بن قيس عن أبيه عن اليسر بن ثور قال ولما اجتوى المسلمون
المدائن بعد ما نزلناها وآذاهم الغبار والذباب وكتب الى سعد فى بعثه رُوَّدا يرتادون
منزلا بريا بحريا فإن العرب لا يصلحها من البلدان إلا ما أصلح البعير والشاة
سأل من قبله عن هذه الصفة فيما بينهم فأشار عليه من رأى العراق من وجوه
العرب باللسان وظهر الكوفة يقال له اللسان وهو فيما بين النهرين الى العين عين
بنى الحذاء كانت العرب تقول ادلع البر لسانه فى الريف فما كان يلى الفرات منه
فهو الملطاط وما كان يلى الطين منه فهو النجاف فكتب الى سعد يأمره به (كتب
الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا
ولما قدم سلمان وحذيفة على سعد وأخبراه عن الكوفة وقدم كتاب عمر بالذى
ذكرا له كتب سعد الى القعقاع بن عمرو أن خلف على الناس بجلولاء قباذ فيمن

تبعكم الى من كان معه من الحمراء ففعل وجاء حتى قدم على سعد فى جنده وكتب سعد الى عبد الله بن المعتم أن خلف على الموصل مسلم بن عبد الله الذى كان أسر أيام القادسية فيمن استجاب لكم من الأساورة ومن كان معكم منهم ففعل وجاء حتى قدم على سعد فى جنده فارتحل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة فى المحرم سنة سبعة عشر وكان بين وقعة المدائن ونزول الكوفة سنة وشهران وكان بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر اختطت سنة أربع من إمارة عمر فى المحرم سنة سبعة عشر من التأريخ واعطوا العطايا بالمدائن فى المحرم من هذه السنة قبل أن يرتحلوا وفى بهرسير فى المحرم سنة ستة عشر واستقر بأهل البصرة منزلهم اليوم بعد ثلاث نزلات قبلها كلها ارتحلوا عنها فى المحرم سنة سبعة عشر واستقر باقى قرارهما اليوم فى شهر واحد وقال الواقدى سمعت القاسم ابن معن يقول نزل الناس الكوفة فى آخر سنة سبعة عشر قال وحدثنى ابن أبى الرقاد عن أبيه قال نزلوها حين دخلت سنة ثمانية عشر فى أول السنة (رجع الحديث إلى حديث سيف) قالوا وكتب عمر إلى سعد بن مالك وإلى عتبة بن غزوان أن يتربعا بالناس فى كل حين ربيع فى أطيب أرضهم وأمر لهم بمعاونهم فى الربيع من كل سنة وباعطائهم فى المحرم من كل سنة وبفيئهم عند طلوع الشعرى فى كل سنة وذلك عند إدراك الغلات وأخذوا قبل نزول الكوفة عطاءين (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن مخلد بن قيس عن رجل من بنى أسد يدعى المغرور قال لما نزل سعد الكوفة كتب إلى عمر إنى قد نزلت بكوفة منزلا بين الحيرة والفُرات بريا بحريا يُنبت الحلىّ والنَّصِىّ وخيرتُ المسلمين بالمدائن فمن أعجبه المقام فيها تركته فيها كالمسلحة فبقى أقوام من الأفناء وأكثرهم بنو عبس (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد والمهلب قالوا ولما نزل أهل الكوفة الكوفة واستقرّت بأهل البصرة الدار عرف القوم أنفسهم وثاب إليهم ما كانوا فقدوا ثم إن أهل الكوفة استأذنوا فى بنيان القصب واستأذن فيه أهل البصرة فقال عمر العسكر أجد لحربكم وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم

وما القصب قالوا العكرش إذا روى قصب فصار قصباً قال فشأنكم فابتنى أهل المصرين بالقصب ثم إن الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة وكان أشدهما حريقا الكوفة فاحترق ثمانون عريشا ولم يبق فيها قصبة فى شوال فمازال الناس يذكرون ذلك فبعث سعد منهم نفراً إلى عمر يستأذنون فى البناء باللبن فقدموا عليه بالخبر عن الحريق وما بلغ منهم وكانوا لا يدعون شيئا ولا يأتونه إلا وآمروه فيه فقال افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا فى البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة فرجع القوم إلى الكوفة بذلك وكتب عمر إلى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك وعلى تنزيل أهل الكوفة أبو الهياج بن مالك وعلى تنزيل أهل البصرة عاصم بن الدلف أبو الجرباء قال وعهد عمر إلى الوفد وتقدم إلى الناس أن لا يرفعوا بنياناً فوق القدر قالوا وما القدر قال ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم من القصد ﴿كتب الى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة أرسل سعد إلى أبى الهياج فأخبره بكتاب عمر فى الطرق انه أمر بالمناهج أربعين ذراعا وما يليها ثلاثين ذراعا وما بين ذلك عشرين وبالأزقة سبع أذرع ليس دون ذلك شىء وفى القطائع ستين ذراعا إلا الذى لبنى ضبة فاجتمع أهل الرأى للتقدير حتى إذا أقاموا على شىء قسم أبو الهياج عليه فأول شىء خط بالكوفة وبنى حين عزموا على البناء المسجد فوضع فى موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق فاختطوه ثم قام رجل فى وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبنى وراء موقع ذلك السهم ورمى من بين يديه ومن خلفه وأمر من شاء أن يبنى وراء موقع السهمين فترك المسجد فى مربعة غلوه من كل جوانبه وبنى ظلة فى مقدمه ليست لها مجنبات ولا مواخير والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيما لحرمته وكانت ظلته مائتى ذراع على أساطين رخام كانت للأكاسرة سماؤها كأسمية الكنائس الرومية وأعلموا على الصحن بخندق لئلا يقتحمه أحد ببنيان وبنوا لسعد داراً بحياله بينهما طريق منقب مائتى ذراع

وجعل فيها بيوت الأموال وهى قصر الكوفة اليوم بنى ذلك له روزبه من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة ونهج فى الودعة من الصحن خمسة مناهج وفى قبلته أربعة مناهج وفى شرقيه ثلاثة مناهج وفى غربيه ثلاثة مناهج وعلمها فأنزل فى ودعة الصحن سليما وثقيفاً مما يلى الصحن على طريقين وهمدان على طريق وبجيلة على طريق آخر وتيم اللات على آخرهم وتغلب وأنزل فى قبلة الصحن بنى أسد على طريق وبين بنى أسد والنخع طريق وبين النخع وكندة طريق وبين كندة والأزد طريق وأنزل فى شرقى الصحن الأنصار ومزينة على طريق وتميم ومحارب على طريق وأسد وعامر على طريق وأنزل فى غربى الصحن بجالة وبجلة على طريق وجديلة وأخلاط على طريق وجهينة وأخلاط على طريق فكان هؤلاء الذين يلون الصحن وسائر الناس بين ذلك ومن وراء ذلك واقتسمت على السهمان فهذه مناهجها العظمى وبنوا مناهج دونها تحاذى هذه ثم تلاقيها أخر تتبعها وهى دونها فى الذرع والمحال من ورائها وفيما بينها وجعل هذه الطرقات من وراء الصحن ونزل فيها الأعشار من أهل الأيام والقوادس وحمى لأهل الثغور والموصل أماكن حتى يوافوا إليها فلما ردفتهم الروادف البدء والثناء وكثروا عليهم ضيق الناس المحال فمن كانت رادفته كثيرة شخص إليهم وترك محلته ومن كانت رادفته قليلة أنزلوهم منازل من شخص إلى رادفته لقلته إذا كانوا جيرانهم وإلا وسعوا على روادفهم وضيقوا على أنفسهم فكان الصحن على حاله زمان عمر كله لا تطمع فيه القبائل ليس فيه الا المسجد والقصر والأسواق فى غير بنيان ولا اعلام وقال عمر الأسواق على سنة المساجد من سبق الى مقعد فهو له حتى يقوم منه الى بيته أو يفرغ من بيعه وقد كانوا أعدوا مناخا لكل رادف فكان كل من يجىء سواء فيه وذلك المناخ اليوم دور بنى البكاء حتى يأتوا بالهياج فيقوم فى أمرهم حتى يقطع لهم حيث أحبوا وقد بنى سعد فى الذى خطوا للقصر قصرا بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم فشيده وجعل فيه بيت المال وسكن ناحيته ثم إن بيت المال نقب عليه نقباً وأخذ من المال وكتب سعد بذلك إلى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت

لمـال من الصحن مما يلي ودعة الدار فكتب اليه عمر أن انقل المسجد حتى ضعه الى جنب الدار واجعل الدار قبلته فإن المسجد أهلا بالنهار وبالليل وفيهم حصن لمـالهم فنقل المسجد وأراغ بنيانه فقال له دهقان من أهل همذان يقال روزبه بن بزرجمهر أنا أبنيه لك وأبني لك قصرا فأصلهما ويكون بنيانا واحداً فخط قصر الكوفة على ماخط عليه ثم أنشأه من نقض آجر قصر كان للأكاسرة بضواحي الحيرة على مساحته اليوم ولم يسمح به ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه الى منتهى القصر يمنة على القبلة ثم مد به عن يمين ذلك الى منقطع رحبة علي بن أبي طالب عليه السلام والرحبة قبلته ثم مد به فكانت قبلة المسجد الى الرحبة وميمنة القصر وكان بنيانه على أساطين من رخام كانت لكسرى بكنائس بغير مجنبات فلم يزل على ذلك حتى بني أزمان معاوية بن أبي سفيان بنيانه اليوم على يدى زياد ولمـا أراد زياد بنيانه دعا بنائين من بنائي الجاهلية فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يشتهي من طوله في السماء وقال اشتهي من ذلك شيئا لا أقع على صفته فقال له بناء قد كان بناء لكسرى لا يجيء هذا إلا بأساطين من جبال أهواز تنقر ثم تثقب ثم تحشى بالرصاص وبسفافيد الحديد فترفعه ثلاثين ذراعا في السماء ثم تسقفه وتجعل له مجنبات ومواخير فيكون أثبت له فقال هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبرها وغلق باب القصر وكانت الأسواق تكون في موضعه بين يديه فكانت غوغاؤهم تمنع سعداً الحديث فلما بنى ادعى الناس عليه مالم يقل وقالوا قال سعد سكن عني الصويت وبلغ عمر ذلك وأن الناس يسمونه قصر سعد فدعا محمد بن مسلمة فسرحه إلى الكوفة وقال اعمد إلى القصر حتى تحرق بابه ثم ارجع عودك على بدئك فخرج حتى قدم الكوفة فاشترى حطبا ثم أتى به القصر فأحرق الباب وأتى سعد فأخبر الخبر فقال هذا رسول أرسل لهذا من الشأم وبعث لينظر من هو فاذا هو محمد بن مسلمة فأرسل إليه رسولا بأن ادخل فأبى فخرج إليه سعد فأراده على الدخول والنزول فأبى وعرض عليه نفقة فلم يأخذ ودفع كتاب عمر إلى سعد بلغني أنك بنيت قصرا اتخذته حصنا ويسمى قصر سعد وجعلت

بينك وبين الناس بابا فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال انزل منه منزلا مما يلي بيوت الأموال واغلقه ولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت فحلف له سعد ماقال الذى قالوا ورجع محمد بن مسلمة من فوره حتى إذا دنا من المدينة فنى زاده فتبلغ بلحاء من لحاء الشجر فقدم على عمر وقد سبق فأخبره خبره كله فقال فهلا قبلت من سعد فقال لو أردت ذلك كتبت لى به أو أذنت لى فيه فقال عمر إن أكمل الرجال رأيا من إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم أو قال به ولم ينكل وأخبره بيمين سعد وقوله فصدق سعداً وقال هو أصدق ممن روى عليه ومن أبلغنى (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عطاء أبى محمد مولى اسحاق بن طلحة قال كنت أجلس فى المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد وليست له مجنبات ولا مواخير فأرى منه دير هند وباب الجسر (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن ابن شبرمة عن الشعبى قال كان الرجل يجلس فى المسجد فيرى منه باب الجسر (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عمر بن عياش أخى أبى بكر بن عياش عن أبى كثير أن روزبه بن بزرجمهر بن ساسان كان همذانيا وكان على فرج من فروج الروم فأدخل عليهم سلاحا فأخافه الأكاسرة فلحق بالروم فلم يأمن حتى قدم سعد ابن مالك فبنى له القصر والمسجد ثم كتب معه إلى عمر وأخبره بحاله فأسلم وفرض له عمر وأعطاه وصرفه إلى سعد مع أكريائه والأكرياء يومئذهم العباد حتى إذا كان بالمكان الذى يقال له قبر العبادى مات فحفروا له ثم انتظروا به من يمر بهم ممن يشهدونه موته فمر قوم من الأعراب وقد حفروا له على الطريق فأوهموه ليبرؤا من دمه وأشهدوهم ذلك فقالوا قبر العبادى وقيل قبر العبادى لمكان الأكرياء قال أبو كثير فهو والله أبى قال فقلت أفلا تخبر الناس بحاله قال لا (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد وزياد قالوا ورجح الأعشار بعضهم بعضا رجحانا كثيراً فكتب سعد إلى عمر فى تعديلهم فكتب اليه أن عدلهم فأرسل إلى قوم من نساب العرب وذوى رأيهم وعقلائهم

منهم سعيد بن نمران ومشعلة بن نعيم فعدلوهم عن الأسباع فجعلوهم أسباعا فصارت كنانة وحلفاؤها من الأحابيش وغيرهم وجديلة وهم بنو عمرو بن قيس عيلان سبعاً وصارت قضاعة ومنهم يومئذ غسان بن شبام وبجيلة وخثعم وكندة وحضرموت والأزد سبعاً وصارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً وصارت تميم وسائر الرباب وهوازن سبعاً وصارت أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب سبعاً وصارت إياد وعك وعبد القيس وأهل هجر والحمراء سبعة فلم يزالوا بذلك زمان عمر وعثمان وعلى وعامة إمارة معاوية حتى ربعهم زياد

إعادة تعريف الناس

وعرفوهم على مائة ألف درهم فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلا وثلاثا وأربعين امرأة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلا على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة وكل عيل على مائة ألف درهم وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلا وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم ثم على هذا من الحساب وقال عطية بن الحارث قد أدركت مائة عريف وعلى مثل ذلك كان أهل البصرة كان العطاء يدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات والرايات على أيادى العرب فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء فيدفعونه إلى أهله فى دورهم

فتوح المدائن قبل الكوفة

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا افتتوح المدائن السواد وحلوان وماسبذان وقرقيسياء فكانت الثغور ثغور الكوفة أربعة حلوان عليها القعقاع بن عمرو وماسبذان عليها ضرار بن الخطاب الفهرى وقرقيسياء عليها عمر بن مالك أو عمرو بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف والموصل عليها عبد الله بن المعتم فكانوا بذلك والناس مقيمون بالمدائن بعد ما تحول سعد الى تمصير الكوفة وانضمام هؤلاء النفر الى الكوفة واستخلافهم

على الثغور من يمسك بها ويقوم عليها فكان خليفة القعقاع على حلوان قباذبن عبد الله وخليفة عبد الله على الموصل مسلم بن عبد الله وخليفة ضرار رافع بن عبد الله وخليفة عمر عشنق بن عبد الله وكتب إليهم عمر أن يستعينوا بمن احتاجوا إليه من الأساورة ويرفعوا عنهم الجزاء ففعلوا فلما اختطت الكوفة وأذن للناس بالبناء نقل الناس أبوابهم من المدائن إلى الكوفة فعلقوها على ما بنوا وأوطنوا الكوفة وهذه ثغورهم وليس فى أيديهم من الريف إلا ذلك (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن عامر قال كانت الكوفة وسوادها والفروج حلوان والموصل وماسبذان وقرقيسياء ثم وافقهم فى الحديث عمرو ابن الريان عن موسى بن عيسى الهمدانى بمثل حديثهم ونهاهم عما وراء ذلك ولم يأذن لهم فى الانسياح وقالوا جميعا ولى سعد بن مالك على الكوفة بعد ما اختطت ثلاث سنين ونصفاً سوى ما كان بالمدائن قبلها وعمالته ما بين الكوفة وحلوان والموصل وماسبذان وقرقيسياء إلى البصرة ومات عتبة بن غزوان وهو على البصرة فظع بعمله وسعد على الكوفة فولى عمر أبا سبرة مكان عتبة بن غزوان ثم عزل أبا سبرة عن البصرة واستعمل المغيرة ثم عزل المغيرة واستعمل أبا موسى الأشعرى.

ذكر خبر حمص حين قصد من فيها من المسلمين صاحب الروم

وفى هذه السنة قصدت الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من جند المسلمين بحمص لحربهم فكان من أمرهم وأمر المسلمين ما ذكر أبو عبيدة وهو فيما كتب به إلى السرى عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد قالوا أول ما أذن عمر للجند بالكوفة بالانسياح أن الروم خرجوا وقد تكاتبوا هم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بحمص فضم أبو عبيدة إليه مسالحه وعسكروا بفناء مدينة حمص وأقبل خالد من قنسرين حتى انضم إليهم فيمن انضم من أمراء المسالح فاستشارهم أبو عبيدة فى المناجزة أو التحصن إلى مجىء الغياث فكان خالد يأمره أن يناجزهم وكان سائرهم يأمرونه بأن يتحصن ويكتب إلى عمر فأطاعهم وعصى

خالدا وكتب إلى عمر بخروجهم عليه وشغلهم أجناد أهل الشأم عنه وقد كان عمر اتخذ فى كل مصر على قدره خيولا من فضول أموال المسلمين عدة لكون إن كان فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس فلما وقع الخبر لعمر كتب إلى سعد ابن مالك أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذى يأتيك فيه كتابى إلى حمص فإن أبا عبيدة قد أحيط به وتقدم إليهم فى الجد والحث وكتب أيضا إليه أن سرح سهيل بن عدى إلى الجزيرة فى الجند وليأت الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص وإن أهل قرقيسياء لهم سلف وسرح عبد الله بن عتبان إلى نصيبين فإن أهل قرقيسياء لهم سلف ثم لينفضا حران والرهاء وسرح الوليد بن عتبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وسرح عياضا فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعا إلى عياض بن غنم وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد ممدين لأهل الشأم وممن انصرف أيام انصرف أهل العراق ممدين لأهل القادسية وكان يرافد أبا عبيدة فمضى القعقاع فى أربعة آلاف من يومهم الذى أتاهم فيه الكتاب نحو حمص وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفراض وغير الفراض وتوجه كل أمير إلى الكورة التى أمر عليها فأتى سهيل الرقة وخرج عمر من المدينة مغيثاً لأبى عبيدة يريد حمص حتى نزل الجابية ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص واستثاروهم وهم معهم مقيمون عن حديث من بالجزيرة منهم بأن الجنود قد ضربت من الكوفة ولم يدروا الجزيرة يريدون أم حمص فتفرقوا إلى بلدانهم وإخوانهم وخلوا الروم ورأى أبو عبيدة أمراً لما انفضوا غير الأول فاستشار خالداً فى الخروج فأمره بالخروج ففتح الله عليهم وقدم القعقاع بن عمرو فى أهل الكوفة فى ثلاث من يوم الوقعة وقدم عمر فنزل الجابية فكتبوا إلى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم فى ثلاث وبالحكم فى ذلك فكتب إليهم أن أشركوهم وقال جزى الله أهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن زكرياء بن سياه عن الشعبى قال استمد أبو عبيدة عمر وخرجت

عليه الروم وتابعهم النصارى فحصروه فخرج وكتب الى أهل الكوفة فنفر اليهم في غداة أربعة آلاف على البغال يجنبون الخيل فقدموا على أبي عبيدة في ثلاث بعد الوقعة فكتب فيهم الى عمر وقد انتهى الى الجابية فكتب اليه أن أشركهم فإنهم قد نفروا اليكم وتفرق لهم عدوكم (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن طلحة عن ماهان قال كان لعمر أربعة آلاف فرس عدة لكون ان كان يشتيها في قبلة قصر الكوفة وميسرته ومن أجل ذلك يسمى ذلك المكان الآرىّ الى اليوم ويربعها فيما بين الفرات والأبيات من الكوفة مما يلى العاقول فسمته الأعاجم آخر الشاهجان يعنون معلف الأمراء وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلى فى نفر من أهل الكوفة يصنع سوابقها ويجريها فى كل عام وبالبصرة نحو منها وقيمه عليها جزء بن معاوية وفى كل مصر من الأمصار الثمانية على قدرها فإن نابتهم نائبة ركب قوم وتقدموا الى أن يستعد الناس (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن حلام عن شهر بن مالك بنحو منه فلما فرغوا رجعوا * وفى هذه السنة أعنى سنة سبع عشرة افتتحت

الجزيرة

فى رواية سيف وأما ابن اسحاق فإنه ذكر انها افتتحت فى سنة تسع عشرة من الهجرة وذكر من سبب فتحها ماحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عنه أن عمر كتب الى سعد بن أبى وقاص ان الله قد فتح على المسلمين الشأم والعراق فابعث من عندك جنداً الى الجزيرة وأمر عليهم أحد الثلاثة خالد بن عرفطة أو هاشم بن عتبة أو عياض بن غنم فلما انتهى الى سعد كتاب عمر قال ما أخر أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر القوم الا أنه له فيه هوى أن أوليه وأنا موليه فبعثه وبعث معه جيشاً وبعث أبا موسى الأشعرى وابنه عمر بن سعد وهو غلام حدث السن ليس إليه من الأمر شيء وعثمان بن أبى العاص بن بشر الثقفى وذلك فى سنة تسع عشرة فخرج عياض إلى الجزيرة فنزل بجنده على الرهاء فصالحه أهلها على

الجزية وصالحت حران حين صالحت الرهاء فصالحه أهلها على الجزية ثم بعث أبا موسى الأشعرى إلى نصيبين ووجه عمر بن سعد إلى رأس العين فى خيل ردءاً للمسلمين وسار بنفسه فى بقية الناس إلى دارا فنزل عليها حتى افتتحها فافتتح أبو موسى نصيبين وذلك فى سنة تسع عشرة ثم وجه عثمان بن أبى العاص إلى أرمينية الرابعة فكان عندها شىء من قتال أصيب فيه صفوان بن المعطل السلمى شهيداً ثم صالح أهلها عثمان بن أبى العاص على الجزية على كل أهل بيت دينار ثم كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل * وأما فى رواية سيف فإن الخبر فى ذلك فيما كتب به إلى السرى عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد قالوا خرج عياض بن غنم فى أثر القعقاع وخرج القواد يعنى حين كتب عمر إلى سعد بتوجيه القعقاع فى أربعة آلاف من جنده مدداً لأبى عبيدة حين قصدته الروم وهو بحمص فسلكوا طريق الجزيرة على الفراض وغيرها فسلك سهيل بن عدى وجنده طريق الفراض حتى انتهى إلى الرقة وقد ارفض أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم حين سمعوا بمقبل أهل الكوفة فنزل عليهم فأقام محاصرهم حتى صالحوه وذلك أنهم قالوا فيما بينهم أنتم بين أهل العراق وأهل الشأم فما بقاؤكم على حرب هؤلاء وهؤلاء فبعثوا فى ذلك إلى عياض وهو فى منزل واسط من الجزيرة فرأى أن يقبل منهم فبايعوه وقبل منهم وكان الذى عقد لهم سهيل بن عدى عن أمر عياض لأنه أمير القتال وأجروا ما أخذوا عنوة ثم أجابوا مجرى أهل الذمة وخرج عبد الله بن عبد الله بن عتبان فسلك على دجلة حتى انتهى إلى الموصل فعبر إلى بلد حتى أتى نصيبين فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرقة وخافوا مثل الذى خافوا فكتبوا إلى عياض فرأى أن يقبل منهم فعقد لهم عبد الله ابن عبد الله وأجروا ما أخذوا عنوة ثم أجابوا مجرى أهل الذمة وخرج الوليد بن عقبة حتى قدم على بنى تغلب وعرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلا إياد ابن نزار فإنهم ارتحلوا بقليتهم فاقتحموا أرض الروم فكتب بذلك الوليد إلى عمر ابن الخطاب ولما أعطى أهل الرقة ونصيبين الطاعة ضم عياض سهيلا وعبد الله

إليه فسار بالناس إلى حران فأخذ مادونها فلما انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى الجزية فقبل منهم وأجرى من أجاب بعد غلبه مجرى أهل الذمة ثم إن عياضاً سرح سهيلا وعبد الله إلى الرهاء فاتقوهما بالإجابة إلى الجزية وأجرى من دونهم مجراهم فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمراً وأيسره فتحا فكانت تلك السهولة مهجنة عليهم وعلى من أقام فيهم من المسلمين وقال عياض بن غنم :

مَن مُبْلِغُ الأقوامِ أنَّ جُموعَنا　　حَوَتِ الجَزيرَةَ يوم ذاتِ زِحامِ
جَمَعوا الجَزيرَةَ والغِياثَ فَنَفسوا　　عَمَّنْ بِحِمْصَ غَيابَةَ القُــدَّامِ
إنَّ الأعِزَّةَ والأكارِمَ مَعْشَرٌ　　فَضُّوا الجزيرَةَ عن فِراخ الهامِ
غَلَبُوا المُلوكَ على الجَزيرَةِ فانتَهَوْا　　عن غَزْوِ مَنْ يأوِى بلادَ الشامِ

ولما نزل عمر الجابية وفرغ أهل حمص أمد عياض بن غنم بحبيب بن مسلمة فقدم على عياض مدداً وكتب أبو عبيدة إلى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضم إليه عياض بن غنم إذ ضم خالداً إلى المدينة فصرفه اليه وصرف سهيل ابن عدى وعبدالله بن عبد الله إلى الكوفة ليصرفهما إلى المشرق واستعمل حبيب ابن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها والوليد بن عقبة على عرب الجزيرة فأقاما بالجزيرة على أعمالها ٥ قالوا ولما قدم الكتاب من الوليد على عمر كتب عمر إلى ملوك الروم أنه بلغنى أن حيا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك فوالله لتخرجنه أو لننبذن إلى النصارى ثم لنخرجنهم إليك فأخرجهم ملك الروم فخرجوا فتم منهم على الخروج أربعة آلاف مع أبى عدى بن زياد وخنس بقيتهم فتفرقوا فيما يلى الشأم والجزيرة من بلاد الروم فكل إيادى فى أرض العرب من أولئك الأربعة الآلاف وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل من بنى تغلب إلا الإسلام فقالوا له أما من نقب على قومه فى صلح سعد ومن كان قبله فأنتم وذاك وأما من لم ينقب عليه أحد ولم يجر ذلك لمن نقب فما سبيلك عليه فكتب فيهم إلى عمر فأجابه عمر انما ذلك لجزيرة العرب لا يقبل منهم فيها الا الإسلام فدعهم على أن لا ينصِّروا وليداً وأقبل منهم إذا أسلموا فقبل منهم على أن ينصروا وليداً ولا يمنعوا

أحداً منهم من الإسلام فأعطى بعضهم ذلك فأخذوا به وأبى بعضهم الا الجزاء فرضى منهم بما رضى من العباد وتنوخ (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عطية عن أبى سيف التغلبى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاهد وفدهم على أن لا ينصّروا وليداً فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من وفدهم ولم يكن على غيرهم فلما كان زمان عمر قال مسلموهم لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا ولكن ضعفوا عليهم الصدقة التى تأخذونها من أموالهم فيكون جزاء فانهم يغضبون من ذكر الجزاء على أن لا ينصروا مولوداً إذا أسلم آباؤهم فخرج وفدهم فى ذلك إلى عمر فلما بعث الوليد اليه برؤس النصارى وبديانيهم قال لهم عمر أدوا الجزية فقالوا لعمر أبلغنا مأمننا والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم والله لتفضحنا من بين العرب فقال لهم أنتم فضحتم أنفسكم وخالفتم أمتكم فيمن خالف وافتضح من عرب الضاحية وتالله لتؤدنه وأنتم صغرة قماة ولئن هربتم الى الروم لأكتبن فيكم ثم لأسبينكم قالوا فخذ منا شيئاً ولا تسمه جزاء فقال أما نحن فنسميه جزاء وسموه أنتم ما شئتم فقال له على بن أبى طالب يا أمير المؤمنين ألم يضعف عليهم سعد بن مالك الصدقة قال بلى وأصغى اليه فرضى به منهم جزاء فرجعوا على ذلك وكان فى بنى تغلب عز وامتناع ولا يزالون ينازعون الوليد فهم بهم الوليد وقال فى ذلك

إذا ما عَصَبْتُ الرأسَ مِنّى بِمشْوَذٍ فغَيك مِنّى تَغلِبُ ابنــةَ وائِلِ

وبلغت عنه عمر فخاف أن يخرجوه وأن يضعف صبره فيسطو عليهم فعزله وأمر عليهم فرات ابن حيان وهند بن عمرو الجملى وخرج الوليد واستودع إبلاله حريث بن النعمان أحد بنى كنانة بن تيم من بنى تغلب وكانت مائة من الإبل فاختانها بعد ما خرج الوليد وكان فتح الجزيرة فى سنة سبع عشرة فى ذى الحجة ❊ وفى هذه السنة أعنى سنة سبع عشرة خرج عمر من المدينة يريد الشأم حتى بلغ سرغ فى قول ابن اسحاق حدثنا بذلك ابن حميد عن سلمة عنه وفى قول الواقدى

ذكر الخبر عن خروجه اليها

❊ حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق قال خرج عمر إلى الشأم

غازيا فى سنة سبع عشرة حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد فأخبروه أن الأرض سقيمة فرجع بالناس إلى المدينة وقد كان عمر كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن شهاب الزهرى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس خرج غازيا وخرج معه المهاجرون والأنصار وأوعب الناس معه حتى إذا نزل بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة فأخبروه أن الأرض سقيمة فقال عمر اجمع إلى المهاجرين الأولين قال فجمعتهم له فاستشارهم فاختلفوا عليه فمنهم القائل خرجت لوجه تريد فيه الله وما عنده ولا نرى أن يصدك عنه بلاء عرض لك ومنهم القائل أنه لبلاء وفناء ما نرى أن تقدم عليه فلما اختلفوا عليه قال قوموا عنى ثم قال اجمع لى مهاجرة الأنصار فجمعتهم له فاستشارهم فسلكوا طريق المهاجرين فكأنما سمعوا ما قالوا فقالوا مثله فلما اختلفوا عليه قال قوموا عنى ثم قال اجمع لى مهاجرة الفتح من قريش فجمعتهم له فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم اثنان وقالوا ارجع بالناس فانه بلاء وفناء قال فقال لى عمر يا ابن عباس اصرخ فى الناس فقل إن أمير المؤمنين يقول لكم إنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه قال فأصبح عمر على ظهر وأصبح الناس عليه فلما اجتمعوا عليه قال أيها الناس انى راجع فارجعوا فقال له أبو عبيدة بن الجراح أفرارا من قدر الله قال نعم فرارا من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو أن رجلا هبط واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس يرعى من رعى الجدبة بقدر الله ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله ثم قال لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ثم خلا به بناحية دون الناس فبينا الناس على ذلك إذ أتى عبد الرحمن بن عوف وكان متخلفا عن الناس لم يشهدهم بالأمس فقال ما شأن الناس فأخبر الخبر فقال عندى من هذا علم فقال عمر فأنت عندنا الأمين المصدق فماذا عندك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فرارا منه ولا يخرجنكم إلا ذلك فقال عمر فلله الحمد انصرفوا أيها الناس فانصرف بهم ❁ حدثنى

ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق عن ابن شهاب الزهرى عن عبدالله بن عامر بن ربيعة وسالم بن عبدالله بن عمر أنهما حدثاه أن عمر إنما رجع بالناس عن حديث عبدالرحمن بن عوف فلما رجع عمر رجع عمال الأجناد إلى أعمالهم * وأما سيف فانه روى فى ذلك ما كتب به إلىّ السرى عن شعيب عن سيف عن أبى حارثة وأبى عثمان والربيع قالوا وقع الطاعون بالشأم ومصر والعراق واستقر بالشأم ومات فيه الناس الذين هم فى كل الأمصار فى المحرم وصفر وارتفع عن الناس وكتبوا بذلك إلى عمر ما خلا الشأم فخرج حتى إذا كان منها قريبا بلغه أنه أشد ما كان فقال وقال الصحابة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بأرض وباء فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرجع حتى ارتفع عنها وكتبوا بذلك اليه وبما فى أيديهم من المواريث فجمع الناس فى جمادى الأولى سنة سبع عشرة فاستشارهم فى البلدان فقال إنى قد بدا لى أن أطوف على المسلمين فى بلدانهم لأنظر فى آثارهم فأشيروا على وكعب الأحبار فى القوم وفى تلك السنة من إمارة عمر أسلم فقال كعب بأيها تريد أن تبدأ يا أمير المؤمنين قال بالعراق قال فلا تفعل فان الشر عشرة أجزاء والخير عشرة أجزاء فجزء من الخير بالمشرق وتسعة بالمغرب وإن جزأ من الشر بالمغرب وتسعة بالمشرق وبها قرن الشيطان وكل داء عضال (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن سعيد عن الأصبغ عن على قال قام اليه علىّ فقال يا أمير المؤمنين والله إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة وإنها لقبة الإسلام وليأتين عليها يوم لا يبقى مؤمن إلا أتاها وحن اليها والله لينصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن المطرح عن القاسم عن أبى أمامة قال وقال عثمان يا أمير المؤمنين إن المغرب أرض الشر وإن الشر قسم مائة جزء فجزء فى الناس وسائر الأجزاء بها (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن يحيى التيمى عن أبى ماجد قال قال عمر الكوفة رمح الله وقبة الاسلام وجمجمة العرب يكفون ثغورهم ويمدون الأمصار فقد ضاعت مواريث أهل عمواس فابدأ بها (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى عثمان

وأبى جارثة والربيع بن النعمان قالوا قال عمر ضاعت مواريث الناس بالشأم أبدأ بها فأقسم المواريث وأقيم لهم مافى نفسى ثم أرجع فأتقلب فى البلاد وأنبذ اليهم أمرى فأتى عمر الشأم أربع مرات مرتين فى سنة ست عشرة ومرتين فى سنة سبع عشرة لم يدخلها فى الأولى من الآخرتين (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن بكر بن وائل عن محمد بن مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم الحفظ عشرة أجزاء فتسعة فى الترك وجزء فى سائر الناس وقسم البخل عشرة أجزاء فتسعة فى فارس وجزء فى سائر الناس وقسم السخاء عشرة أجزاء فتسعة فى السودان وجزء فى سائر الناس وقسم الشبق عشرة أجزاء فتسعة فى الهند وجزء فى سائر الناس وقسم الحياء عشرة أجزاء فتسعة فى النساء وجزء فى سائر الناس وقسم الحسد عشرة أجزاء فتسعة فى العرب وجزء فى سائر الناس وقسم الكبر عشرة أجزاء فتسعة فى الروم وجزء فى سائر الناس

واختلف فى خبر طاعون عمواس وفى أى سنة كان

فقال ابن اسحاق ما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عنه قال ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ففيها كان طاعون عمواس فتفانى فيها الناس فتوفى أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير الناس ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبى سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعتبة بن سهيل وأشراف الناس ❊ وحدثنى أحمد بن ثابت الرازى قال حدثنا عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر قال كان طاعون عمواس والجابية فى سنة ثمانى عشرة ❊ حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق عن شعبة بن الحجاج عن المخارق بن عبد الله البجلى عن طارق بن شهاب البجلى قال أتينا أبا موسى وهو فى داره بالكوفة لنتحدث عنده فلما جلسنا قال لا عليكم أن تخفوا فقد أصيب فى الدار انسان بهذا السقم ولا عليكم أن تنزهوا عن هذه القرية فتخرجوا فى فسيح بلادكم ونزهها حتى يرفع هذا الوباء سأخبركم بما يكره مما يتقى من ذلك أن يظن من خرج منه لو أقام مات ويظن من أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه فاذا لم يظن هذا

المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتنزه عنه إنى كنت مع أبى عبيدة بن الجراح بالشأم عام طاعون عمواس فلما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب الى أبى عبيدة ليستخرجه منه أن سلام عليك أما بعد فإنه قد عرضت لى اليك حاجة أريد أن أشافهك فيها فعزمت عليك إذا نظرت فى كتابى هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلىّ قال فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء قال يغفر الله لأمير المؤمنين ثم كتب اليه ياأمير المؤمنين إنى قد عرفت حاجتك إلىّ وإنى فى جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله فىّ وفيهم أمره وقضاه فخللنى من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعنى فى جندى فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس ياأمير المؤمنين أمات أبو عبيدة قال لا وكأن قد قال ثم كتب اليه سلام عليك أما بعد فإنك أنزلت الناس أرضا عميقة فارفعهم الى أرض مرتفعة نزهة فلما أتاه كتابه دعانى فقال يا أبا موسى إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءنى بما ترى فاخرج فارتد للناس منزلا حتى أتبعك بهم فرجعت الى منزلى لأرتحل فوجدت صاحبتى قد أصيبت فرجعت اليه فقلت له والله لقد كان فى أهلى حدث فقال لعل صاحبتك أصيبت قلت نعم قال فأمر ببعيره فرحل له فلما وضع رجله فى غرزه طعن فقال والله لقد أصبت ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ورفع عن الناس الوباء

❊ حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق عن أبان بن صالح عن شهر ابن حوشب الأشعرى عن رابة رجل من قومه وكان قد خلف على أمه بعد أبيه كان شهد طاعون عمواس قال لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة فى الناس خطيبا فقال أيها الناس إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وموت الصالحين قبلكم وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه فطعن فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل قال فقام خطيبا بعده فقال أما أيها الناس إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وإن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظهم فطعن ابنه عبد الرحمن بن معاذ فمات ثم قام فدعا به لنفسه فطعن فى راحته فلقد رأيته ينظر اليها ثم يقبل ظهر كفه ثم يقول ما أحب أن لى بما فيك

شيئا من الدنيا فلما مات استخلف الناس عمرو بن العاصى فقام خطيبا فى الناس فقال أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتجبلوا منه فى الجبال فقال أبو واثلة الهذلى كذبت والله لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت شر من حمارى هذا قال والله ما أرد عليك ما تقول وايم الله لا نقيم عليه ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ورفعه الله عنهم قال فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاصى فوالله ما كرهه ٭ حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحاق عن رجل عن أبى قلابة عبد الله بن زيد الجرمى أنه كان يقول بلغنى هذا من قول أبى عبيدة وقول معاذ بن جبل إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم فكنت أقول كيف دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته حتى حدثنى بعض من لا أتهم عن رسول الله أنه سمعه منه وجاءه جبريل عليه السلام فقال إن فناء أمتك يكون بالطعن أو الطاعون فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم فناء الطاعون فعرفت أنها التى كان قال أبو عبيدة ومعاذ ٭ حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق قال ولما انتهى الى عمر مصاب أبى عبيدة ويزيد بن أبى سفيان أمر معاوية بن أبى سفيان على جند دمشق وخراجها وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها (وأما سيف) فانه زعم أن طاعون عمواس كان فى سنة سبعة عشر (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن أبى عثمان وأبى حارثة والربيع بإسنادهم قالوا كان ذلك الطاعون يعنون طاعون عمواس موتانا لم ير مثله طمع له العدو فى المسلمين وتخوفت له قلوب المسلمين كثر موته وطال مكثه مكث أشهراً حتى تكلم فى ذلك الناس (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن عبد الله بن سعيد عن أبى سعيد قال أصاب البصرة من ذلك موت ذريع فأمر رجل من بنى تميم غلاماً له أعجمياً أن يحمل ابناً له صغيراً ليس له ولد غيره على حمار ثم يسوق به إلى سفوان حتى يلحقه فخرج فى آخر الليل ثم اتبعه وقد أشرف على سفوان ودنا من ابنه وغلامه فرفع الغلام عقيرته يقول

لَنْ يُعْجِزوا اللهَ على حِمارِ ولا على ذي غُرَّةٍ مُطارِ

قد يُصبِحُ المَوْتُ أمامَ السارى

فشك حتى انتهى إليهم فإذاهم هم قال ويحك ماقلت قال ماأدرى قال ارجع فرجع بابنه وعلم أنه قد أسمع آية وأريها قال وعزم رجل على الخروج إلى أرض بها الطاعون فتردد بعد ما طعن فإذا غلام له أعجمى يحدوبه

يا أيها المُشْعِرُ هَمًّا لا تُهَمّ إنك إنْ تُكْتَبْ لك الحُمَّى تُحَمّ

﴿ وفى هذه السنة ﴾ أعنى سنة سبع عشرة كان خروج عمر إلى الشأم الخرجة الأخيرة فلم يعد إليها بعد ذلك فى قول سيف وأما ابن إسحاق فقد مضى ذكره

ذكر الخبر عن سيف فى ذلك والخبر عما ذكره عن عمر
فى خرجته تلك أنه أحدث فى مصالح المسلمين

﴿ كتب إلىّ السرىّ ﴾ عن شعيب عن سيف عن أبى عثمان وأبى حارثة والربيع قالوا وخرج عمر وخلف عليا على المدينة وخرج معه بالصحابة وأغذوا السير واتخذ أيلة طريقاً حتى إذا دنا منها تنحى عن الطريق واتبعه غلامه فنزل فبال ثم عاد فركب بعير غلامه وعلى رحله فرو مقلوب وأعطى غلامه مركبه فلما تلقاه أوائل الناس قالوا أين أمير المؤمنين قال أمامكم يعنى نفسه وذهبوا هم إلى أمامهم فجاوزه حتى انتهى هو إلى أيلة فنزلها وقيل للمتلقين قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها فرجعوا إليه ﴿ كتب إلى السرى ﴾ عن شعيب عن سيف عن هشام ابن عروة عن أبيه قال لما قدم عمر بن الخطاب أيلة ومعه المهاجرون والأنصار دفع قميصا له كرابيس قد انجاب مؤخره عن قعدته من طول السير إلى الأسقف وقال اغسل هذا وارقعه فانطلق الأسقف بالقميص ورقعه وخاط له آخر مثله فراح به إلى عمر فقال ما هذا قال الأسقف أما هذا فقميصك قد غسلته ورقعته وأما هذا فكسوة لك منى فنظر إليه عمر ومسحه ثم لبس قميصه ورد عليه ذلك القميص وقال هذا أنشفهما للعرق ﴿ كتب إلى السرى ﴾ عن شعيب عن سيف عن عطية وهلال عن رافع بن عمر قال سمعت العباس بالجابية يقول لعمر أربع

من عمل بهن استوجب العدل الأمانة فى المال والتسوية فى القسم والوفاء بالعدة والخروج من العيوب نظف نفسك وأهلك (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن أبى عثمان والربيع وأبى حارثة بإسنادهم قالوا قسم عمر الأرزاق وسمى الشواتى والصوائف وسد فروج الشأم ومسالحها وأخذ يدور بها وسمى ذلك فى كل كورة واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة وعزل شرحبيل واستعمل معاوية وأمر أبا عبيدة وخالداً تحته فقال له شرحبيل أعَنْ سخطة عزلتنى يا أمير المؤمنين قال لا إنك لكما أحب ولكنى أريد رجلا أقوى من رجل قال نعم فاعذرنى فى الناس لا تدركنى هجنة فقام فى الناس فقال أيها الناس انى والله ما عزلت شرحبيل عن سخطة ولكنى أردت رجلا أقوى من رجل وأمّر عمرو بن عبسه على الأهراء وسمى كل شىء ثم قام فى الناس بالوداع (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن أبى ضمرة وأبى عمرو عن المستورد عن عدى ابن سهيل قال لما فرغ عمر من فروجه وأموره قسم المواريث فورث بعض الورثة من بعض ثم أخرجها إلى الأحياء من ورثة كل امرئ منهم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي وخرج الحارث بن هشام فى سبعين من أهل بيته فلم يرجع منهم إلا أربعة فقال المهاجر بن خالد بن الوليد

مَنْ يَسْكُنِ الشأمَ يُعَرِّسْ بِهِ   والشأمُ إن لم يُفننا كارِبُ
أفنَى بَنى رَيْطَةَ فُرسانَهُم   عِشرون لم يُقصَصْ لهم شارِبُ
ومِنْ بَنى أعمامِهِمْ مِثْلَهُم   لِمِثْلِ هذا أعْجبَ العاجِبُ
طعناً وطاعوناً مَنَاياهُمُ   ذلك ما خَطَّ لنا الكاتِبُ

قال وقفل عمر من الشأم إلى المدينة فى ذى الحجة وخطب حين أراد القفول فحمد الله وأثنى عليه وقال ألا إنى قد وليت عليكم وقضيت الذى علىّ فى الذى ولانى الله من أمركم إن شاء الله قسطنا بينكم فيأكم ومنازلكم ومغازيكم وأبلغنا ما لديكم فجندنا لكم الجنود وهيأنا لكم الفروج وبوأناكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤكم وما قاتلتم عليه من شأمكم وسمينا لكم أطماعكم وأمرنا لكم بأعطائكم وأرزاقكم ومعاونكم

فمن علم علم شيء ينبغي العمل به فبلغنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله وحضرت الصلاة وقال الناس لو أمرتَ بلالا فأذن فأمره فأذن فما بقي أحد كان أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن له إلا بكى حتى بل لحيته وعمر أشدهم بكاء وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذكره صلى الله عليه وسلم (كتب إليّ السرى) عن شعيب عن سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة قالا فما زال خالد على قِنَّسرين حتى غزا غزوته التي أصاب فيها وقسم فيها ما أصاب لنفسه (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبي المجالد مثله قالوا وبلغ عمر ان خالداً دخل الحمام فتدلك بعد النورة بثخين عصفر معجون بخمر فكتب اليه بلغني أنك تدلكت بخمر وإن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه كما حرم ظاهر الإثم وباطنه وقد حرم مس الخمر إلا أن تغسل كما حرم شربها فلا تمسوها أجسادكم فإنها نجس وإن فعلتم فلا تعودوا فكتب اليه خالد إنا قتلناها فعادت غسولا غير خمر فكتب اليه عمر انى أظن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه فانتهى اليه ذلك (وفى هذه السنة) أعنى سنة سبعة عشر أدرب خالد بن الوليد وعياض بن غنم فى رواية سيف عن شيوخه

ذكر ذلك

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة والمهلب قالوا وأدرب سنة سبعة عشر خالد وعياض فسارا فأصابا أموالا عظيمة وكانا توجها من الجابية فرجع عمر إلى المدينة وعلى حمص أبو عبيدة وخالد تحت يديه على قنسرين وعلى دمشق يزيد بن أبي سفيان وعلى الأردن معاوية وعلى فلسطين علقمة بن مجزز وعلى الأهراء عمرو بن عبسة وعلى السواحل عبد الله بن قيس وعلى كل عمل عامل فقامت مسالح الشأم ومصر والعراق على ذلك إلى اليوم لم تجز أمة إلى أخرى عملها بعد إلا أن يقتحموا عليهم بعد كفر منهم فيقدموا مسالحهم بعد ذلك فاعتدل ذلك سنة سبعة عشر (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبي المجالد وأبي عثمان والربيع وأبي حارثة قالوا ولما قفل خالد وبلغ الناس

ما أصابت تلك الطائفة انتجعه رجال فانتجع خالداً رجال من أهل الآفاق فكان الأشعث بن قيس ممن انتجع خالداً بقنسرين فأجازه بعشرة آلاف وكان عمر لا يخفى عليه شيء فى عمله كتب إليه من العراق بخروج من خرج ومن الشأم بجائزة من أجيز فيها فدعا البريد وكتب معه إلى أبى عبيدة أن يقيم خالدا ويعقله بعمامته وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمهء من أين اجازة الأشعث أمن ماله أم من إصابة أصابها فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف واعزله على كل حال واضم إليك عمله فكتب أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر فقام البريد فقال ياخالد أمن مالك أجزت بعشرة آلاف أم من إصابة فلم يجبه حتى أكثر عليه وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً فقام بلال إليه فقال إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ثم تناول قلنسوته فعقله بعمامته وقال ما تقول أمن مالك أم من اصابة قال لا بل من مالى فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم ونخدم موالينا قالوا وأقام خالد متحيرا لا يدرى أمعزول أم غير معزول وجعل أبو عبيدة لا يخبره حتى إذا طال على عمر أن يقدم ظن الذى قد كان فكتب إليه بالإقبال فأتى خالد أبا عبيدة فقال رحمك الله ما أردت إلى ما صنعت كتمتنى أمرا كنت أحب أن أعلمه قبل اليوم فقال أبو عبيدة إنى والله ما كنت لأروعك ما وجدت لذلك بدا وقد علمت أن ذلك يروعك قال فرجع خالد إلى قنسرين فخطب أهل عمله وودعهم وتحمل ثم أقبل إلى حمص فخطبهم وودعهم ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر فشكاه وقال لقد شكوتك إلى المسلمين وبالله إنك فى أمرى غير مجمل ياعمر فقال عمر من أين هذا الثرى قال من الأنفال والسهمان ما زاد على الستين ألفاً فلك فقوم عمر عروضه فخرجت إليه عشرون ألفاً فأدخلها بيت المال ثم قال ياخالد والله إنك على لكريم وإنك إلى لحبيب ولن تعاتبنى بعد اليوم على شيء (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عبد الله بن المستورد عن أبيه عن عدى بن سهيل قال كتب عمر إلى الأمصار إنى لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة

ولكن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مبشر عن سالم قال لما قدم خالد على عمر قال عمر متمثلا

صَنَعْتَ فلَمْ يَصْنَعْ كَصُنْعِكَ صانِعٌ　　وما يَصْنَعُ الاقْوامُ فاللهُ يَصْنَعُ

فأغرمه شيئاً ثم عوضه وكتب فيه إلى الناس بهذا الكتاب ليعذره عندهم وليبصرهم (وفى هذه السنة) أعنى سنة سبعة عشر اعتمر عمر وبنى المسجد الحرام فيما زعم الواقدى ووسع فيه وأقام بمكة عشرين ليلة وهدم على أقوام أبوا أن يبيعوا ووضع أثمان دورهم فى بيت المال حتى أخذوها قال وكان ذلك الشهر الذى اعتمر فيه رجباً وخلف على المدينة زيد بن ثابت قال الواقدى وفى عمرته هذه أمر بتجديد أنصاب الحرم فأمر بذلك مخرمة بن نوفل والأزهر بن عبد عوف وحويطب بن عبد العزى وسعيد بن يربوع قال وحدثنى كثير بن عبد الله المزنى عن أبيه عن جده قال قدمنا مع عمر مكة فى عمرته سنة سبع عشرة فمر بالطريق فكلمه أهل المياه أن يبتنوا منازل بين مكة والمدينة ولم يكن قبل ذلك بناء فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء * (قال وفيها) * تزوج عمر ابن الخطاب أم كلثوم ابنة على ابن أبى طالب وهى ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها فى ذى القعدة * (قال وفى هذه السنة) * ولى عمر أبا موسى البصرة وأمره أن يشخص إليه المغيرة فى ربيع الأول فشهد عليه فيما حدثنى معمر عن الزهرى عن ابن المسيب أبو بكرة وشبل بن معبد البجلى ونافع بن كلدة وزياد قال وحدثنى محمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه قال كان يختلف إلى أم جميل امرأة من بنى هلال وكان لها زوج هلك قبل ذلك من ثقيف يقال له الحجاج بن عبيد فكان يدخل عليها فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموه فخرج المغيرة يوماً من الأيام حتى دخل عليها وقد وضعوا عليها الرصد فانطلق القوم الذين شهدوا جميعاً فكشفوا الستر وقد واقعها فكتب أبو بكرة إلى عمر فسمع صوته وبينه وبينه حجاب فقال أبو بكرة قال نعم قال لقد جئت لشر قال إنما جاء بى المغيرة ثم قص عليه القصة فبعث عمر أبا موسى الأشعرى

عاملا وأمره أن يبعث إليه المغيرة فأهدى المغيرة لأبى موسى عقيلة وقال إنى رضيتها لك فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر قال الواقدى وحدثنى عبد الرحمن بن محمد ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن مالك بن أوس بن الحدثان قال حضرت عمر حين قدم بالمغيرة وقد تزوج امرأة من بنى مرة فقال له إنك لفارغ القلب طويل الشبق فسمعت عمر يسأل عن المرأة فقال يقال لها الرقطاء وزوجها من ثقيف وهو من بنى هلال * (قال أبو جعفر) * وكان سبب ما كان بين أبى بكرة والشهادة عليه فيما كتب إلى السرى عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو باسنادهم قالوا كان الذى حدث بين أبى بكرة والمغيرة ابن شعبة أن المغيرة كان يناغيه وكان أبو بكرة ينافره عند كل ما يكون منه وكانا بالبصرة وكانا متجاورين بينهما طريق وكانا فى مشربتين متقابلتين لهما فى داريهما فى كل واحدة منهما كوة مقابلة الأخرى فاجتمع إلى أبى بكرة نفر يتحدثون فى مشربته فهبت ريح ففتحت باب الكوة فقام أبو بكرة ليصفقه فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوة مشربته وهو بين رجلى امرأة فقال للنفر قوموا فانظروا فقاموا فنظروا ثم قال اشهدوا قالوا ومن هذه قال أم جميل ابنة الأفقم وكانت أم جميل إحدى بنى عامر بن صعصعة وكانت غاشية للمغيرة وتغشى الأمراء والأشراف وكان بعض النساء يفعلن ذلك فى زمانها فقالوا إنما رأينا أعجازاً ولا ندرى ما الوجه ثم إنهم صمموا حين قامت فلما خرج المغيرة إلى الصلاة حال أبو بكرة بينه وبين الصلاة وقال لا تصل بنا فكتبوا إلى عمر بذلك وتكاتبوا فبعث عمر إلى أبى موسى فقال يا أبا موسى إنى مستعملك إنى أبعثك إلى أرض قد باض بها الشيطان وفرخ فالزم ما تعرف ولا تستبدل فيستبدل الله بك فقال يا أمير المؤمنين أعنى بعدة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار فانى وجدتهم فى هذه الأمة وهذه الأعمال كالملح لا يصلح الطعام إلا به قال فاستعن بمن أحببت فاستعان بتسعة وعشرين رجلا منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر ثم خرج أبو موسى فيهم حتى أناخ بالمربد وبلغ المغيرة أن أبا موسى قد أناخ بالمربد فقال والله ما جاء أبو موسى زائراً ولا

تاجراً ولكنه جاء أميراً فانهم لفي ذلك إذ جاء أبو موسى حتى دخل عليهم فدفع اليه أبو موسى كتابا من عمر وإنه لأوجز كتاب كتب به أحد من الناس أربع كلم عزل فيها وعاتب واستحث وأمر أما بعد فانه بلغنى نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلم ما فى يدك والعجل وكتب إلى أهل البصرة أما بعد فانى قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ليأخذ لضعيفكم من قويكم وليقاتل بكم عدوكم وليدفع عن ذمتكم وليحصى لكم فيأكم ثم ليقسمه بينكم ولينقى لكم طرقكم وأهدى له المغيرة وليدة من مولدات الطائف تدعى عقيلة وقال إنى قد رضيتها لك وكانت فارهة وارتحل المغيرة وأبو بكرة ونافع بن كلدة وزياد وشبل بن معبد البجلى حتى قدموا على عمر فجمع بينهم وبين المغيرة فقال المغيرة سل هؤلاء الأعبد كيف رأونى مستقبلهم أو مستدبرهم وكيف رأوا المرأة أو عرفوها فان كانوا مستقبلى فكيف ثم استتر أو مستدبرى فبأى شيء استحلوا النظر إلىّ فى منزلى على امرأتى والله ماأتيت إلا امرأتى وكانت شبهها فبدأ بأبى بكرة فشهد عليه انه رآه بين رجلى أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالميل فى المكحلة قال كيف رأيتهما قال مستدبرهما قال فكيف استثبت رأسها قال تحاملت ثم دعا بشبل بن معبد فشهد بمثل ذلك فقال استدبرتهما أو استقبلتهما قال استقبلتهما وشهد نافع بمثل شهادة أبى بكرة ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم قال رأيته جالساً بين رجلى امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان واستين مكشوفتين وسمعت حفزاناً شديداً قال هل رأيت كالميل فى المكحلة قال لا قال فهل تعرف المرأة قال لا ولكن أشبهها قال فتنح وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد وقرأ «فإذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون» فقال المغيرة اشفنى من الأعبد فقال اسكت أسكت الله نأمتك أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك (وفى هذه السنة) أعنى سنة سبع عشرة فتحت سوق الأهواز ومناذر ونهر تيرى فى قول بعضهم وفى قول آخرين كان ذلك فى سنة ست عشرة من الهجرة

ذكر الخبر عن سبب فتح ذلك وعلى يدى من جرى

(كتب إلىّ السرى) يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف بن عمر عن محمد وطلحة

والمهلب وعمرو قالوا كان الهرمزان أحد البيوتات السبعة فى أهل فارس وكانت أمته مهرجان قذق وكور الأهواز فهؤلاء بيوتات دون سائر أهل فارس فلما انهزم يوم القادسية كان وجهه إلى أمته فملكهم وقاتل بهم من أرادهم فكان الهرمزان يغير على أهل ميسان ودست ميسان من وجهين من مناذر ونهر تيرى فاستمد عتبة بن غزوان سعداً فأمده سعد بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرى ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة بن مريطة وكانا من المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من بنى العدوية من بنى حنظلة فنزلا على حدود أرض ميسان ودستميسان بينهم وبين مناذر ودعوا بنى العم فخرج اليهم غالب الوائلى وكليب بن وائل الكليبي فتركا نعيما ونعيما ونكبا عنهما وأتيا سلمى وحرملة وقالا أنتما من العشيرة وليس لكما مترك فاذا كان يوم كذا وكذا فانهدا للهرمزان فان أحدنا يثور بمناذر والآخر بنهر تيرى فنقتل المقاتلة ثم يكون وجهنا اليكم فليس دون الهرمزان شيء إن شاء الله ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك قال وكان من حديث العمى والعمى مرة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم أنه تَنَخَّت عليه وعلى العصية بن امرئ القيس أفناء معد فعماه عن الرشد من لم ير نصره فارس على الأردوان فقال فى ذلك كعب بن مالك أخوه ويقال صدى بن مالك

لقد عَمِ عنها مُرَّةُ الخيرِ فانصمَى وصَمَّ فلَمْ يَسمَعْ دُعاءَ العَشائِرِ
ليتَنَخ عنّا رَغْبةً عن بِلادِهِ ويَطْلبَ مُلْكاً عالِيًا فى الأساوِرِ

فبهذا البيت سمى العم فقيل بنو العم عموه عن الصواب بنصره أهل فارس كقول الله تبارك وتعالى «عموا وصموا» وقال يربوع بن مالك

لَقَدْ عَلِمَتْ عُليا مَعَدٍّ بأَنّنا غَداةَ التّباهى غُرٌّ ذاكَ التّبادُرِ
تَنَخنا على رَغْمِ العُداة ولم ينح بحىّ تَميمٍ والعَديد الجماهِرِ
نَفَيْنا عَنِ الفُرسِ النّبيطَ فَلَمْ يَزَلْ لَنا فيهِمُ إحْدَى الهَناتِ البَهاتِرِ

إِذا العَرَبُ العَلْياءُ جاشَتْ بُحورُها نَفَخْرنا عَلَى كلِّ البُحورِ ٱلزواخِرِ

وقال أيوب بن العصية بن امرئ القيس

لَنَحْنُ سَبَقْنا بالتُّنوخ القَبائِلا وَعَمْدًا تَنخنا حَيْثُ جاؤا قَنابِلا

وَكُنّا مُلوكاً قَدْ عَزَزْنا الأَوائلا وَفى كلِّ قرن قَدْملَكْنا الحَلائلا

فلما كانت تلك الليلة ليلة الموعد من سلمى وحرملة وغالب وكليب والهرمزان يومئذ بين نهر تيرى وبين دُلُث خرج سلمى وحرملة صبيحتها فى تعبية وأنهضا نعيما ونعيما فالتقوا هم والهرمزان بين دلث ونهر تيرى وسلمى بن القين على أهل البصرة ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة فاقتتلوا فبيناهم فى ذلك أقبل المدد من قبل غالب وكليب وأتى الهرمزان الخبر بأن مناذر ونهر تيرى قد أخذتا فكسر الله فى ذرعه وذرع جنده وهزمه وإياهم فقتلوا منهم ماشاءوا وأصابوا منهم ماشاؤا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل وأخذوا مادونه وعسكروا بحيال سوق الأهواز وقد عبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وأقام بها وصار دجيل بين الهرمزان وسلمى وحرملة ونعيم ونعيم وغالب وكليب (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عبد الله بن المغيرة العبدى عن رجل من عبد القيس يدعى صُحاراً قال قدمت على هرم بن حيان فيما بين الدلوث ودجيل بجلال من تمر وكان لا يصبر عنه وكان جل زاده إذا تزود التمر فاذا فنى انتخب له مزاود من جلال وهم ينفرون فيحملها فيأكلها ويطعمها حيث ما كان من سهل أو جبل قالوا ولما دهم القوم الهرمزان ونزلوا بحياله من الأهواز رأى مالا طاقة له به فطلب الصلح فكتبوا إلى عتبة بذلك يستأمرونه فيه وكاتبه الهرمزان فأجاب عتبة إلى ذلك على الأهواز كلها ومهرجان قذف ماخلا نهر تيرى ومناذر وماغلبوا عليه من سوق الأهواز فانه لا يرد عليهم ماتنقذنا وجعل سلمى بن القين على مناذر مسلحة وأمرها إلى غالب وحرملة على نهر تيرى وأمرها إلى كليب فكانا على مسالح البصرة وقد هاجرت طوائف بنى العم فنزلوا منازلهم من البصرة وجعلوا يتتابعون على ذلك وقد كتب بذلك عتبة إلى عمر ووفد وفداً منهم سلمى وأمره أن يستخلف على عمله وحرملة وكانا من الصحابة وغالب وكليب

ووفد وفود من البصرة يومئذ فأمرهم أن يرفعوا حوائجهم فكلهم قال أما العامة فأنت صاحبها ولم يبق إلا خواص أنفسنا فطلبوا لأنفسهم إلا ما كان من الأحنف ابن قيس فانه قال ياأمير المؤمنين إنك لكما ذكروا ولقد يعزب عنك مايحق علينا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح العامة وإنما ينظر الوالى فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر ويسمع بآذانهم وإنا لم نزل ننزل منزلا بعد منزل حتى أرزنا إلى البر وإن اخواننا من أهل الكوفة نزلوا فى مثل حدقة البعير الغاسقة من العيون والعذاب والجنان الخصاب فتأتيهم ثمارهم ولم تخضد وإنا معشر أهل البصرة نزلنا سبخة هشاشة زعقة نشاشة طرف لها فى الفلاة وطرف لها فى البحر الأجاج يجرى إليها ماجرى فى مثل مرىء النعامة دارنا فعمة ووظيفتنا ضيقة وعددنا كثير وأشرافنا قليل وأهل البلاء فينا كثير ودرهمنا كبير وقفيزنا صغير وقد وسع الله علينا وزادنا فى أرضنا فوسع علينا ياأمير المؤمنين وزدنا وظيفة توظف علينا ونعيش بها فنظر إلى منازلهم التى كانوا بها إلى أن صاروا إلى الحجر فنفلهموه وأقطعهموه وكان مما كان لآل كسرى فصار فيئا فيما بين دجلة والحجر فاقتسموه وكان سائر ما كان لآل كسرى فى أرض البصرة على حال ما كان فى أرض الكوفة ينزلونه من أحبوا ويقتسمونه بينهم لا يستأثرون به على بدء ولا ثِنًى بعدما يرفعون خمسه إلى الوالى فكانت قطائع أهل البصرة نصفين نصفها مقسوم ونصفها متروك للعسكر وللاجتماع وكان أصحاب الألفين ممن شهد القادسية ثم أتى البصرة مع عتبة خمسة آلاف وكانوا بالكوفة ثلاثين ألفاً فألحق عمر أعدادهم من أهل البصرة من أهل البلاء فى الألفين حتى ساواهم بهم ألحق جميع من شهد الأهواز ثم قال هذا الغلام سيد أهل البصرة وكتب إلى عتبة فيه بأن يسمع منه ويشرب برأيه وردسلمى وحرملة وغالباً وكليبا إلى مناذر ونهر تيرى فكانوا عدة فيه لكون إن كان ليميزوا خراجها (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا بينا الناس من أهل البصرة وذمتهم على ذلك وقع بين الهرمزان وبين غالب وكليب فى حدود الأرضين اختلاف وادعاء فحضر ذلك سلمى وحرملة لينظروا فيما بينهم فوجدا غالباً وكليبا

محقين والهرمزان مبطلا فحالا بينه وبينهما فكفر الهرمزان أيضا ومنع ماقبله واستعان بالأكراد فكثف جنده وكتب سلمى وحرملة وغالب وكليب بغى الهرمزان وظلمه وكفره إلى عتبة بن غزوان فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر يأمره بأمره وأمدهم عمر بحرقوص بن زهير السعدى وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه فنهد الهرمزان بمن معه وسلمى وحرملة وغالب وكليب حتى اذا انتهوا الى جسر سوق الأهواز أرسلوا الى الهرمزان إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر اليكم فقال اعبروا الينا فعبروا من فوق الجسر فاقتتلوا فوق الجسر مما يلى سوق الأهواز حتى هزم الهرمزان ووجه نحو رامهرمز فأخذ على قنطرة أربك بقرية الشغر حتى حل برامهرمز وافتتح حرقوص سوق الأهواز فأقام بها ونزل الجبل واتسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تستر ووضع الجزية وكتب بالفتح والأخماس إلى عمر ووفد وفداً بذلك فحمد الله ودعا له بالثبات والزيادة وقال الأسود بن سريع فى ذلك وكانت له صحبة

لَعَمْرُكَ ما أَضاعَ بنو أبينا ... ولكِنْ حافَظوا فيمَنْ يُطيعُ
أطاعوا رَبَّهُمْ وَعَصاهُ قَوْمٌ ... أَضاعوا أَمْرَه فيمَنْ يُضيعُ
مَجُوسٌ لا يُنَهْنِهُها كِتابٌ ... فَلاقَوْا كَبَّةً فيها قبُوعُ
ووَلَّى الهُرْمُزانُ على جوَادٍ ... سَريعَ الشَّدِّ يَثْفِنُه الجميعُ
وخَلَّى سُرَّةَ الأهواز كَرْهًا ... غَداةَ الجِسْرِإذ نَجَمَ الرَّبيعُ

وقال حرقوص:

غلَبْنا الهُرْمُزانَ على بِلادٍ ... لها فى كلِّ ناحِيَةٍ ذَخائِرْ
سَواءٌ بَرُّهُمْ والبَحْرُ فيها ... إذاصارَتْ نَواجِبُها بَواكِرْ
لها بَحْرٌ يَعِجُّ بِجانِبَيْهِ ... جَعَافِرُ لا يَزالُ لها زَواخِرْ

وفيها فتحت تستر فى قول سيف وروايته أعنى سنة سبع عشرة وقال بعضهم فتحت سنة ست عشرة وبعضهم يقول فى سنة تسع عشرة

ذكر الخبر عن فتحها

* (كتب إلىّ السرى) * عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا لما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز وافتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز أقام بها وبعث جزء بن معاوية فى أثره بأمر عمر إلى سرق وقد كان عهد إليه فيه إن فتح الله عليهم أن يتبعه جزءا ويكون وجهه إلى سرّق فخرج جزء فى أثر الهرمزان والهرمزان متوجه إلى رامهرمز هاربا فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشغر وأعجزه بها الهرمزان فمال جزء إلى دورق من قرية الشغر وهى شاغرة برجلها ودورق مدينة سرق فيها قوم لا يطيقون منعها فأخذها صافية وكتب إلى عمر بذلك وإلى عتبة وبدعائه من هرب إلى الجزاء والمنعة وإجابتهم إلى ذلك فكتب عمر إلى جزء بن معاوية وإلى حرقوص بن زهير بلزوم ماغلبا عليه وبالمقام حتى يأتيهما أمره وكتب إليه مع عتبة بذلك ففعلا واستأذن جزء فى عمران بلاده عمر فأذن له فشق الأنهار وعمر الموات ولما نزل الهرمزان رامهرمز وضاقت عليه الأهواز والمسلمون حلال فيها فيما بين يديه طلب الصلح وراسل حرقوصاً وجزءا فى ذلك فكتب فيه حرقوص إلى عمر فكتب إليه عمر وإلى عتبة يأمره أن يقبل منه على مالم يفتحوا منها على رامهرمز وتستر والسوس وجندى سابور والبنيان ومهرجا نقذق فأجابهم إلى ذلك فأقام أمراء الأهواز على ما أسند إليهم وأقام الهرمزان على صلحه يجبى إليهم ويمنعونه وإن غاوره أكراد فارس أعانوه وذبوا عنه وكتب عمر إلى عتبة أن أوفد على وفداً من صلحاء جند البصرة عشرة فوفد إلى عمر عشرة فيهم الأحنف فلما قدم على عمر قال إنك عندى مصد وقد رأيتك رجلا فأخبرنى أن ظلمت الذمة ألمظلمة نفروا أم لغير ذلك فقال لا بل لغير مظلمة والناس على ماتحبّ قال فنعم إذاً انصرفوا إلى رحالكم فانصرف الوفد إلى رحالهم فنظر فى ثيابهم فوجد ثوباً قد خرج طرفه من عيبة فشمه ثم قال لمن هذا الثوب منكم قال الأحنف لى قال فبكم أخذته فذكر ثمناً يسيراً ثمانية أو نحوها ونقص مما

كان أخذه به وكان قدأخذه باثنى عشر قال فهلا بدون هذا ووضعت فضلته موضعاً تغنى به مسلما حصوا وضعوا الفضول مواضعها تريحوا أنفسكم وأموالكم ولا تسرفوا فتخسروا أنفسكم وأموالكم إن نظر امرؤ لنفسه وقدم لها يخلف له وكتب عمر الى عتبة أن أعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغى فإنكم إنما أدركتم بالله ماأدركتم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصراً وبلغ عمران حرقوصا نازل جبل الأهواز والناس يختلفون إليه والجبل كؤود يشق على من رامه فكتب اليه بلغنى أنك نزلت منزلا كؤدا لاتؤتى فيه الا على مشقة فأسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد وقم فى أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا ولا تدركنك فترة ولا عجلة فتكدردنياك وتذهب آخرتك ثم إن حرقوصا تحرر يوم صفين وبقى على ذلك وشهد النهروان مع الحرورية ﴿وفى هذه السنة﴾ أعنى سنة سبعة عشر غزا المسلمون أرض فارس من قبل البحرين فيما زعم سيف ورواه

ذكر الخبر بذلك

﴿كتب إلى السرى﴾ يقول حدثنا شعيب قال حدثنا سيف عن محمد والمهلب وعمرو قالوا كان المسلمون بالبصرة وأرضها وأرضها يومئذ سوادها والأهواز على ماهم عليه إلى ذلك اليوم ماغلبوا عليه منها فى أيديهم وما صولحوا عليه منها فى أيدى أهله يؤدون الخراج ولا يدخل عليهم ولهم الذمة والمنعة وعميد الصلح الهرمزان وقد قال عمر حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لايصلون إلينا منه ولا نصل إليهم كما قال لأهل الكوفة وددت أن بينهم وبين الجبل جبلا من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم وكان العلاء ابن الحضرمى على البحرين أزمان أبى بكر فعزله عمر وجعل قدامة بن المطعون مكانه ثم عزل قدامة ورد العلاء وكان العلاء يبارى سعداً لصدع صدعه القضاء بينهما

فطار العلاء على سعد فى الردة بالفضل فلما ظفر سعد بالقادسية وأزاح الأكاسرة عن الدار وأخذ حدود مايلى السواد واستعلى وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به سرّ العلاء أن يصنع شيئاً فى الأعاجم فرجا أن يدال كما قد كان أديل ولم يقدر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بجد وكان أبو بكر قد استعمله وأذن له فى قتال أهل الردة واستعمله عمر ونهاه عن البحر فلم يقدر فى الطاعة والمعصية وعواقبهما فندب أهل البحرين إلى فارس فتسرعوا إلى ذلك وفرقهم أجناداً على أحدهما الجارود بن المعلى وعلى الآخر السوّار بن همام وعلى الآخر خليد بن المنذر ابن ساوى وخليد على جماعة النـاس فحملهم فى البحر إلى فارس بغير إذن عمر وكان عمر لا يأذن لأحد فى ركوبه غازياً يكره التغرير بجنده استناناً بالنبى صلى الله عليه وسلم وبأبى بكر لم يغز فيه النبى صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس فخرجوا فى إصطخر وبإزائهم أهل فارس وعلى أهل فارس الهربذ اجتمعوا عليه فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم فقام خليد فى الناس فقال أما بعـد فإن الله إذا قضى أمراً جرت به المقادير حتى تصيبه وإن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم إلى حربهم وإنما جئتم لمحاربتهم والسفن والأرض لمن غلب فاستعينوا بالصـبر والصلاة وإنها لـكبيرة إلا على الخاشعين فأجابوه إلى ذلك فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديداً فى موضع من الأرض يدعى طاوس وجعل السوار يرتجز يومئذ ويذكر قومه ويقول:

يا آلَ عَبْدِ القَيْسِ لِلْقِـرَاعِ قد حَفَلَ الأَمْداد بالجِراعِ
وكلهُـمْ فى سَنَنِ المِصاعِ يُحْسِنُ ضرب القوم بالقَطَّاع

حتى قتل وجعل الجارود يرتجز ويقول :

لو كانَ شيئاً أمَمـاً أكلْتُهُ أو كانَ ماءً سادِماً جَهَرْتُهُ
لـكن بحراً جاءَنا أنـكرْتُهُ

حتى قتل ويومئذ ولى عبد الله بن السوار والمنذر بن الجارود حياتهما إلى أن ماتا وجعل خليد يومئذ يرتجز ويقول :

يالَ تميمٍ أجمِعُوا النُّزُولْ وكادَ جَيْشُ عُمَرَ يَزُولْ

وكلكمْ يعلمُ ما أقولْ

إنزلوا فنزلوا فاقتتل القوم فقُتل أهل فارس مقتلة لم يقتلوا مثلها قبلها ثم خرجوا يريدون البصرة وقد غرقت سفنهم ثم لم يجدوا إلى الرجوع فى البحر سبيلا ثم وجدوا شهرك قد أخذ على المسلمين بالطرق فعسكروا وامتنعوا فى نشوبهم ولما بلغ عمر الذى صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش فى البحر ألقى فى روعه نحو من الذى كان فاشتد غضبه على العلاء وكتب إليه يعزله وتوعده وأمره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الوجوه إليه بتأمير سعد عليه وقال الحق بسعد بن أبى وقاص فيمن قِبلك فخرج بمن معه نحو سعد وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان أن العلاء بن الحضرمى حمل جندا من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصانى وأظنه لم يرد الله بذلك فخشيت عليهم إن لا ينصروا أن يغلبوا وينشبوا فاندب إليهم الناس واضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا فندب عتبة الناس وأخبرهم بكتاب عمر فانتدب عاصم ابن عمرو وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن ومجزأة بن ثور ونهار بن الحارث والترجمان بن فلان والحصين بن أبى الحر والأحنف بن قيس وسعد بن أبى العرجاء وعبد الرحمن بن سهل وصعصعة بن معاوية فخرجوا فى اثنى عشر ألفاً على البغال يجنبون الخيل وعليهم أبو سبرة بن أبى رهم أحد بنى مالك بن حسل بن عامر بن لؤى والمسالح على حالها بالأهواز والذمة وهم ردء للغازى والمقيم فسار أبو سبرة بالناس وساحل لا يلقاه أحد ولا يعرض له حتى التقى أبو سبرة وخليد بحيث أخذ عليهم بالطرق غب وقعة القوم بطاوس وإنما كان ولى قتالهم أهل اصطخر وحدهم والشذاذ من غيرهم وقد كان أهل اصطخر حيث أخذوا على المسلمين بالطرق وأنشبوهم استصرخوا عليهم أهل فارس كلهم فضربوا إليهم من كل وجه وكورة فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طاوس وقد توافت إلى المسلمين أمدادهم وإلى المشركين أمدادهم وعلى المشركين شهرك فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ماشاءوا وهى الغزاة التى شرفت فيها نابتة البصرة وكانوا

أفضل نوابت الأمصار فكانوا أفضل المصرين نابتة ثم انكفؤوا بما أصابوا وقد عهد إليهم عتبة وكتب إليهم بالحث وقلة العرجة فانضموا إليه بالبصرة فخرج أهلها إلى منازلهم منها وتفرق الذين تنقذوا من أهل هجر إلى قبائلهم والذين تنقذوا من عبد القيس فى موضع سوق البحرين ولما أحرز عتبة الأهواز وأوطأ فارس استأذن عمر فى الحج فأذن له فلما قضى حجه استعفاه فأبى أن يعفيه وعزم عليه ليرجعن إلى عمله فدعا الله ثم انصرف فمات فى بطن نخلة فدفن وبلغ عمر فمر به زائراً لقبره وقال أنا قتلتك لولا أنه أجل معلوم وكتاب مرقوم وأثنى عليه بفضله ولم يختط فيمن اختط من المهاجرين وإنما ورث ولده منزلهم من فاختة ابنة غزوان وكانت تحت عثمان بن عفان وكان خباب مولاه قد لزم سمته فلم يختط ومات عتبة ابن غزوان على رأس ثلاث سنين ونصف من مفارقة سعد بالمدائن وقد استخلف على الناس أبا سبرة بن أبى رهم وعماله على حالهم ومسالحه على نهر تيرى ومناذر وسوق الأهواز وسرق والهرمزان برامهرمز مُصالح عليها وعلى السوس والبنيان وجندى سابور ومهرجانذق وذلك بعد تنقذ الذين كان حمل العلاء فى البحر إلى فارس ونزولهم البصرة وكان يقال لهم أهل طاوس نسبوا إلى الوقعة وأقر عمر أبا سبرة بن أبى رهم على البصرة بقية السنة ثم استعمل المغيرة بن شعبة فى السنة الثانية بعد وفاة عتبة فعمل عليها بقية تلك السنة والسنة التى تليها لم ينتقض عليه أحد فى عمله وكان مرزوقاً السلامة ولم يحدث شيئاً إلا ما كان بينه وبين أبى بكرة ثم استعمل عمر أبا موسى على البصرة ثم صرف إلى الكوفة ثم استعمل عمر بن سراقة ثم صرف عمر بن سراقة إلى الكوفة من البصرة وصرف أبو موسى إلى البصرة من الكوفة فعمل عليها ثانية (وفى هذه السنة) أعنى سنة سبع عشرة كان فتح رامهرمز والسوس وتُستر وفيها أسر الهرمزان فى رواية سيف

ذكر الخبر عن فتح ذلك من روايته

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا ولم يزل يزدجرد يثير أهل فارس أسفاً على ما خرج منهم فكتب يزدجرد

إلى أهل فارس وهو يومئذ بمرو يذكرهم الأحقاد ويؤنبهم أن قد رضيتم يا أهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد وما والاه والأهواز ثم لم يرضوا بذلك حتى توردوكم فى بلادكم وعقر داركم فتحركوا وتكاتبوا أهل فارس وأهل الأهواز وتعاقدوا وتعاهدوا وتواثقوا على النصرة وجاءت الأخبار حرقوص بن زهير وجاءت جزءا وسلمى وحرملة عن خبر غالب وكليب فكتب سلمى وحرملة إلى عمر وإلى المسلمين بالبصرة فسبق كتاب سلمى وحرملة فكتب عمر إلى سعد أن ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرن وعجل وابعث سويد بن مقرن وعبد الله بن ذى السهمين وجرير بن عبد الله الحميرى وجرير بن عبد الله البجلى فلينزلوا بإزاء الهرمزان حتى يتبينوا أمره وكتب إلى أبى موسى أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمر عليهم سهل بن عدى أخا سهيل بن عدى وابعث معه البراء بن مالك وعاصم بن عمرو ومجزأة بن ثور وكعب بن سور وعرفجة بن هرثمة وحذيفة ابن محصن وعبد الرحمن بن سهل والحصين بن معبد وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبى رهم وكل من أتاه بمدد له وخرج النعمان بن مقرن فى أهل الكوفة فأخذ وسط السواد حتى قطع دجلة بحيال ميسان ثم أخذ البر إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل وانتهى إلى نهر تيرى فجازها ثم جاز مناذر ثم جاز سوق الأهواز وخلف حرقوصا وسلمى وحرملة ثم سار نحو الهرمزان والهرمزان يومئذ برامهرمز ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدّة ورجا أن يقتطعه وقد طمع الهرمزان فى نصر أهل فارس وقد أقبلوا نحوه ونزلت أوائل إمدادهم بتستر فالتقى النعمان والهرمزان بأربك فاقتتلوا قتالا شديداً ثم إن الله عز وجل هزم الهرمزان للنعمان وأخلى رامهرمز وتركها ولحق بتستر وسار النعمان من أربك حتى ينزل برامهرمز ثم صعد لإيذج فصالحه عليها تيرويه فقبل منه وتركه ورجع إلى رامهرمز فأقام بها * قالوا ولما كتب عمر إلى سعد وأبى موسى وسار النعمان وسهل سبق النعمان فى أهل الكوفة سهلا وأهل البصرة ونكب الهرمزان وجاء سهل فى أهل البصرة حتى نزلوا بسوق الأهواز وهم يريدون

رامهرمز فأتتهم الوقعة وهم بسوق الأهواز وأتاهم الخبر أن الهرمزان قد لحق بتستر فمالوا من سوق الأهواز نحوه فكان وجههم منها إلى تستر ومال النعمان من رامهرمز إليها وخرج سلمى وحرملة وحرقوص وجزء فنزلوا جميعاً على تستر والنعمان على أهل الكوفة وأهل البصرة متساندون وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال والأهواز فى الخنادق وكتبوا بذلك إلى عمر واستمده أبو سبرة فأمدهم بأبى موسى فسار نحوهم وعلى أهل الكوفة النعمان وعلى أهل البصرة أبو موسى وعلى الفريقين جميعاً أبو سبرة فحاصروهم أشهراً وأكثروا فيهم القتل وقتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مائة مبارز سوى من قتل فى غير ذلك وقتل مجزأة بن ثور مثل ذلك وقتل كعب بن ثور مثل ذلك وقتل أبو تميمة مثل ذلك فى عدة من أهل البصرة وفى الكوفيين مثل ذلك منهم حبيب بن قرة وربعى بن عامر وعامر بن عبد الأسود وكان من الرؤساء فى ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم وزاحفهم المشركون فى أيام تستر ثمانين زحفاً فى حصارهم يكون عليهم مرة ولهم أخرى حتى إذا كان فى آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون يا براء أقسم على ربك ليهزمنهم لنا فقال اللهم اهزمهم لنا واستشهدنى قال فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم وأرزوا إلى مدينتهم وأحاطوا بها فبيناهم على ذلك وقد ضاقت بهم المدينة وطالت حربهم خرج إلى النعمان رجل فاستأمنه على أن يدله على مدخل يؤتون منه ورمى فى ناحية أبى موسى بسهم قد وثقت بكم وأمنتكم واستأمنتكم على أن دللتكم على ما تأتون منه المدينة ويكون منه فتحها فآمنوه فى نشابة فرمى إليهم بآخر وقال انهدوا من قبل مخرج الماء فإنكم ستفتحونها فاستثار فى ذلك وندب إليه فانتدب له عامر بن عبد قيس وكعب بن سور ومجزأة بن ثور وحسكة الحبطى وبشر كثير فنهدوا لذلك المكان ليلا وقد ندب النعمان أصحابه حين جاءه الرجل فانتدب له سويد بن المثعبة وورقاء بن الحارث وبشر بن ربيعة الخثعمى ونافع بن زيد الحميرى وعبد الله بن بشر الهلالى فنهدوا فى بشر كثير فالتقوا هم وأهل البصرة

على ذلك المخرج وقد انسرب سويد وعبد الله بن بشر فاتبعهم هؤلاء وهؤلاء حتى إذا اجتمعوا فيها والناس على رجل من خارج كبروا فيها وكبر المسلمون من خارج وفتحت الأبواب فاجتلدوا فيها فأناموا كل مقاتل وأرز الهرمزان الى القلعة وأطاف به الذين دخلوا من مخرج الماء فلما عاينوه وأقبلوا قبله قال لهم ماشئتم قد ترون ضيق ما أنا فيه وأنتم ومعى فى جعبتى مائة نشابة ووالله ما تصلون إلىّ ما دام معى منها نشابة وما يقع لى سهم وما خير إسارى إذا أصبت منكم مائة بين قتيل أو جريح قالوا فتريد ماذا قال أن أضع يدى فى أيديكم على حكم عمر يصنع بى ماشاء قالوا فلك ذلك فرمى بقوسه وأمكنهم من نفسه فشدوه وثاقا واقتسموا ما أفاء الله عليهم فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف والراجل ألفا ودعا صاحب الرمية بها فجاء هو والرجل الذى خرج بنفسه فقالا من لنا بالأمان الذى طلبنا علينا وعلى من مال معنا قالوا ومن مال معكم قالا من أغلق بابه عليه مدخلكم فأجازوا ذلك لهم وقتل من المسلمين ليلتئذ أناس كثير وممن قتل الهرمزان بنفسه مجزأة بن ثور والبراء ابن مالك قالوا وخرج أبو سبرة فى أثر الفل من تستر وقد قصدوا للسوس الى السوس وخرج معه بالنعمان وأبى موسى ومعهم الهرمزان حتى اشتملوا على السوس وأحاط المسلمون بها وكتبوا بذلك الى عمر فكتب عمر إلى عمر بن سراقة بأن يسير نحو المدينة وكتب الى أبى موسى فرده على البصرة وقد رد أبا موسى على البصرة ثلاث مرات بهذه ورد عمر عليها مرتين وكتب الى زر بن عبد الله بن كليب الفقيمى أن يسير الى جندى سابور فسار حتى نزل عليها وانصرف أبو موسى الى البصرة بعد ما أقام الى رجوع كتاب عمر وأمّر عمر على جند البصرة المقترب الأسود بن ربيعة أحد بنى ربيعة بن مالك وكان الأسود وزر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين وكان الأسود قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جئت لأقترب إلى الله عز وجل بصحبتك فسماه المقترب وكان زر قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فنى بطنى وكثر إخوتنا فادع الله لنا فقال اللهم أوف لزر عميرته فتحول إليهم العدد وأوفد أبو سبرة وفدا

فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس وأرسل الهرمزان معهم فقدموا مع أبي موسى البصرة ثم خرجوا نحو المدينة حتى إذا دخلوا هيؤا الهرمزان فى هيئته فألبسوه كسوته من الديباج الذى فيه الذهب ووضعوا على رأسه تاجا يدعى الآذين مكللا بالياقوت وعليه حليته كيما يراه عمر والمسلمون فى هيئته ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر فى منزله فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل جلس فى المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة فانطلقوا يطلبونه فى المسجد فلم يروه فلما انصرفوا مروا بغلمان من أهل المدينة يلعبون فقالوا لهم ماتلددكم تريدون أمير المؤمنين فإنه نائم فى ميمنة المسجد متوسدا برنسه وكان عمر قد جلس لوفد أهل الكوفة فى برنس فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه وأخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام فانطلقوا ومعهم النظارة حتى إذا رأوه جلسوا دونه وليس فى المسجد نائم ولا يقظان غيره والدرة فى يده معلقة فقال الهرمزان أين عمر فقالوا هو ذا وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه وأصغى الهرمزان إلى الوفد فقال أين حرسه وحجابه عنه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان قال فينبغى له أن يكون نبياً فقالوا بل يعمل عمل الأنبياء وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً ثم نظر إلى الهرمزان فقال الهرمزان قالوا نعم فتأمله وتأمل ما عليه وقال أعوذ بالله من النار وأستعين الله وقال الحمد لله الذى أذل بالإسلام هذا وأشياعه يامعشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدى نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غرارة فقال الوفد هذا ملك الأهواز فكلمه فقال لا حتى لا يبقى عليه من حليته شىء فرمى عنه بكل شىء عليه إلا شيئا يستره وألبسوه ثوباً صفيقاً فقال عمر ديه ياهرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله فقال ياعمر إنا وإياكم فى الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم فلما كان معكم غلبتمونا فقال عمر إنما غلبتمونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا ثم قال عمر ماعذرك وما حجتك فى انتقاضك مرة بعد مرة فقال أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك قال لاتخف ذلك واستسقى ماء فأتى به فى قدح غليظ فقال لو مت عطشاً لم أستطع أن

أشرب فى مثل هذا فأتى به فى إناء برضاه فجعلت يده ترجف وقال إنى أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء فقال عمر لابأس عليك حتى تشربه فأكفأه فقال عمر أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش فقال لاحاجة لى فى الماء إنما أردت أن أستأمن به فقال له عمر إنى قاتلك قال قد آمنتنى فقال كذبت فقال أنس صدق ياأمير المؤمنين قد آمنته قال ويحك ياأنس أنا أومن قاتل مجزأة والبراء والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك قال قلت له لابأس عليك حتى تخبرنى وقلت لابأس عليك حتى تشربه وقال له من حوله مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال خدعتنى والله لاأنخدع إلا لمسلم فأسلم ففرض له على ألفين وأنزله المدينة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى سفيان طلحة بن عبد الرحمن عن ابن عيسى قال كان الترجمان يوم الهرمزان المغيرة بن شعبة إلى أن جاء المترجم وكان المغيرة يفقه شيئا من الفارسية فقال عمر للمغيرة قل له من أى أرض أنت فقال المغيرة از كدام أرضيه فقال مهرجانى فقال تكلم بحجتك قال كلام حى أو ميت قال بل كلام حى قال قد آمنتنى قال خدعتنى إن للمخدوع فى الحرب حكمه لا والله لا أومنك حتى تسلم فأيقن أنه القتل أو الإسلام فأسلم ففرض له على ألفين وأنزله المدينة وقال للمغيرة ماأراك بها حاذقا ماأحسنها منكم أحد إلا خب وما خب إلا دق إياكم وإياها فإنها تنقض الأعراب وأقبل زيد فكلمه وأخبر عمر بقوله والهرمزان بقول عمر (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وعن الشعبي وسفيان عن الحسن قال قال عمر للوفد لعل المسلمين يفضون إلى أهل الذمة بأذى وبأمور لها ماينتقضون بكم فقالوا مانعلم إلا وفاء وحسن ملكة قال فكيف هذا فلم يجد عند أحد منهم شيئا يشفيه ويبصر به مما يقولون إلا ماكان من الأحنف فقال ياأمير المؤمنين أخبرك أنك نهيتنا عن الانسياح فى البلاد وأمرتنا بالاقتصار على مافى أيدينا وإن ملك فارس حى بين أظهرهم وإنهم لايزالون يساجلوننا مادام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه وقد رأيت أنالم نأخذ شيئا بعد شىء إلا بانبعاثهم

وأن ملكهم هو الذى يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسيح فى بلادهم حتى نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وعز أمته فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربوا جأشاً فقال صدقتنى والله وشرحت لى الأمر عن حقه ونظر فى حوائجهم وسرحهم وقدم الكتاب على عمر باجتماع أهل نهاوند وانتهاء أهل مهرجانقذق وأهل كور الأهواز إلى رأى الهرمزان ومشيئته فذلك كان سبب إذن عمر لهم فى الانسياح

ذكر فتح السوس

(اختلف) أهل السير فى أمرها فأما المدائنى فإنه فيما حدثنى عنه أبو زيد قال لما انتهى فل جلولاء إلى يزدجرد وهو بحلوان دعا بخاصته والموبذ فقال إن القوم لا يلقون جمعا إلا فلوه فما ترون فقال الموبذ نرى أن تخرج فتنزل إصطخر فإنها بيت المملكة وتضم إليك خزائنك وتوجه الجنود فأخذ برأيه وسار إلى أصبهان ودعا سياه فوجهه فى ثلاثمائة فيهم سبعون رجلا من عظمائهم وأمره أن ينتخب من كل بلدة يمر بها من أحب فمضى سياه وتبعه يزدجرد حتى نزلوا اصطخر وأبو موسى محاصر السوس فوجه سياه إلى السوس والهرمزان الى تستر فنزل سياه الكلبانية وبلغ أهل السوس أمر جلولاء ونزول يزدجرد اصطخر منهزما فسألوا أباموسى الأشعرى الصلح فصالحهم وسار إلى رامهرمز وسياه بالكلبانية وقد عظم أمر المسلمين عنده فلم يزل مقيما حتى صار أبو موسى إلى تستر فتحول سياه فنزل بين رامهرمز وتستر حتى قدم عمار بن ياسر فدعا سياه الرؤساء الذين كانوا خرجوا معه من اصبهان فقال قد علمتم أنا كنا نتحدث أن هؤلاء القوم أهل الشقاء والبؤس سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابهم فى إيوانات اصطخر ومصانع الملوك ويشدون خيولهم بشجرها وقد غلبوا على ما رأيتم وليس يلقون جندا إلا فلوه ولا ينزلون بحصن إلا فتحوه فانظروا لأنفسكم قالوا رأينا رأيك قال فليكفنى كل رجل منكم حشمه والمنقطعين إليه فإنى أرى أن ندخل فى دينهم ووجهوا شيرويه فى عشرة من الأساورة إلى أبى موسى يأخذ شروطا على أن يدخلوا فى الإسلام

فقدم شيرويه على أبي موسى فقال إنا قد رغبنا فى دينكم فنسلم على أن نقاتل معكم العجم ولا نقاتل معكم العرب وإن قاتلنا أحد من العرب منعتمونا منه ونترل حيث شئنا ونكون فيمن شئنا منكم وتلحقونا بأشراف العطاء ويعقد لنا الأمير الذى هو فوقك بذلك فقال أبو موسى بل لكم مالنا وعليكم ماعلينا قالوا لانرضى وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فكتب إلى أبى موسى أعطهم ماسألوك فكتب أبو موسى لهم فأسلموا وشهدوا معه حصار تستر فلم يكن أبو موسى يرى منهم جداً ولا نكاية فقال لسياه ياأعور ماأنت وأصحابك كما كنا نرى قال لسنا مثلكم فى هذا الدين ولا بصائرنا كبصائركم وليس لنا فيكم حرم نحامى عنهم ولم تلحقنا بأشراف العطاء ولنا سلاح وكراع وأنتم حسّر فكتب أبو موسى إلى عمر فى ذلك فكتب اليه عمر أن ألحقهم على قدر البلاء فى أفضل العطاء وأكثر شىء أخذه أحد من العرب ففرض لمائة منهم فى ألفين ألفين ولستة منهم فى ألفين وخمسمائة لسياه وخسرو ولقبه مقلاص وشهريار وشهرويه وشيرويه وافروذين فقال الشاعر:

لمَّا رأى الفاروقُ حُسْنَ بلائِهِمْ وكان بما يأتى من الأمر أبصَرَا
فَسَنَّ لهم ألفيْنِ فَرْضًا وقد رأى ثلاثمائينَ فَرْضَ عَكٍّ وَحِمْيَرَا

قال فحاصروا حصنا بفارس فانسل سياه فى آخر الليل فى زى العجم حتى رمى بنفسه إلى جنب الحصن ونضح ثيابه بالدم وأصبح أهل الحصن فرأوا رجلا فى زيهم صريعا فظنوا أنه رجل منهم أصيبوا به ففتحوا باب الحصن ليدخلوه فثار وقاتلهم حتى خلوا عن باب الحصن وهربوا ففتح الحصن وحده ودخله المسلمون وقوم يقولون فعل هذا الفعل سياه بتستر وحاصروا حصنا فمشى خسرو إلى الحصن فأشرف عليه رجل منهم يكلمه فرماه خسرو بنشابة فقتله * وأما سيف فانه قال فى روايته ما كتب به إلى السرى عن شعيب عنه عن محمد وطلحة وعمرو ودثار أبى عمر عن أبى عثمان قالوا المانزل أبو سبرة فى الناس على السوس وأحاط المسلمون بها وعليهم شهريار أخو الهرمزان ناوشوهم مرات كل ذلك يصيب أهل السوس فى المسلمين فأشرف عليهم يوما الرهبان والقسيسون فقالوا يامعشر العرب إنما

عهد إلينا علماؤنا وأوائلنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال فان كان الدجال فيكم فستفتحونها وإن لم يكن فيكم فلا تعنوا بحصارنا وجاء صرف أبي موسى إلى البصرة وعمّل على أهل البصرة المقترب مكان أبي موسى بالسوس واجتمع الأعاجم بنهاوند والنعمان على أهل الكوفة محاصراً لأهل السوس مع أبي سبرة وزر محاصر أهل نهاوند من وجهه ذلك وضرب على أهل الكوفة البعث مع حذيفة وأمرهم بموافاته بنهاوند وأقبل النعمان على التهيؤ للسير إلى نهاوند ثم استقل فى نفسه فناوشهم قبل مضيه فعاد الرهبان والقسيسون وأشرفوا على المسلمين وقالوا يامعشر العرب لا تعنوا فإنه لا يفتحها إلا الدجال أو قوم معهم الدجال وصاحوا بالمسلمين وغاظوهم وصاف بن صياد يومئذ مع النعمان فى خيله وناهدهم المسلمون جميعاً وقالوا نقاتلهم قبل أن نفترق ولما يخرج أبو موسى بعد وأتى صاف باب السوس غضبان فدقه برجله وقال انفتح بظار فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق وتفتحت الأبواب ودخل المسلمون فألقى المشركون بأيديهم وتنادوا الصلح الصلح وأمسكوا بأيديهم فأجابوهم الى ذلك بعد مادخلوها عنوة واقتسموا ماأصابوا قبل الصلح ثم افترقوا فخرج النعمان فى أهل الكوفة من الأهواز حتى نزل على ماه وسرح أبو سبرة المقترب حتى ينزل على جندى سابور مع زر فأقام النعمان بعد دخول ماه حتى وافاه أهل الكوفة ثم نهد بهم الى أهل نهاوند فلما كان الفتح رجع صاف الى المدينة فاقام بها ومات بالمدينة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عطية عمن أورد فتح السوس قال وقيل لأبى سبرة هذا جسد دانيال فى هذه المدينة قال ومالنا بذلك فأقره بأيديهم قال عطية باسناده إن دانيال كان لزم أسياف فارس بعد بختنصر فلما حضرته الوفاة ولم ير أحدا ممن هو بين ظهريهم على الإسلام أكرم كتاب الله عمن لم يجبه ولم يقبل منه فأودعه ربه فقال لابنه ائت ساحل البحر فاقذف بهذا الكتاب فيه فاخذه الغلام وضن به وغاب مقدار ما كان ذاهبا وجائياً وقال قد فعلت قال فما صنع البحر حين هوى فيه قال لم أره يصنع شيئا فغضب وقال والله مافعلت الذى أمرتك به فخرج من

عنده ففعل مثل فعلته الأولى ثم أتاه فقال قدفعلت فقال كيف رأيت البحر حين هوى فيه قال ماج واصطفق فغضب أشد من غضبه الأول وقال والله مافعلت الذى أمرتك به بعد فعزم ابنه على القائه فى البحر الثالثة فانطلق إلى ساحل البحر وألقاه فيه فانكشف البحر عن الأرض حتى بدت وانفجرت له الأرض عن هواء من نور فهوى فى ذلك النور ثم انطبقت عليه الأرض واختلط الماء فلما رجع اليه الثالثة سأله فأخبره الخبر فقال الآن صدقت ومات دانيال بالسوس فكان هنالك يستسقى بجسده فلما افتتحها المسلمون أتوا به فأقروه فى أيديهم حتى إذا ولى أبو سبرة عنهم إلى جندى سابور أقام أبو موسى بالسوس وكتب إلى عمر فيه فكتب إليه يأمره بتوريته فكفنه ودفنه المسلمون وكتب أبو موسى إلى عمر بأنه كان عليه خاتم وهو عندنا فكتب إليه أن تختمه وفى فصه نقش رجل بين أسدين ﴿وفيها﴾ أعنى سنة سبعة عشر كانت مصالحة المسلمين أهل جندى سابور

ذكر الخبر عن أمرهم وأمرها

﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبى عمرو وأبى سفيان والمهلب قالوا لما فرغ أبو سبرة من السوس خرج فى جنده حتى نزل على جندى سابور وزر بن عبدالله بن كليب محاصرهم فأقاموا عليها يغادونهم ويراوحونهم القتال فما زالوا مقيمين عليها حتى رمى إليهم بالأمان من عسكر المسلمين وكان فتحها وفتح نهاوند فى مقدار شهرين فلم يفجأ المسلمين إلا وأبوابها تفتح ثم خرج السرح وخرجت الأسواق وانبث أهلها فأرسل المسلمون أن مالكم قالوا رميتم إلينا بالأمان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا فقالوا مافعلنا فقالوا ما كذبنا فسأل المسلمون فيما بينهم فإذا عبد يدعى مكنفا كان أصله منها هو الذى كتب لهم فقالوا إنما هو عبد فقالوا إنا لا نعرف حركم من عبدكم قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه ولم نبدل فإن شئتم فاغدروا فأمسكوا عنهم وكتبوا بذلك إلى عمر فكتب إليهم إن الله عظم الوفاء فلا تكونون أوفياء حتى تفوا مادمتم فى شك أجيزوهم ووفوا لهم فوفوا لهم وانصرفوا عنهم ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد

وطلحة والمهلب وعمرو قالوا أذن عمر فى الانسياح سنة سبعة عشر فى بلاد فارس وانتهى فى ذلك إلى رأى الأحنف بن قيس وعرف فضله وصدقه وفرق الأمراء والجنود وأمر على أهل البصرة أمراء وأمر على أهل الكوفة أمراء وأمر هؤلاء وهؤلاء بأمره وأذن لهم فى الانسياح سنة سبع عشرة فساحوا فى سنة ثمان عشرة وأمر أبا موسى أن يسير من البصرة إلى منقطع ذمة البصرة فيكون هنالك حتى يحدث إليه وبعث بألوية من ولى مع سهيل بن عدى حليف بنى عبد الأشهل فقدم سهيل بالألوية ودفع لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس ولواء أردشير خره وسابور إلى مجاشع بن مسعود السلمى ولواء إصطخر إلى عثمان بن أبى العاص الثقفى ولواء فساودرابجرد إلى سارية بن زنيم الكنانى ولواء كرمان مع سهيل بن عدى ولواء سجستان إلى عاصم بن عمرو وكان عاصم من الصحابة ولواء مكران إلى الحكم ابن عمير التغلبى فخرجوا فى سنة سبع عشرة فعسكروا ليخرجوا إلى هذه الكور فلم يستتب مسيرهم حتى دخلت سنة ثمان عشرة وأمدهم عمر بأهل الكوفة فأمد سهيل بن عدى بعبد الله بن عبد الله بن عتبان وأمد الأحنف بعلقمة بن النضر وبعبد الله بن أبى عقيل وبربعى بن عامر وبابن أم غزال وأمد عاصم بن عمر وبعبد الله ابن عمير الأشجعى وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق المازنى قال بعضهم كان فتح السوس ورامهرمز وتوجيه الهرمزان إلى عمر من تستر فى سنة عشرين وحج بالناس فى هذه السنة أعنى سنة سبع عشرة عمر بن الخطاب وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد وعلى اليمن يعلى بن أمية وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبى العاص وعلى عمان حذيفة بن محصن وعلى الشام من قد ذكرت أسماءهم قبل وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبى وقاص وعلى قضائها أبو قرة وعلى البصرة وأرضها أبو موسى الأشعرى وقد ذكرت فيما مضى الوقت الذى عزل فيه عنها والوقت الذى رد فيه إليها أميراً وعلى القضاء فيما قيل أبو مريم الحنفى وقد ذكرت من كان على الجزيرة والموصل قبل

ثم دخلت سنة ثمان عشرة

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ثمان عشرة

(قال أبو جعفر) وفى هذه السنة أعنى سنة ثمان عشرة أصابت الناس مجاعة شديدة ولزبة وجدوب وقحوط وذلك هو العام الذى يسمى عام الرمادة * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال دخلت سنة ثمان عشرة وفيها كان عام الرمادة وطاعون عمواس فتفانى فيها الناس * وحدثنى أحمد بن ثابت الرازى قال حدثت عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر قال كانت الرمادة سنة ثمان عشرة قال وكان فى ذلك العام طاعون عمواس (كتب الى السرى) يقول حدثنا شعيب عن سيف عن الربيع وأبى المجالد وأبى عثمان وأبى حارثة قالوا وكتب أبو عبيدة الى عمر إن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب منهم ضرار وأبو جندل فسألناهم فتأولوا وقالوا خيرنا فاخترنا قال فهل أنتم منتهون ولم يعزم علينا فكتب اليه عمر فذلك بيننا وبينهم فهل أنتم منتهون يعنى فانتهوا وجمع الناس فاجتمعوا على أن يضربوا فيها ثمانين جلدة ويضمنوا الفسق ومن تأول عليها بمثل هذا فإن أبى قتل فكتب عمر الى أبى عبيدة أن ادعهم فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم وان زعموا أنها حرام فاجلدهم ثمانين فبعث اليهم فسألهم على رؤس الناس فقالوا حرام فجلدهم ثمانين ثمانين وحد القوم وندموا على لجاجتهم وقال ليحدثن فيكم ياأهل الشام حادث فحدثت الرمادة (كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عبدالله بن شبرمة عن الشعبى بمثله (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن عبيدالله بن عمر عن نافع قال لما قدم على عمر كتاب أبى عبيد فى ضرار وأبى جندل كتب الى أبى عبيدة فى ذلك وأمره أن يدعو بهم على رؤس الناس فيسألهم أحرام الخمر أم حلال فإن قالوا حرام فاجلدهم ثمانين جلدة واستتبهم وان قالوا حلال فاضرب أعناقهم فدعا بهم فسألهم فقالوا بل حرام فجلدهم فاستحيوا فلزموا البيوت ووسوس أبو جندل فكتب أبو عبيدة إلى عمر إن أبا جندل قد وسوس إلا أن يأتيه الله على يديك بفرج فاكتب إليه

وذكره فكتب إليه عمرو ذكره فكتب إليه من عمر إلى أبي جندل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فتب وارفع رأسك وابرز ولا تقنط فإن الله عز وجل يقول (يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) فلما قرأه عليه أبو عبيدة تطلق وأُسفر عنه وكتب إلى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا وكتب إلى الناس عليكم أنفسكم ومن استوجب التغيير فغيروا عليه ولا تعيروا أحداً فيفشو فيكم البلاء (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد بن عبد الله عن عطاء نحواً منه إلا أنه لم يذكر أنه كتب إلى الناس ألا يعيروهم وقال قالوا جاشت الروم دعونا نغزوهم فإن قضى الله لنا الشهادة فذلك وإلا عمدت للذى يريد فاستشهد ضرار ابن الأزور فى قوم وبقى الآخرون فحدوا وقال أبو الزهراء القشيرى فى ذلك

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلدَّهْرَ يعْـثُرُ بالفتى ... ولَيْسَ على صَرْفِ المَنونِ بِقادِرِ
صَبَرْتُ ولم أَجْزَعْ وقَدْماتَ إِخْوَتى ... ولَسْت عن الصهْباءِ يَوْمًا بِصابِرِ
رَماها أمير المؤمنـــين بحَتفِها ... فخلانُها يَبْـكونَ حَوْلَ المعاصِرِ

(كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن الربيع بن النعمان وأبى المجالد جراد بن عمرو وأبى عثمان يزيد بن أسيد الغسانى وأبى حارثة محرز العبشمى بإسنادهم ومحمد بن عبد الله عن كريب قالوا أصابت الناس فى إمارة عمر رضى الله عنه سنة بالمدينة وما حولها فكانت تسفى إذا ريحت تراباً كالرماد فسمى ذلك العام عام الرمادة فآلى عمر أن لا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيى الناس من أول الحيا فكان بذلك حتى أحيا الناس من أول الحيا فقدمت السوق عكة من سمن ووطب من لبن فاشتراهما غلام لعمر بأربعين ثم أتى عمر فقال يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن فابتعتها بأربعين فقال عمر اغليت بهما فتصدق بهما فإنى أكره أن آكل إسرافاً وقال عمر كيف يعنينى شأن الرعية إذا لم يمسسنى ما مسهم (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف السلمى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كانت

فى آخر سنة سبع عشرة وأول سنة ثمان عشرة وكانت الرمادة جوعاً أصاب الناس بالمدينة وما حولها فأهلكهم حتى جعلت الوحش تأوى إلى الإنس وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وإنه لمقفر (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف عن عبد الرحمن بن كعب قال كان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزنى فاستأذن عليه فقال أنا رسول رسول الله إليك يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عهدتك كيسا وما زلت على رجل فما شأنك فقال متى رأيت هذا قال البارحة فخرج فنادى فى الناس الصلاة جامعة فصلى بهم ركعتين ثم قام فقال أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون منى أمراً غيره خير منه قالوا اللهم لا قال فإن بلال بن الحارث يزعم ذية وذية فقالوا صدق بلال فاستغث بالله وبالمسلمين فبعث إليهم وكان عمر عن ذلك محصوراً فقال عمر الله أكبر بلغ البلاء مدته فانكشف ماأُذن لقوم فى الطلب إلا وقد رفع عنهم البلاء فكتب إلى أمراء الأمصار أغيثوا أهل المدينة ومن حولها فإنه قد بلغ جهدهم وأخرج الناس إلى الاستسقاء فخرج وخرج معه بالعباس ماشيا فخطب فأوجز ثم صلى ثم جثا لركبتيه وقال اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا ثم انصرف فما بلغوا المنزل راجعين حتى خاضوا الغدران (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب قال قحط الناس زمان عمر عاما فهزل المال فقال أهل بيت من مزينة من أهل البادية لصاحبهم قد بلغنا فاذبح لنا شاة قال ليس فيهن شىء فلم يزالوا به حتى ذبح لهم شاة فسلخ عن عظم أحمر فنادى يامحمداه فأرى فيما يرى النائم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فقال ابشر بالحيا ائت عمر فاقرأه منى السلام وقل له إن عهدى بك وأنت وفى العهد شديد العقد فالكيس الكيس ياعمر فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه استأذن لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عمر فأخبره ففزع وقال رأيت به مسا قال لا قال فأدخله فدخل فأخبره الخبر فخرج فنادى فى الناس وصعد المنبر وقال

أنشدكم بالذى هداكم للإسلام هل رأيتم منى شيئا تكرهونه قالوا اللهم لا قالوا ولم ذاك فأخبرهم ففطنوا ولم يفطن فقالوا إنما استبطأك فى الاستسقاء فاستسق بنا فنادى فى الناس فقام فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة إلا بك اللهم فاسقنا وأحى العباد والبلاد: ﴿كتب إلىّ السرىّ﴾ عن شعيب عن سيف عن الربيع بن النعمان وجراد أبى المجالد وأبى عثمان وأبى حارثة كلهم عن رجاء وزاد أبو عثمان وأبو حارثة عن عبادة وخالد عن عبد الرحمن بن غنم قالوا كتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح فى أربعة آلاف راحلة من طعام فولاه قسمتها فيمن حول المدينة فلما فرغ ورجع إليه أمر له بأربعة آلاف درهم فقال لا حاجة لى فيها يا أمير المؤمنين إنما أردت الله وما قبله فلا تدخل على الدنيا فقال خذها فلا بأس بذلك إذا لم تطلبه فأبى فقال خذها فإنى قد وليت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا فقال لى مثل ما قلت لك فقلت له كما قلت لى فأعطانى فقبل أبو عبيدة وانصرف إلى عمله وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز وأحيوا مع أول الحيا وقالوا بإسنادهم وجاء كتاب عمرو بن العاصى جواب كتاب عمر فى الاستغاثة أن البحر الشامى حفر لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حفيراً فصب فى بحر المغرب فسده الروم والقبط فإن أحببت أن يقوم سعر الطعام بالمدينة كسعره بمصر حفرت له نهراً وبنيت له قناطر فكتب اليه عمر أن افعل وعجل ذلك فقال له أهل مصر خراجك زاج وأميرك راض وإن تم هذا انكسر الخراج فكتب الى عمر بذلك وذكر أن فيه انكسار خراج مصر وخرابها فكتب اليه عمر اعمل فيه وعجل اخرب الله مصر فى عمران المدينة وصلاحها فعالجه عمرو وهو بالقلزم فكان سعر المدينة كسعر مصر ولم يزد ذلك مصر إلا رخاء ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم البحر بعد مقتل عثمان رضى الله عنه ﴿قال أبو جعفر﴾ وزعم الواقدى أن الرقة والرهاء وحران فتحت فى هذه السنة

على يدى عياض بن غنم وأن عين الوردة فتحت فيها على يدى عمير بن سعد وقد ذكرت قول من خالفه فى ذلك فيما مضى وزعم أن عمر رضى الله عنه حول المقام فى هذه السنة فى ذى الحجة الى موضعه اليوم وكان ملصقاً بالبيت قبل ذلك وقال بعضهم مات فى طاعون عمواس خمسة وعشرون ألفاً (قال أبو جعفر) وفى هذه السنة استقضى عمر شريح بن الحرث الكندى على الكوفة وعلى البصرة كعب بن الأسور الأزدى قال وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت ولاته فى هذه السنة على الأمصار الولاة الذين كانوا عليها فى سنة سبعة عشر

ثم دخلت سنة تسع عشرة

ذكر الأحداث التى كانت فى سنة تسع عشرة

(قال أبو جعفر) قال أبو معشر فيما حدثنى أحمد بن ثابت الرازى عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عنه أن فتح جلولاء كان فى سنة تسع عشرة على يدى سعد وكذلك قال الواقدى وقال ابن اسحاق كان فتح الجزيرة والرهاء وحران ورأس العين ونصيبين فى سنة تسع عشرة (قال أبو جعفر) وقد ذكرنا قول من خالفهم فى ذلك قبل وقال أبو معشر كان فتح قيسارية فى هذه السنة أعنى سنة تسعة عشر وأميرها معاوية بن أبى سفيان حدثنى بذلك أحمد بن ثابت الرازى عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عنه وكالذى قال أبو معشر فى ذلك قال الواقدى وأما ابن اسحاق فانه قال كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل وفتح مصر فى سنة عشرين حدثنا بذلك ابن حميد قال حدثنا سلمة عنه * وأما سيف بن عمر فإنه قال كان فتحها فى سنة ست عشرة قال وكذلك فتح مصر وقد مضى الخبر عن فتح قيسارية قبل وأنا ذاكر خبر مصر وفتحها بعد فى قول من قال فتحت سنة عشرين وفى قول من خالف ذلك (قال أبو جعفر) وفى هذه السنة أعنى سنة تسع عشرة سالت حرة ليلى ناراً فيما زعم الواقدى فأراد عمر الخروج اليها بالرجال ثم أمرهم بالصدقة

فانطفأت (وزعم) أيضا الواقدى أن المدائن وجلولاء فتحتا فى هذه السنة وقد مضى ذكر من خالفه فى ذلك (وحج) بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان عماله على الأمصار وقضاته فيها الولاة والقضاة الذين كانوا عليها فى سنة ثمان عشرة

ثم دخلت سنة عشرين

ذكر الخبر عما كان فيها من مغازى المسلمين وغير ذلك من أمورهم

(قال أبو جعفر) ففى هذه السنة فتحت مصر فى قول ابن اسحاق ﷺ حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحاق قال فتحت مصر سنة عشرين وكذلك قال أبو معشر حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر أنه قال فتحت مصر سنة عشرين وأميرها عمرو بن العاصى وحدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر قال فتحت اسكندرية سنة خمسة وعشرين وقال الواقدى فيما حدثت عن ابن سعد عنه فتحت مصر والاسكندرية فى سنة عشرين وأما سيف فإنه زعم فيما كتب به الى السرى عن شعيب عن سيف انها فتحت والاسكندرية فى سنة ست عشرة

ذكر الخبر عن فتحها وفتح الاسكندرية

(قال أبو جعفر) قد ذكرنا اختلاف أهل السير فى السنة التى كان فيها فتح مصر والاسكندرية ونذكر الآن سبب فتحهما وعلى يدى من كان على ما فى ذلك من اختلاف بينهم أيضا فأما ابن اسحاق فانه قال فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عنه أن عمر رضى الله عنه حين فرغ من الشأم كلها كتب الى عمرو بن العاصى أن يسير الى مصر فى جنده فخرج حتى فتح باب اليون فى سنة عشرين قال وقد اختلف فى فتح الاسكندرية فبعض الناس يزعم انها فتحت فى سنة خمس وعشرين وعلى سنتين من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وعليها عمرو بن العاصى حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد

ابن اسحاق قال وحدثنى القاسم بن قزمان رجل من أهل مصر عن زياد بن جزء الزبيدى أنه حدثه أنه كان فى جند عمرو بن العاصى حين افتتح مصر والاسكندرية قال افتتحنا الاسكندرية فى خلافة عمر بن الخطاب فى سنة احدى وعشرين أو سنة اثنين وعشرين قال لما افتتحنا باب اليون تدنينا قرى الريف فيما بيننا وبين الاسكندرية قرية فقرية حتى انتهينا الى بلهيب قرية من قرى الريف يقال لها قرية الريش وقد بلغت سبايانا المدينة ومكة واليمن قال فلما انتهينا إلى بلهيب أرسل صاحب الاسكندرية الى عمرو بن العاصى انى قد كنت أخرج الجزية الى من هو أبغض الى منكم معشر العرب لفارس والروم فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن تردعلى ماأصبتم من سبايا أرضى فعلت قال فبعث اليه عمرو بن العاصى أن ورائى أميراً لاأستطيع أن أصنع أمرا دونه فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عنى حتى أكتب اليه بالذى عرضت على فإن هو قبل ذلك منك قبلت وإن أمرنى بغير ذلك مضيت لأمره قال فقال نعم قال فكتب عمرو بن العاصى إلى عمر بن الخطاب قال وكانوا لا يخفون علينا كتابا كتبوا به يذكر له الذى عرض عليه صاحب الاسكندرية قال وفى أيدينا بقايا من سبيهم ثم وقفنا ببلهيب وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا فقرأه علينا عمرو وفيه أما بعد فإنه جاءنى كتابك تذكر أن صاحب الاسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصيب من سبايا أرضه ولعمرى لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلى من فىء يقسم ثم كأنه لم يكن فاعرض على صاحب الاسكندرية أن يعطيك الجزية على أن تخيروا من فى أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومه فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية مايوضع على أهل دينه فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن فإنا لانقدر على ردهم ولا نحب أن نصالحه على أمر لا نفى له به قال فبعث عمرو إلى صاحب الاسكندرية يعلمه الذى كتب به أمير المؤمنين قال فقال قد فعلت قال فجمعنا ما فى أيدينا من السبايا واجتمعت

النصارى فجعلنا نأتى بالرجل ممن فى أيدينا ثم نخيره بين الإسلام وبين النصرانية فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هى أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية قال ثم نحوزه إلينا وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى ثم حازوه إليهم ووضعنا عليه الجزية وجزعنا من ذلك جزعا شديداً حتى كأنه رجل خرج منا إليهم قال فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم وقد أتى فيمن أتينا به بأبى مريم عبد الله بن عبد الرحمن قال القاسم وقد أدركته وهو عريف بنى زبيد قال فوقفناه فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية وأبوه وأمه وإخوته فى النصارى فاختار الإسلام فحزناه إلينا ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا حتى شققوا عليه ثيابه ثم هو اليوم عريفنا كما ترى ثم فتحت لنا الاسكندرية فدخلناها وان هذه الكناسة التى ترى يا ابن أبى القاسم لكناسة بناحية الاسكندرية حولها أحجار كما ترى ما زادت ولا نقصت فمن زعم غير ذلك أن الاسكندرية وما حولها من القرى لم يكن لها جزية ولا لأهلها عهد فقد والله كذب قال القاسم وإنما هاج هذا الحديث أن ملوك بنى أمية كانوا يكتبون إلى أمراء مصر أن مصر إنما دخلت عنوة وإنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا ونضع ما شئنا (قال أبو جعفر) وأما سيف فإنه ذكر فيما كتب به إلى السرى يذكر أن شعيبا حدثه عنه عن الربيع أبى سعيد وعن أبى عثمان وأبى حارثة قالوا أقام عمر بإيلياء بعد ما صالح أهلها ودخلها أياما فأمضى عمرو بن العاصى إلى مصر وأمره عليها إن فتح الله عليه وبعث فى أثره الزبير بن العوام مدداً له وبعث أبا عبيدة إلى الرمادة وأمره إن فتح الله عليه أن يرجع إلى عمله (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف قال حدثنا أبو عثمان عن خالد وعبادة قالا خرج عمرو بن العاصى إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة حتى انتهى إلى باب اليون واتبعه الزبير فاجتمعا فلقيهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف فى أهل النيات بعثه المقوقس لمنع بلادهم فلما نزل بهم عمرو قاتلوه فأرسل إليهم لا تعجلونا لنعذر إليكم وترون رأيكم بعد فكفوا أصحابهم وأرسل إليهم عمرو إنى بارز فليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام فأجابوه إلى ذلك وأمن بعضهم

بعضاً فقال لهما عمرو أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا إن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأمره به وأمرنا به محمد صلى الله عليه وسلم وأدى إلينا كل الذى أمر به ثم مضى صلوات الله عليه ورحمته وقد قضى الذى عليه وتركنا على الواضحة وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا إليه فمثلنا ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا فيكم وأن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيراً فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالقبطيين خيراً لأن لهم رحماً وذمة فقالوا قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء معروفة شريفة كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك فيهم فأديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوا ملكهم واغتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلا آمناً حتى نرجع إليك فقال عمرو إن مثلى لا يخدع ولكنى أؤجلكما ثلاثا لتنظرا ولتناظرا قومكما وإلا ناجزتكم قالا زدنا فزادهم يوما فقالا زدنا فزادهم يوما فرجعا إلى المقوقس فهم فأبى أرطبون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم فقالا لاهل مصر أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم وقد بقيت أربعة أيام فلا تصابون فيها بشىء إلا رجونا أن يكون له أمان فلم يفجأ عمرا والزبير إلا البيات من فرقب وعمرو على عدة فلقوه فقتل ومن معه ثم ركبوا أكساءهم وقصد عمرو والزبير لعين شمس وبها جمعهم وبعث إلى الفرما أبرهة ابن الصباح فنزل عليها وبعث عوف بن مالك إلى الاسكندرية فنزل عليها فقال كل واحد منهما لأهل مدينته إن تنزلوا فلكم الأمان فقالوا نعم فراسلوهم وتربصوا بهم أهل عين شمس وسبى المسلمون من بين ذلك وقال عوف بن مالك ما أحسن مدينتكم يا أهل الاسكندرية فقالوا إن الإسكندر قال إنى أبنى مدينة إلى الله فقيرة وعن الناس غنية أو لأبنين مدينة إلى الله فقيرة وعن الناس غنية فبقيت بهجتها وقال أبرهة لأهل الفرما ما أخلق مدينتكم يا أهل الفرما قالوا إن الفرما قال إنى أبنى مدينة عن الله غنية وإلى الناس فقيرة فذهبت بهجتها وكان الإسكندر والفرما أخوين

(قال أبو جعفر) قال الكلبى كان الإسكندر والفرما أخوين ثم حدث بمثل ذلك فنسبتا إليهما فالفرما ينهدم فيها كل يوم شىء وخلقت مرآتها وبقيت جدة الإسكندرية (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى حارثة وأبى عثمان قالا لما نزل عمرو على القوم بعين شمس وكان الملك بين القبط والنوب ونزل معه الزبير عليها قال أهل مصر لملكهم ما تريد إلى قوم فلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم صالح القوم واعتقد منهم ولا تعرض لهم ولا تعرضنا لهم وذلك فى اليوم الرابع فأبى وناهدوهم فقاتلوهم والتقى الزبير سورها فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا اليه مصالحين فقبل منهم ونزل الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم فاعتقدوا بعد ما أشرفوا على الهلكة فأجروا ما أخذوا عنوة مجرى ما صالح عليه فصاروا ذمة وكان صلحهم: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاصى أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شىء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوب وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما جنى لصوتهم فان أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا عليهم ما عليهم أثلاثا فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة شهد الزبير وعبدالله ومحمدا بناه وكتب وردان وحضر فدخل فى ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول فمصر عمرو الفسطاط ونزله المسلمون وظهر أبو مريم وأبو مريام فكلما عمرا فى السبايا التى أصيبت بعد المعركة فقال أولهم عهد وعقد ألم

نخالفكما ويغار علينا من يومكما وطردهما فرجعا وهما يقولان كل شيء أصبتموه إلى أن نرجع اليكم ففي ذمة منكم فقال لهما أتغيرون علينا وهم في ذمة قالا نعم وقسم عمرو ذلك السبي على الناس وتوزعوه ووقع في بلدان العرب وقدم البشير على عمر بعد بالأخماس وبعث الوفود فسألهم عمر فما زالوا يخبرونه حتى مروا بحديث الجاثليق وصاحبه فقال ألا أراهما يبصران وأنتم تجاهلون ولا تبصرون من قاتلكم فلا أمان له ومن لم يقاتلكم فأصابه منكم شيء من أهل القرى فله الأمان في الأيام الخمسة حتى تنصرم وبعث في الآفاق حتى رُدَّ ذلك السبي الذي سبوا ممن لم يقاتل في الأيام الخمسة إلا من قاتل بعد فترادوهم إلا ما كان من ذلك الضرب وحضرت القبط باب عمرو وبلغ عمرا أنهم يقولون ما أرث العرب وأهونه عليهم أنفسهم ما رأينا مثلنا دان لهم فخاف أن يستثيرهم ذلك من أمرهم فأمر بجزر فذبحت فطبخت بالماء والملح وأمر أمراء الأجناد أن يحضروا وأعلموا أصحابهم وجلس وأذن لأهل مصر وجيء باللحم والمرق فطافوا به على المسلمين فأكلوا أكلا عربياً انتشلوا وحسوا وهم في العباء ولا سلاح فافترق أهل مصر وقد ازدادوا طمعاً وجرأة وبعث في أمراء الجنود في الحضور بأصحابهم من الغد وأمرهم أن يجيئوا في ثياب أهل مصر وأحذيتهم وأمرهم أن يأخذوا أصحابهم بذلك ففعلوا وأذن لأهل مصر فرأوا شيئاً غير ما رأوا بالأمس وقام عليهم القوام بألوان مصر فأكلوا أكل أهل مصر ونحوا نحوهم فافترقوا وقد ارتابوا وقالوا كدنا وبعث اليهم أن تسلحوا للعرض غداً وغدا على العرض وأذن لهم فعرضهم عليهم ثم قال إني قد علمت أنكم رأيتم في أنفسكم أنكم في شيء حين رأيتم اقتصاد العرب وهون تزجيتهم فخشيت أن تهلكوا فأحببت أن أريكم حالهم، وكيف كانت في أرضهم ثم حالهم في أرضكم ثم حالهم في الحرب فظفروا بكم وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني فأحببت أن يعلموا أن من رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني وراجع إلى عيش اليوم الأول فتفرقوا وهم يقولون لقد رمتكم العرب برجلهم وبلغ عمر فقال لجلسائه والله ان حربه للينة مالها سطوة ولا سورة كسورات

الحروب من غيره أن عمراً لعضّ ثم أمره عليها وقام بها (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى سعيد الربيع بن النعمان عن عمرو بن شعيب قال لما التقى عمرو والمقوقس بعين شمس وأقتتلت خيلاهما جعل المسلمون يجولون بُعد البُعد فذمرهم عمرو فقال رجل من أهل اليمن إنا لم نخلق من حجارة ولا حديد فقال اسكت فانما أنت كلب قال فأنت أمير الكلاب قال فلما جعل ذلك يتواصل نادى عمرو أين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحضر من شهدها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تقدموا فبكم ينصر الله المسلمين فتقدموا وفيهم يومئذ أبو بردة وأبو برزة وناهدهم الناس يتبعون الصحابة ففتح الله على المسلمين وظفروا أحسن الظفر وافتتحت مصر فى ربيع الأول سنة ست عشرة وقام فيها ملك الإسلام على رجل وجعل يفيض على الأمم والملوك فكان أهل مصر يتدفقون على الأجل وأهل مكران على راسل وداهر وأهل سجستان على الشاه وذويه وأهل خراسان والباب على خاقان وخاقان ومن دونهما من الأمم فكفكفهم عمر إبقاء على أهل الإسلام ولو خلى سربهم لبلغوا كل منهل * حدثنى على بن سهل قال حدثنا الوليد بن مسلم قال أخبرنى ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب أن المسلمين لما فتحوا مصر غزوا نوبة مصر فقفل المسلمون بالجراحات وذهاب الحدق من جودة الرمى فسموا رماة الحدق فلما ولى عبدالله ابن سعد بن أبى سرح مصر ولاه إياها عثمان بن عفان رضى الله عنه صالحهم على هدية عدة رؤس منهم يؤدونهم إلى المسلمين فى كل سنة ويهدى إليهم المسلمون فى كل سنة طعاماً مسمى وكسوة من نحو ذلك * قال على قال الوليد قال ابن لهيعة وأمضى ذلك الصلح عثمان ومن بعده من الولاة والأمراء وأقره عمر بن عبد العزيز نظراً منه للمسلمين وإبقاء عليهم قال سيف ولما كان ذو القعدة من سنة ست عشرة وضع عمر رضى الله عنه مسالح مصر على السواحل كلها وكان داعية ذلك أن هرقل أغزى مصر والشأم فى البحر ونهد لأهل حمص بنفسه وذلك لثلاث سنين وستة أشهر من إمارة عمر رضى الله عنه (قال أبو جعفر) وفى هذه السنة أعنى سنة عشرين غزا أرض الروم

أبو بحرية الكندى عبدالله بن قيس وهو أول من دخلها فيما قيل وقيل أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسى فسلم وغنم * قال وقال الواقدى وفى هذه السنة عزل قدامة بن مظعون عن البحرين وحده فى شرب الخمر وفيها استعمل عمر أباهريرة على البحرين واليمامة قال وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد أم عبدالرحمن بن الحارث بن هشام * قال وفيها توفى بلال بن رباح رضى الله عنه ودفن فى مقبرة دمشق ﴿وفيها﴾ عزل عمر سعدا عن الكوفة لشكايتهم إياه وقالوا لايحسن يصلى ﴿وفيها﴾ قسم عمر خيبر بين المسلمين وأجلى اليهود منها وبعث أبا حبيبة إلى فدك فأقام لهم نصف فأعطاهم ومضى إلى وادى القرى فقسمها ﴿وفيها﴾ أجلى يهود نجران إلى الكوفة فيما زعم الواقدى ﴿قال الواقدى﴾ وفى هذه السنة أعنى سنة عشرين دوّن عمر رضى الله عنه الدواوين ﴿قال أبو جعفر﴾ قد ذكرنا قول من خالفه ﴿وفيها﴾ بعث عمر رضى الله عنه علقمة بن مجزز المدلجى إلى الحبشة فى البحر وذلك ان الحبشة كانت تطرفت فيما ذكر طرفا من أطراف الإسلام فأصيبوا فجعل عمر على نفسه ألا يحمل فى البحر أحداً أبداً * وأما أبو معشر فإنه قال فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عنه كانت غزوة الأساودة فى البحر سنة إحدى وثلاثين ﴿قال الواقدى﴾ وفيها مات أسيد بن الحضير فى شعبان ﴿وفيها﴾ ماتت زينب بنت جحش * وحج فى هذه السنة عمر رضى الله عنه وكانت عماله فى هذه السنة على الأمصار عماله عليها فى السنة التى قبلها إلا من ذكرت أنه عزله واستبدل به غيره وكذلك قضاته فيها كانوا القضاة الذين كانوا فى السنة التى قبلها

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

﴿قال أبو جعفر﴾ وفيها كانت وقعة نهاوند فى قول بن إسحاق حدثنا بذلك ابن حميد قال حدثنا سلمة عنه وكذلك قال أبو معشر حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال الواقدى وأما سيف بن عمر فإنه قال كانت وقعة نهاوند فى سنة ثمانية عشر فى سنة ست من إمارة عمر كتب

إلىّ بذلك السرى عن شعيب عن سيف

ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند

وكان ابتداء ذلك فيما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال كان من حديث نهاوند أن النعمان بن مقرن كان عاملا على كسكر فكتب الى عمر رضى الله عنه يخبره أن سعد بن أبى وقاص استعمله على جباية الخراج وقد أحببت الجهاد ورغبت فيه فكتب عمر الى سعد أن النعمان كتب الىّ يذكر أنك استعملته على جباية الخراج وأنه قد كره ذلك ورغب فى الجهاد فابعث به الى أهمّ وجوهك الى نهاوند قال وقد اجتمعت بنهاوند الأعاجم عليهم ذو الحاجب رجل من الأعاجم فكتب عمر الى النعمان بن مقرن: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى النعمان بن مقرن سلام عليك فإنى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فإنه قد بلغنى أن جموعا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا أتاك كتابى هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ولا تدخلنهم غيضة فإن رجلا من المسلمين أحب الىّ من مائة ألف دينار والسلام عليك فسار النعمان اليه ومعه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عمر ابن الخطاب وجرير بن عبد الله البجلى والمغيرة بن شعبة وعمرو بن معديكرب الزبيدى وطليحة بن خويلد الأسدى وقيس بن مكشوح المرادى فلما انتهى النعمان ابن مقرن فى جنده الى نهاوند طرحوا له حسك الحديد فبعث عيونا فساروا لا يعلمون بالحسك فزجر بعضهم فرسه وقد دخلت فى يده حسكة فلم يبرح فنزل فنظر فى يده فإذا فى حافره حسكة فأقبل بها وأخبر النعمان الخبر فقال النعمان للناس ماترون فقالوا انتقل من منزلك هذا حتى يروا أنك هارب منهم فيخرجوا فى طلبك فانتقل النعمان من منزله ذلك وكنست الأعاجم الحسك ثم خرجوا فى طلبه وعطف عليهم النعمان فضرب عسكره ثم عبى كتائبه وخطب الناس فقال إن أُصبت فعليكم حذيفة بن اليمان وإن أُصيب فعليكم جرير بن عبد الله

وإن أصيب جرير بن عبد الله فعليكم قيس بن مكشوح فوجد المغيرة بن شعبة فى نفسه إذ لم يستخلفه فأتاه فقال له ماتريد أن تصنع فقال إذا أظهرت قاتلتهم لأنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب ذلك فقال المغيرة لو كنت بمنزلتك باكرتهم القتال قال له النعمان ربما باكرت القتال ثم لم يسود الله وجهك وذلك يوم الجمعة فقال النعمان نصلى إن شاء الله ثم نلقى عدونا دبر الصلاة فلما تصافوا قال النعمان للناس إنى مكبر ثلاثا فإذا كبرت الأولى فشد رجل شسعه وأصلح من شأنه فإذا كبرت الثانية فشد رجل إزاره وتهيأ لوجه حملته فإذا كبرت الثالثة فاحملوا عليهم فإنى حامل وخرجت الأعاجم قد شدوا أنفسهم بالسلاسل لئلا يفروا وحمل عليهم المسلمون فقاتلوهم فرمى النعمان بنشابة فقتل رحمه الله فلفه أخوه سويد بن مقرن فى ثوبه وكتم قتله حتى فتح الله عليهم ثم دفع الراية إلى حذيفة بن اليمان وقتل الله ذا الحاجب وافتتحت نهاوند فلم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة ﴿قال أبو جعفر﴾ وقد كان فيما ذكر لى بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه السائب بن الأقرع مولى ثقيف وكان رجلا كاتبا حاسبا فقال الحق بهذا الجيش فكن فيهم فإن فتح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيأهم وخذ خمس الله وخمس رسوله وإن هذا الجيش أصيب فاذهب فى سواد الأرض فبطن الأرض خير من ظهرها * قال السائب فلما فتح الله على المسلمين نهاوند أصابوا غنائم عظاما فوالله إنى لأقسم بين الناس إذ جاءنى علج من أهلها فقال أتؤمننى على نفسى وأهلى وأهل بيتى على أن أدلك على كنوز النخيرجان وهى كنوز آل كسرى تكون لك ولصاحبك لا يشركك فيها أحد قال قلت نعم قال فابعث معى من أدله عليها فبعثت معه فأتى بسفطين عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤ والزبرجد والياقوت فلما فرغت من قسمى بين الناس احتملتهما معى ثم قدمت على عمر بن الخطاب فقال ما وراءك ياسائب فقلت خيراً يا أمير المؤمنين فتح الله عليك بأعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن رحمه الله فقال عمر إنا لله وإنا اليه راجعون قال ثم بكى فنشج حتى إنى لأنظر إلى فروع منكبيه من فوق كتده قال فلما رأيت مالقى قلت والله ياأمير المؤمنين ماأصيب بعده من رجل يعرف وجهه فقال

المستضعفون من المسلمين لكن الذى أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم وما يصنعون بمعرفة عمر بن أم عمر ثم قام ليدخل فقلت ان معى مالا عظيما قد جئت به ثم أخبرته خبر السفطين قال أدخلهما بيت المال حتى تنظر فى شأنهما والحق بجندك قال فأدخلتهما بيت المال وخرجت سريعاً الى الكوفة قال وبات تلك الليلة التى خرجت فيها فلما أصبح بعث فى أثرى رسولا فوالله ما أدركنى حتى دخلت الكوفة فأنخت بعيرى وأناخ بعيره على عرقوبى بعيرى فقال الحق بأمير المؤمنين فقد بعثنى فى طلبك فلم أقدر عليك إلا الآن قال قلت ويلك ماذا ولماذا قال لا أدرى والله قال فركبت معه حتى قدمت عليه فلما رآنى قال مالى ولابن أم السائب بل ما لابن أم السائب ومالى قال قلت وماذاك يا أمير المؤمنين قال ويحك والله ماهو إلا ان نمت فى الليلة التى خرجت فيها فباتت ملائكة ربى تسحبنى الى ذينك السفطين يشتعلان ناراً يقولون لنكوينك بهما فأقول انى سأقسمهما بين المسلمين فخذهما عنى لا أبا لك والحق بهما فبعهما فى أعطية المسلمين وأرزاقهم قال فخرجت بهما حتى وضعتهما فى مسجد الكوفة وغشينى التجار فابتاعهما منى عمرو بن حريث المخزومى بألفى ألف ثم خرج بهما الى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف فما زال أكثر أهل الكوفة مالا بعد ❊ حدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا المبارك بن فضالة عن زياد بن جبير قال حدثنى أبى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للهرمزان حين آمنه لا بأس انصح لى قال نعم قال ان فارس اليوم رأس وجناحان قال وأين الرأس قال بنهاوند مع بندار فإن معه أساورة كسرى وأهل اصبهان قال وأين الجناحان فذكر مكانا نسيته قال فاقطع الجناحين يهن الرأس فقال عمر كذبت يا عدو الله بل أعمد الى الرأس فأقطعه فإذا قطعه الله لم يعص عليه الجناحان قال فأراد أن يسير اليه بنفسه فقالوا نذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تسير بنفسك الى حلبة العجم فإن أصبت لم يكن للمسلمين نظام ولكن ابعث الجنود فبعث أهل المدينة فيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وفيهم المهاجرون والأنصار وكتب إلى أبى موسى الأشعرى أن سر بأهل البصرة ❊ وكتب إلى حذيفة بن اليمان أن سر بأهل الكوفة

حتى تجتمعوا جميعاً بنهاوند وكتب اذا التقيتم فأميركم النعمان بن مقرن المزنى فلما اجتمعوا بنهاوند أرسل بندار العلج اليهم أن أرسلوا الينا رجلا نكلمه فأرسلوا اليه المغيرة بن شعبة قال أبى كأنى أنظر اليه رجلا طويل الشعر أعور فأرسلوه اليه فلما جاء سألناه فقال وجدته قد استشار أصحابه فقال بأى شىء نأذن لهذا العربى بشارتنا وبهجتنا وملكنا أو نتقشف له فيما قبلنا حتى يزهد فقالوا لا بل بأفضل مايكون من الشارة والعدة فتهيؤا بها فلما أتيناهم كادت الحراب والنيازك يلتمع منها البصر فاذاهم على رأسه مثل الشياطين وإذاهو على سرير من ذهب على رأسه التاج قال فمضيت كما أنا ونكست قال فدفعت ونهنهت فقلت الرسل لا يفعل بهم هذا فقالوا إنما أنت كلب فقلت معاذ الله لأنا أشرف فى قومى من هذا فى قومه فانتهرونى فقالوا اجلس فأجلسونى قال وترجم له قوله إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير وأطول الناس جوعا وأشقى الناس شقاء وأقذر الناس قذراً وأبعد داراً وما منعنى أن آمر هؤلاء الأساورة حولى أن ينتظموكم بالنشاب إلا تنجسا لجيفكم فانكم أرجاس فان تذهبوا نخل عنكم وإن تأبوا نركم مصارعكم قال فحمدت الله وأثنيت عليه فقلت والله ماأخطأت من صفتنا شيئاً ولا من نعتنا إن كنا لأبعد الناس دارا وأشد الناس جوعا وأشقى الناس شقاء وأبعد الناس من كل خير حتى بعث الله عز وجل الينا رسوله صلى الله عليه وسلم فوعدنا النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة فوالله مازلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر حتى أتيناكم وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على مافى أيديكم أو نقتل بأرضكم فقال أما والله إن الأعور لقد صدقكم الذى فى نفسه قال فقمت وقد والله أرعبت العلج جهدى قال فارسل الينا العلج إما أن تعبروا إلينا بنهاوند وإما أن نعبر إليكم فقال النعمان اعبروا قال أبى فلم أر والله مثل ذلك اليوم انهم يجيئون كأنهم جبال حديد قد تواثقوا أن لا يفروا من العرب وقد قرن بعضهم بعضا سبعة فى قران وألقوا حسك الحديد خلفهم وقالوا من فر منا عقره حسك الحديد فقال المغيرة حين رأى كثرتهم لم أر كاليوم فشلا إن عدونا يتركون يتأهبون لا يعجلون أما والله لو أن الأمر لى

لقد أعجلتهم وكان النعمان بن مقرن رجلا لينا فقال له فالله عز وجل يشهدك أمثالها فلا يحزنك ولا يعيبك موقفك إنه والله ما منعنى من أن أناجزهم إلا شىء شهدته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل حتى تحضر الصلاة وتهب الأرواح ويطيب القتال فما منعنى إلا ذلك اللهم إنى أسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل يذل به الكفار ثم اقبضنى اليك بعد ذلك على الشهادة أمنوا يرحمكم الله فأمنا وبكينا ثم قال إنى هاز لوائى فتيسروا للسلاح ثم هاز الثانية فكونوا متأهبين لقتال عدوكم فإذا هززت الثالثة فليحمل كل قوم على من يليهم من عدوهم على بركة الله قال وجاءوا بحسك الحديد قال فجعل يلبث حتى إذا حضرت الصلاة وهبت الأرواح كبر وكبرنا ثم قال أرجو أن يستجيب الله لى ويفتح على ثم هز اللواء فتيسرنا للقتال ثم هزه الثانية فكنا بإزاء العدو ثم هزه الثالثة قال فكبر وكبر المسلمون وقالوا فتحا يعز الله به الإسلام وأهله ثم قال النعمان إن أصبت فعلى الناس حذيفة بن اليمان وإن أصيب حذيفة ففلان وإن أصيب فلان ففلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ثم هز اللواء الثالثة فحمل كل إنسان على من يليه من العدو قال فوالله ما علمت من المسلمين أحدا يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر فحملنا حملة واحدة وثبتوا لنا فما كنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة فلما رأوا صبرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة بعضهم على بعض فى قياد فيقتلون جميعا وجعل يعقرهم حسك الحديد الذى وضعوا خلفهم فقال النعمان رضى الله عنه قدموا اللواء فجعلنا نقدم اللواء ونقتلهم ونهزمهم فلما رأى أن الله قد استجاب له ورأى الفتح جاءته نشابة فأصابت خاصرته فقتلته قال فجاء أخوه معقل فسجى عليه ثوبا وأخذ اللواء فقاتل ثم قال تقدموا نقتلهم ونهزمهم فلما اجتمع الناس قالوا أين أميرنا قال معقل هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة قال فبايع الناس حذيفة وعمر بالمدينة يستنصر له ويدعو له مثل الحبلى * قال وكتب إلى عمر بالفتح مع رجل

من المسلمين فلما أتاه قال له أبشر يا أمير المؤمنين بفتح أعز الله به الاسلام وأهله وأذل به الكفر وأهله قال فحمد الله عز وجل ثم قال النعمان بعثك قال احتسب النعمان يا أمير المؤمنين قال فبكى عمر واسترجع قال ومن ويحك قال فلان وفلان حتى عد له ناسا كثيراً ثم قال وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفهم فقال عمر وهو يبكى لا يضرهم ألا يعرفهم عمر ولكن الله يعرفهم ﴿وأما سيف﴾ فإنه قال فيما كتب إلى السرى يذكر أن شعيبا حدثه عنه وعن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد أن الذى هاج أمر نهاوند أن أهل البصرة لما أشجوا الهرمزان وأعجلوا أهل فارس عن مصاب جند العلاء ووطئوا أهل فارس كاتبوا ملكهم وهو يومئذ بمرو فحركوه فكاتب الملك أهل الجبال من بين الباب والسند وخراسان وحلوان فتحركوا وتكاتبوا وركب بعضهم إلى بعض فأجمعوا أن يوافوا نهاوند ويبرموا فيها أمورهم فتوافى إلى نهاوند أوائلهم وبلغ سعدا الخبر عن قباذ صاحب حلوان فكتب إلى عمر بذلك فنزا بسعد أقوام وألبوا عليه فيما بين تراسل القوم واجتماعهم إلى نهاوند ولم يشغلهم مادهم المسلمين من ذلك وكان ممن نهض الجراح بن سنان الأسدى فى نفر فقال عمر ان الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم فى هذا الأمر وقد استعد لكم من استعد وايم الله لا يمنعنى ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس فى الاستعداد للأعاجم والأعاجم فى الاجتماع وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذى يقتص آثار من شكى زمان عمر فقدم محمد على سعد ليطوف به فى أهل الكوفة والبعوث تضرب على أهل الأمصار إلى نهاوند فطوف به على مساجد أهل الكوفة لا يتعرض للمسألة عنه فى السر وليست المسألة فى السر من شأنهم إذ ذاك وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد إلا قالوا لا نعلم إلا خيراً ولا نشتهى به بدلا ولا نقول فيه ولا نعين عليه إلا من مال الجراح بن سنان وأصحابه فإنهم كانوا يسكتون لا يقولون سوءاً ولا يسوغ لهم ويتعمدون ترك الثناء حتى انتهوا إلى بنى عبس فقال محمد أنشد بالله رجلا يعلم حقاً إلا قال قال أسامة بن قتادة اللهم إن نشدتنا فإنه لا يقسم بالسوية ولا يعدل

فى الرعية ولا يغزو فى السرية فقال سعد اللهم إن كان قالها كاذبا ورئاء وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يجسها فإذا عثر عليه قال دعوة سعد الرجل المبارك ثم أقبل على الدعاء على النفر فقال اللهم إن كانوا خرجوا أشراً وبطراً وكذبا فاجهد بلاءهم فجهد بلاؤهم فقطع الجراح بالسيوف يوم ثاور الحسن بن على ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل أربد بالوجئ وبنعال السيوف وقال سعد إنى لأول رجل أهرق دما من المشركين ولقد جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه وما جمعهما لأحد قبلى ولقد رأيتنى خمس الإسلام وبنو أسد تزعم أنى لا أحسن أصلى وأن الصيد يلهينى وخرج محمد به وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه فأخبره الخبر فقال ياسعد ويحك كيف تصلى فقال أطيل الاولين وأحذف الآخرين فقال هكذا الظن بك ثم قال لولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا ثم قال من خليفتك ياسعد على الكوفة قال عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره واستعمله فكان سبب نهاوند وبدء مشورتها وبعوثها فى زمان سعد وأما الوقعة ففى زمان عبد الله * قالوا وكان من حديثهم أنهم نفروا لكتاب يزدجرد الملك فتوافوا إلى نهاوند فتوافى اليها من بين خراسان إلى حلوان ومن بين الباب إلى حلوان ومن سجستان إلى حلوان فاجتمعت حلبة فارس والفهلوج أهل الجبال من بين الباب إلى حلوان ثلاثون ألف مقاتل، ومن بين خراسان إلى حلوان ستون ألف مقاتل ومن بين سجستان إلى فارس وحلوان ستون ألف مقاتل واجتمعوا على الفيرزان وإليه كانوا توافوا وشاركهم. موسى عن حمزة بن المغيرة بن شعبة عن أبى طعمة الثقفى وكان قد أدرك ذلك قال ثم إنهم قالوا إن محمداً الذى جاء العرب بالدين لم يغرض غرضنا ثم ملكهم أبو بكر من بعده فلم يغرض غرض فارس إلا فى غارة تعرض لهم فيها وإلا فيما يلى بلادهم من السواد ثم ملك عمر من بعده فطال ملكه وعرض حتى تناولكم وانتقصكم السواد والأهواز وأوطأها ثم لم يرض حتى أتى أهل فارس والمملكة فى عقر دارهم وهو آتيكم إن لم تأتوه فقد أخرب بيت مملكتكم واقتحم بلاد ملككم

وليس بمنته حتى تخرجوا من فى بلادكم من جنوده وتقطعوا هذين المصرين ثم تشغلوه فى بلاده وقراره وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم على ذلك كتابا وتمالؤا عليه وبلغ الخبر سعدا وقد استخلف عبد الله بن عبد الله بن عتبان ولما شخص لقى عمر بالخبر مشافهة وقد كان كتب إلى عمر بذلك وقال إن أهل الكوفة يستأذنونك فى الانسياح فى أن يبادروهم الشدة وقد كان عمر منعهم من الانسياح فى الجبل وكتب إليه أيضا عبد الله وغيره بأنه قد تجمع منهم خمسون ومائة ألف مقاتل فإن جاؤنا قبل أن نبادرهم الشدة ازدادوا جرأة وقوة وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلكم وكان الرسول بذلك قريب ابن ظفر العبدى ثم خرج سعد بعده فوافى مشورة عمر فلما قدم الرسول بالكتاب إلى عمر بالخبر فرآه قال ما اسمك قال قريب قال ابن من قال ابن ظفر فتفأل إلى ذلك وقال ظفر قريب إن شاء الله ولا قوة إلا بالله ونودى فى الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ووافاه سعد فتفأل إلى سعد بن مالك وقام على المنبر خطيبا فأخبر الناس الخبر واستشارهم وقال هذا يوم له ما بعده من الأيام ألا وإنى قد هممت بأمر وإنى عارضه عليكم فاسمعوه ثم أخبرونى وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ولا تكثروا ولا تطيلوا فتفشغ بكم الأمور ويلتوى عليكم الرأى أفمن الرأى أن أسير فيمن قبلى ومن قدرت عليه حتى أنزل منزلا واسطا بين هذين المصرين فأستنفرهم ثم أكون لهم ردءا حتى يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب فإن فتح الله عليهم أن أضربهم عليهم فى بلادهم وليتنازعوا ملكهم فقام عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف فى رجال من أهل الرأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلموا كلاما فقالوا لا نرى ذلك ولكن لا يغيبن عنهم رأيك وأثرك وقالوا بإزائهم وجوه العرب وفرسانهم وأعلامهم ومن قد فض جموعهم وقتل ملوكهم وباشر من حروبهم ما هو أعظم من هذه وإنما استأذنوك ولم يستصرخوك فأذن لهم واندب إليهم وادع لهم وكان الذى ينتقد له الرأى إذا عرض عليه العباس رضى الله عنه (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن حمزة عن أبى حمزة عن أبى طعمة قال فقام على بن أبى طالب عليه السلام فقال أصاب القوم يا أمير المؤمنين الرأى

وفهموا ما كتب به إليك وإن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة وإنما هو دينه الذى أظهر وجنده الذى أعز وأيده بالملائكة حتى بلغ مابلغ فنحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده ومكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه فإن انحل تفرق مافيه وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهم كثير عزيز بالإسلام فأقم واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم ومن لم يحفل بمن هو أجمع وأحد وأجد من هؤلاء فليأتهم الثلثان وليقم الثلث واكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم فسر عمر بحسن رأيهم وأعجبه ذلك منهم وقام سعد فقال ياأمير المؤمنين خفض عليك فإنهم إنما جمعوا النقمة (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن أبى بكر الهذلى قال لما أخبرهم عمر الخبر واستشارهم وقال أوجزوا فى القول ولا تطيلوا فتفشغ بكم الأمور واعلموا أن هذا يوم له مابعده من الأيام تكلموا فقام طلحة ابن عبيد الله وكان من خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد ثم قال أما بعد ياأمير المؤمنين فقد أحكمتك الأمور وعجمتك البلايا واحتنكتك التجارب وأنت وشأنك وأنت ورأيك لا ننبو فى يديك ولا نكل عليك إليك هذا الأمر فمرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب ووفدنا نفد وقدنا ننقد فإنك ولى هذا الأمر وقد بلوت وجربت واختبرت فلم ينكشف شىء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار ثم جلس فعاد عمر فقال إن هذا يوم له مابعده من الأيام فتكلموا فقام عثمان ابن عفان فتشهد وقال أرى ياأمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشأم فيسيروا من شأمهم وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فإنك إذا سرت بمن معك وعندك قل فى نفسك ماقد تكاثر من عدد القوم وكنت أعز عزا وأكثر ياأمير المؤمنين إنك لا تستبقى من نفسك بعد العرب باقية ولا تمتنع من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز إن هذا اليوم له مابعده من الأيام فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه ثم جلس فعاد عمر فقال إن هذا يوم له مابعده من الأيام فتكلموا

فقام على بن أبى طالب فقال أمابعد ياأمير المؤمنين فإنك إن أشخصت أهل الشأم من شأمهم سارت الروم إلى ذراريهم وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها حتى يكون ماتدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات أقرر هؤلاء فى أمصارهم واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق فلتقم فرقة لهم فى حرمهم وذراريهم ولتقم فرقة فى أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددا لهم أن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا قالوا هذا أمير العرب وأصل العرب فكان ذلك أشد لكلبهم وألبتهم على نفسك وأما ماذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير مايكره وأما ماذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكنا كنا نقاتل بالنصر فقال عمر أجل والله لئن شخصت من البلدة لتنتقضن على الأرض من أطرافها وأكنافها ولئن نظرت إلى الأعاجم لايفارقنّ العرصة وليمدنهم من لم يمدهم وليقولن هذا أصل العرب فإذا اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب فأشيروا على برجل أوله ذلك الثغر غدا قالوا أنت أفضل رأيا وأحسن مقدرة قال أشيروا علىّ به واجعلوه عراقيا قالوا ياأمير المؤمنين أنت أعلم بأهل العراق وجندك قد وفدوا عليك ورأيتهم وكلمتهم فقال أما والله لأولين أمرهم رجلا ليكونن لأول الأسنة إذا لقيها غداً فقيل من يا أمير المؤمنين فقال النعمان بن مقرن المزنى فقالوا هولها والنعمان يومئذ بالبصرة معه قواد من قواد أهل الكوفة أمدهم بهم عمر عند انتقاض الهرمزان فافتتحوا رامهرمز وإيذج وأعانوهم على تستر وجندى سابور والسوس فكتب إليه عمر مع زر بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة بالخبر وإنى قد وليتك حربهم فسر من وجهك ذلك حتى تأتى ماه فإنى قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها فإذا اجتمع لك جنودك فسر إلى الفيرزان ومن تجمع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم واستنصروا الله وأكثروا من قول لاحول ولاقوة إلا بالله وروى عن أبى وائل

فى سبب توجيه عمر النعمان بن مقرن إلى نهاوند ماحدثنى به محمد بن عبيد الله بن صفوان الثقفى قال حدثنا أمية بن خالد قال حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن قال قال أبو وائل كان النعمان بن مقرن على كسكر فكتب إلى عمر مثلى ومثل كسكر كمثل رجل شاب إلى جنبه مومسة تلون له وتعطر فأنشدك الله لما عزلتنى عن كسكر وبعثتنى إلى جيش من جيوش المسلمين قال فكتب إليه عمر أن ائت الناس بنهاوند فأنت عليهم قال فالتقوا فكان أول قتيل وأخذ الراية أخوه سويد بن مقرن ففتح الله على المسلمين ولم يكن لهم يعنى للفرس جماعة بعد يومئذ فكان أهل كل مصر يغزون عدوهم فى بلادهم ﴿رجع الحديث إلى حديث سيف﴾ وكتب يعنى عمر إلى عبد الله بن عبد الله مع ربعى بن عامر أن استنفر من أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا فإنى قد كتبت إليه بالتوجه من الأهواز إلى ماه فليوافوه بها وليسربها إلى نهاوند وقد أمّرت عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهى إلى النعمان بن مقرن وقد كتبت إلى النعمان إن حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان فإن حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن ورد قريب بن ظفر ورد معه السائب بن الأقرع أميناً وقال إن فتح الله عليكم فاقسم ماأفاء الله عليهم بينهم ولا تخدعنى ولاترفع إلىّ باطلا وإن نكب القوم فلا ترانى ولا أراك فقدما إلى الكوفة بكتاب عمر بالاستحثاث وكان أسرع أهل الكوفة إلى ذلك الروادف ليبلوا فى الدين وليدركوا حظا وخرج حذيفة بن اليمان بالناس ومعه نعيم حتى قدموا على النعمان بالطزر وجعلوا بمرج القلعة خيلا عليها النسير وقد كتب عمر إلى سلمى بن القين وحرملة بن مريطة وزر بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة وقواد فارس الذين كانوا بين فارس والأهواز أن اشغلوا فارس عن إخوانكم وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم وأقيموا على حدود مابين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمرى وبعث مجاشع بن مسعود السلمى إلى الأهواز وقال له انصل منها على ماه فخرج حتى إذا كان بغضى شجر أمره النعمان أن يقيم مكانه فأقام بين غضى شجر ومرج القلعة ونصل سلمى وحرملة وزر والمقترب فكانوا فى تخوم اصبهان وفارس فقطعوا بذلك عن

أهل نهاوند أمداد فارس ولما قدم أهل الكوفة على النعمان بالطزر جاءه كتاب عمر مع قريب ان معك حد العرب ورجالهم فى الجاهلية فأدخلهم دون من هو دونهم فى العلم بالحرب واستعن بهم واشرب برأيهم وسل طليحة وعَمراً وعمراً ولا تولهم شيئاً فبعث من الطزر طليحة وعَمراً وعُمراً طليعة ليأتوه بالخبر وتقدم إليهم أن لا يغلوا فخرج طليحة بن خويلد وعمرو بن أبي سلمى العنزى وعمرو بن معديكرب الزبيدى فلما ساروا يوماً إلى الليل رجع عمرو بن أبي سلمى فقالوا ما رجعك قال كنت فى أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضاً عالمها ومضى طليحة وعمرو حتى إذا كان من آخر الليل رجع عمرو فقالوا مارجعك قال سرنا يوماً وليلة ولم نر شيئاً وخفت أن يؤخذ علينا الطريق ونفذ طليحة ولم يحفل بهما فقال الناس ارتد الثانية ومضى طليحة حتى انتهى إلى نهاوند وبين الطزر ونهاوند بضعة وعشرون فرسخاً فعلم علم القوم واطلع على الأخبار ثم رجع حتى إذا انتهى إلى الجمهور وكبر الناس فقال ما شأن الناس فأخبروه بالذى خافوا عليه فقال والله لو لم يكن دين إلا العربية ما كنت لأجزر العجم الطماطم هذه العرب العاربة فأتى النعمان فدخل عليه فأخبروه الخبر واعلمه أنه ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه ولا أحد فنادى عند ذلك النعمان بالرحيل فأمرهم بالتعبية وبعث إلى مجاشع بن مسعود أن يسوق الناس وسار النعمان على تعبيته وعلى مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع وقد توافى إليه أمداد المدينة فيهم المغيرة وعبد الله فانتهوا إلى الاسبيذهان والقوم وقوف دون واى خرد على تعبيتهم وأميرهم الفيرزان وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جاذويه الذى جعل مكان ذى الحاجب وقد توافى إليهم بنهاوند كل من غاب عن القادسية والأيام من أهل الثغور وأمرائها وأعلام من أعلامهم ليسوا بدون من شهد الأيام والقوادس وعلى خيولهم أنوشق فلما رآهم النعمان كبر وكبر الناس معه فتزلزت الأعاجم فأمر النعمان وهو واقف بحط الأثقال وبضرب الفسطاط فضرب وهو واقف فابتدره أشراف أهل الكوفة فبنوا له فسطاطاً سابقوا أكفاءهم

فسبقوهم وهم أربع عشرة منهم حذيفة بن اليمان وعقبة بن عمرو والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصية وحنظلة الكاتب بن الربيع وابن الهوبر وربعى بن عامر وعامر بن مطر وجرير بن عبد الله الحميرى والأقرع بن عبد الله الحميرى وجرير ابن عبد الله البجلى والأشعث بن قيس الكندى وسعيد بن قيس الهمدانى ووائل ابن حجر فلم ير بناء فسطاط بالعراق كهؤلاء وأنشب النعمان بعد ماحط الأثقال القتال فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم فى ذاك سجال فى سبع سنين من امارة عمر فى سنة تسعة عشر وأنهم انجحروا فى خنادقهم يوم الجمعة وحصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله والأعاجم بالخيار لا يخرجون إلا إذا أرادوا الخروج فاشتد ذلك على المسلمين وخافوا أن يطول أمرهم حتى إذا كان ذات يوم فى جمعة من الجمع تجمع أهل الرأى من المسلمين فتكلموا وقالوا نراهم علينا بالخيار وأتوا النعمان فى ذلك فأخبروه فوافقوه وهو يروّى فى الذى روّوا فيه فقال على رسلكم لا تبرحوا وبعث إلى من بقى من أهل النجدات والرأى فى الحروب فتوافوا إليه فتكلم النعمان فقال قد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمدائن وإنهم لا يخرجون إلا إذا شاءوا ولا يقدر المسلمون على إنقاضهم وانبعاثهم قبل مشيئتهم وقد ترون الذى فيه المسلمون من التضايق بالذى هم فيه وعليه من الخيار عليهم فى الخروج فما الرأى الذى به نحمشهم ونستخرجهم إلى المنابذة وترك التطويل فتكلم عمرو بن ثبى وكان أكبر الناس يومئذ سنا وكانوا إنما يتكلمون على الأسنان فقال التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم فدعهم ولا تحرجهم وطاولهم وقاتل من أتاك منهم فردوا عليه جميعا رأيه وقالوا إنا على يقين من إنجاز ربنا موعده لنا وتكلم عمرو بن معديكرب فقال ناهدهم وكاثرهم ولا تخفهم فردوا عليه جميعا رأيه وقالوا إنما تناطح بنا الجدران والجدران لهم أعوان علينا وتكلم طليحة فقال قد قالا ولم يصيبا ما أرادوا وأما أنا فأرى أن تبعث خيلا مؤدية فيحدقوا بهم ثم يرموهم لينشبوا القتال ويحمشوهم فإذا استحمشوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا إلينا استطراداً فإنا لم نستطرد لهم فى طول

ما قاتلناهم وإنا إذا فعلنا ذلك ورأوا ذلك منا طمعوا فى هزيمتنا ولم يشكوا فيها فخرجوا فجادّونا وجاددناهم حتى يقضى الله فيهم وفينا ما أحب فأمر النعمان القعقاع ابن عمرو وكان على المجردة ففعل وانشب القتال بعد احتجاز من العجم فأنقضهم فلما خرجوا نكص ثم نكص ثم نكص واغتنمها الأعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا هى هى فخرجوا فلم يبق أحد إلا من يقوم لهم على الأبواب وجعلوا يركبونهم حتى أرز القعقاع إلى الناس وانقطع القوم عن حصنهم بعض الانقطاع والنعمان ابن مقرن والمسلمون على تعبيتهم فى يوم جمعة فى صدر النهار وقد عهد النعمان إلى الناس عهده وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمى وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفشوا فيهم الجراحات وشكا بعض الناس ذلك إلى بعض ثم قالوا للنعمان ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما لقى الناس فما تنتظر بهم ائذن للناس فى قتالهم فقال لهم النعمان رويداً رويداً قالوا له ذلك مراراً فأجابهم بمثل ذلك مراراً رويدا رويدا فقال المغيرة لو أن هذا الأمر إلى علمت ما أصنع فقال رويدا ترى أمرك وقد كنت تلى الأمر فتحسن فلا يخذلنه الله ولا إياك ونحن نرجو فى المكث مثل الذى ترجو فى الحث وجعل النعمان ينتظر بالقتال إكمال ساعات كانت أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال أن يلقى فيها العدو وذلك عند الزوال وتفيؤ الأفياء ومهب الرياح فلما كان قريباً من تلك الساعة تحشحش النعمان وسار فى الناس على برذون أحوى قريب من الأرض فجعل يقف على كل راية ويحمد الله ويثنى عليه ويقول قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين وما وعدكم من الظهور وقد أنجز لكم هوادى ما وعدكم وصدوره وإنما بقيت أعجازه وأكارعه والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلة وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة فأنتم اليوم عباد الله حقاً وأولياؤه وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة والذى لهم فى ظفركم وعزكم والذى عليهم فى هزيمتكم وذلكم وقد ترون من أنتم بإزائه من عدوكم وما أخطرتم وما أخطروا لكم فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة وما ترون من هذا السواد وأما

ما أخطرتم لهم فدينكم وبيضتكم ولا سواءٌ ما أخطرتم وما أخطروا فلا يكونن على دنياهم أحمى منكم على دينكم وأتقى الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن البلاء فإنكم بين خيرين منتظرين إحدى الحسنيين من بين شهيد حي مرزوق أو فتح قريب وظفر يسير فكفى كل رجل ما يليه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه وذلك من الملأمة وقد يقاتل الكلب عن صاحبه فكل رجل منكم مسلط على ما يليه فإذا قضيت أمرى فاستعدوا فإنى مكبر ثلاثا فإذا كبرت التكبيرة الأولى فليتهيأ من لم يكن تهيأ فإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض فإذا كبرت الثالثة فإنى حامل إن شاء الله فاحملوا معاً اللهم أعز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك فلما فرغ النعمان من التقدم إلى أهل المواقف وقضى إليهم أمره رجع الى موقفه فكبر الأولى والثانية والثالثة والناس سامعون مطيعون مستعدون للناهضة ينحى بعضهم بعضا عن سننهم وحمل النعمان وحمل الناس وراية النعمان تنقض نحوهم انقصاض العقاب والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة فاقتتلوا بالسيوف قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة يوم قط كانت أشدمنها فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والاعتام ماطبق أرض المعركة دما يزلق الناس والدواب فيه وأصيب فرسان من فرسان المسلمين فى الزلق فى الدماء فزلق فرس النعمان فى الدماء فصرعه وأصيب النعمان حين زلق به فرسه وصُرع وتناول الراية نعيم بن مقرن قبل أن تقع وسجى النعمان بثوب وأتى حذيفة بالراية فدفعها إليه وكان اللواء مع حذيفة فجعل حذيفة نعيم بن مقرن مكانه وأتى المكان الذى كان فيه النعمان فأقام اللواء وقال له المغيرة اكتموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم لكيلا يهن الناس واقتتلوا حتى اذا أظلهم الليل انكشف المشركون وذهبوا والمسلمون ملظون بهم ملتبسون فعمى عليهم قصدهم فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذى كانوا نزلوا دونه بإسبيذهان فوقعوا فيه وجعلوا لا يهوى منهم أحد الا قال وايه خرد فسمى بذلك وايه خرد الى اليوم فمات فيه منهم مائة ألف أو يزيدون سوى من قتل فى المعركة منهم أعدادهم ولم يفلت الا الشريد

ونجا الفيرزان بين الصرعى فى المعركة فهرب نحو همذان فى ذلك الشريد فاتبعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدامة فأدركه حين انتهى إلى ثنية همذان والثنية مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلا فحبسه الدواب على أجله فقتله على الثنية بعد ما امتنع وقال المسلمون إن لله جنودا من عسل واستاقوا العسل وما خالطه من سائر الأحمال فأقبل بها وسميت الثنية بذلك ثنية العسل وإن الفيرزان لما غشيه القعقاع نزل فتوقل فى الجبل إذ لم يجد مساغا وتوقل القعقاع فى أثره حتى أخذه ومضى الفلال حتى انتهوا إلى مدينة همذان والخيل فى آثارهم فدخلوها فنزل المسلمون عليهم وحووا ما حولها فلما رأى ذلك خسروشنوم استأمنهم وقبل منهم على أن يضمن لهم همذان ودستبي وأن لا يؤتى المسلمون منهم فأجابوهم إلى ذلك وآمنوهم وأمن الناس وأقبل كل من كان هرب ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يوم نهاوند مدينة نهاوند واحتووا ما فيها وما حولها وجمعوا الأسلات والرثاث إلى صاحب الأقباض السائب ابن الأقرع فبيناهم كذلك على حالهم وفى عسكرهم يتوقعون ما يأتيهم من إخوانهم بهمذان أقبل الهربذ صاحب بيت النار على أمان فأبلغ حذيفة فقال أتؤمننى على أن أخبرك بما أعلم قال نعم قال إن النخيرجان وضع عندى ذخيرة لكسرى فأنا أخرجها لك على أمانى وأمان من شئت فأعطاه ذلك فأخرج له ذخيرة كسرى جوهرا كان أعده لنوائب الزمان فنظروا فى ذلك فأجمع رأى المسلمين على رفعه الى عمر فجعلوه له فأخرجوه حتى فرغوا فبعثوا به مع ما يرفع من الأخماس وقسم حذيفة ابن اليمان بين الناس غنائمهم فكان سهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين وقد نفل حذيفة من الأخماس من شاء من أهل البلاء يوم نهاوند ورفع ما بقى من الأخماس إلى السائب بن الأقرع فقبض السائب الأخماس فخرج بها إلى عمر وبذخيرة كسرى وأقام حذيفة بعد الكتاب بفتح نهاوند بنهاوند ينتظر جواب عمر وأمره وكان رسوله بالفتح طريف بن سهم أخو بنى ربيعة بن مالك فلما بلغ الخبر أهل الماهين بأن همذان قد أخذت ونزلها نعيم بن مقرن والقعقاع ابن عمرو اقتدوا بخسرشنوم فراسلوا حذيفة فأجابهم إلى ما طلبوا فأجمعوا على

القبول وعزموا على إتيان حذيفة نخدعهم دينار وهو دون أولئك الملوك وكان ملكا إلا أن غيره منهم كان أرفع منه وكان أشرفهم قارن وقال لا تلقوهم فى جمالكم ولكن تقهلوا لهم ففعلوا وخالفهم فأتاهم فى الديباج والحلى وأعطاهم حاجتهم واحتمل للمسلمين ما أرادوا فعاقدوه عليهم ولم يجد الآخرون بدأ من متابعته والدخول فى أمره فقيل ماه دينار لذلك فذهب حذيفة بماه دينار وقد كان النعمان عاقد بهراذان على مثل ذلك فنسبت إلى بهراذان ووكل النسير بن ثور بقلعة قد كان لجأ إليها قوم فجاهدهم فافتتحها فنسبت إلى النسير وقسم حذيفة لمن خلفوا بمرج القلعة ولمن أقام بغضى شجر ولأهل المسالح جميعا فى فىء نهاوند مثل الذى قسم لأهل المعركة لأنهم كانوا ردءا للمسلمين لئلا يؤتوا من وجه من الوجوه وتملل عمر تلك الليلة التى كان قدر للقائهم وجعل يخرج ويلتمس الخبر فبينا رجل من المسلمين قد خرج فى بعض حوائجه فرجع إلى المدينة ليلا فمر به راكب فى الليلة الثالثة من يوم نهاوند يريد المدينة فقال يا عبد الله من أين أقبلت قال من نهاوند قال ما الخبر قال الخبر خير فتح الله على النعمان واستشهد واقتسم المسلمون فىء نهاوند فأصاب الفارس ستة آلاف وطواه الراكب حتى انغمس فى المدينة فدخل الرجل فبات فأصبح فتحدث بحديثه ونمى الخبر حتى بلغ عمر وهو فيما هو فيه فأرسل إليه فسأله فأخبره فقال صدق وصدقت هذا عثيم بريد الجن وقد رأى بريد الإنس فقدم عليه طريف بالفتح بعد ذلك فقال الخبر فقال ما عندى أكثر من الفتح خرجت والمسلمون فى الطلب وهم على رجل وكتمه إلا ماسره ثم خرج وخرج معه أصحابه فأمعن فرفع له راكب فقال قولوا فقال عثمان بن عفان السائب فقال السائب فلما دنا منه قال ما وراءك قال البشرى والفتح قال ما فعل النعمان قال زلق فرسه فى دماء القوم فصرع فاستشهد فانطلق راجعا والسائب يسايره وسأل عن عدد من قتل من المسلمين فأخبره بعدد قليل وأن النعمان أول من استشهد يوم فتح الفتوح وكذلك كان يسميه أهل الكوفة والمسلمون فلما دخل المسجد حطت الأحمال فوضعت فى المسجد وأمر نفرا من أصحابه منهم عبد الرحمن بن عوف وعبد الله

ابن أرقم بالمبيت فيه ودخل منزله واتبعه السائب بن الأقرع بذينك الفسطين وأخبره خبرهما وخبر الناس فقال ياابن مليكة والله مادروا هذا ولا أنت معهم فالنجاء النجاء عودك على بدنك حتى تأتى حذيفة فيقسمهما على من أفاءهما الله عليه فأقبل راجعا بقبل حتى انتهى إلى حذيفة بماه فأقامهما فباعهما فأصاب أربعة آلاف ألف (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس الأسدى أن رجلا يقال له جعفر بن راشد قال لطليحة وهم مقيمون على نهاوند لقد أخذتنا خلة فهل بقى من أعاجيبك شىء تنفعنا به فقال كما أنتم حتى أنظر فأخذ كساء فتقنع به غير كثير ثم قال البيان البيان غنم الدهقان فى بستان مكان أرونان فدخلوا البستان فوجدوا الغنم مسمنة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى معبد العبسى وعروة بن الوليد عمن حدثهم من قومهم قال بينما نحن محاصرو أهل نهاوند خرجوا علينا ذات يوم فقاتلونا فلم نلبثهم أن هزمهم الله فتبع سماك بن عبيد العبسى رجلا منهم معه نفر ثمانية على أفراس لهم فبارزهم فلم يبرز له أحد إلا قتله حتى أتى عليهم ثم حمل على الذى كانوا معه فأسره وأخذ سلاحه ودعا له رجلا اسمه عبد فوكله به فقال اذهبوا بى إلى أميركم حتى أصالحه على هذه الأرض وأؤدى إليه الجزية وسلنى أنت عن إسارك ماشئت وقد مننت على إذلم تقتلنى وإنما أنا عبدك الآن وإن أدخلتنى على الملك وأصلحت مابينى وبينه وجدت لى شكرا وكنت لى أخا فخلى سبيله وآمنه وقال من أنت قال أنا دينار والبيت منهم يومئذ فى آل قارن فأتى به حذيفة فحدثه دينار عن نجدة سماك وما قتل ونظره للمسلمين فصالحه على الخراج فنسبت اليه ماه وكان يواصل سماكا ويهدى له ويوافى الكوفة كلما كان عمله إلى عامل الكوفة فقدم الكوفة فى إمارة معاوية فقام فى الناس بالكوفة فقال يامعشر أهل الكوفة أنتم أول مامررتم بنا كنتم خيار الناس فعمرتم بذلك زمان عمر وعثمان ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع بخل وخب وغدر وضيق ولم يكن فيكم واحدة منهن فرمقتكم فاذا ذلك فى مولديكم فعلمت من أين أتيتم فإذا الخب من قبل النبط والبخل من قبل فارس والغدر من قبل خراسان والضيق منه

قبل الأهواز (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي قال لما قدم بسبي نهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال أكل عمر كبدى وكان نهاونديا فأسرته الروم أيام فارس وأسره المسلمون بعد فنسب إلى حيث سبى (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي قال قتل فى اللهب ممن هوى فيه ثمانون ألفاً وفى المعركة ثلاثون ألفا مقترنين سوى من قتل فى الطلب وكان المسلمون ثلاثين ألفا وافتتحت مدينة نهاوند فى أول سنة تسع عشرة لسبع سنين من إمارة عمر لتمام سنة ثمان عشرة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة فى كتاب النعمان بن مقرن وحذيفة لأهل الماهين بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى النعمان مقرن أهل ماه بهراذان أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرضيهم لا يغيرون على ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة ما أدوا الجزية فى كل سنة إلى من وليهم على كل حالم فى ماله ونفسه على قدر طاقته وما أرشدوا ابن السبيل وأصلحوا الطرق وقروا جنود المسلمين ممن مر بهم فأوى إليهم يوما وليلة ووفوا ونصحوا فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة شهد عبد الله بن ذى السهمين والقعقاع بن عمرو وجرير بن عبد الله وكتب فى المحرم سنة تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل ماه دينار أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرضيهم لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة ما أدوا الجزية فى كل سنة إلى من وليهم من المسلمين على كل حالم فى ماله ونفسه على قدر طاقته وما أرشدوا ابن السبيل وأصلحوا الطرق وقروا جنود المسلمين من مر بهم فأوى اليهم يوما وليلة ونصحوا فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة شهد القعقاع بن عمرو ونعيم بن مقرن وسويد بن مقرن وكتب فى المحرم قالوا وألحق عمر من شهد نهاوند فأبلى من الروادف بلاء فاضلا فى ألفين ألفين ألحقهم بأهل القادسية (وفى هذه السنة) أمر عمر جيوش العراق بطلب جيوش فارس حيث كانت وأمر بعض من كان بالبصرة من جنود المسلمين وحواليها بالمسير إلى أرض فارس وكرمان واصبهان وبعض من كان منهم بناحية

الكوفة وماهاتها إلى أصبهان وآذربيجان والرى وكان بعضهم يقول إنما كان ذلك من فعل عمر فى سنة ثمان عشرة وهو قول سيف بن عمر

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة أعنى سنة احدى وعشرين

من أمر الجندين اللذين ذكرت ان عمر أمرهما بما ذكر أنه أمرهما به

(كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا لما رأى عمر أن يزدجرد يبعث عليه فى كل عام حربا وقيل له لا يزال هذا الدأب حتى يخرج من مملكته أذن للناس فى الانسياح فى أرض العجم حتى يغلبوا يزدجرد على ما كان فى يدى كسرى فوجه الأمراء من أهل البصرة بعد فتح نهاوند ووجه الأمراء من أهل الكوفة بعد فتح نهاوند وكان بين عمل سعد بن أبى وقاص وبين عمل عمار بن ياسر أميران أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبان وفى زمانه كانت وقعة نهاوند وزياد بن حنظلة حليف بنى عبد بن قصى وفى زمانه أمر بالانسياح وعزل عبد الله بن عبد الله وبعث فى وجه آخر من الوجوه وولى زياد ابن حنظلة وكان من المهاجرين فعمل قليلا وألح فى الاستعفاء فأعفى وولى عمار بن ياسر بعد زياد فكان مكانه وأمد أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله وأمد أهل الكوفة بأبى موسى وجعل عمر بن سراقة مكانه وقدمت الألوية من عند عمر إلى نفر بالكوفة زمان زياد بن حنظلة فقدم لواء منها على نعيم بن مقرن وقد كان أهل همذان كفروا بعد الصلح فأمره بالسير نحو همذان وقال فإن فتح الله على يديك فإلى ما وراء ذلك فى وجهك ذلك إلى خراسان وبعث عتبة بن فرقد وبكير بن عبد الله وعقد لهما على آذربيجان وفرقها بينهما وأمر أحدهما أن يأخذ اليها من حلوان إلى ميمنتها وأمر الآخر أن يأخذ اليها من الموصل إلى ميسرتها فتيا من هذا عن صاحبه وتياسر هذا عن صاحبه وبعث إلى عبد الله بن عبد الله بلواء وأمره أن يسير إلى اصبهان وكان شجاعا بطلا من أشراف الصحابة ومن وجوه الأنصار حليفاً لبنى الحبلى من بنى أسد وأمده بأبى موسى من البصرة وأمر عمر بن سراقة على البصرة وكان من حديث عبد الله بن عبد الله أن عمر حين أتاه فتح نهاوند بدا له أن يأذن فى الانسياح

تكتب إليه أن سر من الكوفة حتى تنزل المدائن فاندبهم ولا تنتخبهم واكتب إلىّ بذلك وعمر يريد توجيهه إلى اصبهان فانتدب له فيمن انتدب عبد الله بن ورقاء الرياحى. وعبد الله بن الحارث بن ورقاء الأسدى والذين لا يعلمون يرون أن أحدهما عبد الله. ابن بديل بن ورقاء الخزاعى لذكر ورقاء وظنوا أنه نسب إلى جده وكان عبد الله بن. بديل بن ورقاء يوم قتل بصفين ابن أربع وعشرين سنة وهى أيام عمر صبى ولما أتى عمر انبعاث عبد الله بعث زياد بن حنظلة لما أتاه انبعاث الجنود وانسياحهم أمر عماراً بعد وقرأ قول الله عز وجل (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) وقد كان زياد صرف فى وسط من امارة سعد الى. قضاء الكوفة بعد إعفاء سلمان وعبد الرحمن ابنى ربيعة ليقضى الى أن يقدم عبد الله ابن مسعود من حمص وقد كان عمل لعمر على ماسقى الفرات ودجلة النعمان وسويد ابنا مقرن فاستعفيا وقالا أعفنا من عمل يتغول ويتزين لنا بزينة المومسة فأعفاهما وجعل مكانهما حذيفة بن أسيد الغفارى وجابر بن عمرو المزنى ثم استعفيا فأعفاهما وجعل مكانهما حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف حذيفة على ماسقت دجلة وما وراءها وعثمان على ماسقى الفرات من السوادين جميعا وكتب الى أهل الكوفة انى بعثت اليكم عمار بن ياسر أميرا وجعلت عبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ووليت حذيفة بن اليمان ماسقت دجلة وما وراءها ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى

﴿ذكر الخبر عن اصبهان﴾

قالوا ولما قدم عمار الى الكوفة أميرا وقدم كتاب عمر الى عبد الله أن سر الى. اصبهان وزياد على الكوفة وعلى مقدمتك عبد الله بن ورقاء الرياحى وعلى مجنبتيك عبد الله بن ورقاء الأسدى وعصمة بن عبد الله وهو عصمة بن عبد الله بن عبيدة ابن سيف بن عبد بن الحارث فسار عبد الله فى الناس حتى قدم على حذيفة ورجع. حذيفة الى عمله وخرج عبد الله من نهاوند فيمن كان معه ومن انصرف معه من جند النعمان نحو جند قد اجتمع له من أهل اصبهان عليهم الاستندار وكان على.

مقدمته شهر براز جاذويه شيخ كبير فى جمع عظيم فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق من رساتيق اصبهان فاقتتلوا قتالا شديدا ودعا الشيخ الى البراز فبرز له عبد الله بن ورقاء فقتله وانهزم أهل أصبهان وسمى المسلمون ذلك الرستاق رستاق الشيخ فهو اسمه الى اليوم ودعا عبد الله بن عبد الله من يليه فسأل الاستندار الصلح فصالحهم فهذا أول رستاق أخذ من اصبهان ثم سار عبد الله من رستاق الشيخ نحو جى حتى انتهى الى جى والملك باصبهان يومئذ الفاذوسفان ونزل بالناس على جى فحاصرهم فخرجوا اليه بعدما شاء الله من زحف فلما التقوا قال الفاذوسفان لعبد الله لا تقتل أصحابى ولا أقتل أصحابك ولكن ابرز لى فان قتلتك رجع أصحابك وان قتلتنى سالمك أصحابى وان كان أصحابى لا يقع لهم نشابة فبرز له عبد الله وقال إما أن تحمل علىّ وإما أن أحمل عليك فقال أحمل عليك فوقف له عبد الله وحمل عليه الفاذوسفان فطعنه فأصاب قربوس سرجه فكسره وقطع اللبب والحزام وزال اللبد والسرج وعبد الله على الفرس فوقع عبد الله قائما ثم استوى على الفرس عرياً وقال له اثبت فحاجزه وقال ما أحب أن أقاتلك فانى قد رأيتك رجلا كاملا ولكن أرجع معك الى عسكرك فأصالحك وأدفع المدينة اليك على ان من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله وعلى أن تجرى من أخذتم أرضه عنوة مجراهم ويتراجعون ومن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه قال لكم ذلك وقدم عليه أبو موسى الأشعرى من ناحية الأهواز وقد صالح الفاذوسفان عبد الله فخرج القوم من جى ودخلوا فى الذمة إلا ثلاثين رجلا من أهل أصبهان خالفوا قومهم وتجمعوا فلحقوا بكرمان فى حاشيتهم لجمع كان بها ودخل عبد الله وأبو موسى جى وجى مدينة أصبهان وكتب بذلك الى عمر واغتبط من أقام وندم من شخص فقدم كتاب عمر على عبد الله أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدى فتجامعه على قتال من بكرمان وخلف فى جى من بقى عن جى واستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن نفر من أصحاب الحسن منهم المبارك بن فضالة عن الحسن عن أسيد بن المتشمس بن

أخى الأحنف قال شهدت مع أبى موسى فتح أصبهان وانما شهدها مددا (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا كتاب صلح أصبهان: بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من عبدالله للفاذوسفان وأهل أصبهان وحواليها انكم آمنون ما أديتم الجزية وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم فى كل سنة تؤدونها الى الذى يلى بلادكم عن كل حالم ودلالة المسلم واصلاح طريقه وقراه يوما وليلة وحملان الراجل الى مرحلة لا تسلطوا على مسلم وللمسلمين نصحكم وأداء ماعليكم ولكم الأمان مافعلتم فاذا غيرتم شيئا أو غيره مغير منكم ولم تسلموه فلا أمان لكم ومن سب مسلما بلغ منه فان ضربه قتلناه وكتب وشهد عبدالله بن قيس وعبد الله بن ورقاء وعصمة بن عبدالله فلما قدم الكتاب من عمر على عبد الله وأمر فيه باللحاق بسهيل بن عدى بكرمان خرج فى جريدة خيل واستخلف السائب ولحق بسهيل قبل أن يصل الى كرمان وقد روى عن معقل بن يسار أن الذى كان أميرا على جيش المسلمين حين غزوا أصبهان النعمان بن مقرن

ذكر الرواية بذلك

حدثنا يعقوب بن ابراهيم وعمرو بن على قالا حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال حدثنا حماد بن سلمة عن أبى عمران الجونى عن علقمة بن عبد الله المزنى عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فقال ماترى أبدأ بفارس أم بآذربيجان أم باصبهان فقال ان فارس وآذربيجان الجناحان واصبهان الرأس فان قطعت أحد الجناحين قام الجناح الآخر فان قطعت الرأس وقع الجناحان فابدأ بالرأس فدخل عمر المسجد والنعمان بن مقرن يصلى فقعد الى جنبه فلما قضى صلاته قال انى أريد أن أستعملك قال جابيا فلا ولكن غازيا قال فأنت غاز فوجهه الى اصبهان وكتب الى أهل الكوفة أن يمدوه فأتاها وبينه وبينهم النهر فأرسل اليهم المغيرة بن شعبة فأتاهم فقيل للملكهم وكان يقال له ذو الحاجبين ان رسول العرب على الباب فشاور أصحابه فقال ماترون أقعدله فى بهجة الملك فقالوا نعم فقعد على سريره ووضع التاج على رأسه وقعد أبناء الملوك نحو السماطين عليهم القرطة

وأسورة الذهب وثياب الديباج ثم أذن له فدخل ومعه رمحه وترسه فجعل يطعن برمحه بسطهم ليتطيروا وقد أخذ بضبعيه رجلان فقام بين يديه فكلمه ملكهم فقال إنكم يامعشر العرب أصابكم جوع شديد فخرجتم فان شئتم مرناكم ورجعتم إلى بلادكم فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إنا معاشر العرب كنا نأكل الجيف والميتة ويطؤنا الناس ولانطأهم وإن الله عز وجل ابتعث منا نبياً أوسطنا حسباً وأصدقنا حديثاً فذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما هو أهله وإنه وعدنا أشياء فوجدناها كما قال وإنه وعدنا أنا سنظهر عليكم ونغلب على ماههنا وإنى أرى عليكم بزة وهيئة ماأرى من خلفى يذهبون حتى يصيبوها قال ثم قلت فى نفسى لوجمعت جراميزى فوثبت وثبة فقعدت مع العلج على سريره لعله يتطير قال فوجدت غفلة فوثبت فاذا أنا معه على سريره قال فأخذوه يتوجأونه ويطأونه بأرجلهم قال قلت هكذا تفعلون بالرسل فانا لا نفعل هكذا ولا نفعل برسلكم هذا فقال الملك إن شئتم قطعتم إلينا وإن شئتم قطعنا إليكم قال فقلت بل نقطع إليكم قال فقطعنا إليهم فتسلسلوا كل عشرة فى سلسلة وكل خمسة وكل ثلاثة قال فصاففناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال المغيرة للنعمان يرحمك الله إنه قد أسرع فى الناس فاحمل فقال والله إنك لذو مناقب لقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال فكان إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر قال ثم قال إنى هازلوائى ثلاث مرات فأما الهزة الأولى فقضى رجل حاجته وتوضأ وأما الثانية فنظر رجل فى سلاحه وفى شسعه فأصلحه وأما الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد وإن قتل النعمان فلا يلوعليه أحد فانى أدعو الله عز وجل بدعوة فعزمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها اللهم اعط اليوم النعمان الشهادة فى نصر المسلمين وافتح عليهم وهز لواءه أول مرة ثم هز الثانية ثم هز الثالثة ثم شل درعه ثم حمل فكان أول صريع فقال معقل فأتيت عليه فذكرت عزمته فجعلت عليه علما ثم ذهبت وكنا إذا قتلنا رجلا شغل عنا أصحابه ووقع ذو الحاجبين عن بغلته فانشق بطنه فهزمهم الله ثم جئت إلى النعمان ومعى إداوة فيها ماء فغسلت عن وجهه التراب

فقال من أنت قلت معقل بن يسار قال مافعل الناس فقلت فتح الله عليهم قال الحمد لله اكتبوا بذلك إلى عمر وفاضت نفسه واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس وفيهم ابن عمر وابن الزبير وعمرو بن معديكرب وحذيفة فبعثوا إلى أم ولده فقالوا اما عهد إليك عهدا فقالت ههنا سفط فيه كتاب فأخذوه فكان فيه إن قتل النعمان ففلان وإن قتل فلان ففلان ﴿وقال الواقدى﴾ فى هذه السنة يعنى سنة ٢١ مات خالد بن الوليد بحمص وأوصى إلى عمر بن الخطاب ﴿قال وفيها﴾ غزا عبدالله وعبدالرحمن ابنا عمرو وأبو سروعة فقدموا مصر فشرب عبدالرحمن وأبو سروعة الخمر وكان من أمرهما ما كان ﴿قال وفيها﴾ سار عمرو بن العاصى إلى أنطابلس وهى برقة فافتتحها وصالح أهل برقة على ثلاثة عشر ألف دينار وأن يبيعوا من أبنائهم ما أحبوا فى جزيتهم ﴿قال وفيها﴾ ولى عمر بن الخطاب عمار بن ياسر على الكوفة وابن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض فشكا أهل الكوفة عمارا فاستعفى عمار عمر بن الخطاب فأصاب جبير بن مطعم خاليا فولاه الكوفة فقال لا تذكره لأحد فبلغ المغيرة بن شعبة أن عمر خلا بجبير بن مطعم فرجع إلى امرأته فقال اذهبى إلى امرأة جبير بن مطعم فاعرضى عليها طعام السفر فأتتها فعرضت عليها فاستعجمت عليها ثم قالت نعم فجيئينى به فلما استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر فقال بارك الله لك فيمن وليت قال فمن وليت فأخبره أنه ولى جبير بن مطعم فقال عمر لا أدرى ما أصنع وولى المغيرة بن شعبة الكوفة فلم يزل عليها حتى مات عمر ﴿قال وفيها﴾ بعث عمرو بن العاصى عقبة بن نافع الفهرى فافتتح زويلة بصلح وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين ❊ وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال كان بالشأم فى سنة ٢١ غزوة الأمير معاوية بن أبى سفيان وعمير بن سعد الأنصارى على دمشق والبثنية وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة ومعاوية على البلقاء والأردن وفلسطين والسواحل وأنطاكية ومعرة مصرين وقلقية وعند ذلك صالح أبو هاشم ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس على قلقية وأنطاكية ومعرة مصرين ﴿وقيل وفيها﴾ ولد الحسن البصرى وعامر الشعبي ﴿قال الواقدى﴾ وحج بالناس فى هذه السنة

عمر بن الخطاب وخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عامله على مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين والشأم ومصر والبصرة من كان عليها فى سنة ٢٠ وأما الكوفة فان عامله عليها كان عمار بن ياسر وكان إليه الاحداث وإلى عبدالله بن مسعود بيت المال وإلى عثمان بن حنيف الخراج وإلى شريح فيما قيل القضاء

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين

(قال أبو جعفر) ففيها فتحت آذربيجان فيما حدثنى أحمد بن ثابت الرازى عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر قال كانت آذربيجان سنة ٢٢ وأميرها المغيرة بن شعبة وكذلك قال الواقدى وأما سيف بن عمر فانه قال فيما كتب إلىّ به السرى عن شعيب عنه قال كان فتح آذربيجان سنة ثمان عشرة من الهجرة بعد فتح همذان والرى وجرجان وبعد صلح اصبهبذ طبرستان المسلمين قال وكل ذلك كان فى سنة ثمان عشرة قال فكان سبب فتح همذان فيما زعم أن محمدا والمهلب وطلحة وعمرا وسعيدا أخبروه أن النعمان لما صرف إلى الماهين لاجتماع الأعاجم إلى نهاوند وصرف إليه أهل الكوفة وافوه مع حذيفة ولما فصل أهل الكوفة من حلوان وأفضوا إلى ماه هجموا على قلعة فى مرج فيها مسلحة فاستنزلوهم وكان أول الفتح وأنزلوا مكانهم خيلا يمسكون بالقلعة فسلموا معسكرهم بالمرج مرج القلعة ثم ساروا من مرج القلعة نحو نهاوند حتى إذا انتهوا إلى قلعة فيها قوم خلفوا عليها النسير بن ثور فى عجل وحنيفة فنسبت إليه وافتتحها بعد فتح نهاوند ولم يشهد نهاوند عجلى ولا حنفى أقاموا مع النسير على القلعة فلما جمعوا فىء نهاوند والقلاع أشركوا فيها جميعا لأن بعضهم قوى بعضا ثم وصفوا ما استقروا فيما بين مرج القلعة وبين نهاوند مما مروا به قبل ذلك فيما استقروا من المرج إليها بصفاتها وازدحمت الركاب فى ثنية من ثنايا ماه فسميت بالركاب فقيل ثنية الركاب وأتوا على أخرى تدور طريقها بصخرة فسموها ملوية فدرست أسماؤها الأولى وسميت بصفاتها ومروا بالجبل الطويل المشرف على الجبال فقال قائل منهم كأنه سن سميرة

وسميرة امرأة من المهاجرات من بنى معاوية ضبية لها سن مشرفة على أسنانها فسمى ذلك الجبل بسنها وقد كان حذيفة اتبع الفالة فالة نهاوند نعيم بن مقرن والقعقاع ابن عمرو فبلغا همذان فصالحهم خسرو شنوم فرجعا عنهم ثم كفر بعد فلما قدم عهده فى العهود من عند عمر ودع حذيفة وودعه حذيفة هذا يريد همذان وهذا يريد الكوفة راجعا واستخلف على الماهين عمرو بن بلال بن الحارث وكان كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن أن سر حتى تأتى همذان وابعث على مقدمتك سويد ابن مقرن وعلى مجنبتيك ربعى بن عامر ومهلهل بن زيد هذا طائى وذاك تميمى فخرج نعيم بن مقرن فى تعبيته حتى نزل ثنية العسل وإنما سميت ثنية العسل بالعسل الذى أصابوا فيها غب رقعة نهاوند حيث اتبعوا الفالة فانتهى الفيرزان إليها وهى غاصة بحوامل تحمل العسل وغير ذلك فحبست الفيرزان حتى نزل فتوقل فى الجبل وعار فرسه فأدرك فأصيب ولما نزلوا كنكور سرقت دواب من دواب المسلمين فسمى قصر اللصوص ثم انحدر نعيم من الثنية حتى نزل على مدينة همذان وقد تحصنوا منهم فحصرهم فيها وأخذ ما بين ذلك وبين جرميذان واستولوا على بلاد همذان كلها فلما رأى ذلك أهل المدينة سألوا الصلح على أن يجريهم ومن استجاب مجرى واحدا ففعل وقبل منهم الجزاء على المنعة وفرق دستبى بين نفر من أهل الكوفة بين عصمة بن عبد الله الضبى ومهلهل بن زيد الطائى وسماك بن عبيد العبسى وسماك بن مخرمة الأسدى وسماك بن خرشة الأنصارى فكان هؤلاء أول من ولى مسالح دستبى وقاتل الديلم (وأما الواقدى) فانه قال كان فتح همذان والرى فى سنة ثلاث وعشرين قال ويقال افتتح الرى قرظة بن كعب * وحدثنى ربيعة ابن عثمان أن فتح همذان كان فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر ابن الخطاب وكان أميرها المغيرة بن شعبة قال ويقال كان فتح الرى قبل وفاة عمر بسنتين ويقال قتل عمر وجيوشه عليها (رجع الحديث إلى حديث سيف) قال فبينما نعيم فى مدينة همذان فى توطئتها فى اثنى عشر ألفا من الجند تكاتب الديلم وأهل الرى وأهل آذربيجان ثم خرج موتا فى الديلم حتى ينزل بواج روذ وأقبل

الزينبي أبو الفرخان فى أهل الرى حتى انضم إليه وأقبل اسفندياذ أخو رستم فى أهل آذربيجان حتى انضم إليه وتحصن أمراء مسالح دستبي وبعثوا إلى نعيم بالخبر فاستخلف يزيد بن قيس وخرج إليهم فى الناس حتى نزل عليهم بواج الروذ فاقتتلوا بها قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تكن دونها وقتل من القوم مقتلة عظيمة لايحصون ولا تقصر ملحمتهم من الملاحم الكبار وقد كانوا كتبوا إلى عمر باجتماعهم ففزع منها واهتم بحربها وتوقع مايأتيه عنهم فلم يفجأه إلا البريد بالبشارة فقال أبشير فقال بل عروة فلما ثنى عليه أبشير فطن فقال بشير فقال عمر رسول نعيم قال رسول نعيم قال الخبر قال البشرى بالفتح والنصر وأخبره الخبر فحمد الله وأمر بالكتاب فقرئ على الناس فحمدوا الله ثم قدم سماك بن مخرمة وسماك بن عبيد وسماك بن خرشة فى وفود من وفود أهل الكوفة بالأخماس على عمر فنسبهم فانتسب له سماك وسماك وسماك فقال بارك الله فيكم اللهم أسمك بهم الإسلام وأيدهم بالإسلام فكانت دستبي من همذان ومسالحها إلى همذان حتى رجع الرسول إلى نعيم بن مقرن بجواب عمر بن الخطاب أما بعد فاستخلف على همذان وأمد بكير بن عبد الله بسماك بن خرشة وسر حتى تقدم الرى فتلق جمعهم ثم أقم بها فإنها أوسط تلك البلاد واجمعها لما تريد فأقر نعيم يزيد بن قيس الهمدانى على همذان وسار من واج الروذ بالناس إلى الرى وقال نعيم فى واج الروذ

لمَّا أتانى أن موتا ورَهْطه ... بنى باسِلٍ جَرُّوا جُنودَ الأعاجِمِ
نَهَضْتُ إليهم بالجنود مُسامِيًا ... لِأَمْنَعَ منهم ذِمَّتى بالقَواصِمِ
فجئنا إليهم بالحديدِ كأننا ... جِبالٌ تراءَى من فُروعِ القَلاسِمِ
فلما لَقِيناهُمْ بها مُسْتَفِيضَةً ... وقد جعلوا يَسْمونَ فِعْلَ المُساهِمِ
صَدَمْناهُمُ فى واجِ رُوذَ بجَمْعِنا ... غداةَ رَمَيْناهُمْ بإحدى العظائمِ
فما صبروا فى حَوْمَةِ الموتِ ساعَةً ... لحدِّ الرِّماحِ والسيوفِ الصَّوارِمِ
كأنهُمُ عند انبِثاثِ جُموعِهِمْ ... جِدارٌ تَشَظَّى لَبْنُهُ لِلهَوادِمِ

أَصَبْنا بها موتاً ومَنْ لفَّ جَمْعَه وفيها نهابٌ قَسْمُهُ غيرُ عاتمِ
تَبِعْناهُمُ حتى أوَوْا فى شِعابِهِمْ نُقَتِّلُهُمْ قَتْلَ الكلابِ الجَواحِمِ
كأنهُمُ فى واجِ رُوذَ وَجَوِّهِ ضَئينٌ أصابَتْها فُرُوجُ المخارِمِ

وسماك بن مخرمة هو صاحب مسجد سماك وأعاد فيهم نعيم كتاب صلح همذان وخلف عليها يزيد بن قيس الهمدانى وسار بالجنود حتى لحق بالرى وكان أول نسل الديلم من العرب وقاولهم فيه نعيم

فتح الرى

قالوا وخرج نعيم بن مقرن من واج روذ فى الناس وقد أخربها إلى دستبى ففصل منها إلى الرى وقد جمعوا له وخرج الزينبى أبو الفرخان فلقيه الزينبى بمكان يقال له قها مسالما ومخالفاً لملك الرى وقد رأى من المسلمين ما رأى مع حسد سياوخش وأهل بيته فأقبل مع نعيم والملك يومئذ بالرى سياوخش بن مهران بن بهرام شوبين فاستمد أهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان وقال قد علمتم أن هؤلاء قد أحلوا بالرى إنه لا مقام لكم فاحتشدوا له فناهده سياوخش فالتقوا فى سفح جبل الرى إلى جنب مدينتها فاقتتلوا به وقد كان الزينبى قال لنعيم إن القوم كثير وأنت فى قلة فابعث معى خيلا أدخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم الزينبى المدينة ولا يشعر القوم وبيتهم نعيم بياتاً فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم ثم إنهم انهزموا فقتلوا مقتلة عدوا بالقصب فيها وأفاء الله على المسلمين بالرى نحوا من فىء المدائن وصالحه الزينبى على أهل الرى ومرزبه عليهم نعيم فلم يزل شرف الرى فى أهل الزينبى الأكبر ومنهم شهرام وفرخام وسقط آل بهرام وأخرب نعيم مدينتهم وهى التى يقال لها العتيقة يعنى مدينة الرى وأمر الزينبى فبنى مدينة الرى الحدثى وكتب نعيم إلى عمر بالذى فتح الله عليه مع المضارب العجلى ووفد بالأخماس مع عتيبة بن النهاس وأبى مفزر فى وجوه من وجوه أهل الكوفة وأمد

بكير بن عبد الله بسماك بن خرشة الأنصاري بعد ما فتح الري فسار سماك إلى آذربيجان مدداً لبكير وكتب نعيم لأهل الري كتاباً بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى نعيم بن مقرن الزينبي بن قوله أعطاه الأمان على أهل الري ومن كان معهم من غيرهم على الجزاء طاقة كل حالم فى كل سنة وعلى أن ينصحوا ويدلوا ولا يغلوا ولا يسلوا وعلى أن يقروا المسلمين يوماً وليلة وعلى أن يفخموا المسلم فمن سب مسلما أو استخف به نهك عقوبة ومن ضربه قتل ومن بدل منهم فلم يسلم برمته فقد غير جماعتكم وكتب وشهد وراسله المصمغان فى الصلح على شيء يفتدى به منهم من غير أن يسأله النصر والمنعة فقبل منه وكتب بينه وبينه كتاباً على غير نصر ولا معونة على أحد فجرى ذلك لهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من نعيم بن مقرن لمردانشاه مصمغان دنباوند وأهل دنباوند والخوار واللارز والشرانك آمن ومن دخل معك على الكف أن تكف أهل أرضك وتتقى من ولى الفرج بمائتي ألف درهم وزن سبعة فى كل سنة لا يغار عليك ولا يدخل عليك إلا بإذن ما أقمت على ذلك حتى تغير ومن غير فلا عهد له ولا لمن لم يسلمه وكتب وشهد

فتح قومس

قالوا ولما كتب نعيم بفتح الري مع المضارب العجلي ووفد بالأخماس كتب إليه عمر أن قدم سويد بن مقرن إلى قومس وابعث على مقدمته سماك بن مخرمة وعلى مجنبتيه عتيبة بن النهاس وهند بن عمرو الجملي ففصل سويد بن مقرن فى تعبيته من الري نحو قومس فلم يقم له أحد فأخذها سلماً وعسكر بها فلما شربوا من نهر لهم يقال له ملاذ فشا فيهم القصر فقال لهم سويد غيروا ماءكم حتى تعودوا كأهله ففعلوا واستمرؤه وكاتبه الذين لجؤا إلى طبرستان منهم والذين أخذوا المفاوز فدعاهم إلى الصلح والجزاء وكتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى سويد بن مقرن أهل قومس ومن حشوا من الأمان على أنفسهم ومللهم وأموالهم على أن يؤدوا الجزية عن يد عن كل حالم بقدر طاقته وعلى أن ينصحوا ولا يغشوا وعلى أن يدلوا وعليهم نزل من نزل بهم من المسلمين يوماً وليلة من أوسط طعامهم وأن

بدلوا واستخفوا بعهدهم فالذمة منهم بريئة وكتب وشهد

فتح جرجان

قالوا وعسكر سويد بن مقرن ببسطام وكاتب ملك جرجان رزبان صول ثم سار إليها وكاتبه رزبان صول وبادره بالصلح على أن يؤدى الجزاء ويكفيه حرب جرجان فإن غلب أعانه فقبل ذلك منه وتلقاه رزبان صول قبل دخول سويد جرجان فدخل معه وعسكر بها حتى جبى إليه الخراج وسمى فروجها فسدها بترك دهستان فرفع الجزاء عمن أقام يمنعها وأخذ الخراج من سائر أهلها وكتب بينهم وبينه كتاباً بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول بن رزبان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان إن لكم الذمة وعلينا المنعة على أن عليكم من الجزاء فى كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم ومن استعنا به منكم فله جزاء فى معونته عوضاً من جزائه ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وملالهم وشرائعهم ولا يغير شيء من ذلك هو إليهم ماأدوا وأرشدوا ابن السبيل ونصحوا وقروا المسلمين ولم يبد منهم سل ولا غل ومن أقام فيهم فله مثل مالهم ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه وعلى أن من سب مسلماً بلغ جهده ومن ضربه حل دمه شهد سواد ابن قطبة وهند بن عمرو وسماك بن مخرمة وعتيبة بن النهاس وكتب فى سنة ثمان عشرة ٭ وأما المدائنى فإنه قال فيما حدثنا أبو زيد عنه فتحت جرجان فى زمن عثمان سنة ثلاثين

فتح طبرستان

قالوا وأرسل الأصبهبذ سويداً فى الصلح على أن يتوادعا ويجعل له شيئاً على غير نصر ولا معونة على أحد فقبل ذلك منه وجرى ذلك لهم وكتب له كتاباً بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان اصبهبذ خراسان على طبرستان وجيل جيلان من أهل العدو إنك آمن بأمان الله عز وجل على أن تكف لصوتك وأهل حواشى أرضك ولا تؤوى لنا بغية وتتقى من ولى فرج أرضك بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا أن يغير عليك ولا يتطرق

أرضك ولا يدخل عليك إلا بإذنك سبيلنا عليكم بالإذن آمنة وكذلك سبيلكم ولا تؤوون لنا بغية ولا تسلون لنا إلى عدو ولا تغلون فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم شهد سواد بن قطبة التميمي وهند بن عمرو المرادي وسماك بن مخرمة الأسدي وسماك بن عبيد العبسي وعتيبة بن النهاس البكري وكتب سنة ثمان عشرة.

فتح آذربيجان

قال ولما افتتح نعيم همذان ثانية وسار إلى الري من واج روذ كتب إليه عمر أن يبعث سماك بن خرشة الأنصاري ممدا لبكير بن عبد الله بآذربيجان فأخر ذلك حتى افتتح الري ثم سرحه من الري فسار سماك نحو بكير بآذربيجان وكان سماك ابن خراشة وعتبة بن فرقد من أغنياء العرب وقدما الكوفة بالغنى وقد كان بكير سار حين بعث إليها حتى إذا طلع بجبال جرميذان طلع عليهم إسفندياذ بن الفرخزاذ مهزوما من واج روذ فكان أول قتال لقيه بآذربيجان فاقتتلوا فهزم الله جنده وأخذ بكير اسفندياذ أسيراً فقال له اسفندياذ الصلح أحب إليك أم الحرب قال بل الصلح قال فأمسكني عندك فإن أهل آذربيجان إن لم أصالح عليهم أو أجئ لم يقيموا لك وجلوا إلى الجبال التي حولها من القبج والروم ومن كان على التحصن تحصن إلى يوم ما فأمسكه عنده فأقام وهو في يده وصارت البلاد إليه إلا ما كان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة ممدا واسفندياذ في إساره وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وقال بكير لسماك مقدمه عليه ومازحه ما الذي أصنع بك وبعتبة بأغنيين لئن أطعت ما في نفسي لأمضين قدما ولأخلفنكما فإن شئت أقمت معي وإن شئت أتيت عتبة فقد أذنت لك فإني لا أراني تارككما وطالبا وجها هو أكره من هذا فاستعفى عمر فكتب إليه بالإذن على أن يتقدم نحو الباب وأمره أن يستخلف على عمله فاستخلف عتبة على الذي افتتح منها ومضى قدما ودفع اسفندياذ إلى عتبة فضمه عتبة إليه وأمر عتبة سماك بن خرشة وليس بأبي دجانة على عمل بكير الذي كان افتتح وجمع عمر آذربيجان كلها لعتبة بن فرقد قالوا وقد كان بهرام بن الفرخزاذ أخذ بطريق عتبة بن فرقد وأقام له في عسكره

حتى قدم عليه عتبة فاقتتلوا فهزمه عتبة وهرب بهرام فلما بلغ الخبر بهزيمة بهرام ومهربه اسفندياذ وهو فى الإسار عند بكير قال الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه وأجاب إلى ذلك كلهم وعادت آذربيجان سلما وكتب بذلك بكير وعتبة إلى عمر وبعثوا بما خمسوا مما أفاء الله عليهم ووفدوا الوفود بذلك وكان بكير قد سبق عتبة بفتح ماولى وتم الصلح بعد ماهزم عتبة بهرام وكتب عتبة بينه وبين أهل آذربيجان كتابا حيث جمع له عمل بكير إلى عمله بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماأعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل آذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ليس على صبى ولا امرأة ولا زمن ليس فى يديه شىء من الدنيا ولا متعبد متخل ليس فى يديه من الدنيا شىء لهم ذلك ولمن سكن معهم وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوما وليلة ودلالته ومن حشر منهم فى سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل مالمن أقام من ذلك ومن خرج فله الامان حتى يلجأ الى حرزه وكتب جندب وشهد بكير بن عبد الله الليثى وسماك بن خرشة الانصارى وكتب فى سنة ثمان عشرة ﴿قالوا وفيها﴾ قدم عتبة على عمر بالخبيص الذى كان أهداه له وذلك أن عمر كان يأخذ عماله بموافاة الموسم فى كل سنة يحجر عليهم بذلك الظلم ويحجزهم به عنه ﴿وفى﴾ هذه السنة كان

فتح الباب

فى قول سيف وروايته قال وقالوا يعنى الذين ذكرت أسماءهم قبل رد عمر أبو موسى إلى البصرة ورد سراقة بن عمرو وكان يدعى ذا النور إلى الباب وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة وكان أيضا يدعى ذا النور وجعل على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد الغفارى وسمى للأخرى بكير بن عبد الله الليثى وكان بإزاء الباب قبل قدوم سراقة بن عمرو عليه وكتب إليه أن يلحق به وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة فقدم سراقة عبد الرحمن بن ربيعة وخرج فى الأثر حتى

إذا خرج من آذربيجان نحو الباب قدم على بكير فى أدانى الباب فاستدف بكير ودخل بلاد الباب على ماعباه عمر وأمده عمر بحبيب بن مسلمة صرفه إليه من الجزيرة وبعث زياد بن حنظلة مكانه على الجزيرة ولما أطل عبد الرحمن بن ربيعة على الملك بالباب والملك بها يومئذ شهربراز رجل من أهل فارس وكان على ذلك الفرج وكان أصله من أهل شهربراز الملك الذى أفسد بنى إسرائيل وأعرى الشأم منهم فكاتبه شهربراز واستأمنه على أن يأتيه ففعل فأتاه فقال إنى بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة لا ينسبون إلى أحساب وليس ينبغى لذى الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوى الأحساب والأصول وذو الحسب قريب ذى الحسب حيث كان ولست من القبج فى شىء ولا من الأرمن وإنكم قد غلبتم على بلادى وأمتى فأنا اليوم منكم ويدى مع أيديكم وصغوى معكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا إليكم النصر لكم والقيام بما تحبون فلا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم فقال عبد الرحمن فوقى رجل قد أظلك فسر إليه فجوزه فسار إلى سراقة فلقيه بمثل ذلك فقال سراقة قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا مادام عليه ولا بد من الجزاء ممن يقيم ولا ينهض فقبل ذلك وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين وفيمن لم يكن عنده الجزاء إلا أن يستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة وكتب سراقة إلى عمر بن الخطاب بذلك فأجازه وحسنه وليس لتلك البلاد التى فى ساحة تلك الجبال نبك لم يقم الأرمن بها إلا على أوفاز وإنما هم سكان ممن حولها ومن الطراء استأصلت الغارات نبكها من أهل القرار وأرز أهل الجبال منهم إلى جبالهم وجلوا عن قرار أرضهم فكان لا يقيم بها إلا الجنود ومن أعانهم أو تجر إليهم واكتتبوا من سراقة بن عمرو كتابا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهربراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضاروا ولا ينتقصوا على أهل أرمينية والأبواب الطراء منهم والتناء ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالى صلاحا

على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحشر والحشر عوض من جزائهم ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل آذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوماً كاملا فإن حشروا وضع ذلك عنهم وإن تركوا أخذوا به شهد عبد الرحمن ابن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله وكتب مرضى بن مقرن وشهد ووجه سراقة بعد ذلك بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان ابن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية فوجه بكير إلى موقان ووجه حبيباً إلى تفليس وحذيفة بن أسيد إلى من بجبال اللان وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر وكتب سراقة بالفتح وبالذى وجه فيه هؤلاء النفر إلى عمر بن الخطاب فأتى عمر أمر لم يكن يرى أنه يستتم له على ما خرج عليه فى سريع بغير مؤونة وكان فرجاً عظيما به جند عظيم إنما ينتظر أهل فارس صنيعهم ثم يضعون الحرب أو يبعثونها فلما استوثقوا واستحلوا عدل الإسلام مات سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة وقد مضى أولئك القواد الذين بعثهم سراقة فلم يفتح أحد منهم ما وجه له إلا بكير فإنه فض موقان ثم تراجعوا على الجزية فكتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى بكير بن عبد الله أهل موقان من جبال القبج الأمان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء دينار على كل حالم أو قيمته والنصح ودلالة المسلم ونزله يومه وليلته فلهم الأمان ما أقروا ونصحوا وعلينا الوفاء والله المستعان. فإن تركوا ذلك واستبان منهم غش فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برمتهم وإلا فهم متمالئون شهد الشماخ بن ضرار والرسارس بن جنادب وحملة بن جوية وكتب سنة إحدى وعشرين قالوا ولما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقر عبد الرحمن على فرج الباب وأمره بغزو الترك فخرج عبد الرحمن بالناس حتى قطع الباب فقال له شهربراز ما تريد أن تصنع قال أريد بلنجر قال إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب قال لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم فى ديارهم وتالله إن معنا لأقواما لو يأذن لنا أميرنا فى الإمعان لبلغت بهم الردم قال وما هم قال أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا فى هذا الأمر بنية كانوا

أصحاب حياء وتكرم فى الجاهلية فازداد حياؤهم وتكرمهم فلا يزال هذا الأمر دائما لهم ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم بمن غيرهم فغزا بلنجر غزاة فى زمن عمر لم تئم فيها امرأة ولم ييتم فيها صبى وبلغ خيله فى غزاتها البيضاء على رأس مائتى فرسخ من بلنجر ثم غزا فسلم ثم غزا غزوات فى زمان عثمان وأصيب عبد الرحمن حين تبدل أهل الكوفة فى إمارة عثمان لاستعماله من كان ارتد استصلاحا لهم فلم يصلحهم ذلك وزادهم فساداً أن سادهم من طلب الدنيا وعضلوا بعثمان حتى جعل يتمثل

وكُنتُ وعَمْرًا كالمُسَمِّنِ كَلْبَهُ فَخَدَّشَــهُ أنيابُهُ وأظافِرُهْ

(كتب إلى السرى) من شعيب عن سيف عن الغصن بن القاسم عن رجل عن سلمان بن ربيعة قال لما دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة حال الله بين الترك والخروج عليه وقالوا ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت فتحصنوا منه وهربوا فرجع بالغنم والظفر وذلك فى إمارة عمر ثم إنه غزاهم غزوات فى زمن عثمان ظفر كما كان يظفر حتى إذا تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد فغزاهم بعد ذلك تذامرت الترك وقال بعضهم لبعض إنهم لا يموتون قال انظروا وفعلوا فاختفوا لهم فى الغياض فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه أصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا فاشتد قتالهم ونادى مناد من الجو صبراً آل عبد الرحمن وموعدكم الجنة فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف الناس وأخذ الراية سلمان بن ربيعة فقاتل بها ونادى المنادى من الجو صبراً آل سلمان بن ربيعة فقال سلمان أو ترى جزعا ثم خرج بالناس وخرج سلمان وأبو هريرة الدوسى على جيلان فقطعوها إلى جرجان واجترأ الترك بعدها ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبد الرحمن فهم يستسقون به حتى الآن وحدث عمرو ابن معديكرب عن مطر بن ثلج التميمى قال دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب وشهريراز عنده فأقبل رجل عليه شحوبة حتى دخل على عبد الرحمن فجلس إلى شهربراز وعلى مطر قباء برود يمنية أرضه حمراء ووشيه أسود أو وشيه

أحمر وأرضه سوداء فتساءلا ثم ان شهربراز قال أيها الأمير أتدرى من أين جاءهذا الرجل هذا رجل بعثته منذ سنين نحو السد لينظر ماحاله ومن دونه وزودته مالا عظيما وكتبت له إلى من يليني وأهديت له وسألته أن يكتب له إلى من وراءه وزودته لكل ملك هدية ففعل ذلك بكل ملك بينه وبينه حتى انتهى إليه فانتهى إلى الملك الذى السد فى ظهر أرضه فكتب له إلى عامله على ذلك البلد فأتاه فبعث معه بازياره ومعه عقابه فأعطاه حريرة قال فتشكر لى البازيار فلما انتهينا فإذا جبلان بينهما سد مسدود حتى ارتفع على الجبلين بعد ما استوى بهما وإذا دون السد خندق أشد سودا من الليل لبعده فنظرت إلى ذلك كله وتفرست فيه ثم ذهبت لأنصرف فقال لى البازيار على رسلك أكافك إنه لا يلى ملك بعد ملك الا تقرب إلى الله بأفضل ماعنده من الدنيا فيرمى به فى هذا اللهب فشرح بضعة لحم معه فالقاها فى ذلك الهواء وانقضت عليها العقاب وقال ان أدركتها قبل أن تقع فلا شىء وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شىء فخرجت علينا العقاب باللحم فى مخالبها وإذا فيه ياقوتة فاعطانيها وهاهى هذه فتناولها شهربراز حمراء فناولها عبد الرحمن فنظر اليها ثم ردها شهربراز وقال شهربراز لهذه خير من هذا البلد يعنى الباب وايم الله لأنتم أحب إلى ملكة من آل كسرى ولو كنت فى سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها منى وايم الله لا يقوم لكم شىء ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر فاقبل عبد الرحمن على الرسول وقال ماحال هذا الردم وماشبهه فقال هذا الثوب الذى على هذا الرجل قال فنظر إلى ثوبى فقال مطر بن ثلج لعبد الرحمن ابن ربيعة صدق والله الرجل لقد نفذ ورأى فقال أجل وصف صفة الحديد والصفر وقال آتونى زبر الحديد إلى آخر الآية وقال عبد الرحمن لشهربراز كم كانت هديتك قال قيمة مائة ألف فى بلادى هذه وثلاثة آلاف ألف أو أكثر فى تلك البلدان ✲ وزعم الواقدى أن معاوية غزا الصائفة فى هذه السنة ودخل بلاد الروم فى عشرة آلاف من المسلمين ✲ وقال بعضهم فى هذه السنة كانت وفاة خالد بن الوليد (وفيها) ولد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان (وحج) بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد وعلى اليمن يعلى بن أمية وعلى سائر أمصار

المسلمين الذين كانوا عماله فى السنة التى قبلها وقد ذكرناهم قبل (وفى هذه السنة) عدل عمر فتوح أهل الكوفة والبصرة بينهم

ذكر الخبر بذلك

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا أقام عمار بن ياسر عاملا على الكوفة سنة فى إمارة عمر وبعض أخرى وكتب عمر بن سراقة وهو يومئذ على البصرة إلى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة وعجز خراجهم عنهم ويسأله أن يزيدهم أحد الماهين أو ماسبذان وبلغ ذلك أهل الكوفة فقالوا لعمار اكتب لنا إلى عمر ان رامهرمز وايذج لنا دونهم لم يعينونا عليهما بشىء ولم يلحقوا بنا حتى افتتحناهما فقال عمار مالى ولما هنا فقال له عطارد فمن علام تدع فيأنا أيها العبد الأجدع فقال لقد سبيت أحب أذنى إلى ولم يكتب فى ذلك فأبغضوه ولما أبى أهل الكوفة إلا الخصومة فيهما لأهل البصرة شهد لهم أقوام على أبى موسى أنه قد كان آمن أهل رامهرمز وايذج وإن أهل الكوفة والنعمان راسلوهم وهم فى أمان فأجاز لهم عمر ذلك وأجراها لأهل البصرة بشهادة الشهود وادعى أهل البصرة فى إصبهان قريات افتتحها أبو موسى دون جى أيام أمدهم بهم عمر إلى عبدالله بن عبدالله بن عتبان فقال أهل الكوفة أتيتمونا مددا وقد افتتحنا البلاد فآسيناكم فى المغانم والذمة ذمتنا والأرض أرضنا فقال عمر صدقوا ثم إن أهل الأيام وأهل القادسية من أهل البصرة أخذوا فى أمر آخر حتى قالوا فليعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤهم فيه من سوادهم وحواشيه فقال لهم عمر أترضون بماه وقال لأهل الكوفة أترضون أن نعطيهم من ذلك أحد الماهين فقالوا ما رأيت أنه ينبغى فاعمل به فأعطاهم ماه دينار بنصيبهم لمن كان شهد الأيام والقادسية منهم إلى سواد البصرة ومهرجانقذق وكان ذلك لمن شهد الأيام والقادسية من أهل البصرة ولما ولى معاوية بن أبى سفيان وكان معاوية هو الذى جند قنسرين من رافضة العراقين أيام على وإنما كانت قنسرين رستاقا من رساتيق حمص حتى مصرها معاوية وجندها عن ترك الكوفة والبصرة فى ذلك الزمان وأخذ لهم معاوية بنصيبهم من فتوح العراق

آذربيجان والموصل والباب فضمها فيما ضم وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة رميتا بكل من ترك هجرته من أهل البلدين وكانت الباب وآذربيجان والجزيرة والموصل من فتوح أهل الكوفة فنقل ذلك إلى من انتقل منهم إلى الشأم أزمان علىّ وإلى من رميت به الجزيرة والموصل ممن كان ترك هجرته أيام علىّ وكفر أهل أرمينية زمان معاوية وقد أمر حبيب بن مسلمة على الباب وحبيب يومئذ بجرزان وكاتب أهل تفليس وتلك الجبال ثم ناجزهم حتى استجابوا واعتقدوا من حبيب وكتب بينه وبينهم كتابا بعد ما كاتبهم : بسم الله الرحمن الرحيم من حبيب بن مسلمة إلى أهل تفليس من جرزان أرض الهرمز سلم أنتم فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو فإنه قد قدم علينا رسولكم تفلى فبلغ عنكم وأدى الذى بعثتم وذكر تفلى عنكم أنا لم نكن أمة فيما تحسبون وكذلك كنا حتى هدانا الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم وأعزنا بالإسلام بعد قلة وذلة وجاهلية وذكر تفلى أنكم أحببتم سلمنا فما كرهت والذين آمنوا معى وقد بعثت إليكم عبد الرحمن بن جزء السلمى وهو من أعلمنا من أهل العلم بالله وأهل القرآن وبعثت معه بكتابى بأمانكم فإن رضيتم دفعه إليكم وإن كرهتم آذنكم بحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تفليس من جرزان أرض الهرمز بالأمان على أنفسكم وأموالكم وصوامعكم وبيعكم وصلواتكم على الاقرار بصغار الجزية على كل أهل بيت دينار واف ولنا نصحكم ونصركم على عدو الله وعدونا وقرى المجتاز ليلة من حلال طعام أهل الكتاب وحلال شرابهم وهداية الطريق فى غير ما يضر فيه بأحد منكم فإن أسلمتم وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فاخواننا فى الدين وموالينا ومن تولى عن الله ورسله وكتبه وحزبه فقد آذناكم بحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين شهد عبد الرحمن بن خالد والحجاج وعياض وكتب رباح وأشهد الله وملائكته والذين آمنوا وكفى بالله شهيدا (وفى هذه السنة) عزل عمر ابن الخطاب عمارا عن الكوفة واستعمل أبا موسى فى قول بعضهم وقد ذكرت ما قال الواقدى فى ذلك قبل

﴿ذكر السبب فى ذلك﴾

قد تقدم ذكرى بعض سبب عزله ونذكر بقيته * ذكر السرى فيما كتب به إلىّ عن شعيب عن سيف عمن تقدم ذكرى من شيوخه قال قالوا وكتب أهل الكوفة عطارد ذلك وأناس معه إلى عمر فى عمار وقالوا إنه ليس بأمير ولا يحتمل ماهو فيه ونزابه أهل الكوفة فكتب عمر إلى عمار أن أقبل فخرج بوفد من أهل الكوفة ووفد رجالا ممن يرى أنهم معه فكانوا أشد عليه ممن تخلف فجزع فقيل له ياأبا اليقظان ماهذا الجزع فقال والله ماأحمد نفسى عليه ولقد ابتليت به وكان سعد ابن مسعود الثقفى عم المختار وجرير بن عبد الله معه فسعيا به وأخبرا عمر بأشياء يكرهها فعزله عمر ولم يوله ﴿كتب إلىّ السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن الوليد ابن جميع عن أبى الطفيل قال قيل لعمار أساءك العزل فقال والله ماسرنى حين استعملت ولقد ساءنى حين عزلت ﴿كتب إلىّ السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن إسماعيل ابن أبى خالد ومجالد عن الشعبى قال قال عمر لأهل الكوفة أى منزليكم أعجب اليكم يعنى الكوفة أو المدائن وقال إنى لأسألكم وإنى لأعرف فضل أحدهما على الآخر فى وجوهكم فقال جرير أما منزلنا هذا الأدنى فإنه أدنى محلة من السواد من البر وأما الآخر فوعك البحر وغمه وبعوضه فقال عمار كذبت فقال عمر لعمار بل أنت أكذب منه وقال ماتعرفون من أميركم عمار فقال جرير هو والله غير كاف ولا مجز ولا عالم بالسياسة ﴿كتب إلىّ السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن زكرياء ابن سياه عن هشام بن عبد الرحمن الثقفى أن سعد بن مسعود قال والله ماتدرى على مااستعملت فقال عمر على مااستعملتك ياعمار قال على الحيرة وأرضها فقال قد سمعنا بالحيرة تجارا تختلف اليها قال وعلى أى شىء قال على بابل وأرضها قال قد سمعت بذكرها فى القرآن قال وعلى أى شىء قال على المدائن وما حولها قال أمدائن كسرى قال نعم قال وعلى أى شىء قال على مهرجان قذق وأرضها قالوا قد أخبرناك أنه لا يدرى على مابعثته فعزله عنهم ثم دعاه بعد ذلك فقال أساءك حين عزلتك فقال والله مافرحت به حين بعثتنى ولقد ساءنى حين عزلتنى فقال

لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكنى تأولت ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن خليد بن ذفرة النمرى عن أبيه بمثله وزيادة فقال أو تحمد نفسك بمعرفة من تعالجه منذ قدمت وقال والله يا عمار لا ينتهى بك حدك حتى يلقيك فى هنة وتالله لئن أدركك عمر لترقن ولئن رققت لتبتلين فسل الله الموت ثم أقبل على أهل الكوفة فقال من تريدون يا أهل الكوفة فقالوا أبا موسى فأمره عليهم بعد عمار فأقام عليهم سنة فباع غلامه العلف وسمعه الوليد بن عبد شمس يقول ما صحبت قوما قط إلا آثرتهم ووالله ما منعنى أن أكذب شهود البصرة إلا صحبتهم ولئن صحبتكم لأمنحنكم خيرا فقال الوليد ماذهب بأرضنا غيرك ولا جرم لا تعمل علينا فخرج وخرج معه نفر فقالوا لا حاجة لنا فى أبى موسى قال ولم قالوا غلام له يتجر فى حشرنا فعزله عنهم وصرفه إلى البصرة وصرف عمر بن سراقة إلى الجزيرة وقال لأصحاب أبى موسى الذين شخصوا فى عزله من أهل الكوفة أقوىّ مشدد أحب إليكم أم ضعيف مؤمن فلم يجد عندهم شيأ فتنحى فخلا فى ناحية المسجد فنام فأتاه المغيرة بن شعبة فكلأه حتى استيقظ فقال مافعلت هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم فهل نابك من نائب قال وأى نائب أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير وقال فى ذلك ماشاء الله واختطت الكوفة حين اختطت على مائة ألف مقاتل وأتاه أصحابه فقالوا يا أمير المؤمنين ماشأنك قال شأنى أهل الكوفة قد عضلوا بى وأعاد عليهم عمر المشورة التى استشار فيها فأجابه المغيرة فقال أما الضعيف المسلم فضعفه عليك وعلى المسلمين وفضله له وأما القوى المشدد فقوته لك وللمسلمين وشداده عليه وله فبعثه عليهم (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن عبد الله عن سعيد بن عمرو أن عمر قال قبل أن استعمل المغيرة ما تقولون فى تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوى مشدد فقال المغيرة أما الضعيف المسلم فان إسلامه لنفسه وضعفه عليك وأما القوى المشدد فان شداده لنفسه وقوته للسلمين قال فانا باعثوك يا مغيرة فكان المغيرة عليها حتى

مات عمر رضى الله تعالى عنه وذلك نحو من سنتين وزيادة فلما ودعه المغيرة للذهاب إلى الكوفة قال له يامغيرة ليأمنك الأبرار وليخفك الفجار ثم أراد عمر أن يبعث سعدا على عمل المغيرة فقتل قبل أن يبعثه فأوصى به وكان من سنة عمر وسيرته أن يأخذ عماله بموافاة الحج فى كل سنة للسياسة وليحجرهم بذلك عن الرعية وليكون لشكاة الرعية وقتا وغاية ينهونها فيه إليه ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا الأحنف بن قيس فى قول بعضهم خراسان وحارب يزدجرد وأما فى رواية سيف فان خروج الأحنف إلى خراسان كان فى سنة ثمان عشرة من الهجرة

﴿ذكر مصير يزدجرد إلى خراسان وما كان السبب فى ذلك﴾

اختلف أهل السير فى سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه فأما ماذكره سيف عن أصحابه فى ذلك فانه فيما كتب به إلىّ السرىّ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا كان يزدجرد بن شهريار بن كسرى وهو يومئذ ملك فارس لما انهزم أهل جلولاء خرج يريد الرى وقد جعل له محمل واحد يطبق ظهر بعيره فكان إذا سار نام فيه ولم يعرس بالقوم فانتهوا به إلى مخاضة وهو نائم فى محمله فأنبهوه ليعلم ولئلا يفزع إذا خاض البعير إن هو استيقظ فعنفهم وقال بئسما صنعتم والله لو تركتمونى لعلمت ما مدة هذه الأمة إنى رأيت أنى ومحمدا تناجينا عند الله فقال له أملكهم مائة سنة فقال زدنى فقال عشرا ومائة سنة فقال زدنى فقال عشرين ومائة سنة فقال زدنى فقال لك وأنبهتمونى فلو تركتمونى لعلمت ما مدة هذه الأمة فلما انتهى إلى الرى وعليها آبان جاذويه وثب عليه فأخذه فقال يا آبان جاذويه تغدر بى قال لا ولكن قد تركت ملكك وصار فى يد غيرك فأحببت أن أكتتب على ما كان لى من شىء وما أردت من غير ذلك وأخذ خاتم يزدجرد ووصل الأدم واكتتب الصكاك وسجل السجلات بكل ما أعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم ثم أتى بعد سعدا فرد عليه كل شىء فى كتابه ولما صنع آبان جاذويه بيزدجرد ما صنع خرج يزدجرد من الرى إلى أصبهان وكره آبان جاذويه فارامنه ولم يأمنه ثم عزم على كرمان فأتاها والنار معه فأراد أن يضعها فى كرمان ثم عزم على

خراسان فأتى مرو فنزلها وقد نقل النار فبنى لها بيتا واتخذ بستانا وبنى أزجا فرسخين من مرو إلى البستان فكان على رأس فرسخين من مرو واطمأن فى نفسه وأمن أن يؤتى وكاتب من مرو من بقى من الأعاجم فيما لم يفتتحه المسلمون فدانوا له حتى أثار أهل فارس والهرمزان فنكثوا وثار أهل الجبال والفيرزان فنكثوا وصار ذلك داعية إلى إذن عمر للمسلمين فى الانسياح فانساح أهل البصرة وأهل الكوفة حتى أثخنوا فى الأرض فخرج الأحنف إلى خراسان فأخذ على مهرجان قذق ثم خرج إلى أصبهان وأهل الكوفة محاصرو جى فدخل خراسان من الطبسين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ثم سار نحو مرو الشاهجان وأرسل إلى نيسابور وليس دونها قتال مطرف بن عبد الله بن الشخير والحارث بن حسان إلى سرخس فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد نحو مرو الروذ حتى نزلها ونزل الأحنف مرو الشاهجان وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ إلى خاقان يستمده وكتب إلى ملك الصُّغد يستمده فخرج رسولاه نحو خاقان وملك الصغد وكتب إلى ملك الصين يستعينه وخرج الأحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلى بعد ما لحقت به أمداد أهل الكوفة على أربعة أمراء علقمة بن النضر النضرى وربعى بن عامر التميمى وعبد الله ابن أبى عقيل الثقفى وابن أم غزال الهمدانى وخرج سائرا نحو مرو الروذ حتى إذا بلغ ذلك يزدجرد خرج إلى بلخ ونزل الأحنف مرو الروذ وقدم أهل الكوفة فساروا إلى بلخ وأتبعهم الأحنف فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ فهزم الله يزدجرد وتوجه فى أهل فارس إلى النهر فعبر ولحق الأحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلخ من فتوح أهل الكوفة وتتابع أهل خراسان ممن شذ أو تحصن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان ممن كان فى مملكة كسرى وعاد الأحنف إلى مرو الروذ فنزلها واستخلف على طخارستان ربعى بن عامر وهو الذى يقول فيه النجاشى ونسبه إلى أمه وكانت من أشراف العرب :

أَلا رُبَّ مَن يُدْعَى فَتًى ليس بالفَتَى　　ألا إن رِبْعِيَّ ابْنَ كأْسٍ هو الفَتَى

طويلٌ قُعودُ القومِ في قَعْرِ بيتِهِ إذا شَبِعوا من ثُفْلِ جِفْنَتِهِ سَقى

وكتب الأحنف إلى عمر بفتح خراسان فقال لوددت انى لم أكن بعثت إليها جندا ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار فقال على ولم ياأمير المؤمنين قال لأن أهلها سينقضون منها ثلاث مرات فيحتاجون فى الثالثة فكان أن يكون ذلك بأهلها أحب إلى من أن يكون بالمسلمين (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى عبدالرحمن الفزارى عن أبى الجنوب اليشكرى عن على بن أبى طالب عليه السلام قال لما قدم على عمر فتح خراسان قال لوددت أن بيننا وبينها بحرا من نار فقال على وما يشتد عليك من فتحها فان ذلك لموضع سرور قال أجل ولكنى حتى أتى على آخر الحديث (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عيسى بن المغيرة وعن رجل من بكر بن وائل يدعى الوازع بن زيد بن خليدة قال لما بلغ عمر غلبة الأحنف على المروين وبلخ قال وهو الأحنف وهو سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه وكتب عمر إلى الأحنف أما بعد فلا تجوزن النهر واقتصر على مادونه وقد عرفتم بأى شىء دخلتم على خراسان فداوموا على الذى دخلتم به خراسان يدم لكم النصر وإياكم أن تعبروا فتنفضوا ولما بلغ رسولا يزدجرد خاقان وغوزك لم يستتب لهما إنجاده حتى عبر إليهما النهر مهزوما وقد استتب فأنجده خاقان والملوك ترى على أنفسها إنجاد الملوك فأقبل فى الترك وحشر أهل فرغانة والصغد ثم خرج بهم وخرج يزدجرد راجعا إلى خراسان حتى عبر إلى بلخ وعبر معه خاقان فأرز أهل الكوفة إلى مرو الروذ إلى الأحنف وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف بمرو الروذ وكان الأحنف حين بلغه عبور خاقان والصغد نهر بلخ غازيا له خرج فى عسكره ليلا يتسمع هل يسمع برأى ينتفع به فمر برجلين ينقيان علفا اما تبنا وإما شعيرا وأحدهما يقول لصاحبه لو أن الأمير أسندنا إلى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا وكان الجبل فى ظهورنا من أن نؤتى من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله فرجع واجتزأبها وكان فى ليلة مظلمة فلما أصبح جمع الناس ثم قال إنكم قليل

وإن عدوكم كثير فلا يهولنكم فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ارتحلوا من مكانكم هذا فأسندوا إلى هذا الجبل فاجعلوه فى ظهوركم واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم وقاتلوهم من وجه واحد ففعلوا وقد أعدوا مايصلحهم وهو فى عشرة آلاف من أهل البصرة وأهل الكوفة نحو منهم وأقبلت الترك ومن أجلبت حتى نزلوا بهم فكانوا يغادرونهم ويراوحونهم ويتنحون عنهم بالليل ما شاء الله وطلب الأحنف علم مكانهم بالليل فخرج ليلة بعد ما علم عليهم طليعة لأصحابه حتى كان قريباً من عسكر خاقان فوقف فلما كان فى وجه الصبح خرج فارس من الترك بطوقه وضرب بطبله ثم وقف من العسكر موقفاً يقفه مثله فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز ويقول :

إنّ على كلّ رئيسٍ حقًّا أنْ يَخضبَ الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقّا
إنّ لنا شَــيْخاً بهـا مُلَقّى سَيْفَ أبى حَفْصٍ الذى تَبقى

ثم وقف موقف التركى وأخذ طوقه وخرج آخر من الترك ففعل فعل صاحبه الأول ثم وقف دونه فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز

إنَّ الرَّئيسَ يَرْتَبِى وَيَطْلُعُ وَيَمْنَـعُ الخَلاَءَ إما أَرْبعُوا

ثم وقف موقف التركى الثانى وأخذ طوقه ثم خرج ثالث من الترك ففعل فعل الرجلين ووقف دون الثانى منهما فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز

جَرْىَ الشَّموسِ ناجِزًا بِناجِزْ مُحْتَفِلا فى جَرْيِهِ مُشَــارِزْ

ثم انصرف الأحنف إلى عسكره ولم يعلم بذلك أحد منهم حتى دخله واستعد وكان من شيمة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج الثالث فخرجت الترك ليلتئذ بعد الثالث فأتوا على فرسانهم مقتلين فتشأم خاقان وتطير فقال قد طال مقامنا وقد أصيب

هؤلاء القوم بمكان لم يصب بمثله قط مالنا فى قتال هؤلاء القوم من خير فانصرفوا بنا فكان وجوههم راجعين وارتفع النهار للمسلمين ولا يرون شيئاً وأتاهم الخبر بانصراف خاقان إلى بلخ وقد كان يزدجرد بن شهريار بن كسرى ترك خاقان بمرو الروذ وخرج إلى مرو الشاهجان فتحصن منه حارثة بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها وخاقان ببلخ مقيم له فقال المسلمون للأحنف ماترى فى اتباعهم فقال أقيموا بمكانكم ودعوهم ولما جمع يزدجرد ما كان فى يديه مما وضع بمرو فأعجل عنه وأراد أن يستقل به منها إذ هو أمر عظيم من خزائن أهل فارس وأراد اللحاق بخاقان فقال له أهل فارس أى شىء تريد أن تصنع فقال أريد اللحاق بخاقان فأكون معه أو بالصين فقالوا له مهلا فإن هذا رأى سوء إنك إنما تأتى قوماً فى مملكتهم وتدع أرضك وقومك ولكن ارجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم فإنهم أوفياء وأهل دين وهم يلون بلادنا وإن عدوا يلينا فى بلادنا أحب إلينا مملكة من عدو يلينا فى بلاده ولا دين لهم ولا ندرى ماوفاؤهم فأبى عليهم وابوا عليه فقالوا فدع خزائننا نردها إلى بلادنا ومن يليها ولا تخرجها من بلادنا إلى غيرها فأبى فقالوا فإنا لا ندعك فاعتزلوا وتركوه فى حاشيته فاقتتلوا فهزموه وأخذوا الخزائن واستولوا عليها ونكبوه وكتبوا إلى الأحنف بالخبر فاعترضهم المسلمون والمشركون بمرو يثفنونه فقاتلوه وأصابوه فى آخر القوم وأعجلوه عن الأثقال ومضى موائلا حتى قطع النهر إلى فرغانة والترك فلم يزل مقيما زمان عمر رضى الله عنه كله يكاتبهم ويكاتبونه أو من شاء الله منهم فكفر أهل خراسان زمان عثمان وأقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاقدوه ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ماكانوا فى زمان الأكاسرة فكانوا كأنما هم فى ملكهم إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم فاغتبطوا وغبطوا وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهم الفارس يوم القادسية ولما خلع أهل خراسان زمان عثمان أقبل يزدجرد حتى نزل بمرو فلما اختلف هو ومن معه وأهل خراسان أوى إلى طاحونة فأتوا عليه يأكل من كرد حول

الرحى فقتلوه ثم رموا به فى النهر ولما أصيب يزدجرد بمرو وهو يومئذ مختبئ فى طاحونة يريد أن يطلب اللحاق بكرمان فاحتوى فيئه المسلمون والمشركون وبلغ ذلك الأحنف فسار من فوره ذلك فى الناس إلى بلخ يريد خاقان ويتبع حاشية يزدجرد وأهله فى المسلمين والمشركين من أهل فارس وخاقان والترك ببلخ فلما سمع بما ألقى يزدجرد وبخروج المسلمين مع الأحنف من مروالروذ نحوه ترك بلخ وعبر النهر وأقبل الأحنف حتى نزل بلخ ونزل أهل الكوفة فى كورها الأربع ثم رجع إلى مرو الروذ فنزل بها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد إلى عمر وبعث إليه بالأخماس ووفد إليه الوفود قالوا ولما عبر خاقان النهر وعبرت معه حاشية آل كسرى أو من أخذ نحو بلخ منهم مع يزدجرد لقوا رسول يزدجرد الذى كان بعث إلى ملك الصين وأهدى إليه معه ومعه جواب كتابه من ملك الصين فسألوه عما وراءه فقال لما قدمت عليه بالكتاب والهدايا كافأنا بما ترون وأراهم هديته وأجاب يزدجرد فكتب إليه بهذا الكتاب بعد ما كان قال لى قد عرفت أن حقا على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم فصف لى صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم فإنى أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم فقلت سلنى عما أحببت فقال أيوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم قلت يدعوننا إلى واحدة من ثلاث إما دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم أو الجزية والمنعة أو المنابذة قال فكيف طاعتهم أمراءهم قلت أطوع قوم لمرشدهم قال فما يحلون وما يحرمون فأخبرته فقال أيحرمون ما حلل لهم أو يحلون ما حرم عليهم قلت لا قال فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم ثم قال أخبرنى عن لباسهم فأخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العراب ووصفتها فقال نعمت الحصون هذه ووصفت له الإبل وبروكها وانبعاثها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الأعناق وكتب له إلى يزدجرد أنه لم يمنعنى أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ولكن هؤلاء القوم الذين

وصف لى رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلى لهم سربهم أزالونى مادامواعلى ماوصف فسالمهم وارض منهم بالمساكنة ولا تهجهم مالم يهيجوك. وأقام يزدجرد وآل كسرى بفرغانة معهم عهد من خاقان ولما وقع الرسول بالفتح والوفد بالخبر ومعهم الغنائم بعمر بن الخطاب من قبل الأحنف جمع الناس وخطبهم وأمر بكتاب الفتح فقرئ عليهم فقال فى خطبته إن الله تبارك وتعالى ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وما بعثه به من الهدى ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة فقال «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» فالحمدلله الذى أنجز وعده ونصر جنده ألا إن الله قد أهلك ملك المجوسية وفرق شملهم فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضر بمسلم ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون ألا وإن المصرين من مسالحها اليوم كأنتم والمصرين فيما مضى من البعد وقد وغلوا فى البلاد والله بالغ أمره ومنجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله فقوموا فى أمره على رجل يوف لكم بعهده ويؤتكم وعده ولا تبدلوا ولا تغيروا فيستبدل الله بكم غيركم فإنى لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم. (قال أبو جعفر) ثم إن أدانى أهل خراسان وأقاصيه اعترضوا زمان عثمان بن عفان لسنتين خلتا من إمارته وسنذكر بقية خبر انتقاضهم فى موضعه إن شاءالله مع مقتل يزدجرد (وحج) بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب وكانت عماله على الأمصار فيها عماله الذين كانوا عليها فى سنة ٢١ غير الكوفة والبصرة فإن عامله على الكوفة وعلى الأحداث كان المغيرة بن شعبة وعلى البصرة أبا موسى الأشعرى

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

فكان فيها فتح اصطخر فى قول أبى معشر حدثنى بذلك أحمد بن ثابت الرازى قال حدثنا محدث عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر قال كانت اصطخر الأولى وهمذان سنة ٢٣ وقال الواقدى مثل ذلك وقال سيف كان فتح اصطخر بعد توج الآخرة

ذكر الخبر عن فتح تَوَّج

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا خرج أهل البصرة الذين وجهوا إلى فارس أمراء على فارس ومعهم سارية ابن زنيم ومن بعث معهم إلى ماوراء ذلك وأهل فارس مجتمعون بتوج فلم يصمدوا لجمعهم بجموعهم ولكن قصد كل أمير كورة منهم قصد إمارته وكورته التى أمر بها وبلغ ذلك أهل فارس فافترقوا إلى بلدانهم كما افترق المسلمون ليمنعوها وكانت تلك هزيمتهم وتشتت أمورهم وتفريق جموعهم فتطير المشركون من ذلك وكأنما كانوا ينظرون إلى ما صاروا إليه فقصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خره فيمن معه من المسلمين فالتقوا بتوج وأهل فارس فاقتتلوا ماشاء الله ثم إن الله عز وجل هزم أهل توج للمسلمين وسلط عليهم المسلمين فقتلوهم كل قتلة وبلغوا منهم ما شاؤا وغنمهم ما فى عسكرهم فحووه وهذه توج الآخرة ولم يكن لها بعدها شوكة والأولى التى تنقذ فيها جنود العلاء أيام طاوس الوقعة التى اقتتلوا فيها والوقعتان الأولى والآخرة كلتاهما متساجلتان ثم دعوا إلى الجزية والذمة فراجعوا وأقروا وخمس مجاشع الغنائم وبعث بها ووفد وفداً وقد كانت البشراء والوفود يجازون وتقضى لهم حوائجهم لسنة جرت بذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن سوقة عن عاصم بن كليب عن أبيه قال خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين توج فحاصرناها وقاتلناهم ما شاء الله فلما افتتحناها وحوينا نهبا نهباً كثيراً وقتلنا قتلى عظيمة وكان على قميص قد تخرق فأخذت إبرة وسلكا وجعلت أخيط قميصى بها ثم إنى نظرت إلى رجل فى القتلى عليه قميص فنزعته فأتيت به الماء فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه فلبسته فلما جمعت الرثة قام مجاشع خطيباً فحمد الله وأثنى عليه فقال أيها الناس لا تغلوا فإنه من غل جاء بما غل يوم القيامة ردوا ولو المخيط فلما سمعت ذلك نزعت القميص فألقيته فى الأخماس

فتح اصطخر

قال وقصد عثمان بن أبى العاص لاصطخر فالتقى هو وأهل اصطخر بجور

فاقتتلوا ما شاء الله ثم إن الله عز وجل فتح لهم جور وفتح المسلمون اصطخر فقتلوا ما شاء الله وأصابوا ماشاءوا وفر من فر ثم إن عثمان دعا الناس إلى الجزاء والذمة فراسلوه وراسلهم فأجابه الهربذ وكل من هرب أو تنحى فتراجعوا وباحوا بالجزاء وقد كان عثمان لما هزم القوم جمع إليه ما أفاء الله عليهم فخمسه وبعث بالخمس إلى عمر وقسم أربعة أخماس المغنم فى الناس وعفت الجند عن النهاب وأدوا الأمانة واستدقوا الدنيا فجمعهم عثمان ثم قام فيهم وقال إن هذا الأمر لايزال مقبلا ولا يزال أهله معافين مما يكرهون ما لم يغلوا فإذا غلوا رأوا ماينكرون ولم يسد الكثير مسد القليل اليوم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى سفيان عن الحسن قال قال عثمان بن أبى العاص يوم اصطخر ان الله إذا أراد بقوم خيراً كفهم ووفر أمانتهم فاحفظوها فإن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة فإذا فقدتموها جدد لكم فى كل يوم فقدان شىء من أموركم ثم إن شهرك خلع فى آخر إمارة عمر وأول إمارة عثمان ونشط أهل فارس ودعاهم إلى النقض فوجه إليه عثمان بن أبى العاص ثانية وبعث معه جنود أمد بهم عليهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد البجلى فالتقوا بفارس فقال شهرك لابنه وهو فى المعركة وبينهم وبين قرية لهم تدعى شهرك ثلاثة فراسخ وكان بينهم وبين قراهم اثنا عشر فرسخاً يا بنى أين يكون غداؤنا ههنا أو بشهرك فقال يا أبت إن تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بشهرك ولا يكونن إلا فى المنزل ولكن والله ما أراهم يتركوننا فما فرغا من كلامهما حتى أنشب المسلمون القتال فاقتتلوا قتالا شديداً قتل فيه شهرك وابنه وقتل الله جل وعز منهم مقتلة عظيمة وولى قتل شهرك الحكم بن العاص بن دهمان أخو عثمان * وأما أبو معشر فإنه قال كانت فارس الأولى واصطخر الآخرة فى سنة ٢٨ قال وكانت فارس الآخرة وجور سنة ٢٩ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت الرازى قال حدثنى مع من سمع إسحاق بن عيسى يذكر ذلك عن أبى معشر وحدثنى عبد الله ابن أحمد بن شبويه المروزى قال حدثنى أبى قال حدثنا سليمان بن صالح قال حدثنى عبد الله قال أخبرنا عبيد الله بن سليمان قال كان عثمان بن أبى العاص أرسل إلى

البحرين فأرسل أخاه الحكم بن أبى العاص فى ألفين إلى توج وكان كسرى قد فر عن المدائن ولحق بجور من فارس قال فحدثنى زياد مولى الحكم بن أبى العاص عن الحكم بن أبى العاص قال قصد إلى شهرك قال عبيد وكان كسرى أرسله قال الحكم فصعد إلى فى الجنود فهبطوا من عقبة عليهم الحديد فخشيت أن تعشو أبصار الناس فأمرت منادياً فنادى أن من كان عليه عمامة فليلفها على عينيه ومن لم يكن عليه عمامة فليغمض بصره وناديت أن حطوا عن دوابكم فلما رأى شهرك ذلك حط أيضاً ثم ناديت أن اركبوا فصففنا لهم وركبوا فجعلت الجارود العبدى على الميمنة وأبا صفرة على الميسرة يعنى أبا المهلب فحملوا على المسلمين فهزموهم حتى ما أسمع لهم صوتا فقال لى الجارود أيها الأمير ذهب الجند فقلت إنك سترى أمرك فما لبثنا أن رجعت خيلهم ليس عليها فرسانها والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم فنثرت الرؤوس بين يدى ومعى بعض ملوكهم يقال له المكعبر فارق كسرى ولحق بى فأتيت برأس ضخم فقال المكعبر هذا رأس الازدهاق يعنى شهرك فحوصروا فى مدينة سابور فصالحهم وملكهم آذربيان فاستعان الحكم بآذربيان على قتال أهل اصطخر ومات عمر رضى الله عنه فبعث عثمان عبيد الله بن معمر مكانه فبلغ عبيد الله أن آذربيان يريد أن يغدر بهم فقال له إنى أحب أن تتخذ لأصحابى طعاما وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها فى الجفنة التى تلينى فإنى أحب أن أتمشش العظام ففعل فجعل يأخذ العظم الذى لا يكسر الا بالفؤوس فيكسره بيده فيتمخخه وكان من أشد الناس فقام الملك فأخذ برجله وقال هذا مقام العائذ فأعطاه عهداً فأصابت عبيد الله منجنيقة فأوصاهم فقال إنكم ستفتحون هذه المدينة إن شاء الله فاقتلوهم بى فيها ساعة ففعلوا فقتلوا منهم بشراً كثيراً وكان عثمان بن أبى العاص لحق الحكم وقد هزم شهرك فكتب إلى عمر إن بينى وبين الكوفة فرجة أخاف أن يأتينى العدو منها وكتب صاحب الكوفة بمثل ذلك أن بينى وبين كذا فرجة فاتفق عنده الكتابان فبعث أبا موسى فى سبعمائة فأنزلهم البصرة

ذكر فتح فَساودَرا بجَرْدَ

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا وقصد سارية بن زنيم فساودرابجرد حتى انتهى إلى عسكرهم فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله ثم انهم استمدوا فتجمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير فرأى عمر فى تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم فى ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى إذا كان فى الساعة التى رأى فيها ما رأى خرج اليهم وكان أريهم والمسلمون بصحراء ان أقاموا فيها أحيط بهم وان أرزوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد ثم قام فقال يا أيها الناس إنى رأيت هذين الجمعين وأخبر بحالهما ثم قال يا سارية الجبل الجبل ثم أقبل عليهم وقال إن لله جنوداً ولعل بعضها أن يبلغهم ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد فهزمهم الله لهم وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى عمر دثار ابن أبى شبيب عن أبى عثمان وأبى عمرو بن العلاء عن رجل من بنى مازن قالا كان عمر قد بعث سارية بن زنيم الدئلى الى فساودرابجرد فحاصرهم ثم إنهم تداعوا فاصحروا اله وكثروه فأتوه من كل جانب فقال عمر وهو يخطب فى يوم جمعة ياسارية ابن زنيم الجبل الجبل ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب المسلمين جبل ان لجؤا اليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد فلجؤا إلى الجبل ثم قاتلوهم فهزموهم فاصاب مغانمهم وأصاب فى المغانم سفطاً فيه جوهر فاستوهبه المسلمين لعمر فوهبوه له فبعث به مع رجل وبالفتح وكان الرسل والوفد يجازون وتقضى لهم حوائجهم فقال له سارية استقرض ما تبلغ به وما تخلفه لأهلك على جائزتك فقدم الرجل البصرة ففعل ثم خرج فقدم على عمر فوجده يطعم الناس ومعه عصاه التى يزجر بها بعيره فقصد له فأقبل عليه بها فقال اجلس فجلس حتى إذا أكل [illegible] ف عمر وقام فاتبعه فظن عمر أنه رجل لم يشبع فقال حين انتهى إلى باب داره أدخل وقد أمر الخباز أن

يذهب بالخوان إلى مطبخ المسلمين فلما جلس فى البيت أتى بغدائه خبز وزيت وملح جريش فوضع وقال ألا تخرجين يا هذه فتأكلين قالت انى لأسمع حس رجل فقال أجل فقالت لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لى غير هذه الكسوة فقال أو ما ترضين أن يقال أم كلثوم بنت على وامرأة عمر فقالت ما أقل غناء ذلك عنى ثم قال للرجل ادن فكل فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى فأكلا حتى إذا فرغ قال رسول سارية بن زنيم يا أمير المؤمنين فقال مرحباً وأهلا ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته ثم سأله عن المسلمين ثم سأله عن سارية بن زنيم فاخبره ثم أخبره بقصة الدرج فنظر إليه ثم صاح به ثم قال لا ولا كرامة حتى تقدم على ذلك الجند فتقسمه بينهم فطرده فقال يا أمير المؤمنين إنى قد أنضيت إبلى واستقرضت فى جائزتى فأعطنى ما اتبلغ به فما زال عنه حتى أبدله بعيرا ببعيره من ابل الصدقة وأخذ بعيره فأدخله فى ابل الصدقة ورجع الرسول مغضوبا عليه محروما حتى قدم البصرة فنفذ لأمر عمر وقد كان سأله أهل المدينة عن سارية وعن الفتح وهل سمعوا شيئاً يوم الوقعة فقال نعم سمعنا يا سارية الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ففتح الله علينا (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن المجالد عن الشعبى مثل حديث عمرو

ذكر فتح كرمان

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا وقصد سهيل بن عدى الى كرمان ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عتبان وعلى مقدمة سهيل بن عدى النسير بن عمرو العجلى وقد حشد له أهل كرمان واستعانوا بالقفس فاقتتلوا فى أدنى أرضهم ففضهم الله فاخذوا عليهم بالطريق وقتل النسير مرزبانها فدخل سهيل من قبل طريق القرى القوم الى جيرفت وعبد الله بن عبد الله من مفازة شير فاصابوا ما شاؤا من بعير وشاء فقوموا الابل والغنم فتحاصوها بالأثمان لعظم البخت على العراب وكرهوا أن يزيدوا وكتبوا الى عمر فكتب اليهم أن البعير العربى انما قوم بتعبير اللحم وذلك مثله فاذا رأيتم أن فى

البخت فضلا فزيدوا فانما هى من قيمه وأما المدائنى فانه ذكر أن على بن مجاهد أخبره عن حنبل بن أبى حريدة وكان قاضى قهستان عن مرزبان قهستان قال فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى فى خلافة عمر بن الخطاب ثم أتى الطبسين من كرمان ثم قدم على عمر فقال يا أمير المؤمنين انى افتتحت الطبسين فأقطعنيهما فاراد أن يفعل فقيل لعمر انهما رستاقان عظيمان فلم يقطعه اياهما وهما بابا خراسان

ذكر فتح سجستان

قالوا وقصد عاصم بن عمرو لسجستان ولحقه عبد الله بن عمير فاستقبلوهم فالتقوا هم وأهل سجستان فى أدنى ارضهم فهزموهم ثم اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخروا ارض سجستان ما شاؤا ثم انهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الأرضين فأعطوه وكانوا قداشترطوا فى صلحهم ان فدافدها حمى فكان المسلمون اذا خرجوا تناذروا خشية ان يصيبوا منها شيئاً فيخفروا فتم اهل سجستان على الخراج والمسلمون على الاعطاء فكانت سجستان اعظم من خراسان وابعد فروجا يقاتلون القندهار والترك وأمماً كثيرة وكانت فيما بين السند إلى نهر بلخ بحياله فلم تزل أعظم البلدين وأصعب الفرجين وأكثرهماعدداً وجنداً حتى زمان معاوية فهرب الشاه من أخيه واسم أخى الشاه يومئذ رتبيل إلى بلد فيها يدعى آمل ودانوا السلم بن زياد وهو يومئذ على سجستان ففرح بذلك وعقد لهم وأنزلهم بتلك البلاد وكتب إلى معاوية بذلك يرى انه قد فتح عليه فقال معاوية إن ابن أخى ليفرح بامر إنه ليحزننى وينبغى له أن يحزنه قالوا ولم يا أمير المؤمنين قال لأن آمل بلدة بينها وبين زرنج صعوبة وتضايق وهؤلاء قوم نكر غدر فيضطرب الحبل غداً فأهون ما يجىء منهم أن يغلبوا على بلاد آمل بأسرها وتم لهم على عهد ابن زياد فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه وغلب على آمل وخاف رتبيل الشاه فاعتصم منه بمكانه الذى هو به اليوم ولم يرضه ذلك حين تشاغل الناس عنه حتى طمع فى زرنج فغزاها فحصرهم حتى أتتهم الأمدادمن البصرة

فصار رتبيل والذين جاؤا معه فنزلوا تلك البلاد شجاً لم ينتزع إلى اليوم وقد كانت تلك البلاد مذللة إلى أن مات معاوية

فتح مكران

قالوا وقصد الحكم بن عمرو التغلبي لمكران حتى انتهى إليها ولحق به شهاب ابن المخارق بن شهاب فانضم إليه وأمده سهيل بن عدى وعبد الله بن عبد الله بن عتبان بأنفسهما فانتهوا إلى دوين النهر وقد انفض أهل مكران إليه حتى نزلوا على شاطئه فعسكروا وعبر إليهم راسل ملكهم ملك السند فازدلف بهم مستقبل المسلمين فالتقوا فاقتتلوا بمكان من مكران من النهر على أيام بعد ما كان قد انتهى إليه أوائلهم وعسكروا به ليلحق أخراهم فهزم الله راسل وسلبه وأباح المسلمين عسكره وقتلوا فى المعركة مقتلة عظيمة وأتبعوهم يقتلونهم أياما حتى انتهوا إلى النهر ثم رجعوا فأقاموا بمكران وكتب الحكم إلى عمر بالفتح وبعث بالأخماس مع صحار العبدى واستأمره فى الفيلة فقدم صحار على عمر بالخبر والمغانم فسأله عمر عن مكران وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذى يجىء منه فقال ياأمير المؤمنين أرض سهلها جبل وماؤها وشل، وتمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وماوراءها شر منها فقال أسجاع أنت أم مخبر قال لا بل مخبر قال لا والله لا يغزوها جيش لى ما أطعت وكتب إلى الحكم ابن عمرو وإلى سهيل أن لا يجوزن مكران أحد من جنودكما واقتصرا على مادون النهر وأمره ببيع الفيلة بأرض الإسلام وقسم أثمانها على من أفاءها الله عليه وقال الحكم بن عمرو فى ذلك

لَقد شَبِعَ الأَرامِلُ غَيْرَ فَخْرٍ ... بِفَيْءٍ جاءَهُمْ من مكرانِ
أتاهم بعد مَسْغَبَةٍ وَجَهْدٍ ... وقد صَفِرَ الشِّتاءُ من الدُّخانِ
فإنّى لا يَذُمُّ الجيشُ فِعْلِى ... ولا سَيْفِى يُذَمُّ ولا سِنانى
غَداةَ أَدفَعُ الأَوْباشَ دَفْعًا ... إلى السِّندِ العَريضةِ والمَدانى
ومِهْرانٍ لنا فيما أَرَدْنا ... مُطيعٌ غَيْرَ مُسْتَرْخى العِنانِ

فلولا ما نهى عنه أميرى قَطعناه إلى البُدُدِ الزَّوانى

خبر بيروذ من الأهواز

قالوا ولما فصلت الخيول إلى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الأكراد وغيرهم وكان عمر قدعهد إلى أبى موسى حين سارت الجنود إلى الكور أن يسير حتى ينتهى إلى ذمة البصرة كى لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشى أن يستلحم بعض جنوده أو ينقطع منهم طرف أو يخلفوا فى أعقابهم فكان الذى حذر من اجتماع أهل بيروذ وقد أبطأ أبو موسى حتى تجمعوا فخرج أبو موسى حتى ينزل ببيروذ على الجمع الذى تجمعوا بها فى رمضان فالتقوا بين نهر تيرى ومناذر وقد توافى إليها أهل النجدات من اهل فارس والأكراد ليكيدوا المسلمين وليصيبوا منهم عورة ولم يشكوا فى واحدة من اثنتين فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقتل فقال لأبى موسى أقسم على كل صائم لما رجع فأفطر فرجع أخوه فيمن رجع لإبرار القسم وإنما أراد بذلك توجيه أخيه عنه لئلا يمنعه من الاستقتال وتقدم فقاتل حتى قتل ووهن الله المشركين حتى تحصنوا فى قلة وذلة واقبل أخوه الربيع فقال هيء يا والع الدنيا واشتد جزعه عليه فرق أبو موسى للربيع للذى رآه دخله من مصاب أخيه فخلفه عليهم فى جند وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان فلقى بها جنود أهل الكوفة محاصرى جى ثم انصرف إلى البصرة بعد ظفر الجنود وقد فتح الله على الربيع ابن زياد أهل بيروذ من نهر تيرى وأخذ ما كان معهم من السبى فتنقى أبو موسى رجالا منهم ممن كان لهم فداء وقد كان الفداء أرد على المسلمين من أعيانهم وقيمتهم فيما بينهم ووفد الوفود والأخماس فقام رجل من عنزة فاستوفده فأبى فخرج فسعى به فاستجلبه عمر وجمع بينهما فوجد أبا موسى أعذر إلا فى أمر خادمه فضعفه فرده إلى عمله وفجر الآخر وتقدم إليه فى أن لا يعود لمثلها (كتب إلى السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا لما رجع أبو موسى عن أصبهان بعد دخول الجنود الكور وقد هزم الربيع أهل بيروذ وجمع السبى والأموال فغدا على ستين غلاما من أبناء الدهاقين تنقاهم وعزلهم وبعث بالفتح

إلى عمر ووفد وفداً فجاءه رجل من عنزة فقال اكتبنى فى الوفد فقال قد كتبنا من هو أحق منك فانطلق مغاضباً مراغماً وكتب أبو موسى إلى عمر أن رجلا من عنزة يقال له ضبة بن محصن كان من أمره وقص قصته فلما قدم الكتاب والوفد والفتح على عمر قدم العنزى فأتى عمر فسلم عليه فقال من أنت فأخبره فقال لا مرحبا ولا أهلا فقال أما المرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهل فاختلف اليه ثلاثا يقول له هذا ويرد عليه هذا حتى إذا كان فى اليوم الرابع دخل عليه فقال ماذا نقمت على أميرك قال تنقى ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه وله جارية تُدعى عقيلة تغدى جفنة وتعشى جفنة وليس منا رجل يقدر على ذلك وله قفيزان وله خاتمان وفوض إلى زياد بن أبى سفيان وكان زياد يلى أمور البصرة وأجاز الحطيئة بألف فكتب عمر كل ما قال فبعث إلى أبى موسى فلما قدم حجبه أياماً ثم دعا به ودعا ضبة بن محصن ودفع إليه الكتاب فقال اقرأ ما كتبت فقرأ أخذ ستين غلاما لنفسه فقال أبو موسى دللت عليهم وكان لهم فداء ففديتهم فأخذته فقسمته بين المسلمين فقال ضبة والله ما كذب ولا كذبت وقال له قفيزان فقال أبو موسى قفيز لأهلى أقوتهم وقفيز للمسلمين فى أيديهم يأخذون به أرزاقهم فقال ضبة والله ما كذب ولا كذبت فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر وعلم أن ضبة قد صدقه قال وزياد يلى أمور الناس ولا يعرف هذا ما يلى قال وجدت له نبلا ورأيا فأسندت إليه عملى قال وأجاز الحطيئة بألف قال سددت فمه بمالى أن يشتمنى فقال قد فعلت ما فعلت فرده عمر وقال إذا قدمت فأرسل إلى زياداً وعقيلة ففعل فقدمت عقيلة قبل زياد وقدم زياد فقام بالباب فخرج عمر وزياد بالباب قائم وعليه ثياب بياض كتان فقال ما هذه الثياب فأخبره فقال كم أثمانها فأخبره بشىء يسير وصدقه فقال له كم عطاؤك قال ألفان قال ما صنعت فى أول عطاء خرج لك قال اشتريت والدتى فأعتقتها واشتريت فى الثانى ربيبى عبيداً فأعتقته فقال وفقت وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده فقيها فرده وأمر أمراء البصرة أن يشربوا برأيه وحبس عقيلة بالمدينة وقال عمر ألا إن ضبة العنزى غضب على أبى موسى فى الحق أن

أصابه وفارقه مراغما إن فاته أمر من أمر الدنيا فصدق عليه وكذب فأفسد كذبه صدقه فإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى النار وكان الحطيئة قد لقيه فأجازه فى غزاة بيروذ وكان أبو موسى قد ابتدأ حصارهم وغزاتهم حتى فلهم ثم جازهم ووكل بهم الربيع ثم رجع إليهم بعد الفتح فولى القسم (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى عمر عن الحسن عن أسيد بن المتشمس بن أخى الأحنف ابن قيس قال شهدت مع أبى موسى يوم أصبهان فتح القرى وعليها عبد الله بن ورقاء الرياحى وعبد الله بن ورقاء الأسدى ثم إن أبا موسى صرف إلى الكوفة واستعمل على البصرة عمر بن سراقة المخزومى بدوى ثم إن أبا موسى رد على البصرة فمات عمر وأبو موسى على البصرة على صلاتها وكان عملها مفترقا غير مجموع وكان عمر ربما بعث إليه فأمده ببعض الجنود فيكون مددا لبعض الجيوش

ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعى والأكراد

❊ حدثنى عبد الله بن كثير العبدى قال حدثنا جعفر بن عون قال أخبرنا أبو جناب قال حدثنا أبو المحجل الردينى عن مخلد البكرى وعلقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة أن أمير المؤمنين كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمر عليهم رجلا من أهل العلم والفقه فاجتمع إليه جيش فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعى فقال سر باسم الله قاتل فى سبيل الله من كفر بالله فإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال ادعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم فى أموالهم الزكاة وليس لهم فى فىء المسلمين نصيب وإن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم فإن أبوا فادعوهم إلى الخراج فإن أقروا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم وفرغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم فوق طاقتهم فإن أبوا فقاتلوهم فإن الله ناصركم عليهم فإن تحصنوا منكم فى حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله فلا تنزلوهم على حكم الله فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم وإن سألوكم أن ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله فلا تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله واعطوهم ذمم أنفسكم فإن قاتلوكم فلا تغلوا ولا تغدروا

ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قال سلمة فسرنا حتى لقينا عدوتا من المشركين فدعوناهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين فأبوا أن يسلموا فدعوناهم إلى الخراج فأبوا أن يقروا فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية وجمعنا الرثة فرأى سلمة ابن قيس شيئا من حلية فقال إن هذا لا يبلغ فيكم شيئا فتطيب أنفسكم أن نبعث به إلى أمير المؤمنين فإن له بردا ومؤونة قالوا نعم قد طابت أنفسنا قال فجعل تلك الحلية فى سفط ثم بعث برجل من قومه فقال اركب بها فإذا أتيت البصرة فاشتر على جوائز أمير المؤمنين راحلتين فأوقروهما زاداً لك ولغلامك ثم سر إلى أمير المؤمنين قال ففعلت فأتيت أمير المؤمنين وهو يغدى الناس متكئا على عصا كما يصنع الراعى وهو يدور على القصاع يقول يايرفأ زد هؤلاء لحما زد هؤلاء خبزا زد هؤلاء مرقة فلما دفعت إليه قال اجلس فجلست فى أدنى الناس فإذا طعام فيه خشونة طعامى الذى معى أطيب منه فلما فرغ الناس قال يايرفأ ارفع قصاعك ثم أدبر فاتبعته فدخل دارا ثم دخل حجرة فاستأذنت وسلمت فأذن لى فدخلت عليه فإذا هو جالس على مسح متكئ على وسادتين من أدم محشوتين ليفا فنبذ إلى بإحداهما فجلست عليها وإذا بهو فى صفة فيها بيت عليه ستير فقال ياأم كلثوم غداءنا فأخرجت إليه خبزة بزيت فى عرضها ملح لم يدق فقال ياأم كلثوم ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا من هذا قالت إنى أسمع عندك حس رجل قال نعم ولا أراه من أهل البلد قال فذلك حين عرفت أنه لم يعرفنى قالت لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتنى كما كسا ابن جعفر امرأته وكما كسا الزبير امرأته وكما كسا طلحة امرأته قال وما يكفيك أن يقال أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وامرأة أمير المؤمنين عمر فقال كل فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذا قال فأكلت قليلا وطعامى الذى معى أطيب منه وأكل فما رأيت أحدا أحسن أكلا منه ما يتلبس طعامه بيده ولا فمه ثم قال اسقونا فجاؤا بعس من سلت فقال أعط الرجل قال فشربت قليلا سويقى الذى معى أطيب منه ثم أخذه فشربه حتى قرع القدح جبهته وقال الحمد لله الذى أطعمنا فأشبعنا وسقانا فأروانا قال قلت قد أكل أمير المؤمنين فشبع

وشرب فروى حاجتى ياأمير المؤمنين قال وما حاجتك قال قلت أنا رسول سلمة ابن قيس قال مرحبا بسلمة بن قيس ورسوله حدثنى عن المهاجرين كيف هم قال قلت هم ياأمير المؤمنين كما تحب من السلامة والظفر على عدوهم قال كيف أسعارهم قال قلت أرخص أسعار قال كيف اللحم فيهم فانها شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا بشجرتها قال قلت البقرة فيهم بكذا والشاة فيهم بكذا ياأمير المؤمنين سرنا حتى لقينا عدونا من المشركين فدعوناهم إلى ماأمرتنا به من الإسلام فأبوا فدعوناهم إلى الخراج فأبوا فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية وجمعنا الرثة فرأى سلمة فى الرثة حلية فقال للناس إن هذا لا يبلغ فيكم شيئا فتطيب أنفسكم أن أبعث به إلى أمير المؤمنين فقالوا نعم فاستخرجت سفطى فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأصفر وأخضر وثب ثم جعل يده فى خاصرته ثم قال لاأشبع الله إذاً بطن عمر قال فظن النساء أنى أريد أن أغتاله فجئن إلى الستر فقال كف ماجئت به يايرفأ جأ عنقه قال فأنا أصلح سفطى وهو يجأ عنقى قلت ياأمير المؤمنين أبدع بى فاحملنى قال يايرفأ أعطه راحلتين من الصدقة فإذا لقيت أفقر إليهما منك فادفعهما اليه قلت أفعل ياأمير المؤمنين فقال أما والله لئن تفرق المسلمون فى مشاتيهم قبل أن يقسم هذا فيهم لأفعلن بك وبصاحبك الفاقرة قال فارتحلت حتى أتيت سلمة فقلت مابارك الله لى فيما اختصصتنى به اقسم هذا فى الناس قبل أن يصيبنى وإياك فاقرة فقسمه فيهم والفص يباع بخمسة دراهم وستة دراهم وهو خير من عشرين ألفا * وأما السرى فانه ذكر فيما كتب به إلى يذكر عن شعيب عن سيف عن أبى جناب عن سليمان بن بريدة قال لقيت رسول سلمة بن قيس الأشجعى قال كان عمر ابن الخطاب إذا اجتمع إليه جيش من العرب ثم ذكر نحو حديث عبدالله بن كثير عن جعفر بن عون غير أنه قال فى حديثه عن شعيب عن سيف وأعطوهم ذمم أنفسكم قال فلقينا عدونا من الأكراد فدعوناهم وقال أيضا وجمعنا الرثة فوجد فيها سلمة حقتين جوهرا فجعلها فى سفط وقال أيضا أوما كفاك أن يقال أم كلثوم بنت على بن أبى طالب امرأة عمر بن الخطاب قالت إن ذلك عنى لقليل الغناء قال

كل وقال أيضا لجاءوا بعس من سلت كلما حركوه فار فوقه مما فيه وإذا تركوه سكن ثم قال اشرب فشربت قليلا شرابى الذى معى أطيب منه فأخذ القدح فضرب به جبهته ثم قال إنك لضعيف الأكل ضعيف الشرب وقال أيضا قلت رسول سلمة قال مرحبا بسلمة وبرسوله وكأنما خرجت من صلبه حدثنى عن المهاجرين وقال أيضا ثم قال لا أشبع الله إذا بطن عمر قال وظن النساء أنى قد اغتلته فكشفن الستر وقال يا يرفأ جأ عنقه فوجأ عنقى وأنا أصيح وقال النجاء وأظنك ستبطئ وقال أما والله الذى لا إله غيره لئن تفرق الناس إلى مشاتيهم وسائر الحديث نحو حديث عبدالله بن كثير ❊ وحدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا شهاب بن خراش الحوشبي قال حدثنا الحجاج بن دينار عن منصور ابن المعتمر عن شقيق بن سلمة الأسدى قال حدثنا الذى جرى بين عمر بن الخطاب وسلمة بن قيس قال ندب عمر بن الخطاب الناس إلى سلمة بن قيس الأشجعى بالحيرة فقال انطلقوا باسم الله ثم ذكر نحو حديث عبد الله بن كثير عن جعفر (قال أبو جعفر) وحج عمر بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه السنة وهى آخر حجة حجها بالناس حدثنى بذلك الحارث قال حدثنا ابن سعد عن الواقدى (وفى هذه السنة) كانت وفاته

ذكر الخبر عن مقتله

❊ حدثنى سلمة بن جنادة قال حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبى ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثنا أبى عن عبدالله بن جعفر عن أبيه عن المسور بن مخرمة وكانت أمه عاتكة بنت عوف قال خرج عمر بن الخطاب يوما يطوف فى السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان نصرانيا فقال يا أمير المؤمنين اعدنى على المغيرة بن شعبة فإن على خراجا كثيرا قال وكم خراجك قال درهمان فى كل يوم قال وإيش صناعتك قال نجار نقاش حداد قال فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال قد بلغنى أنك تقول لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح فعلت قال نعم قال فاعمل لى رحى قال

لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ثم انصرف عنه فقال عمر رضى الله تعالى عنه لقد توعدنى العبد آنفا قال ثم انصرف عمر إلى منزله فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال له ياأمير المؤمنين اعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام قال وما يدريك قال أجده فى كتاب الله عز وجل التوراة قال عمر آلله إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة قال اللهم لا ولكنى أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك قال وعمر لا يحس وجعا وألما فلما كان من الغد جاءه كعب فقال ياأمير المؤمنين ذهب يوم وبقى يومان قال ثم جاءه من غد الغد فقال ذهب يومان وبقى يوم وليلة وهى لك إلى صبيحتها قال فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فإذا استوت جاء هو فكبر قال ودخل أبو لؤلؤة فى الناس فى يده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهى التى قتلته وقتل معه كليب بن أبى البكير الليثى وكان خلفه فلما وجد عمر حر السلاح سقط وقال أفى الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا نعم ياأمير المؤمنين هو ذا قال تقدم فصل بالناس قال فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح ثم احتمل فأدخل داره فدعا عبد الرحمن بن عوف فقال إنى أريد أن أعهد إليك فقال ياأمير المؤمنين نعم إن أشرت على قبلت منك قال وما تريد قال أنشدك الله أتشير على بذلك قال اللهم لا قال والله لا أدخل فيه أبدا قال فهب لى صمتا حتى أعهد الى النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ادع لى عليا وعثمان والزبير وسعدا قال وانتظروا أخاكم طلحة ثلاثا فان جاء والا فاقضوا أمركم أنشدك الله ياعلى ان وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل بنى هاشم على رقاب الناس أنشدك الله يا عثمان ان وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل بنى أبى معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد ان وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم وليصل بالناس صهيب ثم دعا أباطلحة الأنصارى فقال قم على بابهم فلا تدع أحدا يدخل اليهم وأوصى الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبوؤا

الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب فانها مادة الإسلام أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع فى فقرائهم وأوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم اللهم هل بلغت تركت الخليفة من بعدى على أنقى من الراحة يا عبد الله بن عمر أخرج فانظر من قتلنى فقال يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل سجد لله سجدة واحدة ياعبد الله بن عمر اذهب إلى عائشة فسلها أن تأذن لى أن أدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ياعبد الله بن عمر ان اختلف القوم فكن مع الأكثر وان كانوا ثلاثة وثلاثة فاتبع الحزب الذى فيه عبد الرحمن ياعبد الله ائذن للناس قال فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ويقول لهم أعن ملاء منكم كان هذا فيقولون معاذ الله قال ودخل فى الناس كعب فلما نظر اليه عمر أنشأ يقول

فأوعَدَنى كعبٌ ثلاثاً أعُدُّها ولاشكَّ أنّ القولَ ماقال لى كعبُ
وما بى حِذارُ الموتِ إنى لميّتٌ ولكن حِذارُ الذّنبِ يتبَعُهُ الذّنبُ

قال فقيل له ياأمير المؤمنين لو دعوت الطبيب قال فدعى طبيب من بنى الحارث ابن كعب فسقاه نبيذا فخرج النبيذ مشكلا قال فاسقوه لبناً قال فخرج اللبن أبيض فقيل له ياأمير المؤمنين اعهد قال قد فرغت قال ثم توفى ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ قال فخرجوا به بكرة يوم الأربعاء فدفن فى بيت عائشة مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر قال وتقدم صهيب فصلى عليه وتقدم قبل ذلك رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على وعثمان قال فتقدم واحد من عند رأسه والآخر من عند رجليه فقال عبد الرحمن لا إله إلا الله ما أحرصكما على الإمرة أما علمتما أن أمير المؤمنين قال ليصل بالناس صهيب فتقدم صهيب فصلى عليه قال ونزل فى قبره الخمسة (قال أبو جعفر) وقد قيل إن وفاته كانت فى غرة المحرم سنة ٢٤

ذكر من قال ذلك

❊ حدثني الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني أبو بكر بن اسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال طعن عمر رضى الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة ٢٤ فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة من متوفى أبي بكر على رأس اثنتين وعشرين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما من الهجرة وبويع لعثمان بن عفان يوم الاثنين لثلاث مضين من المحرم قال فذكرت ذلك لعثمان الأخنسى فقال ماأراك إلا وهلت توفى عمر رضى الله تعالى عنه لأربع ليال بقين من ذى الحجة وبويع لعثمان بن عفان لليلة بقيت من ذى الحجة فاستقبل بخلافته المحرم سنة ٢٤ ❊ وحدثني أحمد بن ثابت الرازى قال حدثنا محدث عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال قتل عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة تمام سنة ٢٣ وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ثم بويع عثمان بن عفان ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وأما المدائنى فإنه قال فيما حدثنى عمر عنه عن شريك عن الأعمش أو عن جابر الجعفى عن عوف بن مالك الأشجعى وعامر بن أبي محمد عن أشياخ من قومه وعثمان بن عبد الرحمن عن ابن شهاب الزهرى قالوا طعن عمر يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى الحجة قال وقال غيرهم لست بقين من ذى الحجة ❊ وأما سيف فانه قال فيما كتب إلى به السرى يذكر ان شعيباً حدثه عنه عن خليد بن ذفرة ومجالد قال استخلف عثمان لثلاث مضين من المحرم سنة ٢٤ فخرج فصلى بالناس العصر وزادوو فد فاستن به ﴿ كتب إلى السرى ﴾ عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي قال اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضين من المحرم وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الأذان والإقامة فخرج فصلى بالناس وزاد الناس مائة ووفد أهل الأمصار وصنع فيهم وهو أول من صنع ذلك ❊ وحدثت عن هشام بن محمد قال قتل عمر لثلاث ليال بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ وكانت خلافته عشر سنين وستة

أشهر وأربعة أيام

ذكر نسب عمر رضى الله عنه

❊ حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ❊ وحدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد عن محمد بن عمر وهشام بن محمد ❊ وحدثني عمر قال حدثنا على ابن محمد قالوا جميعا فى نسب عمر هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى وكنيته أبو حفص وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ﴿قال أبو جعفر﴾ وكان يقال له الفاروق وقد اختلف السلف فيمن سماه بذلك فقال بعضهم سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر من قال ذلك

❊ حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا أبو حزرة يعقوب بن مجاهد عن محمد بن ابراهيم عن أبي عمرو ذكوان قال قلت لعائشة من سمى عمر الفاروق قالت النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم أول من سماه بهذا الاسم أهل الكتاب

ذكر من قال ذلك

❊ حدثنا الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح بن كيسان قال قال ابن شهاب بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر الفاروق وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم ولم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من ذلك شيئاً

ذكر صفته

❊ حدثنا هناد بن السرى قال حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال خرج عمر فى يوم عيد أو فى جنازة زينب آدم طوالا أصلع أعسر يسراً يمشى كأنه راكب ❊ حدثنا هناد قال حدثنا شريك عن عاصم عن زر قال رأيت عمر يأتى العيد ماشيا حافيا أعسر أيسر متلببا برداً قطريا مشرفا على الناس

كأنه على دابة وهو يقول أيها الناس هاجروا ولاتهجّروا ❁ وحدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر عن عاصم بن عبد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال رأيت عمر رجلا أبيض أمهق تعلوه حمرة طوالا أصلع ❁ وحدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا شعيب بن طلحة عن أبيه عن القاسم ابن محمد قال سمعت ابن عمر يصف عمر يقول رجل أبيض تعلوه حمرة طوال أشيب أصلع ❁ وحدثنى الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا خالد بن أبى بكر قال كان عمر يصفر لحيته ويرجل رأسه بالحناء

ذكر مولده ومبلغ عمره

❁ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى أسامة ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال سمعت عمر بن الخطاب يقول ولدت قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين (قال أبو جعفر) واختلف السلف فى مبلغ سنى عمر فقال بعضهم كان يوم قتل ابن خمس وخمسين سنة

ذكر بعض من قال ذلك

❁ حدثنى زيد بن أخزم الطائى قال حدثنا أبو قتيبة عن جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قتل عمر بن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة ❁ وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا الدراوردى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال توفى عمر وهو ابن خمس وخمسين سنة وحدثت عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن ابن شهاب أن عمر توفى على رأس خمس وخمسين سنة وقال آخرون كان يوم توفى ابن ثلاث وخمسين سنة وأشهر

ذكر من قال ذلك

حدثت بذلك عن هشام بن محمد بن الكلبى وقال آخرون توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة

ذكر من قال ذلك

❁ حدثنا ابن المثنى قال حدثنا ابن أبى عدى عن داود عن عامر قال مات عمر

وهو ابن ثلاث وستين سنة وقال آخرون توفى وهو ابن إحدى وستين سنة

ذكر من قال ذلك

حدثت بذلك عن أبي سلمة التبوذكى عن أبى هلال عن قتادة وقال آخرون توفى وهو ابن ستين سنة.

ذكر من قال ذلك

❁ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا هشام ابن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال توفى عمر وهو ابن ستين سنة قال محمد ابن عمر وهذا أثبت الأقاويل عندنا وذكر عن المدائنى أنه قال توفى عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة

ذكر أسماء ولده ونسائه

❁ حدثنى أبو زيد عن على بن محمد والحارث عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر وحدثت عن هشام بن محمد اجتمعت معانى أقوالهم واختلفت الألفاظ بها قالوا تزوج عمر فى الجاهلية زينب ابنة مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة قال على بن محمد وتزوج مليكة ابنة جرول الخزاعى فى الجاهلية فولدت له عبيد الله بن عمر ففارقها فى الهدنة فخلف عليها بعد عمر أبو الجهم بن حذيفة وأما محمد بن عمر فانه قال زيد الأصغر وعبيد الله الذى قتل يوم صفين مع معاوية أمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك ابن المسيب بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة وكان الإسلام فرق بينها وبين عمر قال على بن محمد وتزوج قريبة ابنة أبى أمية المخزومى فى الجاهلية ففارقها أيضا فى الهدنة فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قالوا وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فى الإسلام فولدت له فاطمة فطلقها قال المدائنى وقد قيل لم يطلقها وتزوج جميلة أخت عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح واسمه قيس بن عصمة بن مالك بن ضبيعة بن زيد بن الأوس من الأنصار فى الإسلام

فولدت له عاصما فطلقها وتزوج أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها فيما قيل أربعين ألفا فولدت له زيدا ورقية وتزوج لهية امرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن قال المدائنى ولدت له عبد الرحمن الأصغر قال ويقال كانت أم ولد وقال الواقدى لهية هذه أم ولد وقال أيضاً ولدت له لهية عبد الرحمن الأوسط وقال عبد الرحمن الأصغر أمه أم ولد وكانت عنده فكيهة وهى أم ولد وأقوالهم فولدت له زينب وقال الواقدى هى أصغر ولد عمر وتزوج عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قبله عند عبد الله بن أبى بكر فلما مات عمر تزوجها الزبير بن العوام قال المدائنى وخطب أم كلثوم بنت أبى بكر وهى صغيرة وأرسل فيها الى عائشة فقالت الأمر اليك فقالت أم كلثوم ولا حاجة لى فيه فقالت لها عائشة ترغبين عن أمير المؤمنين قالت نعم إنه خشن العيش شديد على النساء فأرسلت عائشة الى عمرو بن العاصى فأخبرته فقال أكفيك فأتى عمر فقال ياأمير المؤمنين بلغنى خبر أعيذك بالله منه قال وما هو قال خطبت أم كلثوم بنت أبى بكر قال نعم أفرغبت بى عنها أم رغبت بها عنى قال لا واحدة ولكنها حدثة نشأت تحت كنف أم المؤمنين فى لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهابك وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك فكيف بها إن خالفتك فى شىء فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق عليك قال فكيف بعائشة وقد كلمتها قال أنا لك بها وأدلك على خير منها أم كلثوم بنت على بن أبى طالب تعلق منها بنسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المدائنى وخطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابسا ويخرج عابسا

ذكر وقت إسلامه

(قال أبو جعفر) ذكر أنه أسلم بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى وعشرين امرأة

ذكر من قال ذلك

❊ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى محمد بن عبد الله عن أبيه قال ذكرت له حديث عمر فقال أخبرنى عبد الله بن ثعلبة

ابن صعير قال أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرين امرأة

ذكر بعض سيره

❊ حدثني أبو السائب قال حدثنا ابن فضيل عن ضرار عن حصين المري قال قال عمر انما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده فأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق ❊ وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم عن يونس عن الحسن قال قال عمر اذا كنت فى منزلة تسعنى وتعجز عن الناس فوالله ماتلك لى بمنزلة حتى أكون أسوة للناس ❊ حدثنا خلاد بن أسلم قال حدثنا النضر بن شميل قال أخبرنا قطن قال حدثنا أبو يزيد المدينى قال حدثنا مولى لعثمان بن عفان قال كنت رديفا لعثمان بن عفان حتى أتى على حظيرة الصدقة فى يوم شديد الحر شديد السموم فإذا رجل عليه إزار ورداء قد لف رأسه برداء يطرد الإبل يدخلها الحظيرة حظيرة إبل الصدقة فقال عثمان من ترى هذا قال فانتهينا إليه فإذا هو عمر بن الخطاب فقال هذا والله القوى الأمين ❊ حدثنى جعفر ابن محمد الكوفى وعباس بن أبى طالب قالا حدثنا أبو زكرياء يحيى بن مصعب الكلبي قال حدثنا عمر بن نافع عن أبى بكر العبسى قال دخلت حير الصدقة مع عمر ابن الخطاب وعلى بن أبى طالب قال فجلس عثمان فى الظل يكتب وقام على رأسه يمل عليه ما يقول عمر وعمر فى الشمس قائم فى يوم حار شديد الحر عليه بردان أسودان متزراً بواحد وقد لف على رأسه آخر يعد إبل الصدقة يكتب ألوانها وأسنانها فقال على لعثمان وسمعته يقول نعت بنت شعيب فى كتاب الله «يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين» ثم أشار على بيده إلى عمر فقال هذا القوى الأمين ❊ حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا اسماعيل عن يونس عن الحسن قال قال عمر لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية حولا فإنى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى أما عمالهم فلا يرفعونها إلىّ وأماهم فلا يصلون إلى فأسير إلى الشأم فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الكوفة

فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين والله لنعم الحول هذا ❁ حدثنى محمد ابن عوف قال حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنى أبو المخارق زهير بن سالم أن كعب الأحبار قال نزلت على رجل يقال له مالك وكان جاراً لعمر بن الخطاب فقلت له كيف بالدخول على أمير المؤمنين فقال ليس على باب ولا حجاب يصلى الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء ❁ حدثنى يونس ابن عبد الأعلى قال حدثنا سفيان عن يحيى قال أخبرنى سالم عن أسلم قال بعثنى عمر بإبل من إبل الصدقة إلى الحمى فوضعت جهازى على ناقة منها فلما أردت أن أصدرها قال اعرضها علىّ فعرضتها عليه فرأى متاعى على ناقة منها حسناء فقال لا أم لك عمدت إلى ناقة تغنى أهل بيت من المسلمين فهلا ابن لبون بوالا أو ناقة شصوصا ❁ حدثنى عمر بن اسماعيل بن مجالد الهمدانى قال حدثنا أبو معاوية عن أبى حيان عن أبى الزنباع عن أبى الدهقانة قال قيل لعمر بن الخطاب إن ههنا رجلا من أهل الأنبار له بصر بالديوان لو اتخذته كاتبا فقال عمر لقد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين ❁ حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن جده أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب الناس فقال والذى بعث محمداً بالحق لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب قال أبو زيد آل الخطاب يعنى نفسه ما يعنى غيرها ❁ وحدثنا ابن المثنى قال حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن أبى عمران الجونى قال كتب عمر إلى أبى موسى إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم فأكرم من قبلك من وجوه الناس وبحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف فى الحكم وفى القسم ❁ وحدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن إدريس قال سمعت مطرفا عن الشعبى قال أتى أعرابى عمر فقال إن بعيرى نقبا ودبراً فاحملنى فقال له عمر ما بعيرك بنقب ولا دبر قال فولى وهو يقول

أَقْسَمَ بِاللهِ أَبو حَفْصٍ عُمَرْ ... مامَسَّها مِن نُقَبٍ ولا دَبَرْ
فاغْفِرْ له اللهمّ إن كانَ فَجَرْ

فقال اللهم اغفرلى ثم دعا الأعرابى فحمله ﷺ وحدثنى يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا إسماعيل قال أخبرنا أيوب عن محمد قال نبئت أن رجلا كان بينه وبين عمر قرابة فسأله فزبره وأخرجه فكلم فيه فقيل ياأمير المؤمنين فلان سألك فزبرته وأخرجته فقال إنه سألنى من مال الله فما معذرتى إن لقيته ملكا خائنا فلولا سألنى من مالى قال فأرسل اليه بعشرة آلاف وكان عمر رحمه الله إذا بعث عاملا له على عمل يقول ماحدثنا به محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال حدثنا شعبة عن يحيى بن حصين سمع طارق بن شهاب يقول قال عمر فى عماله اللهم إنى لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم ولا ليضربوا أبشارهم من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دونى ﷺ وحدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب الناس يوم الجمعة فقال اللهم إنى أشهدك على أمراء الأمصار أنى إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم وأن يقسموا فيهم فيأهم وأن يعدلوا فان أشكل عليهم شىء رفعوه إلىّ ﷺ وحدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر بن عياش قال سمعت أباحصين قال كان عمر إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول إنى لم أستعملكم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أشعارهم ولا على أبشارهم إنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل وإنى لم أسلطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم ولا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفتنوها ولا تغفلوا عنها فتحرموها جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن محمد صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم وكان يقص من عماله وإذا شكى اليه عامل له جمع بينه وبين من شكاه فان صح عليه أمر يجب أخذه به أخذه به ﷺ وحدثنى يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال أخبرنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى فراس قال خطب عمر بن الخطاب فقال ياأيها الناس إنى والله ماأرسل اليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكنى أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شىء سوى ذلك فليرفعه إلىّ فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه

منه فوثب عمرو بن العاص فقال ياأمير المؤمنين أرأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته إنك لتقصه منه قال إى والذى نفس عمر بيده إذا لأقصنه منه وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم * وكان عمر رضى الله عنه فيما ذكر عنه يعس بنفسه ويرتاد منازل المسلمين ويتفقد أحوالهم بيديه

ذكر الخبر الوارد عنه بذلك

* حدثنا ابن بشار قال حدثنا أبو عامر قال حدثنا قرة بن خالد عن بكر بن عبد الله المزنى قال جاء عمر بن الخطاب إلى باب عبد الرحمن بن عوف فضربه فجاءت المرأة ففتحته ثم قالت له لا تدخل حتى أدخل القيت وأجلس مجلسى فلم يدخل حتى جلست ثم قالت ادخل فدخل ثم قال هل من شىء فأتته بطعام فأكل وعبد الرحمن قائم يصلى فقال له تجوز أيها الرجل فسلم عبد الرحمن حينئذ ثم أقبل عليه فقال ماجاء بك فى هذه الساعة ياأمير المؤمنين قال رفقة نزلت فى ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق فلنحرسهم فانطلقا فأتيا السوق فقعدا على نشز من الأرض يتحدثان فرفع لهما مصباح فقال عمر ألم أنه عن المصابيح بعد النوم فانطلقا فإذاهم قوم على شراب لهم فقال انطلق فقد عرفته فلما أصبح أرسل اليه فقال يافلان كنت وأصحابك البارحة على شراب قال وماعلمك ياأمير المؤمنين قال شىء شهدته فقال أولم ينهك الله عن التجسس قال فتجاوز عنه قال بكر بن عبد الله المزنى وإنما نهى عمر عن المصابيح لأن الفأرة تأخذ الفتيلة فترمى بها فى سقف البيت فيحترق وكان إذ ذاك سقف البيت من الجريد * وحدثنى أحمد ابن حرب قال حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيرى قال حدثنى أبى عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرة واقم حتى إذا كنا بصرار إذا نار تؤرث فقال ياأسلم إنى أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذا امرأة معها

صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون فقال عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره أن يقول يا أصحاب النار قالت وعليك السلام قال أأدنو قالت ادن بخير أودع فدنا فقال مابالكم قالت قصر بنا الليل والبرد قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت الجوع قال وأى شيء فى هذه القدر قالت ماء أسكتهم به حتى يناموا الله بيننا وبين عمر قال أى رحمك الله مايدرى عمر بكم قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا فأقبل على فقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا فيه كبة شحم فقال احمله على فقلت أنا أحمله عنك قال احمله على مرتين أو ثلاثا كل ذلك أقول أنا أحمله عنك فقال لى فى آخر ذلك أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا اليها فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيأ فجعل يقول لها ذرى على وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر الى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج وأدم القدر ثم أنزلها وقال ابغنى شيأ فأتته بصحفة فأفرغها فيها ثم جعل يقول أطعميهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيرا أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين فيقول قولى خيراً إنك اذا جئت أمير المؤمنين وجدتنى هناك ان شاء الله ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها وربض مربض السبع فجعلت أقول له ان لك شأناً غير هذا وهو لا يكلمنى حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدؤا فقام وهو يحمد الله ثم أقبل على فقال يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم وكان عمر إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله وتقدم اليهم بالوعظ لهم والوعيد على خلافهم أمره كالذى حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا أبو بكر بن عياش قال حدثنا عبيد الله بن عمر بالمدينة عن سالم قال كان عمر إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله فقال انى نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير يعنى الى اللحم وأقسم بالله لا أجد

أحداً منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة (قال أبو جعفر) وكان رضى الله عنه شديداً على أهل الريب وفى حق الله صليبا حتى يستخرجه ولينا سهلا فيما يلزمه حتى يؤديه وبالضعيف رحيما رؤفا ٭ حدثنى عبيدالله بن سعيد الزهرى قال حدثنا عمى قال حدثنا أبى عن الوليد بن كثير عن محمد بن عجلان أن زيد بن أسلم حدثه عن أبيه أن نفراً من المسلمين كلموا عبدالرحمن بن عوف فقالوا كلم عمر بن الخطاب فانه قد أخشانا حتى والله ما نستطيع أن نديم اليه أبصارنا قال فذكر ذلك عبدالرحمن ابن عوف لعمر فقال أوقد قالوا ذاك فوالله لقد لنت لهم حتى تخوفت الله فى ذلك ولقد اشتددت عليهم حتى خشيت الله فى ذلك وايم الله لأنا أشد منهم فرقاً منهم منى ٭ وحدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر عن عاصم قال استعمل عمر رجلا على مصر فبينا عمر يوما مار فى طريق من طرق المدينة اذ سمع رجلا وهو يقول الله ياعمر تستعمل من يخون وتقول ليس علىّ شىء وعاملك يفعل كذا قال فأرسل اليه فلما جاءه أعطاه عصاً وجبة صوف وغنما فقال ارعها واسمه عياض بن غنم فان أباك كان راعيا قال ثم دعاه فذكر كلاما فقال ان أنا رددتك فرده الى عمله وقال لى عليك أن لا تلبس رقيقا ولا تركب برذونا ٭ حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو أسامة عن عبد الله بن الوليد عن عاصم عن ابن خزيمة بن ثابت الأنصارى قال كان عمر اذا استعمل عاملا كتب له عهداً وأشهد عليه رهطا من المهاجرين والأنصار واشترط عليه أن لا يركب برذونا ولا يأكل نقيا ولا يلبس رقيقا ولا يتخذ بابا دون حاجات الناس ٭ وحدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا مسلم بن ابراهيم عن سلام بن مسكين قال حدثنا عمران أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه قال فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر وربما خرج عطاؤه فقضاه وعن أبى عامر العقدى قال حدثنا عيسى بن حفص قال حدثنى رجل من بنى سلمة عن ابن البراء بن معرور أن عمر رضى الله عنه خرج يوما حتى أتى المنبر وقد كان اشتكى شكوى له فنعت له العسل وفى بيت المال عكة فقال إن أذنتم لى فيها أخذتها وإلا فهى علىّ حرام

تسمية عمر رضى الله عنه أمير المؤمنين

(قال أبو جعفر) أول من دعى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثم جرت بذلك السنة واستعمله الخلفاء إلى اليوم

ذكر الخبر بذلك

❊ حدثنى أحمد بن عبد الصمد الأنصارى قال حدثتنى أم عمرو بنت حسان الكوفية عن أبيها قال لما ولى عمر قيل يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر رضى الله عنه هذا أمر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمى أمير المؤمنين قال أحمد بن عبد الصمد سألتها كم أتى عليكِ من السنين قالت مائة وثلاث وثلاثون سنة ❊ حدثنا ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح قال حدثنا أبو حمزة عن جابر قال قال رجل لعمر بن الخطاب يا خليفة الله قال خالف الله بك فقال جعلنى الله فداءك قال إذا يهينك الله

وضعه التأريخ

(قال أبو جعفر) وكان أول من وضع التأريخ وكتبه فيما حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد عن محمد بن عمر فى سنة ١٦ فى شهر ربيع الأول منها وقد مضى ذكرى سبب كتابه ذلك وكيف كان الأمر فيه وعمر رضى الله عنه أول من أرخ الكتب وختم بالطين وهو أول من جمع الناس على إمام يصلى بهم التراويح فى شهر رمضان وكتب بذلك إلى البلدان وأمرهم به وذلك فيما حدثنى به الحارث قال حدثنا ابن سعد عن محمد بن عمر فى سنة ١٤ وجعل للناس قارءين قارئاً يصلى بالرجال وقارئاً يصلى بالنساء

حمله الدرة وتدوينه الدواوين

وهو أول من حمل الدرة وضرب بها وهو أول من دون للناس فى الإسلام الدواوين وكتب الناس على قبائلهم وفرض لهم العطاء ❊ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال حدثنى عائذ بن يحيى عن أبى الحويرث عن جبير بن الحويرث بن نقيد أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

استشار المسلمين فى تدوين الدواوين فقال له على بن أبى طالب تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال فلا تمسك منه شيئاً وقال عثمان بن عفان أرى مالا كثيرا يسع الناس وإن لم يحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة ياأمير المؤمنين قد جئت الشأم فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا فدون ديوانا وجند جندا فأخذ بقوله فدعا عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نساب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا فبدؤا ببنى هاشم ثم اتبعوهم أبابكر وقومه ثم عمر وقومه على الخلافة فلما نظر فيه عمر قال لوددت والله أنه هكذا ولكن ابدؤا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله ❊ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى أسامة ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال رأيت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حين عرض عليه الكتاب وبنو تيم على أثر بنى هاشم وبنو عدى على أثر بنى تيم فأسمعه يقول ضعوا عمر موضعه وابدؤا بالأقرب فالأقرب من رسول الله فجاءت بنو عدى إلى عمر فقالوا أنت خليفة رسول الله قال أو خليفة أبى بكر وأبو بكر خليفة رسول الله قالوا وذاك فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم قال بخ بخ بنى عدى أردتم الأكل على ظهرى وأن أذهب حسناتى لكم لا والله حتى تأتيكم الدعوة وإن أطبق عليكم الدفتر ولو أن تكتبوا فى آخر الناس إن لى صاحبين سلكا طريقا فإن خالفتهما خولف بى والله ماأدركنا الفضل فى الدنيا ولا نرجو مانرجو من الآخرة من ثواب الله على ماعملنا إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو شرفنا وقومه أشرف العرب ثم الأقرب فالأقرب إن العرب شرفت برسول الله ولعل بعضها يلقاه إلى آباء كثيرة ومابيننا وبين أن نلقاه إلى نسبه ثم لا نفارقه إلى آدم إلا آباء يسيرة مع ذلك والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة فلا ينظر رجل إلى قرابته وليعمل لما عند الله فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه ❊ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى

جزام بن هشام الكعبي عن أبيه قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديدا فتأتيه بقديد فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب فيعطيهن فى أيديهن ثم يروح فينزل عسفان فيفعل مثل ذلك أيضا حتى توفى ❊ حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى عبدالله بن جعفر الزهرى وعبد الملك بن سليمان عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن السائب ابن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول والله الذى لا إله إلا هو ثلاثا مامن أحد إلا له فى هذا المال حق أعطيه أو منعه وما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك وما أنا فيه إلا كأحدهم ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجل وبلاؤه فى الاسلام والرجل وقدمه فى الاسلام والرجل وغناؤه فى الاسلام والرجل وحاجته والله لئن بقيت ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه ❊ قال إسماعيل بن محمد فذكرت ذلك لأبى فعرف الحديث ❊ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى محمد ابن عبدالله عن الزهرى عن السائب بن يزيد قال رأيت خيلا عند عمر بن الخطاب موسومة فى أفخاذها حبيس فى سبيل الله ❊ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى قيس بن الربيع عن عطاء بن السائب عن زاذان عن سلمان أن عمر قال له أملك أنا أم خليفة فقال له سلمان إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته فى غير حقه فأنت ملك غير خليفة فاستعبر عمر ❊ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى أسامة بن زيد قال حدثنى نافع مولى آل الزبير قال سمعت أبا هريرة يقول يرحم الله ابن حنتمة لقد رأيته عام الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت فى يده وإنه ليعتقب هو وأسلم فلما رآنى قال من أين ياأبا هريرة قلت قريبا فأخذت أعقبه فحملناه حتى انتهينا إلى صرار فإذا صرم نحو من عشرين بيتا من محارب فقال عمر ما أقدمكم قالوا الجهد وأخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفونها فرأيت عمر طرح رداءه ثم اتزر فما زال

يطبخ لهم حتى شبعوا فأرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة ثم كساهم وكان يختلف اليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك ❊ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنى موسى بن يعقوب عن عمه عن هشام بن خالد قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول لا يذرّن إحداكن الدقيق حتى يسخن الماء ثم تذره قليلا قليلا وتسوطه بمسوطها فانه أريع له وأحرى أن لا يتفرد ❊ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن مصعب القرقسانى قال حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم عن راشد ابن سعد أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه فأقبل سعد بن أبى وقاص يزاحم الناس حتى خلص اليه فعلاه عمر بالدرة وقال إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله فى الأرض فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك ❊ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا عمر بن سليمان بن أبى حثمة عن أبيه قال قالت الشفا ابنة عبد الله رأيت فتيانا يقصدون فى المشى ويتكلمون رويدا فقالت ماهذا قالوا نساك فقالت كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع هو والله الناسك حقا ❊ حدثنى عمر قال حدثنا على بن محمد قال حدثنا عبد الله ابن عامر قال أعان عمر رجلا على حمل شىء فدعا له الرجل وقال نفعك بنوك يا أمير المؤمنين فقال بل أغنانى الله عنهم ❊ حدثنى عمر قال حدثنا على ابن محمد عن عمر بن مجاشع قال قال عمر بن الخطاب القوة فى العمل أن لا تؤخر عمل اليوم لغد والأمانة أن لا تخالف سريرة علانية واتقوا الله عز وجل فانما التقوى بالتوقى ومن يتق الله يقه ❊ حدثنى عمر قال حدثنا على عن عوانة عن الشعبى وغير عوانة زاد أحدهما على الآخر أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يطوف فى الأسواق ويقرأ القرآن ويقضى بين الناس حيث أدركه الخصوم ❊ حدثنى عمر قال حدثنا على عن محمد بن صالح أنه سمع موسى بن عقبة يحدث أن رهطاً أتوا عمر فقالوا كثر العيال واشتدت المؤونة فزدنا فى أعطياتنا قال فعلتموها جمعتم بين

الضرائر واتخذتم الخدم فى مال الله عز وجل أما والله لوددت أنى وإياكم فى سفينتين فى لجة البحر تذهب بنا شرقا وغربا فلن يعجز الناس أن يولوا رجلا منهم فإن استقام اتبعوه وإن جنف قتلوه فقال طلحة وما عليك لو قلت إن تعوج عزلوه فقال لا القتل أنكل لمن بعده احذروا فتى قريش وابن كريمها الذى لا ينام إلا على الرضى ويضحك عند الغضب وهو يتناول من فوقه ومن تحته * حدثنى عمر قال حدثنا على عن عبد الله بن داود الواسطى عن زيد بن أسلم قال قال عمر كنا نعد المقرض بخيلا إنما كانت المواساة * حدثنى عمر قال حدثنا على عن ابن دأب عن أبى معبد الأسلمى عن ابن عباس أن عمر قال لناس من قريش بلغنى أنكم تتخذون مجالس لا يجلس اثنان معاً حتى يقال من صحابة فلان من جلساء فلان حتى تحوميت المجالس وآيم الله إن هـذا لسريع فى دينكم سريع فى شرفكم سريع فى ذات بينكم ولكأنى بمن يأتى بعدكم يقول هذا رأى فلان قد قسموا الاسلام أقساماً أفيضوا مجالسكم بينكم وتجالسوا معا فإنه أدوم لألفتكم وأهيب لكم فى الناس اللهم ملونى ومللتهم ، أحسست من نفسى وأحسوا منى ولا أدرى بأينا يكون الكون وقد أعلم أن لهم قبيلا منهم فاقبضنى إليك * حدثنى عمر قال حدثنا على قال حدثنا إبراهيم ابن محمد عن أبيه قال اتخذ عبد الله بن أبى ربيعة أفراسا بالمدينة فمنعه عمر بن الخطاب فكلموه فى أن يأذن له قال لا آذن له إلا أن يجىء بعلفها من غير المدينة فارتبط أفراسا وكان يحمل إليها علفا من أرض له باليمن * حدثنى عمر قال حدثنا على قال حدثنا أبو إسماعيل الهمدانى عن مجالد قال بلغنى أن قوما ذكروا لعمر بن الخطاب رجلا فقالوا يا أمير المؤمنين فاضل لا يعرف من الشر شيئاً قال ذاك أوقع له فيه

ذكر بعض خطبه رضى الله تعالى عنه

* حدثنى عمر قال حدثنى على عن أبى معشر عن ابن المنكدر وغيره وأبى معاذ الأنصارى عن الزهرى ويزيد بن عياض عن عبد الله بن أبى بكر وعلى بن مجاهد عن ابن اسحاق عن يزيد بن عياض عن عبد الله بن أبى إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أن عمر رضى الله تعالى عنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو

أهله ثم ذكر النـاس بالله عز وجل واليوم الآخر ثم قال ياأيها الناس إنى قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استضلاعا بمـا ينوب من مهم أموركم ما توليت ذلك منكم ولـكنى عمر مهما محزنا انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها ووضعها أين أضعها وبالسير فيكم كيف أسير فربى المستعان فإن عمر أصبح لايثق بقوة ولاحيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده

ثم خطب فقال

إن الله عز وجل قد ولانى أمركم وقد علمت أنفع مابحضرتـكم لـكم وإنى أسأل الله أن يعيننى عليه وأن يحرسنى عنده كما حرسنى عند غيره وأن يلهمنى العدل فى قسمكم كالذى أمر به وإنى امرؤ مسلم وعبد ضعيف إلا ماأعان الله عز وجل ولن يغير الذى وليت من خلافتكم من خلقى شيئا إن شاء الله إنما العظمة لله عز وجل وليس للعباد منها شيء فلا يقولن أحد منكم إن عمر تغير منذ ولى أعقلُ الحق من نفسى وأتقدم وأبين لـكم أمرى فأيمـا رجل كانت له حاجة أو ظُلم مظلمة أو عتب علينا فى خلق فليؤذنى فإنما أنا رجل منكم فعليكم بتقوى الله فى سركم وعلانيتكم وحرماتكم وأعراضكم وأعطوا الحق من أنفسكم ولا يحمل بعضكم بعضا على أن تحاكموا إلى فإنه ليس بينى وبين أحد من الناس هوادة وأنا حبيب إلىّ صلاحكم عزيز علىّ عنتكم وأنتم أناس عامتكم حضرٌ فى بلاد الله وأهل بلد لازرع فيه ولاضرع إلا ماجاء الله به إليـه وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة وأنا مسؤل عن أمانتى وما أنا فيه ومطلع على مابحضرتى بنفسى إن شاء الله لاأكله إلى أحد ولاأستطيع مابعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منـكم للعامة ولست أجعل أمانتى إلى أحد سواهم إن شاء الله

وخطب أيضا

فقال بعد ماحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن بعض الطمع فقر وإن بعض اليأس غنى وإنكم تجمعون مالا تأكلون وتأملون

مالا تدركون وأنتم مؤجلون فى دار غرور كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحى فمن أسر شيئا أخذ بسريرته ومن أعلن شيئا أخذ بعلانيته فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر فانه من أظهر لنا شيئا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق فأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون أيها الناس أطيبوا مثواكم وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم ولا تلبسوا نساءكم القباطى فانه إن لم يشف فانه يصف أيها الناس إنى لوددت أن أنجو كفافا لالى ولا على وانى لأرجو إن عمرت فيكم يسيرا أو كثيرا أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله وألا يبقى أحد من المسلمين وإن كان فى بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله ولا يعمل اليه نفسه ولم ينصب اليه يوما وأصلحوا أموالكم التى رزقكم الله ولقليل فى رفق خير من كثير فى عنف والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر والشهيد من احتسب نفسه وإذا أراد أحدكم بعيراً فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فان وجده حديد الفؤاد فليشتره * قالوا

وخطب أيضا

فقال إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا عن غير مسئلة منكم له ولا رغبة منكم فيه اليه فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه فجعل لكم عامة خلقه ولم يجعلكم لشىء غيره وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وحملكم فى البر والبحر ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ثم جعل لكم سمعاً وبصراً ومن نعم الله عليكم نعم عم بها بنى آدم ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها فى دولتكم وزمانكم وطبقتكم وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل اليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها وفدحهم حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله فأنتم

مستخلفون فى الأرض قاهرون لأهلها قد نصر الله دينكم فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان أمة مستعبدة للاسلام وأهله يجزون لكم يستصفون معائشهم وكدائحهم ورشح جباههم عليهم المؤونة ولكم المنفعة وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته فى كل يوم وليلة قد ملأ الله قلوبهم رعباً فليس لهم معقل يلجؤون اليه ولا مهرب يتقون به قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم مع رفاغة العيش واستفاضة المال وتتابع البعوث وسد الثغور باذن الله مع العافية الجليلة العامة التى لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام والله المحمود مع الفتوح العظام فى كل بلد فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التى لا يحصى عددها ولا يقدر قدرها ولا يستطاع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه فنسأل الله الذى لا إله إلا هو الذى أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته والمسارعة إلى مرضاته واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم واستتموا نعمة الله عليكم وفى مجالسكم مثنى وفرادى فان الله عز وجل قال لموسى أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون اليها مع المعرفة بالله ودينه وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة وأثبته بالله جهالة فلو كان هذا الذى استشلاكم به لم يكن معه حظ فى دنياكم غير أنه ثقة لكم فى آخرتكم التى اليها المعاد والمنقلب وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرياء أن تشحوا على نصيبكم منه وأن تظاهروه على غيره قبله ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له وقسرتم أنفسكم على طاعته وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لها ولانتقالها ووجلا منها ومن تحويلها فانه لاشىء أسلب للنعمة من كفرانها وان الشكر أمن للغير ونماء للنعمة واستيجاب للزيادة هذا لله على من أمركم ونهيكم واجب

من ندب عمر ورثاه رضى الله عنه

ذكر بعض ما رثى به

❊حدثنى عمر قال حدثنا على قال حدثنا أبو عبد الله البرجمى عن هشام بن عروة أن باكية بكت على عمر فقالت واحرّى على عمر حر انتشر فملأ البشر وقالت أخرى واحرى على عمر حر انتشر حتى شاع فى البشر ❊حدثنا عمر قال حدثنا على قال حدثنا ابن دأب وسعيد بن خالد عن صالح بن كيسان عن المغيرة بن شعبة قال لما مات عمر رضى الله عنه بكته ابنة أبى حثمة فقالت واعمراه أقام الأود وأبرأ العمد أمات الفتن وأحيا السنن خرج نقى الثوب بريئاً من العيب قال وقال المغيرة ابن شعبة لما دفن عمر أتيت عليا وأنا أحب أن أسمع منه فى عمر شيئاً فخرج ينفض رأسه ولحيته وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك ان الأمر يصير اليه فقال يرحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنة أبى حثمة لقد ذهب بخيرها ونجا من شرها أما والله ما قالت ولكن قوّلت وقالت عاتكة ابنة زيد بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فَجَّعَنِى فَيْروزُ لا دَرَّ دَرهُ ... بأبيَضَ تالٍ للكتاب مُنيبِ
رَؤُفٍ على الأدْنَى غَليظٍ على العِدَا ... أخى ثِقَــةٍ فى النائباتِ مُجيبِ
مَتَى ما يَقُلْ لا يُكْذِبِ القَوْلَ فِعْله ... سَريعٌ إلى الخَيْراتِ غَيْرُ قَطوبِ

وقالت ايضا

عَيْنِ جُودى بعَبْرَةٍ ونَحيبٍ ... لا تَمَلِّى على الإمام النَّجيبِ
فَجَعَتْنى المَنونُ بالفارِسِ المُعـ ... ـلَمِ يَوْمَ الهِياجِ والتَلْبيبِ
عِصمةِ الناسِ والمُعينِ على الدَّهـ ... ـرِ وَغَيْثِ المُنتابِ والمَحْروبِ
قُلْ لِأَهْلِ السَّرَّاءِ وَالبُؤْسِ موتوا ... قد سَقَتْهُ المنونُ كَأْسَ شَعوبِ

وقالت امرأة تبكيه

سَيَبْكِيكِ نساءُ الحـ ... ـىِّ يَبْكِينَ شَجِياتِ

وَيَخْمُشْنَ وَجوهًا كَالـ دنانيرِ نقيّاتِ
وَيَلْبَسْنَ ثِيابَ الحزْ نِ بَعْدَ القَصَبِيّاتِ

شيء من سيره مما لم يمض ذكره

❁ حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا على بن محمد عن ابن جعدبة عن إسماعيل بن أبى حكيم عن سعيد بن المسيب قال حج عمر فلما كان بضجنان قال لا إله إلا الله العظيم العلى المعطى ماشاء من شاء كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادى فى مدرعة صوف وكان فظا يتعبنى إذا عملت ويضربنى إذا قصرت وقد أمسيت وليس بينى وبين الله أحد ثم تمثل

لا شَيْءَ فِيما تَرَى تَبْقَى بَشاشَتُهُ يَبْقَى الإلهُ وَيُودى المال والوَلَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْمًا خَزائنُهُ والخُلْدَ قد حاوَلَتْ عادٌ فماخَلَدُوا
ولا سُلَيْمانُ إذ تَجْرى الرِّياحُ له والإنسُ والجِنُّ فيما بَينها تَرِدُ
أينَ الملوكُ التى كانت نَوافِلُها مِن كلِّ أَوْبٍ إليها راكِبٌ يَفِدُ
حَوْضًا هُنالِكَ مَوْرودًا بلا كَذِبٍ لابُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْمًا كما وَرَدُوا

❁ حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا على قال حدثنا أبو الوليد المكى قال بينما عمر جالس إذ أقبل رجل أعرج يقود ناقة تظلع حتى وقف عليه فقال :

إنَّكَ مُسْتَرْعًى وَإنّا رَعِيَّةٌ وإنَّكَ مَدْعُوٌّ بسيماك يا عُمَرْ
إذا يَوْمُ شَرٍّ شَرُّهُ لِشِرارِهِ فَقَدْ حَمَّلَتْكَ اليَوْمَ أَحسابَها مُضَرْ

فقال لاحول ولا قوة إلا بالله وشكا الرجل ظلع ناقته فقبض عمر الناقة وحمله على جمل أحمر وزوده وانصرف ثم خرج عمر فى عقب ذلك حاجا فبيناهو يسير إذ لحق راكبا يقول

ماساسَنا مِثلكَ يَابْنَ الخَطّابْ أَبَرُّ بالأقصَى ولا بالأصحابْ
بَعْدَ النبيِّ صاحِبِ الكتاب

فنخسه عمر بمخصرة معه وقال فأين أبو بكر ❁ حدثنى عمر قال حدثنا على ابن محمد عن محمد بن صالح عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق قال استعمل عمر عتبة

ابن أبى سفيان على كنانة فقدم معه بمال فقال ماهذا ياعتبة قال مال خرجت به معى وتجرت فيه قال وما لك تخرج المال معك فى هذا الوجه فصيره فى بيت المال فلما قام عثمان قال لأبى سفيان إن طلبت ما أخذ عمر من عتبة رددته عليه فقال أبو سفيان إنك إن خالفت صاحبك قبلك ساء رأى الناس فيك إياك أن ترد على من كان قبلك فيرد عليك من بعدك ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن الربيع بن النعمان وأبى المجالد جراد بن عمرو وأبى عثمان وأبى حارثة وأبى عمر مولى إبراهيم بن طلحة عن زيد بن أسلم عن أبيه قالوا إن هند ابنة عتبة قامت إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستقرضته من بيت المال أربعة آلاف تتجر فيها وتضمنها فأقرضها فخرجت فيها إلى بلاد كلب فاشترت وباعت فبلغها أن أبا سفيان وعمرو بن أبى سفيان قد أتيا معاوية فعدلت إليه من بلاد كلب فأتت معاوية وكان أبو سفيان قد طلقها قال ماأقدمك أى أمه قالت النظر إليك أى بنى إنه عمر وإنما يعمل لله وقد أتاك أبوك فخشيت أن تخرج إليه من كل شىء وأهل ذلك هو فلا يعلم الناس من أين أعطيته فيؤنبونك ويؤنبك عمر فلا يستقيلها أبداً فبعث إلى أبيه وإلى أخيه بمائة دينار وكساهما وحملهما فتعظمها عمرو فقال أبو سفيان لاتعظمها فإن هذا إعطاء لم تغب عنه هند ومشورة قد حضرتها هند ورجعوا جميعاً فقال أبو سفيان لهند أربحتِ فقالت الله أعلم معى تجارة إلى المدينة فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة فقال لها عمر لوكان مالى لتركته لك ولكنه مال المسلمين وهذه مشورة لم يغب عنها أبو سفيان فبعث إليه فحبسه حتى وفته وقال لأبى سفيان بكم أجازك معاوية فقال بمائة دينار ❊ وحدثنى عمر قال حدثنا على عن مسلمة بن محارب عن خالد الحذاء عن عبد الله بن صعصعة عن الأحنف قال أتى عبد الله بن عمير عمر وهو يفرض للناس وأستشهد أبوه يوم حنين فقال ياأمير المؤمنين افرض لى فلم يلتفت إليه فنخسه فقال عمر حس وأقبل عليه فقال من أنت قال عبد الله بن عمير قال يايرفأ أعطه ستمائة فأعطاه خمسمائة فلم يقبلها وقال أمر لى أمير المؤمنين بستمائة ورجع إلى عمر فأخبره فقال عمر يايرفأ أعطه ستمائة

وحلة فأعطاه فلبس الحلة التى كساه عمرو رمى بما كان عليه فقال له عمر يابنى خذ ثيابك هذه فتكون لمهنة أهلك وهذه لزينتك ❁ حدثنى عمر قال حدثنا على قال حدثنا أبو الوليد المكى عن رجل من ولد طلحة عن ابن عباس قال خرجت مع عمر فى بعض أسفاره فإنا لنسير ليلة وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رحله بسوطه وقال

كَذَبْتُم وَبَيْتِ ٱللهِ يُقْتَلُ أَحْمَدُ ولما نُطاعِن دونَه ونناضِل
ونُسلِمُه حتى نُصَرَّعَ حوله ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحلائل

ثم قال أستغفر الله ثم سار فلم يتكلم قليلا ثم قال :

ومَا حَمَلَتْ مِن ناقةٍ فَوْقَ رَحْلِها أَبَرَّ وأوْفَى ذِمَّةً مِن مُحَمَّدِ
وأكْسَى لِبُرْدِ الخالِ قَبْلَ ابْتِذَالِهِ وأعْطَى لرأسِ السابِقِ المُتَجَرِّدِ

ثم قال أستغفر الله ياابن عباس ما منع علياً من الخروج معنا قلت لا أدرى قال يا ابن عباس أبوك عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت ابن عمه فما منع قومكم منكم قلت لا أدرى قال لكنى أدرى يكرهون ولا يتكلم لهم قلت لم ونحن لهم كالخير قال اللهم غفراً يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فيكون بجحاً بجحاً لعلكم تقولون إن أبا بكر فعل ذلك لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ماحضره ولو جعلها لكم مانفعكم مع قربكم أنشدنى لشاعر الشعراء زهير قوله :

إذا ابْتَدَرَتْ قَيْسُ بْنُ عَيْلانَ غايَةً مِنَ المَجْدِ مَنْ يَسْبِقْ إليها يُسَوَّدِ

فأنشدته وطلع الفجر فقال اقرأ الواقعة فقرأتها ثم نزل فصلى وقرأ بالواقعة ❁ حدثنى ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر فقال بعضهم فلان أشعر وقال بعضهم بل فلان أشعر قال فأقبلت فقال عمر قد جاءكم أعلم الناس بها فقال عمر من شاعر الشعراء ياابن عباس قال فقلت زهير ابن أبى سلمى فقال عمر هلمّ من شعره ماتستدل به على ماذكرت فقلت امتدح قوماً من بنى عبد الله بن غطفان فقال :

لو كان يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أو مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

قَوْمٌ أبوهُمْ سِنانٌ حين تَنْسُبُهُمْ طابوا وطابَ مِنَ الأوْلادِ ماوَلَدُوا
إنْسٌ إذا أمِنوا جِنٌّ إذا فزعوا مُرَزَّءونَ بها ليلٌ إذا حَشَدُوا
مُحَسَّدونَ على ما كانَ من نِعَمٍ لايَنْزِعُ اللهُ مِنْهُمْ مالَهُ حُسِدُوا

فقال عمر أحسن وما أعلم أحداً أولى بهذا الشعر من هذا الحى من بنى هاشم لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتهم منه فقلت وفقت يا أمير المؤمنين ولم تزل موفقاً فقال يا ابن عباس أتدرى مامنع قومكم منهم بعد محمد فكرهت أن أجيبه فقلت إن لم أكن أدرى فأمير المؤمنين يدرينى فقال عمر كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت فقلت ياأمير المؤمنين إن تأذن لى فى الكلام وتمط عنى الغضب تكلمت فقال تكلم يا ابن عباس فقلت أما قولك ياأمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود وأما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال (ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ ٱللّٰهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) فقال عمر هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغنى عنك أشياء كنت أكره أن أفرك عنها فتزيل منزلتك منى فقلت وماهى ياأمير المؤمنين فإن كانت حقا فما ينبغى أن تزيل منزلتى منك وإن كانت باطلا فمثلى أماط الباطل عن نفسه فقال عمر بلغنى أنك تقول إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً فقلت أما قولك ياأمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم وأما قولك حسداً فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون فقال عمر هيهات أبت والله قلوبكم يابنى هاشم إلا حسداً مايحول وضغناً وغشاً مايزول فقلت مهلاً ياأمير المؤمنين لاتصب قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش فإن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلوب بنى هاشم فقال عمر إليك عنى يا ابن عباس فقلت افعل فلما ذهبت لأقوم استحيا منى فقال يا ابن عباس مكانك فوالله إنى لراع لحقك محب لما سرك فقلت ياأمير المؤمنين إن لى عليك حقا

وعلى كل مسلم فمن حفظه فحظه أصاب ومن أضاعه فحظه أخطأ ثم قام فمضى
❁ حدثنى أحمد بن عمر قال حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمى قال حدثنا عكرمة
ابن عمار عن إياس بن سلمة عن أبيه قال مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى
السوق ومعه الدرة فخفقنى بها خفقة فأصاب طرف ثوبى فقال أمط عن الطريق
فلما كان فى العام المقبل لقينى فقال ياسلمة تريد الحج فقلت نعم فأخذ بيدى فانطلق
بى إلى منزله فأعطانى ستمائة درهم وقال استعن بها على حجك واعلم أنها بالخفقة
التى خفقتك قلت ياأمير المؤمنين ماذكرتها قال وأنا مانسيتها ❁ حدثنى عبدالحميد بن
بيان قال أخبرنا محمد بن يزيد عن إسماعيل بن أبى خالد عن سلمة بن كهيل قال قال
عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيها الرعية إن لنا عليكم حقاً النصيحة بالغيب
والمعاونة على الخير إنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعم نفعاً من حلم إمام ورفقه
أيها الرعية إنه ليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعم شرا من جهل إمام وخرقه
أيها الرعية إنه من يأخذ بالعافية لمن بين ظهرانيه يؤتى الله العافية من فوقه
❁ حدثنى محمد بن إسحاق قال حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم
قال حدثنا عيسى بن يزيد بن دأب عن عبد الرحمن بن أبى زيد عن عمران بن سواد
قال صليت الصبح مع عمر فقرأ سبحان وسورة معها ثم انصرف وقمت معه فقال
أحاجة قلت حاجة قال فالحق قال فلحقت فلما دخل أذن لى فإذا هو على سرير
ليس فوقه شىء فقلت نصيحة فقال مرحباً بالناصح غدوا وعشيا قلت عابت
أمتك منك أربعاً قال فوضع رأس درته فى ذقنه ووضع أسفلها على فخذه ثم قال
هات قلت ذكروا أنك حرمت العمرة فى أشهر الحج ولم يفعل ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضى الله عنه وهى حلال قال هى حلال لو أنهم
اعتمروا فى أشهر الحج رأوها مجزية من حجهم فكانت قائبة قوب عامها فقرع
حجهم وهو بهاء من بهاء الله وقد أصبت قلت وذكروا أنك حرمت متعة النساء
وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث قال إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحلها فى زمان ضرورة ثم رجع الناس إلى السعة ثم لم

أعلم أحدا من المسلمين عمل بها ولا عاد اليها فالآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق وقد أصبت قال قلت واعتقت الأمة إن وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيدها قال ألحقت حرمة بحرمة وما أردت إلا الخير وأستغفر الله قال وتشكوا منك نهر الرعية وعنف السياق قال فشرع الدرة ثم مسحها حتى أتى على آخرها ثم قال أنا زميل محمد وكان زامله فى غزوة قرقرة الكدر فوالله إنى لأرتع فأشبع وأسقى فأروى وأنهز اللفوت وأزجر العروض وأذب قدرى وأسوق خطوى وأضم العنود وألحق القطوف وأكثر الزجر وأقل الضرب وأشهر العصا وأدفع باليد لولا ذلك لأعذرت قال فبلغ ذلك معاوية فقال كان والله عالما برعيتهم ❊ حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد قال نبئت أن عثمان قال إن عمر كان يمنع أهله وأقرباءه ابتغاء وجه الله وإنى أعطى أهلى وأقربائى ابتغاء وجه الله ولن يلقى مثل عمر ثلاثة ❊ وحدثنى على ابن سهل قال حدثنا ضمرة بن ربيعة عن عبيد الله بن أبى سليمان عن أبيه قال قدمت المدينة فدخلت دارا من دورها فإذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليه إزار قطرى يدهن إبل الصدقة بالقطران ❊ وحدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا سفيان عن حبيب عن أبى وائل قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين ❊ وحدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال حدثنا منصور بن أبى الأسود عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود بن يزيد قال كان الوفد إذا قدموا على عمر رضى الله عنه سألهم عن أميرهم فيقولون خيرا فيقول هل يعود مرضاكم فيقولون نعم فيقول هل يعود العبد فيقولون نعم فيقول كيف صنيعه بالضعيف هل يجلس على بابه فإن قالوا لخصلة منها لا عزله ❊ وحدثنا ابن حميد قال حدثنا الحكم بن بشر قال حدثنا عمرو قال كان عمر بن الخطاب يقول أربع من أمر الإسلام لست مضيعهن ولا تاركهن لشىء أبداً القوة فى مال الله وجمعه إذا جمعناه وضعناه حيث أمر الله وقعدنا آل عمر ليس فى أيدينا ولا عندنا

منه شيء والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف ألا يحبسوا ولا يجمروا وأن يوفر فىء الله عليهم وعلى عيالاتهم وأكون أنا للعيال حتى يقدموا والأنصار الذين أعطوا الله عز وجل نصيبا وقاتلوا الناس كافة أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وأن يشاوروا فى الأمر والأعراب الذين هم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ منهم صدقتهم على وجهها ولا يؤخذ منهم دينار ولا درهم وأن يرد على فقرائهم ومساكينهم (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى جريج عن نافع عن عبد الله بن عمر قال قال عمر إنى لأعلم أن الناس لا يعدلون بهذين الرجلين للذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون نجيا بينهما وبين جبريل يتبلغ عنه ويمل عليهما

قصة الشورى

❊ حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا على بن محمد عن وكيع عن الأعمش عن إبراهيم ومحمد بن عبد الله الأنصارى عن ابن أبى عروبة عن قتادة عن شهر بن حوشب وأبى مخنف عن يوسف بن يزيد عن ابن عباس بن سهل ومبارك بن فضالة عن عبيد الله ابن عمر ويونس بن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودى أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له يا أمير المؤمنين لو استخلفت قال من أستخلف لو كان أبو عبيدة ابن الجراح حياً استخلفته فإن سألنى ربى قلت سمعت نبيك يقول إنه أمين هذه الأمة ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً استخلفته فإن سألنى ربى قلت سمعت نبيك يقول إن سالما شديد الحب لله فقال له رجل أدلك عليه عبد الله بن عمر فقال قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا ويحك كيف أستخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته لا أرب لنا فى أموركم ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتى إن كان خيرا فقد أصبنا منه وإن كان شرا فشرعنا إلى عمر بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد أما لقد جهدت نفسى وحرمت أهلى وإن نجوت كفافا لا وزر ولا أجر إنى لسعيد وانظر فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير منى وإن أترك فقد ترك من هو خير منى ولن يضيع الله دينه فخرجوا ثم

راحوا فقالوا ياأمير المؤمنين لو عهدت عهدا فقال قد كنت أجمعت بعد مقالتى لكم أن أنظر فأولى رجلا أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق وأشار إلى علىّ ورهقتنى غشية فرأيت رجلا دخل جنة قد غرسها فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمه إليه ويصيره تحته فعلمت أن الله غالب أمره ومتوف عمر فما أريد أن أتحملها حيا وميتاً عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم من أهل الجنة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم ولست مدخله ولكن الستة على وعثمان ابنا عبد مناف وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وطلحة الخير ابن عبيد الله فليختاروا منهم رجلا فإذا ولوا واليا فأحسنوا مؤازرته وأعينوه إن ائتمن أحدا منكم فليؤد إليه أمانته وخرجوا فقال العباس لعلىّ لا تدخل معهم قال أكره الخلاف قال إذاترى ماتكره فلما أصبح عمر دعا علياً وعثمان وسعداً وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام فقال إنى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم وقد قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنكم راض إنى لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ولكنى أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذن منها فتشاوروا واختاروا رجلا منكم ثم قال لا تدخلوا حجرة عائشة ولكن كونوا قريبا ووضع رأسه وقد نزفه الدم فدخلوا فتناجوا ثم ارتفعت أصواتهم فقال عبد الرحمن بن عمر سبحان الله إن أمير المؤمنين لم يمت بعد فأسمعه فانتبه فقال ألا أعرضوا عن هذا أجمعون فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شىء له من الأمر وطلحة شريككم فى الأمر فإن قدم فى الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم ومن لى بطلحة فقال سعد بن أبى وقاص أنالك به ولا يخالف إن شاء الله فقال عمر أرجو أن لا يخالف إن شاء الله وما أظن أن يلى إلا أحد هذين الرجلين على أو عثمان فان ولى عثمان

فرجل فيه لين وإن ولى على قفيه دعابة وأحربه أن يحملهم على طريق الحق وإن تولوا سعداً فأهلها هو وإلا فليستعن به الوالى فانى لم أعزله عن خيانة ولا ضعف ونعم ذو الرأى عبد الرحمن بن عوف مدد رشيد له من الله حافظ فاسمعوا منه وقال لأبى طلحة الأنصارى ياأبا طلحة إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم فاختر خمسين رجلا من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الأسود إذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلا منهم وقال لصهيب صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم وأحضر عبد الله بن عمر ولا شىء له من الأمر وقم على رؤسهم فان اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رؤسهما فان رضى ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبد الله بن عمر فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس فخرجوا فقال على لقوم كانوا معه من بنى هاشم ان أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبداً وتلقاه العباس فقال عدلت عنا فقال وما علمك قال قرن بى عثمان وقال كونوا مع الأكثر فان رضى رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن فلو كان الآخران معى لم ينفعانى بله إنى لأرجو إلا أحدهما فقال له العباس لم أرفعك فى شىء إلا رجعت إلى مستأخراً بما أكره أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله فيمن هذا الأمر فأبيت وأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت وأشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت احفظ عنى واحدة كلما عرض عليك القوم فقل لا إلا أن يولوك واحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا وايم الله لا يناله إلا بشر

لا ينفع معه خير فقال على أما لئن بقى عثمان لأذكرنه ماأتى ولئن مات ليتداولنها بينهم ولئن فعلوا ليجدنى حيث يكرهون ثم تمثل:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الراقِصاتِ عشيَّةً غَدَوْنَ خِفافا فابْتَدَرْنَ المُحَصَّبا
لَيَخْتَلِيَنْ رَهْطُ ابْنِ يَعْمَرَ مارِئًا نَجِيعًا بنو الشُّدّاخِ وِرْدًا مُصلَّبَا

والتفت فرأى أبا طلحة فكره مكانه فقال أبو طلحة لم ترع أبا الحسن فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى على وعثمان أيهما يصلى عليه فقال عبد الرحمن كلاكما يحب الإمرة لستما من هذا فى شىء هذا إلى صهيب استخلفه عمر يصلى بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على إمام فصلى عليه صهيب فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى فى بيت المسور بن مخرمة ويقال فى بيت المال ويقال فى حجرة عائشة بإذنها وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة غائب وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقال تريدان أن تقولا حضرنا وكنا فى أهل الشورى فتنافس القوم فى الأمر وكثر بينهم الكلام فقال أبو طلحة أنا كنت لأن تدفعوها أخوف منى لأن تنافسوها لا والذى ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التى أمرتم ثم أجلس فى بيتى فأنظر ما تصنعون فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد فقال فأنا أنخلع منها فقال عثمان أنا أول من رضى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أمين فى الأرض أمين فى السماء فقال القوم قد رضينا وعلى ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن قال أعطنى موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الأمة فقال أعطونى مواثيقكم على أن تكونوا معى على من بدل وغير وأن ترضوا من اخترت لكم على ميثاق الله أن لا أخص ذا رحم لرحمه ولا آلو المسلمين فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله فقال لعلى إنك تقول إنى أحق من حضر بالأمر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك فى الدين ولم تبعد ولكن أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق بالأمر قال عثمان وخلا بعثمان فقال تقول شيخ من بنى عبد مناف وصهر رسول الله صلى الله عليه

وسلم وابن عمه لى سابقة وفضل لم تبعد فلم يصرف هذا الأمر عنى ولكن لو لم تحضر فأى هؤلاء الرهط تراه أحق به قال على ثم خلا بالزبير فكلمه بمثل ما كلم به عليا وعثمان فقال عثمان ثم خلا بسعد فكلمه فقال عثمان فلقى على سعدا فقال (اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) أسألك برحم ابنى هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحم عمى حمزة منك أن لا تكون مع عبدالرحمن لعثمان ظهيرا على فانى أدلى بما لا يدلى به عثمان ودار عبدالرحمن لياليه يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس يشاورهم ولا يخلو برجل إلا أمره بعثمان حتى إذا كانت الليلة التى يستكمل فى صبيحتها الأجل أتى منزل المسور بن مخرمة بعد ابهيرار من الليل فأيقظه فقال ألا أراك نائما ولم أذق فى هذه الليلة كثير غمض انطلق فادع الزبير وسعدا فدعاهما فبدأ بالزبير فى مؤخر المسجد فى الصفة التى تلى دار مروان فقال له خل ابنى عبد مناف وهذا الأمر قال نصيبى لعلى وقال لسعد أنا وأنت كلالة فاجعل نصيبك لى فأختار قال إن اخترت نفسك فنعم وإن اخترت عثمان فعلى أحب إلى أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤسنا قال يا أبا اسحاق إنى قد خلعت نفسى منها على أن أختار ولو لم أفعل وجعل الخيار إلى لم أردها إنى أريت كروضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل فلم أر فحلا قط أكرم منه فمر كأنه سهم لا يلتفت إلى شىء مما فى الروضة حتى قطعها لم يعرج ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج من الروضة ثم دخل فحل عبقرى يجر خطامه يلتفت يمينا وشمالا ويمضى قصد الأولين حتى خرج ثم دخل بعير رابع فرتع فى الروضة ولا والله لا أكون الرابع ولا يقوم مقام أبى بكر وعمر بعدهما أحد فيرضى الناس عنه قال سعد فإنى أخاف أن يكون الضعف قد أدركك فامض لرأيك فقد عرفت عهد عمر وانصرف الزبير وسعد وأرسل المسور بن مخرمة إلى على فناجاه طويلا وهو لا يشك أنه صاحب الأمر ثم نهض وأرسل المسور إلى عثمان فكان فى نجيهما حتى فرق بينهما أذان الصبح فقال عمرو بن ميمون قال لى عبد الله بن عمر يا عمرو من أخبرك أنه يعلم ما كلم

به عبدالرحمن بن عوف عليا وعثمان فقد قال بغير علم فوقع قضاء ربك على عثمان فلما صلوا الصبح جمع الرهط وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار وإلى أمراء الأجناد فاجتمعوا حتى التج المسجد بأهله فقال أيها الناس إن الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم فقال سعيد بن زيد إنا نراك لها أهلا فقال أشيروا علىّ بغير هذا فقال عمار إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليا فقال المقداد بن الأسود صدق عمار إن بايعت عليا قلنا سمعنا وأطعنا قال ابن أبي سرح إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان فقال عبدالله بن أبي ربيعة صدق إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا فشتم عمار ابن أبي سرح وقال متى كنت تنصح المسلمين فتكلم بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار أيها الناس إن الله عز وجل أكرمنا بنبيه وأعزنا بدينه فأنى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم فقال رجل من بني مخزوم لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتأمير قريش لأنفسها فقال سعد بن أبي وقاص يا عبد الرحمن أفرغ قبل أن يفتتن الناس فقال عبد الرحمن إني قد نظرت وشاورت فلا تجعلنّ أيها الرهط على أنفسكم سبيلا ودعا عليا فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده قال أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي قال نعم فبايعه فقال علىّ حبوته حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر اليك والله كل يوم هو في شأن فقال عبد الرحمن يا علي لا تجعل على نفسك سبيلا فإني قد نظرت وشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان فخرج علي وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله فقال المقداد يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون فقال يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين قال إن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين فقال المقداد ما رأيت مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم إني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلا ما أقول أن أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل أما والله لو أجد عليه أعوانا فقال

عبد الرحمن يا مقداد اتق الله فإنى خائف عليك الفتنة فقال رجل للمقداد رحمك الله من أهل هذا البيت ومن هذا الرجل قال أهل البيت بنو عبد المطلب والرجل على بن أبى طالب فقال علىّ إن الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر إلى بيتها فتقول إن ولى عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً وما كانت فى غيرهم من قريش تداولتموها بينكم وقدم طلحة فى اليوم الذى بويع فيه لعثمان فقيل له بايع عثمان فقال أكل قريش راض به قال نعم فأتى عثمان فقال له عثمان أنت على رأس أمرك إن أبيت رددتها قال أتردها قال نعم قال أكل الناس بايعوك قال نعم قال قد رضيت لا أرغب عما قد أجمعوا عليه وبايعه وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن يا أبا محمد قد أصبت إذ بايعت عثمان وقال لعثمان لو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا فقال عبد الرحمن كذبت يا أعور لو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة وقال الفرزدق

صـلّى صُهَيْبٌ ثلاثاً ثمَّ أرْسَلَها ... على ابنِ عَفّانَ مُلْكا غيرمقصورِ
خِلافةً من أبى بكر لصاحبِهِ ... كانوا أخِـلّاءَ مَهْدِيّ ومأمورِ

وكان المسور بن مخرمة يقول ما رأيت رجلا بذ قوماً فيما دخلوا فيه بأشد مما بذهم عبد الرحمن بن عوف (قال أبو جعفر) وأما المسور بن مخرمة فإن الرواية عندنا عنه ما حدثنى سالم بن جنادة أبو السائب قال حدثنا سليمان بن عبد العزيز ابن أبى ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثنا أبى عن عبد الله ابن جعفر عن أبيه عن المسور بن مخرمة وكانت أمه عاتكة ابنة عوف فى الخبر الذى قد مضى ذكرى أوله فى مقتل عمر بن الخطاب قال ونزل فى قبره يعنى فى قبر عمر الخمسة يعنى أهل الشورى قال ثم خرجوا يريدون بيوتهم فناداهم عبد الرحمن إلى أين هلموا فتبعوه وخرج حتى دخل بيت فاطمة ابنة قيس الفهرية أخت الضحاك ابن قيس الفهرى قال بعض أهل العلم بل كانت زوجته وكانت نجوداً يريد ذات رأى قال فبدأ عبد الرحمن بالكلام فقال يا هؤلاء إن عندى رأياً وإن لكم نظراً فاسمعوا تعلموا وأجيبوا تفقهوا فإن حابياً [illegible] عمرو من أخبرك أنه يعلم ما كلم

بارد أنقع من عذب موب أنتم أئمة يهتدى بكم وعلماء يصدر إليكم فلا تفلوا المدى بالاختلاف بينكم ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوتروا ثأركم وتولتوا أعمالكم لكل أجل كتاب ولكل بيت إمام بأمره يقومون وبنهيه يرعوون. قلدوا أمركم واحداً منكم تمشوا الهوينا وتلحقوا الطلب لولا فتنة عمياء وضلالة حيراء يقول أهلها مايرون وتحلهم الحبوكرى ماعدت نياتكم معرفتكم ولا أعمالكم نياتكم احذروا نصيحة الهوى ولسان الفرقة فإن الحيلة فى المنطق أبلغ من السيوف فى الكلم علقوا أمركم رحب الذراع فيما حل مأمون الغيب فيما نزل رضا منكم وكلكم رضاً ومقترعاً منكم وكلكم منتهى لا تطيعوا مفسداً ينتصح ولا تخالفوا مرشداً ينتصر أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ثم تكلم عثمان بن عفان فقال الحمد لله الذى اتخذ محمداً نبيا وبعثه رسولا صدقه وعده ووهب له نصره على كل من بعد نسبا أو قرب رحما صلى الله عليه وسلم جعلنا الله له تابعين وبأمره مهتدين فهو لنا نور ونحن بأمره نقوم عند تفرق الأهواء ومجادلة الأعداء جعلنا الله بفضله أئمة وبطاعته أمراء لا يخرج أمرنا منا ولا يدخل علينا غيرنا إلا من سفه الحق ونكل عن القصد وأحر بها يا ابن عوف أن تترك وأجدر بها أن تكون إن خولف أمرك وترك دعاؤك فأنا أول مجيب لك وداع اليك وكفيل بما أقول زعيم وأستغفر الله لى ولكم ثم تكلم الزبير بن العوام بعده فقال أما بعد فإن داعى الله لا يجهل ومجيبه لا يخذل عند تفرق الأهواء ولى الأعناق ولن يقصر عما قلت إلا غوى ولن يترك مادعوت اليه إلا شقى لولا حدود لله فرضت وفرائض لله حدت تراح على أهلها وتحيا لا تموت لكان الموت من الامارة نجاة والفرار من الولاية عصمة ولكن لله علينا إجابة الدعوة وإظهار السنة لئلا نموت ميتة عِمِّيَّة ولا نعمى عمى جاهلية فأنا مجيبك إلى مادعوت ومعينك على ما أمرت ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله لى ولكم ثم تكلم سعد بن أبى وقاص فقال الحمد لله بديئاً كان وآخراً يعود [illegible] الضلال [illegible] نى من الغواية فبهدى الله فاز من نجا وبرحمته ما أقول أن أحداً أعلم ولا أقضى من [illegible] الله عليه وسلم أنارت الطرق واستقامت

السبل وظهر كل حق ومات كل باطل إياكم أيها النفر وقول الزور وأمنية أهل الغرور فقد سلبت الأمانى قوما قبلكم ورثوا ماورثتم ونالوا مانلتم فاتخذهم الله عدوا ولعنهم لعنا كبيراً قال الله عز وجل (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) إنى نكبت قرنى فأخذت سهمى الفالج وأخذت لطلحة بن عبيدالله ماارتضيت لنفسى فأنا به كفيل وبما أعطيت عنه زعيم والأمر إليك يا ابن عوف بجهد النفس وقصد النصح وعلى الله قصد السبيل واليه الرجوع وأستغفر الله لى ولكم وأعوذ بالله من مخالفتكم ثم تكلم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال الحمد لله الذى بعث محمداً منا نبياً وبعثه الينا رسولا فنحن بيت النبوة ومعدن الحكمة وأمان أهل الأرض ونجاة لمن طُلب لنا حق إن نعطه نأخذه وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السرى لو عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً لأنفذنا عهده ولو قال لنا قولا لجادلنا عليه حتى نموت لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة حق وصلة رحم ولا حول ولا قوة إلا بالله اسمعوا كلامى وعوا منطقى عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع تُنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى تكونوا جماعة ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة ثم أنشأ يقول :

فإن تكُ جاسمٌ هَلَكَتْ فإنى ... بما فعلتْ بنو عبدِ بنِ ضخْمِ

مُطيعٌ فى الهواجِرِ كلَّ عَيٍّ ... بَصيرٌ بالنَّوَى من كلِّ نَجْمِ

فقال عبد الرحمن أيكم يطيب نفساً أن يخرج نفسه من هذا الأمر ويوليه غيره قال فأمسكوا عنه قال فإنى أخرج نفسى وابن عمى فقلده القوم الأمر وأحلفهم عند المنبر فحلفوا ليبايعُن من بايع وإن بايع بإحدى يديه الأخرى فأقام ثلاثا فى داره التى عند المسجد التى يقال لها اليوم رحبة القضاء وبذلك سميت رحبة القضاء فأقام ثلاثا يصلى بالناس صهيب قال وبعث عبد الرحمن إلى علىّ فقال له إن لم أبايعك فأشر علىّ فقال عثمان ثم بعث إلى عثمان فقال إن لم أبايعك فمن تشير علىّ قال علىّ ثم قال لهما

انصرفا فدعا الزبير فقال إن لم أبايعك فمن تشير علىّ قال عثمان ثم دعا سعداً فقال من تشير علىّ فأما أنا وأنت فلا نريدها فمن تشير علىّ قال عثمان فلما كانت الليلة الثالثة قال يامسور قلت لبيك قال إنك لنائم والله ما اكتحلت بغماض منذ ثلاث اذهب فادع لى عليا وعثمان قال قلت ياخال بأيهما أبدأ قال بأيهما شئت قال فخرجت فأتيت عليا وكان هواى فيه فقلت أجب خالى فقال بعثك معى إلى غيرى قلت نعم؛ قال إلى من؟ قلت إلى عثمان، قال فأينا أمرك أن تبدأ به قلت قد سألته فقال بأيهما شئت فبدأت بك وكان هواى فيك قال فخرج معى حتى أتينا المقاعد فجلس عليها علىّ ودخلت على عثمان فوجدته يوتر مع الفجر فقلت أجب خالى فقال بعثك معى إلى غيرى قلت نعم إلى علىّ قال بأينا أمرك أن تبدأ قلت سألته فقال بأيهما شئت وهذا على على المقاعد فخرج معى حتى دخلنا جميعاً على خالى وهو فى القبلة قائم يصلى فانصرف لما رآنا ثم التفت إلى على وعثمان فقال إنى قد سألت عنكما وعن غيركما فلم أجد الناس يعدلون بكما هل أنت ياعلىّ مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبى بكر وعمر فقال اللهم لا ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى فالتفت إلى عثمان فقال هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبى بكر وعمر قال اللهم نعم فأشار بيده إلى كتفيه وقال إذا شئتما فنهضنا حتى دخلنا المسجد وصاح صائح الصلاة جامعة قال عثمان فتأخرت والله حياء لما رأيت من إسراعه إلى علىّ فكنت فى آخر المسجد قال وخرج عبد الرحمن بن عوف وعليه عمامته التى عممه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلداً سيفه حتى ركب المنبر فوقف وقوفا طويلا ثم دعا بما لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال أيها الناس إنى قد سألتكم سرا وجهرا عن إمامكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما على وإما عثمان فقم إلى ياعلى فقام اليه علىّ فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبى بكر وعمر قال اللهم لا ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى قال فأرسل يده ثم نادى قم إلىّ ياعثمان فأخذ بيده وهو فى موقف علىّ الذى كان فيه فقال هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبى بكر وعمر قال اللهم نعم قال فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده فى يد عثمان ثم قال اللهم اسمع واشهد اللهم إنى قد جعلت ما فى رقبتى من ذاك فى رقبة

عثمان قال وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه عند المنبر فقعد عبد الرحمن مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر وأقعد عثمان على الدرجة الثانية فجعل الناس يبايعونه وتلكأ على فقال عبد الرحمن ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما فرجع على يشق الناس حتى بايع وهو يقول خدعة وأيما خدعة قال عبد العزيز وانما سبب قول على خدعة أن عمرو ابن العاص كان قد لقى علياً فى ليالى الشورى فقال إن عبد الرحمن رجل مجتهد وإنه متى أعطيته العزيمة كان أزهد له فيك ولكن الجهد والطاقة فانه أرغب له فيك قال ثم لقى عثمان فقال إن عبد الرحمن رجل مجتهد وليس والله يبايعك إلا بالعزيمة فاقبل فلذلك قال على خدعة قال ثم انصرف بعثمان إلى بيت فاطمة ابنة قيس فجلس والناس معه فقام المغيرة بن شعبة خطيباً فقال يا أبا محمد الحمد لله الذى وفقك والله ما كان لها غير عثمان وعلى جالس فقال عبد الرحمن يا ابن الدباغ ما أنت وذاك والله ما كنت أبايع أحداً إلا قلت فيه هذه المقالة قال ثم جلس عثمان فى جانب المسجد ودعا عبيد الله بن عمر وكان محبوساً فى دار سعد بن أبى وقاص وهو الذى نزع السيف من يده بعد قتله جفينة والهرمزان وابنة أبى لؤلؤة وكان يقول والله لأقتلن رجالا ممن شرك فى دم أبى يعرض بالمهاجرين والأنصار فقام اليه سعد فنزع السيف من يده وجذب شعره حتى أضجعه إلى الأرض وحبسه فى داره حتى أخرجه عثمان اليه فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار أشيروا على فى هذا الذى فتق فى الإسلام ما فتق فقال على أرى أن تقتله فقال بعض المهاجرين قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك قال عثمان أنا وليهم وقد جعلتها دية واحتملتها فى مالى قال وكان رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد البياضى إذا رأى عبيد الله بن عمر قال

ألا يا عبيد الله مالك مهرب ولا مَلْجَأٌ من ابن أَرْوَى ولا خَفَرْ
أصبتَ دَمًا والله فى غيرِ حِلّه حراماً وقتلُ الهُرْمُزانِ له خَطَرْ

على غيرِ شيءٍ غيرَ أن قال قائلٌ أَتتهمُون الهُرمزَان على عمرْ
فقال سَـفيهٌ والحوادثُ جَمَّة نَعم أَتهِمهُ قد أشـار وقد أمرْ
وكان سلاحُ العبدِ فى جوفِ بيتِه يُقلّبها والأمرُ بالأمرِ يُعتَبرْ

قال فشكا عبيد الله بن عمر إلى عثمان زياد بن لبيد وشعره فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه قال فأنشأ زياد يقول فى عثمان:

أبا عمرو عبيـد الله رَهْنٌ فلا تَشكُكْ بقَتْلِ الهُرمزَان
فإنك إن غَفَرْتَ الجرْمَ عنه وأسبابُ الخَطا فَرَسا رِهانِ
أتَعْفو إذ عَفوتَ بغيرِ حَقّ فما لك بالذى تَحْكى يدان

فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه وشذ به (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبى بكر قال غداة طعن عمر مررت على أبى لؤلؤة عشى أمس ومعه جفينة والهرمزان وهم نجى فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه فانظروا بأى شيء قتل وقد تخلل أهل المسجد وخرج فى طلبه رجل من بنى تميم فرجع اليهم التميمى وقد كان ألظ بأبى لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه فقتله وجاء بالخنجر الذى وصف عبد الرحمن بن أبى بكر فسمع بذلك عبيد الله بن عمر فأمسك حتى مات عمر ثم اشتمل على السيف فأتى الهرمزان فقتله فلما عضه السيف قال لا إله إلا الله ثم مضى حتى أتى جفينة وكان نصرانيا من أهل الحيرة ظئرا لسعد بن مالك أقدمه إلى المدينة للصلح الذى بينه وبينهم وليعلم بالمدينة الكتابة فلما علاه بالسيف صلب بين عينيه وبلغ ذلك صهيباً فبعث إليه عمرو بن العاص فلم يزل به وعنه ويقول السيف بأبى وأمى حتى ناوله إياه وثاوره سعد فأخذ بشعره وجاؤا إلى صهيب

عمال عمر رضى الله عنه على الأمصار

وكان عامل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى السنة التى قتل فيها وهى سنة ٢٣ على مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعى وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفى وعلى صنعاء يعلى بن منية حليف بنى نوفل بن عبد مناف وعلى الجند عبد الله بن

أبي ربيعة وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى البصرة أبو موسى الأشعرى وعلى مصر عمرو بن العاص وعلى حمص عمير بن سعد وعلى دمشق معاوية بن ابن سفيان وعلى البحرين وما والاهما عثمان بن أبي العاص الثقفى (وفى هذه السنة) أعنى سنة ٢٣ توفى فيما زعم الواقدى قتادة بن النعمان الظفرى وصلى عليه عمر ابن الخطاب وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية ومعه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة بن الصامت وأبو أيوب خالد بن زيد وأبو ذر وشداد بن أوس (وفيها) فتح معاوية عسقلان على صلح (وقيل) كان على قضاء الكوفة فى السنة التى توفى فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه شريح وعلى البصرة كعب بن سور وأما مصعب بن عبد الله فانه ذكر أن مالك بن أنس روى عن ابن شهاب أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لم يكن لهما قاض

ثم دخلت سنة أربع وعشرين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

(ففيها) بويع لعثمان بن عفان بالخلافة واختلف فى الوقت الذى بويع له فيه فقال بعضهم ما حدثنى به الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن عثمان بن محمد الأخنسى قال وأخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن يعقوب بن زيد عن أبيه قالا بويع عثمان بن عفان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذى الحجة سنة ٢٣ فاستقبل بخلافته المحرم سنة ٢٤ وقال آخرون ما حدثنى به أحمد بن ثابت الرازى عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال بويع لعثمان عام الرعاف سنة ٢٤ (قيل) إنما قيل لهذه السنة عام الرعاف لأنه كثر الرعاف فيها فى الناس وقال آخرون فيما كتب به إلى السرى عن شعيب عن سيف عن خليد بن ذفرة ومجالد قالا استخلف عثمان لثلاث مضين من المحرم سنة ٢٤ فخرج فصلى بالناس العصر وزاد ووفد فاستن به (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عمر عن الشعبى قال

اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضين من المحرم وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الأذان والاقامة فخرج فصلى بالناس وزاد الناس مائة ووفد أهل الأمصار وهو أول من صنع ذلك (وقال آخرون) فيما ذكر ابن سعد عن الواقدى عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال بويع لعثمان لعشر مضين من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليال

خطبة عثمان رضى الله عنه وقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن بدر بن عثمان عن عمه قال لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبة فأتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال إنكم فى دار قلعة وفى بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فانه لا يغفل عنكم أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا ألم تلفظهم ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة فان الله قد ضرب لها مثلا والذى هو خير فقال عز وجل (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ـ إلى قوله ـ أَمَلًا) وأقبل الناس يبايعونه (وكتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى منصور قال سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه قال كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض فمر فيروز بأبى ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه وقال ما تصنع بهذا فى هذه البلاد فقال أبس به فرآه رجل فلما أصيب عمر قال رأيت هذا مع الهرمزان دفعه إلى فيروز فأقبل عبيد الله فقتله فلما ولى عثمان دعانى فأمكننى منه ثم قال يا بنى هذا قاتل أبيك وأنت أولى به منا فاذهب فاقتله فخرجت به وما فى الأرض أحد إلا معى إلا أنهم يطلبون إلى فيه فقلت لهم ألى قتله قالوا نعم وسبوا عبيد الله فقلت أفلكم أن تمنعوه قالوا لا وسبوه فتركته لله ولهم فاحتملونى فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤس الرجال وأكفهم

ولاية سعد بن أبى وقاص الكوفة

﴿وفى هذه السنة﴾ عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولاها سعد بن أبى وقاص فيما كتب به إلىّ السرى عن شعيب عن سيف عن المجالد عن الشعبي قال كان عمر قال أوصى الخليفة من بعدى أن يستعمل سعد بن أبى وقاص فانى لم أعزله عن سوء وقد خشيت أن يلحقه من ذلك وكان أول عامل بعث به عثمان سعد بن أبى وقاص على الكوفة وعزل المغيرة بن شعبة والمغيرة يومئذ بالمدينة فعمل عليها سعد سنة وبعض أخرى وأقر أبا موسى سنوات وأما الواقدى فانه ذكر أن أسامة بن زيد بن أسلم حدثه عن أبيه أن عمر أوصى أن يقر عماله سنة فلما ولى عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ثم عزله واستعمل سعد بن أبى وقاص ثم عزله واستعمل الوليد بن عقبة فان كان صحيحا ما رواه الواقدى من ذلك فولاية سعد الكوفة من قبل عثمان كانت سنة ٢٥

كتب عثمان رضى الله عنه إلى عماله وولاته والعامة

﴿كتب إلىّ السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة باسنادهما قالا لما ولى عثمان بعث عبد الله بن عامر إلى كابل وهى عمالة سجستان فبلغ كابل حتى استفرغها فكانت عمالة سجستان أعظم من خراسان حتى مات معاوية وامتنع أهل كابل قالوا وكان أول كتاب كتبه عثمان إلى عماله أما بعد فان الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم اليهم أن يكونوا جباة وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة لم يخلقوا جباة وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة فاذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم ثم العدو الذى تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء قالوا وكان أول كتاب كتبه الى أمراء الأجناد فى الفروج: أما بعد فانكم حماة المسلمين وذادتهم وقد وضع لكم عمر مالم يغب عنا بل كان عن ملإ منا ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم فانظروا كيف تكونون فانى أنظر فيما ألزمنى الله النظر فيه والقيام عليه. قالوا وكان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج: أما بعد فان الله خلق الخلق بالحق

يقبل الا الحق خذوا الحق وأعطوا الحق به والأمانة الأمانة قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم والوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فان الله خصم لمن ظلمهم قالوا وكان كتابه إلى العامة أما بعد فانكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم فان أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم تكامل النعم وبلوغ أولادكم من السبايا وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكفر فى العجمة فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا (وكتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن عاصم بن سليمان عن عامر الشعبي قال أول خليفة زاد الناس فى أعطياتهم مائة عثمان فجرت وكان عمر يجعل لكل نفس منفوسة من أهل الفىء فى رمضان درهما فى كل يوم وفرض لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم درهمين درهمين فقيل له لو صنعت لهم طعاما فجمعتهم عليه فقال أشبع الناس فى بيوتهم فأقر عثمان الذى كان صنع عمر وزاد فوضع طعام رمضان فقال للمتعبد الذى يتخلف فى المسجد وابن السبيل والمعترين بالناس فى رمضان (وفى هذه السنة) أعنى سنة أربع وعشرين غزا الوليد بن عقبة آذربيجان وأرمينية لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر فى رواية أبى مخنف وأما فى رواية غيره فإن ذلك كان فى سنة ٢٦

ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمر المسلمين وأمرهم فى هذه الغزوة

ذكر هشام بن محمد أن أبا مخنف حدثه عن فروة بن لقيط الأزدى ثم الغامدى أن مغازى أهل الكوفة كانت الرى وآذربيجان وكان بالثغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة ستة آلاف بآذربيجان وأربعة آلاف بالرى وكان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف فى كل سنة فكان الرجل يصيبه فى كل أربع سنين غزوة فغزا الوليد بن عقبة فى إمارته على الكوفة فى سلطان عثمان آذربيجان وأرمينية فدعا سلمان بن ربيعة الباهلى فبعثه أمامه مقدمة له وخرج الوليد فى جماعة الناس وهو يريد أن يمعن فى أرض

أرمينية فمضى فى الناس حتى دخل آذربيجان فبعث عبد الله بن شُبيل بن عوف الأحمسى فى أربعة آلاف فأغار على أهل موقان والببر والطيلسان فأصاب من أموالهم وغنم وتحرز القوم منه وسبى منهم سبيا يسيراً فأقبل إلى الوليد بن عقبة ثم إن الوليد صالح أهل آذربيجان على ثمانمائة ألف درهم وذلك هو الصلح الذى كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنين وعشرين بعد وقعة نهاوند بسنة ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر فلما ولى عثمان وولى الوليد بن عقبة الكوفة سار حتى وطئهم بالجيش فلما رأوا ذلك انقادوا له وطلبوا اليه أن يتم لهم على ذلك الصلح ففعل فقبض منهم المال وبث فيمن حولهم من أعداء المسلمين الغارات فلما رجع اليه عبد الله بن شبيل الأحمسى من غارته تلك وقد سلم وغنم بعث سلمان بن ربيعة الباهلى الى أرمينية فى اثنى عشر ألفا سنة أربع وعشرين فسار فى أرض أرمينية فقتل وسبى وغنم ثم إنه انصرف وقد ملأ يديه حتى أتى الوليد فانصرف الوليد وقد ظفر وأصاب حاجته

إجلاب الروم على المسلمين واستمداد المسلمين من بالكوفة

﴿وفى هذه السنة﴾ فى رواية أبى مخنف جاشت الروم حتى استمد من بالشأم من جيوش المسلمين من عثمان مدداً

ذكر الخبر عن ذلك

قال هشام حدثنى أبو مخنف قال حدثنى فروة بن لقيط الأزدى قال لما أصاب الوليد حاجته من أرمينية فى الغزوة التى ذكرتها فى سنة أربع وعشرين من تاريخه ودخل الموصل فنزل الحديثة أتاه كتاب من عثمان رضى الله عنه: أما بعد فإن معاوية بن أبى سفيان كتب إلىّ يخبرنى أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة فاذا أتاك كتابى هذا فابعث رجلا ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه فى ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف اليهم من المكان الذى يأتيك فيه رسولى والسلام فقام الوليد فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فإن الله قد أبلى

المسلمين فى هذا الوجه بلاء حسنا رد عليهم بلادهم التى كفرت وفتح بلاداً لم تكن افتتحت وردهم سالمين غانمين مأجورين فالحمد لله رب العالمين وقد كتب إلى أمير المؤمنين يأمرنى أن أندب منكم مابين العشرة الآلاف إلى الثمانية الآلاف تمدون إخوانكم من أهل الشأم فانهم قد جاشت عليهم الروم وفى ذلك الأجر العظيم والفضل المبين فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلى قال فانتدب الناس فلم يمض ثالثة حتى خرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشأم إلى أرض الروم وعلى جند أهل الشأم حبيب بن مسلمة بن خالد الفهرى وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة فشنوا الغارات على أرض الروم فأصاب الناس ماشاؤا من سبى وملؤا أيديهم من المغنم وافتتحوا بها حصونا كثيرة وزعم الواقدى أن الذى أمد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وقال كان سبب ذلك أن عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يغزى حبيب بن مسلمة فى أهل الشأم أرمينية فوجهه اليها فبلغ حبيبا أن الموريان الرومى قد توجه نحوه فى ثمانين ألفا من الروم والترك فكتب بذلك حبيب إلى معاوية فكتب معاوية به إلى عثمان فكتب عثمان إلى سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب بن مسلمة فأمده بسلمان بن ربيعة فى ستة آلاف وكان حبيب صاحب كيد فأجمع على أن يبيت الموريان فسمعته امرأته أم عبد الله بنت يزيد الكلبية يذكر ذلك فقالت له فأين موعدك قال سرادق الموريان أو الجنة ثم بيتهم فقتل من أشرف له وأتى السرادق فوجد امرأته قد سبقت وكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق ومات عنها حبيب فخلف عليها الضحاك بن قيس الفهرى فهى أم ولده ﴿واختلف﴾ فيمن حج بالناس فى هذه السنة فقال بعضهم حج بالناس فى هذه السنة عبد الرحمن ابن عوف بأمر عثمان كذلك قال أبو معشر والواقدى وقال آخرون بل حج فى هذه السنة عثمان بن عفان وأما الاختلاف فى الفتوح التى نسبها بعض الناس إلى أنها كانت فى عهد عمر وبعضهم إلى أنها كانت فى إمارة عثمان فقد ذكرت قبل فيما مضى من كتابنا هذا ذكر اختلاف المختلفين فى تاريخ كل فتح كان من ذلك

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

ذكر الأحداث المشهورة التى كانت فيها

فقال أبو معشر فيما حدثنى أحمد بن ثابت الرازى قال حدثنى محدث عن إسحاق ابن عيسى عنه كانت اسكندرية سنة ٢٥ وقال الواقدى وفى هذه السنة نقضت الاسكندرية عهدها فغزاهم عمرو بن العاص فقتلهم وقد ذكرنا خبرها قبل فيما مضى ومن خالف أبامعشر والواقدى فى تأريخ ذلك (وفيها) كان أيضا فى قول الواقدى توجيه عبد الله بن سعد بن أبى سرح الخيل إلى المغرب قال وكان عمرو ابن العاص قد بعث بعثاً قبل ذلك إلى المغرب فأصابوا غنائم فكتب عبد الله يستأذنه فى الغزو إلى إفريقية فأذن له قال وحج بالناس فى هذه السنة عثمان واستخلف على المدينة قال وفيها فتح الحصون وأميرهم معاوية بن أبى سفيان قال وفيها ولد يزيد بن معاوية قال وفيها كانت سابور الأولى

ثم دخلت سنة ست وعشرين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فكان فيها فى قول أبى معشر والواقدى فتح سابور وقد مضى ذكر الخبر عنها فى قول من خالفهما فى ذلك وقال الواقدى فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم وقال فيها زاد عثمان فى المسجد الحرام وسعه وابتاع من قوم وأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الأثمان فى بيت المال فصيحوا بعثمان فأمر بهم بالحبس وقال أتدرون ماجرأكم علىّ ماجرأكم علىّ؟ إلا حلمى قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به ثم كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجوا قال وحج بالناس فى هذه السنة عثمان بن عفان (وفى هذه السنة) عزل عثمان سعدا عن الكوفة وولاها الوليد بن عقبة فى قول الواقدى وأما فى قول سيف فانه عزله عنها فى سنة ٢٥ وفيها ولى الوليد عليها وذلك أنه زعم أنه عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة حين مات عمر ووجه سعدا إليها عاملا فعمل له عليها سنة وأشهرا

ذكر سبب عزل عثمان عن الكوفة سعدا واستعماله عليها الوليد

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبى قال كان أول ما نزغ به بين أهل الكوفة وهو أول مصر نزغ الشيطان بينهم فى الاسلام أن سعد ابن أبى وقاص استقرض من عبدالله بن مسعود من بيت المال مالا فأقرضه فلما تقاضاه لم يتيسر عليه فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبدالله بأناس من الناس على استخراج المال واستعان سعد بأناس من الناس على استنظاره فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا يلوم هؤلاء سعدا ويلوم هؤلاء عبدالله (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال كنت جالسا عند سعد وعنده ابن أخيه هاشم بن عتبة فأتى ابن مسعود سعدا فقال له أد المال الذى قبلك فقال له سعد ماأراك إلا ستلقى شرا هل أنت إلا ابن مسعود عبد من هذيل فقال أجل والله إنى لابن مسعود وإنك لابن حمينة فقال هاشم أجل والله إنكما لصاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليكما فطرح سعد عودا كان فى يده وكان رجلا فيه حدة ورفع يديه وقال اللهم رب السموات والأرض فقال عبد الله ويلك قل خيرا ولا تلعن فقال سعد عند ذلك أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لاتخطئك فولى عبد الله سريعا حتى خرج (وكتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن القاسم بن الوليد عن المسيب عن عبدخير عن عبد الله بن عكى قال لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام فى قرض أقرضه عبد الله إياه فلم يتيسر على سعد قضاؤه غضب عليهما عثمان وانتزعها من سعد وعزله وغضب على عبد الله وأقره واستعمل الوليد بن عقبة وكان عاملا لعمر على ربيعة بالجزيرة فقدم الكوفة فلم يتخذ لداره بابا حتى خرج من الكوفة (وكتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما بلغ عثمان الذى كان بين عبد الله وسعد فيما كان غضب عليهما وهم بهما ثم ترك ذلك وعزل سعدا وأخذ ماعليه وأقر عبد الله وتقدم إليه وأمر مكان سعد الوليد بن عقبة وكان على عرب الجزيرة عاملا لعمر بن الخطاب فقدم الوليد فى السنة الثانية من

إمارة عثمان وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى فقدم الكوفة وكان أحب الناس فى الناس وأرفقهم بهم فكان بذلك خمس سنين وليس على داره باب

ثم دخلت سنة سبع وعشرين

ذكر الأحداث المشهورة التى كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك فتح افريقية على يد عبد الله بن سعد بن أبى سرح كذلك حدثنى أحمد بن ثابت الرازى قال حدثنا محدث عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر وهو قول الواقدى أيضا

ذكر الخبر عن فتحها وعن سبب ولاية عبد الله بن سعد ابن أبى سرح مصر وعزل عثمان عمرو بن العاص عنها

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص وعلى قضائها خارجة بن فلان فولى عثمان فأقرهما سنتين من إمارته ثم عزل عمراً واستعمل عبد الله بن سعد بن أبى سرح (وكتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى حارثة وأبى عثمان قالا لما ولى عثمان أقر عمرو بن العاص على عمله وكان لا يعزل أحداً إلا عن شكاة أو استعفاء من غير شكاة وكان عبد الله بن سعد من جند مصر فأمر عبد الله بن سعد على جنده ورماه بالرجال وسرحه إلى افريقية وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين وقال لعبد الله بن سعد إن فتح الله عز وجل عليك غدا افريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلا وأمر العبدين على الجند ورماهما بالرجال وسرحهما إلى الأندلس وأمرهما وعبد الله بن سعد بالاجتماع على الأجل ثم يقيم عبد الله ابن سعد فى عمله ويسيران إلى عملهما فخرجوا حتى قطعوا مصر فلما وغلوا فى أرض افريقية فأمعنوا انتهوا إلى الأجل ومعه الافناء فاقتتلوا فقتل الأجل قتله عبد الله ابن سعد وفتح افريقية سهلها وجبلها ثم اجتمعوا على الإسلام وحسنت طاعتهم وقسم عبد الله ما أفاء الله عليهم على الجند وأخذ خمس الخمس وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع ابن وثيمة النصرى وضرب فسطاطاً فى موضع القيروان ووفد وفداً

فشكوا عبدالله فيما أخذ فقال لهم أنا نفلته وكذلك كان يصنع وقد أمرت له بذلك وذاك إليكم الآن فإن رضيتم فقد جاز وإن سخطتم فهو رد قالوا فإنا نسخطه قال فهو رد وكتب إلى عبدالله برد ذلك واستصلاحهم قالوا فاعزله عنا فإنا لا نريد أن يتأمر علينا وقد وقع ما وقع فكتب إليه أن استخلف على افريقية رجلا ممن ترضى ويرضون واقسم الخمس الذى كنت نفلتك فى سبيل الله فإنهم قد سخطوا النفل ففعل ورجع عبدالله بن سعد إلى مصر وقد فتح افريقية وقتل الأجل فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبدالملك أحسن أمة سلاما وطاعة حتى دب إليهم أهل العراق فلما دب اليهم دعاة أهل العراق واستثاروهم شقوا عصاهم وفرقوا بينهم إلى اليوم وكان من سبب تفريقهم أنهم ردوا على أهل الأهواء فقالوا إنا لا نخالف الأئمة بما تجنى العمال ولا نحمل ذلك عليهم فقالوا لهم إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا لهم لا تقبل ذلك حتى نبورهم فخرج ميسرة فى بضعة عشر إنسانا حتى يقدم على هشام فطلبوا الإذن فصعب عليهم فأتوا الأبرش فقالوا أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا أصاب نفلهم دوننا وقال هم أحق به فقلنا هو أخلص لجهادنا لأنا لا نأخذ منه شيئا إن كان لنا فهم منه فى حل وإن لم يكن لنا لم نرده وقالوا إذا حاصرنا مدينة قال تقدموا وأخر جنده فقلنا تقدموا فإنه ازدياد فى الجهاد ومثلكم كفى إخوانه فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها عن السخال يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة فى جلد فقلنا ما أيسر هذا لأمير المؤمنين فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا لم نجد هذا فى كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فأحببنا أن نعلم أعن رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا قال نفعل فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم كتبوا أسماءهم فى رقاع ورفعوها إلى الوزراء وقالوا هذه أسماؤنا وأنسابنا فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه ثم كان وجههم إلى افريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على افريقية وبلغ هشاما الخبر وسأل عن النفر فرفعت إليه أسماؤهم فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا ﴿وكتب إلىّ السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وأرسل عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع

ابن عبد القيس من فورهما ذلك من افريقية إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان إلى من انتدب من أهل الأندلس أما بعد فان القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس وإنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها فى الأجر والسلام وقال كعب الأحبار يعبر البحر إلى الأندلس أقوام يفتتحونها يعرفون بنورهم يوم القيامة (وكتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا فخرجوا ومعهم البربر فأتوها من برها وبحرها ففتحها الله على المسلمين وإفرنجة وازدادوا فى سلطان المسلمين مثل افريقية فلما عزل عثمان عبد الله بن سعد بن أبى سرح صرف إلى عمله عبد الله بن نافع بن عبد قيس وكان عليها ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر ولم يزل أمر الأندلس كأمر افريقية حتى كان زمان هشام فمنع البربر أرضهم وبقى من فى الأندلس على حاله (وأما الواقدى) فانه ذكر أن ابن أبى سبرة حدثه عن محمد بن أبى حرملة عن كريب قال لما نزع عثمان عمرو بن العاص عن مصر غضب عمرو غضباً شديداً وحقد على عثمان فوجه عبد الله بن سعد وأمره أن يمضى إلى افريقية وندب عثمان الناس إلى افريقية فخرج إليها عشرة آلاف من قريش والأنصار والمهاجرين (قال الواقدى) وحدثنى أسامة بن زيد الليثى عن ابن كعب قال لما وجه عثمان عبد الله بن سعد إلى افريقية كان الذى صالحهم عليه بطريق افريقية جرجير ألفى ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار فبعث ملك الروم رسولا وأمره أن يأخذ منهم ثلثمائة قنطار كما أخذ منهم عبد الله بن سعد فجمع رؤساء افريقية فقال إن الملك قد أمرنى أن آخذ منكم ثلثمائة قنطار ذهب مثل ما أخذ منكم عبد الله بن سعد فقالوا ما عندنا مال نعطيه فأما ما كان بأيدينا فقد افتدينا به أنفسنا وأما الملك فانه سيدنا فليأخذ ما كان له عندنا من جائزة كما كنا نعطيه كل سنة فلما رأى ذلك أمر بحبسهم فبعثوا إلى قوم من أصحابهم فقدموا عليه فكسروا السجن فخرجوا وكان الذى صالحهم عليه عبد الله بن سعد ثلثمائة قنطار ذهبا فأمر بها عثمان لآل الحكم قلت أو لمروان قال لا أدرى * قال ابن عمرو حدثنى أسامة بن زيد عن يزيد بن أبى حبيب قال نزع عثمان عمرو بن العاصى عن خراج مصر واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج فتباغيا فكتب

عبد الله بن سعد إلى عثمان يقول إن عمرا كسر الخراج وكتب عمرو إن عبد الله كسر علىّ حيلة الحرب فكتب عثمان إلى عمرو انصرف وولى عبد الله بن سعد الخراج والجند فقدم عمرو مغضباً فدخل على عثمان وعليه جبة يمانية محشوة قطنا فقال له عثمان ما حشو جبتك قال عمرو قال عثمان قد علمت أن حشوها عمرو ولم أرد هذا إنما سألت أقطن هو أم غيره ﴿قال الواقدى﴾ وحدثنى أسامة بن زيد عن يزيد بن أبى حبيب قال بعث عبد الله بن سعد إلى عثمان بمال من مصر قد حشد فيه فدخل عمرو على عثمان فقال عثمان يا عمرو هل تعلم أن تلك اللقاح درت بعدك فقال عمرو إن فصالها هلكت ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴿وقال الواقدى﴾ وفى هذه السنة كان فتح اصطخر الثانى على يد عثمان بن أبى العاص * قال وفيها غزا معاوية قنسرين

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة

فمما ذكر أنه كان فيها فتح قبرس على يد معاوية غزاها بأمر عثمان إياه وذلك فى قول الواقدى فأما أبو معشر فإنه قال كانت قبرس سنة ٣٣ حدثنى بذلك أحمد ابن ثابت عمن حدثه عن إسحاق بن عيسى عنه وقال بعضهم كانت قبرس سنة ٢٧ غزاها فيما ذكر جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبو ذر وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام والمقداد وأبو الدرداء وشداد بن أوس

ذكر الخبر عن غزوة معاوية إياها

﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن الربيع بن النعمان النصرى وأبى المجالد جراد بن عمرو عن رجاء بن حيوة وأبى حارثة وأبى عثمان عن رجاء وعبادة وخالد قالوا ألح معاوية فى زمانه على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر فكتب عمر

إلى عمرو بن العاص صف لى البحر وراكبه فإن نفسى تنازعنى إليه وقال عبادة وخالد لما أخبره ما للمسلمين فى ذلك وما على المشركين فكتب إليه عمرو : إنى رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير إن ركن خرق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق . فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية : لا والذى بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً (وكتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن سعيد عن عبادة بن نسىّ عن جنادة بن أبى أمية الأزدى قال كان معاوية كتب إلى عمر كتابا فى غزو البحر يرغبه فيه ويقول يا أمير المؤمنين إن بالشأم قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص فاتهمه عمر لأنه المشير فكتب الى عمرو أن صف لى البحر ثم اكتب إلىّ بخبره فكتب اليه ياأمير المؤمنين انى رأيت خلقاً عظيما يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء وانما هم كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق (وكتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى عثمان وأبى حارثة عن عبادة عن جنادة بن أبى أمية والربيع وأبى المجالد قالوا كتب عمر الى معاوية انا سمعنا أن بحر الشأم يشرف على أطول شىء على الأرض يستأذن الله فى كل يوم وليلة فى أن يفيض على الأرض فيغرقها فكيف أحمل الجنود فى هذا الكافر المستصعب وتالله لمسلم أحب إلىّ مما حوت الروم فاياك أن تعرّض لى وقد تقدمت اليك وقد علمت ما لقى العلاء منى ولم أتقدم اليه فى مثل ذلك وقالوا ترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه وسأله عن كلمة يجتمع فيها العلم كله فكتب اليه أحب للناس ماتحب لنفسك واكره لهم ما تكره لها تجتمع لك الحكمة كلها واعتبر الناس بما يليك تجتمع لك المعرفة كلها وكتب اليه ملك الروم وبعث اليه بقارورة أن املألى هذه القارورة من كل شىء فملأها ماء وكتب اليه ان هذا كل شىء من الدنيا وكتب اليه ملك الروم ما بين الحق والباطل فكتب اليه أربع أصابع الحق فيما يرى عيانا والباطل كثيرا مما يستمع به فيما لم يعاين وكتب اليه ملك الروم يسأله عما بين السماء والأرض وبين المشرق

والمغرب فكتب إليه مسيرة خمسمائة عام للمسافر لو كان طريقاً مبسوطاً قال وبعثت أم كلثوم بنت على بن أبى طالب إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش من أحفاش النساء ودسته الى البريد فأبلغه لها وأخذ منه وجاءت امرأة هرقل وجمعت نساءها وقالت هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم وكاتبتها وكافتها وأهدت لها وفيما أهدت لها عقد فاخر فلما انتهى به البريد إليه أمره بامساكه ودعا الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى بهم ركعتين وقال إنه لا خير فى أمر أبرم عن غير شورى من أمورى قولوا فى هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم فأهدت لها امرأة ملك الروم فقال قائلون هو لها بالذى لها وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به ولا تحت يدك فتتقيك وقال آخرون قد كنا نهدى الثياب لنستثيب ونبعث بها لتباع ولنصيب ثمناً فقال ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها فى صدرها فأمر بردها الى بيت المال ورد عليها بقدر نفقتها

(كتب الىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن أبى حارثة عن خالد بن معدان قال أول من غزا فى البحر معاوية بن أبى سفيان زمان عثمان بن عفان وقد كان استأذن عمر فيه فلم يأذن له فلما ولى عثمان لم يزل به معاوية حتى عزم عثمان على ذلك بآخرة وقال لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خيّرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسى حليف بنى فزارة فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة فى البحر ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب وكان يدعو الله أن يرزقه العافية فى جنده وأن لا يبتليه بمصاب أحد منهم ففعل حتى إذا أراد الله ان يصيبه وحده خرج فى قارب طليعة فانتهى إلى المرفأ من أرض الروم وعليه سؤال يعترون بذلك المكان فتصدق عليهم فرجعت امرأة من السؤال إلى قريتها فقالت للرجال هل لكم فى عبد الله بن قيس قالوا وأين هو قالت فى المرفأ قالوا إى عدوة الله ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس فوبختهم وقالت أنتم أعجز من أن يخفى عبد الله على أحد فثاروا إليه فهجموا عليه فقاتلوه وقاتلهم فأصيب وحده وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه فجاؤا حتى أرقوا والخليفة

منهم سفيان بن عوف الأزدى فخرج فقاتلهم فضجر وجعل يعبث بأصحابه ويشتمهم فقالت جارية عبد الله واعبدالله ما هكذا كان يقول حين يقاتل فقال سفيان وكيف كان يقول قالت الغمرات ثم ينجلينا فترك ما كان يقول ولزم الغمرات ثم ينجلينا وأصيب فى المسلمين يومئذ وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الحارثى وقيل لتلك المرأة بعد بأى شىء عرفتيه قالت بصدقته أعطى كما يعطى الملوك ولم يقبض قبض التجار ﴿وكتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن أبى حارثة وأبى عثمان قالا قيل لتلك المرأة التى استثارت الروم على عبد الله بن قيس كيف عرفتيه قالت كان كالتاجر فلما سألته أعطانى كالملك فعرفت أنه عبد الله بن قيس وكتب إلى معاوية والعمال أما بعد فقوموا على ما فارقتم عليه عمر ولا تبدلوا ومهما أشكل عليكم فردوه إلينا نجمع عليه الأمة ثم نرده عليكم وإياكم أن تغيروا فإنى لست قابلا منكم إلا ما كان عمر يقبل وقد كانت تنتقض فيما بين صلح عمر وولاية عثمان تلك الناحية فيبعث إليها الرجل فيفتحها الله على يديه فيحسب له ذلك وأما الفتوح فلأول من وليها ﴿قال أبو جعفر﴾ ولما غزا معاوية قبرس صالح أهلها فيما حدثنى على بن سهل قال حدثنا الوليد بن مسلم قال أخبرنى سليمان بن أبى كريمة والليث بن سعد وغيرهما من مشيخة ساحل دمشق أن صلح قبرس وقع على جزية سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين فى كل سنة ويؤدون إلى الروم مثلها ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك على أن لا يغزوهم ولا يقاتلوا من وراءهم ممن أرادهم من خلفهم وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم وعلى أن يبطرق إمام المسلمين عليهم منهم ﴿وقال الواقدى﴾ غزا معاوية فى سنة ٢٨ قبرس وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح حتى لقوا معاوية فكان على الناس * قال وحدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير قال لما سبيناهم نظرت إلى أبى الدرداء يبكى فقلت ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله وأذل فيه الكفر وأهله قال فضرب بيده على منكبى وقال ثكلتك أمك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره بينا هى أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك إذ تركوا

أمر الله فصاروا إلى ما ترى فسلط عليهم السباء وإذا سلط السباء على قوم فليس لله فيهم حاجة (قال الواقدى) وحدثنى أبو سعيد أن معاوية بن أبى سفيان صالح أهل قبرس فى ولاية عثمان وهو أول من غزا الروم وفى العهد الذى بينه وبينهم ألا يتزوجوا فى عدونا من الروم إلا بإذننا (قال الواقدى) وفى هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم (وفيها) تزوج عثمان نائلة ابنة الفرافصة وكانت نصرانية فتحنفت قبل أن يدخل بها * قال وفيها بنى عثمان داره بالمدينة الزوراء وفرغ منها * قال وفيها كان فتح فارس الأول وإصطخر الآخر وأميرها هشام بن عامر قال وحج بالناس عثمان فى هذه السنة

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

(ففيها) عزل عثمان أبا موسى الأشعرى عن البصرة وكان عامله عليها ست سنين وولاها عبد الله بن عامر بن كريز وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة فقدمها وقد قيل إن أبا موسى إنما عمل لعثمان على البصرة ثلاث سنين وذكر على بن محمد أن محاربا أخبره عن عوف الأعرابى قال خرج غيلان بن خرشة الضبى إلى عثمان ابن عفان فقال أما لكم صغير فتستشبوه فتولوه البصرة حتى متى يلى هذا الشيخ البصرة يعنى أبا موسى وكان وليها بعد موت عمر ست سنين * قال فعزله عثمان عنها وبعث عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وأمه دجاجة ابنة أسماء السلمى وهو ابن خال عثمان بن عفان قال مسلمة فقدم البصرة وهو ابن خمس وعشرين سنة سنة ٢٩

ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة

(كتب إلىّ السرى) يذكر أن شعيبا حدثه عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما ولى عثمان أقر أبا موسى على البصرة ثلاث سنين وعزله فى الرابعة وأمر على خراسان عمير بن عثمان بن سعد وعلى سجستان عبد الله بن عمير الليثى وهو من

ثعلبة فأثخن فيها إلى كابل وأثخن عمير فى خراسان حتى بلغ فرغانة فلم يدع دونها كورة إلا أصلحها وبعث إلى مكران عبيد الله بن معمر التيمى فأثخن فيها حتى بلغ النهر وبعث على كرمان عبد الرحمن بن غبيس وبعث إلى فارس والأهواز نفرا وضم سواد البصرة الى الحصين بن أبى الحر ثم عزل عبد الله بن عمير واستعمل عبد الله بن عامر فأقره عليها سنة ثم عزله واستعمل عاصم بن عمرو وعزل عبد الرحمن بن غبيس وأعاد عدى بن سهيل بن عدى ولما كان فى السنة الثالثة كفر أهل إيذج والأكراد فنادى أبو موسى فى الناس وحضهم وندبهم وذكر من فضل الجهاد فى الرجلة حتى حمل نفر على دوابهم وأجمعوا على أن يخرجوا رجالا وقال آخرون لا والله لا نعجل بشىء حتى ننظر ما صنيعه فان أشبه قوله فعله فعلنا كما فعل أصحابنا فلما كان يوم خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلا فتعلقوا بعنانه وقالوا احملنا على بعض هذه الفضول وارغب من الرجلة فيما رغبتنا فيه فقنّع القوم حتى تركوا دابته ومضى فأتوا عثمان فاستعفوه منه وقالوا ما كل مانعلم نحب أن نقوله فأبدلنا به فقال من تحبون فقال غيلان بن خرشة فى كل أحد عوض من هذا العبد الذى قد أكل أرضنا وأحيا أمر الجاهلية فينا فلا تنفك من أشعرى كان يعظم ملكه عن الأشعريين ويستصغر ملك البصرة وإذا أمرت علينا صغيراً كان فيه عوض منه أو مهتراً كان فيه عوض منه ومَن بين ذلك من جميع الناس خير منه فدعا عبد الله بن عامر وأمره على البصرة وصرف عبيد الله بن معمر إلى فارس واستعمل على عمله عمير بن عثمان بن سعد فاستعمل على خراسان فى سنة أربع أُمَين بن أحمر اليشكرى واستعمل على سجستان فى سنة أربع عمران بن الفصيل البرجمى وعلى كرمان عاصم بن عمرو فمات بها فجاشت فارس وانتقضت بعبيد الله بن معمر فاجتمعوا له باصطخر فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيد الله وهزم جنده وبلغ الخبر عبد الله بن عامر فاستنفر أهل البصرة وخرج معه الناس وعلى مقدمته عثمان بن أبى العاص فالتقوا هم وهم باصطخر وقتل منهم مقتلة عظيمة لم يزالوا منها فى ذل وكتب بذلك إلى عثمان فكتب إليه بإمرة هرم ابن حسان اليشكرى وهرم بن حيان العبدي من عبد القيس والخريت بن راشد من

بني سامة والمنجاب بن راشد والترجمان الهجيمي على كورفاس وفرق خراسان بين نفر ستة الأحنف على المروين وحبيب بن قرة اليربوعي على بلخ وكانت مما افتتح أهل الكوفة وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة وأمين بن أحمر اليشكري على طوس وقيس بن هبيرة السلمي على نيسابور وهو أول من خرج وعبد الله بن خازم وهو ابن عمه ثم إن عثمان جمعها له قبل موته فمات وقيس على خراسان واستعمل أمين ابن أحمر على سجستان ثم جعل عليها عبد الرحمن بن سمرة وهو من آل حبيب ابن عبد شمس فمات عثمان وهو عليها ومات وعمران على كرمان وعمير بن عثمان ابن سعد على فارس وابن كندير القشيري على مكران * وقال علي بن محمد أخبرنا علي بن مجاهد عن أشياخه قال قال غيلان بن خرشة لعثمان بن عفان أما منكم خسيس فترفعوه أما منكم فقير فتجيروه يا معشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد فانتبه لها الشيخ فولاها عبد الله بن عامر * قال علي بن محمد أخبرنا أبو بكر الهذلي قال ولى عثمان بن عامر البصرة فقال الحسن قال أبو موسى يأتيكم غلام خراج ولاج كريم الجدات والخالات والعمات يجمع له الجندان قال قال الحسن فقدم ابن عامر فجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص الثقفي وكان عثمان بن أبي العاص فيمن عبر من عمان والبحرين (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وفد قيس بن هبيرة عبد الله بن حازم إلى عبد الله بن عامر في زمان عثمان وكان عبد الله ابن خازم على عبد الله بن عامر كريما فقال له اكتب لي على خراسان عهدا إن خرج منها قيس بن هبيرة ففعل فرجع إلى خراسان فلما قتل عثمان وبلغ الناس الخبر وجاش العدو لذلك قال قيس ما ترى يا عبد الله قال أرى أن تخلفني ولا تخلف عن المضي حتى تنظر فيما تنظر ففعل واستخلفه فأخرج عبد الله عهد خلافته وثبت على خراسان إلى أن قام علي رضي الله تعالى عنه وكانت أم عبد الله عجلى فقال قيس أنا كنت أحق أن أكون ابن عجلى من عبد الله وغضب مما صنع به الآخر (وفي هذه السنة) افتتح عبد الله بن عامر فارس في قول الواقدي وفي قول أبي معشر حدثني بقول أبي معشر أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عنه وأما قول سيف فقد ذكرناه قبل (وفي هذه

السنة﴾ أعنى سنة ٢٩ زاد عثمان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسعه وابتدأ فى بنائه فى شهر ربيع الأول وكانت القصة تحمل الى عثمان من بطن نخل وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة فيها رصاص وسقفه ساجا وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه مائة وخمسين ذراعا وجعل أبوابه على ماكانت عليه على عهد عمر ستة أبواب ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عثمان فضرب بمنى فسطاطا فكان أول فسطاط ضربه عثمان بمنى وأتم الصلاة بها وبعرفة فذكر الواقدى عن عمر بن صالح بن نافع عن صالح مولى التوأمة قال سمعت ابن عباس يقول إن أول ماتكلم الناس فى عثمان ظاهرا أنه صلى بالناس بمنى فى ولايته ركعتين حتى اذا كانت السنة السادسة أتمها فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وتكلم فى ذلك من يريد أن يكثر عليه حتى جاءه على فيمن جاءه فقال والله ماحدث أمر ولا قدم عهد ولقد عهدت نبيك صلى الله عليه وسلم يصلى ركعتين ثم أبابكر ثم عمر وأنت صدرا من ولايتك فما أدرى مايرجع اليه فقال رأى رأيته ﴿قال الواقدى﴾ وحدثنى داود بن خالد عن عبد الملك بن عمرو بن أبى سفيان الثقفى عن عمه قال صلى عثمان بالناس بمنى أربعا فأتى آت عبد الرحمن بن عوف فقال هل لك فى أخيك قد صلى بالناس أربعا فصلى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين ثم خرج حتى دخل على عثمان فقال له ألم تصل فى هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قال بلى قال أفلم تصل مع أبى بكر ركعتين قال بلى قال أفلم تصل مع عمر ركعتين قال بلى قال ألم تصل صدرا من خلافتك ركعتين قال بلى قال فاسمع منى يا أبا محمد إنى أخبرت أن بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس قد قالوا فى عامنا الماضى إن الصلاة للمقيم ركعتان هذا إمامكم عثمان يصلى ركعتان وقد اتخذت بمكة أهلا فرأيت أن أصلى أربعا لخوف ماأخاف على الناس وأخرى قد اتخذت بها زوجة ولى بالطائف مال فربما اطلعته فأقمت فيه بعد الصدر فقال عبد الرحمن بن عوف مامن هذا شىء لك فيه عذر أما قولك اتخذت أهلا فزوجتك بالمدينة تخرج بها اذا شئت وتقدم بها اذا شئت انما تسكن بسكناك وأما قولك ولى مال بالطائف فإن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ليال وأنت

لست من أهل الطائف وأما قولك يرجع من حج من أهل اليمن وغيرهم فيقولون هذا إمامكم عثمان يصلى ركعتين وهو مقيم فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحى والناس يومئذ الإسلام فيهم قليل ثم أبو بكر مثل ذلك ثم عمر فضرب الإسلام بجرانه فصلى بهم عمر حتى مات ركعتين فقال عثمان هذا رأى رأيته قال فخرج عبد الرحمن فلقى ابن مسعود فقال أبا محمد غير ما يعلم قال لا قال فما أصنع قال اعمل أنت بما تعلم فقال ابن مسعود الخلاف شر قد بلغنى أنه صلى أربعا فصليت بأصحابى أربعا فقال عبد الرحمن بن عوف قد بلغنى أنه صلى أربعا فصليت بأصحابى ركعتين وأما الآن فسوف يكون الذى تقول يعنى نصلى معه أربعا

ثم دخلت سنة ثلاثين

ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهورة

فمما كان فيها غزوة سعيد بن العاص طبرستان فى قول أبى معشر حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن حدثه عن إسحاق بن عيسى عنه وفى قول الواقدى وقول على ابن محمد المدائنى حدثنى بذلك عمر بن شبة عنه وأما سيف بن عمر فانه ذكر أن اصبهبذها صالح سويد بن مقرن على أن لا يغزوها على مال بذله له قد مضى ذكرى الخبر عن ذلك قبل فى أيام عمر رضى الله عنه وأما على بن محمد المدائنى فانه قال فيما حدثنى به عنه عمر لم يغزها أحد حتى قام عثمان بن عفان رضى الله عنه فغزاها سعيد ابن العاص سنة ٣٠

ذكر الخبر عنه عن غزو سعيد بن العاص طبرستان

❊ حدثنى عمر بن شبة قال حدثنى على بن محمد عن على بن مجاهد عن حنش بن مالك قال غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ومعه حذيفة ابن اليمان وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل

أبرشهر وبلغ نزوله أبرشهر سعيدا فنزل سعيد قومس وهى صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند فأتى جرجان فصالحوه على مائتى ألف ثم أتى طميسة وهى كلها من طبرستان متاخمة جرجان وهى مدينة على ساحل البحر وهى فى تخوم جرجان فقاتله أهلها حتى صلى صلاة الخوف فقال لحذيفة كيف صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فصلى بها سعيد صلاة الخوف وهم يقتتلون وضرب يومئذ سعيد رجلا من المشركين على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه وحاصرهم فسألوا الأمان فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلا واحدا ففتحوا الحصن فقتلهم جميعا إلا رجلا واحدا وحوى ما كان فى الحصن فأصاب رجل من بنى نهد سفطا عليه قفل فظن فيه جوهرا وبلغ سعيدا فبعث إلى النهدى فأتاه بالسفط فكسروا قفله فوجدوا فيه سفطا ففتحوه فاذا فيه خرقة سوداء مدرجة فنشروها فوجدوا خرقة حمراء فنشروها فاذا خرقة صفراء وفيها أيران كميت وورد فقال شاعر يهجو بنى نهد:

آبَ الكِرامُ بالسَّبايا غنيمةً ... وفاز بنو نَهْدٍ بأَيْرَيْنِ فى سَفَطْ

كُمَيْتٍ ووَرْدٍ وافِرَيْنِ كِلاهُما ... فظنّوهُما غُنْما فناهيك مِن غَلَطْ

وفتح سعيد بن العاص نامية وليست بمدينة هى صحارى ❊ وحدثنى عمر بن شبة قال حدثنا على بن محمد قال أخبرنى على بن مجاهد عن حنش بن مالك التغلبى قال غزا سعيد سنة ثلاثين فأتى جرجان وطبرستان معه عبد الله بن العباس وعبد الله ابن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص فحدثنى علج كان يخدمهم قال كنت آتيهم بالسفرة فاذا أكلوا أمرونى فنفضتها وعلقتها فإذا أمسوا أعطونى باقيه قال وهلك مع سعيد بن العاص محمد بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى جد يوسف ابن عمر فقال يوسف لقحذم يا قحذم أتدرى أين مات محمد بن الحكم قال نعم استشهد مع سعيد بن العاص بطبرستان قال لا مات بها وهو مع سعيد ثم قفل سعيد إلى الكوفة فمدحه كعب بن جعيل فقال

فنِعْمَ الفَتَى إذ جال جيلانُ دونَه ... وإذ هَبَطوا من دَسْتَبَى ثمَّ أَبْهَرا

تعَلَّمْ سَعيد الخَيْرِ أَنَّ مَطِيَّتِى إذاهَبَطَتْ اشْفقَتْ من أن تُعَقَّرا
كأنَّكَ يَوْمَ الشِّعْبِ لَيثُ خفيَّةٍ تَحَرَّدَ مِن لَيْثِ العَرِين وأصحَرا
تَسوسُ الَّذى ماساس قبْلكَ واحِدٌ ثمانينَ أَلْفًا دارِعِينَ وحُسَّرا

❊وحدثنى عمر قال حدثنا على عن كليب بن خلف وغيره أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ثم امتنعوا وكفروا فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن أحد يسلك طريق خراسان من ناحية قومس إلا على وجل وخوف من أهل جرجان كان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان فأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولى خراسان ❊وحدثنى عمر قال حدثنا على عن كليب بن خلف العمى عن طفيل بن مرداس العمى وإدريس بن حنظلة العمى أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان وكانوا يجبون أحيانا مائة ألف ويقولون هذا صلحنا وأحيانا مائتى ألف وأحيانا ثلثمائة ألف وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يعازه أحد حين قدمها فلما صالح صولا وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص ﴿وفى هذه السنة﴾ أعنى سنة ٣٠ عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة وولاها سعيد بن العاص فى قول سيف بن عمر

ذكر السبب فى عزل عثمان الوليد عن الكوفة وتوليته سعيدا عليها

﴿كتب إلىّ السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما بلغ عثمان الذى كان بين عبد الله وسعد غضب عليهما وهم بهما ثم ترك ذلك وعزل سعدا وأخذ ما عليه وأقر عبد الله وتقدم إليه وأمّر مكان سعد الوليد بن عقبة وكان على عرب الجزيرة عاملا لعمر بن الخطاب فقدم الوليد فى السنة الثانية من إمارة عثمان وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى فقدم الكوفة وكان أحب الناس فى الناس وأرفقهم بهم فكان كذلك خمس سنين وليس على داره باب ثم إن شبابا من شباب أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعى وكاثروه فنذر بهم فخرج عليهم بالسيف فلما رأى كثرتهم استصرخ فقالوا له اسكت فانما هى ضربة حتى نريحك من روعة

هذه الليلة وأبو شريح الخزاعي مشرف عليهم فصاح بهم وضربوه فقتلوه وأحاط الناس بهم فأخذوهم وفيهم زهير بن جندب الأزدي ومورع بن أبي مورع الأسدي وشبيل بن أبي الأزدي في عدة فشهد عليهم أبو شريح وابنه أنهم دخلوا عليه فمنع بعضهم بعضا من الناس فقتله بعضهم فكتب فيهم إلى عثمان فكتب اليه في قتلهم فقتلهم على باب القصر في الرحبة وقال في ذلك عمرو بن عاصم التميمي

لا تأكلوا أبداً جيرانكم سَرَفًا أهلَ الدّعارةِ في مُلكِ ابْنِ عَفّانِ
إنَّ ابْنَ عَفّانَ الذي جَرّبْتُم فَطَمَ اللصوصَ بمُحْكَم الفُرْقانِ
ما زال يَعْمَلُ بالكِتابِ مُهَيمِنًا في كُلِّ عُنْقٍ مِنْهُمُ وَبنَانِ

(وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عبد الله بن سعيد عن أبي سعيد قال كان أبو شريح الخزاعي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحول من المدينة إلى الكوفة ليدنو من الغزو فبيناهو ليلة على السطح إذ استغاث جاره فأشرف فاذا هو بشباب من أهل الكوفة قد بيتوا جاره وجعلوا يقولون له لا تصِحْ فانما هي ضربة حتى نريحك فقتلوه فارتحل إلى عثمان ورجع إلى المدينة ونقل أهله ولهذا الحديث حين كثر أحدثت القسامة وأخذ بقول ولي المقتول ليفطم الناس عن القتل عن ملإ من الناس يومئذ (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن كريب عن نافع بن جبير قال قال عثمان القسامة على المدعى عليه وعلى أوليائه يحلف منهم خمسون رجلا إذا لم تكن بينة فان نقصت قسامتهم أو إن نكل رجل واحد ردت قسامتهم ووليها المدعون وأحلفوا فان حلف منهم خمسون استحقوا (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الغصن بن القاسم عن عون بن عبد الله قال كان مما أحدث عثمان بالكوفة إلى ما كان من الخبر أنه بلغه أن أبا سمال الأسدي في نفر من أهل الكوفة ينادى مناد لهم إذا قدم الميار من كان هاهنا من كلب أو بني فلان ليس لقومهم بها منزل فمنزله على أبي فلان فاتخذ موضع دار عقيل دار الضيفان ودار ابن هبار وكان منزل عبد الله بن مسعود في هذيل في موضع الرمادة فنزل موضع داره وترك داره دار الضيافة وكان الأضياف ينزلون داره

فى هذيل إذا ضاق عليهم ما حول المسجد (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن المغيرة بن مقسم عمن أدرك من علماء أهل الكوفة أن أبا سمال كان ينادى مناديه فى السوق والكناسة من كان ههنا من بنى فلان وفلان لمن ليست له بها خطة فمنزله على أبى سمال فاتخذ عثمان للأضياف منازل (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مولى لآل طلحة عن موسى بن طلحة مثله (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان عمر بن الخطاب قد استعمل الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة فنزل فى بنى تغلب وكان أبو زبيد فى الجاهلية والإسلام فى بنى تغلب حتى أسلم وكانت بنو تغلب أخواله فاضطهده أخواله ديناً له فأخذ له الوليد بحقه فشكرها له أبو زبيد وانقطع اليه وغشيه بالمدينة فلما ولى الوليد الكوفة أتاه مسلما معظما على مثل ما كان يأتيه بالجزيرة والمدينة فنزل دار الضيفان وآخر قدمة قدمها أبو زبيد على الوليد وقد كان ينتجعه ويرجع وكان نصرانياً قبل ذلك فلم يزل الوليد به وعنه حتى أسلم فى آخر إمارة الوليد وحسن إسلامه فاستدخله الوليد وكان عربيا شاعرا حين قام على الإسلام فأتى آت أبا زينب وأبا مورع وجندبا وهم يحقدون له مذ قتل أبناءهم ويضعون له العيون فقال لهم هل لكم فى الوليد يشارب أبا زبيد فثاروا فى ذلك فقال أبو زينب وأبو مورع وجندب لأناس من وجوه أهل الكوفة هذا أميركم وأبو زبيد خيرته وهما عاكفان على الخمر فقاموا معهم ومنزل الوليد فى الرحبة مع عمارة بن عقبة وليس عليه باب فاقتحموا عليه من المسجد وبابه إلى المسجد فلم يفجأ الوليد إلا بهم فنحى شيئاً فادخله تحت السرير فادخل بعضهم يده فاخرجه لا يؤامره فإذا طبق عليه تفاريق عنب وإنما نحاه استحياء أن يروا طبقه ليس عليه إلا تفاريق عنب فقاموا فخرجوا على الناس فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون وسمع الناس بذلك فأقبل الناس عليهم يسبونهم ويلعنونهم ويقولون أقوام غضب الله لعمله وبعضهم أرغمه الكتاب فدعاهم ذلك إلى التحسس والبحث فستر عليهم الوليد ذلك وطواه عن عثمان ولم يدخل بين الناس فى ذلك بشىء وكره أن يفسد بينهم فسكت عن ذلك وصبر (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الفيض بن محمد قال رأيت الشعبى جلس

إلى محمد بن عمرو بن الوليد يعنى ابن عقبة وهو خليفة محمد بن عبد الملك فذكر محمد غزو ومسلمة فقال كيف لو أدركتم الوليد غزوه وإمارته إن كان ليغزو فينتهى إلى كذا وكذا ماقصر ولا انتقض عليه أحد حتى عزل عن عمله وعلى الباب يومئذ عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى وإن كان مما زاد عثمان بن عفان الناس على يده أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة فى كل شهر يتسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم ﴿ كتب إلى السرى ﴾ عن شعيب عن سيف عن الغصن بن القاسم عن عمرو بن عبد الله قال جاء جندب ورهط معه إلى ابن مسعود فقالوا الوليد يعتكف على الخمر وأذاعوا ذلك حتى طرح على ألسن الناس فقال ابن مسعود من استتر عنا بشىء لم نتتبع عورته ولم نهتك ستره فارسل إلى ابن مسعود فاتاه فعاتبه فى ذلك وقال أيرضى من مثلك بأن يجيب قوما موتورين بما أجبت علىّ أى شىء أستتر به انما يقال هذا للمريب فتلاحيا وافترقا على تغاضب لم يكن بينهما أكثر من ذلك ﴿ وكتب الىّ السرىّ ﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وأتى الوليد بساحر فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حده فقال وما يدريك إنه ساحر قال زعم هؤلاء النفر لنفر جاؤا به أنه ساحر قال وما يدريكم أنه ساحر قالوا يزعم ذاك قال أساحر أنت قال نعم قال وتدرى ما السحر قال نعم وثار إلى حمار فجعل يركبه من قبل ذنبه ويريهم أنه يخرج من فمه واسته فقال ابن مسعود فاقتله فانطلق الوليد فنادوا فى المسجد أن رجلا يلعب بالسحر عند الوليد فأقبلوا وأقبل جندب واغتنمها يقول أين هو أين هو حتى أريه فضربه فاجتمع عبد الله والوليد على حبسه حتى كتب إلى عثمان فاجابهم عثمان أن استحلفوه بالله ما علم برأيكم فيه وإنه لصادق بقوله فيما ظن من تعطيل حده وعزروه وخلوا سبيله وتقدم إلى الناس فى أن لا يعملوا بالظنون وأن لا يقيموا الحدود دون السلطان فانا نقيد المخطئ ونؤدب المصيب ففعل ذلك به وترك لأنه أصاب حداً وغضب لجندب أصحابه فخرجوا إلى المدينة فيهم أبو خشة الغفارى وجثامة بن الصعب بن جثامة ومعهم جندب فاستعفوه من الوليد فقال لهم عثمان تعملون

بالظنون وتخطئون فى الإسلام وتخرجون بغير إذن ارجعوا فردهم فلما رجعوا إلى الكوفة لم يبق موتور فى نفسه إلا أتاهم فاجتمعوا على رأى فأصدروه ثم تغفلوا الوليد وكان ليس عليه حجاب فدخل عليه أبو زينب الأزدى وأبو مورع الأسدى فسلا خاتمه ثم خرجا إلى عثمان فشهدا عليه ومعهما نفر ممن يعرف من أعوانهم فبعث إليه عثمان فلما قدم أمر به سعيد بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله فوالله إنهما لخصمان موتوران فقال لا يضرك ذلك إنما نعمل بما ينتهى إلينا فمن ظَلم فالله ولى انتقامه ومن ظُلم فالله ولى جزائه (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى غسان سكن بن عبد الرحمن بن حبيش قال اجتمع نفر من أهل الكوفة فعملوا فى عزل الوليد فانتدب أبو زينب بن عوف وأبو مورد بن فلان الأسدى للشهادة عليه فغشوا الوليد وأكبوا عليه فبيناهم معه يوما فى البيت وله امرأتان فى المخدع بينهما وبين القوم ستر إحداهما بنت ذى الخمار والأخرى بنت أبى عقيل فنام الوليد وتفرق القوم عنه وثبت أبو زينب وأبو مورع فتناول أحدهما خاتمه ثم خرجا فاستيقظ الوليد وامرأتاه عند رأسه فلم ير خاتمه فسألهما عنه فلم يجد عندهما منه علما قال فأى القوم تخلف عنهم قالتا رجلان لا نعرفهما ماغشياك إلا مذ قريب قال حلياهما فقالتا على أحدهما خميصة وعلى الآخر مطرف وصاحب المطرف أبعدهما منك فقال الطوال قالتا نعم وصاحب الخميصة أقربهما إليك فقال القصير قالتا نعم وقد رأينا يده على يدك قال ذاك أبو زينب والآخر أبو مورع وقد أرادا داهية فليت شعرى ماذا يريدان فطلبهما فلم يقدر عليهما وكان وجههما إلى المدينة فقدما على عثمان ومعهما نفر ممن يعرف عثمان ممن قد عزل الوليد عن الأعمال فقالوا له فقال من يشهد قالوا أبو زينب وأبو مورع وكاع الآخران فقال كيف رأيتما قالا كنا من غاشيته فدخلنا عليه وهو يقىء الخمر فقال ما يقىء الخمر إلا شاربها فبعث إليه فلما دخل على عثمان رآهما فقال متمثلا

مَاإنْ خشيتُ على أمْرٍ خَلوْتُ به   فلم أَخَفْكَ على أمثالها حارِ

فحلف له الوليد وأخبره خبرهم فقال نقيم الحدود ويبوء شاهد الزور بالنار فاصبر

يا أخيّ فأمر سعيد بن العاص بجلده فأورث ذلك عدواة بين ولديهما حتى اليوم وكانت على الوليد خميصة يوم أمر به أن يجلد فنزعها عنه على بن أبى طالب عليه السلام (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عبيد الطنافسى عن أبى عبيدة الإيادى قال خرج أبو زينب وأبو مورع حتى دخلا على الوليد بيته وعنده امرأتان بنت ذى الخمار وبنت أبى عقيل وهو نائم قالت إحداهما فأكب عليه أحدهما فأخذ خاتمه فسألهما حين استيقظ فقالتا ما أخذناه قال من بقى آخر القوم قالتا رجلان رجل قصير عليه خمصية ورجل طويل عليه مطرف ورأينا صاحب الخمصية أكب عليك قال ذاك أبو زينب فخرج يطلبهما فاذا هو وجههما عن ملإ من أصحاب لهما ولا يدرى الوليد ما أرادا من ذلك فقدما على عثمان فأخبراه الخبر على رؤوس الناس فارسل إلى الوليد فقدم فاذا هو بهما ودعا بهما عثمان فقال بم تشهدان أتشهدان أنكما رأيتماه يشرب الخمر فقالا لا وخافا قال فكيف قالا اعتصرناها من لحيته وهو يقىء الخمر فأمر سعيد بن العاص بجلده فأورث ذلك عداوة بين أهليهما (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عطية عن أبى العريف ويزيد الفقعسى قالا كان الناس فى الوليد فرقتين العامة معه والخاصة عليه فما زال عليهم من ذلك خشوع حتى كانت صفين فولى معاوية فجعلوا يقولون عيب عثمان بالباطل فقال لهم على عليه السلام إنكم وما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردفه ما ذنب عثمان فى رجل قد ضربه بقوله وعزله عن عمله وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا (وكتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد ابن كريب عن نافع بن جبير قال قال عثمان رضى الله عنه إذا جلد الرجل الحد ثم ظهرت توبته جازت شهادته (وكتب الىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن أبى كبران عن مولاة لهم وأثنى عليها خيراً قالت كان الوليد أدخل على الناس خيراً حتى جعل يقسم للولائد والعبيد ولقد تفجع عليه الأحرار والمماليك كان يسمع الولائد وعليهن الحداد يقلن

يا وَيْلَتا قد عُزِلَ الوَلِيدُ وجاءَنا مُجَوِّعاً سَعِيدُ

يَنْقُصُ فى الصاع ولا يَزِيدُ ... لِجُوعَ الإماءُ والعَبيدُ

(وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الغصن بن القاسم قال كان الناس يقولون حين عزل الوليد وأمّر سعيد

لا يَبْعَدِ المُلكُ إذ وَلّتْ شَمائلهُ ... ولا الرئاسةُ لما رَاسَ كُتّابُ

(وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة بإسنادهما قالا قدم سعيد بن العاص فى سنة سبع من إمارة عثمان وكان سعيد بن العاص بقية العاص بن أمية وكان أهله كثيراً تتابعوا فلما فتح الله الشأم قدمها فأقام مع معاوية وكان يتيما نشأ فى حجر عثمان فتذكر عمر قريشاً وسأل عنه فيما يتفقد من أمور الناس فقيل يا أمير المؤمنين هو بدمشق عهد العاهد به وهو مأموم بالموت فأرسل إلى معاوية أن ابعث إلى سعيد بن العاص فى منقل فبعث به إليه وهو دنف فما بلغ المدينة حتى أفاق فقال يا ابن أخى قد بلغنى عنك بلاء وصلاح فازدد يزدك الله خيراً وقال هل لك من زوجة قال لا قال يا أبا عمرو ما منعك من هذا الغلام أن تكون زوّجته قال قد عرضت عليه فأبى فخرج يسير فى البر فانتهى إلى ماء فلق عليه أربع نسوة فقمن له فقال مالكن ومن أنتن فقلن بنات سفيان بن عويف ومعهن أمهن فقالت أمهن هلك رجالنا وإذا هلك الرجال ضاع النساء فضعهن فى أكفائهن فزوج سعيداً إحداهن وعبد الرحمن بن عوف الأخرى والوليد ابن عقبة الثالثة وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلى فقلن قد هلك رجالنا وبقى الصبيان فضعنا فى أكفائنا فزوج سعيداً إحداهن وجبير بن مطعم إحداهن فشارك سعيد هؤلاء وهؤلاء وقد كان عمومته ذوى بلاء فى الإسلام وسابقة حسنة وقدمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال الناس فقدم سعيد الكوفة فى خلافة عثمان أميراً وخرج معه من مكة أو المدينة الأشتر وأبو خشة الغفارى وجندب بن عبد الله وأبو معصب بن جثامة وكانوا فيمن شخص مع الوليد يعيبونه فرجعوا مع هذا فصعد سعيد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال والله لقد بعثت إليكم وإنى لكاره ولكنى لم أجد بداً اذ أمرت أن أتّمر

الا أن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها و والله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تعيينى وانى لرائد نفسى اليوم ونزل وسأل عن أهل الكوفة فأقيم على حال أهلها فكتب الى عثمان بالذى انتهى اليه ان أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمة والغالب على تلك البلاد روادف ردفت وأعراب لحقت حتى ما ينظر إلى ذى شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتتها فكتب إليه عثمان أما بعد ففضل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها بسببهم تبعا لهم إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته وأعطهم جميعا بقسطهم من الحق فان المعرفة بالناس بها يصاب العدل فأرسل سعيد الى وجوه الناس من أهل الأيام والقادسية فقال أنتم وجوه من وراءكم والوجه ينبئ الجسد فأبلغونا حاجة ذى الحاجة وخلة ذى الخلة وأدخل معهم من يحتمل من اللواحق والروادف وخاص بالقراء والمتسمتين فى سمره فكأنما كانت الكوفة يبسا شملته نار فانقطع إلى ذلك الضرب ضربهم وفشت القالة والإذاعة فكتب سعيد الى عثمان بذلك فنادى منادى عثمان الصلاة جامعة فاجتمعوا فأخبرهم بالذى كتب به إلى سعيد وبالذى كتب به اليه فيهم وبالذى جاءه من القالة والإذاعة فقالوا أصبت فلا تسعفهم فى ذلك ولا تطمعهم فيما ليسوا له بأهل فإنه اذا نهض فى الأمور من ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها فقال عثمان يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا فقد دبت اليكم الفتن ونزل فأوى الى منزله وتمثل مثله ومثل هذا الضرب الذين شرعوا فى الخلاف

أبنى عُبيدٍ قد أتى أشياعكم عنكم مَقالتُكُمْ وشِعر الشاعر
فإذا أتتكم هذه فتلبّسوا إن الرماحَ بَصيرة بالحاسِرِ

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن هشام بن عروة قال كان عثمان أروى الناس للبيت والبيتين والثلاثة إلى الخمسة (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن سعيد بن عبد الله الجمحى عن عبيد الله بن عمر قال سمعته وهو يقول لأبى إن عثمان جمع أهل المدينة فقال يا أهل المدينة إن الناس يتمخضون بالفتنة وإنى والله لأتخلصن لكم

الذى لكم حتى أنقله اليكم ان رأيتم ذلك فهل ترونه حتى يأتى من شهد مع أهل العراق الفتوح فيه فيقيم معه فى بلاده فقام أولئك وقالوا كيف تنقل لنا ما أفاء الله علينا من الأرضين يا امير المؤمنين فقال نبيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز ففرحوا وفتح الله عليهم به أمراً لم يكن فى حسابهم فافترقوا وقد فرجها الله عنهم به وكان طلحة بن عبيد الله قد استجمع له عامة سهمان خيبر إلى ما كان له سوى ذلك فاشترى طلحة منه من نصيب من شهد القادسية والمدائن من أهل المدينة ممن أقام ولم يهاجر إلى العراق النشاستج بما كان له بخيبر وغيرها من تلك الأموال واشترى منه ببئر أريس شيئاً كان لعثمان بالعراق واشترى منه مروان بن الحكم بمال كان له أعطاه إياه عثمان نهر مروان وهو يومئذ اجمة واشترى منه رجال من القبائل بالعراق بأموال كانت لهم فى جزيرة العرب من أهل المدينة ومكة والطائف واليمن وحضرموت فكان مما اشترى منه الأشعث بمال كان له فى حضرموت ما كان له بطيزناباذ وكتب عثمان إلى أهل الآفاق فى ذلك وبعدة جريان الفىء والفىء الذى يتداعاه أهل الأمصار فهو ما كان للملوك نحو كسرى وقيصر ومن تابعهم من أهل بلادهم فأجلى عنه فأتاهم شىء عرفوه وأخذ بقدر عدة من شهدها من أهل المدينة وبقدر نصيبهم وضم ذلك إليهم فباعوه بما يليهم من الأموال بالحجاز ومكة واليمن وحضرموت يرد على أهلها الذين شهدوا الفتوح من بين أهل المدينة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة مثل ذلك إلا أنهما قالا اشترى هذا الضرب رجال من كل قبيلة ممن كان له هنالك شىء فأراد أن يستبدل به فيما يليه فأخذوا وجاز لهم عن تراض منهم ومن الناس وإقرار بالحقوق إلا أن الذين لا سابقة لهم ولا قدمة لا يبلغون مبلغ أهل السابقة والقدمة فى المجالس والرئاسة والحظوة ثم كانوا يعيبون التفضيل ويجعلونه جفوة وهم فى ذلك يختفون به ولا يكادون يظهرونه لأنه لا حجة لهم والناس عليهم فكان إذا لحق بهم لاحق من ناشئ أو أعرابى أو محرر استحلى كلامهم فكانوا فى زيادة وكان الناس فى نقصان حتى غلب الشر (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا صرف حذيفة عن غزو الرى إلى غزو الباب مددا

لعبد الرحمن بن ربيعة وخرج معه سعيد بن العاص فبلغ معه آذربيجان وكذلك كانوا يصنعون يجعلون للناس ردءا فأقام حتى قفل حذيفة ثم رجعا ﴿وفى هذه السنة﴾ أعنى سنة ٣٠ سقط خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان فى بئر أريس وهى على ميلين من المدينة وكانت من أقل الآبار ماء فما أدرك حتى الساعة قعرها

ذكر الخبر عن سبب سقوط الخاتم من يد عثمان فى بئر أريس

❊ حدثنى محمد بن موسى الحرشى قال حدثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى الخزاز قال وكان شريك يونس بن عبيد قال حدثنا داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى الأعاجم كتباً يدعوهم إلى الله عز وجل فقال له رجل يارسول الله إنهم لا يقبلون كتابا إلا مختوما فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعمل له خاتم من حديد فجعله فى أصبعه فأتاه جبريل فقال له انبذه من أصبعك فنبذه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبعه وأمر بخاتم آخر يعمل له فعمل له خاتم من نحاس فجعله فى أصبعه فقال له جبريل عليه السلام انبذه من أصبعك فنبذه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبعه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاتم من ورق فصنع له خاتم من ورق فجعله فى أصبعه فأقره جبريل وأمر أن ينقش عليه محمد رسول الله فجعل يتختم به ويكتب إلى من أراد أن يكتب إليه من الأعاجم وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر فكتب كتابا إلى كسرى بن هرمز فبعثه مع عمر بن الخطاب فأتى به عمر كسرى فقرئ الكتاب فلم يلتفت إلى كتابه فقال عمر يارسول الله جعلنى الله فداءك أنت على سرير مرمول بالليف وكسرى بن هرمز على سرير من ذهب وعليه الديباج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال جعلنى الله فداءك قد رضيت وكتب كتابا آخر فبعث به مع دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل ملك الروم يدعوه إلى الإسلام فقرأه وضمه إليه ووضعه عنده فكان الخاتم فى أصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم به حتى قبضه الله عز وجل ثم استخلف أبو بكر فتختم به حتى قبضه الله عز وجل ثم ولى عمر بن الخطاب بعد فجعل يتختم

به حتى قبضه الله ثم ولى من بعده عثمان بن عفان فتختم به ست سنين فحفر بئرا بالمدينة شربا للمسلمين فقعد على رأس البئر فجعل يعبث بالخاتم ويديره بأصبعه فانسل الخاتم من أصبعه فوقع فى البئر فطلبوه فى البئر ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه فجعل فيه مالا عظيما لمن جاء به واغتم لذلك غما شديدا فلما يئس من الخاتم أمر فصنع له خاتم آخر مثله حلقه من فضة على مثاله وشبهه ونقش عليه محمد رسول الله فجعله فى أصبعه حتى هلك فلما قتل ذهب الخاتم من يده فلم يدر من أخذه

أخبار أبى ذر رحمه الله تعالى

﴿وفى هذه السنة﴾ أعنى سنة ٣٠ كان ما ذكر من أمر أبى ذر ومعاوية وإشخاص معاوية إياه من الشأم إلى المدينة وقد ذكر فى سبب إشخاصه إياه منها إليها أمور كثيرة كرهت ذكر أكثرها فأما العاذرون معاوية فى ذلك فإنهم ذكروا فى ذلك قصة كتب إلىّ بها إلى السرى يذكر أن شعيبا حدثه عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسى قال لما ورد ابن السوداء الشأم لقى أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول المال مال الله ألا إن كل شىء لله كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين فأتاه أبو ذر فقال ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله قال يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره قال فلا تقله قال فإنى لا أقول إنه ليس لله ولكن سأقول مال المسلمين قال وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له من أنت أظنك والله يهوديا فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به فأتى به معاوية فقال هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر وقام أبو ذر بالشام وجعل يقول يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس فكتب معاوية إلى عثمان إن أبا ذر قد أعضل بى وقد كان من أمره كيت وكيت فكتب إليه عثمان إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها فلم يبق إلا أن تثب فلا تنكأ القرح وجهز أبا ذر إلىّ وابعث معه دليلا وزوده وارفق به

وكف الناس ونفسك ما استطعت فإنما تمسك ما استمسكت فبعث بأبى ذر ومعه دليل فلما قدم المدينة ورأى المجالس فى أصل سلع قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار ودخل على عثمان فقال ياأباذر ما لأهل الشام يشكون ذربك فأخبره أنه لا ينبغى أن يقال مال الله ولا ينبغى للأغنياء أن يقتنوا مالا فقال ياأبا ذر على أن أقضى ما على وآخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد قال فتأذن لى فى الخروج فإن المدينة ليست لى بدار فقال أو تستبدل بها إلا شرا منها قال أمرنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا قال فانفذ لما أمرك به قال فخرج حتى نزل الربذة فخط بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين وأرسل إليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد أعرابيا ففعل ﴿وكتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد بن عوف عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أبو ذر يختلف من الربذة إلى المدينة مخافة الاعرابية وكان يحب الوحدة والخلوة فدخل على عثمان وعنده كعب الأحبار فقال لعثمان لا ترضوا من الناس بكف الأذى حتى يبذلوا المعروف وقد ينبغى للمؤدى الزكاة أن لا يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والإخوان ويصل القرابات فقال كعب من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه فرفع أبو ذر محجنه فضربه فشجه فاستوهبه عثمان فوهبه له وقال ياأباذر اتق الله واكفف يدك ولسانك وقد كان قال له ياابن اليهودية ما أنت وما ههنا والله لتسمعن منى أو لأدخل عليك ﴿وكتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن الأشعث بن سوار عن محمد بن سيرين قال خرج أبو ذر إلى الربذة من قبل نفسه لما رأى عثمان لا ينزع له وأخرج معاوية أهله من بعده فخرجوا إليه ومعهم جراب يثقل يد الرجل فقال انظروا الى هذا الذى يزهد فى الدنيا ما عنده فقالت امرأته أما والله مافيه دينار ولا درهم ولكنها فلوس كان إذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوسا لحوائجنا ولما نزل أبو ذر الربذة أقيمت الصلاة وعليها رجل يلى الصدقة فقال تقدم ياأباذر فقال لا تقدم أنت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى اسمع وأطع وإن كان عليك عبد مجدع فأنت عبد ولست بأجدع وكان

من رقيق الصدقة وكان أسود يقال له مجاشع (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مبشر بن الفضيل عن جابر قال أجرى عثمان على أبى ذر كل يوم عظما وعلى رافع ابن خديج مثله وكانا قد تنحيا عن المدينة لشىء سمعاه لم يفسر لهما وأبصرا وقد أوطئا (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن سوقة عن عاصم بن كليب عن سلمة بن نباتة قال خرجنا معتمرين فأتينا الربذة فطلبنا أباذر فى منزله فلم نجده وقالوا ذهب إلى الماء فتنحينا ونزلنا قريبا من منزله فمر ومعه عظم جزور يحمله معه غلام فسلم ثم مضى حتى أتى منزله فلم يمكث إلا قليلا حتى جاء فجلس إلينا وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى اسمع وأطع وان كان عليك حبشى مجدع فنزلت هذا الماء وعليه رقيق من رقيق مال الله وعليهم حبشى وليس بأجدع وهو ماعلمت وأثنى عليه ولهم فى كل يوم جزور ولى منها عظم آكله أنا وعيالى * قلت مالك من المال قال صرمة من الغنم وقطيع من الإبل فى أحدهما غلامى وفى الآخر أمتى وغلامى حر الى رأس السنة قال قلت إن أصحابك قبلنا أكثر الناس مالا قال أما إنهم ليس لهم فى مال الله حق إلا ولى مثله * وأما الآخرون فإنهم رووا فى سبب ذلك أشياء كثيرة وأمورا شنيعة كرهت ذكرها (وفى هذه السنة) هرب يزدجرد ابن شهريار فى قول بعضهم من فارس الى خراسان

ذكر من قال ذلك وما قال فيه

ذكر على بن محمد أن مسلمة أخبره عن داود قال قدم ابن عامر البصرة ثم خرج الى فارس فافتتحها وهرب يزدجرد من جور وهى أردشيرخره فى سنة ٣٠ فوجه ابن عامر فى أثره مجاشع بن مسعود السلمى فاتبعه الى كرمان فنزل مجاشع السيرجان بالعسكر وهرب يزدجرد الى خراسان قال وعبد القيس تقول وجه ابن عامر هرم بن حيان العبدى وبكر بن وائل تقول وجه ابن حسان اليشكرى قال وأصحه عندنا مجاشع قال على وأخبرنا سلمة بن عثمان وكان فاضلا عن شيخ من أهل كرمان والفضل الكرمانى عن أبيه قال اتبع مجاشع يزدجرد فخرج من السيرجان فلما كان عند القصر فى بيمند وهو الذى يقال له قصر مجاشع أصابهم

الثلج والدمق فوقع الثلج واشتد البرد وصار الثلج قامة رمح فهلك الجند وسلم مجاشع ورجل كانت معه جارية فشق بطن بعير فأدخلها فيه وهرب فلما كان من الغد جاء فوجدها حية فحملها فسمى ذلك القصر قصر مجاشع لأن جيشه هلكوا فيه وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السيرجان قال على أخبرنا أبو المقدام عن بعض مشيخته قال خرج مجاشع على وفد أهل البصرة من تستر وفيهم الأحنف وأخذ فى غداة واحدة على لجام واحد خمسين ألفاً سبق على الصفراء ابنة الغراء ابنة الغبراء فأخذها منه عمر حين قاسم عماله الأموال قال على فقلت للنضر بن اسحاق إن أبا المقدام ذكر هذا الحديث فقال صدق سمعته من عدة من الحى وغيرهم وفرسه الصفراء ابنة الغراء ابنة الغبراء وهو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن عائذ ابن وهب بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ويكنى أبا سليمان قال وفى هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث على الزوراء وصلى بمنى أربعا ﴿ وحج ﴾ بالناس فى هذه السنة عثمان رضى الله عنه

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فما كان فيها من ذلك غزوة المسلمين الروم التى يقال لها

غزوة الصوارى

فى قول الواقدى فأما أبو معشر فانه قال فيما حدثنى أحمد بن ثابت الرازى عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه كانت غزوة الصوارى سنة ٣٤ وقال كانت فى سنة ٣١ الأساودة فى البحر ووقائع كسرى وقال الواقدى غزوة الصوارى والأساودة كلتاهما كانتا فى سنة ٣١

ذكر الخبر عن هاتين الغزوتين

ذكر الواقدى أن محمد بن صالح حدثه عن عاصم بن عمير بن قتادة أن أهل الشأم خرجوا عليهم معاوية بن أبى سفيان وكانت الشأم قد جمع جمعها لمعاوية

ابن أبي سفيان

ذكر السبب في جمعها له

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عبد الملك والربيع وأبي مجالد وأبي عثمان وأبي حارثة قالوا لما حضر أبو عبيدة استخلف على عمله عياض بن غنم وهو خاله وابن عمه وقد كان ولى بالجزيرة عملا فعزله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلحق بأبي عبيدة بالشأم وكان معه وكان جوادا مشهورا بالجود لا يليق شيئا ولا يمنع أحدا فكلم عمر في ذلك فقيل له عزلت خالدا وعتبت عليه العطاء وعياض أجود العرب وأعطاهم لا يمنع شيئا يسأله فقال عمر حتى سيمه عياض في ماله حتى يخلص إلى مالنا وإنى مع ذلك لم أكن مغيرا أمرا قضاه أبو عبيدة ومات عياض بن غنم بعد أبي عبيدة فأمر عمر على عمله سعيد بن حذيم الجمحى ومات سعيد بعد فأمر عمر مكانه عمير بن سعد الأنصارى ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردن وعمير بن سعد على حمص وقنسرين وإنما مصر قنسرين معاوية بن أبي سفيان لمن لحق به من أهل العراقين ومات يزيد بن أبي سفيان فجعل عمر مكانه معاوية ونعاه لأبي سفيان فقال من جعلت على عمله ياأمير المؤمنين قال معاوية فقال وصلتك رحم فاجتمعت لمعاوية الأردن ودمشق ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردن وعمير بن سعد على حمص وقنسرين وعلقمة بن مجزز على فلسطين وعمرو بن العاص على مصر (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مبشر عن سالم قال كان أول عامل استعمله عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن وصية عمر ثم إن عمير بن سعد طعن فأضنى منها فاستعفى عثمان واستأذنه في الرجوع إلى أهله فأذن له وضم حمص وقنسرين إلى معاوية (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان عن خالد بن معدان قال لما ولى عثمان أقر عمال عمر على الشأم فلما مات عبد الرحمن بن علقمة الكنانى وكان على فلسطين ضم عمله إلى معاوية ومرض عمير بن سعد في إمارة عثمان مرضا طال به فاستعفاه واستأذنه فأذن له وضم عمله إلى معاوية فاجتمع الشأم على معاوية

لستتين من إمارة عثمان وكان عمرو بن العاص على مصر زمان عمر مجتمعة له فأقره عثمان صدرا من إمارته

رجع الحديث إلى حديث الواقدى عن خبر الغزوتين اللتين ذكرتهما إن أهل الشام خرجوا عليهم معاوية بن أبى سفيان وعلى أهل البحر عبد الله ابن سعد بن أبى سرح وقال وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بإفريقية فخرجوا فى جمع لم يجتمع للروم مثله قط منذ كان الإسلام فخرجوا فى خمسمائة مركب فالتقوا هم وعبد الله بن سعد فأمّن بعضهم بعضا حتى قرنوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك بين صواريها * قال ابن عمر حدثنى عيسى بن علقمة عن عبد الله بن أبى سفيان عن أبيه عن مالك بن أوس بن الحدثان قال كنت معهم فالتقينا فى البحر فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط وكانت الريح علينا فأرسينا ساعة وأرسوا قريبا منا وسكنت الريح عنا فقلنا الأمن بيننا وبينكم قالوا ذلك لكم ولنا منكم ثم قلنا إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم وإن شئتم فالبحر قال فنخروا نخرة واحدة وقالوا الماء فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها إلى بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضا على سفننا وسفنهم فقاتلنا أشد القتال ووثبت الرجال على الرجال يضطربون بالسيوف على السفن ويتواجؤن بالخناجر حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما * قال ابن عمر فحدثنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عمن حضر ذلك اليوم قال رأيت الساحل حيث تضرب الريح الموج وإن عليه لمثل الظرب العظيم من جثث الرجال وإن الدم الغالب على الماء ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير وقتل من الكفار ما لا يحصى وصبروا يومئذ صبرا لم يصبروا فى موطن قط ثم أنزل الله نصره على أهل الإسلام وانهزم القسطنطين مدبرا فما انكشف إلا لما أصابه من القتل والجراح ولقد أصابه يومئذ جراحات مكث منها حينا جريحا * قال ابن عمر حدثنى سالم مولى أم محمد عن خالد بن أبى عمران عن حنش بن عبد الله الصنعانى قال كان أول ما سمع من محمد بن أبى حذيفة حين ركب الناس البحر سنة ٣١ لما

صلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح بالناس العصر كبر محمد بن أبى حذيفة تكبيرا ورفع صوته حتى فرغ الإمام عبد الله بن سعد بن أبى سرح فلما انصرف سأل ماهذا فقيل له هذا محمد بن أبى حذيفة يكبر فدعاه عبد الله بن سعد فقال له ماهذه البدعة والحدث فقال له ماهذه بدعة ولا حدث وما بالتكبير بأس قال لا تعودن قال فأسكت محمد بن أبى حذيفة فلما صلى المغرب عبد الله بن سعد كبر محمد بن أبى حذيفة تكبيرا أرفع من الأول فأرسل اليه إنك غلام أحمق أما والله لولا أنى لاأدرى مايوافق أمير المؤمنين لقاربت بين خطوك فقال محمد بن أبى حذيفة والله مالك إلى ذلك سبيل ولو هممت به ماقدرت عليه قال فكف خير لك والله لاتركب معنا قال فأركب مع المسلمين قال اركب حيث شئت قال فركب فى مركب وحده مامعه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصوارى فلقوا جموع الروم فى خمسمائة مركب أو ستمائة فيها القسطنطين بن هرقل فقال أشيروا على قالوا ننظر الليلة فباتوا يضربون بالنواقيس وبات المسلمون يصلون ويدعون الله ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين أن يقاتل فقربوا سفنهم وقرب المسلمون فربطوا بعضها إلى بعض وصف عبد الله بن سعد المسلمين على نواحى السفن وجعل يأمرهم بقراءة القرآن ويأمرهم بالصبر ووثبت الروم فى سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقضوها فكانوا يقاتلون على غير صفوف قال فاقتتلوا قتالا شديدا ثم إن الله نصر المؤمنين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينج من الروم إلا الشريد قال وأقام عبد الله بذات الصوارى أياما بعد هزيمة القوم ثم أقبل راجعا وجعل محمد بن أبى حذيفة يقول للرجل أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقا فيقول الرجل وأى جهاد فيقول عثمان بن عفان فعل كذا وكذا وفعل كذا وكذا حتى أفسد الناس فقدموا بلدهم وقد أفسدهم وأظهروا من القول مالم يكونوا ينطقون به قال محمد بن عمر فحدثنى معمر بن راشد عن الزهرى قال خرج محمد بن أبى حذيفة ومحمد بن أبى بكر عام خرج عبد الله بن سعد فأظهرا عيب عثمان وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر وأن دم عثمان حلال ويقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح دمه ونزل

القرآن بكفره وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما وأدخلهم ونزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل سعيد بن العاص وعبدالله بن عامر فبلغ ذلك عبدالله بن سعد فقال لا تركبا معنا فركبا فى مركب مافيه أحد من المسلمين ولقوا العدو وكانا أنكل المسلمين قتالا فقيل لهما فى ذلك فقالا كيف نقاتل مع رجل لا ينبغى لنا أن نحكمه عبد الله بن سعد استعمله عثمان وعثمان فعل وفعل فأفسدا أهل تلك الغزاة وعابا عثمان أشد العيب فأرسل عبد الله بن سعد إليهما ينهاهما أشد النهى وقال والله لولا أنى لا أدرى مايوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما ﴿قال الواقدى﴾ وفى هذه السنة توفى أبو سفيان بن حرب وهو ابن ثمان وثمانين سنة ﴿وفى هذه السنة﴾ أعنى سنة ٣١ فتحت فى قول الواقدى أرمينية على يدى حبيب بن مسلمة الفهرى ﴿وفى هذه السنة﴾ قتل يزدجرد ملك فارس

ذكر الخبر عن سبب مقتله

اختلف فى سبب مقتله وكيف كان ذلك فقال علىّ بن محمد أخبرنا غياث بن إبراهيم عن ابن إسحاق قال هرب يزدجرد من كرمان فى جماعة يسيرة إلى مرو فسأل مرزبانها مالا فمنعه فخافوا على أنفسهم فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه فأتوه فبيتوه فقتلوا أصحابه وهرب يزدجرد حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحاء على شط المرغاب فأوى إليه ليلا فلما نام قتله قال علىّ وأخبرنا الهذلى قال أتى يزدجرد مرو هاربا من كرمان فسأل مرزبانها وأهلها مالا فمنعوه وخافوه فبيتوه ولم يستجيشوا عليه الترك فقتلوا أصحابه وخرج هاربا على رجليه معه منطقته وسيفه وتاجه حتى انتهى إلى منزل نقّار على شط المرغاب فلما غفل يزدجرد قتله النقار وأخذ متاعه وألقى جسده فى المرغاب وأصبح أهل مرو فاتبعوا أثره حتى خفى عليهم عند منزل النقار فأخذوه فأقر لهم بقتله وأخرج متاعه فقتلوا النقار وأهل بيته وأخذوا متاعه ومتاع يزدجرد وأخرجوه من المرغاب فجعلوه فى تابوت من خشب قال فزعم بعضهم أنهم حملوه إلى اصطخر فدفن بها فى أول سنة ٣١ وسميت مرو خذاذه شمن وقد كان يزدجرد وطئ امرأة بها فولدت له غلاما ذاهب الشق وذلك بعد ما قتل يزدجرد

فسمي المخدج فولد له أولاداً بخراسان فوجد قتيبة حين افتتح الصغد أو غيرها جاريتين فقيل له إنهما من ولد المخدج فبعث بهما أو باحداهما إلى الحجاج بن يوسف فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص قال علي وأخبرنا روح ابن عبد الله عن خرداذبه الرازي أن يزدجرد أتى خراسان ومعه خرزاذمهر أخو رستم فقال لماهويه مرزبان مرو اني قد سلمت إليك الملك ثم انصرف إلى العراق وأقام يزجرد بمرو وهمّ بعزل ماهويه فكتب ماهويه إلى الترك يخبرهم بانهزام يزدجرد وبقدومه عليه وعاهدهم على موازرتهم عليه وخلي لهم الطريق قال وأقبل الترك إلى مرو وخرج إليهم يزدجرد فيمن معه من أصحابه فقاتلهم ومعه ماهويه في أساورة مرو فأثخن يزدجرد في الترك فخشي ماهويه أن ينهزم الترك فتحول إليهم في أساورة مرو فانهزم جند يزدجرد وقتلوا وعقر فرس يزدجرد عند المساء فمضى ماشياً هارباً حتى انتهى إلى بيت فيه رحى على شط المرغاب فمكث فيه ليلتين فطلبه ماهويه فلم يقدر عليه فلما أصبح اليوم الثاني دخل صاحب الرحى بيته فلما رأى هيئة يزدجرد قال ما أنت إنسيّ أو جنيّ قال إنسي فهل عندك طعام قال نعم فأتاه به فقال إني مزمزم فأتني بما أزمزم به فذهب الطحان إلى إسوار من الأساورة فطلب منه ما يزمزم به قال وما تصنع به قال عندي رجل لم أر مثله قط وقد طلب هذا مني فأدخله على ماهويه فقال هذا يزدجرد اذهبوا فجيؤوني برأسه فقال له الموبذ ليس ذلك لك قد علمت أن الدين والملك مقترنان لا يستقيم أحدهما إلا بالآخر ومتى فعلت انتهكت الحرمة التي لا بعدها وتكلم الناس وأعظموا ذلك فشتمهم ماهويه وقال للأساورة من تكلم فاقتلوه وأمر عدة فذهبوا مع الطحان وأمرهم أن يقتلوا يزدجرد فانطلقوا فلما رأوه كرهوا قتله وتدافعوا ذلك وقالوا للطحان ادخل فاقتله فدخل عليه وهو نائم ومعه حجر فشدخ به رأسه ثم احتز رأسه فدفعه إليهم وألقى جسده في المرغاب فخرج قوم من أهل مرو فقتلوا الطحان وهدموا رحاه وخرج أسقف مرو فأخرج جسد يزدجرد من المرغاب فجعله في تابوت وحمله إلى اصطخر فوضعه في ناووس ﴿وقال آخرون﴾ في ذلك ما ذكر هشام بن محمد أنه ذكر له أن يزدجرد هرب بعد وقعة

نهاوند وكانت آخر وقعاتهم حتى سقط إلى أرض أصبهان وبها رجل يقال له مطيار من دهاقينها وهو المنتدب كان لقتال العرب حين نكلت الأعاجم عنها فدعاهم الى نفسه فقال ان وليت أموركم وسرت بكم اليهم ماتجعلون لى فقالوا نقر لك بفضلك فسار بهم فأصاب من العرب شيأ يسيراً فحظى به عندهم ونال به أفضل الدرجات فيهم فلما رأى يزدجرد أمر أصبهان ونزلها أتاه مطيار ذات يوم زائراً فحجبه بوابه وقال له قف حتى أستأذن لك عليه فوثب عليه فشجه أنفة وحمية لحجبه اياه ودخل البواب على يزدجرد مدمى فلما نظر اليه أفظعه ذلك وركب من ساعته مرتحلا عن أصبهان وأشير عليه أن يأتى أقصى مملكته فيكون بها لاشتغال العرب عنه بما هم فيه الى يوم فسار متوجهاً إلى ناحية الرى فلما قدمها خرج إليه صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده وأخبره بحصانتها وقال له إن أنت لم تجبنى يومك هذا ثم أتيتنى بعد ذلك لم أقبلك ولم آوك فأبى عليه يزدجرد وكتب له بالإصبهبذية وكان له فيما خلا عليه درجة أوضع منها وقال بعضهم أن يزدجرد مضى من فوره ذلك إلى سجستان ثم سار منها إلى مرو فى ألف رجل من الأساورة وقال بعضهم أن يزدجرد وقع إلى أرض فارس فأقام بها أربع سنين ثم أتى أرض كرمان فأقام بها سنتين أو ثلاث سنين فطلب إليه دهقان كرمان أن يقيم عنده فلم يفعل وطلب من الدهقان أن يعطيه رهينة فلم يعطه دهقان كرمان شيئا فلم يعطه ماطلب فأخذ برجله فسحبه وطرده عن بلاده فوقع منها إلى سجستان فأقام بها نحوا من خمس سنين ثم أجمع أن ينزل خراسان فيجمع الجموع فيها ويسير بهم إلى من غلبه على مملكته فسار بمن معه إلى مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين ومعه من رؤسائهم فرخزاذ فلما قدم مرو استغاث منهم بالملوك وكتب إليهم يستمدهم وإلى صاحب الصين وملك فرغانة وملك كابل وملك الخزر والدهقان يومئذ بمرو ماهويه بن مافناه بن فيد أبو براز ووكيل ماهويه ابنه براز مدينة مرو وكانت إليه وأراد يزدجرد دخول المدينة لينظر إليها وإلى قهندزها وكان ماهويه قد تقدم إلى ابنه أن لايفتحها له إن رام دخولها تخوفا لمكره وغدره فركب يزدجرد فى اليوم الذى أراد دخولها فأطاف بالمدينة فلما انتهى إلى باب

من أبوابها وأراد دخولها منه صاح أبو براز ببراز أن افتح وهو فى ذلك يشد منطقته ويومىء إليه أن لا يفعل وفطن لذلك رجل من أصحاب يزدجرد فأعلمه ذلك واستأذنه فى ضرب عنق ماهويه وقال إن فعلت صفت لك الأمور بهذه الناحية فأبى عليه وقال بعضهم بل كان يزدجرد ولى مرو فرخزاذ وأمر برازأن يدفع القهندز والمدينة إليه فأبى أهل المدينة ذلك لأن ماهويه أبابراز تقدم إليهم بذلك وقال لهم ليس هذا لكم بملك فقد جاءكم مفلولا مجروحا ومرو لاتحتمل مايحتمل غيرها من الكور فإذا جئتكم غدا فلا تفتحوا الباب فلما أتاهم فعلوا ذلك وانصرف فرخزاذ فجثا بين يدى يزدجرد وقال استصعبت عليك مرو وهذه العرب قد أتتك قال فما الرأى قال الرأى أن نلحق ببلاد الترك ونقيم بها حتى يتبين لنا أمر العرب فإنهم لا يدعون بلدة إلا دخلوها قال لست أفعل ولكنى أرجع عودى على بدئى فعصاه ولم يقبل رأيه وسار يزدجرد فأتى براز دهقان مرو وأجمع على صرف الدهقنة عنه إلى سنجان ابن أخيه فبلغ ذلك ماهويه أبابراز فعمل فى هلاك يزدجرد وكتب إلى نيزك طرخان يخبره أن يزدجرد وقع إليه مفلولا ودعاه إلى القدوم عليه لتكون أيديهما معا فى أخذه والاستيثاق منه فيقتلوه أو يصالحوا عليه العرب وجعل له إن هو أراحه منه أن يفى له كل يوم بألف درهم وسأله أن يكتب إلى يزدجرد مماكرا له لينحى عنه عامة جنده ويحصل فى طائفة من عسكره وخواصه فيكون أضعف لركنه وأوهن لشوكته وقال تعلمه فى كتابك اليه الذى عزمت عليه من مناصحته ومعونته على عدوه من العرب حتى يقهرهم وتطلب إليه أن يشتق لك اسما من أسماء أهل الدرجات بكتاب مختوم بالذهب وتعلمه أنك لست قادما عليه حتى ينحى عنه فرخزاذ فكتب نيزك بذلك إلى يزدجرد فلما ورد عليه كتابه بعث إلى عظماء مرو فاستشارهم فقال له سنجان لست أرى أن تنحى عنك جندك وفرخزاذ لشىء وقال أبو براز بل أرى أن تتألف نيزك وتجيبه إلى ما سأل فقبل رأيه وفرق عنه جنده وأمر فرخزاذ أن يأتى أجمة سرخس فصاح فرخزاذ وشق جيبه وتناول عمودا بين يديه يريد ضرب أبى براز به وقال ياقتلة الملوك قتلتم ملكين وأظنكم قاتلى هذا ولم يبرح فرخزاذ حتى كتب

له يزدجرد بخط يده كتابا هذا كتاب لفرخزاذ إنك قد سلمت يزجرد وأهله وولده وحاشيته ومامعه الى ماهويه دهقان مرو وأشهد عليه بذلك فأقبل نيزك الى موضع بين المرو يين يقال له جلينذان فلما أجمع يزدجرد على لقائه والمسير اليه أشار عليه أبو براز أن لا يلقاه فى السلاح فيرتاب به وينفر عنه ولكن يلقاه بالمزامير والملاهى ففعل فسار فيمن أشار عليه ماهويه وسمى له وتقاعس عنه أبو براز وكردس نيزك أصحابه كراديس فلما تدانيا استقبله نيزك ماشيا ويزدجرد على فرس له فأمر لنيزك بجنيبة من جنائبه فركبها فلما توسط عسكره تواقفا فقال له نيزك فيما يقول زوجنى احدى بناتك وأناصحك وأقاتل معك عدوك فقال له يزدجرد وعلى تجترئ أيها الكلب فعلاه نيزك بمخفقته وصاح يزدجرد غدر الغادر وركض منهزما ووضع أصحاب نيزك سيوفهم فيهم فأكثروا فيهم القتل وانتهى يزدجرد من هزيمته الى مكان من أرض مرو فنزل عن فرسه ودخل بيت طحان فمكث فيه ثلاثة أيام فقال له الطحان أيها الشقى أخرج فاطعم شيئا فإنك قد جعت منذ ثلاث قال لست أصل الى ذلك الا بزمزمة وكان رجل من زمازمة مرو اخرج حنطة له ليطحنها فكلمه الطحان أن يزمزم عنده ليأكل ففعل ذلك فلما انصرف سمع أبابراز يذكر يزدجرد فسألهم عن حليته فوصفوه له فأخبرهم أنه رآه فى بيت طحان وهو رجل جعد مقرون حسن الثنايا مقرط مسور فوجه إليه عند ذلك رجلا من الأساورة وأمره إن هو ظفر به أن يخنقه بوتر ثم يطرحه فى نهر مرو فلقوا الطحان فضربوه ليدل عليه فلم يفعل وجحدهم أن يكون يعرف أين توجه فلما أرادوا الانصراف عنه قال لهم رجل منهم إنى أجد ريح المسك ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج فى الماء فاجتذبه إليه فإذا هو يزدجرد فسأله أن لا يقتله ولا يدل عليه ويجعل له خاتمه وسواره ومنطقته قال الآخر أعطنى أربعة دراهم وأخلى عنك قال يزدجرد ويحك خاتمى لك وثمنه لا يحصى فأبى عليه قال يزدجرد قد كنت أخبر أنى سأحتاج إلى أربعة دراهم وأضطر إلى أن يكون أكلى أكل الهر فقد عاينت وجاءنى بحقيقته وانتزع أحد قرطيه فأعطاه الطحان مكافأة له لكتمانه عليه ودنا منه كأنه يكلمه بشىء فوصف له موضعه وأنذر الرجل أصحابه فأتوه فطلب اليهم يزدجرد أن لا يقتلوه

وقال ويحكم إنا نجد فى كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق فى الدنيا مع ماهو قادم عليه فلا تقتلونى وآتونى الدهقان أوسرحونى إلى العرب فإنهم يستحيون مثلى من الملوك فأخذوا ما كان عليه من الحلى فجعلوه فى جراب وختموا عليه ثم خنقوه بوتر وطرحوه فى نهر مرو فجرى به الماء حتى انتهى إلى فوهة الرزيق فتعلق بعود فأتاه أسقف مرو فحمله ولفه فى طيلسان ممسك وجعله فى تابوت وحمله إلى باب بابان أسفل ماجان فوضعه فى عقد كان يكون مجلس الأسقف فيه وردمه وسأل أبو براز عن أحد القرطين حين افتقده فأخذ الذى دل عليه فضربه حتى أتى على نفسه وبعث بما أصيب له إلى الخليفة يومئذ فأغرم الخليفة الدهقان قيمة القرط المفقود وقال آخرون بل سار يزدجرد من كرمان قبل ورود العرب إياها فأخذ على طريق الطبسين وقهستان حتى شارف مرو فى زهاء أربعة آلاف رجل ليجمع من أهل خراسان جموعا ويكر إلى العرب ويقاتلهم فتلقاه قائدان متباغضان متحاسدان كانا بمرو يقال لأحدهما براز والآخر سنجان ومنحاه الطاعة وأقام بمرو وخص براز فحسده ذلك سنجان وجعل براز يبغى سنجان الغوائل ويوغل صدر يزدجرد عليه وسعى بسنجان حتى عزم على قتله وأفشى ما كان عزم عليه من ذلك إلى امرأة من نسائه كان براز واطأها فأرسلت إلى براز بنسوة زعمت بإجماع يزدجرد على قتل سنجان وفشا ما كان عزم عليه يزدجرد من ذلك فنذر سنجان وأخذ حذره وجمع جمعاً كنحو أصحاب براز ومن كان مع يزدجرد من الجند وتوجه نحو القصر الذى كان يزدجرد نازله وبلغ ذلك براز فنكص عن سنجان لكثرة جموعه ورعب جمع سنجان يزدجرد وأخافه فخرج من قصره متنكراً ومضى على وجهه راجلا لينجو بنفسه فمشى نحوا من فرسخين حتى وقع إلى رحى ما فدخل بيت الرحى فجلس فيه كالا لغباً فرآه صاحب الرحى ذا هيئة وطرة وبزة كريمة ففرش له فجلس وأتاه بطعام فطعم ومكث عنده يوما وليلة فسأله صاحب الرحى أن يأمر له بشىء فبذل له منطقة مكللة بجوهر كانت عليه فأبى صاحب الرحى أن يقبلها وقال إنما كان يرضينى من هذه المنطقة أربعة دارهم كنت أطعم بها وأشرب فأخبره انه لا ورق معه

فتملقه صاحب الرحى حتى إذا غفا قام إليه بفأس له فضرب بها هامته فقتله واحتز رأسه وأخذ ماكان عليه من ثياب ومنطقة وألقى جيفته فى النهر الذى كان تدور بمائه رحاه وبقر بطنه وأدخل فيه أصولا من أصول طرفاء كانت نابتة فى ذلك النهر لتحبس جثته فى الموضع الذى ألقاها فيه فلا يسفل فيعرف ويطلب قاتله وما أخذ من سلبه وهرب على وجهه وبلغ قتل يزدجرد رجلا من أهل الأهواز كان مطرانا على مرو يقال له ايلياء فجمع من كان قبله من النصارى وقال لهم إن ملك الفرس قد قتل وهو ابن شهريار بن كسرى وإنما شهريار ولد شيرين المؤمنة التى قد عرفتم حقها وإحسانها إلى أهل ملتها من غير وجه ولهذا الملك عنصر فى النصرانية مع ما نال النصارى فى ملك جده كسرى من الشرف وقبل ذلك فى مملكة ملوك من أسلافه من الخير حتى بنى لهم بعض البيع وسدد لهم بعض ملتهم فينبغى لنا أن نحزن لقتل هذا الملك من كرامته بقدر إحسان أسلافه وجدته شيرين كان الى النصارى وقد رأيت أن أبنى له ناووسا وأحمل جثته فى كرامة حتى أواريها فيه فقال النصارى أمرنا لأمرك أيها المطران تبع ونحن لك على رأيك هذا مواطئون فأمر المطران فبنى فى جوف بستان المطارنة بمرو ناووسا ومضى بنفسه ومعه نصارى مرو حتى استخرج جثة يزدجرد من النهر وكفنها وجعلها فى تابوت وحمله من كان معه من النصارى على عواتقهم حتى أتوا به الناووس الذى أمر ببنائه له وواروه فيه وردموا بابه فكان ملك يزدجرد عشرين سنة منها أربع سنين فى دعة وستة عشر سنة فى تعب من محاربة العرب إياه وغلظتهم عليه وكان آخر ملك ملك من آل أردشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب (وفى هذه السنة) أعنى سنة ٣١ شخص عبد الله بن عامر إلى خراسان ففتح أبرشهر وطوس وبيورد ونسا حتى بلغ سرخس وصالح فيها أهل مرو

ذكر الخبر عن ذلك

ذكر أن ابن عامر لما فتح فارس قام اليه أوس بن حبيب التميمى فقال أصلح الله الأمير ان الأرض بين يديك ولم تفتتح من ذلك إلا القليل فسر فإن الله ناصرك قال أولم نأمر بالمسير وكره أن يظهر أنه قبل رأيه فذكر على بن محمد أن مسلمة بن محارب

أخبره عن السكن بن قتادة العرينى قال فتح ابن عامر فارس ورجع إلى البصرة واستعمل على إصطخر شريك بن الأعور الحارثى فبنى شريك مسجد اصطخر فدخل على ابن عامر رجل من بنى تميم قال كنا نقول انه الأحنف ويقال أوس بن جابر الجشمى جشم تميم فقال له ان عدوك منك هارب وهولك هائب والبلاد واسعة فسر فإن الله ناصرك ومعز دينه فتجهز ابن عامر وأمر الناس بالجهاز للمسير واستخلف على البصرة زياداً وسار إلى كرمان ثم أخذ إلى خراسان فقوم يقولون أخذ طريق إصبهان ثم سار إلى خراسان قال على أخبرنا المفضل الكرمانى عن أبيه قال كان أشياخ كرمان يذكرون أن ابن عامر نزل العسكر بالسيرجان ثم سار إلى خراسان واستعمل على كرمان مجاشع بن مسعود السلمى وأخذ ابن عامر على مفازة رابر وهى ثمانون فرسخا ثم سار إلى الطبسين يريد أبرشهر وهى مدينة نيسابور وعلى مقدمته الأحنف بن قيس فأخذ إلى قهستان وخرج إلى أبرشهر فلقيه الهياطلة وهم أهل هراة فقاتلهم الأحنف فهزمهم ثم أتى ابن عامر نيسابور قال على وأخبرنا أبو مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبى قال أخذ ابن عامر على مفازة خبيص ثم على خواست ويقال على يزد ثم على قهستان فقدم الأحنف فلقيه الهياطلة فقاتلهم فهزمهم ثم أتى أبرشهر فنزلها ابن عامر وكان سعيد ابن العاص فى جند أهل الكوفة فأتى جرجان وهو يريد خراسان فلما بلغه نزول ابن عامر أبرشهر رجع إلى الكوفة قال على أخبرنا على بن مجاهد قال نزل ابن عامر على ابرشهر على نصفها عنوة وكان النصف الآخر فى يد كنارى ونصف نسا وطوس فلم يقدر ابن عامر أن يجوز الى مرو فصالح كنارى فأعطاه ابنه أبا الصلت ابن كنارى وابن أخيه سليما رهنا ووجه عبد الله بن خازم الى هراة وحاتم بن النعمان الى مرو فأخذ ابن عامر ابنى كنارى فصارا الى النعمان بن الأفقم النصرى فأعتقهما قال على وأخبرنا أبو حفص الأزدى عن ادريس ابن حنظلة العمى قال فتح ابن عامر مدينة أبرشهر عنوة وفتح ما حولها طوس وبيوردونسا وحمران وذلك سنة ٣١ قال على أخبرنا أبو السرى المروزى عن أبيه قال سمعت موسى

ابن عبد الله بن خازم يقول أبى صالح أهل سرخس بعثه اليهم عبد الله عامر من أبر شهر وصالح ابن عامر أهل أبر شهر صلحا فأعطوه جاريتين من آل كسرى بابونج وطهميج أو طمهيج فأقبل بهما معه وبعث أمين بن أحمر اليشكرى ففتح ما حول أبر شهر طوس وبيورد ونسا وحمران حتى انتهى إلى سرخس قال على وأخبرنا الصلت بن دينار عن ابن سيرين قال بعث ابن عامر عبدالله بن خازم إلى سرخس ففتحها وأصاب بن عامر جاريتين من آل كسرى فاعطى احداهما النوشجان وماتت بابونج قال على وأخبرنا أبو الذيال زهير بن هنيد العدوى عن أشياخ من أهل خراسان أن ابن عامر سرح الأسود ابن كلثوم العدوى عدى الرباب إلى بيهق وهو من أبر شهر بينها وبين مدينة أبر شهر ستة عشر فرسخا ففتحها وقتل الأسود ابن كلثوم قال وكان فاضلا فى دينه كان من أصحاب عامر بن عبدالله العنبرى وكان عامر يقول بعد ما أخرج من البصرة ما آسى من العراق على شىء الا على ظماء الهواجر وتجاوب المؤذنين وإخوان مثل الاسود بن كلثوم قال على وأخبرنا زهير بن هنيد عن بعض عمومته قال غلب ابن عامر على نيسابور وخرج إلى سرخس فارسل إلى أهل مرو يطلبون الصلح فبعث اليهم ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلى فصالح أبراز مرزبان مرو على ألفى الف ومائتى ألف قال فاخبرنا مصعب بن حيان عن أخيه مقاتل ابن حيان قال صالحهم على ستة آلاف ألف ومائتى ألف ﴿ وحج ﴾ بالناس فى هذه السنة عثمان رضى الله عنه

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الاحداث المذكورة

فمن ذلك غزوة معاوية بن أبى سفيان المضيق مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف وقيل فاختة حدثنى بذلك احمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق عن أبى معشر وهو قول الواقدى ﴿ وفى هذه السنة ﴾ استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على فرج بلنجر وأمد الجيش

الذى كان به مقيما مع حذيفة بأهل الشأم عليهم حبيب بن مسلمة الفهرى فى قول سيف فوقع فيها الاختلاف بين سلمان وحبيب فى الأمر وتنازع فى ذلك أهل الشأم وأهل الكوفة

ذكر الخبر بذلك

فيما كتب به إلى السرى عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كتب عثمان إلى سعيد أن اغز سلمان الباب وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب أن الرعية قد أبطر كثيرا منهم البطنة فقصر ولا تقتحم بالمسلمين فانى خاش أن يبتلوا فلم يزجر ذلك عبد الرحمن عن غايته وكان لا يقصر عن بلنجر فغزا سنة تسع من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بلنجر حصروها ونصبوا عليها المجانيق والعرادات فجعل لا يدنو منها أحد إلا أعنتوه أو قتلوه فأسرعوا فى الناس وقتل معضد فى تلك الأيام ثم أن الترك اتعدوا يوما فخرج أهل بلنجر وتوافت اليهم الترك فاقتتلوا فأصيب عبد الرحمن بن ربيعة وكان يقال له ذو النور وانهزم المسلمون فتفرقوا فأما من أخذ طريق سلمان بن ربيعة فحماه حتى خرج من الباب وأما من أخذ طريق الخزر وبلادها فانه خرج على جيلان وجرجان وفيهم سلمان الفارسى وأبو هريرة وأخذ القوم جسد عبد الرحمن فجعلوه فى سفط فبقى فى أيديهم فهم يستسقون به إلى اليوم ويستنصرون به (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن داود ابن يزيد عن الشعبي قال والله لسلمان بن ربيعة كان أبصر بالمضارب من الجازر بمفاصل الجزور (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن الغصن بن القاسم عن رجل من بنى كنانة قال لما تتابعت الغزوات على الخزر وتذامروا وتعايروا وقالوا كنا أمة لا يقرن لنا أحد حتى جاءت هذه الأمة القليلة فصرنا لا نقوم لها فقال بعضهم لبعض أن هؤلاء لا يموتون ولو كانوا يموتون لما اقتحموا علينا وما أصيب فى غزواتها أحد إلا فى آخر غزوة عبد الرحمن فقالوا أفلا تجربون فكمنوا فى الغياض فمر بأولئك الكمين مرار من الجند فرموهم منها فقتلوهم فواعدوا رؤسهم ثم تداعوا إلى حربهم ثم اتعدوا يوما فاقتتلوا فقتل عبد الرحمن وأسرع فى الناس

فافترقوا فرقين فرق نحو الباب فحاهم سلمان حتى أخرجهم وفرق أخذوا نحو الخزر فطاعوا على جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسى وأبو هريرة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن المستنير بن يزيد عن أخيه قيس عن أبيه قال كان يزيد بن معاوية وعلقمة بن قيس ومعضد الشيبانى وأبو مفزر التميمى فى خباء وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحلحال بن ذرى والقرثع فى خباء وكانوا متجاورين فى عسكر بلنجر وكان القرثع يقول ما أحسن لمع الدماء على الثياب وكان عمرو بن عتبة يقول لقباء عليه أبيض ماأحسن حمرة الدما فى بياضك وغزا أهل الكوفة بلنجر سنين من إمارة عثمان لم تئم فيهن امرأة ولم ييتم فيهن صبي من قبل حتى كان سنة تسع فلما كان سنة تسع قبل المزاحفة بيومين رأى يزيد بن معاوية أن غزالا جيء به إلى خبائه لم ير غزالا أحسن منه حتى لف ملحفته ثم أتى به قبر عليه أربعة نفر لم ير قبرا أشد استواء منه ولا أحسن منه حتى دفن فيه فلما تغادى الناس على الترك رمى يزيد بحجر فهشم رأسه فكأنما زين ثوبه بالدماء زينة وليس يتلطخ فكان ذلك الغزال الذى رأى وكان بذلك الدم على ذلك القباء من الحسن فلما كان قبل المزاحفة بيوم تغادوا فقال معضد لعلقمة أعرنى بردك أعصب به رأسى ففعل فأتى البرج الذى أصيب فيه يزيد فرماهم فقتل منهم ورمى بحجر فى عرادة ففضخ هامته واجتره أصحابه فدفنوه إلى جنب يزيد وأصاب عمرو ابن عتبة جراحة فرأى قباءه كما اشتهى وقتل فلما كان يوم المزاحفة قاتل القرثع حتى خرق بالحراب فكأنما كان قباؤه ثوبا أرضه بيضاء ووشيه أحمر ومازال الناس ثبوتا حتى أصيب وكانت هزيمة الناس مع مقتله (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن داود بن يزيد قال كان يزيد بن معاوية النخعى رضى الله عنه وعمرو بن عتبة ومعضد أصيبوا يوم بلنجر فأما معضد فانه اعتجر ببرد لعلقمة فأتاه شظية من حجر منجنيق فأمه فاستصغره ووضع يده عليه فمات فغسل دمه علقمة فلم يخرج وكان يحضر فيه الجمعة وقال يحرضنى عليه أن فيه دم معضد فأما عمرو فلبس قباء أبيض وقال ماأحسن الدم على هذا فأتاه حجر فقتله وملأه دما وأما يزيد فدلى

عليه شيء فقتله وقد كانوا حفروا قبرا فأعدوه فنظر اليه يزيد فقال ما أحسنه وأرى فيما يرى النائم أن غزالا لم ير غزال أحسن منه جيء به حتى دفن فيه فكان هو ذلك الغزال وكان يزيد رفيقا جميلا رحمه الله وبلغ ذلك عثمان فقال انا لله وانا اليه راجعون انتكث أهل الكوفة اللهم تب عليهم وأقبل بهم (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا استعمل سعيد على ذلك الفرج سلمان بن ربيعة واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان وكان على ذلك الفرج قبل ذلك عبد الرحمن بن ربيعة وأمدهم عثمان فى سنة عشر بأهل الشأم عليهم حبيب بن مسلمة القرشي فتأمر عليه سلمان وأبى عليه حبيب حتى قال أهل الشأم لقد هممنا بضرب سلمان فقال فى ذلك الناس إذا والله نضرب حبيبا ونحبسه وإن أبيتم كثرت القتلى فيكم وفينا وقال أوس بن مغراء فى ذلك:

إن تَضْرِبوا سَلْمانَ نَضْرِبْ حَبِيبَكُمْ ... وإن تَرْحَلوا نَحْوَ ٱبْنِ عَفّانَ نَرْحَلِ
وان تُقْسِطوا فالثَّغْرُ ثَغْرُ أميرنا ... وهذا أميرٌ فى الكَتائِبِ مُقْبِلُ
ونَحْنُ وُلاةُ الثَّغْرِ كُنّا حُماتَهُ ... لَيالِيَ نَرْمِى كُلَّ ثَغْرٍ ونُنْكِلُ

فأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب كما كان يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة فلما أحس حذيفة أقر وأقروا فغزاها حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات فقتل عثمان فى الثالثة ولقيهم مقتل عثمان فقال اللهم العن قتلة عثمان وغزاة عثمان وشناة عثمان اللهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا متى ما كان من قبله يعاتبنا ونعاتبه فاتخذوا ذلك سلما إلى الفتنة اللهم لا تمتهم إلا بالسيوف (وفى هذه السنة) مات عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه زعم الواقدى أن عبد الله بن جعفر حدثه بذلك عن يعقوب ابن عتبة وأنه يوم مات كان ابن خمس وسبعين سنة * قال وفيها مات العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ ابن ثمان وثمانين سنة وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين * قال وفيها مات عبد الله بن زيد بن عبد ربه رحمه الله الذى أرى الأذان * قال وفيها توفى عبد الله بن مسعود بالمدينة فدفن بالبقيع رحمه الله فقال قائل صلى عليه عمار وقال قائل صلى عليه عثمان * وفيها مات أبو طلحة رحمه

الله (وفيها) مات أبو ذر رضى الله عنه فى رواية سيف

ذكر الخبر عن وفاته

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عطية بن يزيد الفقعسى قال لما حضرت أباذر الوفاة وذلك فى سنة ثمان فى ذى الحجة من امارة عثمان نزل بأبى ذر فلما أشرف قال لابنته استشرفى يا بنية فانظرى هل ترين أحدا قالت لا قال فما جاءت ساعتى بعد ثم أمرها فذبحت شاة ثم طبختها ثم قال إذا جاءك الذين يدفنونى فقولى لهم إن أباذر يقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا فلما نضجت قدرها قال لها انظرى هل ترين أحدا قالت نعم هؤلاء ركب مقبلون قال استقبلى بى الكعبة ففعلت وقال بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم خرجت ابنته فتلقتهم وقالت رحمكم الله اشهدوا أباذر قالوا وأين هو فأشارت لهم إليه وقد مات فادفنوه قالوا نعم ونعمة عين لقد أكرمنا الله بذلك وإذا ركب من أهل الكوفة فيهم ابن مسعود فمالوا اليه وابن مسعود يبكى ويقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت وحده ويبعث وحده فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه فلما أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم إن أبا ذر يقرأ عليكم السلام وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا ففعلوا وحملوهم حتى أقدموهم مكة ونعوه إلى عثمان فضم ابنته إلى عياله وقال يرحم الله أبا ذر ويغفر لرافع بن خديج سكونه (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن القعقاع بن الصلت عن رجل عن كليب بن الحلحال عن الحلحال بن ذرى قال خرجنا مع ابن مسعود سنة ٣١ ونحن أربعة عشر راكبا حتى أتينا على الربذة فاذا امرأة قد تلقتنا فقالت اشهدوا أبا ذر وما شعرنا بأمره ولا بلغنا فقلنا وأين أبو ذر فأشارت الى خباء فقلنا ماله قالت فارق المدينة لأمر قد بلغه فيها ففارقها قال ابن مسعود مادعاه إلى الاعراب فقالت أما ان أمير المؤمنين قد كره ذلك ولكنه كان يقول هى بعد وهى مدينة فمال ابن مسعود اليه وهو يبكى فغسلناه وكفناه وإذا خباؤه خباء منضوح بمسك فقلنا للمرأة ماهذا فقالت كانت مسكة فلما حضر قال إن الميت يحضره شهود يجدون الريح ولا يأكلون فدوفى تلك

المسك بماء ثم رشى بها الخباء فاقريهم ريحها واطبخى هذا اللحم فإنه سيشهدنى قوم صالحون يلون دفنى فاقريهم فلما دفناه دعتنا إلى الطعام فأكلنا وأردنا احتمالها فقال ابن مسعود أمير المؤمنين قريب نستأمره فقدمنا مكة فأخبرناه الخبر فقال يرحم الله أبا ذر ويغفر له نزوله الربذة ولما صدر خرج فأخذ طريق الربذة فضم عياله إلى عياله وتوجه نحو المدينة وتوجهنا نحو العراق وعدتنا ابن مسعود وأبو مفزر التميمى وبكر بن عبد الله التميمى والأسود بن يزيد النخعى وعلقمة بن قيس النخعى والحلحال بن ذرى الضبى والحارث بن سويد التميمى وعمرو بن عتبة بن فرقد السلمى وابن ربيعة السلمى وأبو رافع المزنى وسويد بن مثعبة التميمى وزياد بن معاوية النخعى وأخو القرثع الضبى وأخو معضد الشيبانى (وفى سنة ٣٢) فتح ابن عامر مروروذ والطلقان والفارياب والجوزجان وطخارستان

ذكر الخبر عن ذلك

قال على أخبرنا سلمة بن عثمان وغيره عن إسماعيل بن مسلم عن ابن سيرين قال بعث ابن عامر الأحنف بن قيس إلى مروروذ فحصر أهلها فخرجوا إليهم فقاتلوهم فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصنهم فاشرفوا عليهم فقالوا يامعشر العرب ما كنتم عندنا كما نرى ولو علمنا أنكم كما نرى لكانت لنا ولكم حال غير هذه فأمهلونا ننظر يومنا وارجعوا إلى عسكركم فرجع الأحنف فلما أصبح غاداهم وقد أعدوا له الحرب فخرج رجل من العجم معه كتاب من المدينة فقال إنى رسول فأمنونى فأمنوه فإذا رسول من مرزبان مرو ابن أخيه وترجمانه وإذا كتاب المرزبان إلى الأحنف فقرأ الكتاب قال فإذا هو إلى أمير الجيش إنا نحمد الله الذى بيده الدول يغير ما شاء من الملك ويرفع من شاء بعد الذلة ويضع من شاء بعد الرفعة إنه دعانى إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جدى وما كان رأى من صاحبكم من الكرامة والمنزلة فمرحباً بكم وأبشروا وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا على أن أؤدى اليكم خراجا ستين ألف درهم وإن تقروا بيدى ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جد أبى حيث قتل الحية التى أكلت الناس وقطعت السبل

من الأرضين والقرى بما فيها من الرجال ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتى شيئا من الخراج ولا يخرج المرزبة من أهل بيتى إلى غيرهم فإن جعلت ذلك لى خرجت إليك وقد بعثت إليك ابن أخى ماهك ليستوثق منك بما سألت قال فكتب إليه الأحنف بسم الله الرحمن الرحيم من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مروروذ ومن معه من الأساورة والأعاجم سلام على من اتبع الهدى وآمن واتقى أما بعد فإن ابن أخيك ماهك قدم على فنصح لك جهده وابلغ عنك وقد عرضت ذلك على من معى من المسلمين وأنا وهم فيما عليك سواء وقد أجبناك إلى ما سألت وعرضت على أن تؤدى عن أكرتك وفلاحيك والأرضين ستين ألف درهم إلى وإلى الوالى من بعدى من امراء المسلمين إلا ما كان من الأرضين التى ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه اقطع جد أبيك لما كان من قتله الحية التى افسدت الأرض وقطعت السبل والأرض لله ولرسوله يورثها من يشاء من عباده وإن عليك نصرة المسلمين وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة إن أحب المسلمون ذلك وأرادوه وإن لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملتك جار لك بذلك منى كتاب يكون لك بعدى ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوى الأرحام وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وأنت أخوهم ولك بذلك ذمتى وذمة أبى وذمم المسلمين وذمم آبائهم شهد على ما فى هذا الكتاب جزء بن معاوية أو معاوية بن جزء السعدى وحمزة بن الهرماس وحميد بن الخيار المازنيان وعياض بن ورقاء الأسيدى وكتب كيسان مولى بنى ثعلبة يوم الأحد من شهر الله المحرم وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس ونقش خاتم الأحنف نعبد الله قال على أخبرنا مصعب بن حيان عن أخيه مقاتل بن حيان قال صالح ابن عامر أهل مرو وبعث الأحنف فى أربعة آلاف إلى طخارستان فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مروروذ وجمع له أهل طخارستان وأهل الجوزجان والطالقان والفارياب فكانوا ثلاثة زحوف ثلاثين ألفاً وأتى الأحنف خبرهم وما جمعوا له فاستشار

الناس فاختلفوا فبين قائل نرجع الى مرو وقائل نرجع الى أبرشهر وقائل نقيم ونستمد وقائل نلقاهم فنناجزهم قال فلما أمسى الأحنف خرج يمشى فى العسكر ويستمع حديث الناس فمر بأهل خباء ورجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن وهم يتحدثون ويذكرون العدو فقال بعضهم الرأى للأمير ان يسير اذا أصبح حتى يلقى القوم حيث لقيهم فإنه أرعب لهم فينا جزهم فقال صاحب الخزيرة أو العجين ان فعل ذلك فقد أخطأ وأخطأتم أتأمرونه أن يلقى حد العدو ومصحراً فى بلادهم فيلقى جمعاً كثيراً بعدد قليل فإن جالوا جولة اصطلمونا ولكن الرأى له أن ينزل بين المرغاب والجبل فيجعل المرغاب عن يمينه والجبل عن يساره فلا يلقاه من عدوه وان كثروا الا عدد أصحابه فرجع الأحنف وقد اعتقد ما قال فضرب عسكره وأقام فارسل اليه أهل مرو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه فقال انى أكره أن أستنصر بالمشركين فأقيموا على ما أعطيناكم وجعلنا بيننا وبينكم فإن ظفرنا فنحن على ما جعلنا لكم وان ظفروا بنا وقاتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم قال فوافق المسلمين صلاة العصر فعاجلهم المشركون فناهضوهم فقاتلوهم وصبر الفريقان حتى أمسوا والأحنف يتمثل بشعر ابن جؤية الأعرجى

أَحَق من لم يَكْرَهِ المَنِيَّهْ حَزَوَّرٌ ليست له ذُرِّيَّة

قال على أخبرنا أبو الأشهب السعدى عن أبيه قال لقى الأحنف أهل مروروذ والطالقان والفارياب والجوزجان فى المسلمين ليلا فقاتلهم حتى ذهب عامة الليل ثم هزمهم الله فقتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى رسكن وهى على اثنى عشر فرسخا من قصر الأحنف وكان مرزبان مروروذ قد تربص بحمل ما كانوا صالحوه عليه لينظر مايكون من أمرهم قال فلما ظفر الأحنف سرح رجلين إلى المرزبان وأمرهما أن لا يكلماه حتى يقبضاه ففعلا فعلم أنهم لم يصنعوا ذاك به إلا وقد ظفروا فحمل ما كان عليه قال على وأخبرنا المفضل الضبى عن أبيه قال سار الأقرع بن حابس إلى الجوزجان بعثه الأحنف فى جريدة خيل إلى بقية كانت بقيت من الزحوف الذين هزمهم الأحنف فقاتلهم فجال المسلمون جولة فقتل فرسان من فرسانهم ثم أظفر

الله المسلمين بهم فهزموهم وقتلوهم فقال كثير النهشلى

سَقَى مُزن السحاب إذا اسْتَهَلّت مَصارعَ فِتيَةٍ بالجوزَجان
إلى القصرين من رُسْتاقِ خُوطٍ أقادَهُمُ هُناكَ الأقرعان

وهى طويلة (وفى هذه السنة) جرى الصلح بين الأحنف وبين أهل بلخ

ذكر الخبر بذلك

قال على أخبرنا زهير بن الهنيد عن إياس بن المهلب قال سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصرهم فصالحه أهلها على أربعمائة ألف فرضى منهم بذلك واستعمل ابن عمه وهو أسيد بن المتشمس ليأخذ منهم ماصالحوه عليه ومضى إلى خارزم فأقام حتى هجم عليه الشتاء فقال لأصحابه ماترون قال له حصين قد قال لك عمرو بن معديكرب قال وما قال قال

إذا لم تستطع أمراً فدَعه وجاوزه إلى ما تَستطيع

قال فأمر الأحنف بالرحيل ثم انصرف إلى بلخ وقد قبض ابن عمه ماصالحهم عليه وكان وافق وهو يجبيهم المهرجان فأهدوا إليه هدايا من آنية الذهب والفضة ودنانير ودراهم ومتاع وثياب فقال ابن عم الأحنف هذا ماصالحناكم عليه قالوا لا ولكن هذا شىء نصنعه فى هذا اليوم بمن ولينا نستعطفه به قال وما هذا اليوم قالوا المهرجان قال ماأدرى ماهذا وإنى لأكره أن أرده ولعله من حق ولكن اقبضه واعزله حتى أنظر فقبضه وقدم الأحنف فأخبره فسألهم عنه فقالوا مثل ماقالوا لابن عمه فقال آتى به الأمير فحمله إلى ابن عامر فأخبره عنه فقال اقبضه ياأبا بحر فهو لك قال لاحاجة لى فيه فقال ابن عامر ضمه إليك يامسمار قال قال الحسن فضمه القرشى وكان مضما قال على وأخبرنا عمرو بن محمد المرى عن أشياخ من بنى مرة أن الأحنف استعمل على بلخ بشر بن المتشمس قال على وأخبرنا صدقة بن حميد عن أبيه قال بعث ابن عامر حين صالح أهل مرو وصالح الأحنف أهل بلخ خليد بن عبد الله الحنفى إلى هراة وباذغيس فافتتحها ثم كفروا بعد فكانوا مع قارن قال على وأخبرنا مسلمة عن داود قال ولما رجع الأحنف إلى ابن عامر

قال الناس لابن عامر مافتح على أحد ماقد فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان قال لاجرم لأجعلن شكرى لله على ذلك أن أخرج محرما معتمراً من موقفى هذا فأحرم بعمرة من نيسابور فلما قدم على عثمان لامه على إحرامه من خراسان وقال ليتك تضبط ذلك من الوقت الذى يحرم منه الناس قال على أخبرنا مسلمة عن السكن بن قتادة العرينى قال استخلف ابن عامر على خراسان قيس بن الهيثم وخرج ابن عامر منها فى سنة ٣٢ قال فجمع قارن جمعا كثيراً من ناحية الطبسين وأهل باذغيس وهراة وقهستان فأقبل فى أربعين ألفاً فقال لعبد الله ابن خازم ماترى قال أرى أن تخلى البلاد فإنى أميرها ومعى عهد من ابن عامر إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها وأخرج كتاباً قد افتعله عمداً فكره قيس مشاغبته وخلاه والبلاد وأقبل إلى ابن عامر فلامه ابن عامر وقال تركت البلاد حربا وأقبلت قال جاءنى بعهد منك فقالت له أمه قد نهيتك أن تدعهما فى بلد فإنه يشغب عليه قال فسار ابن خازم إلى قارن فى أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك فلما قرب من عسكره أمر الناس فقال ليدرج كل رجل منكم على زج رمحه ما كان معه من خرقة أو قطن أو صوف ثم أوسعوه من الودك من سمن أو دهن أو زيت أو إهالة ثم سار حتى إذا أمسى قدم مقدمته ستمائة ثم أتبعهم وأمر الناس فأشعلوا النيران فى أطراف الرماح وجعل يقتبس بعضهم من بعض قال وانتهت مقدمته إلى عسكر قارن فأتوهم نصف الليل ولهم حرس فناوشوهم وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين فى أنفسهم من البيات ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنة ويسرة وتتقدم وتتأخر وتنخفض وترتفع فلا يرون أحداً فهالهم ذلك ومقدمة بن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين فقتل قارن وانهزم العدو فأتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤا وأصابوا سبياً كثيراً فزعم شيخ من بنى تميم قال كانت أم الصلت بن حريث من سبى قارن وأم زياد بن الربيع منهم وأم عون أبى عبد الله بن عون الفقيه منهم قال على حدثنا مسلمة قال أخذ ابن خازم عسكر قارن بما كان فيه وكتب بالفتح إلى ابن عامر فرضى وأقره على خراسان فلبث

عليها حتى انقضى أمر الجمل فأقبل إلى البصرة فشهد وقعة ابن الحضرمى وكان معه فى دار سنبيا قال على وأخبرنا الحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير الخزاعى قال جمع قارن للمسلمين جمعا كثيراً فضاق المسلمون بأمرهم فقال قيس بن الهيثم لعبد الله ابن خازم ماترى قال أرى أنك لا تطيق كثرة من قد أتانا فاخرج بنفسك إلى ابن عامر فتخبره بكثرة من قد جمعوا لنا ونقيم نحن فى هذه الحصون ونطاولهم حتى تقدم ويأتينا مددكم قال فخرج قيس بن الهيثم فلما أمعن أظهر ابن خازم عهداً وقال قد ولانى ابن عامر خراسان فسار إلى قارن فظفر به وكتب بالفتح إلى ابن عامر فأقره ابن عامر على خراسان فلم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من أهل خراسان فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعقبة فكانوا على ذلك حتى كانت الفتنة

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

﴿فقيها﴾ كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم من ناحية ملطية فى قول الواقدى ﴿وفيها﴾ كانت غزوة عبد الله بن سعد بن أبى سرح افريقية الثانية حين نقض أهلها العهد ﴿وفيها﴾ قدم عبد الله بن عامر الأحنف بن قيس إلى خراسان وقد انتقض أهلها ففتح المروين مرو الشاهجان صلحا ومرو الروذ بعد قتال شديد وتبعه عبد الله بن عامر فنزل أبرشهر ففتحها صلحا فى قول الواقدى ﴿وأما﴾ أبو معشر فانه قال فيما حدثنى أحمد بن ثابت الرازى عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عنه قال كانت قبرس سنة ٣٣ وقد ذكرنا قول من خالفه فى ذلك والخبر عن قبرس ﴿وفيها﴾ كان تسيير عثمان بن عفان من سير من أهل العراق إلى الشأم

ذكر تسيير من سير من أهل الكوفة إليها

اختلف أهل السير فى ذلك فأما سيف فانه ذكر فيما كتب به إلى السرى عن شعيب عنه عن محمد وطلحة قالا كان سعيد بن العاص لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية وقراء أهل البصرة والمتسمتون وكان هؤلاء دخلته

إذا خلا فأما إذا جلس للناس فانه يدخل عليه كل أحد فجلس للناس يوما فدخلوا عليه فبيناهم جلوس يتحدثون قال خنيس بن فلان ما أجود طلحة بن عبيد الله فقال سعيد ابن العاص إن من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جوادا والله لو أن لى مثله لأعاشكم الله عيشا رغداً فقال عبد الرحمن بن خنيس وهو حدث والله لوددت أن هذا الملطاط لك يعنى ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذى يلى الكوفة قالوا فض الله فاك والله لقد هممنا بك فقال خنيس غلام فلا تجاوزوه فقالوا يتمنى له من سوادنا قال ويتمنى لكم أضعافه قالوا لا يتمنى لنا ولا له قال ما هذا بكم قالوا أنت والله أمرته بها فثار اليه الأشتر وابن ذى الحبكة وجندب وصعصعة وابن الكواء وكميل وعمير ابن ضابىء فأخذوه فذهب أبوه ليمنع منه فضربوهما حتى غشى عليهما وجعل سعيد يناشدهم ويأبون حتى قضوا منهما وطرا فسمعت بذلك بنو أسد فجاؤا وفيهم طليحة فأحاطوا بالقصر وركبت القبائل فعاذوا بسعيد وقالوا أفلتنا وتخلصنا فخرج سعيد إلى الناس فقال أيها الناس قوم تنازعوا وتهاووا وقد رزق الله العافية ثم قعدوا وعادوا فى حديثهم وتراجعوا فسألهم وردهم وأفاق الرجلان فقال أبكما حياة قالا قتلتنا غاشيتك قال لا يغشونى والله أبداً فاحفظا على ألسنتكما ولا تجرآ على الناس ففعلا ولما انقطع رجاء أولئك النفر من ذلك قعدوا فى بيوتهم وأقبلوا على الاذاعة حتى لامه أهل الكوفة فى أمرهم فقال هذا أميركم وقد نهانى أن أحرك شيئاً فمن أراد منكم أن يحرك شيئاً فليحركه فكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان فى اخراجهم فكتب إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية فأخرجوهم فذلوا وانقادوا حتى أتوه وهم بضعة عشر فكتبوا بذلك إلى عثمان وكتب عثمان إلى معاوية أن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلقوا للفتنة فرعهم وقم عليهم فان آنست منهم رشدا فاقبل منهم وإن أعيوك فارددهم عليهم فلما قدموا على معاوية رحب بهم وأنزلهم كنيسة تسمى مريم وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجرى عليهم بالعراق وجعل لا يزال يتغدى ويتعشى معهم فقال لهم يوما إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة وقد أدركتم بالإسلام شرفا وغلبتم الأمم وحويتم مراتبهم ومواريثهم وقد

بلغنى أنكم نقمتم قريشا وإن قريشا لولم تكن عدتم أذلة كما كنتم ان أئمتكم لكم إلى اليوم جنة فلا تسدوا عن جنتكم وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم المؤونة والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم ثم لا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية فى حياتكم وبعد موتكم فقال رجل من القوم أما ماذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها فى الجاهلية فتخوفنا وأما ما ذكرت من الجنة فإن الجنة إذا اخترقت خلص الينا فقال معاوية عرفتكم الآن علمت أن الذى أغراكم على هذا قلة العقول وأنت خطيب القوم ولا أرى لك عقلا أعظم عليك أمر الإسلام وأذكرك به وتذكرنى الجاهلية وقد وعظتك وتزعم لما يجنك أنه يخترق ولا ينسب ما يخترق إلى الجنة أخزى الله أقواما أعظموا أمركم ورفعوا إلى خليفتكم افقهوا ولا أظنكم تفقهون أن قريشاً لم تعز فى جاهلية ولا إسلام إلا بالله عز وجل لم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا وأمحضهم أنسابا وأعظمهم أخطارا وأكملهم مروءة ولم يمتنعوا فى الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا إلا بالله الذى لا يستذل من أعز ولا يوضع من رفع فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم هل تعرفون عربا أو عجما أو سودا أو حمراً إلا قد أصابه الدهر فى بلده وحرمته بدولة إلا ما كان من قريش فانه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل حتى أراد الله أن يتنقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه ثم ارتضى له أصحاباً فكان خيارهم قريشا ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخليفة فيهم ولا يصلح ذلك إلا عليهم فكان الله يحوطهم فى الجاهلية وهم على كفرهم بالله افتراه لا يحوطهم وهم على دينه وقد حاطهم فى الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم أف لك ولأصحابك ولو أن متكلما غيرك تكلم ولكنك ابتدأت فأما أنت ياصعصعة فان قريتك شر قرى عربية أنتنها نبتا وأعمقها واديا وأعرفها بالشر وألأمها جيرانا لم يسكنها شريف قط ولا وضيع إلا سب بها وكانت عليه هجنة ثم كانوا أقبح العرب ألقابا وألأمه أصهارا نزاع الأمم وأنتم جيران الخط وفعلة

فارس حتى أصابتكم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ونكبتك دعوته وأنت نزيع شطير فى عمان لم تسكن البحرين فتشركهم فى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فأنت شر قومك حتى إذا أبرزك الإسلام وخلطك بالناس وحملك على الأمم التى كانت عليك أقبلت تبغى دين الله عوجا وتنزع إلى اللامة والذلة ولا يضع ذلك قريشا ولن يضرهم ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم إن الشيطان عنكم غير غافل قد عرفكم بالشر من بين أمتكم فأغرى بكم الناس وهو صارعكم لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء قضاه الله ولا أمرا أراده الله ولا تدركون بالشر أمرا أبدا إلا فتح الله عليكم شرا منه وأخزى ثم قام وتركهم فتذامروا فتقاصرت إليهم أنفسهم فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال إنى قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم لا والله لا ينفع الله بكم أحدا ولا يضره ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة ولكنكم رجال نكير وبعد فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم وليسعكم ما وسع الدهماء ولا يبطرنكم الأنعام فان البطر لا يعترى الخيار اذهبوا حيث شئتم فإنى كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم فلما خرجوا دعاهم فقال إنى معيد عليكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوما فولانى وأدخلنى فى أمره ثم استخلف أبو بكر رضى الله تعالى عنه فولانى ثم استخلف عمر فولانى ثم استخلف عثمان فولانى فلم آل لأحد منهم ولم يولنى إلا وهو راض عنى وإنما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعمال أهل الجزاء عن المسلمين والغناء ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها وأن الله ذو سطوات ونقمات يمكر بمن مكر به فلا تعرضوا الأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فإن الله غير تارككم حتى يختبركم ويبدى للناس سرائركم وقد قال عز وجل (الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) وكتب معاوية إلى عثمان أنه قدم على أقوام ليست لهم عقول ولا أديان أثقلهم الإسلام وأضجرهم العدل لا يريدون الله بشىء ولا يتكلمون بحجة إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة والله مبتليهم ومختبرهم ثم فاضحهم ومخزيهم وليسوا بالذين ينكون أحدا إلا مع غيرهم فإنه سعيدا ومن قبله عنهم فإنهم

ليسوا الأكثر من شغب أو نكير وخرج القوم من دمشق فقال لاترجعوا إلى الكوفة فإنهم يشمتون بكم وميلوا بنا إلى الجزيرة ودعوا العراق والشام فأووا إلى الجزيرة وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان معاوية قد ولاه حمص وولى عامل الجزيرة حران والرقة فدعا بهم فقال يا آلة الشيطان لامرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسورا وأنتم بعد نشاط خسر الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم حتى يحسركم يامعشر من لاأدرى أعرب أم عجم لكى لا تقولوا لى مايبلغنى أنكم تقولون لمعاوية أناابن خالد بن الوليد أنا ابن من قد عجمته العاجمات أنا ابن فاقئ الردة والله لئن بلغنى يا صعصعة بن ذل أن أحدا ممن معى دق أنفك ثم امصك لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى فأقامهم أشهرا كلما ركب أمشاهم فاذا مر به قال ياابن الحطيئة أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر مالك لاتقول كما كان يبلغنى أنك تقول لسعيد ومعاوية فيقول ويقولون نتوب إلى الله أقلنا أقالك الله فمازالوا به حتى قال تاب الله عليكم وسرح الأشتر الى عثمان وقال لهم ماشئتم إن شئتم فاخرجوا وإن شئتم فأقيموا وخرج الأشتر فأتى عثمان بالتوبة والندم والنزوع عنه وعن أصحابه فقال سلمكم الله وقدم سعيد بن العاص فقال عثمان للأشتر احلل حيث شئت فقال مع عبد الرحمن بن خالد وذكر من فضله فقال ذاك إليكم فرجع إلى عبد الرحمن وأما محمد بن عمر فإنه ذكر ان أبا بكر بن إسماعيل حدثه عن أبيه عن عامر ابن سعد أن عثمان بعث سعيد بن العاص إلى الكوفة أميراً عليها حين شهد على الوليد ابن عقبة بشرب الخمر من شهد عليه وأمره أن يبعث إليه الوليد بن عقبة قال فقدم سعيد بن العاص الكوفة فأرسل إلى الوليد أن أمير المؤمنين يأمرك أن تلحق به قال فتضجع أياما فقال له انطلق الى أخيك فإنه قد أمرنى أن أبعثك إليه قال وما صعد منبر الكوفة حتى أمر به أن يغسل فناشده رجال من قريش كانوا قد خرجوا معه من بنى أمية وقالوا إن هذا قبيح والله لو أراد هذا غيرك لكان حقا أن تذب عنه يلزمه عار هذا أبداً قال فأبى إلا أن يفعل فغسله وأرسل إلى الوليد أن يتحول من دار الإمارة فتحول منها ونزل دار عمارة بن عقبة فقدم الوليد على عثمان فجمع بينه

وبين خصمائه فرأى أن يجلده فجلده الحد قال محمد بن عمر حدثنى شيبان عن مجالد عن الشعبي قال قدم سعيد بن العاص الكوفة فجعل يختار وجوه الناس يدخلون عليه ويسمرون عنده وأنه سمر عنده ليلة وجوه أهل الكوفة منهم مالك بن كعب الأرحبي والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان وفيهم مالك الاشتر فى رجال فقال سعيد إنما هذا السواد بستان لقريش فقال الاشتر أتزعم أن السواد الذى أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك والله مايزيد أوفاكم فيه نصيباً إلا أن يكون كأحدنا وتكلم معه القوم قال فقال عبد الرحمن الأسدى وكان على شرطة سعيد أتردون على الأمير مقالته وأغلظ لهم فقال الأشتر من ههنا لايفوتنكم الرجل فوثبوا عليه فوطؤوه وطأ شديداً حتى غشى عليه ثم جر برجله فألقى فنضح بماء فأفاق فقال له سعيد أبك حياة فقال قتلنى من انتخبت زعمت للإسلام فقال والله لا يسمر منهم عندى أحد أبداً فجعلوهم يجلسون فى مجالسهم وبيوتهم يشتمون عثمان وسعيدا واجتمع الناس إليهم حتى كثر من يختلف إليهم فكتب سعيد إلى عثمان يخبره بذلك ويقول إن رهطاً من أهل الكوفة سماهم له عشرة يؤلبون ويجتمعون على عيبك وعيبي والطعن فى ديننا وقد خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثروا فكتب عثمان إلى سعيد أن سيرهم إلى معاوية ومعاوية يومئذ على الشأم فسيرهم وهم تسعة نفر إلى معاوية فيهم مالك الأشتر وثابت بن قيس بن منقع وكميل بن زياد النخعى وصعصعة ابن صوحان ثم ذكر نحو حديث السرى عن شعيب إلا أنه قال فقال صعصعة فإن اخترقت الجنة أليس يخلص إلينا فقال معاوية إن الجنة لاتخترق فضع أمر قريش على أحسن مايحضرك وزاد فيه أيضا أن معاوية لما عاد إليهم من القابلة وذكرهم قال فيما يقول وإنى والله ما آمركم بشىء إلا قد بدأت فيه بنفسى وأهل بيتى وخاصتى وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها إلا ما جعل الله لنبيه نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم فان الله انتخبه وأكرمه فلم يخلق فى أحد من الأخلاق الصالحة شيئا إلا أصفاه الله بأكرمها وأحسنها ولم يخلق من الأخلاق السيئة شيئا فى أحد إلا أكرمه الله عنها ونزهه وإنى لأظن أن أبا سفيان لو ولد

الناس لم يلد إلا حازما قال صعصعة كذبت قد ولدهم خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له فكان فيهم البر والفاجر والاحمق والكيس فخرج تلك الليلة من عندهم ثم أتاهم القابلة فتحدث عندهم طويلا ثم قال أيها القوم ردوا على خيرا أو اسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم وينفع عشائركم وينفع جماعة المسلمين فاطلبوه تعيشوا ونعش بكم فقال صعصعة لست بأهل ذلك ولا كرامة لك أن تطاع فى معصية الله فقال أوليس ما ابتدأتكم به إن أمرتكم بتقوى الله وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا قالوا بل أمرت بالفرقة وخلاف ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم قال فإنى آمركم الآن إن كنت فعلت فأتوب إلى الله وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولزوم الجماعة وكراهة الفرقة وأن توقروا أئمتكم وتدلوهم على كل حسن ماقدرتم ويعظوهم فى لين ولطف فى شىء إن كان منهم فقال صعصعة فإنا نأمرك أن تعتزل عملك فإن فى المسلمين من هو أحق به منك قال من هو قال من كان أبوه أحسن قدما من أبيك وهو بنفسه أحسن قدما منك فى الإسلام فقال والله إن لى فى الإسلام قدما ولغيرى كان أحسن قدما منى ولكنه ليس فى زمانى أحد أقوى على ماأنا فيه منى ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلوكان غيرى أقوى منى لم يكن لى عند عمر هوادة ولا لغيرى ولم أحدث من الحدث ماينبغى لى أن أعتزل عملى ولو رأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب إلى بخط يده فاعتزلت عمله ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلا وهو خير فهلا فان فى ذلك وأشباهه مايتمنى الشيطان ويأمر ولعمرى لوكانت الأمور تقضى على رأيكم وأمانيكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوما ولا ليلة ولكن الله يقضيها ويدبرها وهو بالغ أمره فعاودوا الخير وقولوه فقالوا لست لذلك أهلا فقال أما والله إن لله لسطوات ونقمات وإنى لخائف عليكم أن تتابعوا فى مطاوعة الشيطان حتى تحلكم مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن دار الهوان من نقم الله

فى عاجل الأمر والخزى الدائم فى الآجل فوثبوا عليه فأخذوا برأسه ولحيته فقال مه إن هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى أهل الشأم ماصنعتم بى وأنا أمامهم ماملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم فلعمرى إن صنيعكم ليشبه بعضه بعضا ثم أقام من عندهم فقال والله لاأدخل عليكم مدخلا مابقيت ثم كتب إلى عثمان بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبى سفيان. أما بعد ياأمير المؤمنين فإنك بعثت إلى أقواما يتكلمون بألسنة الشياطين ومايملون عليهم ويأتون الناس زعموا من قبل القرآن فيشبهون على الناس وليس كل الناس يعلم مايريدون وإنما يريدون فرقة ويقربون فتنة قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم وتمكنت رقى الشيطان من قلوبهم فقد أفسدوا كثيرا من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشأم أن يغروهم بسحرهم وفجورهم فارددهم إلى مصرهم فلتكن دارهم فى مصرهم الذى نجم فيه نفاقهم والسلام فكتب اليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة فردهم اليه فلم يكونوا إلا أطلق السنة منهم حين رجعوا وكتب سعيد إلى عثمان يضج منهم فكتب عثمان إلى سعيد أن سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان أميرا على حمص وكتب إلى الأشتر وأصحابه أما بعد فانى قد سيرتكم إلى حمص فاذا أتاكم كتابى هذا فاخرجوا اليها فإنكم لستم تألون الإسلام وأهله شرا والسلام فلما قرأ الأشتر الكتاب قال اللهم اسوأنا نظرا للرعية وأعملنا فيهم بالمعصية فعجل له النقمة فكتب بذلك سعيد إلى عثمان وسار الأشتر وأصحابه إلى حمص فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل وأجرى عليهم رزقا قال محمد بن عمر حدثنى عيسى بن عبد الرحمن عن أبى إسحاق الهمدانى قال اجتمع نفر بالكوفة يطعنون على عثمان من أشراف أهل العراق مالك بن الحارث الأشتر وثابت بن قيس النخعى وكميل بن زياد النخعى وزيد بن صوحان العبدى وجندب بن زهير الغامدى وجندب بن كعب الأزدى وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعى فكتب سعيد بن العاص إلى عثمان يخبره بأمرهم فكتب اليه أن سيرهم إلى الشأم

وألزمهم الدروب

ذكر الخبر عن تسيير عثمان من سير من أهل البصرة إلى الشأم

مما كتب به إلى السرى عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسى قال لما مضى من إمارة بن عامر ثلاث سنين بلغه أن فى عبد القيس رجلا نازلا على حكيم بن جبلة وكان حكيم بن جبلة رجلا لصا إذا قفل الجيوش خنس عنهم فسعى فى أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد فى الأرض ويصيب ماشاء ثم يرجع فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان فكتب إلى عبد الله بن عامر أن احبسه ومن كان مثله فلايخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشدا فحبسه فكان لايستطيع أن يخرج منها فلماقدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع اليه نفر فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرح فقبلوا منه واستعظموه وأرسل اليه ابن عامر فسأله ماأنت فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب فى الإسلام ورغب فى جوارك فقال مايبلغنى ذلك اخرج عنى فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فاستقر بمصر وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا إن حمران بن أبان تزوج امرأة فى عدتها فنكل به عثمان وفرق بينهما وسيره إلى البصرة فلزم ابن عامر فتذاكروا يوما الركوب والمرور بعامر بن عبد قيس وكان منقبضا عن الناس فقال حمران ألا أسبقكم فأخبره فخرج فدخل عليه وهو يقرأ فى المصحف فقال الأمير أراد أن يمر بك فأحببت أن أخبرك فلم يقطع قراءته ولم يقبل عليه فقام من عنده خارجا فلما انتهى إلى الباب لقيه ابن عامر فقال جئتك من عند امرىء لايرى لآل إبراهيم عليه فضلا واستأذن ابن عامر فدخل عليه وجلس إليه فأطبق عامر المصحف وحدثه ساعة فقال له ابن عامر ألا تغشانا فقال سعد بن أبى العرجاء يحب الشرف فقال ألا نستعملك فقال حصين بن أبى الحر يحب العمل فقال ألا نزوجك فقال ربيعة بن عسل يعجبه النساء قال إن هذا يزعم أنك لاترى لآل إبراهيم عليك فضلا فصفح المصحف فكان أول ماوقع عليه وافتتح منه إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم

وآل عمران على العالمين فلما رد حمران تتبع ذلك منه فسعى به وشهد له أقوام فسيره إلى الشام فلما علموا علمه أذنوا له فأبى ولزم الشام (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة أن عثمان سير حمران بن أبان أن تزوج امرأة فى عدتها وفرق بينهما وضربه وسيره إلى البصرة فلما أتى عليه ماشاء الله وأتاه عنه الذى يحب أذن له فقدم عليه المدينة وقدم معه قوم سعوا بعامر بن عبد قيس أنه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة وكان مع عامر انقباض وكان عمله كله خفية فكتب إلى عبد الله بن عامر بذلك فألحقه بمعاوية فلما قدم عليه وافقه وعنده ثريدة فأكل أكلا غريبا فعرف أن الرجل مكذوب عليه فقال ياهذا هل تدرى فيما أخرجت قال لا قال أبلغ الخليفة أنك لا تأكل اللحم ورأيتك وعرفت أن قد كذب عليك وأنك لا ترى التزويج ولا تشهد الجمعة قال أما الجمعة فإنى أشهدها فى مؤخر المسجد ثم أرجع فى أوائل الناس وأما التزويج فإنى خرجت وأنا يخطب على وأما اللحم فقد رأيت ولكنى كنت امرأ لا آكل ذبائح القصابين منذ رأيت قصاباً يجر شاة إلى مذبحها ثم وضع السكين على مذبحها فما زال يقول النفاق النفاق حتى وجبت قال فارجع قال لا أرجع إلى بلد استحل أهله منى ما استحلوا ولكنى أقيم بهذا البلد الذى اختاره الله لى وكان يكون فى السواحل وكان يلقى معاوية فيكثر معاوية أن يقول حاجتك فيقول لا حاجة لى فلما أكثر عليه قال ترد على من حر البصرة لعل الصوم أن يشتد على شيئاً فانه يخف على فى بلادكم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى حارثة وأبى عثمان قالا لما قدم مسيرة أهل الكوفة على معاوية أنزلهم داراً ثم خلا بهم فقال لهم وقالوا له فلما فرغوا قال لم تؤتوا إلا من الحمق والله ما أرى منطقا سديدا ولا عذرا مبينا ولا حلما ولا قوة وإنك يا صعصعة لأحمقهم اصنعوا وقولوا ماشئتم مالم تدعوا شيئاً من أمر الله فإن كل شىء يحتمل لكم إلا معصيته فأما فيما بيننا وبينكم فأنتم أمراء أنفسكم فرآهم بعوهم يشهدون الصلاة ويقفون مع قاص الجماعة فدخل عليهم يوما وبعضهم يقرئ بعضا فقال إن فى هذا لخلفاً مما قدمتم به على من النزاع إلى أمر الجاهلية اذهبوا حيث شئتم واعلموا أنكم

إن لزمتم جماعتكم سعدتم بذلك دونهم وإن لم تلزموها شقيتم بذلك دونهم ولم تضروا أحدا فجزوه خيرا وأثنوا عليه فقال ياابن الكواء أى رجل أنا قال بعيد الثرى كثير المرعى طيب البديهة بعيد الغور الغالب عليك الحلم ركن من أركان الاسلام سدت بك فرجة مخوفة قال فأخبرنى عن أهل الأحداث من أهل الأمصار فإنك أعقل أصحابك قال كاتبتهم وكاتبونى وأنكرونى وعرفتهم فأما أهل الاحداث من أهل المدينة فهم أحرص الأمة على الشر وأعجزه عنه وأما أهل الأحداث من أهل الكوفة فانهم أنظر الناس فى صغير وأركبه لكبير وأما أهل الاحداث من أهل البصرة فإنهم يردون جميعا ويصدرون شتى وأما أهل الأحداث من أهل مصر فهم أوفى الناس بشر وأسرعه ندامة وأما أهل الأحداث من أهل الشأم فأطوع الناس لمرشدهم وأعصاه لمغويهم (وحج) بالناس فى هذه السنة عثمان (وزعم) أبو معشر أن فتح قبرس كان فى هذه السنة وقد ذكرت من خالفه فى ذلك

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الاحداث المذكورة

فزعم أبو معشر أن غزوة الصوارى كانت فيها حدثنى بذلك أحمد عمن حدثه عن إسحاق عنه وقد مضى الخبر عن هذه الغزوة وذكر من خالف أبا معشر فى وقتها (وفيها) كان رد أهل الكوفة سعيد بن العاص عن الكوفة (وفى هذه السنة) تكاتب المنحرفون عن عثمان بن عفان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم نقموا عليه

ذكر الخبر عن صفة اجتماعهم لذلك وخبر الجرعة

(مما كتب إلى به السرى) عن شعيب عن سيف عن المستنير بن يزيد عن قيس بن يزيد النخعى قال لما رجع معاوية المسيرين قالوا إن العراق والشأم ليسا لنا بدار فعليكم بالجزيرة فأتوها اختيارا فغدا عليهم عبد الرحمن بن خالد فسامهم الشدة فضرعوا له وتابعوه وسرح الأشتر إلى عثمان فدعا به وقال اذهب حيث شئت فقال أرجع إلى عبد الرحمن فرجع ووفد سعيد بن العاص الى عثمان

فى سنة احدى عشرة من إمارة عثمان وقبل مخرج سعيد بن العاص من الكوفة بسنة وبعض أخرى بعث الأشعث بن قيس على آذربيجان وسعيد بن قيس على الرى وكان سعيد بن قيس على همذان فعزل وجعل عليها النسير العجلى وعلى اصبهان السائب بن الأقرع وعلى ماه مالك بن حبيب اليربوعى وعلى الموصل حكيم بن سلامة الحزامى وجرير بن عبدالله على قرقيسياء وسلمان بن ربيعة على الباب وعلى الحرب القعقاع بن عمرو وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وخلت الكوفة من الرؤساء إلا منزوع أو مفتون فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان فدخل المسجد فجلس فيه وثاب اليه الذين كان فيه ابن السوداء يكاتبهم فانقض عليه القعقاع فأخذ يزيد بن قيس فقال انما نستعفى من سعيد قال هذا ما لا يعرض لكم فيه لا تجلس لهذا ولا يجتمعن اليك واطلب حاجتك فلعمرى لتعطينها فرجع إلى بيته واستأجر رجلا وأعطاه دراهم وبغلا على أن يأتى المسيرين وكتب اليهم لا تضعوا كتابى من أيديكم حتى تجيئوا فان أهل المصر قد جامعونا فانطلق الرجل فأتى عليهم وقد رجع الاشتر فدفع اليهم الكتاب فقالوا ما اسمك قال بغثر قالوا ممن قال من كلب قالوا سبع ذليل يبغثر النفوس لا حاجة لنا بك وخالفهم الأشتر ورجع عاصياً فلما خرج قال أصحابه أخرجنا أخرجه الله لا نجد بداً مما صنع إن علم بنا عبد الرحمن لم يصدقنا ولم يستقلها فاتبعوه فلم يلحقوه وبلغ عبد الرحمن أنهم قد رحلوا فطلبهم فى السواد فسار الاشتر سبعاً والقوم عشراً فلم يفجإ الناس فى يوم جمعة إلا والاشتر على باب المسجد يقول أيها الناس إنى قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان وتركت سعيدا يريده على نقصان نسائكم إلى مائة درهم ورد أهل البلاء منكم إلى ألفين ويقول ما بال أشراف النساء وهذه العلاوة بين هذين العدلين ويزعم أن فيأكم بستان قريش وقد سايرته مرحلة فما زال يزجر بذلك حتى فارقته يقول

وَيْلٌ لأشْرافِ النِّساءِ مِنِّى ... صَمَحْمَحٌ كأنَّنى مِن جِنِّ

فاستخف الناس وجعل أهل الحجى ينهونه فلا يسمع منهم وكانت نفجة فخرج يزيد وأمر مناديا ينادى من شاء أن يلحق بيزيد بن قيس لرد سعيد وطلب أمير

غيره فليفعل وبقى حلماء الناس وأشرافهم ووجوههم فى المسجد وذهب من سواهم وعمرو بن حريث يومئذ الخليفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا بعد أن كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها فلا تعودوا فى شر قد استنقذكم الله عز وجل منه أبعد الاسلام وهديه وسنته لا تعرفون حقاً ولا تصيبون بابه فقال القعقاع ابن عمرو أترد السيل عن عبابه فاردد الفرات عن أدراجه هيهات لا والله لا تسكن الغوغاء إلا المشرفية ويوشك أن تنتضى ثم يعجون عجيج العتدان ويتمنون ما هم فيه فلا يرده الله عليهم أبداً فاصبر فقال أصبر وتحول إلى منزله وخرج يزيد بن قيس حتى نزل الجرعة ومعه الاشتر وقد كان سعيد تلبث فى الطريق فطلع عليهم سعيد وهم مقيمون له معسكرون فقالوا لا حاجة لنا بك فقال فما اختلفتم الآن إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلا وتضعوا الى رجلا وهل يخرج الألف لهم عقول الى رجل ثم انصرف عنهم وتحسوا بمولى له على بعير قد حسر فقال والله ما كان ينبغى لسعيد أن يرجع فضرب الأشتر عنقه ومضى سعيد حتى قدم على عثمان فأخبره الخبر فقال ما يريدون أخلعوا يداً من طاعة قال أظهروا أنهم يريدون البدل قال فمن يريدون قال أبا موسى قال قد أثبتنا أبا موسى عليهم ووالله لا نجعل لأحد عذراً ولا نترك لهم حجة ولنصبرن كما أمرنا حتى نبلغ ما يريدون ورجع من قرب عمله من الكوفة ورجع جرير من قرقيسياء وعتيبة من حلوان وقام أبو موسى فتكلم بالكوفة فقال أيها الناس لا تنفروا فى مثل هذا ولا تعودوا لمثله الزموا جماعتكم والطاعة وإياكم والعجلة اصبروا فكأنكم بأمير قالوا فصل بنا قال لا إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان قالوا على السمع والطاعة لعثمان ❁ حدثنى جعفر بن عبد الله المحمدى قال حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة وعلى بن حسين بن عيسى قالا حدثنا حسين بن عيسى عن أبيه عن هارون بن سعد عن العلاء بن عبد الله بن زيد العنبرى أنه قال اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان وما صنع فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا اليه رجلا يكلمه ويخبره بأحداثه فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله

التميمى ثم العنبرى وهو الذى يدعى عامر بن عبد قيس فأتاه فدخل عليه فقال له إن ناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا فى أعمالك فوجدوك قد ركبت أمورا عظاما فاتق الله عز وجل وتب إليه وانزع عنها قال له عثمان انظر إلى هذا فإن الناس يزعمون أنه قارئ ثم هو يجيء فيكلمنى فى المحقرات فوالله ما يدرى أين الله قال عامر أنا لا أدرى أين الله قال نعم والله ما تدرى أين الله قال عامر بلى والله إنى لأدرى أن الله بالمرصاد لك فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبى سفيان وإلى عبد الله ابن سعد بن أبى سرح وإلى سعيد بن العاص وإلى عمرو بن العاص بن وائل السهمى وإلى عبد الله بن عامر فجمعهم ليشاورهم فى أمره وما طلب إليه وما بلغه عنهم فلما اجتمعوا عنده قال لهم إن لكل امرئ وزراء ونصحاء وإنكم وزرائى ونصحائى وأهل ثقتى وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا إلى أن أعزل عمالى وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم وأشيروا على فقال له عبد الله بن عامر رأيى لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجمرهم فى المغازى حتى يذلوا لك فلا يكون همة أحدهم إلا نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه ثم أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له ما رأيك قال ياأمير المؤمنين ان كنت تريد رأينا فاحسم عنك الداء واقطع عنك الذى تخاف واعمل برأيى تصب قال وما هو قال ان لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم أمر فقال عثمان ان هذا الرأى لولا ما فيه ثم أقبل على معاوية فقال ما رأيك قال أرى لك ياأمير المؤمنين ان ترد عمالك على الكفاية لما قبلهم وأنا ضامن لك قبلى ثم أقبل على عبد الله بن سعد فقال ما رأيك قال أرى ياأمير المؤمنين ان الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم ثم أقبل على عمرو بن العاص فقال له ما رأيك قال أرى انك قد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزم أن تعتدل فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل فإن أبيت فاعتزم عزما وامض قدما فقال عثمان مالك قمل فروك أهذا الجد منك فأسكت عنه دهرا حتى إذا تفرق القوم قال عمرو لا والله ياأمير المؤمنين لأنت أعز علىّ من ذلك ولكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كل

رجل منا فأردت أن يبلغهم قولى فيثقوا بى فأقود إليك خيراً أو أدفع عنك شراً

❊ حدثنى جعفر قال حدثنا عمرو بن حماد وعلى بن حسين قالا حدثنا حسين عن أبيه عن عمرو بن أبى المقدام عن عبد الملك بن عمير الزهرى أنه قال جمع عثمان أمراء الأجناد معاوية بن أبى سفيان وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر وعبد الله بن سعد ابن أبى سرح وعمرو بن العاص فقال أشيروا علىّ فإن الناس قد تنمروا لى فقال له معاوية أشير عليك أن تأمر أمراء أجنادك فيكفيك كل رجل منهم ماقبله وأكفيك أنا أهل الشأم فقال له عبد الله بن عامر أرى لك أن تجمرهم فى هذه البعوث حتى يهم كل رجل منهم دبر دابته وتشغلهم عن الأرجاف بك فقال عبد الله بن سعد أشير عليك أن تنظر ما أسخطهم فترضيهم ثم تخرج لهم هذا المال فيقسم بينهم ثم قام عمرو بن العاص فقال يا عثمان إنك قد ركبت الناس بمثل بنى أمية فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل أو اعتزل فإن أبيت فاعتزم عزما وامض قدما فقال له عثمان مالك قمل فروك أهذا الجد منك فأسكت عمرو حتى إذا تفرقوا قال لا والله ياأمير المؤمنين لأنت أكرم علىّ من ذلك ولكنى قد علمت أن بالباب قوما قد علموا أنك جمعتنا لنشير عليك فأحببت أن يبلغهم قولى فأقود لك خيراً أو أدفع عنك شراً فرد عثمان عماله على أعمالهم وأمرهم بالتضييق على من قبلهم وأمرهم بتجمير الناس فى البعوث وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه ورد سعيد بن العاص أميراً على الكوفة فخرج أهل الكوفة عليه بالسلاح فتلقوه فردوه وقالوا لا والله لا يلى علينا حكما ماحملنا سيوفنا ❊ حدثنى جعفر قال حدثنا عمرو وعلى بن حسين عن أبيه عن هارون بن سعد عن أبى يحيى عمير بن سعد النخعى أنه قال كأنى أنظر إلى الأشتر مالك بن الحارث النخعى على وجهه الغبار وهو متقلد السيف وهو يقول والله لا يدخلها علينا ماحملنا سيوفنا يعنى سعيداً وذلك يوم الجرعة والجرعة مكان مشرف قرب القادسية وهناك يلقاه أهل الكوفة

❊ حدثنى جعفر قال حدثنا عمرو وعلى قالا حدثنا حسين عن أبيه عن هارون ابن سعد عن عمرو بن مرة الجملى عن أبى البخترى الطائى عن أبى ثور الحدانى

وحداء حي من مراد أنه قال دفعت إلى حذيفة بن اليمان وأبى مسعود عقبة ابن عمرو الأنصارى وهما فى مسجد الكوفة يوم الجرعة حيث صنع الناس بسعيد بن العاص ما صنعوا وأبو مسعود يعظم ذلك ويقول ماأرى أن ترد على عقبيها حتى يكون فيها دماء فقال حذيفة والله لتردن على عقبيها ولا يكون فيها محجمة من دم وما أعلم منها اليوم شيئاً إلا وقد علمته ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم حى وإن الرجل ليصبح على الإسلام ثم يمسى وما معه منه شىء ثم يقاتل أهل القبلة ويقتله الله غدا فينكص قلبه فتعلوه استه فقلت لأبى ثور فلعله قد كان قال لا والله ما كان فلما رجع سعيد بن العاص إلى عثمان مطروداً أرسل أباموسى أميراً على الكوفة فأقروه عليها (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن يحيى بن مسلم عن واقد بن عبدالله عن عبد الله بن عمير الأشجعى قال قام فى المسجد فى الفتنة فقال أيها الناس اسكتوا فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خرج وعلى الناس إمام والله ماقال عادل ليشق عصاهم ويفرق جماعتهم فاقتلوه كائناً من كان (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما استعوى يزيد بن قيس الناس على سعيد بن العاص خرج منه ذكر لعثمان فأقبل إليه القعقاع بن عمرو حتى أخذه فقال ماتريد ألك علينا فى أن نستعفى سبيل قال لا فهل إلا ذلك قال لا قال فاستعف واستجلب يزيد أصحابه من حيث كانوا فردوا سعيدا وطلبوا أبا موسى فكتب إليهم عثمان بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد والله لأفرشنكم عرضى ولأبذلن لكم صبرى ولأستصلحنكم بجهدى فلا تدعوا شيئا أحببتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتموه ولا شيئا كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه أنزل فيه عند ماأحببتم حتى لايكون لكم على حجة وكتب بمثل ذلك فى الأمصار فقدمت إمارة أبى موسى وغزو حذيفة وتأمر أبو موسى ورجع العمال إلى أعمالهم ومضى حذيفة إلى الباب (وأما الواقدى) فإنه زعم أن عبد الله بن محمد حدثه عن أبيه قال لما كانت سنة ٣٤ كتب أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعضهم إلى بعض أن اقدموا فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد وكثر الناس على عثمان ونالوا منه أقبح مانيل من أحد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون ويسمعون ليس فيهم أحد ينهى ولا يذب إلا نفير زيد ابن ثابت وأبو أسيد الساعدى وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فاجتمع الناس وكلموا على بن أبى طالب فدخل على عثمان فقال الناس ورائى وقد كلمونى فيك والله ماأدرى ماأقول لك وما أعرف شيئا تجهله ولا أدلك على أمر لاتعرفه إنك لتعلم مانعلم ماسبقناك إلى شىء فنخبرك عنه ولا خلونا بشىء فنبلغكه وماخصصنا بأمر دونك وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونلت صهره وما ابن أبى قحافة بأولى بعمل الحق منك ولا ابن الخطاب بأولى بشىء من الخير منك وإنك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحما ولقد نلت من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم ينالا ولاسبقاك إلى شىء فالله الله فى نفسك فإنك والله ماتبصر من عمى ولا تعلم من جهل وإن الطريق لواضح بين وإن أعلام الدين لقائمة تعلم ياعثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُدى وهَدى فأقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة فوالله إن كلا لبين وان السنن لقائمة لها أعلام وإن البدع لقائمة لها أعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وضل به فامات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولاعاذر فيلقى فى جهنم فيدور فى جهنم كما تدور الرحى ثم يرتطم فى غمرة جهنم وإنى أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقماته فان عذابه شديد أليم وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه يقال يقتل فى هذه الأمة امام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة وتلبس أمورها عليها ويتركهم شيعاً فلا يبصرون الحق لعلو الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا فقال عثمان قد والله علمت ليقولن الذى قلت أما والله لو كنت مكانى ماعنفتك ولاأسلمتك ولاعبت عليك ولاجئت منكرا أن وصلت رحماً وسددت خلة وآويت ضائعاً ووليت شبيها بمن كان عمر يولى أنشدك

الله ياعلى هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك قال نعم قال فتعلم أن عمر ولاه قال نعم قال فلم تلومنى أن وليت ابن عامر فى رحمه وقرابته قال على سأخبرك أن عمر ابن الخطاب كان كل من ولى فانما يطأ على صماخه ان بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى الغاية وأنت لاتفعل ضعفت ورفقت على أقربائك قال عثمان هم أقرباؤك أيضا فقال على لعمرى إن رحمهم منى لقريبة ولكن الفضل فى غيرهم قال عثمان هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته كلها فقد وليته فقال على أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه قال نعم قال على فان معاوية يقتطع الأمور دونك وأنت تعلمها فيقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك ولا تغير على معاوية ثم خرج على من عنده وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر فقال أما بعد فإن لكل شيء آفة ولكل أمر عاهة وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ماتحبون ويسرون ماتكرهون يقولون لكم ويقولون أمثال النعام يتبعون أول ناعق أحب مواردها إليها البعيد لايشربون إلا نغصا ولايردون إلاعكرا لايقوم لهم رائد وقد أعيتهم الأمور وتعذرت عليهم المكاسب ألا فقد والله عبتم على بما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ماأحببتم أو كرهتم ولنت لكم وأوطأت لكم كتفى وكففت يدى ولسانى عنكم فاجترأتم على أما والله لأنا أعز نفرا وأقرب ناصرا وأكثر عددا وأقمن إن قلت هلم أتى إلى ولقد أعددت لكم أقرانكم وأفضلت عليكم فضولا وكشرت لكم عن نابى وأخرجتم منى خلقا لم أكن أحسنه ومنطقا لم أنطق به فكفوا عليكم ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فإنى قد كففت عنكم من لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطق هذا ألا فما تفقدون من حقكم والله ماقصرت فى بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلى ومن لم تكونوا تختلفون عليه فضل فضلى من مال فمالى لاأصنع فى الفضل ماأريد فلم كنت اماما فقام مروان ابن الحكم فقال إن شئتم حكمنا والله بيننا وبينكم السيف نحن والله وأنتم كما قال الشاعر

فَرَشْنَا لَكُمْ أَعْرَاضَنا فَنَبَتْ بِكُمْ مَعارِسُكُم تَبْنُونَ فى دِمَنِ الثَّرَى

فقال عثمان اسكت لا سكت دعني وأصحابي مامنطقك فى هذا ألم أتقدم اليك ألا تنطق فسكت مروان ونزل عثمان (وفى هذه السنة) مات أبو عبس بن جبر بالمدينة وهو بدري ومات أيضاً مسطح بن أثاثة وعاقل بن أبي البكير من بني سعد ابن ليث حليف لبني عدي وهما بدريان (وحج) بالناس فى هذه السنة عثمان ابن عفان رضى الله عنه

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ذكر ماكان فيها من الاحداث

فمما كان فيها من ذلك نزول أهل مصر ذا خشب حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال كان ذو خشب سنة ٣٥ وكذلك قال الواقدى .

ذكر مسير من سار إلى ذى خشب من أهل مصر وسبب مسير من سار إلى ذى المروة من أهل العراق

فيما كتب به إلى السرى عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسى قال كان عبد الله بن سبإ يهوديا من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشأم فلم يقدر على مايريد عند أحد من أهل الشأم فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع وقد قال الله عز وجل (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى قال فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصى وكان علىّ وصى محمد ثم قال محمد خاتم الأنبياء وعلىّ خاتم الأوصياء ثم قال بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناول أمر الأمة ثم قال لهم بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه وابدؤا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر فبث دعاته وكاتب من كان استفسد فى الأمصار وكاتبوه ودعوا فى السر إلى ماعليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير مايظهرون ويسرون غير مايبدون فيقول أهل كل مصر إنا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء إلا أهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا إنا لفى عافية مما فيه الناس وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان قالوا فأتوا عثمان فقالوا ياأمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذى يأتينا قال لا والله ماجاءنى إلا السلامة قالوا فانا قد أتانا وأخبروه بالذى أسقطوا اليهم قال فأنتم شركائى وشهود المؤمنين فأشيروا على قالوا نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشأم وفرق رجالا سواهم فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا أيها الناس ماأنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعا الأمر أمر المسلمين إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبى سرح يخبرهم أن عمارا قد استماله قوم بمصر وقد انقطعوا اليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعطية قالوا كتب عثمان إلى أهل الأمصار أمابعد فإنى آخذ العمال بموافاتى فى كل موسم وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلا يرفع على شىء ولا على أحد من عمالى إلا أعطيته وليس لى ولعيالى

حق قبل الرعية إلا متروك لهم وقد رفع إلى أهل المدينة أن أقواما يشتمون وآخرون يضربون فيا من ضرب سرا وشتم سرا من ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان منى أو من عمالى أو تصدقوا فإن الله يجزى المتصدقين فلما قرئ فى الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان وقالوا إن الأمة لتمخض بشر وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه عبدالله بن عامر ومعاوية وعبدالله بن سعد وأدخل معهم فى المشورة سعيدا وعمرا فقال ويحكم ماهذه الشكاية وماهذه الإذاعة إنى والله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم ومايعصب هذا الا بى فقالوا له ألم تبعث ألم نرجع اليك الخبر عن القوم ألم يرجعوا ولم يشافههم أحد بشىء لا والله ماصدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الأمر أصلا وما كنت لتأخذ به أحدا فيقيمك على شىء وماهى إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها ولا الانتهاء اليها قال فأشيروا على فقال سعيد ابن العاص هذا أمر مصنوع يصنع فى السر فيلقى به غير ذى المعرفة فيخبر به فيتحدث به فى مجالسهم قال فما دواء ذلك قال طلب هؤلاء القوم ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم وقال عبد الله بن سعد خذ من الناس الذى عليهم إذا أعطيتهم الذى لهم فإنه خير من أن تدعهم قال معاوية قد وليتنى فوليت قوما لا يأتيك عنهم إلا الخير والرجلان أعلم بناحيتيهما قال فما الرأى قال حسن الأدب قال فما ترى ياعمرو قال أرى أنك قد لنت لهم وتراخيت عنهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك فتشتد فى موضع الشدة وتلين فى موضع اللين ان الشدة تنبغى لمن لا يألو الناس سرا واللين لمن يخلف الناس بالنصح وقد فرشتهما جميعا اللين وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال كل ما أشرتم به على قد سمعت ولكل أمر باب يؤتى منه إن هذا الأمر الذى يخاف على هذه الأمة كائن وإن بابه الذى يغلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة إلا فى حدود الله تعالى ذكره التى لا يستطيع أحد أن يبادى بعيب أحدها فإن سده شىء فرفق فذاك والله ليفتحن وليست لأحد على حجة حق وقد علم الله أنى لم آل الناس خيرا ولا نفسى ووالله إن رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم واغتفروا لهم وإذا

تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها فلما نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة ورجع ابن عامر وسعيد معه ولما استقل عثمان رجز الحادى

قد عَلِمَتْ ضَوَامِرُ المَطِىّ وضُمَّراتُ عُوّجِ القِسِى
أنَّ الأميرَ بعــده عَلِىٌّ وفى الزُّبَيْرِ خَلَف رَضِىٌّ
وطلحةُ الحامى لَهـا وَلِىٌّ

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان الأمير والله بعده صاحب البغلة وأشار إلى معاوية (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن بدر بن الخليل بن عثمان ابن قطبة الأسدى عن رجل من بنى أسد قال مازال معاوية يطمع فيها بعد مقدمه على عثمان حين جمعهم فاجتمعوا اليه بالموسم ثم ارتحل فحدا به الراجز

إن الأميرَ بعــده علِىٌّ وفى الزبير خلف رضىٌّ

قال كعب كذبت صاحب الشهباء بعده يعنى معاوية فأخبر معاوية فسأله عن الذى بلغه قال نعم أنت الأمير بعده ولكنها والله لا تصل اليك حتى تكذب بحديثى هذا فوقعت فى نفس معاوية * وشاركهم فى هذا المكان أبو حارثة وأبو عثمان عن رجاء بن حيوة وغيره قالوا فلما ورد عثمان المدينة رد الأمراء إلى أعمالهم فمضوا جميعا وأقام سعد بعدهم فلما ودع معاوية عثمان خرج من عنده وعليه ثياب السفر متقلدا سيفه متنكبا قوسه فإذا هو بنفر من المهاجرين فيهم طلحة والزبير وعلى فقام عليهم فتوكأ على قوسه بعد ماسلم عليهم ثم قال إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان إذا الناس يتغالبون إلى رجال فلم يكن منكم أحد إلا وفى فصيلته من يرأسه ويستبد عليه ويقطع الأمر دونه ولا يشهده ولا يؤامره حتى بعث الله جل وعز نبيه صلى الله عليه وسلم وأكرم به من اتبعه فكانوا يرئسون من جاء من بعده وأمرهم شورى بينهم يتفاضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد فإن أخذوا بذلك وقاموا عليه كان الأمر أمرهم والناس تبع لهم وإن أصغوا إلى الدنيا وطلبوها بالتغالب سلبوا ذلك ورده الله إلى من كان يرأسهم وإلا فليحذروا الغير فإن الله على البدل قادر وله المشيئة فى ملكه وأمره إنى قد خلفت فيكم شيخا فاستوصوا به

خيرا وكانفوه تكونوا أسعد منه بذلك ثم ودعهم ومضى فقال على ما كنت أرى أن فى هذا خيرا فقال الزبير لا والله ما كان قط أعظم فى صدرك وصدورنا منه الغداة ❊ حدثنى عبدالله بن أحمد بن شبويه قال حدثنى أبى قال حدثنى عبدالله عن إسحاق ابن يحيي عن موسى بن طلحة قال أرسل عثمان إلى طلحة يدعوه فخرجت معه حتى دخل على عثمان وإذ على وسعد والزبير وعثمان ومعاوية فحمد الله معاوية وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرته فى الأرض وولاة أمر هذه الأمة لا يطمع فى ذلك أحد غيركم اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع وقد كبرت سنه وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم كان قريبا مع انى أرجو أن يكون أكرم على الله أن يبلغ به ذلك وقد فشت قالة خفتها عليكم فما عتبتم فيه من شيء فهذه يدى لكم به ولا تطمعوا الناس فى أمركم فوالله لئن طمعوا فى ذلك لا رأيتم فيها أبدا الا إدبارا قال على ومالك وذلك وما أدراك لا أم لك قال دع أمي مكانها ليست بشر أمهاتكم قد أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وأجبنى فيما أقول لك فقال عثمان صدق ابن أخى انى أخبركم عنى وعما وليت إن صاحبي اللذين كانا قبلى ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتسابا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى قرابته وأنا فى رهط أهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدى فى شيء من ذلك المال لمكان ما أقوم به فيه ورأيت أن ذلك لى فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمرى لأمركم تبع قالوا أصبت وأحسنت قالوا أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد ومروان وكانوا يزعمون أنه أعطى مروان خمسة عشر ألفا وابن أسيد خمسين ألفا فردوا منهما ذلك فرضوا وقبلوا وخرجوا راضين ﴿رجع الحديث﴾ الى حديث سيف عن شيوخه وكان معاوية قد قال لعثمان غداة ودعه وخرج ياأمير المؤمنين انطلق معى إلى الشأم قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به فان أهل الشأم على الأمر لم يزالوا فقال أنا لا أبيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء وان كان فيه قطع خيط عنقى قال فأبعث اليك جندا منهم يقيم بين ظهرانى أهل المدينة لنائبة ان نابت المدينة أو اياك قال أنا أقتر على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم الأرزاق

بجند مساكنهم وأضيق على أهل دار الهجرة والنصرة قال والله ياأمير المؤمنين لتغتالن أو لتغزين قال حسبي الله ونعم الوكيل وقال معاوية ياايسار الجزور وأين ايسار الجزور ثم خرج حتى وقف على النفر ثم مضى وقد كان أهل مصر كاتبوا أشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وجميع من أجابهم أن يثوروا خلاف أمرائهم واتعدوا يوما حيث شخص أمراؤهم فلم يستقم ذلك لأحد منهم ولم ينهض الا أهل الكوفة فإن يزيد بن قيس الأرحبي ثار فيها واجتمع اليه أصحابه وعلى الحرب يومئذ القعقاع بن عمرو فأتاه فأحاط الناس بهم وناشدوهم فقال يزيد للقعقاع ما سبيلك على وعلى هؤلاء فوالله انى لسامع مطيع وإنى للازم لجماعتى وهم إلا أنى أستعفى ومن ترى من إمارة سعيد فقال استعفى الخاصة من أمر قد رضيته العامة قال فذاك إلى أمير المؤمنين فتركهم والاستعفاء ولم يستطيعوا أن يظهروا غير ذلك فاستقبلوا سعيدا فردوه من الجرعة واجتمع الناس على أبى موسى وأقره عثمان رضى الله تعالى عنه ولما رجع الأمراء لم يكن للسبائية سبيل إلى الخروج إلى الأمصار وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف ويسألون عثمان عن أشياء لتطير فى الناس ولتحقق عليه فتوافوا بالمدينة وأرسل عثمان رجلين مخزوميا وزهريا فقال انظرا ما يريدون واعلما علمهم وكانا ممن قد ناله من عثمان أدب فاصطبرا للحق ولم يضطغنا فلما رأوهما باثوهما وأخبروهما بما يريدون فقالا من معكم على هذا من أهل المدينة قالوا ثلاثة نفر فقالا هل إلا قالوا لا قالا فكيف تريدون أن تصنعوا قالوا نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها فى قلوب الناس ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أنا قررناه بها فلم يخرج منها ولم يتب ثم نخرج كأنا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه فإن أبى قتلناه وكانت إياها فرجعا إلى عثمان بالخبر فضحك وقال اللهم سلم هؤلاء فانك إن لم تسلمهم شقوا أما عمار فحمل على عباس بن عتبة بن أبى لهب وعركه وأما محمد بن أبى بكر فانه أعجب حتى رأى أن الحقوق لا تلزمه وأما ابن سهلة فانه يتعرض للبلاء فأرسل إلى الكوفيين والبصريين ونادى الصلاة جامعة وهم عنده فى أصل المنبر فأقبل أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم حتى أحاطوا بهم فحمد الله وأثنى عليه وأخبرهم خبر القوم وقام الرجلان فقالوا جميعا اقتلهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله فاقتلوه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا أحل لكم إلا ماقتلتموه وأنا شريككم فقال عثمان بل نعفو ونقبل ونبصرهم بجهدنا ولا نحاد أحدا حتى يركب حدا أو يبدى كفرا إن هؤلاء ذكروا أمورا قد علموا منها مثل الذى علمتم إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونيها ليوجبوها على عند من لا يعلم وقالوا أتم الصلاة فى السفر وكانت لا تتم ألا وإنى قدمت بلدا فيه أهلى فأتممت لهذين الأمرين أو كذلك قالوا اللهم نعم وقالوا وحميت حمى وإنى والله ماحميت حمى قبلى والله ماحموا شيئا لأحد ماحموا إلا غلب عليه أهل المدينة ثم لم يمنعوا من رعية أحدا واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ثم مامنعوا ولا نحوا منها أحدا إلا من ساق درهما ومالى من بعير غير راحلتين ومالى ثاغية ولا راغية وإنى قد وليت وإنى أكثر العرب بعيرا وشاء فمالى اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجى أكذلك قالوا اللهم نعم وقالوا كان القرآن كتبا فتركتها إلا واحدا ألا وإن القرآن واحد جاء من عند واحد وإنما أنا فى ذلك تابع لهؤلاء أكذلك قالوا نعم وسألوه أن يقتلهم وقالوا انى رددت الحكم وقد سيره رسول الله صلى الله عليه وسلم والحكم مكى سيره رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الطائف ثم رده رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسول الله صلى الله عليه وسلم سيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم رده أكذلك قالوا اللهم نعم وقالوا استعملت الأحداث ولم أستعمل إلا مجتمعا محتملا مرضيا وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنه وهؤلاء أهل بلده ولقد ولى من قبلى أحدث منهم وقيل فى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشد مما قيل لى فى استعماله أسامة أكذاك قالوا اللهم نعم يعيبون للناس مالا يفسرون وقالوا إنى أعطيت ابن أبى سرح ماأفاء الله عليه وانى إنما نفلته خمس ماأفاء الله عليه من الخمس فكان مائة ألف وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم

وليس ذاك لهم أكذاك قالوا نعم وقالوا إنى أحب أهل بيتى وأعطيهم فأما حبى فإنه لم يمل معهم على جور بل أحمل الحقوق عليهم وأما إعطاؤهم فإنى ماأعطيهم من مالى ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ولا لأحد من الناس ولقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالى أزمان رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأنا يومئذ شحيح حريص أفحين أتيت على أسنان أهل بيتى وفنى عمرى وودعت الذى لى فى أهلى قال الملحدون ماقالوا وإنى والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلا فيجوز ذلك لمن قاله ولقد رددته عليهم وما قدم على إلا الأخماس ولا يحل لى منها شىء فولى المسلمون وضعها فى أهلها دونى ولا يتلفت من مال الله بفلس فما فوقه وما أتبلغ منه ما آكل إلا مالى وقالوا أعطيت الأرض رجالا وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ومن رجع إلى أهله لم يذهب ذلك ماحوى الله له فنظرت فى الذى يصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت إليهم نصيبهم فهو فى أيديهم دونى وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه فى بنى أمية وجعل ولده كبعض من يعطى فبدأ ببنى أبى العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف وأعطى بنى عثمان مثل ذلك وقسم فى بنى العاص وفى بنى العيص وفى بنى حرب ولانت حاشية عثمان لأولئك الطوائف وأبى المسلمون إلا قتلهم وأبى إلا تركهم فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوهم مع الحجاج كالحجاج فتكاتبوا وقالوا موعدكم ضواحى المدينة فى شوال حتى إذا دخل شوال من سنة اثنتى عشرة ضربوا كالحجاج فنزلوا قرب المدينة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان قالوا لما كان فى شوال سنة ٣٥ خرج أهل مصر فى أربع رفاق على أربعة أمراء المقلل يقول ستمائة والمكثر يقول ألف على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوى وكنانة بن بشر الليثى وسودان بن حمران السكونى وقتيرة بن فلان السكونى وعلى القوم جميعاً الغافقى بن حرب العكى

ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب وإنما أخرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء وخرج أهل الكوفة فى أربع رفاق وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدى والأشتر النخعى وزياد بن النضر الحارثى وعبدالله بن الأصم أحد بنى عامر ابن صعصعة وعددهم كعدد أهل مصر وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم وخرج أهل البصرة فى أربع رفاق وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدى وذريح بن عباد العبدى وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسى وابن المحرش بن عبد بن عمرو الحنفى وعددهم كعدد أهل مصر وأميرهم جميعاً حرقوص بن زهير السعدى سوى من تلاحق بهم من الناس فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون علياً وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير فخرجوا وهم على الخروج جميع وفى الناس شتى لا يشك كل فرقة إلا أن الفلج معها وأن أمرها سيتم دون الآخرين فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خشب وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص وجاءهم ناس من أهل مصر وتركوا عامتهم بذى المروة ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم وقالا لا تعجلوا ولا تعجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشد وإن أمرنا هذا لباطل وإن لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الذى بلغنا باطلا لنرجعن إليكم بالخبر قالوا اذهبا فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وعلياً وطلحة والزبير وقالا إنما نأتم هذا البيت ونستعفى هذا الوالى من بعض عمالنا ما جئنا إلا لذلك واستأذناهم للناس بالدخول فكلهم أبى ونهى وقال بيض مايفرخن فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا علياً ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير وقال كل فريق منهم ان بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم ثم كررنا حتى نبغتهم فأتى المصريون علياً وهو فى عسكر عند أحجار الزيت عليه حلة أفواف معتم بشقيقة حمراء يمانية متقلد السيف ليس عليه قميص وقد سرح

الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع اليه فالحسن جالس عند عثمان وعلى عند أحجار الزيت فسلم عليه المصريون وعرضوا له فصاح بهم واطردهم وقال لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروة وذى خشب ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا لاصحبكم الله قالوا نعم فانصرفوا من عنده على ذلك وأتى البصريون طلحة وهو فى جماعة أخرى إلى جنب على وقد أرسل ابنيه إلى عثمان فسلم البصريون عليه وعرضوا له فصاح بهم واطردهم وقال لقد علم المؤمنون أن جيش ذى المروة وذى خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأتى الكوفيون الزبير وهو فى جماعة أخرى وقد سرح ابنه عبد الله إلى عثمان فسلموا عليه وعرضوا له فصاح بهم واطردهم وقال لقد علم المسلمون أن جيش ذى المروة وذى خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فخرج القوم وأروهم أنهم يرجعون فانفشوا عن ذى خشب والأعوص حتى انتهوا إلى عساكرهم وهى ثلاث مراحل كى يفترق أهل المدينة ثم يكروا راجعين فافترق أهل المدينة لخروجهم فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم فبغتوهم فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير فى نواحى المدينة فنزلوا فى مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان وقالوا من كف يده فهو آمن وصلى عثمان بالناس أياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا أحداً من كلام فأتاهم الناس فكلموهم وفيهم على فقال ماردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم قالوا أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك وقال الكوفيون والبصريون فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً كأنما كانوا على ميعاد فقال لهم على كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا هذا والله أمر أبرم بالمدينة قالوا فضعوه على ماشئتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل ليعتزلنا وهو فى ذلك يصلى بهم وهم يصلون خلفه ويغشى من شاء عثمان وهم فى عينه أدق من التراب وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام وكانوا زمراً بالمدينة يمنعون الناس من الاجتماع وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله

عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً فبلغ عن الله ماأمره به ثم مضى وقدقضى الذى عليه وخلف فينا كتابه فيه حلاله وحرامه وبيان الأمور التى قدر فأمضاها على ماأحب العباد وكرهوا فكان الخليفة أبو بكر رضى الله عنه وعمر رضى الله عنه ثم أدخلتُ فى الشورى عن غير علم ولا مسألة ولا ملإ من الأمة ثم أجمع أهل الشورى عن ملإ منهم ومن الناس على غير طلب منى ولا محبة فعملت فيهم مايعرفون ولا ينكرون تابعاً غير مستتبع متبعاً غير مبتدع مقتدياً غير متكلف فلما انتهت الأمور وانتكث الشر بأهله بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا ترة فيما مضى إلا إمضاء الكتاب فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر فعابوا على أشياء مما كانوا يرضون وأشياء عن ملإ من أهل المدينة لا يصلح غيرها فصبرت لهم نفسى وكففتها عنهم منذ سنين وأنا أرى وأسمع فازدادوا على الله عزّ وجلّ جرأة حتى أغاروا علينا فى جوار رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وحرمه وأرض الهجرة وثابت إليهم الأعراب فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق فأتى الكتاب أهل الأمصار فخرجوا على الصعبة والذلول فبعث معاوية حبيب ابن مسلمة الفهرى وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن خديج السكونى وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو وكان المحضضين بالكوفة على إعانة أهل المدينة عقبة بن عمرو وعبد الله بن أبى أوفى وحنظلة بن الربيع التميمى فى أمثالهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان المحضضين بالكوفة من التابعين أصحاب عبد الله مسروق بن الأجدع والأسود بن يزيد وشريح ابن الحارث وعبد الله بن عكيم فى أمثالهم يسيرون فيها ويطوفون على مجالسها يقولون يا أيها الناس إن الكلام اليوم وليس به غداً وإن النظر يحسن اليوم ويقبح غداً وإن القتال يحل اليوم ويحرم غداً انهضوا إلى خليفتكم وعصمة أمركم وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر فى أمثالهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقولون مثل ذلك ومن التابعين كعب بن سور وهرم بن

حيان العبدى وأشباههما يقولون ذلك وقام بالشأم عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبو أمامة فى أمثالهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون مثل ذلك ومن التابعين شريك بن خباشة النميرى وأبو مسلم الخولانى وعبد الرحمن بن غنم بمثل ذلك وقام بمصر خارجة فى أشباه له وقد كان بعض المحضضين قد شهد قدومهم فلما رأوا حالهم انصرفوا إلى أمصارهم بذلك وقاموا فيهم ولما جاءت الجمعة التى على أثر نزول المصريين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال يا هؤلاء العدى الله الله فو الله إن أهل المدينة ليعلمون انكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فامحوا الخطايا بالصواب فان الله عز وجل لا يمحو السيء إلا بالحسن فقام محمد بن مسلمة فقال أنا أشهد بذلك فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده فقام زيد بن ثابت فقال ابغنى الكتاب فثار اليه من ناحية أخرى محمد بن أبى قتيرة فأقعده وقال فأفظع وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه فاحتمل فأدخل داره وكان المصريون لا يطمعون فى أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا فى ثلاثة نفر فانهم كانوا يراسلونهم محمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة وعمار بن ياسر وشمر أناس من الناس فاستقتلوا منهم سعد بن مالك وأبو هريرة وزيد بن ثابت والحسن بن على فبعث اليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا فانصرفوا وأقبل على عليه السلام حتى دخل على عثمان وأقبل طلحة حتى دخل عليه وأقبل الزبير حتى دخل عليه يعودونه من صرعته ويشكون بثهم ثم رجعوا إلى منازلهم (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى عمرو عن الحسن قال قلت له هل شهدت حصر عثمان قال نعم وأنا يومئذ غلام فى أتراب لى فى المسجد فإذا كثر اللغط جثوت على ركبتى أو قمت فاقبل القوم حين أقبلوا حتى نزلوا المسجد وما حوله فاجتمع اليهم أناس من اهل المدينة يعظمون ما صنعوا وأقبلوا على اهل المدينة يتوعدونهم فبيناهم كذلك فى لغطهم حول الباب فطلع عثمان فكأنما كانت نار أطفئت فعمد إلى المنبر فصعده فحمد الله وأثنى عليه

فثار رجل فأقعده رجل وقام آخر فأقعده آخر ثم ثار القوم فحصبوا عثمان حتى صرع فاحتمل فأدخل فصلى بهم عشرين يوما ثم منعوه من الصلاة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا صلى عثمان بالناس بعد مانزلوا به فى المسجد ثلاثين يوما ثم انهم منعوه الصلاة فصلى بالناس أميرهم الغافقي دان له المصريون والكوفيون والبصريون وتفرق أهل المدينة فى حيطانهم ولزموا بيوتهم لايخرج أحد ولايجلس إلا وعليه سيفه يمتنع به من رهق القوم وكان الحصار أربعين يوما وفيهن كان القتل ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح وكانوا قبل ذلك ثلاثين يوما يكفون * وأما غير سيف فان منهم من قال كانت مناظرة القوم عثمان وسبب حصارهم إياه ماحدثنى به يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا معتمر بن سليمان التيمى قال حدثنا أبى قال حدثنا أبو نضرة عن أبى سعيد مولى أبى أسيد الأنصارى قال سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا قال فاستقبلهم وكان فى قرية له خارجة من المدينة أو كما قال فلما سمعوا به أقبلوا نحوه إلى المكان الذى هو فيه قال وكره أن يقدموا عليه المدينة أو نحواً من ذلك قال فأتوه فقالوا له ادع بالمصحف قال فدعا بالمصحف قال فقالوا له افتح السابعة قال وكانوا يسمون سورة يونس السابعة قال فقرأها حتى أتى على هذه الآية «قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون» قال قولوا له قف فقالوا له أرأيت ماحميت من الحمى آلله أذن لك أم على الله تفترى قال فقال امضه نزلت فى كذا وكذا قال وأما الحمى فان عمر حمى الحمى قبلى لإبل الصدقة فلما وليت زادت ابل الصدقة فزدت فى الحمى لما زاد فى ابل الصدقة امضه قال فجعلوا يأخذونه بالآية فيقول امضه نزلت فى كذا وكذا قال والذى يتولى كلام عثمان يومئذ فى سنك قال يقول أبو نضرة يقول ذاك لى أبو سعيد قال أبو نضرة وأنا فى سنك يومئذ قال ولم يخرج وجهى يومئذ لاأدرى ولعله قد قال مرة أخرى وأنا يومئذ ابن ثلاثين سنة ثم أخذوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرج قال فعرفها فقال أستغفر الله وأتوب إليه قال فقال لهم ماتريدون قال فأخذوا ميثاقه

قال وأحسبه قال وكتبوا عليه شرطا قال وأخذ عليهم ألا يشقوا عصا ولا يفارقوا جماعة ماقام لهم بشرطهم أو كما أخذوا عليه قال فقال لهم ماتريدون قالوا نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاء فانما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرضوا بذلك وأقبلوا معه إلى المدينة راضين قال فقام فخطب فقال إنى مارأيت والله وفداً فى الأرض هم خير لحوباتى من هذا الوفد الذين قدموا علىّ وقد قال مرة أخرى خشيت من هذا الوفد من أهل مصر ألا من كان له زرع فليلحق بزرعه ومن كان له ضرع فليحتلب ألا إنه لامال لكم عندنا إنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فغضب الناس وقالوا هذا مكر بنى أمية قال ثم رجع الوفد المصريون راضين فبيناهم فى الطريق إذا هم براكب يتعرض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع اليهم ثم يفارقهم ويسبهم قال قالوا له مالك إن لك لأمراً ماشأنك قال فقال أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ففتشوه فاذا هم بالكتاب على لسان عثمان عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف قال فأقبلوا حتى قدموا المدينة قال فأتوا عليا فقالوا ألم تر إلى عدو الله إنه كتب فينا بكذا وكذا وإن الله قد أحل دمه قم معنا اليه قال والله لاأقوم معكم إلى أن قالوا فلم كتبت الينا فقال والله ما كتبت اليكم كتابا قط قال فنظر بعضهم إلى بعض ثم قال بعضهم لبعض ألهذا تقاتلون أو لهذا تغضبون قال فانطلق علىّ فخرج من المدينة إلى قرية قال فانطلقوا حتى دخلوا على عثمان فقالوا كتبت فينا بكذا وكذا قال فقال إنما هما اثنتان أن تقيموا على رجلين من المسلمين أو يمينى بالله الذى لاإله إلا هو ما كتبت ولا أمللت ولا علمت قال وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل وقد ينقش الخاتم على الخاتم قال فقالوا فقد والله أحل الله دمك ونقضت العهد والميثاق قال فحاصروه * وأما الواقدى فانه ذكر فى سبب مسير المصريين إلى عثمان ونزولهم ذا خشب أموراً كثيرة منها ماقد تقدم ذكريه ومنها ماأعرضت عن ذكره كراهة منى ذكره لبشاعته ومنها ما ذكر أن عبد الله بن جعفر حدثه عن أبى عون مولى

المسور قال كان عمرو بن العاص على مصر عاملا لعثمان فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج ثم جمعهما لعبد الله بن سعد فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان فأرسل اليه يوماً عثمان خاليا به فقال يا ابن النابغة ما أسرع ما قمل جربان جبتك إنما عهدك بالعمل عاما أول أتطعن على وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر والله لولا أكلة ما فعلت ذلك قال فقال عمرو إن كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى ولاتهم باطل فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيتك فقال عثمان والله لقد استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك فقال عمرو قد كنت عاملا لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راض قال فقال عثمان وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ولكني لنت عليك فاجترأت علي أما والله لأنا أعز منك نفرا في الجاهلية وقبل ان ألي هذا السلطان فقال عمرو دع عنك هذا فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهدانا به قد رأيت العاصي بن وائل ورأيت أباك عفان فوالله للعاص كان أشرف من أبيك قال فانكسر عثمان وقال ما لنا ولذكر الجاهلية قال وخرج عمرو ودخل مروان فقال يا أمير المؤمنين وقد بلغت مبلغا يذكر عمرو بن العاص أباك فقال عثمان دع هذا عنك من ذكر آباء الرجال ذكروا أباه قال فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه يأتي عليا مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان فلما كان حصر عثمان الأول خرج من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع فنزل في قصر له يقال له العجلان وهو يقول العجب ما يأتينا عن ابن عفان قال فبينا هو جالس في قصره ذلك ومعه ابناه محمد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي إذ مر بهم راكب فناداه عمرو من أين قدم الرجل فقال من المدينة قال ما فعل الرجل يعني عثمان قال تركته محصورا شديد الحصار قال عمرو أنا أبو عبد الله قد يضرط العير والمكواة في النار فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مر به راكب آخر فناداه عمرو ما فعل الرجل يعني عثمان قال قتل قال أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة

نكأتها إن كنت لأحرض عليه حتى إنى لأحرض عليه الراعى فى غنمه فى رأس الجبل فقال له سلامة بن روح يامعشر قريش إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه فما حملكم على ذلك فقال أردنا أن نخرج الحق من حافرة الباطل وأن يكون الناس فى الحق شرعا سواء وكانت عند عمرو أخت عثمان لامه أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ففارقها حين عزله قال محمد بن عمر وحدثنى عبدالله بن محمد عن أبيه قال كان محمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة بمصر يحرضان على عثمان فقدم محمد بن أبى بكر وأقام محمد بن أبى حذيفة بمصر فلما خرج المصريون خرج عبدالرحمن بن عديس البلوى فى خمسمائة وأظهروا أنهم يريدون العمرة وخرجوا فى رجب وبعث عبدالله بن سعد رسولا سار إحدى عشرة ليلة يخبر عثمان أن ابن عديس وأصحابه قد وجهوا نحوه وأن محمد بن أبى حذيفة شيعهم إلى عجرود ثم رجع وأظهر محمد أن قال خرج القوم عماراً وقال فى السر خرج القوم إلى إمامهم فإن نزع وإلا قتلوه وسار القوم المنازل لم يعدوها حتى نزلوا ذا خشب وقال عثمان قبل قدومهم حين جاءه رسول عبدالله بن سعد هؤلاء قوم من أهل مصر يريدون بزعمهم العمرة والله ما أراهم يريدونها ولكن الناس قد دخل بهم وأسرعوا إلى الفتنة وطال عليهم عمرى أما والله لئن فارقتهم ليتمنون أن عمرى كان طال عليهم مكان كل يوم بسنة مما يرون من الدماء المسفوكة والإحن والأثرة الظاهرة والأحكام المغيرة قال فلما نزل القوم ذا خشب جاء الخبر أن القوم يريدون قتل عثمان إن لم ينزع وأتى رسولهم إلى على ليلا وإلى طلحة وإلى عمار بن ياسر وكتب محمد بن أبى حذيفة معهم إلى على كتابا فجاؤا بالكتاب إلى على فلم يظهر على ما فيه فلما رأى عثمان ما رأى جاء عليا فدخل عليه بيته فقال يا ابن عم إنه ليس لى مترك وإن قرابتى قريبة ولى حق عظيم عليك وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحى وأنا أعلم أن لك عند الناس قدرا وأنهم يسمعون منك فأنا أحب أن تركب إليهم فتردهم عنى فإنى لا أحب أن يدخلوا على فإن ذلك جرءة منهم على وليسمع بذلك غيرهم فقال على علام أردهم قال على أن أصير إلى ما أشرت به على ورأيته لى ولست أخرج من يديك فقال على إنى قد كنت كلمتك مرة بعد مرة فكل ذلك نخرج فتكلم ونقول وتقول وذلك كله

فعل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية أطعتهم وعصيتني قال عثمان فإني أعصيهم وأطيعك قال فأمر الناس فركبوا معه المهاجرون والأنصار قال وأرسل عثمان إلى عمار بن ياسر يكلمه أن يركب مع على فأبى فأرسل عثمان إلى سعد ابن أبي وقاص فكلمه أن يأتي عمارا فيكلمه أن يركب مع على قال فخرج سعد حتى دخل على عمار فقال ياأبا اليقظان ألا تخرج فيمن يخرج وهذا على يخرج فاخرج معه واردد هؤلاء القوم عن امامك فاني لأحسب انك لم تركب مركبا هو خير لك منه قال وأرسل عثمان إلى كثير بن الصلت الكندي وكان من أعوان عثمان فقال انطلق في إثر سعد فاسمع ما يقول سعد لعمار وما يرد عمار على سعد ثم ائتني سريعاً قال فخرج كثير حتى يجد سعداً عند عمار مخلياً به فألقم عينه جحر الباب فقام اليه عمار ولا يعرفه وفي يده قضيب فأدخل القضيب الجحر الذي ألقمه كثير عينه فاخرج كثير عينه من الجحر وولى مدبراً متقنعاً فخرج عمار فعرف أثره ونادى يا قليل ابن أم قليل أعلىّ تطلع وتستمع حديثي والله لو دريت أنك هو لفقأت عينك بالقضيب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحل ذلك ثم رجع عمار إلى سعد فكلمه سعد وجعل يفتله بكل وجه فكان آخر ذلك أن قال عمار والله لا أردهم عنه أبداً فرجع سعد إلى عثمان فاخبره بقول عمار فاتهم عثمان سعداً أن يكون لم يناصحه فأقسم له سعد بالله لقد حرض فقبل منه عثمان قال وركب على عليه السلام إلى أهل مصر فردهم عنه فانصرفوا راجعين قال محمد بن عمر حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد قال لما نزلوا ذا خشب كلم عثمان علياً وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوهم عنه فركب على وركب معه نفر من المهاجرين فيهم سعيد بن زيد وأبو جهم العدوى وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وخرج من الأنصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد الساعدي وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت وكعب بن مالك ومعهم من العرب نيار بن مكرز وغيرهم ثلاثون رجلا وكلمهم على ومحمد بن مسلمة وهما اللذان قدما فسمعوا مقالتهما ورجعوا قال

محمود فاخبرنى محمد بن مسلمة قال ما برحنا من ذى خشب حتى رحلوا راجعين إلى مصر وجعلوا يسلمون علىّ فما أنسى قول عبد الرحمن بن عديس أتوصينا يا أبا عبد الرحمن بحاجة قال قلت تتقى الله وحده لا شريك له وترد من قبلك عن امامه فانه قد وعدنا أن يرجع وينزع قال ابن عديس أفعل ان شاء الله قال فرجع القوم إلى المدينة قال محمد بن عمر فحدثنى عبد الله بن محمد عن أبيه قال لما رجع على عليه السلام إلى عثمان رضى الله عنه أخبره أنهم قد رجعوا وكلمه علىّ كلاما فى نفسه قال له اعلم أنى قائل فيك أكثر مما قلت قال ثم خرج إلى بيته قال فمكث عثمان ذلك اليوم حتى إذا كان الغد جاءه مروان فقال له تكلم وأعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلا فإن خطبتك تسير فى البلاد قبل أن يتحلب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه قال فأبى عثمان أن يخرج قال فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد إن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرا فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم قال فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت نهابير وركبناها معك فتب إلى الله نتب قال فناداه عثمان وإنك هناك يا ابن النابغة قملت والله جبتك منذ تركتك من العمل قال فنودى من ناحية أخرى تب إلى الله وأظهر التوبة يكف الناس عنك قال فرفع عثمان يديه مداً واستقبل القبلة فقال اللهم إنى أول تائب تاب إليك ورجع إلى منزله وخرج عمرو ابن العاص حتى نزل منزله بفلسطين فكان يقول والله إن كنت لألقى الراعى فأحرضه عليه قال محمد بن عمر فحدثنى على بن عمر عن أبيه قال ثم إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له تكلم كلاما يسمعه الناس منك ويشهدون عليه ويشهد الله على ما فى قلبك من النزوع والإنابة فان البلاد قد تمخضت عليك فلا آمن ركباً آخرين يقدمون من الكوفة فتقول يا على اركب إليهم ولا أقدر أن أركب إليهم ولا أسمع عذراً ويقدم ركب آخرون من البصرة فتقول يا على اركب

إليهم فان لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقك قال فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس فوالله ماعاب من عاب منكم شيئاً أجهله وماجئت شيئاً إلا وأنا أعرفه ولكني منتني نفسي وكذبتني وضل عني رشدي. ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زل فليتب ومن أخطأ فليتب. ولا يتمادى في الهلكة إن من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق فأنا أول من اتعظ أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه فمثلي نزع وتاب فاذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم فوالله لئن ردني الحق عبداً لأستنن بسنة العبد ولأذلن ذل العبد ولأكونن كالمرقوق إن ملك صبر وإن عتق شكر وما عن الله مذهب إلا إليه فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إلى لئن أبت يميني لتتابعني شمالي قال فرق الناس له يومئذ وبكى من بكى منهم وقام إليه سعيد بن زيد فقال ياأمير المؤمنين ليس بواصل لك من ليس معك الله الله في نفسك فأتمم على ماقلت فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيدا ونفرا من بني أمية ولم يكونوا شهدوا الخطبة فلما جلس قال مروان ياأمير المؤمنين أتكلم أم أصمت فقالت نائلة ابنة الفرافضة امرأة عثمان الكلبية لابل اصمت فانهم والله قاتلوه ومؤثموه إنه قد قال مقالة لاينبغي له أن ينزع عنها فأقبل عليها مروان فقال ماأنت وذاك فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضأ فقالت له مهلا يامروان عن ذكر الآباء تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه أما والله لولا أنه عمه وأنه يناله غمه أخبرتك عنه مالن أكذب عليه قال فأعرض عنها مروان ثم قال ياأمير المؤمنين أتكلم أم أصمت قال بل تكلم فقال مروان بأبي أنت وأمي والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أول من رضي بها وأعان عليها ولكنك قلت ماقلت حين بلغ الحزام الطبيين وخلف السيل الزبى وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها وإنك إن شئت تقربت بالتوبة ولم تقرب بالخطيئة وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس فقال عثمان فاخرج إليهم

فكلمهم فانى أستحيي أن أكلمهم قال فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضا فقال ماشأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب شاهت الوجوه كل إنسان آخذ بأذن صاحبه ألا من أريد جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا إلى منازلكم فإنا والله مانحن مغلوبين على مافى أيدينا قال فرجع الناس وخرج بعضهم حتى أتى عليا فأخبره الخبر فجاء على عليه السلام مغضبا حتى دخل على عثمان فقال أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به والله مامروان بذى رأى فى دينه ولا نفسه وايم الله إنى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك أذهبت شرفك وغلبت على أمرك فلما خرج على دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته فقالت أتكلم أو أسكت فقال تكلمى فقالت قد سمعت قول على لك وإنه ليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء قال فما أصنع قالت تتق الله وحده لا شريك له وتتبع سنة صاحبيك من قبلك فإنك متى أطعت مروان قتلك ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وإنما تركك الناس لمكان مروان فأرسل إلى على فاستصلحه فإن له قرابة منك وهو لا يعصى قال فأرسل عثمان إلى على فأبى أن يأتيه وقال قد أعلمته إنى لست بعائد قال فبلغ مروان مقالة نائلة فيه قال فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه فقال أتكلم أو أسكت فقال تكلم فقال إن بنت الفرافصة فقال عثمان لا تذكرنها بحرف فأسوئ لك وجهك فهى والله أنصح لى منك قال فكف مروان

قال محمد بن عمرو حدثنى شرحبيل بن أبى عون عن أبيه قال سمعت عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم قال قبح الله مروان خرج عثمان الى الناس فأعطاهم الرضا وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مخضلة من الدموع وهو يقول اللهم إنى أتوب اليك اللهم إنى أتوب اليك اللهم إنى أتوب اليك والله لئن ردنى الحق إلى أن أكون عبدا قنا لأرضين به إذا دخلت منزلى فادخلوا على فوالله لا أحتجب منكم ولأعطينكم الرضا ولأزيدنكم على الرضا ولأنحين

مروان وذويه قال فلما دخل أمر بالباب ففتح ودخل بيته ودخل عليه مروان فلم يزل يفتله فى الذروة والغارب حتى فتله عن رأيه وأزاله عما كان يريد فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج استحياء من الناس وخرج مروان الى الناس فقال شاهت الوجوه الا من أريد ارجعوا الى منازلكم فان يكن لأمير المؤمنين حاجة بأحدمنكم يرسل اليه وإلا قرفى بيته قال عبد الرحمن فجئت الى على فأجده بين القبر والمنبر وأجد عنده عمار ابن ياسر ومحمد بن أبى بكر وهما يقولان صنع مروان بالناس وصنع قال فأقبل علىّ علىّ فقال أحضرت خطبة عثمان قلت نعم قال أفحضرت مقالة مروان للناس قلت نعم قال علىّ عياذ الله يا للمسلمين انى ان قعدت فى بيتى قال لى تركتنى وقرابتى وحقى وإنى إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيّقة له يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن الأسود فلم يزل حتى جاء رسول عثمان ائتنى فقال علىّ بصوت مرتفع عال مغضب قل له ما أنا بداخل عليك ولا عائد قال فانصرف الرسول قال فلقيت عثمان بعد ذلك بليلتين خائباً فسألت ناتلا غلامه من أين جاء أمير المؤمنين فقال كان عند علىّ فقال عبد الرحمن بن الأسود فغدوت فجلست مع على عليه السلام فقال لى جاءنى عثمان البارحة فجعل يقول إنى غير عائد وإنى فاعل قال فقلت له بعد ما تكلمت به على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك وخرج مروان إلى الناس فشتمهم على بابك ويؤذيهم قال فرجع وهو يقول قطعت رحمى وخذلتنى وجرأت الناس علىّ فقلت والله إنى لأذب الناس عنك ولكنى كلما جئتك بهَنَة أظنها لك رضًى جاء بأخرى فسمعت قول مروان علىّ واستدخلت مروان قال ثم انصرف إلى بيته قال عبد الرحمن بن الأسود فلم أزل أرى عليا منكباً عنه لا يفعل ما كان يفعل إلا أنى أعلم أنه قد كلم طلحة حين حصر فى أن يدخل عليه الروايا وغضب فى ذلك غضباً شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان قال محمد بن عمر وحدثنى عبد الله بن جعفر عن إسماعيل بن محمد أن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقام رجل فقال أقم كتاب الله فقال عثمان

اجلس فجلس حتى قام ثلاثاً فأمر به عثمان فجلس فتحاثوا بالحصباء حتى ماترى السماء وسقط عن المنبر وحمل فأدخل داره مغشيا عليه فخرج رجل من حجاب عثمان ومعه مصحف فى يده وهو ينادى «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله» ودخل على بن أبى طالب على عثمان رضى الله عنهما وهو مغشى عليه وبنو أمية حوله فقال مالك ياأمير المؤمنين فأقبلت بنو أمية بمنطق واحد فقالوا ياعلىّ أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين أما والله لئن بلغت الذى تريد لتمرن عليك الدنيا فقام علىّ مغضبا (وفى هذه السنة) قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه

ذكر الخبر عن قتله وكيف قتل

(قال أبو جعفر رحمه الله) قد ذكرنا كثيراً من الأسباب التى ذكر قاتلوه أنهم جعلوها ذريعة إلى قتله فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعلل دعت إلى الإعراض عنها ونذكر الآن كيف قتل وماكان بدء ذلك وافتتاحه ومن كان المبتدئ به والمفتتح للجرءة عليه قبل قتله * ذكر محمد بن عمر أن عبد الله ابن جعفر حدثه عن أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن أبيها قال قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها لبعض بنى الحكم فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأرسل إلى المسور بن مخرمة وإلى عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فأخذاها فقسمها عبد الرحمن فى الناس وعثمان فى الدار قال محمد بن عمر وحدثنى محمد بن صالح عن عبيد الله بن رافع بن نقاخة عن عثمان بن الشريد قال مرّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدى وهو بفناء داره ومعه جامعة فقال يانعثل والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوص جرباء ولأخرجنك إلى حرة النار ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه * حدثنى محمد قال حدثنى أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد قال كان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق السيئ جبلة بن عمرو الساعدى مرّ به عثمان وهو جالس فى ندى قومه وفى يد جبلة بن عمرو جامعة فلما مرّ عثمان سلم فردّ القوم فقال جبلة لم تردون على رجل فعل كذا وكذا قال ثم أقبل على عثمان

فقال والله لأطرحن هذه الجامعة فى عنقك أو لتتركن بطانتك هذه قال عثمان أى بطانة فوالله إنى لأتخير الناس فقال مروان تخيرته ومعاوية تخيرته وعبد الله ابن عامر بن كريز تخيرته وعبدالله بن سعد تخيرته منهم من نزل القرآن بدمه وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه قال فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم * قال محمد بن عمرو حدثنى ابن أبى الزناد عن موسى بن عقبة عن أبى حبيبة قال خطب عثمان الناس فى بعض أيامه فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إنك قد ركبت نهابير وركبناها معك فتب نتب فاستقبل عثمان القبلة وشهر يديه قال أبو حبيبة فلم أر يوما أكثر باكياً ولا باكية من يومئذ ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس فقام إليه جَهْجَاه الغفارى فصاح يا عثمان ألا إن هذه شارف قد جئنا بها عليها عباءة وجامعة فانزل فلندرعك العباءة ولنطرحك فى الجامعة ولنحملك على الشارف ثم نطرحك فى جبل الدخان فقال عثمان قبحك الله وقبح ما جئت به قال أبو حبيبة ولم يكن ذلك منه إلا عن ملإ من الناس وقام إلى عثمان خيرته وشيعته من بنى أمية فحملوه فأدخلوه الدار قال أبو حبيبة فكان آخر ما رأيته فيه * قال محمد وحدثنى أسامة بن زيد الليثى عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبى صلى الله عليه وسلم التى كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال له جهجاه قم يا نعثل فانزل عن هذا المنبر وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى فدخلت شظية منها فبقى الجرح حتى أصابته الأكلة فرأيتها تدود فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدوها فكانت مضبية فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين حتى حصر فقتل ❊ حدثنى أحمد بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر عن نافع أن جهجاها الغفارى أخذ عصا كانت فى يد عثمان فكسرها على ركبته فرمى فى ذلك المكان بأكلة

❊ حدثنى جعفر بن عبد الله المحمدى قال حدثنا عمرو عن محمد بن إسحاق ابن يسار المدنى عن عمه عبد الرحمن بن يسار أنه قال لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب مَن بالمدينة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى مَن بالآفاق منهم

وكانوا قد تفرقوا فى الثغور انكم إنما خرجتم أن تجاهدوا فى سبيل الله عز وجل تطلبون دين محمد صلى الله عليه وسلم فإن دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك فهلموا فأقيموا دين محمد صلى الله عليه وسلم فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح عامله على مصر حين تراجع الناس عنه وزعم أنه تائب بكتاب فى الذين شخصوا من مصر وكانوا أشد أهل الأمصار عليه أما بعد فانظر فلاناً وفلاناً فاضرب أعناقهم إذا قدموا عليك فانظر فلانا وفلانا فعاقبهم بكذا وكذا منهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم قوم من التابعين فكان رسوله فى ذلك أبو الأعور بن سفيان السلمى حمله عثمان على جمل له ثم أمره أن يقبل حتى يدخل مصر قبل أن يدخلها القوم فلحقهم أبو الأعور ببعض الطريق فسألوه أين يريد قال أريد مصر ومعه رجل من أهل الشأم من خولان فلما رأوه على جمل عثمان قالوا له هل معك كتاب قال لا قالوا فيم أرسلت قال لا علم لى قالوا ليس معك كتاب ولا علم لك بما أرسلت إن أمرك لمريب ففتشوه فوجدوا معه كتابا فى إداوة يابسة فنظروا فى الكتاب فإذا فيه قتل بعضهم وعقوبة بعضهم فى أنفسهم وأموالهم فلما رأوا ذلك رجعوا إلى المدينة فبلغ الناس رجوعهم والذى كان من أمرهم فتراجعوا من الآفاق كلها وثار أهل المدينة

* حدثنى جعفر قال حدثنا عمرو وعلى قالا حدثنا حسين عن أبيه عن محمد بن السائب الكلبى قال إنما رد أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم وأن يصلب بعضهم فلما أتوا عثمان قالوا هذا غلامك قال غلامى انطلق بغير علمى قالوا جملك قال أخذه من الدار بغير أمرى قالوا خاتمك قال نقش عليه فقال عبد الرحمن بن عُدَيْس التجيبى حين أقبل أهل مصر

أَقْبَلْنَ مِنْ بِلْبِيسَ والصَّعيدِ خُوصًا كأمثالِ القِسِيِّ قودِ
مُسْتَحْقِباتٍ حَلَقَ الحديدِ يَطْلُبْنَ حَقَّ ٱللهِ فى الوَليدِ
وعِنْدَ [illegible]فى سَعيد يا رَبِّ فارْجِعنا بما نُريدُ

فلما رأى عثمان ما قد نزل به وما قد انبعث عليه من الناس كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشأم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشأم على كل صعب وذلول فلما جاء معاوية الكتاب تربص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علم اجتماعهم فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى يزيد بن أسد بن كرز وإلى أهل الشأم يستنفرهم ويعظم حقه عليهم ويذكر الخلفاء وما أمر الله عز وجل به من طاعتهم ومناصحتهم ووعدهم أن ينجدهم جند أو بطانة دون الناس وذكرهم بلاءه عندهم وصنيعه اليهم فان كان عندكم غياث فالعجل العجل فان القوم مُعاجليّ فلما قرئ كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسرى فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر عثمان فعظم حقه وحضهم على نصره وأمرهم بالمسير اليه فتابعه ناس كثير وساروا معه حتى إذا كانوا بوادى القرى بلغهم قتل عثمان رضى الله عنه فرجعوا وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر أن اندب إلى أهل البصرة نسخة كتابه إلى أهل الشأم فجمع عبد الله ابن عامر الناس فقرأ كتابه عليهم فقامت خطباء من أهل البصرة يحضونه على نصر عثمان والمسير اليه فيهم مجاشع بن مسعود السلمى وكان أول من تكلم وهو يومئذ سيد قيس بالبصرة وقام أيضاً قيس بن الهيثم السلمى فخطب وحض الناس على نصر عثمان فسارع الناس إلى ذلك فاستعمل عليهم عبد الله بن عامر مجاشع بن مسعود فسار بهم حتى إذا نزل الناس الربذة ونزلت مقدمته عند صرار ناحية من المدينة أتاهم قتل عثمان ❁ حدثني جعفر قال حدثنا عمرو وعلى قالا حدثنا حسين عن أبيه عن محمد بن إسحاق بن يسار المدنى عن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال كتب أهل مصر بالسقيا أو بذى خشب إلى عثمان بكتاب فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه فلم يرد عليه شيئاً فأمر به فأخرج من الدار وكان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة ألوية لها رؤوس أربعة مع كل رجل منهم لواء وكان جماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل بن [redacted] الخزاعى وكان

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والى عبد الرحمن بن عديس التجيبي فكان فيما كتبوا اليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فالله الله ثم الله الله فانك على دنيا فاستتمّ اليها معها آخرة ولا تلبس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا واعلم انا والله لله نغضب وفى الله نرضى وإنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة أو ضلالة مجلحة مبلجة فهذه مقالتنا لك وقضيتنا إليك والله عذيرنا منك والسلام وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله فلما خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته فقال لهم قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج فاشاروا عليه أن يرسل إلى عليّ ابن أبى طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه أمداد فقال إن القوم لن يقبلوا التعليل وهى محملي عهداً وقد كان منى فى قدمتهم الأولى ما كان فمتى أعطهم ذلك يسألونى الوفاء به فقال مروان بن الحكم يا أمير المؤمنين مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب فأعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فانما هم بغوا عليك فلا عهد لهم فأرسل إلى عليّ فدعاه فلما جاءه قال يا أبا حسن إنه قد كان من الناس ما قد رأيت وكان منى ما قد علمت ولست آمنهم على قتلى فارددهم عنى فان لهم الله عز وجل أن أعتبهم من كل ما يكرهون وأن أعطيهم الحق من نفسى ومن غيرى وإن كان فى ذلك سفك دمى فقال له عليّ الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك وإنى لأرى قوما لا يرضون إلا بالرضى وقد كنت أعطيتهم فى قدمتهم الأولى عهدا من الله لترجعن عن جميع مانقموا فرددتهم عنك ثم لم تف لهم بشىء من ذلك فلا تغرنى هذه المرة من شىء فإنى معطيهم عليك الحق قال نعم فأعطهم فوالله لأفين لهم فخرج عليّ إلى الناس فقال أيها الناس إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره وراجع عن جميع ماتكرهون فاقبلوا منه ووكدوا عليه قال الناس قد قبلنا فاستوثق منه لنا فإنا والله لانرضى بقول دون

فعل فقال لهم على ذلك لكم ثم دخل عليه فأخبره الخبر فقال عثمان اضرب بينى وبينهم أجلا يكون لى فيه مهلة فانى لاأقدر على رد ما كرهوا فى يوم واحد قال له على ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه وماغاب فأجله وصول أمرك قال نعم ولكن أجلنى فيما بالمدينة ثلاثة أيام قال على نعم فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك وكتب بينهم وبين عثمان كتابا أجله فيه ثلاثا على أن يرد كل مظلمة ويعزل كل عامل كرهوه ثم أخذ عليه فى الكتاب أعظم ماأخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق وأشهد عليه ناسا من وجوه المهاجرين والأنصار فكف المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفى لهم بما أعطاهم من نفسه فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح وقد كان اتخذ جندا عظيما من رقيق الخمس فلما مضت الأيام الثلاثة وهو على حاله لم يغير شيئا مما كرهوه ولم يعزل عاملا ثار به الناس وخرج عمرو بن حزم الأنصارى حتى أتى المصريين وهم بذى خشب فأخبرهم الخبر وسار معهم حتى قدموا المدينة فأرسلوا إلى عثمان ألم نفارقك على أنك زعمت أنك تائب من أحداثك وراجع عما كرهنا منك وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه قال بلى أنا على ذلك قال فما هذا الكتاب الذى وجدنا مع رسولك وكتبت به إلى عاملك قال مافعلت ولا لى علم بما تقولون قالوا بريدك على جملك وكتاب كاتبك عليه خاتمك قال أما الجمل فمسروق وقد يشبه الخط الخط وأما الخاتم فانتقش عليه قالوا فإنا لانعجل عليك وإن كنا قد اتهمناك اعزل عنا عمالك الفساق واستعمل علينا من لا يتهم على دمائنا وأموالنا واردد علينا مظالمنا قال عثمان ماأرانى إذاً فى شىء إن كنت أستعمل من هويتم وأعزل من كرهتم الأمر إذاً أمركم قالوا والله لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن فانظر لنفسك أودع فأبى عليهم وقال لم أكن لأخلع سربالا سربلنيه الله فحصروه أربعين ليلة وطلحة يصلى بالناس حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ابن عون قال حدثنا الحسن قال أنبأنى وثاب قال وكان فيمن أدركه عتق أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه قال ورأيت بحلقه أثر طعنتين كأنهما كبتان طعنهما يومئذ يوم الدار قال بعثنى عثمان فدعوت له الأشتر فجاء قال ابن عون فأظنه قال

فطرحت لأمير المؤمنين وسادة وله وسادة فقال ياأشتر مايريد الناس منى قال ثلاثا ليس من إحداهن بدٌّ قال ماهنَّ قال يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول هذا أمركم فاختاروا له من شئتم وبين أن تقص من نفسك فان أبيت هاتين فان القوم قاتلوك فقال أمامن إحداهن بدٌّ قال مامن إحداهن بدٌّ فقال أماأن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالا سربلنيه الله عز وجل قال وقال غيره والله لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلىّ من أن أخلع قميصا قمصنيه الله وأترك أمة محمد صلى الله عليه وسلم يعدو بعضها على بعض قال ابن عون وهذا أشبه بكلامه وإما أن أقص من نفسي فوالله لقد علمت أن صاحبي بين يدى قد كانا يعاقبان وما يقوم بدنى بالقصاص وأما أن تقتلونى فوالله لئن قتلتمونى لا تتحابون بعدى أبدا ولا تصلون جميعا بعدى أبدا ولا تقاتلون بعدى عدوا جميعا أبدا قال فقام الأشتر فانطلق فمكثنا أياما قال ثم جاء رويجل كأنه ذئب فاطلع من باب ثم رجع وجاء محمد بن أبى بكر وثلاثة عشر حتى انتهى إلى عثمان فأخذ بلحيته فقال بها حتى سمعت وقع أضراسه وقال ماأغنى عنك معاوية ماأغنى عنك ابن عامر ماأغنت عنك كتبك قال أرسل لحيتى ياابن أخى أرسل لحيتى قال وأنا رأيته استعدى رجلا من القوم بعينه فقام اليه بمشقص حتى وجأبه فى رأسه (قلت) ثم مه قال تغاووا عليه حتى قتلوه (وذكر الواقدى) أن يحيى بن عبد العزيز حدثه عن جعفر بن محمود عن محمد بن مسلمة قال خرجت فى نفر من قومى إلى المصريين وكان رؤساؤهم أربعة عبدالرحمن ابن عديس البلوى وسودان بن حمران المرادى وعمرو بن الحمق الخزاعى وقد كان هذا الاسم غلب حتى كان يقال حبيس ابن الحمق وابن النّباع قال فدخلت عليهم وهم فى خباء لهم أربعتهم ورأيت الناس لهم تبعا قال فعظمت حق عثمان ومافى رقابهم من البيعة وخوفتهم بالفتنة وأعلمتهم أن فى قتله اختلافا وأمرا عظيما فلا تكونوا أول من فتحه وأنه ينزع عن هذه الخصال التى نقمتم منها عليه وأنا ضامن لذلك قال القوم فإن لم ينزع قال قلت فأمركم اليكم قال فانصرف القوم وهم راضون فرجعت إلى عثمان فقلت أخلنى فأخلانى فقلت الله الله ياعثمان فى نفسك إن هؤلاء

القوم إنما قدموا يريدون دمك وأنت ترى خذلان أصحابك لك لا بل هم يقوون عدوك عليك قال فأعطانى الرضى وجزانى خيرا قال ثم خرجت من عنده فأقمت ماشاء الله أن أقيم قال وقد تكلم عثمان برجوع المصريين وذكر أنهم جاؤا الأمر فبلغهم غيره فانصرفوا فأردت أن آتيه فأعنفه ثم سكت فاذا قائل يقول قد قدم المصريون وهم بالسويداء قال قلت أحق ما تقول قال نعم قال فأرسل إلى عثمان قال وإذا الخبر قد جاءه وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خشب فقال يا أبا عبد الرحمن هؤلاء القوم قد رجعوا فما الرأى فيهم قال قلت والله ما أدرى إلا أنى أظن أنهم لم يرجعوا لخير قال فارجع اليهم فارددهم قال قلت لا والله ما أنا بفاعل قال ولم قال لأنى ضمنت لهم أمورا تنزع عنها فلم تنزع عن حرف واحد منها قال فقال الله المستعان قال وخرجت وقدم القوم وحلوا بالأسواف وحصروا عثمان قال وجاءنى عبد الرحمن بن عديس ومعه سودان بن حمران وصاحباه فقالوا يا أبا عبد الرحمن ألم تعلم أنك كلمتنا ورددتنا وزعمت أن صاحبنا نازع عما نكره فقلت بلى قال فإذا هم يخرجون إلى صحيفة صغيرة قال وإذا قصبة من رصاص فإذا هم يقولون وجدنا جملا من إبل الصدقة عليه غلام عثمان فأخذنا متاعه ففتشناه فوجدنا فيه هذا الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فاجلده مائة جلدة واحلق رأسه ولحيته وأطل حبسه حتى يأتيك أمرى وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك وسودان بن حمران مثل ذلك وعروة بن النباع الليثى مثل ذلك قال فقلت وما يدريكم أن عثمان كتب بهذا قالوا فيفتات مروان على عثمان بهذا فهذا شر فيخرج نفسه من هذا الأمر ثم قالوا انطلق معنا اليه فقد كلمنا علياً ووعدنا أن يكلمه اذا صلى الظهر وجئنا سعد بن أبى وقاص فقال لا أدخل فى أمركم وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال مثل هذا فقال محمد فأين وعدكم علىّ قالوا وعدنا اذا صلى الظهر أن يدخل عليه * قال محمد فصليت مع علىّ قال ثم دخلت أنا وعلىّ عليه فقلنا ان هؤلاء المصريين بالباب فأذن لهم قال ومروان عنده جالس قال فقال مروان دعنى جعلت فداك أكلمهم قال

فقال عثمان فض الله فاك اخرج عنى وما كلامك فى هذا الأمر قال فخرج مروان قال وأقبل علىّ عليه قال وقد أنهى المصريون اليه مثل الذى أنهوا الىّ قال فجعل علىّ يخبره ماوجدوا فى كتابهم قال فجعل يقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شور فيه قال فقال محمد بن مسلمة والله إنه لصادق ولكن هذا عمل مروان فقال علىّ فأدخلهم عليك فليسمعوا عذرك قال ثم أقبل عثمان على علىّ فقال إن لى قرابة ورحما والله لو كنت فى هذه الحلقة لحللتها عنك فاخرج إليهم فكلمهم فإنهم يسمعون منك قال علىّ والله ماأنا بفاعل ولكن أدخلهم حتى تعتذر إليهم قال فادخلوا (قال محمد بن مسلمة) فدخلوا يومئذ فما سلموا عليه بالخلافة فعرفت أنه الشر بعينه قال سلام عليكم فقلنا وعليكم السلام قال فتكلم القوم وقد قدموا فى كلامهم ابن عديس فذكر ماصنع ابن سعد بمصر وذكر تحاملا منه على المسلمين وأهل الذمة وذكر استئثارا منه فى غنائم المسلمين فإذا قيل له فى ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين إلىّ ثم ذكروا أشياء مما أحدث بالمدينة وما خالف به صاحبيه قال فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلا دمك أو تنزع فردنا علىّ ومحمد بن مسلمة وضمن لنا محمد النزوع عن كل ماتكلمنا فيه ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة فقالوا هل قلت ذاك لنا (قال محمد) فقلت نعم ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عز وجل عليك ويكون حجة لنا بعد حجة إذا كنا بالبُوَيْب أخذنا غلامك فأخذنا كتابك وخاتمك إلى عبد الله بن سعد تأمره فيه بجلد ظهورنا والمَثْل بنا فى أشعارنا وطول الحبس لنا وهذا كتابك قال فحمد الله عثمان وأثنى عليه ثم قال والله ما كتبت ولا أمرت ولا شوورت ولا علمت قال فقلت وعلىّ جميعا قد صدق قال فاستراح إليها عثمان فقال المصريون فمن كتبه قال لا أدرى قال أفيجترأ عليك فيبعث غلامك وجمل من صدقات المسلمين وينقش على خاتمك ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام وأنت لا تعلم قال نعم قالوا فليس مثلك يلى اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعك الله منه قال لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عز وجل قال وكثرت الأصوات واللغط فما كنت أظن أنهم يخرجون حتى يواثبوه قال وقام علىّ فخرج قال فلما قام علىّ قمت قال وقال للمصريين

اخرجوا اخرجوا قال ورجعت إلى منزلى ورجع على إلى منزله فما برحوا محاصريه حتى قتلوه * قال محمد بن عمر وحدثنى عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه عن سفيان بن أبى العوجاء قال قدم المصريون القدمة الأولى فكلم عثمان محمد ابن مسلمة فخرج فى خمسين راكبا من الأنصار فأتوهم بذى خُشُب فردهم ورجع القوم حتى إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاما لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد فكروا فانتهوا إلى المدينة وقد تخلف بها من الناس الأشتر وحكيم بن جبلة فأتوا بالكتاب فأنكر عثمان أن يكون كتبه وقال هذا مفتعل قالوا فالكتاب كتاب كاتبك قال أجل ولكنه كتبه بغير أمرى قالوا فإن الرسول الذى وجدنا معه الكتاب غلامك قال أجل ولكنه خرج بغير إذنى قالوا فالجمل جملك قال أجل ولكنه أخذ بغير علمى قالوا ماأنت إلا صادق أو كاذب فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقها وإن كنت صادقا فقد استحققت ان تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك لأنه لاينبغى لنا ان نترك على رقابنا من يقتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه وغفلته وقالوا له إنك ضربت رجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحق عند من يستنكرون من أعمالك فأَقِدْ من نفسك مَن ضربته وانت له ظالم فقال الإمام يخطئ ويصيب فلا أقيد من نفسى لأنى لو أقدت كل من أصبته بخطإ أتى على نفسى قالوا إنك قد أحدثت أحداثاً عظاما فاستحققت بها الخلع فإذا كلمت فيها أعطيت التوبة ثم عدت إليها وإلى مثلها ثم قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة والرجوع إلى الحق ولامنا فيك محمد بن مسلمة وضمن لنا ماحدث من امر فأخفرته فتبرأ منك وقال لاأدخل فى أمره فرجعنا أول مرة لنقطع حجتك ونبلغ اقصى الأعذار إليك نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب وزعمت أنه كتب بغير علمك وهو مع غلامك وعلى جملك وبخط كاتبك وعليه خاتمك فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة مع مابلونا منك قبل ذلك من الجور فى الحكم والأثرة

فى القسم والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس والإظهار للتوبة ثم الرجوع إلى الخطيئة ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يُحدث مثل ما جربنا منك ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا فإن ذلك أسلم لنا منك وأسلم لك منا فقال عثمان فرغتم من جميع ما تريدون قالوا نعم قال الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد فإنكم لم تعدلوا فى المنطق ولم تنصفوا فى القضاء أما قولكم تخلع نفسك فلا أنزع قميصا قمّصنيه الله عز وجل وأكرمنى به وخصنى به على غيرى ولكنى أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون فإنى والله الفقير إلى الله الخائف منه قالوا إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه ولم تقم عليه لكان علينا أن نقبل منك وأن ننصرف عنك ولكنه قد كان منك من الأحداث قبل هذا ما قد علمت ولقد انصرفنا عنك فى المرة الأولى وما نخشى أن تكتب فينا ولا من اعتللت به بما وجدنا فى كتابك مع غلامك وكيف نقبل توبتك وقد بلونا منك أنك لا تعطى من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت إليه فلسنا منصرفين حتى نعزلك ونستبدل بك فان حال مَن معك من قومك وذوى رحمك وأهل الانقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم حتى نخلص إليك فنقتلك أو تلحق أرواحنا بالله فقال عثمان أما أن أتبرأ من الإمارة فان تصلبونى أحب إلىّ من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته وأما قولكم تقاتلون من قاتل دونى فانى لا آمر أحدا بقتالكم فمن قاتل دونى فانما قاتل بغير أمرى ولعمرى لو كنت أريد قتالكم لقد كنت كتبت إلى الأجناد فقادوا الجنود وبعثوا الرجال أو لحقت ببعض أطرافى بمصر أو عراق فالله الله فى أنفسكم فأبقوا عليها إن لم تبقوا علىّ فانكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتمونى دما قال ثم انصرفوا عنه وآذنوه بالحرب وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلمه أن يردهم فقال والله لا أكذب الله فى سنة مرتين ❊ قال محمد بن عمر حدثنى محمد بن مسلم عن موسى

ابن عقبة عن أبي حبيبة قال نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قتل عثمان دخل عليه ثم خرج من عنده وهو يسترجع مما يرى على الباب فقال له مروان الآن تندم أنت أشعرته فأسمع سعدا يقول أستغفر الله لم أكن أظن الناس يجترئون هذه الجرأة ولا يطلبون دمه وقد دخلت عليه الآن فتكلم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك فنزع عن كل ما كره منه وأعطى التوبة وقال لا أتمادى فى الهلكة إن من تمادى فى الجور كان أبعد من الطريق فأنا أتوب وأنزع فقال مروان إن كنت تريد أن تذب عنه فعليك بابن أبي طالب فانه متستر وهو لا يُجْبَه فخرج سعد حتى أتى علياً وهو بين القبر والمنبر فقال يا أبا حسن قم فداك أبي وأمي جئتك والله بخير ما جاء به أحد قط إلى أحد تصل رحم ابن عمك وتأخذ بالفضل عليه وتحقن دمه ويرجع الأمر على ما تحب قد أعطى خليفتك من نفسه الرضى فقال عليّ تقبل الله منه يا أبا إسحاق والله مازلت أذب عنه حتى إنى لأستحى ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى فاذا نصحته وأمرته أن ينحيهم استغشنى حتى جاء ما ترى قال فبينا هم كذلك جاء محمد بن أبي بكر فسارّ عليا فأخذ عليّ بيدى ونهض عليّ وهو يقول وأى خير توبته هذه فوالله ما بلغت دارى حتى سمعت الهائعة أن عثمان قد قتل فلم نزل والله فى شر إلى يومنا هذا * قال محمد ابن عمر وحدثنى شرحبيل بن أبي عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير قال لما خرج المصريون إلى عثمان رضى الله عنه بعث عبد الله بن سعد رسولا أسرع السير يعلم عثمان بمخرجهم ويخبره أنهم يظهرون أنهم يريدون العمرة فقدم الرسول على عثمان بن عفان فخبّرهم فتكلم عثمان وبعث إلى أهل مكة يحذر من هناك هؤلاء المصريين ويخبّرهم أنهم قد طعنوا على إمامهم ثم إن عبد الله بن سعد خرج إلى عثمان فى آثار المصريين وقد كان كتب اليه يستأذنه فى القدوم عليه فأذن له فقدم ابن سعد حتى إذا كان بأيلة بلغه أن المصريين قد رجعوا الى عثمان وأنهم قد حصروه ومحمد ابن أبي حذيفة بمصر فلما بلغ محمدا حصر عثمان وخروج عبد الله بن سعد عنه غلب على مصر فاستجابوا له فأقبل عبد الله بن سعد يريد مصر فمنعه ابن أبي حذيفة فوجه

الى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان رضى الله عنه وأقبل المصريون حتى نزلوا بالأسواف فحصروا عثمان وقدم حكيم بن جبلة من البصرة فى ركب وقدم الأشتر فى أهل الكوفة فتوافوا بالمدينة فاعتزل الأشتر فاعتزل حكيم بن جبلة وكان ابن عديس وأصحابه هم الذين يحصرون عثمان فكانوا خمسمائة فأقاموا على حصاره تسعة وأربعين يوما حتى قتل يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة ٣٥. (قال محمد) وحدثنى ابراهيم بن سالم عن أبيه عن بشر بن سعيد قال وحدثنى عبد الله بن عباس بن أبى ربيعة قال دخلت على عثمان رضى الله عنه فتحدثت عنده ساعة فقال يا ابن عباس تعال فأخذ بيدى فأسمعنى كلام من على باب عثمان فسمعنا كلاما منهم من يقول ما تنتظرون به ومنهم من يقول انظروا عسى أن يراجع فبينا أنا وهو واقفان اذ مر طلحة بن عبيد الله فوقف فقال أين ابن عديس فقيل ها هو ذا قال فجاءه ابن عديس فناجاه بشىء ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه لا تتركوا أحدا يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده قال فقال لى عثمان هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله ثم قال عثمان اللهم اكفنى طلحة بن عبيد الله فانه حمل على هؤلاء وألبهم والله إنى لأرجو أن يكون منها صفرا وأن يسفك دمه انه انتهك منى ما لا يحل له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا فى احدى ثلاث رجل كفر بعد اسلامه فيقتل أو رجل زنى بعد احصانه فيرجم أو رجل قتل نفسا بغير نفس ففيم أقتل قال ثم رجع عثمان قال ابن عباس فأردت أن أخرج فمنعونى حتى مر بى محمد بن أبى بكر فقال خلوه فخلونى قال محمد حدثنى يعقوب بن عبد الله الأشعرى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد ابن عبدالرحمن بن أبزى عن أبيه قال رأيت اليوم الذى دُخل فيه على عثمان فدخلوا من دار عمرو بن حزم خوخة هناك حتى دخلوا الدار فناوشوهم شيئاً من مناوشة ودخلوا فوالله مانسينا أن خرج سودان بن حمران فأسمعه يقول أين طلحة بن عبيد الله قد قتلنا ابن عفان قال محمد بن عمرو حدثنى شرحبيل بن أبى عون عن أبيه عن أبى حفصة اليمانى قال كنت لرجل من أهل البادية من العرب فأعجبته يعنى مروان

فاشترانى واشترى امرأتى وولدى فأعتقنا جميعاً وكنت أكون معه فلما حصر عثمان رضى الله عنه شمرت معه بنو أمية ودخل معه مروان الدار قال فكنت معه فى الدار قال فأنا والله أنشبت القتال بين الناس رميت من فوق الدار رجلا من أسلم فقتلته وهو نيار الأسلمى فنشب القتال ثم نزلت فاقتتل الناس على الباب وقاتل مروان حتى سقط فاحتملته فأدخلته بيت عجوز وأغلقت عليه وألقى الناس النيران فى أبواب دار عثمان فاحترق بعضها فقال عثمان ما احترق الباب إلا لما هو أعظم منه لا يحركن رجل منكم يده فوالله لو كنت أقصاكم لتخطوكم حتى يقتلونى ولو كنت أدناكم ما جاوزونى إلى غيرى وإنى لصابر كما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصرعن مصرعى الذى كتب الله عز وجل لى فقال مروان والله لا تقتل وأنا أسمع الصوت ثم خرج بالسيف على الباب يتمثل بهذا الشعر

قد عَلِمَتْ ذاتُ القُرونِ المِيلِ والكَفِّ والأنامِلِ الطُّفولِ
أنى أروعُ أوَّلَ الرَّعيلِ بفارِهٍ مِثْلِ قَطا الشَّليلِ

قال محمد وحدثنى عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه عن أبى حفصة قال لما كان يوم الخميس دليت حجراً من فوق الدار فقتلت رجلا من أسلم يقال له نيار فأرسلوا الى عثمان أن أمكنا من قاتله قال والله ما أعرف له قاتلا فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران فلما اصبحوا غدوا فأول من طلع علينا كنانة بن عتاب فى يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا قد فتح له من دار آل حزم ثم دخلت الشعل على اثره تنضح بالنفط فقاتلناهم ساعة على الخشب وقد اضطرم الخشب فأسمع عثمان يقول لأصحابه ما بعد الحريق شىء قد احترق الخشب واحترقت الأبواب ومن كانت لى عليه طاعة فليمسك داره فإنما يريدنى القوم وسيندمون على قتلى والله لو تركونى لظننت أنى لا أحب الحياة ولقد تغيرت حالى وسقط أسنانى ورق عظمى قال ثم قال لمروان اجلس فلا تخرج فعصاه مروان فقال والله لا تقتل ولا يخلص اليك وأنا اسمع الصوت ثم خرج الى الناس فقلت ما لمولاى مترك فخرجت معه أذب عنه ونحن قليل فأسمع مروان يتمثل

قد علمت ذات القرون الميل والكف والأنامل الطفول

ثم صاح من يبارز وقد رفع أسفل درعه فجعله فى منطقته قال فيثب إليه ابن النباع فضربه ضربة على رقبته من خلفه فأثبته حتى سقط فما ينبض منه عرق فأدخلته بيت فاطمة ابنة أوس جدة إبراهيم بن العدى قال فكان عبد الملك وبنو أمية يعرفون ذلك لآل العدى ❊ حدثنى أحمد بن عثمان بن حكيم قال حدثنا عبد الرحمن ابن شريك قال حدثنى أبى عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن الأخنس عن ابن الحارث بن أبى بكر عن أبيه أبى بكر بن الحارث بن هشام قال كأنى أنظر إلى عبد الرحمن بن عديس البلوى وهو مسند ظهره إلى مسجد نبى الله صلى الله عليه وسلم وعثمان بن عفان رضى الله عنه محصور فخرج مروان بن الحكم فقال من يبارز فقال عبد الرحمن بن عديس لفلان بن عروة قم إلى هذا الرجل فقام إليه غلام شاب طوال فأخذ رفيف الدرع فغرزه فى منطقته فأعور له عن ساقه فأهوى له مروان وضربه ابن عروة على عنقه فكأنى أنظر إليه حين استدار وقام إليه عبيد بن رفاعة الزرقى ليدفف عليه قال فوثبت عليه فاطمة ابنة أوس جدة إبراهيم بن عدى قال وكانت أرضعت مروان وأرضعت له فقالت إن كنت إنما تريد قتل الرجل فقد قتل وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح قال فكف عنه فمازالوا يشكرونها لها فاستعملوا ابنها ابراهيم بعد وقال ابن إسحاق قال عبد الرحمن بن عديس البلوى حين سار إلى المدينة من مصر

أَقْبَلْنَ مِنْ بِلْبِيسَ وَالصَّعِيدِ مُسْتَحْقِبَاتٍ حَلَقَ الحَدِيدِ
يَطْلُبْنَ حَقَّ اللهِ فى سَعِيدِ حتى رَجَعْنَ بالذى نُرِيدُ

❊ حدثنى جعفر بن عبد الله المحمدى قال حدثنا عمرو بن حماد وعلى بن حسين قالا حدثنا حسين بن عيسى عن أبيه قال لما مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان رضى الله عنه وأبى إلا الإقامة على أمره وأسل إلى حشمه وخاصته فجمعهم فقام رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقال له نيار بن عياض وكان شيخا كبيرا فنادى ياعثمان فأشرف عليه من أعلى داره فناشده الله وذكره الله لما اعتزلهم

فبينا هو يراجعه الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم وزعموا أن الذى رماه كثير بن الصلت الكندى فقالوا لعثمان عند ذلك ادفع إلينا قاتل نيار ابن عياض فلنقتله به فقال لم أكن لأقتل رجلا نصرنى وأنتم تريدون قتلى فلما رأوا ذلك ثاروا الى بابه فأحرقوه وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان فى عصابة وخرج سعيد بن العاص فى عصابة وخرج المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة فى عصابة فاقتتلوا قتالا شديداً وكان الذى حداهم على القتال أنه بلغهم أن مدداً من أهل البصرة قد نزلوا صرارا وهى من المدينة على ليلة وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين فقاتلوهم قتالا شديداً على باب الدار فحمل المغيرة ابن الأخنس الثقفى على القوم وهو يقول مرتجزاً

قَدْ عَلِمَتْ جارِيَةٌ عُطْبولُ لها وِشاحٌ وَلهـا حُجول
أنّى بِنَصْلِ السَّيْفِ خَنْشَليلُ

فحمل عليه عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعى وهو يقول

إنْ تَكُ بالسَّيْفِ كما تَقُولُ فاثْبُتْ لِقِرْنٍ ماجِدٍ يَصولُ
بِمَشْرَفِيٍّ حَدُّهُ مَصْقولُ

فضربه عبد الله فقتله وحمل رفاعة بن رافع الأنصارى ثم الزرقى على مروان ابن الحكم فضربه فصرعه فنزل عنه وهو يرى أنه قد قتله وجرح عبد الله بن الزبير جراحات وانهزم القوم حتى لجأوا إلى القصر فاعتصموا ببابه فاقتتلوا عليه قتالا شديداً فقتل فى المعركة على الباب زياد بن نعيم الفهرى فى ناس من أصحاب عثمان فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصارى باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان ثم نادى الناس فأقبلوا عليهم من داره فقاتلوهم فى جوف الدار حتى انهزموا وخلى لهم عن باب الدار فخرجوا هرابا فى طرق المدينة وبقى عثمان فى أناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه وقتل عثمان رضى الله عنه * حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال حدثنا معتمر بن سليمان التيمى قال حدثنى أبى قال حدثنا أبو نضرة عن أبى سعيد مولى أبى أسيد الأنصارى قال أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه

ذات يوم فقال السلام عليكم قال فما سمع أحداً من الناس رد عليه إلا أن يردرجل في نفسه فقال أنشدكم بالله هل علمتم أني اشتريت رومة من مالي يستعذب بها فجعلت رشائي منها كرشاء رجل من المسلمين قال قيل نعم قال فما يمنعني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر قال أنشدكم الله هل علمتم أني اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته في المسجد قيل نعم قال فهل علمتم أحداً من الناس منع أن يصلي فيه قبلي قال أنشدكم الله هل سمعتم نبي الله صلى الله عليه وسلم يذكر كذا وكذا أشياء في شأنه وذكر الله إياه أيضا في كتابه المفصل قال ففشا النهي قال فجعل الناس يقولون مهلاً عن أمير المؤمنين قال وفشا النهي قال وقام الأشتر قال ولا أدري يومئذ أو في يوم آخر فقال لعله قد مكر به وبكم قال فوطئه الناس حتى لقي كذا وكذا قال فرأيته أشرف عليهم مرة أخرى فوعظهم وذكرهم فلم تأخذ فيهم الموعظة وكان الناس تأخذ فيهم الموعظة أو ما يسمعونها فاذا أعيدت عليهم لم تأخذ فيهم قال ثم انه فتح الباب ووضع المصحف بين يديه قال وذلك أنه رأى من الليل أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول أفطر عندنا الليلة قال أبو المعتمر فحدثنا الحسن أن محمد بن أبي بكر دخل عليه فأخذ بلحيته قال فقال له قد أخذت منا مأخذاً وقعدت مني مقعداً ما كان أبو بكر ليقعده أو ليأخذه قال فخرج وتركه قال ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود قال فخنقه ثم خفقه قال ثم خرج فقال والله ما رأيت شيئا قط ألين من حلقه والله لقد خنقته حتى رأيت نفسه تتردد في جسده كنفس الجان قال فخرج قال في حديث أبي سعيد دخل على عثمان رجل فقال بيني وبينك كتاب الله قال والمصحف بين يديه قال فيهوى له بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال لا أدري أبانها أم قطعها ولم يبنها قال فقال أما والله انها لأول كف خطت المفصل وقال في غير حديث أبي سعيد فدخل عليه التجيبي فأشعره مِشْقَصا فانتضح الدم على هذه الآية فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم قال فانها في المصحف ما حكّت قال وأخذت ابنة الفرافصة في حديث أبي سعيد حليها فوضعته في حجرها وذلك قبل أن يقتل قال فلما أشْعِرَ أو قال قتل ناحت عليه قال فقال بعضهم قاتلها الله ما أعظم عجيزتها قال فعلمت أن عدو الله لم يرد

إلا الدنيا (وأماسيف) فانه قال فيما كتب إلى السرى عن شعيب عنه ذكر عن بدر ابن عثمان عن عمه قال آخر خطبة خطبها عثمان رضى الله عنه فى جماعة إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا اليها إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية فآثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله اتقوا الله جل وعز فان تقواه جُنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا من الله الغِيَر والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزابا «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا» (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان قالوا لما قضى عثمان فى ذلك المجلس حاجاته وعزم وعزم له المسلمون على الصبر والامتناع عليهم بسلطان الله قال اخرجوا رحمكم الله فكونوا بالباب وليجامعكم هؤلاء الذين حبسوا عنى وأرسل إلى طلحة والزبير وعلى وعدة أن ادنوا فاجتمعوا فأشرف عليهم فقال يا أيها الناس اجلسوا فجلسوا جميعاً المحارب الطارئ والمسالم المقيم فقال يا أهل المدينة إنى أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى إنى والله لا أدخل على أحد بعد يومى هذا حتى يقضى الله فىّ قضاءه ولأدعن هؤلاء وما وراء بابى غير معطيهم شيئاً يتخذونه عليكم دخلا فى دين الله أو دنيا حتى يكون الله عز وجل الصانع فى ذلك ما أحب وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلا الحسن ومحمد وابن الزبير وأشباها لهم فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم وثاب اليهم ناس كثير ولزم عثمان الدار (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى حارثة وأبى عثمان ومحمداً وطلحة قالوا كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين فلما مضت من الأربعين ثمان عشرة قدم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من قد تهيأ اليهم من الآفاق حبيب من الشأم ومعاوية من مصر والقعقاع من الكوفة ومجاشع من البصرة فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كل شىء حتى الماء وقد كان يدخل علىّ بالشىء مما يريد وطلبوا العلل فلم تطلع عليهم علة فعثروا فى داره بالحجارة ليُرْمَوْا فيقولوا قوتلنا وذلك ليلا فناداهم

ألا تتقون الله ألا تعلمون أن فى الدار غيرى قالوا لا والله مارميناك قال فمن رمانا قالوا الله قال كذبتم إن الله عز وجل لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطئونا وأشرف عثمان على آل حزم وهم جيرانه فسرح ابناً لعمرو إلى علىّ بأنهم قدمنعونا الماء فإن قدرتم أن ترسلوا الينا شيئا من الماء فافعلوا والى طلحة والى الزبير وإلى عائشة رضى الله عنها وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم فكان أولهم إنجادا له علىّ وأم حبيبة جاء علىّ فى الغلس فقال يا أيها الناس إن الذى تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين لا تقطعوا عن هذا الرجل المادة فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى وما تعرّض لكم هذا الرجل فبم تستحلون حصره وقتله قالوا لا والله ولا نعمة عين لا نتركه يأكل ولا يشرب فرمى بعمامته فى الدار بأنى قد نهضت فيما أنهضتنى فرجع وجاءت أم حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملة على إداوة فقيل أم المؤمنين أم حبيبة فضربوا وجه بغلتها فقالت إن وصايا بنى أمية الى هذا الرجل فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل قالوا كاذبة وأهووا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف فندّت بأم حبيبة فتلقاها الناس وقد مالت رحالتها فتعلقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل فذهبوا بها إلى بيتها وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة واستتبعت أخاها فأبت فقالت أما والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن وجاء حنظلة الكاتب حتى قام على محمد بن أبى بكر فقال يا محمد تستتبعك أم المؤمنين فلا تتبعها وتدعوك ذؤبان العرب الى مالا يحل فتتبعهم فقال ما أنت وذاك يا ابن التميمية فقال يا ابن الخثعمية إن هذا الأمر إن صار الى التغالب غلبتك عليه بنو عبد مناف وانصرف وهو يقول:

عَجِبْتُ لِما يَخوضُ النّاسُ فيهِ يُرومونَ الخِلافَةَ أَنْ تَزولا
ولَوْ زالَتْ لزالَ الخَيْرُ عَنْهُمْ وَلاقَوْا بَعْدَها ذُلًّا ذَليلا
وكانوا كاليَهودِ أَوِ النَّصارَى سَواءٌ كُلُّهُمْ ضَلوا السبيلا

ولحق بالكوفة وخرجت عائشة وهى ممتلئة غيظا على أهل مصر وجاءها مروان بن الحكم فقال ياأم المؤمنين لو أقمتِ كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل

فقالت أتريد أن يصنع بي كما صُنع بأم حبيبة ثم لا أجد من يمنعني لا والله ولا أعيّر ولا أدرى إلى مايسلم أمر هؤلاء وبلغ طلحة والزبير مالقي علىّ وأم حبيبة فلزموا بيوتهم وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات عليهم الرقباء فأشرف عثمان على الناس فقال ياعبدالله بن عباس فدعي له فقال اذهب فأنت على الموسم وكان ممن لزم الباب فقال والله ياأمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب الىّ من الحج فأقسم عليه لينطلقن فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة ورمى عثمان إلى الزبير بوصيته فانصرف بها وفي الزبير اختلاف أأدرك مقتله أو خرج قبله وقال عثمان ياقوم لايجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح ـ الآية ـ اللهم حُل بين الأحزاب وبين ما يأملون كما فُعل بأشياعهم من قبل ﴿وكتب إلىّ السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن عمرو ابن محمد قال بعثتْ ليلى ابنة عميس إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فقالت إن المصباح يأكل نفسه ويضيء للناس فلا تأثما في أمر تسوقانه إلى من لا يأثم فيكما فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غدا فاتقوا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم فلجّا وخرجا مغضبين يقولان لا ننسى ماصنع بنا عثمان وتقول ماصنع بكما ألا ألزمكما الله فلقيهما سعيد بن العاص وقد كان بين محمد بن أبي بكر وبينه شيء فأنكره حين لقيه خارجا من عند ليلى فتمثل له في تلك الحال بيتا

اسْتَبْقِ وُدَّكَ للصَّديقِ ولا تَكُنْ فَيْئًا يَعَضُّ بخاذِلٍ مِلْجاجا

فأجابه سعيد متمثلا

تَرَوْنَ إذًا ضَرْبًا صميماً مِنَ الذى له جانِبٌ ناءٍ عَنِ الْجُرْمِ مُعْوِرُ

﴿كتب إلىّ السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا فلما بويع الناس السابق فقدم بالسلامة فأخبرهم من الموسم أنهم يريدون جميعاً المصريين وأشياعهم وإنهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجهم فلما أتاهم ذلك مع مابلغهم من نفور أهل الأمصار أعلقهم الشيطان وقالوا لايخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل فيشتغل بذلك الناس عنا ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلا قتله فراموا الباب فمنعهم من ذلك الحسن وابن

الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم واجتلدوا فناداهم عثمان الله الله أنتم فى حل من نصرتى فابوا فتح الباب وخرج ومعه الترس والسيف لينهنهم فلما رأوه أدبر المصريون وركبهم هؤلاء ونهنهم فتراجعوا وعظم على الفريقين وأقسم على الصحابة ليدخلن فأبوا أن ينصرفوا فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين وقد كان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حج ثم تعجل فى نفر حجوا معه فأدرك عثمان قبل أن يقتل وشهد المناوشة ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل وقال ماعذرنا عند الله ان تركناك ونحن نستطيع ألاندعهم حتى نموت فاتخذ عثمان تلك الأيام القرآن نحباً يصلى وعنده المصحف فإذا أعيا جلس فقرأ فيه وكانوا يرون القراءة فى المصحف من العبادة وكان القوم الذين كفكفهم بينه وبين الباب فلما بقى المصريون لايمنعهم أحد من الباب ولا يقدرون على الدخول جاؤا بنار فأحرقوا الباب والسقيفة فتأجج الباب والسقيفة حتى إذا احترق الخشب خرت السقيفة على الباب فثار أهل الدار وعثمان يصلى حتى منعوهم الدخول وكان أول من برز لهم المغيرة بن الأخنس وهو يرتجز

قد عَلِمَتْ جارِيَةٌ عطبولُ ذاتُ وِشاحٍ وَلها جديلُ
أنّى بِنَصْلِ السَّيْفِ خَنْشَليلُ لأمْنَعَنَّ مِنْكُمُ خَليلى
بصارِمٍ ليس بذى فُلولِ

وخرج الحسن بن على وهو يقول

لادينُهُمْ دِينى ولا أنا مِنهُمُ حتى أسيرَ إلى طَمَارِ شَمامِ

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول

أنا ابنُ مَنْ حامى عليه بأُحد ورَدَّ أحْزَابًا على رغْمِ مَعَدّ

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول

صبرنا غداةَ الدارِ والمَوْتُ واقِبُ بأسْيافنا دون ابْنِ أرْوَى نُضارِبُ
وكنا غداةَ الرَّوْعِ فى الدار نُصْرَةً نُشافِهُهُمْ بالضَّرْبِ والموْتُ ثاقِبُ

فكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير وأمره عثمان أن يصير إلى أبيه فى

وصية بما أراد وأمره أن يأتى أهل الدار فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم فخرج عبد الله بن الزبير آخرهم فما زال يدعى بها ويحدث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان قالوا وأحرقوا الباب وعثمان فى الصلاة وقد افتتح «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» وكان سريع القراءة فما كرثه ما سمع وما يخطئ وما يتتعتع حتى أتى عليها قبل أن يصلوا اليه ثم عاد فجلس إلى عند المصحف وقرأ «الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» وارتجز المغيرة بن الأخنس وهو دون الدار فى أصحابه

قد عَلِمَتْ ذاتُ القرونِ الميلِ والحلى والأناملِ الطُّفولِ
لتصْدُقَنّ بَيْعَتى خليلى بصارمٍ ذى رَوْنَقٍ مَصْقولِ
لا أستَقيلُ أنْ أقلْتُ قيلى

وأقبل أبو هريرة والناس محجمون عن الدار إلا أولئك العصبة فدسروا فاستقتلوا فقام معهم وقال أنا إسوتكم وقال هذا يوم طاب امْضَرْبُ يعنى أنه من القتال وطاب وهذه لغة حمير ونادى ياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار وبادر مروان يومئذ ونادى رجل رجل فبرز له رجل من بنى ليث يدعى النباع فاختلفا فضربه مروان أسفل رجليه وضربه الآخر على أصل العنق فقلبه فانكب مروان واستلقى فاجتر هذا أصحابه واجتر الآخر أصحابه فقال المصريون أما والله لاأن تكونوا حجة علينا فى الأمة لقد قتلناكم بعد تحذير فقال المغيرة من بارز فبرزله رجل فاجتلدا وهو يقول

أضربهُمْ باليابِسِ ضَرْبَ غُلامٍ بائِسِ من الحياةِ آيِسِ

فأجابه صاحبه ... وقال الناس قتل المغيرة بن الأخنس فقال الذى قتله إنا لله فقال له عبد الرحمن بن عديس مالك قال إنى أتيت فيما يرى النائم فقيل لى بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار فابتليت به وقتل قباث الكنانى نيار [illegible] الأسلمى واقتحم الناس الدار من الدور التى حولها حتى ملؤها [illegible]

بالباب وأقبلت القبائل على أبنائهم فذهبوا بهم إذ غُلبوا على أميرهم وندبوا رجلا لقتله فانتدب له رجل فدخل عليه البيت فقال اخلعها وندعك فقال ويحك والله ما كشفت امرأة فى جاهلية ولا إسلام ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يمينى على عورتى مذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولست خالعا قميصا كسانيه الله عز وجل وأنا على مكانى حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاء فخرج وقالوا ماصنعت فقال عَلقنا والله والله ماينجينا من الناس إلا قتله وما يحل لنا قتله فأدخلوا عليه رجلا من بنى ليث فقال ممن الرجل فقال ليثى فقال لست بصاحبى قال وكيف فقال ألست الذى دعالك النبي صلى الله عليه وسلم فى نفر أن تحفظوا يوم كذا وكذا قال بلى قال فلن تضيع فرجع وفارق القوم فأدخلوا عليه رجلا من قريش فقال ياعثمان إنى قاتلك قال كلا يافلان لاتقتلنى وقال وكيف قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تقارف دماحراما فاستغفر ورجع وفارق أصحابه فأقبل عبد الله بن سلام حتى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله وقال ياقوم لاتسلوا سيف الله عليكم فوالله إن سللتموه لاتغمدوه ويلكم إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة فان قتلتموه لايقم إلا بالسيف ويلكم إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله والله لئن قتلتموه لتتركنها فقالوا ياابن اليهودية وماأنت وهذا فرجع عنهم قالوا وكان آخر من دخل عليه ممن رجع الى القوم محمد بن أبى بكر فقال له عثمان ويلك أعلى الله تغضب هل لى اليك جرم ألا حقه أخذته منك فنكل ورجع قالوا فلما خرج محمد بن أبى بكر وعرفوا انكساره ثار قُتَيْرَةُ وسودان بن حمران السكونيان والغافقى فضربه الغافقى بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف فاستقر بين يديه وسالت عليه الدماء وجاء سودان بن حمران ليضربه فانكبت عليه نائلة ابنة الفرافصة واتقت السيف بيدها فتعمدها ونفح أصابعها فأطن أصابع يدها وولت فغمز أوراكها وقال انها لكبيرة العجيزة وضرب عثمان فقتله ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه وقد كان عثمان أعتق من كف منهم فلما رأوا سودان قد ضربه أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله ووثب

قتيرة على الغلام فقتله وانتهبوا مافى البيت وأخرجوا من فيه ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى فلما خرجوا الى الدار وثب غلام لعثمان آخر على قتيرة فقتله ودار القوم فأخذوا ماوجدوا حتى تناولوا ماعلى النساء وأخذ رجل ملاءة نائلة والرجل يدعى كلثوم بن تجيب فتنحت نائلة فقال ويح أمك من عجيزة ماأتمك وبصر به غلام لعثمان فقتله وقتل وتنادى القوم أبصر رجل من صاحبه وتنادوا فى الدار أدركوا بيت المال لا تسبقوا اليه وسمع أصحاب بيت المال أصواتهم وليس فيه إلا غرارتان فقالوا النجاء فإن القوم انما يحاولون الدنيا فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس فيه فالتانئ يسترجع ويبكى والطارئ يفرح وندم القوم وكان الزبير قد خرج من المدينة فأقام على طريق مكة لئلا يشهد مقتله فلما أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو قال إنا لله وإنا إليه راجعون رحم الله عثمان وانتصر له وقيل إن القوم نادمون فقال دبَّروا دبَّروا وحيل بينهم وبين مايشتهون الآية وأتى الخبر طلحة فقال رحم الله عثمان وانتصر له وللإسلام وقيل له إن القوم نادمون فقال تبالهم وقرأ «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ» وأتى على فقيل قتل عثمان فقال رحم الله عثمان وخلف علينا بخير وقيل ندم القوم فقرأ «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ» الآية وطلب سعد فإذا هو فى حائطه وقد قال لا أشهد قتله فلما جاءه قتله قال فررنا إلى المدينة فدنينا وقرأ «الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً» اللهم أندمهم ثم خذهم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن المجالد عن الشعبى عن المغيرة بن شعبة قال قلت لعلى إن هذا الرجل مقتول وإنه إن قتل وأنت بالمدينة اتخذوا فيك فاخرج فكن بمكان كذا وكذا فإنك إن فعلت وكنت فى غار باليمن طلبك الناس فأبى وحُصر عثمان اثنتى وعشرين يوما ثم أحرقوا الباب وفى الدار أناس كثير فيهم عبد الله بن الزبير ومروان فقالوا ائذن لنا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى عهداً فأنا صابر عليه وإن القوم لم يحرقوا باب الدار إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه فأحرِّج على رجل يستقتل ويقاتل وخرج الناس كلهم ودعا بالمصحف يقرأ فيه

والحسن عنده فقال إن أباك الآن لفى أمر عظيم فأقسمت عليك لما خرجت وأمر عثمان أبا كرب رجلا من همدان وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال وليس فيه إلا غرارتان من ورق فلما أطفئت النار بعد ما ناوشهم ابن الزبير ومروان وتوعد محمد بن أبى بكر ابن الزبير ومروان فلما دخل على عثمان هربا ودخل محمد بن أبى بكر على عثمان فأخذ بلحيته فقال أرسل لحيتى فلم يكن أبوك ليتناولها فأرسلها ودخلوا عليه فمنهم من يجأه بنعل سيفه وآخر يلكزه وجاءه رجل بمشاقص معه فوجأه فى ترقوته فسال الدم على المصحف وهم فى ذلك يهابون فى قتله وكان كبيراً وغشى عليه ودخل آخرون فلما رأوه مغشياً عليه جرّوا برجله فصاحت نائلة وبناته وجاء التجيبى مخترطاً سيفه ليضعه فى بطنه فوقته نائلة فقطع يدها واتكأ بالسيف عليه فى صدره وقتل عثمان رضى الله عنه قبل غروب الشمس ونادى مناد ما يحل دمه ويحرم ماله فانتهبوا كل شىء ثم تبادروا بيت المال فألقى الرجلان المفاتيح ونجوا وقالوا الهرب الهرب هذا ما طلب القوم * وذكر محمد بن عمر أن عبد الرحمن بن عبد العزيز حدثه عن عبد الرحمن بن محمد أن محمد بن أبى بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب وسودان بن حمران وعمرو بن الحمق فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ فى المصحف فى سورة البقرة فتقدمهم محمد بن أبى بكر فأخذ بلحية عثمان فقال قد أخزاك الله يا نعثل فقال عثمان لستُ بنعثل ولكنى عبد الله وأمير المؤمنين قال محمد ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان * فقال عثمان يا ابن أخى دع عنك لحيتى فما كان أبوك ليقبض على ما قبضتَ عليه فقال محمد لو رآك أبى تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك وما أريد بك أشد من قبضى على لحيتك قال عثمان أستنصر الله عليك وأستعين به ثم طعن جبينه بمشقص فى يده ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت فى يده فوجأ بها فى أصل أذن عثمان فمضت حتى دخلت فى حلقه ثم علاه بالسيف حتى قتله فقال عبد الرحمن سمعت أبا عون يقول ضرب كنانة بن بشر جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجبينه فضربه سودان بن حمران المرادى بعد ما خر لجبينه فقتله * قال محمد

ابن عمر حدثنى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال الذى قتله كنانة بن بشر بن عتاب التجيبى وكانت امرأة منظور بن سيار الفزارى تقول خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل حتى اذا كنا بالعَرْج سمعنا رجلا يتغنى تحت الليل

ألا إنّ خيْر الناسِ بعد ثلاثةٍ قَتيلُ التُّجيبىّ الذى جاء من مِصْر

قال وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات قال عمرو فأما ثلاث منهن فانى طعنتهن إياه لله وأما ستّ فانى طعنتهن إياه لما كان فى صدرى عليه * قال محمد وحدثنى إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة قال رأيت عروة بن شيم ضرب مروان يوم الدار بالسيف على رقبته فقطع إحدى علباويه فعاش مروان أوقص ومروان الذى يقول

ما قُلتُ يومَ الدارِ لِلقَوْمِ حاجِزوا رُوَيْداً ولا اسْتبْقوا الحياةَ على القَتلِ
ولكنّنى قد قلتُ للقوم ماصِعوا بأسيافِكُمْ كَيْمَا يَصِلنَ إلى الكَهْلِ

قال محمد الواقدى وحدثنى يوسف بن يعقوب عن عثمان بن محمد الأخنسى قال كان حصر عثمان قبل قدوم أهل مصر فقدم أهل مصر يوم الجمعة وقتلوه فى الجمعة الأخرى * وحدثنى عبد الله بن أحمد المروزى قال حدثنى أبى قال حدثنى سليمان قال حدثنى عبد الله عن حرملة بن عمران قال حدثنى يزيد بن أبى حبيب قال ولى قتل عثمان نهران الأصبحى وكان قاتل عبد الله بن بسرة وهو رجل من بنى عبد الدار * قال محمد بن عمر وحدثنى الحكم بن القاسم عن أبى عون مولى المسور بن مخرمة قال ما زال المصريون كافين عن دمه وعن القتال حتى قدمت أمداد العراق من البصرة ومن الكوفة ومن الشأم فلما جاؤا شجعوا القوم وبلغهم أن البعوث قد فصلت من العراق ومن مصر من عند ابن سعد ولم يكن ابن سعد بمصر قبل ذلك كان هارباً قد خرج إلى الشأم فقالوا نعاجله قبل أن تقدم الامداد * قال محمد وحدثنى الزبير بن عبد الله عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال أشرف عثمان عليهم وهو محصور وقد أحاطوا بالدار من كل ناحية فقال أنشدكم بالله جل وعز هل تعلمون

أنكم دعوتم الله عند مصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يخير لكم وأن يجمعكم على خيركم فما ظنكم بالله أتقولون لم يستجب لكم وهنتم على الله سبحانه وأنتم يومئذ أهل حقه من خلقه وجميع أموركم لم تتفرق أم تقولون هان على الله دينه فلم يبال من ولاه والدين يومئذ يعبد به الله ولم يتفرق أهله فتوكلوا أو تخذلوا وتعاقبوا أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة وانما كابرتم مكابرة فوكل الله الأمة اذا عصته لم تشاوروا فى الإمام ولم تجتهدوا فى موضع كراهته أم تقولون لم يدر الله ما عاقبة أمرى فكنت فى بعض امرى محسنا ولأهل الدين رضى فما أحدثت بعد فى أمرى ما يسخط الله وتسخطون مما لم يعلم الله سبحانه يوم اختارنى وسربلنى سربال كرامته وأنشدكم بالله هل تعلمون لى من سابقة خير وسلف خير قدمه الله لى وأشهدنيه من حقه وجهاد عدوه حق على كل من جاء من بعدى أن يعرفوا لى فضلها فهلا لا تقتلونى فانه لا يحل إلا قتل ثلاثة رجل زنى بعد إحصانه أو كفر بعد إسلامه أو قتل نفسا بغير نفس فيقتل بها فانكم إن قتلتمونى وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفعه الله عز وجل عنكم إلى يوم القيامة ولا تقتلونى فانكم إن قتلتمونى لم تصلوا من بعدى جميعاً أبدا ولم تقتسموا بعدى فيئاً جميعاً أبدا ولن يرفع الله عنكم الاختلاف أبدا قالوا أما ما ذكرت من استخارة الله عز وجل الناس بعد عمر رضى الله عنه فيمن يولون عليهم ثم ولوك بعد استخارة الله فان كل ما صنع الله الخيرة ولكن الله سبحانه جعل أمرك بلية ابتلى بها عباده وأما ما ذكرت من قدَمك وسبقك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانك قد كنت ذا قدم وسلف وكنت أهلا للولاية ولكن بدلت بعد ذلك وأحدثت ما قد علمت وأما ما ذكرت مما يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء فانه لا ينبغى ترك إقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاما قابلا وأما قولك إنه لا يحل إلا قتل ثلاثة فإنا نجد فى كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت قتل من سعى فى الأرض فسادا وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه وقتل من حال دون شيء من الحق ومنعه ثم قاتل دونه وكابر عليه وقد بغيت ومنعت الحق وحُلت دونه وكابرت عليه تأبى أن تُقيد من نفسك

مَن ظلمت عمدا و تمسكت بالإمارة علينا و قد جُرت فى حكمك و قسمك فان زعمت أنك لم تكابرنا عليه و أن الذين قاموا دونك و منعوك منا إنما يقاتلون بغير أمرك فانما يقاتلون لتمسّكك بالإمارة فلو أنك خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك

ذكر بعض سيَر عثمان بن عفان رضى الله عنه

❊ حدثنى زياد بن أيوب قال حدثنا هشيم قال زعم أبو المقدام عن الحسن بن أبى الحسن قال دخلت المسجد فاذا أنا بعثمان بن عفان متكأ على ردائه فأتاه سقاآن يختصمان فقضى بينهما (وفيما كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عمارة بن القعقاع عن الحسن البصرى قال كان عمر بن الخطاب قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج فى البلدان إلا باذن وأجل فشكوه فبلغه فقام فقال ألا إنى قد سننت الإسلام سَنّ البعير يبدأ فيكون جذعا ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سديسا ثم بازلا ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان ألا فإن الإسلام قد بزل ألا وإن قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ألا فأما وابن الخطاب حىّ فلا انى قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا فى النار (وكتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا فلما ولى عثمان لم يأخذهم بالذى كان يأخذهم به عمر فانساحوا فى البلاد فلما رأوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس انقطع من لم يكن له طول ولا مزية فى الإسلام فكان مغموما فى الناس وصاروا أوزاعا اليهم وأملوهم وتقدموا فى ذلك فقالوا يملكون فنكون قد عرفناهم وتقدمنا فى التقرب والانقطاع اليهم فكان ذلك أول وهن دخل على الإسلام وأول فتنة كانت فى العامة ليس إلا ذلك (وكتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبى قال لم يمت عمر رضى الله عنه حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة فامتنع عليهم وقال إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم فى البلاد فإن كان الرجل ليستأذنه فى الغزو وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة فيقول قد كان فى غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك فلما ولى عثمان خلى عنهم فاضطربوا فى البلاد وانقطع اليهم الناس فكان أحب اليهم

من عمر (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن مبشر بن الفضيل عن سالم ابن عبد الله قال لما ولى عثمان حج سنواته كلها إلا آخر حجة وحج بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يصنع عمر فكان عبد الرحمن بن عوف فى موضعه وجعل فى موضع نفسه سعيد بن زيد هذا فى مؤخر القطار وهذا فى مقدّمه وأمن الناس وكتب فى الأمصار أن يوافيه العمال فى كل موسم ومن يشكوهم وكتب الى الناس الى الأمصار أن ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ولا يذل المؤمن نفسه فإنى مع الضعيف على القوى مادام مظلوما إن شاء الله فكان الناس بذلك فجرى ذلك الى أن اتخذه أقوام وسيلة الى تفريق الأمة (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا لم تمض سنة من إمارة عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالا فى الأمصار وانقطع اليهم الناس وثبتوا سبع سنين كل قوم يحبون أن يلى صاحبهم ثم إن ابن السوداء أسلم وتكلم وقد فاضت الدنيا وطلعت الاحداث على يديه فاستطالوا عمر عثمان رضى الله عنه (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن عثمان بن حكيم بن عباد ابن حنيف عن أبيه قال أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا وانتهى وسع الناس طيران الحمام والرمى على الجلاهقات فاستعمل عليها عثمان رجلا من بنى ليث سنة ثمان فقصها وكسر الجلاهقات (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن عبيد الله عن عمرو بن شعيب قال أول من منع الحمام الطيارة والجلاهقات عثمان ظهرت بالمدينة فأمر عليها رجلا فمنعهم منها (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد عن أبيه نحوا منه وزاد وحدث بين الناس النّشو قال فأرسل عثمان طائفا يطوف عليهم بالعصا فمنعهم من ذلك ثم اشتد ذلك فأفشى الحدود ونبّأ ذلك عثمان وشكاه إلى الناس فاجتمعوا على أن يجلدوا فى النبيذ فأخذ نفر منهم فجلدوا (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مبشر بن الفضيل عن سالم بن عبد الله قال لما حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجال إلى الأمصار مجاهدين وليدنوا من العرب فمنهم من أتى البصرة ومنهم من أتى الكوفة ومنهم من أتى الشام فهجموا جميعا من أبناء المهاجرين

بالأمصار على مثل ماحدث فى أبناء المدينة إلا ما كان من أبناء الشام فرجعوا جميعاً
إلى المدينة إلا من كان بالشام فأخبروا عثمان بخبرهم فقام عثمان فى الناس خطيباً
فقال ياأهل المدينة أنتم أصل الاسلام وإنما يفسد الناس بفسادكم ويصلحون
بصلاحكم والله والله والله لا يبلغنى عن أحد منكم حدث أحدثه إلا سيرته أفلا أعرفن
أحداً عرض دون أولئك بكلام ولا طلب فان من كان قبلكم كانت تقطع أعضاؤهم
دون أن يتكلم أحد منهم بما عليه ولا له وجعل عثمان لا يأخذ أحدا منهم على شر
أو شهر سلاح عصا فما فوقها إلا سيره فضج آباؤهم من ذلك حتى بلغه أنهم يقولون
ماأحدث التسيير إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سير الحكم بن أبى العاص
فقال إن الحكم كان مكياً فسيره رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلى الطائف
ثم رده الى بلده فرسول الله صلى الله عليه وسلم سيره بذنبه ورسول الله صلى الله
عليه وسلم رده بعفوه وقد سير الخليفة من بعده وعمر رضى الله عنه من بعد
الخليفة وآيم الله لآخذن العفو من أخلاقكم ولأبذلنه لكم من خُلقى وقد دنت
أمور ولاأحب أن تحل بنا وبكم وأنا على وجل وحذر فاحذروا واعتبروا
(كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ويحيى
ابن سعيد قالا سأل سائل سعيد بن المسيب عن محمد بن أبى حذيفة مادعاه الى
الخروج على عثمان فقال كان يتيما فى حجر عثمان فكان عثمان والى أيتام أهل
بيته ومحتمل كلهم فسأل عثمان العمل حين ولى فقال يابنى لو كنت رضًى ثم سألتنى
العمل لاستعملتك ولكن لست هناك قال فأذن لى فلأخرج فلأطلب مايقوتنى
قال اذهب حيث شئت وجهزه من عنده وحمله وأعطاه فلما وقع إلى مصر كان فيمن
تغير عليه أن منعه الولاية قيل فعمار بن ياسر قال كان بينه وبين عباس بن عتبة
ابن أبى لهب كلام فضربهما عثمان فأورث ذاك بين آل عمار وآل عتبة شراً حتى
اليوم وكنّا عما ضُربا عليه وفيه (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن
عبد الله بن سعيد بن ثابت قال فسألت ابن سليمان بن أبى حثمة فأخبرنى أنه
تقاذف (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مبشر قال سألت سالم بن عبد الله

عن محمد بن أبي بكر مادعاه إلى ركوب عثمان فقال الغضب والطمع قلت ما الغضب والطمع قال كان من الإسلام بالمكان الذى هو به وغره أقوام فطمع وكانت له دالة فلزمه حق فأخذه عثمان من ظهره ولم يُدهن فاجتمع هذا إلى هذا فصار مذمما بعد أن كان محمدا (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن مبشر عن سالم ابن عبدالله قال لما ولى عثمان لان لهم فانتزع الحقوق انتزاعا ولم يعطل حقا فأحبوه على لينه فأسلمهم ذلك إلى أمر الله عز وجل (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن سهل عن القاسم قال كان مما أحدث عثمان فرضى به منه أنه ضرب رجلا فى منازعة استخف فيها بالعباس بن عبد المطلب فقيل له فقال نعم أيفخّم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه وأرخص فى الاستخفاف به لقد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ومن رضى به منه (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن رزيق بن عبدالله الرازى عن علقمة بن مرثد عن حمران ابن أبان قال أرسلنى عثمان إلى العباس بعدما بويع فدعوته اليه فقال مالك تعبدتنى قال لم أكن قط أحوج اليك منى اليوم قال الزم خمسا لا تنازعك الأمة خزائمها ما لزمتها قال وما هن قال الصبر عن القتل والتحبُّب والصفح والمداراة وكتمان السر * وذكر محمد بن عمر قال حدثنى ابن أبى سبرة عن عمرو بن أمية الضمرى قال إن قريشا كان مَن أسنّ منهم مولعا بأكل الخزيرة وإنى كنت أتعشى مع عثمان خزيرا من طبخ من أجود ما رأيت قط فيها بطون الغنم وأدمها اللبن والسمن فقال عثمان كيف ترى هذا الطعام فقلت هذا أطيب ما أكلت قط فقال يرحم الله ابن الخطاب أكلت معه هذه الخزيرة قط قلت نعم فكادت اللقمة تفرث فى يدى حين أهوى بها إلى فمى وليس فيها لحم وكان أدمها السمن ولا لبن فيها فقال عثمان صدقت إن عمر رضى الله عنه أتعب والله من تبع أثره وأنه كان يطلب بثنيه عن هذه الأمور ظلفا أما والله ما آكله من مال المسلمين ولكنى آكله من مالى أنت تعلم أنى كنت أكثر قريش مالا وأجدهم فى التجارة ولم أزل آكل من الطعام ما لان منه وقد بلغت سنا فأحبّ الطعام إلىّ ألينه ولا أعلم لأحد علىّ فى ذلك تبعة * قال محمد وحدثنى ابن أبى سبرة

عن عاصم عن عبيد الله بن عامر قال كنت أفطر مع عثمان فى شهر رمضان فكان يأتينا بطعام هو ألين من طعام عمر قد رأيت على مائدة عثمان الدرمك الجيد وصغار الضأن كل ليلة وما رأيت عمر قط أكل من الدقيق منخولا ولا أكل من الغنم إلا مسانها فقلت لعثمان فى ذلك فقال يرحم الله عمر ومن يُطيق ما كان عمر يطيق قال محمد وحدثنى عبد الملك بن يزيد بن السائب عن عبد الله بن السائب قال أخبرنى أبى قال أول فسطاط رأيته بمنًى فسطاط لعثمان وآخر لعبد الله بن عامر بن كريز وأول من زاد النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء عثمان وأول من نخل له الدقيق من الولاة عثمان رضى الله عنه ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا بلغ عثمان أن ابن ذى الحبكة النهدى يعالج نيرنْجا قال محمد بن سلمة إنما هو نيرنج فأرسل إلى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك فان أقر به فأوجِعْه فدعا به فسأله فقال إنما هو رفق وأمر يعجب منه فأمر به فعزر وأخبر الناس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان إنه قد جُدَّ بكم فعليكم بالجد وإياكم والهزال فكان الناس عليه وتعجبوا من وقوف عثمان على مثل خبره فغضب فنفر فى الذين نفروا فضرب معهم فكتب إلى عثمان فيه فلما سير إلى الشأم من سير سير كعب بن ذى الحبكة ومالك بن عبد الله وكان دينه كدينه إلى دُنباوند لأنها أرض سحرة فقال فى ذلك كعب بن ذى الحبكة للوليد

لَعَمرى لئن طردتَنى ما إلى التى ... طمِعْتَ بها من سَقْطَتى لَسَبيلُ
رَجَوْتَ رُجوعى ياابنَ أروَى ورجعتى ... إلى الحق دَهْرًا غال ذلك غُولُ
وإنَّ اغترابى فى البلاد وجَفوَتى ... وشَتمِىَ فى ذات الإله قليلُ
وإنَّ دُعائى كلَّ يومٍ وليلةٍ ... عليك بِدُنباوَندكُمْ لَطَويلُ

فلما ولى سعيدا قفله وأحسن اليه واستصلحه فكفره فلم يزدد إلا افسادا واستعار ضابئ بن الحارث البرجمى فى زمان الوليد بن عقبة من قوم من الأنصار كلباً يدعى قرحان يصيد الظباء فحبسه عنهم فنافره الأنصاريون واستغاثوا عليه بقومه فكاثروه فانتزعوه منه وردوه على الأنصار فهجاهم وقال فى ذلك

تَجَشَّمَ دونى وَفْدُ قرحانَ خُطَّةً تَضِلُّ لها الوجناءُ وهْىَ حَسيرُ
فباتوا سِباعًا ناعِمِينَ كأنما حَباهُم بِبَيتِ المَرزُبانِ أميرُ
فكلُكُمُ لَا تَتْرُكوا فهَوَاءُكُمْ فإنَّ عقوقَ الأمَّهاتِ كبيرُ

فاستعدوا عليه عثمان فأرسل اليه فعزره وحبسه كما كان يصنع بالمسلمين فاستثقل ذلك فمازال فى الحبس حتى مات فيه وقال فى الفتك يعتذر إلى أصحابه

هَمَمتُ ولم أَفعَلْ وكدتُ ولَيتَنى فَعَلتُ ووَلّيتُ البُكاءَ حَلائلُهْ
وقائلةٍ قد ماتَ فى السجنِ ضابئٌ ألا مَن لخَصْمٍ لم يَجِد مَن يُجادِلُهْ
وقائلةٍ لايُبعِدِ اللهُ ضابِئًا فَنِعْمَ الفَتى تَخلو به وتُحاوِلُهْ

فلذلك صار عمير بن ضابئ سبائيا (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن المستنير عن أخيه قال والله ماعلمت ولاسمعت بأحد غزا عثمان رضى الله عنه ولاركب اليه إلا قتل لقد اجتمع بالكوفة نفر فيهم الأشتر وزيد بن صوحان وكعب بن ذى الحبكة وأبو زينب وأبو مورع وكميل بن زياد وعمير بن ضابئ فقالوا لا والله لايرفع رأس مادام عثمان على الناس فقال عمير بن ضابئ وكميل ابن زياد نحن نقتله فركبا إلى المدينة فأما عمير فإنه نكل عنه وأما كميل بن زياد فإنه جسر وثاوره وكان جالسا يرصده حتى أتى عليه عثمان فوجأ عثمان وجهه فوقع على استه وقال أوجعتنى ياأمير المؤمنين قال أولست بفاتك قال لا والله الذى لاإله إلا هو فخلف وقد اجتمع عليه الناس فقالوا نفتشه ياأمير المؤمنين فقال لا قد رزق الله العافية ولاأشتهى أن أطلع منه على غير ماقال وقال إن كان كما قلت ياكميل فاقتد منى وجثا فوالله ماحسبتك ألاتريدنى وقال إن كنتَ صادقا فأجزل الله وإن كنتَ كاذباً فأذل الله وقعد له على قدميه وقال دونك قال قد تركت فبقيا حتى أكثر الناس فى نجائهما فلما قدم الحجاج قال من كان من بعث المهلب فليواف مكتبه ولايجعل على نفسه سبيلا فقام اليه عمير وقال إنى شيخ ضعيف ولى ابنان قويان فأخرج أحدهما مكانى أو كليهما فقال من أنت قال أنا عمير بن ضابئ فقال والله لقد عصيت الله عزوجل منذ أربعين سنة ووالله لأنكلن بك

المسلمين غضبت لسارق الكلب ظالما إن أباك إذ غُل لهَمَّ وإنك هممت ونكلت وإنى أهُمّ ثم لا أنكل فضربت عنقه (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف قال حدثنا رجل من بنى أسد قال كان من حديثه أنه كان قد غزا عثمان رضى الله عنه فيمن غزاه فلما قدم الحجاج ونادى بما نادى به عرض رجل عليه ماعرض نفسه فقبل منه فلما ولى قال أسماء بن خارجة لقدكان شأن عمير مما يهمنى قال ومن عمير قال هذا الشيخ قال ذكرتنى الطعن وكنت ناسياً أليس فيمن خرج إلى عثمان قال بلى قال فهل بالكوفة أحد غيره قال نعم كميل قال علىّ بعمير فضرب عنقه ودعا بكميل فهرب فأخذ النخع به فقال له الأسود بن الهيثم ماتريد من شيخ قد كفاكه الكبر فقال أما والله لتحبسن عنى لسانك أو لأحُسَّنَّ رأسك بالسيف قال افعل فلما رأى كميل مالقى قومه من الخوف وهم ألفا مقاتل قال الموت خير من الخوف إذا أخيف ألفان من سببى وحرموا فخرج حتى أتى الحجاج فقال له الحجاج أنت الذى أردت ثم لم يكشفك أمير المؤمنين ولم ترض حتى أقعدته للقصاص إذ دفعك عن نفسه فقال على أىّ ذلك تقتلنى تقتلنى على عفوه أو على عافيتى قال يا أدهم بن المحرز اقتله قال والأجر بينى وبينك قال نعم قال أدهم بل الأجر لك وماكان من إثم فعلىّ وقال مالك بن عبدالله وكان من المسيرين

مَضَتْ لابنِ أروَى فى كميلٍ ظُلامَةٌ ... عفاها له والمُستَقيدُ يُلامُ
وقال له لا أقبحُ اليومَ مِثلهُ ... عَلَيكَ أبا عَمْرٍو وأنت إمامُ
رُوَيدَكَ رأسى والذى نَسَكتْ له ... قُرَيْشٌ بِنا على الكبير حرامُ
ولِلعَفوِ أمنٌ يَعرِفُ الناسُ فَضلَهُ ... ولَيسَ عَلَينا فى القصاصِ اثامُ
ولو علِمَ الفاروق ما أنت صانِعٌ ... نَهى عَنكَ نَهيًا ليس فيه كلامُ

❊ حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا على بن محمد عن سحيم بن حفص قال كان ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شريك عثمان فى الجاهلية فقال العباس بن ربيعة لعثمان اكتب لى إلى ابن عامر يسلفنى مائة ألف فكتب فأعطاه مائة ألف وصله بها وأقطعه داره دار العباس بن ربيعة اليوم ❊ وحدثنى عمر قال حدثنا على عن

إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة قال كان لعثمان على طلحة خمسون ألفاً فخرج عثمان يوما إلى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه قال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك ❊ وحدثنى عمر قال حدثنا على عن عبد ربه بن نافع عن إسماعيل بن أبى خالد عن حكيم بن جابر قال قال على لطلحة أنشدك الله إلا رددت الناس عن عثمان قال لا والله حتى تعطى بنو أمية الحق من أنفسها

❊ وحدثنى عمر قال حدثنا على قال حدثنا أبو بكر البكرى عن هشام بن حسان عن الحسن أن طلحة بن عبيد الله باع أرضا له من عثمان بسبعمائة ألف فحملها إليه فقال طلحة إن رجلا تتسق هذه عنه وفى بيته لا يدرى ما يطرقه من أمر الله عز وجل لغرير بالله سبحانه فبات ورسوله يختلف بها فى سكك المدينة يقسمها حتى أصبح فأصبح وما عنده منها درهم قال الحسن وجاءها هنا يطلب الدينار والدرهم أو قال الصفراء والبيضاء (وحج) بالناس فى هذه السنة أعنى سنة ٣٥ عبد الله بن عباس بأمر عثمان إياه بذلك حدثنى بذلك أحمد بن ثابت الرازى عمن حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر

ذكر الخبر عن السبب الذى من أجله أمر عثمان رضى الله عنه عبد الله
ابن عباس رضى الله عنه أن يحج بالناس فى هذه السنة

ذكر محمد بن عمر الواقدى أن أسامة بن زيد حدثه عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال لما حصر عثمان الحصر الآخر قال عكرمة فقلت لابن عباس أو كانا حصرين فقال ابن عباس نعم الحصر الأول حصر اثنتى عشرة وقدم المصريون فلقيهم علىّ بذى خشب فردهم عنه وقد كان والله علىّ له صاحب صدق حتى أوغر نفس علىّ عليه جعل مروان وسعيد وذووهما يحملونه على علىّ فيتحمل ويقولون لو شاء ما كلمك أحد وذلك أن علياً كان يكلمه وينصحه ويغلظ عليه فى المنطق فى مروان وذويه فيقولون لعثمان هكذا يستقبلك وأنت إمامه وسلفه وابن عمه وابن عمته فما ظنك بما غاب عنك منه فلم يزالوا بعلى حتى أجمع ألا يقوم دونه فدخلت عليه اليوم الذى خرجت فيه إلى مكة فذكرت له أن عثمان

دعانى إلى الخروج فقال لى مايريد عثمان أن ينصحه أحد اتخذ بطانة أهل غش ليس منهم أحد إلا قد تسبب بطائفة من الأرض يأكل خراجها ويستذل أهلها فقلت له إن له رحما وحقا فإن رأيت أن تقوم دونه فعلت فإنك لاتعذر إلا بذلك قال ابن عباس فالله يعلم أنى رأيت فيه الانكسار والرقة لعثمان ثم إنى لأراه يؤتى إليه عظيم ثم قال عكرمة وسمعت ابن عباس يقول قال لى عثمان ياابن عباس اذهب إلى خالد بن العاص وهو بمكة فقل له يقرأ عليك أمير المؤمنين السلام ويقول لك إنى محصور منذ كذا وكذا يوما لاأشرب إلا من الأجاج من دارى وقدمنعت بئراً اشتريتها من صلب مالى رومة فانما يشربها الناس ولا أشرب منها شيئاً ولا آكل إلا مما فى بيتى منعت أن آكل مما فى السوق شيئاً وأنا محصور كما ترى فأمره وقل له فليحج بالناس وليس بفاعل فإن أبى فاحجج أنت بالناس فقدمت الحج فى العشر فجئت خالد بن العاص فقلت له ما قال لى عثمان فقال لى هل طاقة بعداوة من ترى فأبى أن يحج وقال فحج أنت بالناس فأنت ابن عم الرجل وهذا الامر لا يفضى إلا إليه يعنى علياً وأنت أحق أن تحمل له ذلك فحججت بالناس ثم قفلت فى آخر الشهر فقدمت المدينة وإذا عثمان قد قتل وإذا الناس يتواثبون على رقبة على بن أبى طالب فلما رآنى علىّ ترك الناس وأقبل علىّ فانتجانى فقال ماترى فيما وقع فانه قد وقع أمر عظيم كما ترى لا طاقة لأحد به فقلت أرى أنه لابد للناس منك اليوم فأرى أنه لا يبايع اليوم أحد إلا اتهم بدم هذا الرجل فأبى إلا أن يبايع فاتهم بدمه * قال محمد فحدثنى ابن أبى سبرة عن عبد المجيد بن سهيل عن عكرمة قال قال ابن عباس قال لى عثمان رضى الله عنه إنى قد استعملت خالد بنَ العاص بن هشام على مكة وقد بلغ أهل مكة ما صنع الناس فأنا خائف ان يمنعوه الموقف فيأبى فيقاتلهم فى حرم الله جل وعز وأمنه وقوما جاؤوا من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم فرأيت أن أوليك أمر الموسم وكتب معه إلى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حصره فخرج ابن عباس فمر بعائشة فى الصلصل فقالت يا ابن عباس أنشدك الله فانك قد أعطيت لساناً إزعيلا أن

تخذل عن هذا الرجل وأن تشكك فيه الناس قد بانت لهم بصائرهم وانهجت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لأمر قد جم وقد رأيت طلحة ابن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح فان يل يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر رضى الله عنه قال قلت يا أمه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا فقالت إيهاً عنك إنى لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك قال ابن أبي سبرة فأخبرنى عبد المجيد بن سهيل إنه انتسخ رسالة عثمان التى كتب بها من عكرمة فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فانى أحمد الله اليكم الذى لا إله إلا هو أما بعد فانى أذكركم بالله جل وعز الذى أنعم عليكم وعلمكم الإسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الكفر وأراكم البينات وأوسع عليكم من الرزق ونصركم على العدو وأسبغ عليكم نعمه فان الله عز وجل يقول وقوله الحق (وَإِنْ تَعُدوا نِعْمَةَ ٱللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) وقال عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعًا) إلى قوله لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وقال قوله الحق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) وقال قوله الحق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ) إلى قوله (فَضْلاً مِنَ ٱللهِ وَنِعْمَةً وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وقوله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً) إلى (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وقال وقوله الحق (فَاتَّقُوا ٱللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) الى (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وقال وقوله الحق (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) الى قوله (وَلَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وقال وقوله الحق (أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) الى (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) وقال وقوله الحق (وَعَدَ ٱللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) الى قوله (وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) وقال وقوله الحق (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللهَ)

الى (فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) أما بعد فإن الله عز وجل رضى لكم السمع والطاعة والجماعة وحذركم المعصية والفرقة والاختلاف ونبأكم ماقدفعله الذين من قبلكم وتقدم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه فاقبلوا نصيحة الله جل وعز واحذروا عذابه فانكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف إلا أن يكون لها رأس يجمعها ومتى ماتفعلوا ذلك لا تقيموا الصلاة جميعا وسلط عليكم عدوكم ويستحل بعضكم حرم بعض ومتى يفعل ذلك لا يقم لله سبحانه دين وتكونوا شيعاً وقد قال الله جل وعز لرسوله صلى الله عليه وسلم (إن الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وإنى أوصيكم بما أوصاكم الله وأحذركم عذابه فان شعيبا صلى الله عليه وسلم قال لقومه (ياقوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح) إلى قوله (رحيم ودود) أما بعد فان أقواما ممن كان يقول فى هذا الحديث أظهروا للناس انما يدعون إلى كتاب الله عز وجل والحق ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها فلما عرض عليهم الحق إذا الناس فى ذلك شتى منهم آخذ للحق ونازع عنه حين يعطاه ومنهم تارك للحق ونازل عنه فى الأمر يريد أن يبتزه بغير الحق طال عليهم عمرى وارث عليهم أملهم الإمرة فاستعجلوا القدر وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا بالذى أعطيتهم ولا أعلم أنى تركت من الذى عاهدتهم عليه شيأ كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود فقلت أقيموها على من علمتم تعداها فى إحدى أقيموها على من ظلمكم من قريب أو بعيد قالوا كتاب الله يتلى فقلت فليتله من تلاه غير غال فيه بغير ماأنزل الله فى الكتاب وقالوا المحروم يرزق والمال يوفى ليستن فيه السنة الحسنة ولا يعتدى فى الخمس ولا فى الصدقة ويؤمر ذو القوة والأمانة وترد مظالم الناس إلى أهلها فرضيت بذلك واصطبرت له وجئت نسوة النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم حتى كلمتهن فقلت ماتأمرننى فقلن تؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس وتدع معاوية فانما أمره أمير قبلك فانه مصلح لأرضه راض به جنده واردد عمراً فان جنده راضون به وأمره فليصلح أرضه فكل ذلك

فعلت وأنه اعتدى على بعد ذلك وعدا على الحق كتبت إليكم وأصحابى الذين زعموا فى الأمر استعجلوا القدر ومنعوا منى الصلاة وحالوا بينى وبين المسجد وابتزوا ماقدروا عليه بالمدينة كتبت اليكم كتابى هذا وهم يخيرونى إحدى ثلاث إما يقيدونى بكل رجل أصبته خطأ أو صوابا غير متروك منه شىء وإما أعتزل الأمر فيؤمرون آخر غيرى وإما يرسلون إلى من أطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فيتبرؤن من الذى جعل الله سبحانه لى عليهم من السمع والطاعة فقلت لهم أما إقادتى من نفسى فقد كان من قبلى خلفاء تخطئ وتصيب فلم يستقد من أحد منهم وقد علمت أنما يريدون نفسى وأما إن أتبرأ من الإمارة فأن يكلبونى أحب إلى من أن أتبرأ من عمل الله عز وجل وخلافته وأما قولكم يرسلون الى الأجناد وأهل المدينة فيتبرؤن من طاعتى فلست عليكم بوكيل ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن أتوها طائعين يبتغون مرضات الله عز وجل وإصلاح ذات البين ومن يكن منكم إنما يبتغى الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عز وجل له ومن يكن انما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الأمة وابتغاء مرضات الله عز وجل والسنة الحسنة التى استن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتان من بعده رضى الله عنهما فانما يجزى بذلكم الله وليس بيدى جزاؤكم ولو أعطيتكم الدنيا كلها لم يكن فى ذلك ثمن لدينكم ولم يغن عنكم شيئا فاتقوا الله واحتسبوا ماعنده فمن يرض بالنكث منكم فإنى لا أرضاه له ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده وأما الذى يخيرونى فانما كله النزع والتأمير فملكت نفسى ومن معى ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه وكرهت سنة السوء وشقاق الأمة وسفك الدماء فانى أنشدكم بالله والإسلام ألا تأخذوا الا الحق وتعطوه منى وترك البغى على أهله وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عز وجل فانى أنشدكم الله سبحانه الذى جعل عليكم العهد والموازرة فى أمر الله فان الله سبحانه قال وقوله الحق وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا فان هذه معذرة الى الله ولعلكم تذكرون أما بعد فإنى لا أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء

لا مارحم ربي ان ربى غفور رحيم) وان عاقبت أقواما فما أبتغى بذلك الا الخير وانى أتوب الى الله عز وجل من كل عمل عملته وأستغفره انه لا يغفر الذنوب إلا هو إن رحمة ربى وسعت كل شيء إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون وإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيآت ويعلم ما يفعلون وأنا أسأل الله عز وجل أن يغفر لى ولكم وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير ويكرّه اليها الفسق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون قال ابن عباس فقرأت هذا الكتاب عليهم قبل التروية بمكة بيوم * قال وحدثنى ابن أبى سبرة عن عبد المجيد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال دعانى عثمان فاستعملنى على الحج قال فخرجت الى مكة فأقمت للناس الحج وقرأت عليهم كتاب عثمان اليهم ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلى

ذكر الخبر عن الموضع الذى دفن فيه عثمان رضى الله عنه ومن صلى عليه وولى أمره بعد ما قتل إلى أن فرغ من أمره ودفنه

❊ حدثنى جعفر بن عبد الله المحمدى قال حدثنا عمرو بن حماد وعلى بن حسين قالا حدثنا حسين بن عيسى عن أبيه عن أبى ميمونة عن أبى بشير العابدى قال نبذ عثمان رضى الله عنه ثلاثة أيام لا يدفن ثم إن حكيم بن حزام القرشى ثم أحد بنى أسد بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف كلما عليا فى دفنه وطلبا إليه أن يأذن لأهله فى ذلك ففعل وأذن لهم على فلما سمع بذلك قعدوا له فى الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسير من أهله وهم يريدون به حائطا بالمدينة يقال له (حش كوكب) كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما خرج على الناس رجموا سريره وهموا بطرحه فبلغ ذلك عليا فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفن عنه ففعلوا فانطلق حتى دفن رضى الله عنه فى حش كوكب فلما ظهر معاوية بن أبى سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين ❊ حدثنى جعفر قال حدثنا عمرو وعلى قالا حدثنا حسن عن أبيه عن المجالد بن سعيد الهمدانى عن يسار بن أبى كرب

عن أبيه وكان أبو كرب عاملا على بيت مال عثمان قال دفن عثمان رضى الله عنه بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه وأخذ الناس الحجارة وقالوا نعثل نعثل وكادت ترجم فقالوا الحائط الحائط فدفن فى حائط خارجا (وأما الواقدى) فانه ذكر أن سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان أنه قال لما قتل عثمان رضى الله عنه قال رجل يدفن بدير سلع مقبرة اليهود فقال حكيم بن حزام والله لا يكون هذا أبدا وأحد من ولد قصى حى حتى كاد الشر يلتحم فقال ابن عديس البلوى أيها الشيخ وما يضرك أين يدفن فقال حكيم بن حزام لا يدفن الا ببقيع الفرقد حيث دفن سلفه وفرطه فخرج به حكيم بن حزام فى اثنى عشر رجلا وفيهم الزبير فصلى عليه حكيم بن حزام قال الواقدى الثبت عندنا أنه صلى عليه جبير بن مطعم * قال محمد بن عمر وحدثنى الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبى قال قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة ضحوة فلم يقدروا على دفنه وأرسلت نائلة ابنة الفرافصة الى حويطب بن عبد العزى وجبير بن مطعم وأبى جهم بن حذيفة وحكيم بن حزام ونيار الأسلمى فقالوا انا لا نقدر أن نخرج به نهارا وهؤلاء المصريون على الباب فامهلوا حتى كان بين المغرب والعشاء فدخل القوم فحيل بينهم وبينه فقال أبو جهم والله لا يحول بينى وبينه أحد الا مت دونه احملوه فحمل الى البقيع قال وتبعتهم نائلة بسراج استسرجته بالبقيع وغلام لعثمان حتى انتهوا إلى نخلات عليها حائط فدقوا الجدار ثم قبروه فى تلك النخلات وصلى عليه جبير بن مطعم فذهبت نائلة تريد أن تتكلم فزبرها القوم وقالوا إنا نخاف عليه من هؤلاء الغوغاء أن ينبشوه فرجعت نائلة إلى منزلها * قال محمد وحدثنى عبد الله بن يزيد الهذلى عن عبد الله ابن ساعدة قال لبث عثمان بعدما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه ثم حمله أربعة حكيم ابن حزام وجبير بن مطعم ونيار بن مكرم وأبو جهم بن حذيفة فلما وضع ليصلى عليه جاء نفر من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه فيهم أسلم بن أوس بن بجرة الساعدى وأبو حية المازنى فى عدة ومنعوهم أن يدفن بالبقيع فقال أبو جهم ادفنوه فقد صلى

الله عليه وملائكته فقالوا لا والله لا يدفن فى مقابر المسلمين أبداً فدفنوه فى حش كوكب فلما ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك الحش فى البقيع فهو اليوم مقبرة بنى أمية قال محمد وحدثنى عبد الله بن موسى المخزومى قال لما قتل عثمان رضى الله عنه أرادوا حز رأسه فوقعت عليه نائلة وأم البنين فمنعتهم وصحن وضربن الوجوه وخرقن ثيابهن فقال ابن عديس اتركوه فأخرج عثمان ولم يغسل إلى البقيع وأرادوا أن يصلوا عليه فى موضع الجنائز فأبت الأنصار وأقبل عمير بن ضابىء وعثمان موضوع على باب فنزا عليه فكسر ضلعا من أضلاعه وقال سجنت ضابئا حتى مات فى السجن ❊ وحدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا أبو بكر ابن عبد الله بن أبى أويس قال حدثنى عم جدى الربيع بن مالك بن أبى عامر عن أبيه قال كنت أحد حملة عثمان رضى الله عنه حين قتل حملناه على باب وأن رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به وأن بنا من الخوف لأمراً عظيما حتى واريناه فى قبره فى حش كوكب ﴿وأماسيف﴾ فانه روى فيما كتب به إلى السرى عن شعيب عنه عن أبى حارثة وأبى عثمان ومحمد وطلحة أن عثمان لما قتل أرسلت نائلة إلى عبد الرحمن بن عديس فقالت له إنك أمس القوم رحما وأولاهم بأن تقوم بأمرى أغرب عنى هؤلاء الأموات قال فشتمها وزجرها حتى إذا كان فى جوف الليل خرج مروان حتى أتى دار عثمان فأتاه زيد بن ثابت وطلحة بن عبيد الله وعلى والحسن وكعب بن مالك وعامة من ثم من أصحابه فتوافى إلى موضع الجنائز صبيان ونساء فأخرجوا عثمان فصلى عليه مروان ثم خرجوا به حتى انتهوا إلى البقيع فدفنوه فيه مما يلى حش كوكب حتى إذا أصبحوا أتوا أعبد عثمان الذين قتلوا معه فأخرجوهم فرأوهم فمنعوهم من أن يدفنوهم فأدخلوهم حش كوكب فلما أمسوا اخرجوا بعبدين منهم فدفنوهما الى جنب عثمان ومع كل واحد منهما خمسة نفر وامرأة فاطمة أم ابراهيم بن عدى ثم رجعوا فأتوا كنانة بن بشر فقالوا انك أمس القوم بنا رحما فأمر بهاتين الجيفتين اللتين فى الدار أن تخرجا فكلمهم فى ذلك فأبوا فقال أنا جار لآل عثمان من أهل مصر ومن لف لفهم فأخرجوهما

فارموا بهما فجر بأرجلهما فرمى بهما على البلاط فأكلتهما الـكلاب وكان العبدان اللذان قتلا يوم الدار يقال لهما نجيح وصبيح فكان أسمؤهما الغالب على الرقيق لفضلهما وبلائهما ولم يحفظ الناس اسم الثالث ولم يغسل عثمان وكفن فى ثيابه ودمائه ولا غسل غلاماه (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي قال دفن عثمان رضى الله عنه من الليل وصلى عليـه مروان بن الحكم وخرجت ابنته تبـكى فى أثره ونائلة ابنة الفرافصة رحمهم الله

ذكر الخبر عن الوقت الذى قتل فيـه عثمان رضى الله عنه

اختلف فى ذلك بعد إجماع جميعهم على أنه قتل فى ذى الحجة فقال بعضهم قتل لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سـنة ٣٦ من الهجرة فقال الجمهور منهم قتل لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة ٣٥

ذكر الرواية بذلك عن بعض من قال أنه قتل فى سـنة ٣٦

❊ حدثنى الحارث بن محمد قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن عثمان بن محمـد الاخنسى قال الحارث وحدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى أبو بكر بن عبدالله ابن أبى سبرة عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة لثمـان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سـنة ٣٦ بعد العصر وكانت خلافتـه اثنتى عشرة سنة غير اثنى عشر يوما وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقال أبو بكر أخبر مصعب بن عبد الله قال قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ٣٦ بعد العصر (وقال) آخرون قتل فى ذى الحجة سنة ٣٥ لثمـانى عشرة ليلة خلت منه

ذكر من قال ذلك

❊ حدثنى جعفر بن عبد الله قال حدثنا عمرو بن حماد وعلىّ قالا حدثنا حسن عن أبيه عن المجالد بن سعيد الهمدانى عن عامر الشعبي أنه قال حصر عثمان بن عفان رضى الله عنه فى الدار اثنتين وعشرين ليلة وقتل صبيحة ثمـانى عشرة ليلة مضت

من ذى الحجة سنة خمس وعشرين من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ❊ وحدثنى أحمد بن ثابت الرازى عمن حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر قال قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة ٣٥ وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوما (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان قالوا قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة ٣٥ على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوما من مقتل عمر رضى الله عنه ❊ وحدثت عن زكريا بن عدى قال حدثنا عبيد الله بن عمرو عن ابن عقيل قال قتل عثمان رضى الله عنه سنة ٣٥ (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى حارثة وأبى عثمان ومحمد وطلحة قالوا قتل عثمان رضى الله عنه لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة يوم الجمعة فى آخر ساعة (وقال) آخرون قتل يوم الجمعة ضحوة

ذكر من قال ذلك

ذكر عن هشام بن الكلبى أنه قال قتل عثمان رضى الله عنه صبيحة الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ٣٥ فكانت خلافته اثنتى عشرة سنة إلا ثمانية أيام ❊ حدثنا الحارث عن ابن سعد عن محمد بن عمر قال حدثنى الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبى قال قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة ضحوة لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة ٣٥ وقال آخرون قتل فى أيام التشريق

ذكر من قال ذلك

❊ حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا أبى أبو خيثمة قال حدثنا وهب بن جرير قال سمعت أبى قال سمعت يونس بن يزيد الأيلى عن الزهرى قال قتل عثمان رضى الله عنه فزعم بعض الناس أنه قتل فى أيام التشريق وقال بعضهم قتل يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة

ذكر الخبر عن قدر مدة حياته

اختلف السلف قبلنا فى ذلك فقال بعضهم كانت مدة ذلك اثنتين وثمانين سنة

ذكر من قال ذلك

❁ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر أن عثمان رضى الله عنه قتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة قال محمد بن عمر وحدثنى الضحاك ابن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبى قال قتل عثمان رضى الله عنه وهو ابن اثنتين وثمانين سنة قال محمد وحدثنى سعد بن راشد عن صالح بن كيسان قال قتل عثمان رضى الله عنه وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وأشهر وقال آخرون قتل وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين

ذكر من قال ذلك

❁ حدثت عن الحسن بن موسى الأشيب قال حدثنا أبو هلال عن قتادة أن عثمان رضى الله عنه قتل وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين سنة وقال آخرون قتل وهو ابن خمس وسبعين سنة وذلك قول ذكر عن هشام بن محمد وقال بعضهم قتل وهو ابن ثلاث وستين وهذا قول نسبه سيف ابن عمر إلى جماعة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف أن أبا حارثة وأبا عثمان ومحمداً وطلحة قالوا قتل عثمان رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة وقال آخرون قتل وهو ابن ست وثمانين

ذكر من قال ذلك

❁ حدثنى محمد بن موسى الحرشى قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثنى أبى عن قتادة قال قتل عثمان رضى الله عنه وهو ابن ست وثمانين

ذكر الخبر عن صفة عثمان

❁ حدثنى زياد بن أيوب قال حدثنا هشيم قال زعم أبو المقدام عن الحسن بن أبى الحسن قال دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان رضى الله عنه متكئا على ردائه فنظرت إليه فإذا رجل حسن الوجه وإذا بوجهه نكتات من جدرى وإذا شعره قد كسا ذراعيه ❁ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال سألت عمرو بن عبد الله بن عنبسة وعروة بن خالد بن عبد الله بن عمرو

ابن عثمان وعبد الرحمن بن أبى الزناد عن صفة عثمان فلم أر بينهم اختلافا قالوا كان رجلا ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه رقيق البشرة كثير اللحية عظيمها أسمر اللون عظيم الكراديس عظيم مابين المنكبين كثير شعر الرأس يصفر لحيته ❊ وحدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا أبى قال حدثنا وهب بن جرير ابن حازم قال سمعت أبى يقول سمعت يونس بن يزيد الأيلى عن الزهرى قال كان عثمان رجلا مربوعاً حسن الشعر حسن الوجه أصلع أروح الرجلين

ذكر الخبر عن وقت إسلامه وهجرته

❊ حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال كان اسلام عثمان قديما قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم قال وكان ممن هاجر من مكة الى أرض الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية ومعه فيهما جميعا امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر الخبر عما كان يكنى به عثمان بن عفان رضى الله عنه

❊ حدثنى الحارث بن محمد قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر أن عثمان ابن عفان رضى الله عنه كان يكنى فى الجاهلية أبا عمرو فلما كان فى الإسلام ولد له من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام فسماه عبدالله واكتنى به فكناه المسلمون أبا عبد الله فبلغ عبد الله ست سنين فنقره ديك على عينه فمرض فمات فى جمادى الأولى سنة ٤ من الهجرة فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فى حفرته عثمان رضى الله عنه وقال هشام بن محمد كان يكنى أبا عمرو

ذكر نسبه

هو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وأمه أروى ابنة كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب

ذكر أولاده وأزواجه

رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت له رقية عبد الله وفاختة

ابنة غزوان بن جابر بن نسيب بن وهيب بن زيد بن مالك بن عبد بن عوف بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ولدت له ابنا فسماه عبد الله وهو عبد الله الأصغر هلك، وأم عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة بن الحارث بن رفاعة بن سعد بن ثعلبة بن لؤى بن عامر بن غنم بن دهمان بن منهب بن دوس من الأزد ولدت له عمرا وخالدا وأبانا وعمر ومريم وفاطمة ابنة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ولدت له الوليد وسعيدا، وأم سعيد بنى عثمان، وأم البنين بنت عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ولدت له عبد الملك بن عثمان هلك، ورملة ابنة شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ولدت له عائشة وأم أبان وأم عمر وبنات عثمان ونائلة ابنة الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدى بن جناب بن كلب ولدت له مريم ابنة عثمان وقال هشام بن الكلبى ولدت أم البنين بنت عيينة بن حصن لعثمان عبد الملك وعتبة وقال أيضا ولدت نائلة عنبسة * وزعم الواقدى أن لعثمان ابنة تدعى أم البنين بنت عثمان من نائلة قال وهى التى كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبى سفيان وقتل عثمان رضى الله عنه وعنده رملة ابنة شيبة ونائلة وأم البنين بنت عيينة وفاختة ابنة غزوان غير أنه فيما زعم على بن محمد طلق أم البنين وهو محصور فهؤلاء أزواجه اللواتى كن له فى الجاهلية والإسلام وأولاده رجالهم ونساؤهم.

ذكر أسماء عمال عثمان رضى الله عنه فى هذه السنة على البلدان

قال محمد بن عمر قتل عثمان رضى الله عنه وعماله على الأمصار فيما حدثنى عبد الرحمن بن أبى الزناد على مكة عبد الله بن الحضرمى وعلى الطائف القاسم ابن ربيعة الثقفى وعلى صنعاء يعلى بن منية وعلى الجند عبد الله بن ربيعة وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن كريز خرج منها فلم يول عليها عثمان أحدا وعلى الكوفة سعيد بن العاص أخرج منها فلم يترك يدخلها وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح قدم على عثمان وغلب محمد بن أبى حذيفة عليها وكان عبد الله بن سعد استخلف

على مصر السائب بن هشام بن عمرو العامرى فأخرجه محمد بن أبى حذيفة وعلى الشأم معاوية بن أبى سفيان (وفيما كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى حارثة وأبى عثمان قالا مات عثمان رضى الله عنه وعلى الشأم معاوية وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة وعلى الأردن أبو الأعور بن سفيان وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكنانى وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزارى وعلى القضاء أبو الدرداء (وكتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عطية قال مات عثمان رضى الله عنه وعلى الكوفة على صلاتها أبو موسى وعلى خراج السواد جابر بن فلان المزنى وهو صاحب المسناة إلى جانب الكوفة وسماك الأنصارى وعلى حربها القعقاع ابن عمرو وعلى قرقيسياء جرير بن عبد الله وعلى آذربيجان الأشعث بن قيس وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وعلى ماه مالك بن حبيب وعلى همذان النسير وعلى الرى سعيد بن قيس وعلى أصبهان السائب بن الأقرع وعلى ماسبذان حبيش وعلى بيت المال عقبة بن عمرو وكان على قضاء عثمان يومئذ زيد بن ثابت

ذكر بعض خطب عثمان رضى الله عنه

(كتب إلى السرىّ) عن شعيب عن سيف عن القاسم بن محمد عن عون بن عبد الله عن عتبة قال خطب عثمان الناس بعد ما بويع فقال أما بعد فإنى قد حملت وقد قبلت ألا وإنى متبع ولست بمبتدع ألا وإن لكم على بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثا اتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسننتم وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملإ والكف عنكم الا فيما استوجبتم ألا وان الدنيا خضرة قد شهيت الى الناس ومال اليها كثير منهم فلا تركنوا الى الدنيا ولا تثقوا بها فانها ليست بثقة واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن بدر بن عثمان عن عمه قال آخر خطبة خطبها عثمان رضى الله عنه فى جماعة إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا اليها إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم

عن الباقية فآثروا ما يبقى على ما يفنى فان الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله اتقوا الله جل وعز فإن تقواه جُنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا من الله الغِيَر والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزابا ٭ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) إلى آخر القصة

ذكر الخبر عمن كان يصلى بالناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حصر عثمان

قال محمد بن عمر حدثنى ربيعة بن عثمان جاء المؤذن سعد القرظ إلى على بن أبى طالب فى ذلك اليوم فقال من يصلى بالناس فقال على ناد خالد بن زيد فنادى خالد بن زيد فصلى بالناس فانه لأول يوم عرف أن أبا أيوب خالد بن زيد فكان يصلى بهم أياما ثم صلى على بعد ذلك بالناس ٭ قال محمد وحدثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال جاء المؤذن إلى عثمان فآذنه بالصلاة فقال لا أنزل أصلى اذهب إلى من يصلى فجاء المؤذن الى على فأمر سهل بن حنيف فصلى اليوم الذى حصر فيه عثمان الحصر الآخر وهو ليلة رؤى هلال ذى الحجة فصلى بهم حتى اذا كان يوم العيد صلى على العيد ثم صلى بهم حتى قتل رضى الله عنه قال وحدثنى عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال لما حصر عثمان صلى بالناس أبو أيوب أياما ثم صلى بهم على الجمعة والعيد حتى قتل رضى الله عنه.

ذكر مارثى به من الأشعار

وتقاول الشعراء بعد مقتله فيه فمن مادح وهاج ومن نائح باك ومن سار فرح فكان ممن يمدحه حسان بن ثابت وكعب بن مالك الأنصاريان وتميم بن أبىّ بن مقبل فى آخرين غيرهم مما مدحه به وبكاه حسان وهجا به قاتله

أتركتُمُ غَزْوَ الدُّروبِ وراءكُم ... وغَزَوتُمونا عنــد قبر محمد
فلبئسَ هَدْيُ المسلمين هَدَيْتمُ ... ولبِئسَ أمر الفاجر المُتَعَمِّدِ
إنْ تقْدِموا نجْعلْ قِرَى سَرَواتِكمْ ... حَوْلَ المدينــةِ كلَّ لينٍ مِذْوَدِ
أو تُدْبِروا فلبِئسَ ما سافَرْتمُ ... وَلَمِثْلُ أمْرِ أميرِكم لم يَرْشَــدِ

وكأنَّ أصحابَ النبىّ عشيّةً بُدْنٌ تُذَبَّحُ عِندَ بابِ المسجد
أبكى أبا عَمْرٍو لِحُسْنِ بلائه أمسَى مُقيمًا فى بَقيعِ الغَرْقَدِ

وقال أيضاً :

إنْ تُمْسِ دارُ ابْنِ أرْوَى مِنه خاوِيَةً بابٌ صَريعٌ وبابٌ مُحْرَق خرِبُ
فقد يُصادِفُ باغى الخَيْرِ حاجتَهُ فيها ويَهْوَى إليها الذِّكْرُ والحَسَبُ
ياأيها الناسُ أبْدوا ذاتَ أنفُسِكُمْ لا يَسْتَوِى الصّدْقُ عند الله والكذِبُ
قوموا بِحَقِّ مليكِ الناسِ تَعْتَرِفوا بِغارةٍ عُصَبٍ مِنْ خَلفِها عُصَبُ
فِيهمْ خبيثٌ شِهابُ المَوْتِ يَقْدُمُهُمْ مُسْتلْئِمًا قد بَدَا فى وَجْهِهِ الغَضَبُ

وله فيه أشعار كثيرة ٭ وقال كعب بن مالك الأنصارى :

يا للرِّجالِ لِلُبِّكَ المَخْطوفِ ولِدَمْعِك المُتَرَقْرِقِ المَنْزوفِ
وَيْحٌ لأمْرٍ قد أتانى رائعٍ هَدَّ الجبالَ فأنقَضَتْ برُجوفِ
قتْلُ الخليفةِ كان أمراً مُفْظِعًا قامتْ لِذاك بَلِيَّةُ التخْويفِ
قَتْلُ الإمامِ له النجومُ خَوَاضِعٌ والشمسُ بازغةٌ له بِكُسوفِ
يالَهْفَ نفسى إذ تَوَلّوْا غُدْوَةً بالنعشِ فوقَ عَواتقٍ وكُتوفِ
وَلَّوْا ودَلَّوْا فى الضَّريحِ أخاهُمُ ماذا أجَنَّ ضريحُهُ المَسْقوفِ
مِنْ نائلٍ أو سُودَدٍ وحَمالةٍ سَبَقَتْ له فى الناس أو معروفِ
كم مِنْ يَتيمٍ كانَ يَجْبُرُ عَظمَهُ أمْسَى بمَنْزِلِهِ الضَّياعُ يَطوفُ
ما زال يَقْبَلُهُمْ ويَرْأبُ ظُلمَهُمْ حتى سمِعْتُ برَنّةِ التّلْهيفِ
أمْسَى مُقيماً بالبَقيعِ وأصبحوا مُتَفرِّقين قد أجمعوا بخُفوفِ
النارُ موعِدُهُمْ بقتلِ إمامِهِمْ عثمانَ ظُهْرًا فى البلادِ عَفيفِ
جَمَعَ الحمالةَ بَعْدَ حِلْمٍ راجحٍ والخيْرُ فيه مُبيَّنٌ معروفُ
ياكعبُ لا تنفكُّ تَبْكى مالكاً ما دُمْتَ حيًّا فى البلاد تطوفُ
فأبكى أبا عمرٍو عَتيقاً واصِلاً ولِواءَهُم إذ كان غيْرَ سَخيفِ
وليَبْكِهِ عِنْدَ الحِفاظِ المُعْظَمِ والخَيْلُ بين مَقانِبٍ وصُفوفِ

قَتلوكَ يا عثمانُ غيرَ مُدنَّس قَتْلاً لَعَمْرُكَ واقفًا بسَقيفِ

وقال حسان

من سَرَّهُ الموتُ صِرْفاً لا مِزَاجَ له فليأتِ مأسَدَةً فى دارِ عثمانا
مُستشعِرِى حَلَقِ الماذِىِّ قد شُفِعَتْ قبلَ المخاطِمِ بَيْضٌ زانَ أَبْدانا
صبرًا فِدًى لكُمُ أمّى وما وَلَدَتْ قد ينفعُ الصَّبْرُ فى المكروهِ أحيانا
لقد رَضينا بأهل الشأمِ نافِرَةً وبالأمير وبالإخوانِ إخوانا
إنى لَمِنْهُمْ وإنْ غابوا وإن شَهِدُوا ما دُمتُ حيًّا وما سُمّيتُ حسّانا
لَتَسْمَعَنَّ وَشيكا فى دِيارِهِمُ اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عثمانا
ياليتَ شعرى وليتَ الطيْرَ تُخبرُنى ماكانَ شأنُ علىٍّ وابْنِ عَفّانا

وقال الوليد بن عقبة بن أبى معيط يحرض عمارة بن عقبة

ألا إن خيْرَ الناسِ بعد ثلاثة قتيل التجيبىّ الذى جاء من مِصْرِ
فإن يكُ ظَنّى بابْنِ أُمّى صادقاً عمارةً لا يَطْلُبْ بِذَحْل ولا وِتْرِ
يَبيتُ وأوتارُ ابْنِ عفانَ عِنْدَهُ مُخيِّمَهُ بين الخَوَرْنَقِ والقَصْرِ

فأجابه الفضل بن عباس

أتطلُبُ ثأرًا لستَ مِنْهُ ولا له وأينَ ابنُ ذَكوانَ الصَّفوريِّ من عمرِو
كما اتَّصلَتْ بِنْتُ الحِمَارِ بأمِّها وتَنْسَى أباها إذ تُسامى أولى الفَخْرِ
ألا إنَّ خيْرَ الناسِ بعد محمدٍ وصى النبى المصطفى عِنْدَ ذى الذِّكرِ
وأوّلُ مَنْ صلّى وصِنْوُ نَبِيّه وأوّلُ من أردَى الغُواةَ لَدَى بَدْرِ
فلوْ رَأتِ الأنصارُ ظُلْمَ ابنِ عمِّكُمْ لَكانوا له من ظلمِهِ حاضرى النَّصْرِ
كَفَى ذاكَ عَيْبًا أنْ يشيروا بقَتْلِهِ وأن يُسْلِمُوهُ لِلأَحابيشِ من مِصرِ

وقال الحباب بن يزيد المجاشعى عم الفرزدق

لَعَمرُ أبيكَ فلا تَجزَعَنْ لقد ذهبَ الخيْرُ إلا قليلا
لقد سَفِهَ الناسُ فى دينِهم وخَلّى ابنُ عَفّانَ شرًّا طويلا
أعاذِلَ كُل امرئٍ هالكٌ فَسيرى إلى اللهِ سيْرًا جميلا

خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب

(وفى هذه السنة) بويع لعلى بن أبى طالب بالمدينة بالخلافة

ذكر الخبر عن بيعة من بايعه والوقت الذى بويع فيه

(اختلف) السلف من أهل السير فى ذلك فقال بعضهم سأل علياً أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتقلد لهمَ وللمسلمين فأبى عليهم فلما أبوا عليه وطلبوا اليه تقلد ذلك لهم

ذكر الرواية بذلك عمن رواه

❊ حدثنى جعفر بن عبد الله المحمدى قال حدثنا عمرو بن حماد وعلى بن حسين قالا حدثنا حسين عن أبيه عن عبد الملك بن أبى سليمان الفزارى عن سالم بن أبى الجعد الأشجعى عن محمد بن الحنفية قال كنت مع أبى حين قتل عثمان رضى الله عنه فقام فدخل منزله فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعلوا فانى أكون وزيراً خير من أن أكون أميرا فقالوا لا والله مانحن بفاعلين حتى نبايعك قال ففى المسجد فان بيعتى لا تكون خفياً ولا تكون إلى عن رضا المسلمين قال سالم ابن أبى الجعد فقال عبد الله بن عباس فلقد كرهت أن يأتى المسجد مخافة أن يشغب عليه وأبى هو إلا المسجد فلما دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ثم بايعه الناس ❊ وحدثنى جعفر قال حدثنا عمرو وعلى قال حدثنا حسين عن أبيه عن أبى ميمونة عن أبى بشير العابدى قال كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضى الله عنه واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً فقالوا يا أبا حسن هلم نبايعك فقال لا حاجة لى فى أمركم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به فاختاروا فقالوا والله مانختار غيرك قال فاختلفوا اليه بعد ماقتل عثمان رضى الله عنه مرارا ثم أتوه فى آخر ذلك فقالوا له إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة وقد طال

الأمر فقال لهم إنكم قد اختلفتم إلىّ وأتيتم وإنى قائل لكم قولا إن قبلتموه قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لى فيه قالوا ماقلت من شىء قبلناه ان شاء الله فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس اليه فقال انى قد كنت كارها لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم الا وأنه ليس لى أمر دونكم إلا أن مفاتيح مالكم معى ألا وإنه ليس لى أن آخذ منه درهما دونكم رضيتم قالوا نعم قال اللهم اشهد عليهم ثم بايعهم على ذلك قال أبو بشير وأنا يومئذ عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم أسمع مايقول ❊ وحدثنى عمر بن شبة قال حدثنا علىّ بن محمد قال أخبرنا أبو بكر الهذلى عن أبى المليح قال لما قتل عثمان رضى الله عنه خرج علىّ إلى السوق وذلك يوم السبت لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة فاتبعه الناس وبهشوا فى وجهه فدخل حائط بنى عمرو ابن مبذول وقال لأبى عمرة بن عمرو بن محصن أغلق الباب فجاء الناس فقرعوا الباب فدخلوا فيهم طلحة والزبير فقالا ياعلى ابسط يدك فبايعه طلحة والزبير فنظر حبيب بن ذؤيب الى طلحة حين بايع فقال أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الأمر وخرج علىّ إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وطاق وعمامة خز ونعلاه فى يده متوكئاً على قوس فبايعه الناس وجاؤا بسعد فقال على بايع قال لا أبايع حتى يبايع الناس والله ماعليك منى بأس قال خلوا سبيله وجاؤا بابن عمر فقال بايع قال لا أبايع حتى يبايع الناس قال ائتنى بحميل قال لا أرى حميلا قال الأشتر حل عنى أضرب عنقه قال على دعوه أناحميله إنك ماعلمت لسيئ الخلق صغيرا وكبيرا ❊ حدثنى محمد بن سنان القزاز قال حدثنا إسحاق بن إدريس قال حدثنا هشيم قال أخبرنا حميد عن الحسن قال رأيت الزبير بن العوام بايع عليا فى حش من حشان المدينة ❊ وحدثنى أحمد بن زهير قال حدثنى أبى قال حدثنا وهب بن جرير قال سمعت أبى قال سمعت يونس بن يزيد الأيلى عن الزهرى قال بايع الناس على بن أبى طالب فأرسل إلى الزبير وطلحة فدعاهما إلى البيعة فتلكأ طلحة فقال مالك الأشتر وسلّ سيفه والله لتبايعن أو لأضربن به مابين عينيك فقال طلحة وأين المهرب عنه فبايعه وبايعه الزبير والناس وسأل طلحة والزبير أن يؤمرهما على الكوفة

والبصرة فقال تكونان عندى فأتحمل بكما فإنى وحش لفراقكما قال الزهرى وقد بلغنا أنه قال لهما إن أحببتما أن تبايعا لى وإن أحببتما بايعتكما فقالا بل نبايعك وقالا بعد ذلك إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا وقد عرفنا أنه لم يكن ليبايعنا فظهرا إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر ✻ وحدثنى عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو مخنف عن عبد الملك بن أبى سليمان عن سالم بن أبى الجعد عن محمد بن الحنفية قال كنت أمسى مع أبى حين قتل عثمان رضى الله عنه حتى دخل بيته فأتاه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا الرجل قد قتل ولابد من إمام للناس قال أو تكون شورى قالوا أنت لنا رضى قال فالمسجد إذاً يكون عن رضى من الناس فخرج إلى المسجد فبايعه من بايعه وبايعت الأنصار عليا إلا نُفيرا يسيرا فقال طلحة مالنا من هذا الأمر إلا كحسة أنف الكلب ✻ وحدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن قال أخبرنا شيخ من بنى هاشم عن عبدالله بن الحسن قال لما قتل عثمان رضى الله عنه بايعت الأنصار عليا إلا نفيرا يسيرا منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة كانوا عثمانية فقال رجل لعبد الله بن حسن كيف أبى هؤلاء بيعة على وكانوا عثمانية قال أما حسان فكان شاعرا لا يبالى ما يصنع وأما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال فلما حصر عثمان قال يامعشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين فقال أبو أيوب ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العضدان فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك ما أخذ منهم له. قال وحدثنى من سمع الزهرى يقول هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليا ولم يبايعه قدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة. وقال آخرون إنما بايع طلحة والزبير عليا كرها. وقال بعضهم لم يبايعه الزبير

ذكر من قال ذلك

✻ حدثنى عبدالله بن أحمد المروزى قال حدثنى أبى قال حدثنى سليمان قال حدثنى

عبد الله عن جرير بن حازم قال حدثنى هشام بن أبى هشام مولى عثمان بن عفان عن شيخ من أهل الكوفة يحدثه عن شيخ آخر قال حصر عثمان وعلىّ بخيبر فلما قدم أرسل إليه عثمان يدعوه فانطلق فقلت لأنطلقن معه ولأسمعن مقالتهما فلما دخل عليه كلمه عثمان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن لى عليك حقوقا حق الإسلام وحق الاخاء وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين الصحابة آخى بينى وبينك وحق القرابة والصهر وماجعلت لى فى عنقك من العهد والميثاق فوالله لولم يكن من هذا شىء ثم كنا إنما نحن فى جاهلية لكان مبطأ على بنى عبد مناف أن يبتزهم أخو بنى تيم ملكهم فتكلم على فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فكل ماذكرت من حقك علىّ على ماذكرت أما قولك لو كنا فى جاهلية لكان مبطأ على بنى عبد مناف أن يبتزهم أخو بنى تيم ملكهم فصدقت وسيأتيك الخبر ثم خرج فدخل المسجد فرأى أسامة جالساً فدعاه فاعتمد على يده فخرج يمشى إلى طلحة وتبعته فدخلنا دار طلحة بن عبيد الله وهى رجاس من الناس فقام إليه فقال ياطلحة ماهذا الأمر الذى وقعت فيه فقال ياأبا حسن بعد مامس الحزام الطبيين فانصرف على ولم يحر إليه شيئاً حتى أتى بيت المال فقال افتحوا هذا الباب فلم يقدر على المفاتيح فقال اكسروه فكسر باب بيت المال فقال أخرجوا المال فجعل يعطى الناس فبلغ الذين فى دار طلحة الذى صنع على فجعلوا يتسللون إليه حتى ترك طلحة وحده وبلغ الخبر عثمان فسر بذلك ثم أقبل طلحة يمشى عائداً إلى دار عثمان فقلت والله لأنظرن مايقول هذا فتبعته فاستأذن على عثمان فلما دخل عليه قال ياأمير المؤمنين أستغفر الله وأتوب إليه أردت أمرا فحال الله بينى وبينه فقال عثمان إنك والله ماجئت تائبا ولكنك جئت مغلوبا الله حسيبك ياطلحة ❊ وحدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن سعد قال قال طلحة بايعت والسيف فوق رأسى فقال سعد لا أدرى والسيف على رأسه أم لا إلا أنى أعلم أنه بايع كارها قال وبايع الناس عليا بالمدينة وتربص

سبعة نفر فلم يبايعوه منهم سعد بن أبي وقاص ومنهم ابن عمر وصهيب وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وسلمة بن وقش وأسامة بن زيد ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم ﴿و﴾ حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال حدثني أبي عبد الله بن مصعب عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى الزبير قال لما قتل الناس عثمان رضي الله عنه وبايعوا عليا جاء علي إلى الزبير فاستأذن عليه فأعلمته به فسل السيف ووضعه تحت فراشه ثم قال ائذن له فأذنت له فدخل فسلم على الزبير وهو واقف بنحوه ثم خرج فقال الزبير لقد دخل المرء ما أقصاه قم في مقامه فانظر هل ترى من السيف شيئا فقمت في مقامه فرأيت ذباب السيف فأخبرته فقال ذاك أعجل الرجل فلما خرج علي سأله الناس فقال وجدت أبر ابن أخت وأوصله فظن الناس خيراً فقال علي إنه بايعه ﴿وعما كتب به الى السرى﴾ عن شعيب عن سيف بن عمر قال حدثنا محمد بن عبد الله بن سواد بن نويرة وطلحة بن الأعلم وأبو حارثة وأبو عثمان قالوا بقيت المدينة بعد قتل عثمان رضي الله عنه خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه يأتي المصريون علياً فيختبىء منهم ويلوذ بحيطان المدينة فاذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه فأرسلوا اليه حيث هو رسلا فباعدهم وتبرأ من مقالتهم ويطلب البصريون طلحة فاذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم مرة بعد مرة وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يهوون فلما لم يجدوا ممالئاً ولا مجيبا جمعهم الشر على أول من أجابهم وقالوا لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة فبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع فاقدم نبايعك فبعث اليهم اني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حال وتمثل

لا تخلطن خبيثات بطيبة واخلع ثيابك منها وانج عريانا

ثم إنهم أتوا ابن عمر عبد الله فقالوا أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر فقال إن لهذا الأمر انتقاما والله لا أتعرض له فالتمسوا غيري فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون

والأمر أمرهم (وكتب الىَّ السرى) عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد قال كانوا إذا لقوا طلحة أبَى وقال

ومن عَجَبِ الأيامِ والدّهرِ أننى   بقيتُ وحيداً لا أمِرٌ ولا أحلى

فيقولون إنك لتوعدنا فيقومون فيتركونه فاذا لقوا الزبير وأرادوه أبى وقال

متى أنت عن دارٍ بفَيْحان راحلٌ   وباَعتِها يَحنوا عليك الكتائبُ

فيقولون إنك لتوعدنا فاذا لقوا علياً وأرادوه أبى وقال

لو أنَّ قومى طاوَعَتنى سَراتُهم   أمَرْتُهمُ أمراً يُديخ الأعادِيا

فيقولون إنك لتوعدنا فيقومون ويتركونه ❊ وحدثنى عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن المدائنى قال أخبرنا مسلمة بن محارب عن داود بن أبى هند عن الشعبى قال لما قتل عثمان رضى الله عنه أتى الناس عليا وهو فى سوق المدينة وقالوا ابسط يدك نبايعك قال لا تعجلوا فإن عمر كان رجلا مباركا وقد أوصى بها شورى فأمهلوا يجتمع الناس ويتشاورون فارتد الناس عن علىّ ثم قال بعضهم ان رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم يقم بعده قائم بهذا الأمر لم نأمن اختلاف الناس وفساد الأمة فعادوا إلى علىّ فأخذ الأشتر بيده فقبضها علىّ فقال أبعد ثلاثة أما والله لئن تركتها لتقصرن عينيك علها حينا فبايعته العامة وأهل الكوفة يقولون إن أول من بايعه الأشتر (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى حارثة وأبى عثمان قالا لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضى الله عنه جمعوا أهل المدينة فوجدوا سعداً والزبير خارجين ووجدوا طلحة فى حائط له ووجدوا بنى أمية قد هربوا إلا من يطلق الهرب وهرب الوليد وسعيد إلى مكة فى أول من خرج وتبعهم مروان وتتابع على ذلك من تتابع فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الامامة وأمركم عابر على الأمة فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع فقال الجمهور علىّ بن أبى طالب نحن به راضون (وأخبرنا) على بن مسلم قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا جعفر بن سليمان عن عوف قال أما أنا فأشهد أنى سمعت محمد بن سيرين يقول إن عليا جاء فقال لطلحة

ابسط يدك ياطلحة لأبايعك فقال طلحة أنت أحق وأنت أمير المؤمنين فابسط يدك قال فبسط علىّ يده فبايعه (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا فقالوا لهم دونكم يا أهل المدينة فقد أجلناكم يومين فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيرا فغشى الناس علياً فقالوا نبايعك فقد ترى مانزل بالإسلام وماابتلينا به من ذوى القربى فقال علىّ دعونى والتمسوا غيرى فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان لاتقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول فقالوا ننشدك الله ألاترى مانرى ألاترى الإسلام ألاترى الفتنة ألاتخاف الله فقال قد أجبتكم لما أرى واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وإن تركتمونى فإنما أنا كأحدكم إلا أنى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت فبعث البصريون إلى الزبير بصريا وقالوا احذر لاتحابه وكان رسولهم حكيم بن جبلة العبدى فى نفر فجاؤا به يحدونه بالسيف وإلى طلحة كوفياً وقالوا له احذر لاتحابه فبعثوا الأشتر فى نفر فجاؤا به يحدونه بالسيف وأهل الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبهم وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة وقد خشع أهل الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعا لأهل مصر وحشوة فيهم وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظاً فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء علىّ حتى صعد المنبر فقال يا أيها الناس عن ملإ وإذن إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم وقد افترقنا بالأمس على أمر فإن شئتم قعدت لكم وإلا فلا أجد على أحد فقالوا نحن على مافارقناك عليه بالأمس وجاء القوم بطلحة فقالوا بايع فقال إنى إنما أبايع كرها فبايع وكان به شلل أول الناس وفى الناس رجل يعتاف فنظر من بعيد فلما رأى طلحة أول من بايع قال إنا لله وإنا إليه راجعون أول يد بايعت أمير المؤمنين يد شلاء لا يتم هذا الأمر ثم جىء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع وفى الزبير اختلاف ثم جىء بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا نبايع على إقامة كتاب الله فى القريب والبعيد والعزيز والذليل فبايعهم

ثم قام العامة فبايعوا (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن أبى زهير الأزدى عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال لما قتل عثمان رضى الله عنه واجتمع الناس على علىّ ذهب الأشتر فجاء بطلحة فقال له دعنى أنظر ما يصنع الناس فلم يدعه وجاء به يتُلّه تلّاً عنيفاً وصعد المنبر فبايع (وكتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس عن الحارث الوالبى قال جاء حكيم بن جبلة بالزبير حتى بايع فكان الزبير يقول جاءنى لص من لصوص عبد القيس فبايعت واللج على عنقى (وكتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وبايع الناس كلهم (قال أبو جعفر) وسمح بعد هؤلاء الذين اشترطوا الذين جىء بهم وصار الأمر أمر أهل المدينة وكانوا كما كانوا فيه وتفرقوا إلى منازلهم لولا مكان النزاع والغوغاء فيهم

اتساق الأمر فى البيعة لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام

وبويع علىّ يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة والناس يحسبون من يوم قتل عثمان رضى الله عنه فأول خطبة خطبها علىّ حين استخلف فيما كتب به إلىّ السرى عن شعيب عن سيف عن سليمان بن أبى المغيرة عن علىّ بن الحسين حمد الله وأثنى عليه فقال إن الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنة إن الله حرم حُرَما غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحُرَم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد المسلمين والمسلمُ من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم وإن ما من خلفكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر الناس أخراهم اتقوا الله عباده فى عباده وبلاده إنكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ولما فرغ علىّ من خطبته وهو على المنبر قال المصريون

خُـذْها وَاحْذَرًا أبا حَسَنْ ... إنّا نمِرُّ الأمْرَ إمْرارَ الرَسَنْ

وإنما الشعر خـذها إلَيكَ واحذرًا أبا حَسَنْ

فقال عليٌّ مجيباً

إنى عَجَزْتُ عَجْزَةً ما أعْتَذِرْ سَوْفَ أكيسُ بَعْدَها وأَسْتَمِرّ

(وكتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا ولما أراد علىّ الذهاب إلى بيته قالت السبائية

خذها إليك واحـذراً أبا حسن إنا نُمِرُّ الأمرَ إمرارَ الرسَـنْ

صَوْلَةَ أقوامٍ كأسْدادِ السُّفُنْ بِمَشْرَفِيّاتٍ كَغُدْرانِ اللّبَنْ

ونَطْعُنُ المُلكَ بِلَيْنٍ كالشَّطَنْ حتى يُمَرَّنَّ على غَيْرِ عَنَنْ

فقال علىّ وذكر تركهم العسكر والكينونة على عدة ما مُنُّوا حين غمزوهم ورجعوا إليهم فلم يستطيعوا أن يمتنعوا حتى

إنى عجزتُ عجزةً لا أعتذر سوف أكيسُ بعدها وأستمر

أرْفَعُ مِنْ ذَيلِىَ ما كنْتُ أُجِر وأجْمَعُ الأمرَ الشَّتيتَ المُنْتَشِرْ

إن لم يُشاغِبْنى العَجولُ المُنْتَصِرْ أو يَتْرُكونى والسِّلاحُ يُبْتَدَرْ

واجتمع إلى على بعد ما دخل طلحة والزبير فى عدة من الصحابة فقالوا ياعلىّ إنا قد اشترطنا إقامة الحدود وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا فى دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم فقال لهم يا إخوتاه إنى لست أجهل ما تعلمون ولكنى كيف أصنع بقوم يملكونا ولا نملكهم هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ماشاؤا فهل ترون موضعا لقدرة على شىء مما تريدون قالوا لا قال فلا والله لاأرى إلا رأيا ترونه إن شاء الله إن هذا الأمر أمر جاهلية وان لهؤلاء القوم مادة وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدا إن الناس من هذا الأمر إن حُرِّكَ على أمور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى مالا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق فاهدؤا عنى وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج على حالها وإنما هيجه على ذلك هرب بنى أمية وتفرق القوم

وبعضهم يقول والله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الأشرار لترك هذا إلى ما قال علىّ أمثل وبعضهم يقول نقضى الذى علينا ولا نؤخره ووالله إن عليا لمستغن برأيه وأمره عنا ولا نراه الا سيكون على قريش أشد من غيره فذكر ذلك لعلى فقام فحمد الله وأثنى عليه وذكر فضلهم وحاجته اليهم ونظره لهم وقيامه دونهم وانه ليس له من سلطانهم الا ذلك والأجر من الله عز وجل عليه ونادى برئت الذمة من عبد لم يرجع الى مواليه فتذامرت السبائية والأعراب وقالوا لنا غداً مثلها ولا نستطيع نحتج فيهم بشىء (وكتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا خرج علىٌّ فى اليوم الثالث على الناس فقال يا أيها الناس أخرجوا عنكم الأعراب وقال يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم فأبت السبائية وأطاعهم الاعراب ودخل علىٌّ بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال دونكم ثأركم فاقتلوه فقالوا عشوا عن ذلك قال هم والله بعد اليوم أعشى وآبى وقال

لو أنّ قومى طاوعَتْنى سَرَاتُهُمْ أَمَرْتهُمُ أمْرًا يُدِيخُ الأعاديا

وقال طلحة دعنى فلآت البصرة فلا يفجأك إلا وأنا فى خيل فقال حتى أنظر فى ذلك وقال الزبير دعنى آت الكوفة فلا يفجأك إلا وأنا فى خيل فقال حتى أنظر فى ذلك وسمع المغيرة بذلك المجلس فجاء حتى دخل عليه فقال إن لك حق الطاعة والنصيحة وإن الرأى اليوم تحرز به ما فى غد وإن الضياع اليوم تضيع به ما فى غد أقرر معاوية على عمله وأقرر ابن عامر على عمله وأقرر العمال على أعمالهم حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت قال حتى أنظر فخرج من عنده وعاد إليه من الغد فقال إنى أشرت عليك بالأمس برأى وإن الرأى أن تعاجلهم بالنزوع فيعرف السامع من غيره ويستقبل أمرك ثم خرج وتلقاه ابن عباس خارجاً وهو داخل فلما انتهى إلى على قال رأيت المغيرة خرج من عندك ففيم جاءك قال جاءنى أمس بذيّة وذيّة وجاءنى اليوم بذية وذية فقال أما أمس فقد نصحك وأما اليوم فقد غشك قال فما الرأى قال كان الرأى أن تخرج حين قتل الرجل أو قبل ذلك فتأتى مكة فتدخل دارك وتغلق عليك بابك فإن كانت العرب جائلة مضطربة فى أثرك

لا تجد غيرك فأما اليوم فان فى بنى أمية من يستحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الأمر ويشبهون على الناس ويطلبون مثل ما طلب أهل المدينة ولا تقدر على مايريدون ولا يقدرون عليه ولو صارت الأمور إليهم حتى يصيروا فى ذلك أموت لحقوقهم وأترك لها إلا ما يعجلون من الشبهة وقال المغيرة نصحته والله فلما لم يقبل غششته وخرج المغيرة حتى لحق بمكة ❊ حدثنى الحارث عن ابن سعد عن الواقدى قال حدثنى ابن أبى سبرة عن عبد الحميد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن ابن عباس قال دعانى عثمان فاستعملنى على الحج فخرجت إلى مكة فأقمت للناس الحج وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلىّ فأتيته فى داره فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به فحبسنى حتى خرج من عنده فقلت ماذا قال لك هذا فقال قال لى قبل مرته هذه أرسل إلى عبد الله بن عامر وإلى معاوية وإلى عمال عثمان بعهودهم تقرهم على أعمالهم ويبايعون لك الناس فإنهم يهدئون البلاد ويسكنون الناس فأبيت ذلك عليه يومئذ وقلت والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيى ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولى قال ثم انصرف من عندى وأنا أعرف فيه أنه يرى أنى مخطئ ثم عاد إلى الآن فقال إنى أشرت عليك أول مرة بالذى أشرت عليك وخالفتنى فيه ثم رأيت بعد ذلك رأيا وأنا أرى أن تصنع الذى رأيت فتنزعهم وتستعين بمن تثق به فقد كفى الله وهم أهون شوكة مما كان قال ابن عباس فقلت لعلىّ أما المرة الأولى فقد نصحك وأما المرة الآخرة فقد غشك قال له علىّ ولم نصحنى قال ابن عباس لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى تثبتهم لا يبالون بمن ولى هذا الأمر ومتى تعزلهم يقولوا أخذ هذا الأمر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك فينتقض عليك أهل الشأم وأهل العراق مع أنى لا آمن طلحة والزبير أن يكرا عليك فقال علىّ أما ماذكرت من إقرارهم فوالله ما أشك أن ذلك خير فى عاجل الدنيا لإصلاحها وأما الذى يلزمنى من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولى منهم أحداً أبداً فإن أقبلوا فذلك خير لهم وإن أدبروا بذلت لهم السيف قال ابن عباس فأطعنى وادخل دارك

والحق بمالك بينبع وأغلق بابك عليك فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غداً فأبى علىّ فقال لابن عباس سر إلى الشأم فقد وليتكها فقال ابن عباس ما هذا برأى معاوية رجل من بنى أميــة وهو ابن عم عثمان وعامله على الشأم ولست آمن أن يضرب عنقى لعثمان أو أدنى ماهو صانع أن يحبسنى فيتحكم علىّ فقال له علىّ ولم قال لقرابة ما بينى وبينك وإن كل ما حمل عليك حمل علىّ ولكن اكتب إلى معاوية فمنّه وعِدْه فأبى على وقال والله لا كان هذا أبداً * قال محمد وحدثنى هشام بن سعد عن أبى هلال قال قال ابن عباس قدمت المدينة من مكة بعد قتل عثمان رضى الله عنه بخمسة أيام فجئت عليا أدخل عليه فقيل لى عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم على فقال متى قدمت فقلت الساعة فدخلت على على فسلمت عليه فقال لى لقيت الزبير وطلحة قال قلت لقيتهما بالنواصف قال من معهما قلت أبو سعيد بن الحارث بن هشام فى فئة من قريش فقال على أما إنهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله نعلم أنهم قتلة عثمان قال ابن عباس ياأمير المؤمنين أخبرنى عن شأن المغيرة ولم خلا بك قال جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين فقال لى أخلنى ففعلت فقال إن النصح رخيص وأنت بقية الناس وإنى لك ناصح وإنى أشير عليك برد عمال عثمان عامك هـذا فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم فإذا بايعوا لك واطمأن الأمر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت فقلت والله لا أدهن فى دينى ولا أعطى الدنىّ فى أمرى قال فان كنت قد أبيت علىّ فانزع من شئت واترك معاوية فان لمعاوية جُرّأة وهو فى أهل الشأم يسمع منــه ولك حجة فى إثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشأم كلها فقلت لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً فخرج من عندى على ماأشار به ثم عاد فقال لى إنى أشرت عليك بما أشرت به فأبيت علىّ ثم نظرت فى الأمر فاذا أنت مصيب لا ينبغى لك أن تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون فى أمرك دُلسة قال فقال ابن عباس فقلت لعلى أما أول ما أشار به عليك فقد نصحك وأما الآخر فغشك وأنا أشير عليك بأن تثبت معاوية

فإن بايع لك فعلىّ أن أقلعه من منزله قال علىّ لا والله لا أعطيه إلا السيف قال ثم تمثل بهذا البيت

ماميتة إن مُتُّها غيرَ عاجزٍ بِعارٍ إذا ماغالَتِ النفسَ غولُها

فقلت يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست بأرِب بالحرب أماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خُدعة فقال علىّ بلى فقال ابن عباس أما والله لئن أطعتنى لأصدرن بهم بعد ورد لأتركنهم ينظرون فى دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها فى غير نقصان عليك ولا إثم لك فقال يا ابن عباس لست من هُنيآتك وهنيآت معاوية فى شىء تشير علىّ وأرى فاذا عصيتك فأطعنى قال فقلت أفعل إن أيسر مالك عندى الطاعة

مسير قسطنطين ملك الروم يريد المسلمين

﴿ وفى هذه السنة ﴾ أعنى سنة ٣٥ سار قسطنطين بن هرقل فيما ذكر محمد بن عمر الواقدى عن هشام بن الغاز عن عبادة بن نسى فى ألف مركب يريد أرض المسلمين فسلط الله عليهم قاصفاً من الريح فغرقهم ونجا قسطنطين بن هرقل فأتى سِقِلية فصنعوا له حماما فدخله فقتلوه فيه وقالوا قتلت رجالنا

ثم دخلت سنة ست وثلاثين

تفريق علىّ عماله على الأمصار

ولما دخلت سنة ٣٦ فرق علىّ عماله فما كتب إلىّ السرىّ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا بعث علىّ عماله على الأمصار فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة وكانت له هجرة وعبيد الله بن عباس على اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشأم فأما سهل فانه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا من أنت قال أمير قالوا على أى شىء قال على الشأم قالوا إن كان عثمان بعثك فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع قال أوَما سمعتم بالذى كان قالوا بلى فرجع الى علىّ وأما قيس ابن سعد فانه لما انتهى

إلى أيلة لقيته خيل فقالوا من أنت قال من قالة عثمان فأنا أطلب من آوى اليه وانتصر به قالوا من أنت قال قيس بن سعد قالوا امض فمضى حتى دخل مصر فافترق أهل مصر فرقاً فرقة دخلت فى الجماعة وكانوا معه وفرقة وقفت واعتزلت إلى خربتا وقالوا إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم وإلا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا وفرقة قالوا نحن مع على ما لم يقد إخواننا وهم فى ذلك مع الجماعة وكتب قيس إلى أمير المؤمنين بذلك وأما عثمان بن حنيف فسار فلم يرده أحد عن دخول البصرة ولم يوجد فى ذلك لابن عامر رأى ولا حزم ولا استقلال بحرب وافترق الناس بها فاتبعت فرقة القوم ودخلت فرقة فى الجماعة وفرقة قالت ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا وأما عمارة فأقبل حتى إذا كان بزُبالة لقيه طليحة بن خويلد وقد كان حين بلغهم خبر عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه ويقول لهفى على أمر لم يسبقنى ولم أدركه

يا ليتنى فيها جَذَعْ أكُرُّ فيها وأضَعْ

فخرج حين رجع القعقاع من اغاثة عثمان فيمن أجابه حتى دخل الكوفة فطلع عليه عمارة قادما على الكوفة فقال له ارجع فان القوم لا يريدون بأميرهم بدلا وإن أبيت ضربت عنقك فرجع عمارة وهو يقول احذر الخطر ما يماسك الشرّ خير من شر منه فرجع إلى علىّ بالخبر وغلب على عمارة بن شهاب هذا المثل من لدن اعتاصت عليه الأمور إلى أن مات وانطلق عبيد الله بن عباس إلى اليمن فجمع يعلى بن أمية كل شىء من الجباية وتركه وخرج بذلك وهو سائر على حاميته إلى مكة فقدمها بالمال ولما رجع سهل بن حنيف من طريق الشأم وأتته الأخبار ورجع من رجع دعا علىّ طلحة والزبير فقال إن الذى كنت أحذركم قد وقع يا قوم وإن الأمر الذى وقع لا يدرك إلا بإماتته وإنها فتنة كالنار كلما سعرت ازدادت واستنارت فقالا له فأذن لنا أن نخرج من المدينة فإما أن نكابر وإما أن تدعنا فقال سأمسك الأمر ما استمسك فاذا لم أجد بدّاً فآخر الداء الكىّ وكتب إلى معاوية وإلى أبى موسى وكتب اليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبينه

الكاره منهم للذى كان والراضى بالذى قد كان ومن بين ذلك حتى كان علىّ على المواجهة من أمر أهل الكوفة وكان رسول علىّ إلى أبى موسى معبد الأسلمى وكان رسول أمير المؤمنين إلى معاوية سبرة الجهنى فقدم عليه فلم يكتب معاوية بشىء ولم يجبه ورد رسوله وجعل كلما تنجز جوابه لم يزد على قوله

أَدِمْ إدامَةَ حِصن أو جِدًّا بِيَدى حَرباًضَروساً تَشُبُّ الجزْلَ والضَّرَمَا
فى جارِكُم وابنِكُمْ إذ كان مَقتَلهُ شَنعاءَ شَيَّبَتِ الأصداغَ واللِّمَمَا
أَعْيَ المَسودُ بها والسَّيِّدونَ فلَم يوجَدْ لها غيْرُنا مَولى ولا حَكَمَا

وجعل الجهنىّ كلما تنجز الكتاب لم يزده على هذه الأبيات حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان فى صفر دعا معاوية برجل من بنى عبس ثم أحد بنى رواحة يدعى قبيصة فدفع إليه طوماراً مختوماً عنوانه من معاوية إلى علىّ فقال إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار ثم أوصاه بما يقول وسرح رسول علىّ وخرجا فقدما المدينة فى ربيع الأول لغرته فلما دخلا المدينة رفع العبسى الطومار كما أمره وخرج الناس ينظرون اليه فتفرقوا إلى منازلهم وقد علموا أن معاوية معترض ومضى حتى يدخل على علىّ فدفع اليه الطومار ففض خاتمه فلم يجد فى جوفه كتابة فقال للرسول ما وراءك قال آمن أنا قال نعم إن الرسل أمنة لا تقتل قال ورائى إنى تركت قوما لا يرضون إلا بالقود قال ممن قال من خيط نفسك وتركت ستين ألف شيخ يبكى تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق فقال منى يطلبون دم عثمان ألست موتورا كترة عثمان اللهم انى أبرأ اليك من دم عثمان نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله فإنه إذا أراد أمرا أصابه اخرج قال وأنا آمن قال وأنت آمن فخرج العبسى وصاحت السبائية قالوا هذا الكلب هذا وافد الكلاب اقتلوه فنادى يا آل مضر يا آل قيس الخيل والنبل إنى أحلف بالله جل اسمه ليردنها عليكم أربعة آلاف خصى فانظروا كم الفحولة والركاب وتعاووا عليه ومنعته مضر وجعلوا يقولون له اسكت فيقول لا والله لا يفلح هؤلاء أبدا فلقد أتاهم ما يوعدون فيقولون له اسكت فيقول

لقد حل بهم ما يحذرون انتهت والله أعمالهم وذهبت ريحهم فوالله ما أمسوا حتى عرف الذل فيهم

استئذان طلحة والزبير علياً

٧ (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا استأذن طلحة والزبير عليا فى العمرة فأذن لهما فلحقا بمكة وأحب أهل المدينة أن يعلموا ما رأى علىّ فى معاوية وانتقاضه ليعرفوا بذلك رأيه فى قتال أهل القبلة أيجسر عليه أو ينكُلُ عنه وقد بلغهم أن الحسن بن علىّ دخل عليه ودعاه إلى القعود وترْك الناس فدسوا اليه زياد بن حنظلة التميمى وكان منقطعا إلى علىّ فدخل عليه فجلس اليه ساعة ثم قال له علىّ يازياد تيسر فقال لأى شىء فقال تغزو الشأم فقال زياد الأناة والرفق أمثل فقال :

ومن لا يُصانِعْ فى أمور كثيرةٍ يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويوطأْ بمَنْسِمِ

فتمثل علىٌّ وكأنه لايريده

متى تجمع القلبَ الذكىَّ وصارِما وأنفًا حَمِيًّا تجْتَنِبْكَ المظالِمُ

فخرج زياد على الناس والناس ينتظرونه فقالوا ماوراءك فقال السيف ياقوم فعرفوا ما هو فاعل ودعا علىٌّ محمد بن الحنفية فدفع اليه اللواء وولى عبدالله بن عباس ميمنته وعمر بن أبى سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ولاه ميسرته ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجراح بن أخى أبى عبيدة بن الجراح فجعله على مقدمته واستخلف على المدينة قُثَم بن عباس ولم يول ممن خرج على عثمان أحدا وكتب الى قيس بن سعد أن يندب الناس الى الشأم وإلى عثمان بن حنيف والى أبى موسى مثل ذلك وأقبل على التهيؤ والتجهز وخطب أهل المدينة فدعاهم إلى النهوض فى قتال أهل الفرقة وقال ان الله عز وجل بعث رسولا هاديا مهديا بكتاب ناطق وأمر قائم واضح لايهلك عنه إلا هالك وان المبتدعات والشبهات هنّ المهلكات إلا من حفظ الله وان فى سلطان الله عصمة أمركم فأعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام ثم لا ينقله اليكم أبدا حتى يأرز الأمر اليها

انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يفرقون جماعتكم لعل الله يصلح بكم ماأفسد أهل الآفاق وتقضون الذى عليكم فبيناهم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وتمام على خلاف فقام فيهم بذلك فقال إن الله عز وجل جعل لظالم هذه الأمة العفو والمغفرة وجعل لمن لزم الأمر واستقام الفوز والنجاة فمن لم يسعه الحق أخذ بالباطل ألا وإن طلحة والزبير وأم المؤمنين وقد تمالؤا على سخط إمارتى ودعوا الناس إلى الإصلاح وسأصبر مالم أخف على جماعتكم وأكف إن كفوا وأقتصر على مابلغنى عنهم ثم أتاه أنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والإصلاح فتعبى للخروج إليهم وقال إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين وماكان عليهم فى المقام فينا مؤونة ولا إكراه فاشتد على أهل المدينة الأمر فتثاقلوا فبعث إلى عبد الله بن عمر كميلا النخعى فجاء به فقال انهض معى فقال أنا مع أهل المدينة إنما أنا رجل منهم وقد دخلوا فى هذا الأمر فدخلت معهم لاأفارقهم فإن يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد قال فأعطنى زعيما بألا تخرج قال ولا أعطيك زعيما قال لولا ماأعرف من سوء خلقك صغيرا وكبيرا لأنكرتنى دعوه فأنا به زعيم فرجع عبد الله بن عمر إلى المدينة وهم يقولون لا والله ماندرى كيف نصنع فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضىء لنا ويسفر فخرج من تحت ليلته وأخبر أم كلثوم بنت علىّ بالذى سمع من أهل المدينة وأنه يخرج معتمراً مقيما على طاعة علىّ ماخلا النهوض وكان صدوقا فاستقر عندها وأصبح علىّ فقيل له حدث البارحة حدث هو أشد عليك من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومعاوية قال وماذاك قال خرج ابن عمر إلى الشأم فأتى علىّ السوق ودعا بالظهر فحمل الرجال وأعد لكل طريق طُلاباً وماج أهل المدينة وسمعت أم كلثوم بالذى هو فيه فدعت ببغلتها فركبتها فى رحل ثم أتت علياً وهو واقف فى السوق يفرق الرجال فى طلبه فقالت مالك لا تَزَنَّدْ من هذا الرجل إن الأمر على خلاف ما بُلغته وحُدِّثته قالت أنا ضامنة له فطابت نفسه وقال انصرفوا لا والله ما كذبَتْ ولا كذب وإنه عندى ثقة فانصرفوا (كتب إلىّ السرى) عن شعيب

عن سيف عن محمد وطلحة قالا ولما رأى على من أهل المدينة مالم يرض طاعتهم حتى يكون معها نصرته قام فيهم وجمع إليه وجوه أهل المدينة وقال إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوله فقد رأيتم عواقب قضاء الله عز وجل على من مضى منكم فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم فأجابه رجلان من أعلام الأنصار أبو الهيثم بن التيهان وهو بدرى وخزيمة بن ثابت وليس بذى الشهادتين مات ذو الشهادتين فى زمن عثمان رضى الله عنه (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد عن عبيد الله عن الحكم قال قيل له أشهد خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين الجمل فقال ليس به ولكنه غيره من الأنصار مات ذو الشهادتين فى زمان عثمان بن عفان رضى الله عنه (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبى قال بالله الذى لا إله إلا هو مانهض فى تلك الفتنة إلا ستة بدريين مالهم سابع أو سبعة مالهم ثامن (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبى قال بالله الذى لا إله إلا هو مانهض فى ذلك الأمر إلا ستة بدريين مالهم سابع فقلت اختلفتما قال لم نختلف إن الشعبى شك فى أبى أيوب أخرج حيث أرسلته أم سلمة إلى على بعد صفين أو لم يخرج إلا أنه قدم عليه فمضى اليه وعلى يومئذ بالنهروان (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عبد الله ابن سعيد بن ثابت عن رجل من سعيد بن زيد قال ما اجتمع أربعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ففازوا على الناس بخير يحوزونه إلا وعلى بن أبى طالب أحدهم ثم إن زياد بن حنظلة لما رأى تثاقل الناس عن على ابتدر اليه وقال من تثاقل عنك فإنا نخف معك ونقاتل دونك وبينا على يمشى فى المدينة إذ سمع زينب ابنة أبى سفيان وهى تقول ظلامتنا عند مُدَمَّم وعند مكحلة فقال إنها لتعلم ما هما لها بثأر (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة أن عثمان قتل فى ذى الحجة لثمان عشرة خلت منه وكان على مكة عبد الله بن عامر الحضرمى وعلى الموسم يومئذ عبد الله عباس بعثه عثمان وهو محصور فتعجل أناس فى يومين فأدركوا مع ابن عباس فقدموا المدينة بعد ماقتل وقبل أن يبايع على وهرب بنو أمية فلحقوا

بمكة وبويع علىّ لخمس بقين من ذى الحجة يوم الجمعة وتساقط الهرّاب إلى مكة وعائشة مقيمة بمكة تريد عمرة المحرم فلما تساقط اليها الهراب استخبرتهم فأخبروها أن قد قتل عثمان رضى الله عنه ولم يجبهم إلى التأمير أحد فقالت عائشة رضى الله عنها ولكن أكياس هذا غِبَّ ما كان يدور بينكم من عتاب الاستصلاح حتى إذا قضت عمرتها وخرجت فانتهت إلى سَرِف لقيها رجل من أخوالها من بنى ليث وكانت واصلة لهم رفيقة عليهم يقال له عبيد بن أبى سلمة يعرف بأمه أم كلاب فقالت مَهْيم فأصم ودمدم فقالت ويحك علينا أو لنا فقال لا تدرى قتل عثمان وبقوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا فقال أخذوا أهل المدينة بالاجتماع على علىّ والقوم الغالبون على المدينة فرجت إلى مكة وهى لا تقول شيئا ولا يخرج منها شىء حتى نزلت على باب المسجد وقصدت للحِجْر فسترت فيه واجتمع الناس اليها فقالت يا أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الأَرْب واستعمال من حدثت سنّه وقد استعمل أسنانهم قبله ومواضع من مواضع الحِمى حماها لهم وهى أمور قد سُبق بها لا يصلح غيرها فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحا لهم فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا خلجوا وبادوا بالعدوان ونبا فعلهم عن قولهم فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام واستحلوا الشهر الحرام والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم فنجاة من اجتماعكم عليهم حتى ينكل بهم غيرهم ويشرد من بعدهم ووالله لو أن الذى اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء فقال عبد الله بن عامر الحضرمى ها أنا ذا لها أول طالب وكان أول مجيب ومنتدب * حدثنى عمر بن شعبة قال حدثنا أبو الحسن المدائنى قال حدثنا سحيم مولى وبرة التميمى عن عبيد بن عمرو القرشى قال خرجت عائشة رضى الله عنها وعثمان محصور فقدم عليها مكة رجل يقال له أخضر فقالت ما صنع الناس فقال قتل عثمان المصريين قالت إنا لله وإنا إليه راجعون أيقتل قوما جاءوا يطلبون الحق وينكرون الظلم والله لا نرضى بهذا ثم قدم آخر فقالت

ماصنع الناس قال قتل المصريون عثمان قالت العجب لأخضر زعم أن المقتول هو القاتل فكان يضرب به المثل أكذب من أخضر (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي قال خرجت عائشة رضى الله عنها نحو المدينة من مكة بعد مقتل عثمان فلقيها رجل من أخوالها فقالت ماوراءك قال قتل عثمان واجتمع الناس على علىّ والأمر أمر الغوغاء فقالت ماأظن ذلك تامار دونى فانصرفت راجعة إلى مكة حتى إذا دخلتها أتاها عبدالله بن عامر الحضرمى وكان أمير عثمان عليها فقال ماردك ياأم المؤمنين قالت ردنى أن عثمان قتل مظلوما وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام فكان أول من أجابها عبد الله بن عامر الحضرمى وذلك أول ماتكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤسهم وقام معهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بنى أمية وقد قدم عليهم عبدالله بن عامر من البصرة ويعلى بن أمية من اليمن وطلحة والزبير من المدينة واجتمع ملؤهم بعد نظر طويل فى أمرهم على البصرة وقالت أيها الناس إن هذا حدث عظيم وأمر منكر فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فأنكروه فقد كفاكم أهل الشأم ماعندهم لعل الله عزوجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان أول من أجاب إلى ذلك عبدالله بن عامر وبنو أمية وقد كانوا سقطوا إليها بعد مقتل عثمان ثم قدم عبد الله بن عامر ثم قدم يعلى بن أمية فاتفقا بمكة ومع يعلى ستمائة بعير وستمائة ألف فأناخ بالأبطح معسكراً وقدم معهما طلحة والزبير فلقيا عائشة رضى الله عنها فقالت ماوراءكما فقالا وراءنا أنا تحملنا بقليتنا هراباً من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوما حيارى لايعرفون حقاً ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون أنفسهم قالت فائتمروا أمراً ثم انهضوا إلى هذه الغوغاء وتمثلت

لو أن قَوْمِى طاوَعتْنى سَراتُهمْ ... لأنقَذْتُهمْ من الحِبالِ أوِ الخَبَلِ

وقال القوم فيما ائتمروا به الشأم فقال عبد الله بن عامر قد كفاكم الشأم من يستمر فى حوزته فقال له طلحة والزبير فأين قال البصرة فان لى بها صنائع ولهم

فى طلحة هوى قالوا اقبحك الله فوالله ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب فهلا أقمت كما أقام معاوية فنكتفى بك ونأتى الكوفة فنسد على هؤلاء القوم المذاهب فلم يجدوا عنده جوابا مقبولا حتى إذا استقام لهم الرأى على البصرة قالوا ياأم المؤمنين دعى المدينة فإن من معنا لا يقرنون لتلك الغوغاء التى بها وأشخصى معنا إلى البصرة فإنا نأتى بلدا مضيعاً وسيحتجون علينا فيه ببيعة علىّ بن أبى طالب فتنهضينهم كما أنهضت أهل مكة ثم تقعدين فإن أصلح الله الأمر كان الذى تريدين وإلا احتسبنا ودفعنا عن هذا الأمر بجهدنا حتى يقضى الله ما أراد فلما قالوا ذلك لها ولم يكن ذلك مستقيما إلا بها قالت نعم وقد كان أزواج النبى صلى الله عيه وسلم معها على قصد المدينة فلما تحول رأيها إلى البصرة تركن ذلك وانطلق القوم بعدها إلى حفصة فقالت رأيى تبع لرأى عائشة حتى إذا لم يبق إلا الخروج قالوا كيف نستقل وليس معنا مال نجهز به الناس فقال يعلى بن أمية معى ستمائة ألف وستمائة بعير فاركبوها وقال ابن عامر معى كذا وكذا فتجهزوا به فنادى المنادى إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان ولم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة سوى من كان له مركب وكانوا جميعاً ألفا وتجهزوا بالمال ونادوا بالرحيل واستقلوا ذاهبين وأرادت حفصة الخروج فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد فقعدت وبعثت إلى عائشة أن عبد الله حال بينى وبين الخروج فقالت يغفر الله لعبد الله وبعثت أم الفضل بنت الحارث رجلا من جهينة يدعى ظفرا فاستأجرته على أن يطوى ويأتى علياً بكتابها فقدم على علىّ بكتاب أم الفضل بالخبر * حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا على عن أبى مخنف قال حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن أبيه قال قال أبو قتادة لعلىّ يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلدنى هذا السيف وقد شمته فطال شيمه وقد أنى تجريده على هؤلا القوم الظالمين الذين لم يألوا الأمة غشاً فإن أحببت أن تقدمنى فقدمنى وقامت أم سلمة فقالت يا أمير المؤمنين لولا أن أعصى الله عز وجل وأنك

لا تقبله مني لخرجت معك وهذا ابني عمر والله لهو أعز علي من نفسي يخرج معك فيشهد مشاهدك فخرج فلم يزل معه واستعمله على البحرين ثم عزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي ❋ حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا مسلمة عن عوف قال أعان يعلى بن أمية الزبير بأربعمائة ألف وحمل سبعين رجلا من قريش وحمل عائشة رضي الله عنها على جمل يقال له عسكر أخذه بثمانين دينارا وخرجوا فنظر عبد الله بن الزبير إلى البيت فقال مارأيت مثلك بركة طالب خير ولا هارب من شر ﴿كتب إلي السري﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا خرج المغيرة وسعيد بن العاص معهم مرحلة من مكة فقال سعيد للمغيرة ماالرأي قال الرأي والله الاعتزال فإنهم مايفلح أمرهم فإن أظفره الله أتيناه فقلنا كان هوانا وصغونا معك فاعتزلا فجلسا فجاء سعيد مكة فأقام بها ورجع معهما عبد الله بن خالد بن أسيد ❋ حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا أبي قال حدثنا وهب بن جرير بن حازم قال سمعت أبي قال سمعت يونس ابن يزيد الايلي عن الزهري قال ثم ظهرا يعني طلحة والزبير إلى مكة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأربعة أشهر وابن عامر بها يجر الدنيا وقدم يعلى بن أمية معه بمال كثير وزيادة على أربعمائة بعير فاجتمعوا في بيت عائشة رضي الله عنها فارادوا الرأي فقالوا نسير إلى علي فنقاتله فقال بعضهم ليس لكم طاقة بأهل المدينة ولكنا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة ولطلحة بالكوفة شيعة وهوى وللزبير بالبصرة هوى ومعونة فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة فأعطاهم عبد الله بن عامر مالا كثيرا وإبلا فخرجوا في سبعمائة رجل من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل فبلغ عليا مسيرهم فأمر على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري وخرج فسار حتى نزل ذاقار وكان مسيره اليها ثمان ليال ومعه جماعة من أهل المدينة ❋ حدثني أحمد بن منصور قال حدثني يحيى بن معين قال حدثنا هشام بن يوسف قاضي صنعاء عن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير عن موسى بن عقبة عن علقمة بن وقاص الليثي قال لما خرج طلحة والزبير وعائشة

رضى الله عنهم عرضوا الناس بذات عرق واستصغروا عروة بن الزبير وأبا بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام فردوهما ﴿حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال أخبرنا أبو عمرو عن عتبة بن المغيرة بن الأخنس قال لقى سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال أين تذهبون وثأركم على أعجاز الإبل اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم قالوا بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال ان ظفرتما لمن تجعلان الأمر أصدقانى قالا لأحدنا أينا اختاره الناس قال بل اجعلوه لولد عثمان فانكم خرجتم تطلبون بدمه قالا ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم قال أفلا أرانى أسعى لأخرجها من بنى عبد مناف فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد فقال المغيرة بن شعبة الرأى ما رأى سعيد من كان ههنا من ثقيف فليرجع فرجع ومضى القوم معهم أبان بن عثمان والوليد بن عثمان فاختلفوا فى الطريق فقالوا من ندعو لهذا الأمر فخلا الزبير بابنه عبد الله وخلا طلحة بعلقمة بن وقاص الليثى وكان يؤثره على ولده فقال أحدهما ائت الشأم وقال الآخر ائت العراق وحاور كل واحد منهما صاحبه ثم اتفقا على البصرة ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس عن الأغر قال لما اجتمع إلى مكة بنو أمية ويعلى بن منية وطلحة والزبير ائتمروا أمرهم وأجمع ملؤهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبائية حتى يثأروا وينتقموا فأمرتهم عائشة رضى الله تعالى عنها بالخروج إلى المدينة واجتمع القوم على البصرة وردوها عن رأيها وقال لها طلحة والزبير إنا نأتى أرضا قد أضيعت وصارت إلى على وقد أجبرنا على على بيعته وهم محتجون علينا بذلك وتاركو أمرنا إلا أن تخرجى فتأمرى بمثل ما أمرت بمكة ثم ترجعى فنادى المنادى ان عائشة تريد البصرة وليس فى ستمائة بعير ما تعنون به غوغاء وجالية الاعراب وعبيدا قد انتشروا وافترشوا أذرعهم مسعدين لأول واعية وبعثت إلى حفصة فأرادت الخروج فعزم عليها ابن عمر فأقامت/ فخرجت عائشة ومعها طلحة والزبير وأمرت على الصلاة عبد الرحمن

ابن عتاب بن أسيد فكان يصلى بهم فى الطريق وبالبصرة حتى قتل وخرج معها مروان وسائر بنى أمية إلا من خشع وتيامنت عن أوطاس وهم ستمائة راكب سوى من كانت له مطية فتركت الطريق ليلة وتيامنت عنها كأنهم سيارة ونجعة مساحلين لم يَدْن من المنكدر ولا واسط ولا فلج منهم أحد حتى أتوا البصرة فى عام خصيب وتمثلت

دَعى بلادَ جُموعِ الظُّلْمِ إذ صلحَتْ فيها المياهُ وسيرى سيْرَ مذعور

تَخيَّرى النَّبْتَ فارْعىْ ثُمَّ ظاهرةً وبَطْنَ وادٍ من الضِّمارِ مَمْطورِ

* حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن عن عمر بن راشد اليمامى عن أبى كثير السحيمى عن ابن عباس قال خرج أصحاب الجمل فى ستمائة معهم عبد الرحمن بن أبى بكرة وعبد الله بن صفوان الجمحى فلما جازوا بئر ميمون إذاهم بجزور قد نحرت ونحرها يثعب فتطيروا وأذن مروان حين فصل من مكة ثم جاء حتى وقف عليهما فقال أيكما أسلم بالإمرة وأؤذن بالصلاة فقال عبد الله بن الزبير على أبى عبد الله وقال محمد بن طلحة على أبى محمد فأرسلت عائشة رضى الله عنها إلى مروان فقالت مالك أتريد أن تفرق أمرنا ليصلّ ابن أختى فكان يصلى بهم عبد الله بن الزبير حتى قدم البصرة فكان معاذ بن عبيد الله يقول والله لو ظفرنا لاقْتَتَلْنا ما خلى الزبير بين طلحة والأمر ولا خلى طلحة بين الزبير والأمر

خروج علىّ إلى الرَّبذة يريد البصرة

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف عن القاسم ابن محمد قال جاء عليا الخبر عن طلحة والزبير وأم المؤمنين فأمّر على المدينة تمام ابن العباس وبعث إلى مكة قُثم بن العباس وخرج وهو يرجو أن يأخذهم بالطريق وأراد أن يعترضهم فاستبان له بالربذة أن قد فاتوه وجاءه بالخبر عطاء بن رئاب مولى الحارث بن حَزْن (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا بلغ عليا الخبر وهو بالمدينة باجتماعهم على الخروج إلى البصرة وبالذى اجتمع عليه ملؤهم طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم وبلغه قول عائشة وخرج علىّ يبادرهم

فى تعبيته التى كان تعبى بها إلى الشأم وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين فى سبعمائة رجل وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج فلقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال ياأمير المؤمنين لاتخرج منها فوالله لئن خرجت منها لاترجع إليها ولا يعود اليها سلطان المسلمين أبدا فسبّوه فقال دعوا الرجل فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسار حتى انتهى إلى الربذة فبلغه مرهم فأقام حين فاتوه يأتمر بالربذة (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن خالد بن مهران البجلى عن مروان بن عبد الرحمن الحميسى عن طارق ابن شهاب قال خرجنا من الكوفة معتمرين حين أتانا قتل عثمان رضى الله عنه فلما انتهينا إلى الربذة وذلك فى وجه الصبح إذا الرفاق وإذا بعضهم يتلو بعضا فقلت ماهذا فقالوا أمير المؤمنين فقلت ماله قالوا غلبه طلحة والزبير فخرج يعترض لهما ليردهما فبلغه أنهما قد فاتاه فهو يريد أن يخرج فى آثارهما فقلت إنا لله وإنا اليه راجعون آتى عليا فأقاتل معه هذين الرجلين وأم المؤمنين أو أخالفه إن هذا لشديد فخرجت فأتيته فأقيمت الصلاة بغلس فتقدم فصلى فلما انصرف أتاه ابنه الحسن فقال قد أمرتك فعصيتنى فتقتل غدا بمَضْيعة لا ناصر لك فقال علىّ إنك لاتزال تحن حنين الجارية وما الذى أمرتنى فعصيتك قال أمرتك يوم أحيط بعثمان رضى الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان مافعلا أن تجلس فى بيتك حتى يصطلحوا فان كان الفساد كان على يدى غيرك فعصيتنى فى ذلك كله قال أى بُنى أماقولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به وأماقولك لاتبايع حتى يأتى بيعة الأمصار فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر وأماقولك حين خرج طلحة والزبير فان ذلك كان وهنا على أهل الإسلام ووالله مازلت مقهورا مذ وليت منقوصا لاأصل إلى شىء مما ينبغى وأماقولك اجلس فى بيتك فكيف لى بما قد لزمنى أومن تريدنى أتريد أن أكون مثل الضَّبُع التى يحاط بها

ويقال دَباب دباب ليست ههنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه فكف عنك أى بنى

شراء الجمل لعائشة رضى الله عنها وخبر كلاب الحوأب

* حدثني إسماعيل بن موسى الفزارى قال أخبرنا على بن عابس الأزرق قال حدثنا أبو الخطاب الهَجَرى عن صفوان بن قبيصة الأحمسى قال حدثنى العرنى صاحب الجمل قال بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لى راكب فقال ياصاحب الجمل تبيع جملك قلت نعم قال بكم قلت بألف درهم قال مجنون أنت جمل يباع بألف درهم قال قلت نعم جملى هــذا قال ومم ذلك قلت ماطلبتُ عليه أحدا قط إلا أدركته ولا طلبنى وأنا عليه أحد قط إلا فتُّه قال لو تعلم لمن نريده لأحسنت بيعنا قال قلت ولمن تريده قال لأمك قلت لقد تركت أمى فى بيتها قاعدة ماتريد براحا قال إنما أريده لأم المؤمنين عائشة قلت فهولك فخذه بغير ثمن قال لا ولكن ارجع معنا إلى الرحل فلنعطك ناقة مهرية ونزيدك دراهم قال فرجعت فأعطونى ناقة لها مهرية وزادونى أربعمائة أوستمائة درهم فقال لى يا أخا عرينة هل لك دلالة بالطريق قال قلت نعم أنا من أدرك الناس قال فسر معنا فسرت معهم فلا أمرّ على واد ولا ماء إلا سألونى عنه حتى طرقنا ماء الحوأب فنبحتنا كلابها قالوا أى ماء هذا قلت ماء الحوأب قال فصرخت عائشة بأعلى صوتها ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ثم قالت أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طُروقا رُدونى تقول ذلك ثلاثا فأناخت وأناخوا حولها وهم على ذلك وهى تأبى حتى كانت الساعة التى أناخوا فيها من الغد قال فجاءها ابن الزبير فقال النجاء النجاء فقد أدرككم والله على بن أبى طالب قال فارتحلوا وشتمونى فانصرفت فما سرت إلا قليلا وإذا أنا بعلىّ وركب معه نحو من ثلثمائة فقال لى على يا أيها الراكب فأتيته فقال أين أتيت الظعينة قلت فى مكان كذا وكذا وهذه ناقتها وبعتهم جملى قال وقد ركبته قلت نعم وسرت معهم حتى أتينا ماء الحوأب فنبحت عليها كلابها فقالت كذا وكذا فلما رأيت اختلاط أمرهم انفتلت وارتحلوا فقال علىّ هل لك دلالة بذى قار قلت لعلى أدل الناس قال

فسر معنا فسرنا حتى نزلنا ذاقار فأمر على بن أبى طالب بجُو القين فضم أحدهما إلى صاحبه ثم جىء برجل فوضع عليهما ثم جاء يمشى حتى صعد عليه وسدل رجليه من جانب واحد ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال قد رأيتم ماصنع هؤلاء القوم وهذه المرأة فقام إليه الحسن فبكى فقال له على قد جئت تحن حنين الجارية فقال أجل أمرتك فعصيتنى فأنت اليوم تقتل بمضيعة لا ناصر لك قال حدّث القوم بما أمرتنى به قال أمرتك حين سار الناس إلى عثمان رضى الله عنه ألا تبسط يدك ببيعة حتى تجول جائلة العرب فانهم لن يقطعوا أمراً دونك فأبيت علىّ وأمرتك حين سارت هذه المرأة وصنع هؤلاء القوم ماصنعوا أن تلزم المدينة وترسل إلى من استجاب لك من شيعتك قال علىّ صدق والله ولكن والله يابنى ما كنت لأكون كالضبع وتستمع لِلّدْم إن النبى صلى الله عليه وسلم قبض وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر منى فبايع الناس أبا بكر فبايعت كما بايعوا ثم إن أبا بكر رضى الله عنه هلك وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر منى فبايع الناس عمر بن الخطاب فبايعت كما بايعوا ثم إن عمر رضى الله عنه هلك وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر منى فجعلنى سهما من ستة أسهم فبايع الناس عثمان فبايعت كما بايعوا ثم سار الناس إلى عثمان رضى الله عنه فقتلوه ثم أتونى فبايعونى طائعين غير مكرَهين فأنا مقاتل من خالفنى بمن اتبعنى حتى يحكم الله بينى وبينهم وهو خير الحاكمين

قول عائشة رضى الله عنها والله لأطلبن بدم عثمان
وخروجها وطلحة والزبير فيمن تبعهم إلى البصرة

(كتب إلىّ على بن أحمد بن الحسن العجلى) ان الحسين بن نصر العطار قال حدثنا أبى نصر بن مزاحم العطار قال حدثنا سيف بن عمر عن محمد بن نويرة وطلحة بن الأعلم الحنفى قال وحدثنا عمر بن سعد عن أسد بن عبدالله عمن أدرك من أهل العلم أن عائشة رضى الله عنها لما انتهت إلى سَرِف راجعة فى طريقها إلى مكة لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد بن أبى سلمة ينسب إلى أمه فقالت له مَهْيَم قال قتلوا عثمان رضى الله عنه فمكثوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا قال أخذها أهل

المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز اجتمعوا على على بن أبى طالب فقالت والله ليت ان هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ردونى ردونى فانصرفت إلى مكة وهى تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لأطلبن بدمه فقال لها ابن أم كلاب ولم فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت إنهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولى الأخير خير من قولى الأول فقال لها ابن أم كلاب :

مِنكِ البَداءُ ومِنْكِ الغِيَرْ ومِنْكِ الرِّياحُ ومِنْكِ المَطَرْ
وأنتِ أمَرْتِ بقَتْلِ الإمام وقُلْتِ لنا إنّه قد كَفَرْ
فَهَبْنا أطَعْناكِ فى قَتْلِهِ وقاتِلُهُ عِنْدَنا مَن أمَرْ
ولَمْ يَسْقُطِ السَّقْفُ مِن فَوْقِنا ولَمْ يَنْكَسِفْ شَمْسُنا والقَمَرْ
وقَدْ بايَعَ النّاسُ ذا تُدْرَإٍ يُزِيلُ الشَّبا ويُقِيمُ الصَّعَرْ
ويَلْبَسُ لِلْحَرْبِ أثْوابَها وما مَنْ وفى مِثْلُ مَنْ قد غَدَرْ

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فسترت واجتمع إليها الناس فقالت يا أيها الناس إن عثمان رضى الله عنه قتل مظلوما ووالله لأطلبن بدمه (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان على فى همّ من توجه القوم لا يدرى إلى أين يأخذون وكان أن يأتوا البصرة أحب إليه فلما تيقن أن القوم يعارضون طريق البصرة سُر بذلك وقال الكوفة فيها رجال العرب وبيوتاتهم فقال له ابن عباس إن الذى يسرك من ذلك ليسوؤنى إن الكوفة فسطاط فيه أعلام من أعلام العرب ولا يحملهم عدة القوم ولا يزال فيهم من يسمو إلى أمر لا يناله فاذا كان كذلك شغب على الذى قد نال حتى يفثأه فيفسد بعضهم على بعض فقال على ان الأمر ليشبه ما تقول ولكن الأثرة لأهل الطاعة وألحق بأحسنهم سابقة وقدمة فإن استووا أعفيناهم واجتبرناهم فان أقنعهم ذلك كان خيرا لهم وإن لم يقنعهم كلفونا إقامتهم وكان شرا على من هو شر له فقال ابن عباس ان ذلك لأمر لا يدرك إلا بالقنوع (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد

وطلحة قالا لما اجتمع الرأى من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومن بمكة من المسلمين على السير إلى البصرة والانتصار من قتلة عثمان رضى الله عنه خرج الزبير وطلحة حتى لقيا ابن عمر ودعواه الى الخفوف فقال إنى امرؤ من أهل المدينة فإن يجتمعوا على النهوض أنهض وإن يجتمعوا على القعود أقعد فتركاه ورجعا (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن سعيد بن عبد الله عن ابن أبى مليكة قال جمع الزبير بنيه حين أراد الرحيل فودع بعضهم وأخرج بعضهم وأخرج ابنى أسماء جميعا فقال يافلان أقم ياعمرو أقم فلما رأى ذلك عبد الله بن الزبير قال ياعروة أقم ويامنذر أقم فقال الزبير ويحك أستصحب ابنىّ وأستمتع منهما فقال إن خرجت بهم جميعا فاخرج وإن خلفت منهم أحداً فخلفهما ولا تعرض أسماء للثكل من بين نسائك فبكى وتركهما فخرجوا حتى إذا انتهوا الى جبال أوطاس تيامنوا وسلكوا طريقا نحو البصرة وتركوا طريقها يسارا حتى إذا دنوا منها فدخلوها ركبوا المنكدر (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن ابن الشهيد عن ابن أبى مليكة قال خرج الزبير وطلحة ففصلا ثم خرجت عائشة فتبعها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق فلم ير يوم كان أكثر باكيا على الإسلام أو باكيا له من ذلك اليوم كان يسمى يوم النحيب وأمرت عبد الرحمن بن عتاب فكان يصلى بالناس وكان عدلا بينهم (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن عبد الله عن يزيد بن معن السلمى قال لما تيامن عسكرها عن أوطاس أتوا على مليح بن عوف السلمى وهو مطّلع ماله فسلم على الزبير وقال يا أبا عبد الله ماهذا قال عُدى على أمير المؤمنين رضى الله عنه فقتل بلاترة ولا عذر قال ومن قال الغوغاء من الأمصار ونزاع القبائل وظاهرَهم الأعراب والعبيد قال فتريدون ماذا قال ننهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يبطل فإن فى إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدا إذا لم يُفطم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب قال والله إن ترك هذا لشديد ولا تدرون إلى أين ذلك يسير فودع كل واحد منهما صاحبه وافترقا ومضى الناس

دخولهم البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا ومضى الناس حتى إذا عاجوا عن الطريق وكانوا بفناء البصرة لقيهم عمير بن عبد الله التيمى فقال يا أم المؤمنين أنشدك بالله أن تقدمى اليوم على قوم تراسلى منهم أحدا فيكفيكهم فقالت جئتنى بالرأى وأنت امرؤ صالح قال فعجلى ابن عامر فليدخل فإن له صنائع فليذهب إلى صنائعه فليلقوا الناس حتى تقدمى ويسمعوا ما جئتم فيه فأرسلته فاندس إلى البصرة فأتى القوم وكتبت عائشة رضى الله عنها إلى رجال من أهل البصرة وكتبت الى الأحنف بن قيس وصبرة بن شيمان وأمثالهم من الوجوه ومضت حتى اذا كانت بالحفير انتظرت الجواب بالخبر ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وكان رجل عامة والزه بأبى الأسود الدؤلى وكان رجل خاصة فقال انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها فخرجا فانتهيا إليها وإلى الناس وهم بالحفير فاستأذنا فأذنت لهما فسلما وقالا إن أميرنا بعثنا اليك نسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا فقالت والله ما مثلى يسير بالأمر المكتوم ولا يغطى لبنيه الخبر إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه الأحداث وآووا فيه المحدثين واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ومزقوا الأعراض والجلود وأقاموا فى دار قوم كانو كارهين لمقامهم ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون فخرجت فى المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا وما ينبغى لهم أن يأتوا فى إصلاح هذا وقرأت «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» ننهض فى الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير والذكر والأنثى فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره (كتب

الىّ السرىّ ﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا فخرج أبو الأسود وعمران من عندها فأتيا طلحة فقالا ما أقدمك قال الطلب بدم عثمان رضى الله عنه قالا ألم تبايع علياً قال بلى واللجّ على عنق وما أستقيل عليا إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان ثم أتيا الزبير فقالا ما أقدمك قال الطلب بدم عثمان رضى الله عنه قالا ألم تبايع علياً قال بلى واللج على عنق وما أستقيل عليا إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان فرجعا إلى أم المؤمنين فودعاها فودعت عمران وقالت يا أبا الأسود إياك أن يقودك الهوى إلى النار «كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ» الآية فسرحتهما ونادى مناديها بالرحيل ومضى الرجلان حتى دخلا على عثمان بن حنيف فبدر أبو الأسود عمران فقال

يَاابْنَ حُنَيْفٍ قد أتيتَ فانْفِرْ وطاعِنِ القَوْمَ وجالِدْ واصْبِرِ
وابْرُزْ لَهُمْ مُسْتَلْئِمًا وشَمِّرِ

فقال عثمان إنا لله وإنا إليه راجعون دارت رحى الإسلام وربِّ الكعبة فانظروا بأى زَيفان تزيف فقال عمران إى والله لتعرُكنكم عركا طويلا ثم لا يساوى مابقى منكم كثير شيء قال فأشر على يا عمران قال إنى قاعد فاقعد فقال عثمان بل امنعهم حتى يأتى أمير المؤمنين علىّ قال عمران بل يحكم الله مايريد فانصرف إلى بيته وقام عثمان فى أمره فأتاه هشام بن عامر فقال يا عثمان إن هذا الأمر الذى تروم يسلم إلى شر مما تكره إن هذا فَتْقٌ لا يُرتق وصَدع لا يجبر فسامحهم حتى يأتى أمر علىّ ولا تحادّهم فأبى ونادى عثمان فى الناس وأمرهم بالتهيؤ ولبسوا السلاح واجتمعوا إلى المسجد الجامع وأقبل عثمان على الكيد فكاد الناس لينظر ماعندهم وأمرهم بالتهيؤ وأمر رجلا ودسه إلى الناس خَدِعا كوفيا قيسياً فقام فقال يا أيها الناس أنا قيس بن العقدية الحميسى إن هؤلاء القوم الذين جاؤكم إن كانوا جاؤكم خائفين فقد جاءوا من المكان الذى يأمن فيه الطير وإن كانوا جاءوا يطلبون بدم عثمان رضى الله عنه فما نحن بقتلة عثمان أطيعونى فى هؤلاء القوم فردوهم من حيث جاءوا فقام الأسود بن سريع السعدى فقال أوزعموا

أناقتلة عثمان رضى الله عنه فانما فزعوا إلينا يستعينوا بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا فإن كان القوم أخرجوا من ديارهم كما زعمت فمن يمنعهم من إخراجهم الرجال أو البلدان فحصبه الناس فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً ممن يقوم معهم فكسره ذلك وأقبلت عائشة رضى الله عنها فيمن معها حتى إذا انتهوا إلى المربد ودخلوا من أعلاه أمسكوا ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يخرج إليها ويكون معها فاجتمعوا بالمربد وجعلوا يثوبون حتى غص بالناس فتكلم طلحة وهو فى ميمنة المربد ومعه الزبير وعثمان فى ميسرته فأنصتوا له فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمان رضى الله عنه وفضله والبلد وما استحل منه وعظم ما أتى إليه ودعا إلى الطلب بدمه وقال إن فى ذلك إعزاز دين الله عز وجل وسلطانه وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم فانه حد من حدود الله وإنكم إن فعلتم أصبتم وعاد أمركم إليكم وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ولم يكن لكم نظام فتكلم الزبير بمثل ذلك فقال من فى ميمنة المربد صدقا وبرا وقالا الحق وأمرا بالحق وقال من فى ميسرته فجرا وغدرا وقالا الباطل وأمرا به قد بايعا ثم جاآ يقولان ما يقولان وتحاثى الناس وتحاصبوا وأرهجوا فتكلمت عائشة وكانت جهورية يعلو صوتها كثرة كأنه صوت امرأة جليلة فحمدت الله جل وعز وأثنت عليه وقالت كان الناس يتجنون على عثمان رضى الله عنه ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ويرون حسنا من كلامنا فى صلاح بينهم فننظر فى ذلك فنجده بريا تقيا وفيا ونجدهم فجرة كذبة يحاولون غير ما يظهرون فلما قووا على المكاثرة كاثروه فاقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والمال الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر ألا إن مما ينبغى لا ينبغى لكم غيره أخذ قتلة عثمان رضى الله عنه وإقامة كتاب الله عز وجل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ـ الآية) فافترق أصحاب عثمان ابن حنيف فرقتين فقالت فرقة صدقت والله وبرت وجاءت والله بالمعروف وقال الآخرون كذبتم والله ما نعرف ما تقولون فتحاثوا وتحاصبوا وأرهجوا فلما رأت

ذلك عائشة انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان حتى وقفوا فى المربد فى موضع الدباغين وبقى أصحاب عثمان على حالهم يتدافعون حتى تحاجزوا ومال بعضهم إلى عائشة وبقى بعضهم مع عثمان على فم السكة وأتى عثمان بن حنيف فيمن معه حتى إذا كانوا على فم السكة سكة المسجد عن يمين الدباغين استقبلوا الناس فأخذوا عليهم بفمها (وفيها) ذكر نصر بن مزاحم عن سيف عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد قال وأقبل جارية بن قدامة السعدى فقال ياأم المؤمنين والله لقتلُ عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك إنه من رأى قتالك فانه يرى قتلك إن كنت أتيتنا طائعة فارجعى إلى منزلك وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعينى بالناس قال فخرج غلام شاب من بنى سعد إلى طلحة والزبير فقال أما أنت يازبير فحوارىّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما أنت ياطلحة فوقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدك وأرى أمّكما معكما فهل جئتما بنسائكما قالا لا قال فما أنا منكما فى شىء واعتزل وقال السعدى فى ذلك

صُنْتُمْ حَلائِلَكم وقُدْتُمْ أمَّكُمْ هـذا لَعَمْرُكَ قِلَّةُ الإِنْصافِ
أُمِرَتْ بِجَرِّ ذيولها فى بَيتِها فهَوَتْ تَشُقُّ البيدَ بالإِيجافِ
غَرَضًا يُقاتِلُ دونَها أبْناؤها بالنَّبْلِ والخَطِّىِّ والأسيافِ
هُتِكَتْ بطَلْحة والزُّبَيْرِ سُتورُها هـذا المُخَبَّرُ عَنْهُمُ والكافى

وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة وكان محمد رجلا عابداً فقال أخبرنى عن قتلة عثمان فقال نعم دم عثمان ثلاثة أثلاث ثلث على صاحبة الهودج يعنى عائشة وثلث على صاحب الجمل الأحمر يعنى طلحة وثلث على علىّ بن أبى طالب وضحك الغلام وقال ألا أرانى على ضلال ولحق بعلى وقال فى ذلك شعراً

سَألْتُ ابْنَ طَلْحَةَ عَنْ هالِكٍ بِجَوْفِ المَدينَةِ لَمْ يُقْبَرِ
فقـال ثلاثة رَهْطٍ هُمُ أماتوا ابْنَ عَفّانَ واسْتَعْبِرِ
فثُلْثٌ على تِلْكَ فى خِدْرِها وثُلْثٌ على راكِبِ الأحْمَرِ

وثلث على ابْن أبى طالب ونَحْنُ بدَوِيّةٍ قَرْقَرِ
فقلْتُ صَدَقْتَ على الأوّليْن وأخْطَأْتَ فى الثالث الأزْهَرِ

(رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة) قال فخرج أبو الأسود وعمران وأقبل حكيم بن جبلة وقد خرج وهو على الخيل فانشب القتال وأشرع أصحاب عائشة رضى الله عنها رماحهم وأمسكوا ليمسكوا فلم ينته ولم يُثن فقاتلهم وأصحاب عائشة كافون إلا مادافعوا عن أنفسهم وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها ويقول إنها قريش لَيُردينَّها جبنها والطيش واقتتلوا على فم السكة وأشراف أهل الدور ممن كان له فى واحد من الفريقين هوى فرموا باقى الآخرين بالحجارة وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بنى مازن فوقفوا بها مليًا وثار إليهم الناس فحجز الليل بينهم فرجع عثمان إلى القصر ورجع الناس إلى قبائلهم وجاء أبو الجرباء أحد بنى عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم إلى عائشة وطلحة والزبير فاشار عليهم بأمثل من مكانهم فاستنصحوه وتابعوا رأيه فساروا من مقبرة بنى مازن فأخذوا على مسناة البصرة من قبل الجبانة حتى انتهوا إلى الزابوقة ثم أتوا مقبرة بنى حصن وهى متنحية إلى دار الرزق فباتوا يتأهبون وبات الناس يسيرون اليهم وأصبحوا وهم على رِجل فى ساحة دار الرزق وأصبح عثمان بن حنيف فغاداهم وغدا حكيم بن جبلة وهو يبربر وفى يده الرمح فقال له رجل من عبد القديس مَن هذا الذى تسب وتقول له ما أسمع قال عائشة قال يا ابن الخبيثة ألأمّ المؤمنين تقول هذا فوضع حكيم السنان بين ثدييه فقتله ثم مرّ بامرأة وهو يسبّها يعنى عائشة فقالت من هذا الذى ألجأك إلى هذا قال عائشة قالت يا ابن الخبيثة ألأمّ المؤمنين تقول هذا فطعنها بين ثدييها فقتلها ثم سار فلما اجتمعوا واقفوهم فاقتتلوا بدار الرزق قتالا شديداً من حين بزغت الشمس إلى أن زال النهار وقد كثر القتلى فى أصحاب ابن حنيف وفشت الجراحة فى الفريقين ومنادى عائشة يناشدهم ويدعوهم إلى الكفّ فيأبون حتى إذا مسهم الشرّ وعضهم نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح والمتات فأجابوهم وتواعدوا وكتبوا بينهم كتابا على أن يبعثوا رسولا إلى المدينة وحتى يرجع الرسول

من المدينة فان كانا أكرها خرج عثمان عنهما وأخلى لهما البصرة وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير * بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اصطلح عليه طلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين أن عثمان يقيم حيث أدركه الصلح على ما فى يده وأن طلحة والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما فى أيديهما حتى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن سُور من المدينة ولا يضارّ واحد من الفريقين الآخر فى مسجد ولا سوق ولا طريق ولا فرصة بينهم عيْبة مفتوحة حتى يرجع كعب بالخبر فان رجع بأن القوم أكرهوا طلحة والزبير فالأمر أمرهما وإن شاء عثمان خرج حتى يلحق بطِيَّته وإن شاء دخل معهما وإن رجع بأنهما لم يكرها فالأمر أمر عثمان فان شاء طلحة والزبير أقاما على طاعة علىّ وإن شاء خرجا حتى يلحقا بطيتهما والمؤمنون أعوان الفالح منهما فخرج كعب حتى يقدم المدينة فاجتمع الناس لقدومه وكان قدومه يوم جمعة فقام كعب فقال يا أهل المدينة إنى رسول أهل البصرة اليكم أأكرَهَ هؤلاء القوم هذين الرجلين على بيعة علىّ أم أتياها طائعين فلم يجبه أحد من القوم إلا ما كان من أسامة بن زيد فانه قام فقال اللهم إنهم لم يبايعا إلا وهما كارهان فأمر به تمام فواثبه سهل بن حنيف والناس وثار صهيب بن سنان وأبو أيوب بن زيد فى عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم محمد ابن مسلمة حين خافوا أن يُقتل أسامة فقال اللهم نعم فانفرجوا عن الرجل فانفرجوا عنه وأخذ صهيب بيده حتى أخرجه فأدخله منزله وقال قد علمت أن أمّ عامر حامقة أما وَسِعك ما وسعنا من السكوت قال لا والله ما كنت أرى أن الأمر يترامى الى ما رأيت وقد أبسلنا العظيم فرجع كعب وقد اعتد طلحة والزبير فيما بين ذلك بأشياء كلها كانت مما يعتد به منها أن محمد بن طلحة وكان صاحب صلاة قام مقاما قريباً من عثمان بن حنيف فخشى بعض الزُّط والسيابجة أن يكون جاء لغير ما جاء له فنحَّياه فبعثا إلى عثمان هذه واحدة وبلغ علياً الخبر الذى كان بالمدينة من ذلك فبادر بالكتاب إلى عثمان يعجزه ويقول والله ما أكرها

إلا كرهاً على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل فان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا فقدم الكتاب على عثمان بن حنيف وقدم كعب فارسلوا إلى عثمان أن اخرج عنا فاحتج عثمان بالكتاب وقال هذا أمر آخر غير ما كنا فيه فجمع طلحة والزبير الرجال فى ليلة مظلمة باردة ذات رياح وندى ثم قصد المسجد فوافقا صلاة العشاء وكانوا يؤخرونها فأبطأ عثمان بن حنيف فقدما عبد الرحمن بن عتاب فشهر الزط والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم فأقبلوا عليهم فاقتتلوا فى المسجد وصبروا لهم فأناموهم وهم أربعون وأدخلوا الرجال على عثمان ليخرجوه اليهما فلما وصل اليهما توطؤوه وما بقيت فى وجهه شعرة فاستعظما ذلك وأرسلا إلى عائشة بالذى كان واستطلعا رأيها فأرسلت اليهما أن خلوا سبيله فليذهب حيث شاء ولا تحبسوه فاخرجوا الحرس الذين كانوا مع عثمان فى القصر ودخلوه وقد كانوا يعتقبون حرس عثمان فى كل يوم وفى كل ليلة أربعون فصلى عبد الرحمن بن عتاب بالناس العشاء والفجر وكان الرسول فيما بين عائشة وطلحة والزبير هو أتاها بالخبر وهو رجع اليهما بالجواب فكان رسول القوم ❊ حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن عن أبى مخنف عن يوسف بن يزيد عن سهل بن سعد قال لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها فى أمره قالت اقتلوه فقالت لها امرأة نشدتك بالله يا أم المؤمنين فى عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ردوا أباناً فردوه فقالت احبسوه ولا تقتلوه قال لو علمتُ أنك تدعينى لهذا لم أرجع فقال لهم مجاشع بن مسعود اضربوه وانتفوا شعر لحيته فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه ❊ حدثنى احمد بن زهير قال حدثنا أبى قال حدثنى وهب بن جرير ابن حازم قال سمعت يونس بن يزيد الأيلى عن الزهرى قال بلغنى انه لما بلغ طلحة والزبير منزل على بذى قار انصرفوا الى البصرة فأخذوا على المنكدر فسمعت عائشة رضى الله عنها نباح الكلاب فقالت أى ماء هذا فقالوا الحوأب فقالت إنا لله وإنا اليه راجعون انى لهيه قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه ليت شعرى

أيتكن تنبحها كلاب الحوأب فارادت الرجوع فأتاها عبد الله بن الزبير فزعم انه قال كذب من قال إن هذا الحوأب ولم يزل حتى مضت فقدموا البصرة وعليها عثمان ابن حنيف فقال لهم عثمان مانقمتم على صاحبكم فقالوا لم نره أولى بها منا وقد صنع ماصنع قال فإن الرجل أمرنى فأكتب إليه فأعلمه ماجئتم له على أن أصلى بالناس حتى يأتينا كتابه فوقفوا عليه وكتب فلم يلبث إلا يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه بالزابوقه عند مدينة الرزق فظهروا وأخذوا عثمان فأرادوا قتله ثم خشوا غضب الأنصار فنالوه فى شعره وجسده فقام طلحة والزبير خطيبين فقالا ياأهل البصرة توبة بحوبة إنما أردنا أن يستعتب أمير المؤمنين عثمان ولم نرد قتله فغلب سفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه فقال الناس لطلحة ياأبا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا فقال الزبير فهل جاءكم منى كتاب فى شأنه ثم ذكر قتل عثمان رضى الله عنه وما أتى إليه وأظهر عيب علىّ فقام إليه رجل من عبد القيس فقال أيها الرجل أنصت حتى نتكلم فقال عبد الله بن الزبير ومالك وللكلام فقال العبدى يامعشر المهاجرين أنتم أول من أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لكم بذلك فضل ثم دخل الناس فى الإسلام كما دخلتم فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعتم رجلا منكم والله ما استأمرتمونا فى شىء من ذلك فرضينا واتبعناكم فجعل الله عز وجل للمسلمين فى إمارته بركة ثم مات رضى الله عنه واستخلف عليكم رجلا منكم فلم تشاورونا فى ذلك فرضينا وسلمنا فلما توفى الأمير جعل الأمر إلى ستة نفر فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منا ثم أنكرتم من ذلك الرجل شيئا فقتلتموه عن غير مشورة منا ثم بايعتم عليا عن غير مشورة منا فما الذى نقمتم عليه فنقاتله هل استأثر بفىء أو عمل بغير الحق أو عمل شيئا تنكرونه فنكون معكم عليه وإلا فما هذا فهموا بقتل ذلك الرجل فقام من دونه عشيرته فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه فقتلوا سبعين رجلا (رجع الحديث) إلى حديث سيف عن محمد وطلحة * قالا فأصبح طلحة والزبير وبيت المال والحرس فى أيديهما والناس معهما ومن لم يكن معهما مغمور مستسر وبعثا حين أصبحا

بأن حكيما فى الجمع فبعثت لا تحبسا عثمان ودعاه ففعلا فخرج عثمان فمضى لطلبته وأصبح حكيم بن جبلة فى خيله على رجل فيمن تبعه من عبد القيس ومن نزع إليهم من أفناء ربيعة ثم وجهوا نحو دار الرزق وهو يقول لست بأخيه إن لم أنصره وجعل يشتم عائشة رضى الله عنها فسمعته امرأة من قومه فقالت يا ابن الخبيثة أنت أولى بذلك فطعنها فقتلها فغضبت عبد القيس إلا من كان اغتمر منهم فقالوا فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم والله لندعنك حتى يقيدك الله فرجعوا وتركوه والضى عثمان بن حنيف فيمن غزا معه عثمان بن عفان وحصره من نزاع القبائل كلها وعرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة فاجتمعوا إليه فانتهى بهم إلى الزابوقة عند دار الرزق وقالت عائشة لا تقتلوا إلا من قاتلكم ونادوا من لم يكن من قتلة عثمان رضى الله عنه فيكفف عنا فإنا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا نبدأ أحداً فأنشب حكيم القتال ولم يرع للمنادى فقال طلحة والزبير الحمد لله الذى جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة اللهم لا تبق منهم أحداً وأقد منهم اليوم فاقتلهم فجادوهم القتال فاقتتلوا أشد قتال ومعه أربعة قوادفكان حكيم بحيال طلحة وذريح بحيال الزبير وابن المحرش بحيال عبد الرحمن بن عتاب وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فزحف طلحة لحكيم وهو فى ثلثمائة رجل وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول

أَضْرِبُهُمْ باليابِسِ ضَرْبَ غُلامٍ عابِسِ
منَ الحياةِ آيِسِ فى الغُرُفاتِ نافِسِ

فضرب رجل رِجله فقطعها فحبا حتى أخذها فرمى بها صاحبه فأصاب جسده فصرعه فأتاه حتى قتله ثم اتكأ عليه وقال

يا فَخِذِ لن تُراعى إنَّ مَعى ذِراعى أَحْمى بها كُراعى

وقال وهو يرتجز

ليس عَلَىَّ أنْ أَمُوتَ عارُ والعارُ فى الناس هو الفِرارُ
والمَجْدُ لا يَفْضَحُهُ الدَّمارُ

فأتى عليه رجل وهو رثيث رأسه على آخر فقال مالك ياحكيم قال قتلت من قتلك قال وسادتى فاحتمله فضمه فى سبعين من أصحابه فتكلم يومئذ حكيم وإنه لقائم على رجل وإن السيوف لتأخذهم فما يتعتع ويقول إنا خلفنا هذين وقد بايعا علياً وأعطياه الطاعة ثم أقبلا مخالفين محاربين يطلبان بدم عثمان بن عفان ففرقا بيننا ونحن أهل دار وجوار اللهم إنهما لم يريدا عثمان فنادى مناديا خبيث جزعت حين عضك نكال الله عز وجل إلى كلام من نصبك وأصحابك بما ركبتم من الإمام المظلوم وفرقتم من الجماعة وأصبتم من الدماء ونلتم من الدنيا فذق وبال الله عز وجل وانتقامه وأقيموا فيمن أنتم وقتل ذريح ومن معه وأفلت حرقوص بن زهير فى نفر من أصحابه فلجأوا إلى قومهم ونادى منادى الزبير وطلحة بالبصرة ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم فجىء بهم كما يجاء بالكلاب فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً إلا حرقوص بن زهير فإن بنى سعد منعوه وكان من بنى سعد فمسهم فى ذلك أمر شديد وضربوا لهم فيه أجلا وخشنوا صدور بنى سعد وإنهم لعثمانية حتى قالوا نعتزل وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الوقعة ومن كان هرب إليهم إلى ماهم عليه من لزوم وطاعة على فأمر للناس بأعطياتهم وأرزاقهم وحقوقهم وفضلا بالفضل أهل السمع والطاعة فخرجت عبد القيس وكثير من بكر بن وائل حين زووا عنهم الفضول فبادروا إلى بيت المال وأكب عليهم الناس فأصابوا منهم وخرج القوم حتى نزلوا على طريق على وأقام طلحة والزبير ليس معهما بالبصرة ثأر إلا حرقوص وكتبوا إلى أهل الشأم بما صنعوا وصاروا إليه إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده فى الشريف والوضيع والكثير والقليل حتى يكون الله عز وجل هو الذى يردنا عن ذلك فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم وخالفنا شرارهم ونزاعهم فردونا بالسلاح وقالوا فيما قالوا نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة أمير المؤمنين فخرجوا إلى مضاجعهم فلم يفلت

منهم مخبر إلا حرقوص بن زهير والله سبحانه مُقيده إن شاء الله وكانوا كما وصف الله عز وجل وإنا نناشدكم الله فى أنفسكم إلا نهضتم بمثل مانهضنا به فنلقى الله عز وجل وتلقونه وقد أعذرنا وقضينا الذى علينا وبعثوا به مع سيَّار العجلى وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثله مع رجل من بنى عمرو بن أسد يدعى مظفر بن معرّض وكتبوا إلى أهل اليمامة وعليها سبرة بن عمرو العنبرى مع الحارث السَّدوسى وكتبوا إلى أهل المدينة مع ابن قدامة القشيرى فدسه إلى أهل المدينة وكتبت عائشة رضى الله عنها إلى أهل الكوفة مع رسولهم أما بعد فإنى أذكركم الله عز وجل والإسلام أقيموا كتاب الله بإقامة مافيه اتقوا الله واعتصموا بحبله وكونوا مع كتابه فانا قدمنا البصرة فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده فأجابنا الصالحون إلى ذلك واستقبلنا من لا خير فيه بالسلاح وقالوا لنتبعنكم عثمان ليزيدوا الحدود تعطيلا فعاندوا فشهدوا علينا بالكفر وقالوا لنا المنكر فقرأنا عليهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فأذعن لى بعضهم واختلفوا بينهم فتركناهم وذلك فلم يمنع ذلك من كان منهم على رأيه الأول من وضع السلاح فى أصحابى وعزم عليهم عثمان بن حنيف إلا قاتلونى حتى منعنى الله عز وجل بالصالحين فرد كيدهم فى نحورهم فمكثنا ستاً وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حدوده وهو حقن الدماء أن تهراق دون من قد حلّ دمه فأبوا واحتجوا بأشياء فاصطلحنا عليها فخافوا وغدروا وخانوا وحشروا فجمع الله عز وجل لعثمان رضى الله عنه ثأرهم فأقادهم فلم يفلت منهم إلا رجل وأردأنا الله ومنعنا منهم بعمير بن مرثد ومرثد بن قيس ونفر من قيس ونفر من الرباب والأزد فالزموا الرضى إلا عن قتلة عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقه ولا تخاصموا عن الخائنين ولا تمنعوهم ولا ترضوا بذوى حدود الله فتكونوا من الظالمين فكتبت إلى رجال بأسمائهم فثبطوا الناس عن منع هؤلاء القوم ونُصرتهم واجلسوا فى بيوتكم فان هؤلاء القوم لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفان رضى الله عنه وفرقوا بين جماعة الأمة وخالفوا الكتاب والسنة حتى شهدوا علينا فيما أمرناهم به وحثثناهم عليه من إقامة كتاب الله وإقامة حدوده

بالكفر وقالوا لنا المنكر فأنكر ذلك الصالحون وعظموا ماقالوا وقالوا امارضيتم أن قتلتم الإمام حتى خرجتم على زوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم أن أمرتكم بالحق لتقتلوها وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة المسلمين فعزموا وعثمان بن حنيف معهم على من أطاعهم من جهال الناس وغوغائهم على زُطهم وسيابجهم فلُذنا منهم بطائفة من الفسطاط فكان ذلك الدأب ستة وعشرين يوماً ندعوهم إلى الحق وألا يحولوا بيننا وبين الحق فغدروا وخانوا فلم نقايسهم واحتجوا ببيعة طلحة والزبير فأبردوا بريداً فجاءهم بالحجة فلم يعرفوا الحق ولم يصبروا عليه فغادونى فى الغَلس ليقتلونى والذى يحاربهم غيرى فلم يبرحوا حتى بلغوا سدة بيتى ومعهم هاد يهديهم إلىّ فوجدوا نفراً على باب بيتى منهم عمير بن مرثد ومرثد بن قيس ويزيد بن عبد الله بن مرثد ونفر من قيس ونفر من الرباب والأزد فدارت عليهم الرحى فأطاف بهم المسلمون فقتلوهم وجمع الله عز وجل كلمة أهل البصرة على ما أجمع عليه الزبير وطلحة فإذا قتلنا بثأرنا وسعنا العذر وكانت الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ٣٦ وكتب عبيد بن كعب فى جمادى ❊ حدثنا عمر ابن شبة قال حدثنا أبو الحسن عن عامر بن حفص عن أشياخه قال ضرب عنق حكيم بن جبلة رجل من الحدان يقال له ضخيم فمال رأسه فتعلق بجلده فصار وجهه فى قفاه ❊ قال ابن المثنى الحدانى الذى قتل حكيما يزيد بن الأسحم الحدانى وجد حكيم قتيلا بين يزيد بن الأسحم وكعب بن الأسحم وهما مقتولان ❊ حدثنى عمر قال حدثنى أبو الحسن قال حدثنا أبو بكر الهذلى عن أبى المليح قال لما قتل حكيم بن جبلة أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حنيف فقال ماشئتم أما إن سهل بن حنيف والٍ على المدينة وإن قتلتمونى انتصر فخلوا سبيله واختلفوا فى الصلاة فأمرت عائشة رضى الله عنها عبدالله بن الزبير فصلى بالناس وأراد الزبير أن يعطى الناس أرزاقهم ويقسم مافى بيت المال فقال عبد الله ابنه إن ارتزق الناس تفرقوا واصطلحوا على عبد الرحمن بن أبى بكر فصيروه على بيت المال ❊ حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن علىّ عن أبى بكر الهذلى عن الجارود ابن أبى سبرة قال لما كانت الليلة التى أخذفيها عثمان بن حنيف وفى رحبة مدينة

الرزق طعام يرتزقه الناس فأراد عبدالله أن يرزقه أصحابه وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان فقال لست أخاف الله إن لم أنصره فجاء فى جماعة من عبد القيس وبكر ابن وائل وأكثرهم عبد القيس فأتى ابن الزبير مدينة الرزق فقال مالك يا حكيم قال نريد أن نرتزق من هذا الطعام وأن تخلوا عثمان فيقيم فى دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم علىّ والله لو أجد أعوانا عليكم أخبطكم بهم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم ولقد أصبحتم وإن دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم من إخواننا أما تخافون الله عز وجل بم تستحلون سفك الدماء قال بدم عثمان ابن عفان رضى الله عنه قال فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان أما تخافون مقت الله فقال له عبد الله بن الزبير لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلى سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع عليا قال حكيم اللهم إنك حكم عدل فاشهد وقال لأصحابه إنى لست فى شك من قتال هؤلاء فمن كان فى شك فلينصرف وقاتلهم فاقتتلوا قتالا شديدا وضرب رجل ساق حكيم فقطعها فأخذ حكيم ساقه فرماه بها فأصاب عنقه فصرعه ووقذه ثم حبا اليه فقتله واتكأ عليه فمر به رجل فقال من قتلك قال وسادتى وقتل سبعون رجلا من عبدالقيس قال الهذلى قال حكيم حين قطعت رجله

أقولُ لَمَّا جَدَّ بى زِماعى ... لِلرِّجْلِ يا رِجلِىَ لن تُراعى
إنّ مَعى مِنْ نجْدَةٍ ذِراعى

قال عامر ومسلمة قتل مع حكيم ابنه الأشرف وأخوه الرعل بن جبلة * حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا المثنى بن عبد الله عن عوف الاعرابى قال جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما فى المسجد بالبصرة فقال نشدتكما بالله فى مسيركما أعهد اليكما فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقام طلحة ولم يجبه فناشد الزبير فقال لا ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها * حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا سليمان بن أرقم عن قتادة عن أبى عمرة مولى الزبير قال لما بايع أهل البصرة الزبير وطلحة قال الزبير ألا ألف فارس أسير بهم إلى علىّ فإما بيّته وإما صبّحته لعلّى أقتله قبل أن يصل الينا فلم يجبه أحد فقال إن هذه

هي الفتنة التي كنا نحدث عنها فقال له مولاه أتسميها فتنة وتقاتل فيها قال ويحك إنا نُبصر ولا نَبصُر ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر فإني لا أدري أمُقْبل أنا فيه أم مُدبر ❊ حدثني أحمد بن منصور قال حدثني يحيى بن معين قال حدثنا هشام بن يوسف قاضي صنعاء عن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير عن موسى بن عقبة عن علقمة بن وقاص الليثي قال لما خرج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم رأيت طلحة وأحب المجالس اليه أخلاها وهو ضارب بلحيته على زوره فقلت يا أبا محمد أرى أحب المجالس اليك أخلاها وأنت ضارب بلحيتك على زورك إن كرهت شيئاً فاجلس قال فقال لي يا علقمة بن وقاص بينا نحن يد واحدة على مَن سوانا إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه قال قلت فرد محمد بن طلحة فإن لك ضيعة وعيالا فإن يك شيء يخلفك فقال ما أحب أن أرى أحداً يخلف في هذا الأمر فأمنعه قال فأتيت محمد بن طلحة فقلت له لو أقمت فإن حدث به حدث كنت تخلفه في عياله وضيعته قال ما أحب أن أسأل الرجال عن أمره ❊ حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو مخنف عن مجالد ابن سعيد قال لما قدمت عائشة رضي الله عنها البصرة كتبتْ إلى زيد بن صوحان من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا على أمرنا هذا فإن لم تفعل فخذل الناس عن عليّ فكتب اليها من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فأنا ابنك الخالص ان اعتزلت هذا الأمر ورجعتِ إلى بيتك وإلا فأنا أول من نابذك قال زيد بن صوحان رَحِم الله أم المؤمنين امرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل فتركتْ ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه

ذكر الخبر عن مسير عليّ بن أبي طالب نحو البصرة

(مما كتب به إلى السري) أن شعيبا حدثه قال حدثنا سيف عن عبيدة بن معتب

عن يزيد الضخم قال لما أتى عليا الخبر وهو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزبير إنهم قد توجهوا نحو العراق خرج يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردهم فلما انتهى إلى الربذة أتاه عنهم إنهم قد أمعنوا فأقام بالربذة أياما وأتاه عن القوم انهم يريدون البصرة فسرّى بذلك عنه وقال إن أهل الكوفة أشد إلىّ حبا وفيهم رؤس العرب وأعلامهم فكتب اليهم انى قد اخترتكم على الأمصار وإنى بالأثرة ❁ حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن عن بشير بن عاصم عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال كتب علىّ إلى أهل الكوفة بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى اخترتكم والنزول بين أظهركم لما أعرف من مودتكم وحبكم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فمن جاءنى ونصرنى فقد أجاب الحق وقضى الذى عليه ❁ حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا حباب بن موسى عن طلحة بن الأعلم وبشير بن عاصم عن ابن أبى ليلى عن أبيه قالا بعث محمد بن أبى بكر إلى الكوفة ومحمد بن عون فجاء الناس إلى أبى موسى يستشيرونه فى الخروج فقال أبو موسى أما سبيل الآخرة فان تقيموا وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا وأنتم أعلم وبلغ المحمدين قول أبى موسى فبايناه وأغلظا له فقال أما والله إن بيعة عثمان رضى الله عنه فى عنقى وعنق صاحبكما الذى أرسلكما ان أردنا أن نقاتل لا نقاتل حتى لا يبقى أحد من قتلة عثمان إلا قُتل حيث كان وخرج علىّ من المدينة فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ٣٦ فقالت أخت علىّ بن عدى من بنى عبد العزى بن عبد شمس

لاهُمَّ فاعْقِرْ بِعَلِيّ جَمَلَهْ ولا تُبَارِكْ فى بعيرٍ حَمَلَهْ
أَلَا علىّ بنُ عَدِيٍّ ليس لَهْ

❁ حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن عن أبى مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبى قال لما نزل علىّ بالربذة أتته جماعة من طيىء فقيل لعلىّ هذه جماعة من طيىء قد أتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك قال جزى الله كلّا خيرا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ثم دخلوا عليه فقال علىّ ما شهدتمونا به قالوا شهدناك بكل ما تحب قال جزاكم الله خيرا فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين ووافيتم

بصدقاتكم المسلمين فنهض سعيد بن عبيد الطائى فقال يا أمير المؤمنين إن من الناس من يعبر لسانه عما فى قلبه وإنى والله ما كل ما أجد فى قلبى يعبر عنه لسانى وسأجهد وبالله التوفيق أما أنا فسأنصح لك فى السر والعلانية وأقاتل عدوك فى كل موطن وأرى لك من الحق مالا أراه لأحد من أهل زمانك لفضلك وقرابتك قال رحمك الله قد أدى لسانك عما يجن ضميرك فقتل معه بصفين رحمه الله (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قال لما قدم علىّ الربذة أقام بها وسرح منها إلى الكوفة محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر وكتب اليهم إنى اخترتكم على الأمصار وفزعت اليكم لما حدث فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا وأيدونا وانهضوا الينا فالاصلاح ما نريد لتعود الأمة إخوانا ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق وآثره ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه فمضى الرجلان وبقى علىّ بالربذة يتهيأ وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح وأمر أمره وقام فى الناس فخطبهم وقال إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد فجرى الناس على ذلك ماشاء الله الإسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم حتى أصيب هذا الرجل بأيدى هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة ألا إن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم فنعوذ بالله من شر ما هو كائن ثم عاد ثانية فقال إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تنتحلنى ولا تعمل بعملى فقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهدوا بهدى نبيكم صلى الله عليه وسلم واتبعوا سنته واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وارضوا بالله جل وعز ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن حكما وإماما (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما أراد علىّ الخروج من الربذة إلى البصرة قام اليه ابن لرفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين أى شىء تريد وإلى أين تذهب بنا فقال أما الذى نريد وننوى فالاصلاح إن قبلوا منا وأجابونا اليه قال فان لم يجيبونا اليه

قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر قال فإن لم يرضوا قال ندعهم ماتركونا قال فإن لم يتركونا قال امتنعنا منهم قال فنعم إذاً وقام الحجاج بن غزية الأنصارى فقال لأرضينك بالفعل كما أرضيتنى بالقول وقال

دَرَاكِها دَرَاكِهَا قَبْلَ الفَوْت   وانفِر بنا واسْمُ بنا نحْوَ الصَّوْت

لا وَأَلَتْ نَفْسِيَ إنْ هِبْتُ المَوْت

والله لأنصرنّ الله عز وجل كما سمانا أنصارا فخرج أمير المؤمنين وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح والراية مع محمد بن الحنفية وعلى الميمنة عبد الله بن عباس وعلى الميسرة عمر بن أبى سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد وخرج علىّ وهو فى سبعمائة وستين وراجز علىّ يرجز به

سيروا أبابيلَ وحُثّوا السَّيْرا   إذ عَزَمَ السَّيْرَ وقولوا خَيْرا

حتّى يُلاقوا وتُلاقوا خَيْرا   نَغزو بها طَلْحَةَ والزُّبَيْرا

وهو أمام أمير المؤمنين وأمير المؤمنين علىّ على ناقة له حمراء يقود فرساً كميتاً فتلقاهم بفيد غلام من بنى سعد بن ثعلبة بن عامر يدعى مرة فقال من هؤلاء فقيل أمير المؤمنين فقال سفرة فانية فيها دماء من نفوس فانية فسمعها على فدعاه فقال مااسمك قال مرة قال أمر الله عيشك كاهن سائر القوم قال بل عائف فلما نزل بفيد أتته أسد وطيّ فعرضوا عليه أنفسهم فقال الزموا قراركم فى المهاجرين كفاية وقدم رجل من أهل الكوفة فيد قبل خروج علىّ فقال من الرجل قال عامر بن مطر قال الليثى قال قال الشيبانى أخبرنى عما وراءك قال فأخبره حتى سأله عن أبى موسى فقال إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك وإن أردت القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك قال والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا قال قد أخبرتك الخبر وسكت وسكت على ❊ حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن عن أبى محمد عن عبد الله بن عمير عن محمد بن الحنفية قال قدم عثمان بن حنيف على علىّ بالربذة وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه فقال ياأمير المؤمنين بعثتنى ذا لحية وجئتك أمرد قال أصبت أجرا وخيرا إن الناس وليهم قبلى رجلان فعملا بالكتاب ثم وليهم ثالث فقالوا

وفعلوا ثم بايعونى وبايعنى طلحة والزبير ثم نكثا بيعتى وألبا الناس علىّ ومن العجب انقيادهما لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما وخلافهما علىّ والله إنهما ليعلمان أنى لست بدون رجل ممن قد مضى اللهم فاحلل ما عقدا ولا تبرم ما قد أحكما فى أنفسهما وأرهما المساءة فيما قد عملا (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا ولما نزل علىّ الثعلبية أتاه الذى لقى عثمان بن حنيف وحرسه فقام وأخبر القوم الخبر وقال اللهم عافنى مما ابتليت به طلحة والزبير من قتل المسلمين وسلمنا منهم أجمعين ولما انتهى إلى الأساد أتاه ما لقى حكيم بن جبلة وقتلة عثمان ابن عفان رضى الله عنه فقال الله أكبر ما ينجينى من طلحة والزبير إذ أصابا ثأرهما أو ينجيهما وقرأ (مَاأَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) وقال

دَعا حُكَيْمٌ دَعوَةَ الزِّماعِ حَلَّ بها مَنزِلَةَ النِّزاعِ

ولما انتهوا إلى ذى قار انتهى اليه فيها عثمان بن حنيف وليس فى وجهه شعر فلما رآه على نظر إلى أصحابه فقال انطلق هذا من عندنا وهو شيخ فرجع الينا وهو شاب فلم يزل بذى قار يتلوم محمدا ومحمدا وأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس ونزولهم بالطريق فقال عبد القيس خير ربيعة فى كل ربيعة خير وقال

يالَهفَ نَفسِىَ على رَبيعَهْ رَبيعَةَ السامِعَةِ المُطيعَهْ
قد سَبَقَتنى فيهِمُ الوَقيعَهْ دَعا عَلِىٌّ دَعوةً سَميعَهْ
حَلّوا بها المَنْزِلَةَ الرَّفيعَهْ

قال وعرضت عليه بكر بن وائل فقال لهم مثل ما قال لطيئ وأسد ولما قدم محمد ومحمد على الكوفة وأتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين وقاما فى الناس بأمره فلم يجابا إلى شىء فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجى على أبى موسى فقالوا ما ترى فى الخروج فقال كان الرأى بالأمس ليس باليوم ان الذى تهاونتم به فيما مضى هو الذى جر عليكم ما ترون وما بقى إنما هما أمران القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا فاختاروا فلم ينفر اليه أحد فغضب الرجلان وأغلظا

لأبي موسى فقال أبو موسى واللّه ان بيعة عثمان رضى اللّه عنه لفى عنقى وعنق صاحبكما فإن لم يكن بد من قتال لا نقاتل أحدا حتى يُفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا فانطلقا إلى على فوافياه بذى قار وأخبراه الخبر وقد خرج مع الأشتر وقد كان يعجل إلى الكوفه فقال على يا أشتر أنت صاحبنا فى أبى موسى والمعترض فى كل شىء اذهب أنت وعبد اللّه بن عباس فأصلح ما أفسدت فخرج عبد اللّه بن عباس ومعه الأشتر فقدما الكوفة وكلما أبا موسى واستعانا عليه بأناس من الكوفة فقال للكوفيين أنا صاحبكم يوم الجرعة وأنا صاحبكم اليوم فجمع الناس فخطبهم وقال يا أيها الناس إن أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم الذين صحبوه فى المواطن أعلم باللّه جل وعز وبرسوله صلى اللّه عليه وسلم ممن لم يصحبه وإن لكم علينا حقا فأنا مؤديه اليكم كان الرأى ألا تستخفوا بسلطان اللّه عز وجل ولا تجترئوا على اللّه عز وجل وكان الرأى الثانى أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم اليها حتى يجتمعوا وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ولا تكلفوا الدخول فى هذا فأما إذ كان ما كان فإنها فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب فكونوا جرثومة من جراثيم العرب فأغمدوا السيوف وانصلوا الأسنة واقطعوا الأوتار وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلى هذه الفتنة ﴿كتب إلى السرى﴾ عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا ولما رجع ابن عباس الى على بالخبر دعا الحسن بن على فأرسله فأرسل معه عمار بن ياسر فقال له انطلق فأصلح ما أفسدت فأقبلا حتى دخلا المسجد فكان أول من أتاهما مسروق بن الأجدع فسلم عليهما وأقبل على عمار فقال يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان رضى اللّه عنه قال على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا فقال واللّه ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيرا للصابرين فخرج أبو موسى فلقى الحسن فضمه إليه وأقبل على عمار فقال يا أبا اليقظان أعدوت فيمن عدا على أمير المؤمنين فأحللت نفسك مع الفجار فقال لم أفعل ولِمَ تسوؤنى وقطع عليهما الحسن فأقبل على أبى موسى فقال يا أبا موسى لم تثبط الناس عنا فواللّه ما أردنا

إلا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء فقال صدقت بأبي أنت وأمي ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب وقد جعلنا الله عز وجل إخوانا وحرم علينا أموالنا ودماءنا وقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) وقال جل وعز (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) الآية فغضب عمار وساءه وقام وقال يا أيها الناس إنما قال له خاصةً أنت فيها قاعدا خير منك قائما وقام رجل من بني تميم فقال لعمار اسكت أيها العبد أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا وثار زيد بن صوحان وطبقته وثار الناس وجعل أبو موسى يكفكف الناس ثم انطلق حتى أتى المنبر وسكن الناس وأقبل زيد على حمار حتى وقف بباب المسجد ومعه الكتابان من عائشة رضى الله عنها اليه وإلى أهل الكوفة وقد كان طلب كتاب العامة فضمه إلى كتابه فأقبل بهما ومعه كتاب الخاصة وكتاب العامة أما بعد فثبطوا أيها الناس واجلسوا في بيوتكم إلا عن قتلة عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما فرغ من الكتاب قال أمرتْ بأمر وأمرنا بأمر: أمرت أن تقر في بيتها فأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة فأمرتنا بما أمرت به وركبت ما أمرنا به فقام اليه شبَث بن ربعي فقال ياعماني وزيد من عبد القيس عمان وليس من أهل البحرين سرقت بجلولاء فقطعك الله وعصيت أم المؤمنين فقتلك الله ماأمرتْ إلا بما أمر الله عز وجل به بالإصلاح بين الناس فقلت ورب الكعبة وتهاوى الناس وقام أبو موسى فقال أيها الناس أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوي اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بما سمعنا إن الفتنة إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت بينت وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن تجرى بها الشمال والجنوب والصبا والدبور فتسكن أحيانا فلا يدرى من أين تؤتى تذر الحليم كابن أمس شيموا سيوفكم وقصّدوا رماحكم وأرسلوا سهامكم واقطعوا أوتاركم والزموا بيوتكم

خلوا قريشا إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالإمرة ترتق فتقها وتشعَب صدعها فإن فعلت فلأنفسها سعت وإن أبت فعلى أنفسها منَت سمنها تهريق فى أديمها استنصحونى ولا تستغشونى وأطيعونى يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشقى بحر هذه الفتنة من جناها فقام زيد فشال يده المقطوعة فقال ياعبد الله بن قيس رد الفرات عن دراجه اردده من حيث يجىء حتى يعود كما بدأ فإن قدرت على ذلك فستقدر على ماتريد فدع عنك مالست مدركه ثم قرأ «الم أحسب الناس أن يتركوا» إلى آخر الآيتين سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين وانفروا اليه أجمعين تصيبوا الحق فقام القعقاع بن عمرو فقال إنى لكم ناصح وعليكم شفيق أحب أن ترشدوا ولأقولن لكم قولا هو الحق أما ماقال الأمير فهو الأمر لو أن اليه سبيلا وأما ماقال زيد فزيد فى هذا الأمر فلا تستنصحوه فانه لاينتزع أحد من الفتنة طعن فيها وجرى اليها والقول الذى هو القول أنه لابد من إمارة تنظم الناس وتزَع الظالم وتعز المظلوم وهذا على يلى بما ولى وقد أنصف فى الدعاء وإنما يدعو إلى الإصلاح فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع وقال سيحان أيها الناس إنه لابد لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز المظلوم ويجمع الناس وهذا واليكم يدعوكم لينُظر فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الأمة الفقيه فى الدين فمن نهض اليه فإنا سائرون معه ولان عمار بعد نزوته الأولى فلما فرغ سيحان من خطبته تكلم عمار فقال هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنفركم إلى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى طلحة والزبير وإنى أشهد أنها زوجته فى الدنيا والآخرة فانظروا ثم انظروا فى الحق فقاتلوا معه فقال رجل ياأبا اليقظان لهو مع من شهدت له بالجنة على من لم تشهد له فقال الحسن اكفف عنا ياعمار فإن للإصلاح أهلا وقام الحسن بن على فقال ياأيها الناس أجيبوا دعوة أميركم وسيروا إلى إخوانكم فانه سيوجد لهذا الأمر من ينفر اليه والله لأن يليه أولوا النهى أمثل فى العاجلة وخير فى العاقبة فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم فسامح الناس وأجابوا ورضوا به وأتى قوم من

طيء عديا فقالوا ماذا ترى وماذا تأمر فقال ننتظر مايصنع الناس فأخبر بقيام الحسن وكلام من تكلم فقال قد بايعنا هذا الرجل وقد دعانا إلى جميل وإلى هذا الحدث العظيم لننظر فيه ونحن سائرون وناظرون وقام هند بن عمرو فقال إن أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل الينا رسله حتى جاءنا ابنه فاسمعوا إلى قوله وانتهوا إلى أمره وانفروا إلى أميركم فانظروا معه فى هـذا الأمر وأعينوه برأيكم وقام حجر بن عدى فقال أيها الناس أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خفافا وثقالا مروا أنا أولكم وقام الأشتر فذكر الجاهلية وشدتها والإسلام ورخاءه وذكر عثمان رضى الله عنه فقام اليه المقطع بن الهيثم بن فجيع العامرى ثم البكائى فقال اسكت قبحك الله كلب خُلى والنباح فثار الناس فاجلسوه وقام المقطع فقال إنا والله لانحتمل بعدها أن يبوء أحد بذكر أحد من أئمتنا وإن علينا عندنا لمَقْنع والله لئن يكن هذا الضرب لايرضى بعلى فعض امرؤ على لسانه فى مشاهدنا فاقبلوا على ما أحثاكم فقال الحسن صدق الشيخ وقال الحسن أيها الناس إنى غاد فمن شاء منكم أن يخرج معى على الظهر ومن شاء فليخرج فى المـاء فنفر معه تسعة آلاف فأخذ بعضهم البر وأخذ بعضهم المـاء وعلى كل سبع رجل أخذ البر ستة آلاف ومائتان وأخذ الماء ألفان وثمانمائة ﴿وفيما﴾ ذكر نصر بن مزاحم العطار عن عمر بن سعيد عن أسد ابن عبد الله عمن أدرك من أهل العلم أن عبدخير الخيوانى قام إلى أبى موسى فقال ياأبا موسى هل كان هذان الرجلان يعنى طلحة والزبير ممن بايع عليا قال نعم قال هل أحدث حدثا يحل به نقض بيعته قال لاأدرى قال لادريت فانا تاركوك حتى تدرى ياأبا موسى هل تعلم أحدا خارجا من هذه الفتنة التى تزعم أنها هى فتنة إنما بقى أربع فرق على بظهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية بالشأم وفرقة أخرى بالحجاز لايجبى بها فىء ولا يقاتل بها عدو فقال له أبو موسى أولئك خير الناس وهى فتنة فقال له عبدخير ياأباموسى غلب عليك غشك قال وقد كان الأشتر قام إلى على فقال ياأمير المؤمنين إنى قد بعثت إلى أهل الكوفة رجلا قبل هذين فلا أراه أحكم شيئا ولا قدر عليه وهذان أخلق من بعثت أن ينشب بهم الأمر على

ماتحب ولست أدرى مايكون فان رأيت أكرمك الله ياأمير المؤمنين أن تبعثنى فى أثرهم فان أهل المصر أحسن شىء لى طاعة وإن قدمت عليهم رجوت أن لايخالفنى منهم أحد فقال له علىّ الحق بهم فأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس فى المسجد الأعظم فجعل لايمر بقبيلة يرى فيها جماعة فى مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول اتبعونى إلى القصر فانتهى إلى القصر فى جماعة من الناس فاقتحم القصر فدخله وأبو موسى قائم فى المسجد يخطب الناس ويثبطهم يقول أيها الناس إن هذه فتنة عمياء صماء تطأ خطامها النائم فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى والساعى فيها خير من الراكب إنها فتنة باقرة كداء البطن أتتكم من قبل مأمنكم تدع الحليم فيها حيران كابن أمس إنا معاشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اعلم بالفتنة إنها إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت أسفرت وعمار يخاطبه والحسن يقول له اعتزل عملنا لاأم لك وتنح عن منبرنا وقال له عمار أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو موسى هذه يدى بما قلت فقال له عمار إنما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خاصة فقال أنت فيها قاعدا خير منك قائما ثم قال عمار غلب الله من غالبه وجاحده * قال نصر بن مزاحم حدثنا عمر بن سعيد قال حدثنى رجل عن نعيم عن أبى مريم الثقفى قال والله إنى لفى المسجد يومئذ وعمار يخاطب أبا موسى ويقول له ذلك القول إذ خرج علينا غلمان لأبى موسى يشتدون ينادون ياأبا موسى هذا الاشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا فنزل أبو موسى فدخل القصر فصاح به الاشتر اخرج من قصرنا لاأم لك أخرج الله نفسك فوالله إنك لمن المنافقين قديما قال أجلنى هذه العشية فقال هى لك ولا تبيتن فى القصر الليلة ودخل الناس ينتهبون متاع أبى موسى فمنعهم الاشتر وأخرجهم من القصر وقال إنى قد أخرجته فكف الناس عنه

نزول أمير المؤمنين ذا قار

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبى قال لما

التقوا بذى قار تلقاهم على فى أناس فيهم ابن عباس فرحب بهم وقال ياأهل الكوفة أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم حتى صارت اليكم مواريثهم فأغنيتم حوزتكم وأعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذاك ما نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق وبايناهم حتى يبدأونا بظلم ولن ندع أمرا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله فاجتمع بذى قار سبعة آلاف ومائتان وعبد القيس بأسرها فى الطريق بين على وأهل البصرة ينتظرون مرور على بهم وهم آلاف وفى الماء ألفان وأربعمائة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة بإسنادهما قالا لما نزل على ذا قار أرسل ابن عباس والأشتر بعد محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر وأرسل الحسن بن على وعمارا بعد ابن عباس والأشتر نخف فى ذلك الأمر جميع من كان نفر فيه ولم يقدم فيه الوجوه اتباعهم فكانوا خمسة آلاف أخذ نصفهم فى البر ونصفهم فى البحر وخف من لم ينفر فيها ولم يعمل لها وكان على طاعتنا ملازما للجماعة فكانوا أربعة آلاف فكان رؤساء الجماعة القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند ابن عمرو والهيثم بن شهاب وكان رؤساء النفار زيد بن صوحان والأشتر مالك ابن الحارث وعدى بن حاتم والمسيب بن نجبة ويزيد بن قيس ومعهم أتباعهم وأمثال لهم ليسوا دونهم إلا أنهم لم يؤمروا منهم حجر بن عدى وابن محدوج البكرى وأشباه لهما لم يكن فى أهل الكوفة أحد على ذلك الرأى غيرهم فبادروا فى الوقعة إلا قليلا فلما نزلوا على ذى قار دعا القعقاع بن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال له الق هذين الرجلين ياابن الحنظلية وكان القعقاع من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة وقال له كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة منى فقال نلقاهم بالذى أمرت به فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأى اجتهدنا الرأى وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغى قال أنت لها فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة رضى الله عنها فسلم عليها وقال أى أمه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة قالت أى بنى إصلاح بين الناس قال

فابعثى إلى طلحة والزبير حتى تسمعى كلامى وكلامهما فبعثت اليهما فجاءا فقال إنى سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد فقالت اصلاح بين الناس فما تقولان أنتما أمتابعان أم مخالفان قالا متابعان قال فأخبرانى ما وجه هذا الإصلاح فوالله لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه لا نُصلح قالا قتلة عثمان رضى الله عنه فإن هذا ان ترك كان تركا للقرآن وان عمل به كان احياء للقرآن فقال قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة إلا رجلا فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم ذلك الذى أفلت يعنى حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف وهم على رجل فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون فان قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم فالذى حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون وأنتم أحميتم مضر وربيعة من هذه البلاد فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير فقالت أم المؤمنين فتقول أنت ماذا قال أقول هذا الأمر دواؤه التسكين وإذا سكن اختلجوا فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثأر هذا الرجل وعافية وسلامة لهذه الأمة وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا الثأر وبعثة الله فى هذه الأمة هزاهزها فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم وايم الله إنى لأقول هذا وأدعوكم إليه وإنى لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الأمة التى قل متاعها ونزل بها مانزل فان هذا الأمر الذى حدث أمر ليس يقدر وليس كالأمور ولا كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل فقالوا نعم إذاً قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع فان قدم علىّ وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر فرجع إلى علىّ فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه وأقبلت وفود البصرة نحو على حين نزل بذى قار فجاءت وفد تميم وبكر قبل رجوع القعقاع لينظروا مارأى إخوانهم من

أهل الكوفة وعلى أى حال نهضوا اليهم وليعلموهم أن الذى عليه رأيهم الإصلاح ولا يخطر لهم قتال على بال فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة بالذى بعثهم فيه عشائرهم من أهل البصرة وقال لهم الكوفيون مثل مقالتهم وأدخلوهم على على فأخبروه خبرهم سأل علىّ جرير بن شرس عن طلحة والزبير فأخبره عن دقيق أمرهما وجليله حتى تمثل له:

ألا أَبْلِغْ بَنِى بَكرٍ رَسولا فَلَيسَ إلى بَنى كَعبٍ سَبيلُ
سَيَرْجِعُ ظُلْمُكُمْ مِنكُمْ عَليكُمْ طَويلُ الساعِدَيْنِ له فُضولُ

وتمثل علىّ عندها:

أَلَمْ تَعْلَمْ أَبا سِمْعانَ أَنا نَرُدُّ الشَيْخَ مِثْلَكَ ذا الصُداعِ
ويَذْهَلُ عَقْلُهُ بالحَرْبِ حَتّى يَقومَ فَيَسْتَجيبَ لِغَيْرِ داعِ
فدافَعَ عن خُزاعَةَ جَمْعُ بَكْرٍ وما بك ياسُراقَةُ مِنْ دِفاعِ

(قال أبو جعفر) أخرج الى زياد بن أيوب كتابا فيه أحاديث عن شيوخ ذكر أنه سمعها منهم قرأ علىّ بعضها ولم يقرأ علىّ بعضها فمما لم يقرأ علىّ من ذلك فكتبته منه قال حدثنا مصعب بن سلام التميمى قال حدثنا محمد بن سوقة عن عاصم بن كليب الجرمى عن أبيه قال رأيت فيما يرى النائم فى زمان عثمان بن عفان أن رجلا يلى أمور الناس مريضاً على فراشه وعند رأسه امرأة والناس يريدونه ويبهشون اليه فلونهتهم المرأة لانتهوا ولكنها لم تفعل فأخذوه فقتلوه فكنت أقص رؤياى على الناس فى الحضر والسفر فيعجبون ولا يدرون ما تأويلها فلما قتل عثمان رضى الله عنه أتانا الخبر ونحن راجعون من غزاتنا فقال أصحابنا رؤياك يا كليب فانتهينا إلى البصرة فلم نلبث إلا قليلا حتى قيل هذا طلحة والزبير معهما أم المؤمنين فراع ذلك الناس وتعجبوا فإذا هم يزعمون للناس أنهم إنما خرجوا غضباً لعثمان وتوبة مما صنعوا من خذلانه وإن أم المؤمنين تقول غضبنا لكم على عثمان فى ثلاث إمارة الفتى وموقع الغمامة وضربة السوط والعصا فما أنصفنا إن لم نغضب له عليكم فى ثلاث جررتموها إليه حرمة الشهر والبلد والدم فقال الناس أفلم تبايعوا علياً وتدخلوا فى أمره فقالوا دخلنا واللج على أعناقنا وقيل

هذا على قد أظلكم فقال قومنا لى ولرجلين معى انطلقوا حتى تأتوا عليا وأصحابه فسلوهم عن هذا الأمر الذى قد اختلط علينا فخرجنا حتى إذا دنونا من العسكر طلع علينا رجل جميل على بغلة فقلت لصاحبى أرأيتم المرأة التى كنت أحدثكم عنها أنها كانت عند رأس الوالى فإنها أشبه الناس بهذا ففطن أنا نخوض فيه فلما انتهى إلينا قال قفوا ما الذى قلتم حين رأيتمونى فأبينا عليه فصاح بنا وقال والله لا تبرحون حتى تخبرونى فدخلتنا منه هيبة فأخبرناه فجاوزنا وهو يقول والله لقد رأيت عجباً فقلنا لأدنى أهل العسكر إلينا من هذا فقال محمد بن أبى بكر فعرفنا أن تلك المرأة عائشة رضى الله عنها فازددنا لأمرها كراهية وانتهينا إلى علىّ فسلمنا عليه ثم سألناه عن هذا الأمر فقال عدا الناس على هذا الرجل وأنا معتزل فقتلوه ثم ولونى وأنا كاره ولولا خشية على الدين لم أجبهم ثم طفق هذان فى النكث فأخذت عليهما وأخذت عهودهما عند ذلك وأذنت لهما فى العمرة فقدما على أمهما حليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيا لها ما رغبا لنسائهما عنه وعرضاها لما لا يحل لهما ولا يصلح فاتبعتهما لكيلا يفتقوا فى الإسلام فتقاً ولا يخرقوا جماعة ثم قال أصحابه والله ما نريد قتالهم إلا أن يقاتلوا وما خرجنا إلا لإصلاح فصاح بنا أصحاب علىّ بايعوا بايعوا فبايع صاحبىّ وأما أنا فأمسكتُ وقلت بعثنى قومى لأمر فلا أحدث شيئاً حتى أرجع إليهم فقال علىّ فإن لم يفعلوا فقلت لم أفعل فقال أرأيت لو أنهم بعثوك رائداً فرجعت إليهم فأخبرتهم عن الكلإ والماء فحالوا إلى المعاطش والجدوبة ما كنت صانعا قال قلت كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلإ والماء قال فمد يدك فوالله ما استطعت أن أمتنع فبسطت يدى فبايعته وكان يقول على من أدهى العرب وقال ما سمعت من طلحة والزبير فقلت أما الزبير فإنه يقول بايعنا كرها وأما طلحة فمقبل على أن يتمثل الأشعار ويقول

ألا أبلغ بنى بكر رسولا فليس إلى بنى كعب سبيل
سيرجع ظلمكم منكم عليكم طويل الساعدين له فضول

فقال ليس كذلك ولكن

ألم تعلم أبا سمعان أنا نصم الشيخ مثلك ذا الصُّداع
ويذهل عقله بالحرب حتى يقوم فيستجيب لغير داع

ثم سار حتى نزل إلى جانب البصرة وقد خندق طليحة والزبير فقال لنا أصحابنا من أهل البصرة ماسمعتم إخواننا من أهل الكوفة يريدون ويقولون فقلنا يقولون خرجنا للصلح وما نريد قتالا فبيناهم على ذلك لايحدثون أنفسهم بغيره إذ خرج صبيان العسكرين فتسابوا ثم تراموا ثم تتابع عبيد العسكرين ثم ثلث السفهاء ونشبت الحرب وألجأتهم إلى الخندق فاقتتلوا عليه حتى أقبلا إلى موضع القتال فدخل منه أصحاب على وخرج الآخرون ونادى على ألا لا تتبعوا مُدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور ونهى الناس ثم بعث إليهم أن اخرجوا للبيعة فبايعهم على الرايات وقال من عرف شيئاً فليأخذه حتى مابقى فى العسكرين شىء إلا قبض فانتهى إليه قوم من قيس شباب فخطب خطيبهم فقال أين أمراؤكم فقال الخطيب أصيبوا تحت نظار الجمل ثم أخذ فى خطبته فقال على أما إن هذا لهو الخطيب السحسح وفرغ من البيعة واستعمل عبد الله بن عباس وهو يريد أن يقيم حتى يحكم أمرها فأمرنى الأشتر أن أشترى له أثمن بعير بالبصرة ففعلت فقال ائت به عائشة وأقرئها منى السلام ففعلت فدعت عليه وقالت اردده عليه فأبلغته فقال تلومنى عائشة أن أفلت ابن أختها وأتاه الخبر باستعمال على ابنَ عباس فغضب وقال على ماقتلنا الشيخ إذ اليمن لعبيد الله والحجاز لقثم والبصرة لعبد الله والكوفة لعلى ثم دعا بدابته فركب راجعاً وبلغ ذلك علياً فنادى الرحيل ثم أجد السير فلحق به فلم يُره أنه قد بلغه عنه وقال ما هذا السير سبقتنا وخشى إن ترك والخروج أن يوقع فى أنفس الناس شراً (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما جاءت وفود أهل البصرة إلى الكوفة ورجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم جمع على الناس ثم قام على الغرائر فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الجاهلية وشقاءها والإسلام والسعادة وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذى يليه ثم الذى يليه ثم حدث هذا الحدث الذى جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة وأرادوا رد الأشياء على أدبارها والله بالغ أمره ومصيب ماأراد ألا وإنى راحل غداً فارتحلوا ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان رضى الله عنه بشىء فى شىء من أمور الناس وليغن السفهاء عنى أنفسهم فاجتمع نفر منهم علباء بن الهيثم وعدى بن حاتم وسالم بن ثعلبة العبسى وشريح بن أوفى ابن ضبيعة والأشتر فى عدة ممن سار إلى عثمان ورضى بسير من سار وجامعهم المصريون ابن السوداء وخالد بن ملجم وتشاوروا فقالوا ماالرأى وهذا والله على وهو أبصر الناس بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك وهو يقول مايقول ولم ينفر إليه إلاهم والقليل من غيرهم فكيف به إذا شام القوم وشاموه وإذا رأوا قلتنا فى كثرتهم أنتم والله ترادون وماأنتم بأنجى من شىء فقال الأشتر أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما وأما على فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ورأىُ الناس فينا والله واحد وأن يصطلحوا وعلىّ فعلى دمائنا فهلموا فلنتواثب على علىّ فنلحقه بعثمان فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون فقال عبد الله بن السوداء بئس الرأى رأيت أنتم ياقتلة عثمان من أهل الكوفة بذى قار ألفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة وهذا بن الحنظلية وأصحابه فى خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلا فارقاً على ظلعك وقال علباء بن الهيثم انصرفوا بناعنهم ودعوهم فإن قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم وإن كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقون به وامتنعوا من الناس فقال ابن السوداء بئس مارأيت ودّ والله الناس أنكم على جديلة ولم تكونوا مع أقوام برآء ولو كان ذلك الذى تقول لتخطفكم كل شىء فقال عدى بن حاتم والله مارضيت ولا كرهت ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله فى خوض الحديث فاما إذا وقع ماوقع ونزل من الناس بهذه المنزلة فان لنا عتاداً من خيول وسلاح محمودا فان أقدمتم أقدمنا وإن أمسكتم أحجمنا فقال ابن السوداء أحسنت وقال سالم بن

ثعلبة من كان أراد بما أتى الدنيا فانى لم أرد ذلك والله لئن لقيتم غدا لا أرجع إلى بيتى ولئن طال بقائى إذا أنا لاقيتم لا يزد على جزر جزور وأحلف بالله أنكم لتفرقون السيف فرق قوم لا تصير أمورهم إلا إلى السيف فقال ابن السوداء قد قال قولا وقال شريح بن أوفى أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا ولا تؤخروا أمرا ينبغى لكم تعجيله ولا تعجلوا أمرا ينبغى لكم تأخيره فإنا عند الناس بشر المنازل فلا أدرى ماالناس صانعون غدا إذا ماهم التقوا وتكلم ابن السوداء فقال يا قوم إن عزكم فى خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غدا فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر فاذاً من أنتم معه لا يجدوا بداً من أن يمتنع ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فأبصروا الرأى وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون وأصبح على على ظهر فمضى ومضى الناس حتى اذا انتهى إلى عبد القيس نزل بهم وبمن خرج من أهل الكوفة وهم أمام ذلك ثم ارتحل حتى نزل على أهل الكوفة وهم أمام ذلك والناس متلاحقون به وقد قطعهم ولما بلغ أهل البصرة رأيهم ونزل على بحيث نزل قام أبو الجرباء إلى الزبير بن العوام فقال إن الرأى أن تبعث الآن ألف فارس فيمسوا هذا الرجل ويصبحوه قبل أن يوافى أصحابه فقال الزبير يا أبا الجرباء إنا لنعرف أمور الحرب ولكنهم أهل دعوتنا وهذا أمر حدث فى أشياء لم تكن قبل اليوم هذا أمر من لم يلق الله عز وجل فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة ومع ذلك إنه قد فارقنا وافدهم على أمر وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح فأبشروا واصبروا وأقبل صبرة بن شيمان فقال يا طلحة يا زبير انتهزا بنا هذا الرجل فان الرأى فى الحرب خير من الشدة فقال يا صبرة إنا وهم مسلمون وهذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن أو يكون فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سُنة إنما هو حدث وقد زعم قوم أنه لا ينبغى تحريكه اليوم وهم على ومن معه فقلنا نحن لا ينبغى لنا أن نتركه اليوم ولا نؤخره فقال على هذا الذى ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه وهو كأمر لا يدرك وقد كاد أن يبين لنا وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار أعمها منفعة وأحوطها وأقبل كعب بن سور فقال ما تنتظرون يا قوم بعد توردكم

أوائلهم اقطعوا هذا العنق من هؤلاء فقالوا يا كعب إن هذا أمر بيننا وبين إخواننا وهو أمر ملتبس لا والله ما أخذ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مذ بعث الله عز وجل نبيه طريقاً إلا علمنا أين مواقع أقدامهم حتى حدث هـذا فإنهم لا يدرون أمقبلون هم أم مدبرون إن الشيء يحسن عندنا اليوم ويقبح عند إخواننا فإذا كان من الغد قبح عندنا وحسن عندهم وإنا لنحتج عليهم بالحجة فلا يرونها حجة ثم يحتجون بها على أمثالنا ونحن نرجوا الصلح إن أجابوا اليه وتموا وإلا فإن آخر الدواء الكى وقام إلى على بن أبى طالب أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن إقدامهم على القوم فقام إليه فيمن قام الأعور بن بنان المنقرى فقال له علىّ على الإصلاح وإطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم وقد أجابونى قال فإن لم يجيبونا قال تركناهم ما تركونا قال فإن لم يتركونا قال دفعناهم عن أنفسنا قال فهل لهم مثل ما عليهم من هذا قال نعم وقام اليه أبو سلامة الدألانى فقال أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك قال نعم قال فترى لك حجة بتأخيرك ذلك قال نعم إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعاً قال فما حالنا وحالكم إن ابتلينا غداً قال إنى لأرجو أن لا يقتل أحد نقى قلبه لله منا ومنهم الا أدخله الله الجنة وقام اليه مالك بن حبيب فقال ما أنت صانع اذا لقيت هؤلاء القوم قال قد بان لنا ولهم أن الإصلاح الكف عن هذا الأمر فإن بايعونا فذلك فإن أبوا وأبينا الا القتال فصدع لا يلتئم قال فإن ابتلينا فما بال قتلانا قال من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاءه وقام على فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أيها الناس املكوا أنفسكم وكفوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم فإنهم اخوانكم واصبروا على ما يأتيكم وإياكم أن تسبقونا فإن المخصوم غداً من خصم اليوم ثم ارتحل وأقدم ودفع تعبيته التى قدم فيها حتى إذا أطلّ على القوم بعث اليهم حكيم بن سلامة ومالك ابن حبيب إن كنتم على ما فارقتم عليـه القعقاع بن عمرو فكفوا وأقرونا ننزل وننظر فى هذا الامر فخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمرين قد منعوا حرقوص بن زهير ولا يرون القتال مع علىّ بن أبى طالب فقـال يا علىّ ان قومنا

بالبصرة يزعمون انك ان ظهرت عليهم غداً انك تقتل رجالهم وتسبي نساءهم
فقال ما مثلي يخاف هذا منه وهل يحل هذا إلا ممن تولى وكفر ألم تسمع الى
قول الله عز وجل «لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر» وهم قوم مسلمون
هل أنت مغن عني قومك قال نعم واختر مني واحدة من ثنتين إما أن أكون
آتيك فأكون معك بنفسي وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف فرجع
إلى الناس فدعاهم إلى القعود وقد بدأ فقال يال خِندف فأجابه ناس ثم نادى يال تميم
فاجابه ناس ثم نادى يا ل سعد فلم يبق سعدى إلا أجابه فاعتزل بهم ثم نظر مايصنع
الناس فلما وقع القتال وظفر عليّ جاؤا وافرين فدخلوا فيما دخل فيه الناس ﴿وأما
الذى يرويه المحدثون﴾ من أمر الأحنف فغير مارواه سيف عمن ذكر من شيوخه
والذى يرويه المحدثون من ذلك ماحدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن ادريس
قال سمعت حصيناً يذكر عن عمرو بن جأوان عن الأحنف بن قيس قال قدمنا
المدينة ونحن نريد الحج فانا لبمنازلنا نضع رحالنا إذ أتانا آت فقال قد فزعوا وقد
اجتمعوا فى المسجد فانطلقنا فاذا الناس مجتمعون على نفر فى وسط المسجد وإذا
عليّ والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص وإنا كذلك إذ جاء عثمان بن عفان فقيل
هذا عثمان قد جاء وعليه مليئة له صفراء قد قنَّع بها رأسه فقال أههنا عليّ قالوا نعم
قال أههنا الزبير قالوا نعم قال أههنا طلحة قالوا نعم قال أنشدكم بالله الذى لا إله إلا
هو أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يبتع مِربد بني فلان غفر الله
له فابتعته بعشرين أو بخمسة وعشرين ألفاً فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
يارسول الله قد ابتعته قال اجعله فى مسجدنا وأجره لك قالوا اللهم نعم وذكر أشياء
من هذا النوع ﴿قال الأحنف﴾ فلقيت طلحة والزبير فقلت من تأمرانى به وترضيانه
لى فانى لاأرى هذا الرجل إلا مقتولا قالا عليّ قلت أتأمرانى به وترضيانه لى قالا
نعم فانطلقت حتى قدمت مكة فبينا نحن بها إذ أتانا قتل عثمان رضى الله عنه وبها عائشة
أم المؤمنين رضى الله عنها فلقيتها فقلت من تأمرينى أن أبايع قالت عليّ قلت تأمرينى
به وترضينه لى قالت نعم فمررت على عليّ بالمدينة فبايعته ثم رجعت إلى أهل بالبصرة

ولا أرى الأمر إلا قد استقام قال فبينا أنا كذلك إذ آتانى آت فقال هذه عائشة وطلحة والزبير قد نزلوا جانب الخريبة فقلت ما جاء بهم قالوا أرسلوا اليك يدعونك يستنصرون بك على دم عثمان رضى الله عنه فأتانى أفظع أمر أتانى قط فقلت إن خذلانى هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد وإن قتالى رجلا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرونى ببيعته لشديد فلما أتيتهم قالوا جئنا لنستنصر على دم عثمان رضى الله عنه قتل مظلوما فقلت يا أم المؤمنين أنشدك بالله أقلت لك من تأمرينى به فقلت علىّ فقلت أتأمرينى به وترضينه لى قلت نعم قالت نعم ولكنه بدّل فقلت يازبير ياحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياطلحة أنشدكما الله أقلت لكما ماتأمرانى فقلتما علىّ فقلت أتأمرانى به وترضيانه لى فقلتما نعم قالا نعم ولكنه بدّل فقلت والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أقاتل رجلا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرتمونى ببيعته اختاروا منى واحدة من ثلاث خصال إما أن تفتحوا لى الجسر فألحق بأرض الأعاجم حتى يقضى الله عز وجل من أمره ماقضى أو ألحق بمكة فأكون فيها حتى يقضى الله عز وجل من أمره ماقضى أو أعتزل فأكون قريبا قالوا إنا نأتمر ثم نرسل اليك فائتمروا فقالوا انفتح له الجسر ويخبرهم بأخباركم ليس ذاكم برأى اجعلوه ههنا قريبا حيث تطؤن على صماخه وتنظرون اليه فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين فاعتزل معه زهاء على ستة آلاف ثم التقى القوم فكان أول قتيل طلحة رضى الله عنه وكعب بن سور معه المصحف يذكر هؤلاء وهؤلاء حتى قتل من قتل منهم ولحق الزبير بسفوان من البصرة كمكان القادسية منكم فلقيه النعر رجل من مجاشع فقال أين تذهب ياحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىّ فأنت فى ذمتى لا يوصل إليك فأقبل معه فأتى الأحنف فقيل ذاك الزبير قد لقى بسفوان فما تأمر قال جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم حواجب بعض بالسيوف ثم يلحق ببيته فسمعه عمير ابن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع فركبوا فى طلبه فلقوه مع النعر فأتاه عمير بن جرموز من خلفه وهو على فرس له ضعيفة فطعنه طعنة خفيفة وحمل عليه الزبير

وهو على فرس له يقال له ذو الخمار حتى إذا ظن انه قاتله نادى عمير بن جرموز يانافع بافضالة فحملوا عليه فقتلوه ﴿ حدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا معتمر بن سليمان قال حدثني أبى عن حصين قال حدثنا عمرو بن جاوان رجل من بنى تميم وذاك أنى قلت له أرأيت اعتزال الأحنف ماكان فقال سمعت الأحنف يقول أتيت المدينة وأنا حاج فذكر نحوه الحمد لله على ماقضى وحكم

بعثة علىّ بن أبى طالب من ذى قار ابنه الحسن وعمار بن ياسر
ليستنفرا له أهل الكوفة

﴿ حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا بشير بن عاصم عن ابن أبى ليلى عن أبيه قال خرج هاشم بن عتبة إلى علىّ بالربذة فأخبره بقدوم محمد بن أبى بكر وقول أبى موسى فقال لقد أردت عزله وسألنى الأشتر أن أقره فرد علىّ هاشما إلى الكوفة وكتب إلى أبى موسى إنى وجهت هاشم بن عتبة لينهض من قبلك من المسلمين إلىّ فأشخص الناس فانى لم أولك الذى أنت به إلا لتكون من أعوانى على الحق فدعا أبو موسى السائب بن مالك الأشعرى فقال له ماترى قال أرى أن تتبع ما كتب به اليك قال لكنى لاأرى ذلك فكتب هاشم إلى علىّ إنى قد قدمت على رجل غال مشاقّ ظاهر الغل والشنآن وبعث بالكتاب مع المُحل بن خليفة الطائى فبعث علىّ الحسن بن علىّ وعمار بن ياسر يستنفران له الناس وبعث قرظة بن كعب الأنصارى أميراً على الكوفة وكتب معه إلى أبى موسى أما بعد فقد كنت أرى أن تُعْذب عن هذا الأمر الذى لم يجعل الله عز وجل لك منه نصيبا سيمنعك من رد أمرى وقد بعثتُ الحسن بن علىّ وعمار بن ياسر يستنفران الناس وبعثت قَرَظة ابن كعب والياً على المصر فاعتزل عملنا مذموما مدحورا فان لم تفعل فانى قد أمرته أن ينابذك فان نابذته فظفر بك أن يقطعك آرابا فلما قدم الكتاب على أبى موسى اعتزل ودخل الحسن وعمار المسجد فقالا أيها الناس إن أمير المؤمنين يقول إنى خرجت مخرجى هذا ظالما أو مظلوما وانى أذكر الله عز وجل رجلا رعى لله حقا إلا نفر فان كنت مظلوما أعاننى وإن كنت ظالما أخذ منى والله إن طلحة والزبير

لأول من بايعنى وأول من غدر فهل استأثرت بمال أوبدلت حكما فانفروا فمروا بمعروف وانهوا عن منكر ۞ حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو مخنف عن جابر عن الشعبى عن أبى الطفيل قال قال علىّ يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل فقعدت على نجفة ذى قار فأحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا ۞ حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن عن بشير بن عاصم عن ابن أبى ليلى عن أبيه قال خرج إلى علىّ اثناعشر ألف رجل وهم أسباع على قريش وكنانة وأسد وتميم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحى وسبع قيس عليهم سعد ابن مسعود الثقفى وسبع بكر بن وائل وتغلب عليهم وعلة بن مخدوج الذهلى وسبع مذحج والأشعريين عليهم حجر بن عدى وسبع بجيلة وأنمار وخثعم والأزد عليهم مخنف بن سليم الأزدى

نزول علىّ الزاوية من البصرة

۞ حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن عن مسلمة بن محارب عن قتادة قال نزل على الزاوية وأقام أياما فأرسل اليه الأحنف ان شئت أتيتك وان شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف فأرسل اليه علىّ كيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال قال إن من الوفاء لله عز وجل قتالهم فأرسل كف من قدرت على كفه ثم سار علىّ من الزاوية وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله أو عبد الله بن زياد فلما نزل الناس أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن مرحوم العبدى أن اخرج فاذا خرجت فمل بنا إلى عسكر علىّ فخرجا فى عبد القيس وبكر بن وائل فعدلوا إلى عسكر أمير المؤمنين فقال الناس من كان هؤلاء معه غلب ودفع شقيق بن ثور رايتهم إلى مولى له يقال له رشراشة فأرسل اليه وعلة ابن محدوج الذهلى ضاعت الأحساب دفعت مكرمة قومك إلى رشراشة فأرسل شقيق أن أغن شأنك فانا نغنى شأننا فأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال يرسل اليهم علىّ ويكلمهم ويردعهم ۞ حدثنا عمر قال حدثنا أبو بكر الهذلى عن قتادة قال سار علىّ من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة وساروا من الفرضة يريدون عليا فالتقوا

عند موضع قصر عبيد الله بن زياد فى النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ يوم الخميس فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح فقيل لعلى هذا الزبير قال أما إنه أحرى الرجلين إن ذُكر بالله أن يذكر وخرج طلحة فخرج إليهما على فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم فقال على لعمرى لقد أعددتما سلاحا وخيلا ورجالا إن كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله سبحانه ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ألم أكن أخا كما فى دينكما تحرمان دمى وأحرم دماءكما فهل من حدث أحل لكما دمى قال طلحة ألبت الناس على عثمان رضى الله عنه قال على يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين ياطلحة تطلب بدم عثمان رضى الله عنه فلعن الله قتلة عثمان يازبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى غنم فنظر إلى فضحك وضحكت إليه فقلت لايدع ابن أبى طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم صه إنه ليس به زهو ولتقاتلنه وأنت له ظالم فقال اللهم نعم ولو ذكرت ماسرت مسيرى هذا والله لاأقاتلك أبدا فانصرف على إلى أصحابه فقال أما الزبير فقد أعطى الله عهدا ألا يقاتلكم ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها ما كنت فى موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا قالت فما تريد أن تصنع قال أريد أن أدعهم وأذهب فقال له ابنه عبد الله جمعت بين هذين الغارين حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب أحسست رايات ابن أبى طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد قال انى قد حلفت ألا أقاتله وأحفظه ما قال له فقال كفِّر عن يمينك وقاتله فدعا بغلام له يقال له مكحول فأعتقه فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمى

لم أرَ كاليومِ أخا إخوانِ أعْجَبُ مِنْ مُكَفِّرِ الأيمان
بالعِتقِ فى مَعْصِيَةِ الرَّحْمٰنِ

وقال رجل من شعرائهم

يُعْتِقُ مَكْحولا لصَونِ دينِهْ كفّارة لله عن يَمينِهْ
والنَّكْثُ قد لاحَ على جَبينِهْ

﴿ رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة ﴾ فارسل عمران بن حصين فى الناس يخذل من الفريقين جميعا كما صنع الأحنف وأرسل إلى بنى عدى فيمن أرسل فأقبل رسوله حتى نادى على باب مسجدهم ألا إن أبا نجيد عمران بن الحصين يقرئكم السلام ويقول لكم والله لأن أكون فى جبل حصين مع أعنز خضر وضأن أجز أصوافها وأشرب ألبانها أحب إلىّ من أن أرمى فى شىء من هذين الصفين بسهم فقالت بنو عدى جميعا بصوت واحد إنا والله لا ندع ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لشىء يعنون أم المؤمنين ❊ حدثنا عمرو بن علىّ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا أبو نعامة العدوى عن حجير بن الربيع قال قال لى عمران بن حصين سر إلى قومك أجمع ما يكونون فقم فيهم قائما فقل أرسلنى إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام ورحمة الله ويحلف بالله الذى لا إله إلا هو لأن يكون عبداً حبشياً مجدعاً يرعى أعنزاً حصينات فى رأس جبل حتى يدركه الموت أحب إلىّ من أن يرمى بسهم واحد بين الفريقين قال فرفع شيوخ الحى رؤوسهم إليه فقالوا إنا لا ندع ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لشىء أبداً ﴿رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة﴾ وأهل البصرة فرق: فرقة مع طلحة والزبير وفرقة مع على وفرقة لا ترى القتال مع أحد من الفريقين وجاءت عائشة رضى الله عنها من منزلها التى كانت فيه حتى نزلت فى مسجد الحُدّان فى الأزد وكان القتال فى ساحتهم ورأس الأزد يومئذ صبرة بن شيمان فقال له كعب بن سور إن الجموع إذا تراءوا لم تستطع وإنما هى بحور تدفق فأطعنى ولا تشهدهم واعتزل بقومك فإنى أخاف ألا يكون صلح وكن وراء هذه النطفة ودع هذين الغارين من مضر وربيعة فهما أخوان فإن اصطلحا فالصلح ما أردنا وإن اقتتلا كنا حكاماً عليهم غدا وكان كعب فى الجاهلية نصرانياً فقال صبرة أخشى أن يكون فيك شىء من النصرانية أتأمرنى أن أغيب عن إصلاح بين الناس وأن أخذل أم المؤمنين وطلحة والزبير إن ردوا عليهم الصلح وأدع الطلب بدم عثمان رضى الله عنه

لا والله لا أفعل ذلك أبدا فأطبق أهل اليمن على الحضور (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن الضريس البجلي عن ابن يعمر قال لما رجع الأحنف ابن قيس من عند على لقيه هلال بن وكيع بن مالك بن عمرو فقال ما رأيك قال الاعتزال فما رأيك قال مكانفة أم المؤمنين أفتدعنا وأنت سيدنا قال إنما أكون سيدكم غدا إذا قتلت وبقيت فقال هلال هذا وأنت شيخنا فقال أنا الشيخ المعصى وأنت الشاب المطاع فاتبعت بنو سعد الأحنف فاعتزل بهم إلى وادى السباع واتبعت بنو حنظلة هلالا وتابعت بنو عمرو أبا الجرباء فقاتلوا (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد عن أبي عثمان قال لما أقبل الأحنف نادى يالزيد اعتزلوا هذا الأمر وولوا هذين الفريقين كيسه وعجزه فقام المنجاب بن راشد فقال يال الرباب لا تعتزلوا واشهدوا هذا الأمر وتولوا كيسه ففارقوا فلما قال يال تميم اعتزلوا هذا الأمر وولوا هذين الفريقين كيسه وعجزه قام أبو الجرباء وهو من بنى عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم فقال يال عمرو لا تعتزلوا هذا الأمر وتولوا كيسه فكان أبو الجرباء على بنى عمرو بن تميم والمنجاب بن راشد على بنى ضبة فلما قال يال زيد مناة اعتزلوا هذا الأمر وولوا هذين الفريقين كيسه وعجزه قال هلال ابن وكيع لا تعتزلوا هذا الأمر ونادى يال حنظلة تولوا كيسه فكان هلال على حنظلة وطاوعت سعد الأحنف واعتزلوا إلى وادى السباع (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان على هوازن وعلى بنى سليم والاعجاز مجاشع بن مسعود السلمى وعلى عامر زفر بن الحارث وعلى غطفان أعصر بن النعمان الباهلي وعلى بكر بن وائل مالك بن مِسمع واعتزلت عبد القيس إلى على إلا رجلا فإنه أقام ومن بكر بن وائل قُيّام واعتزل منهم مثل من بقى منهم عليهم سنان وكانت الأزد على ثلاثة رؤساء صبرة بن شيمان ومسعود وزياد بن عمرو والشواذب عليهم رجلان على مضر الخريت بن راشد وعلى قضاعة والتوابع الرعبي الجرمى وهو لقب وعلى سائر اليمن ذو الآجرة الحميرى فخرج طلحة والزبير فنزلا بالناس من الزابوقة فى موضع قرية الأرزاق فنزلت مضر جميعا وهم لا يشكون فى الصلح ونزلت ربيعة فوقهم جميعاً وهم لا يشكون

فى الصلح ونزلت اليمن جميعا أسفل منهم وهم لا يشكون فى الصلح وعائشة فى الحدان والناس فى الزابوقة على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفاً وردوا حُكيما ومالكا إلى على بأنا على ما فارقنا عليه القعقاع فاقدم فخرجا حتى قدما عليه بذلك فارتحل حتى نزل عليهم بحيالهم فنزلت القبائل إلى قبائلهم مضر إلى مضر وربيعة الى ربيعة واليمن إلى اليمن وهم لا يشكون فى الصلح فكان بعضهم بحيال بعض وبعضهم يخرج إلى بعض ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح وخرج أمير المؤمنين فيمن معه وهم عشرون ألفا وأهل الكوفة على رؤسائهم الذين قدموا معهم ذا قار وعبد القيس على ثلاثة رؤساء جذيمة وبكر على ابن الجارود والعمور على عبد الله بن السوداء وأهل هجر على ابن الأشج وبكر بن وائل من أهل البصرة على ابن الحارث بن نهار وعلى دنور بن على الزط والسيابجة وقدم على ذا قار فى عشرة آلاف وانضم إليه عشرة آلاف * حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن عن بشير بن عاصم عن فطر ابن خليفة عن منذر الثورى عن محمد بن الحنفية قال أقبلنا من المدينة بسبعمائة رجل وخرج إلينا من الكوفة سبعة آلاف وانضم إلينا من حولنا ألفان أكثرهم بكر ابن وائل ويقال ستة آلاف (رجع الحديث إلى حديث محمد وطلحة) قالا فلما نزل الناس واطمأنوا خرج على وخرج طلحة والزبير فتواقفوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمرا هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ فى الانقشاع وأنه لا يدرك فافترقوا عن موقفهم على ذلك ورجع علىّ إلى عسكره وطلحة والزبير إلى عسكرهما

أمر القتال

(وكتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وبعث علىّ من العشىّ عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير وبعثاهما من العشىّ محمد بن طلحة إلى علىّ وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه فقالوا نعم فلما أمسوا وذلك فى جمادى الآخرة أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما وأرسل على إلى رؤساء أصحابه ما خلا أولئك الذين هضوا على عثمان فباتوا على الصلح وباتوا بليلة لم

يبيتوا بمثلها للعافية من الذى أشرفوا عليه والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا وركبوا ماركبوا وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط قد أشرفوا على الهلكة وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب فى السر واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر فغدوا مع الغلس ومايشعر بهم جيرانهم انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالا وعليهم ظلمة فخرج مضريهم إلى مضريهم وربعيهم إلى ربعيهم ويمانيهم إلى يمانيهم فوضعوا فيهم السلاح فثار أهل البصرة وثار كل قوم فى وجوه أصحابهم الذين بهتوهم وخرج الزبير وطلحة فى وجوه الناس من مضر فبعثا إلى الميمنة وهم ربيعة يعبؤها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وثبتا فى القلب فقال ماهذا قالوا طرقنا أهل الكوفة ليلا فقالا قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة وأنه لن يطاوعنا ثم رجعا بأهل البصرة وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم فسمع على وأهل الكوفة الصوت وقد وضعوا رجلا قريبا من على ليخبره بما يريدون فلما قال ماهذا قال ذاك الرجل مافجئنا إلا وقوم منهم بيتونا فرددناهم من حيث جاءوا فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس وقال على لصاحب ميمنته ائت الميمنة وقال لصاحب ميسرته ائت الميسرة ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة وانهما لن يطاوعانا والسبائية لاتفتر إنشابا ونادى على فى الناس أيها الناس كفوا فلا شىء فكان من رأيهم جميعا فى تلك الفتنة ألا يقتتلوا حتى يُبدأوا يطلبون بذلك الحجة ويستحقون على الآخرين ولا يقتلوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يُتبعوا فكان مما اجتمع عليه الفريقان ونادوا فيما بينهما (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبى عمرو قالوا وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة رضى الله عنها فقال أدركى فقد أبى القوم إلا القتال لعل الله يصلح بك فركبت وألبسوا هودجها الأدراع ثم بعثوا جملها وكان جملها يدعى عسكرا حملها عليه يعلى بن أمية اشتراه بمائتى دينار فلما برزت من البيوت وكانت بحيث تسمع الغوغاء وقفت فلم تلبث

أن سمعت غوغاء شديدة فقالت ماهذا قالوا ضجة العسكر قالت بخير أو بشر قالوا بشر قالت فأى الفريقين كانت منهم هذه الضجة فهم المهزومون وهى واقفة فوالله ماجئها إلا الهزيمة فمضى الزبير من سننه فى وجهه فسلك وادى السباع وجاء طلحة سهم غرب يخل ركبته بصفحة الفرس فلما امتلأ موزجه دما وثقل قال لغلامه اردفنى وامسكنى وابغنى مكانا أنزل فيه فدخل البصرة وهو يتمثل مثله ومثل الزبير

فإنْ تكُنِ الحوادثُ أقصدَتْنى   وأخطأهُنَّ سَهْمى حينَ أرْمى
فقد ضُيِّعْتُ حينَ تَبِعْتُ سَهْمًا   سَفاهًا مَا سَفِهْتُ وضَلَّ حِلْمى
ندِمْتُ ندامةَ الكُسَعِىِّ لمَّا   شَرَيْتُ رِضَى بنى سَهْمٍ برَغْمى
أطَعْتُهُمُ بفُرْقةِ آلِ لأْيٍ   فألْقَوْا للسِّباعِ دَمى ولَحْمى

خبر وقعة الجمل من رواية أخرى

(قال أبو جعفر) وأما غير سيف فانه ذكر من خبر هذه الوقعة وأمر الزبير وانصرافه عن الموقف الذى كان فيه ذلك اليوم غير الذى ذكر سيف عن صاحبيه والذى ذكر من ذلك بعضهم ماحدثنيه أحمد بن زهير قال حدثنا أبى أبو خيثمة قال حدثنا وهب بن جرير بن حازم قال سمعت أبى قال سمعت يونس بن يزيد الأيلى عن الزهرى فى قصة ذكرها من خبر على وطلحة والزبير وعائشة فى مسيرهم الذى نحن فى ذكره فى هذا الموضع قال وبلغ الخبر عليا يعنى خبر السبعين الذين قتلوا مع العبدى بالبصرة فأقبل يعنى عليا فى اثنى عشر ألفا فقدم البصرة وجعل يقول

يالهف نفسى على ربيعه   ربيعة السامعة المطيعه   سنتها كانت بها الوقيعه

فلما تواقفوا خرج على على فرسه فدعا الزبير فتواقفا فقال على للزبير ماجاء بك قال أنت ولا أراك لهذا الأمر أهلا ولا أولى به منا فقال على لست له أهلا بعد عثمان رضى الله عنه قد كنا نعدك من بنى عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وبينك وعظم عليه أشياء فذكر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مر عليهما فقال لعلى ما يقول ابن عمتك ليقاتلنك وهو لك ظالم فانصرف عنه الزبير وقال فانى لا أقاتلك فرجع إلى ابنه عبد الله فقال مالى فى هذا الحرب بصيرة فقال له ابنه إنك

حرجت على بصيرة ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب وعرفت أن تحتها الموت فجبنت فأحفظه حتى أرعد وغضب وقال ويحك إني قد حلفت له ألا أقاتله فقال له ابنه كفر عن يمينك بعتق غلامك سرجس فأعتقه وقام في الصف معهم وكان علي قال للزبير أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلته سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره وقال علي يا طلحة جئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت أما بايعتني قال بايعتك وعلى عنقي اللج فقال علي لأصحابه أيكم يعرض عليهم هذا المصحف ومافيه فان قطعت يده أخذه بيده الأخرى وإن قطعت أخذه بأسنانه قال فتى شاب أنا فطاف علي على أصحابه يعرض ذلك عليهم فلم يقبله إلا ذلك الفتى فقال له علي اعرض عليهم هذا وقل هو بيننا وبينكم من أوله إلى آخره والله في دمائنا ودمائكم فحمل على الفتى وفي يده المصحف فقطعت يداه فأخذه بأسنانه حتى قتل فقال علي قد طاب لكم الضراب فقاتلوهم فقتل يومئذ سبعون رجلا كلهم يأخذ بخطام الجمل فلما عقر الجمل وهزم الناس أصابت طلحة رمية فقتلته فيزعمون أنه مروان بن الحكم رماه وقد كان ابن الزبير أخذ بخطام جمل عائشة فقالت من هذا فأخبرها فقالت واثكل أسماء فجرح فألقى نفسه في الجرحى فاستخرج فبرأ من جراحته واحتمل محمد بن أبي بكر عائشة فضرب عليها فسطاط فوقف علي عليها فقال استفززت الناس وقد فزوا فألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضا في كلام كثير فقالت عائشة يا ابن أبي طالب ملكت فأسجح نعم ما أبليت قومك اليوم فسرحها علي وأرسل معها جماعة من رجال ونساء وجهزها وأمر لها باثني عشر ألفا من المال فاستقل ذلك عبدالله بن جعفر فأخرج لها مالا عظيما وقال إن لم يجزه أمير المؤمنين فهو علي وقتل الزبير فزعموا أن ابن جرموز لهو الذي قتله وأنه وقف بباب أمير المؤمنين فقال لحاجبه استأذن لقاتل الزبير فقال علي ائذن له وبشره بالنار ※

حدثني محمد بن عمارة قال حدثنا عبيدالله بن موسى قال أخبرنا فضيل عن سفيان بن عقبة عن قرة بن الحارث عن جون بن قتادة قال قرة بن الحارث كنت مع الأحنف ابن قيس وكان جون بن قتادة ابن عمي مع الزبير بن العوام فحدثني جون بن قتادة

قال كنت مع الزبير رضى الله عنه فجاء فارس يسير وكانوا يسلمون على الزبير بالإمرة فقال السلام عليك أيها الأمير قال وعليك السلام قال هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا فلم أر قوما أرث سلاحا ولا أقل عددا ولا أرعب قلوبا من قوم أتوك ثم انصرف عنه قال ثم جاء فارس فقال السلام عليك أيها الأمير فقال وعليك السلام قال جاء القوم حتى أتوا مكان كذا وكذا فسمعوا بما جمع الله عز وجل لكم من العدد والعدة والحد فقذف الله فى قلوبهم الرعب فولوا مدبرين قال الزبير إيهاً عنك الآن فوالله لو لم يجد ابن أبى طالب الا العرفج لدب الينا فيه ثم انصرف ثم جاء فارس وقد كادت الخيول أن تخرج من الرهج فقال السلام عليك أيها الأمير قال وعليك السلام قال هؤلاء القوم قد أتوك فلقيت عماراً فقلت له وقال لى فقال الزبير انه ليس فيهم فقال بلى والله إنه لفيهم قال والله ماجعله الله فيهم فقال والله لقد جعله الله فيهم قال والله ماجعله الله فيهم فلما رأى الرجل يخالفه قال لبعض أهله اركب فانظر أحق مايقول فركب معه فانطلقا وأنا أنظر اليهما حتى وقفا فى جانب الخيل قليلا ثم رجعا الينا فقال الزبير لصاحبه ماعندك قال صدق الرجل قال الزبير ياجدع أنفاه أو ياقطع ظهراه قال محمد بن عمارة قال عبيد الله قال فضيل لا أدرى أيهما قال ثم أخذه أفكل فجعل السلاح ينتفض فقال جون ثكلتنى أمى هذا الذى كنت أريد أن أموت معه أو أعيش معه والذى نفسى بيده ما أخذ هذا ما أرى إلا لشىء قد سمعه أو رآه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تشاغل الناس انصرف فجلس على دابته ثم ذهب فانصرف جون فجلس على دابته فلحق بالأحنف ثم جاء فارسان حتى أتيا الأحنف وأصحابه فنزلا فأتيا فأكبا عليه فناجياه ساعة ثم انصرفا ثم جاء عمرو بن جرموز إلى الأحنف فقال أدركته فى وادى السباع فقتلته فكان يقول والذى نفسى بيده إن صاحب الزبير الأحنف ❊ حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا بشير بن عاصم عن الحجاج بن أرطاة عن عمار بن معاوية الذهنى حى من أحمس بجيلة قال أخذ علىّ مصحفاً يوم الجمل فطاف به فى أصحابه وقال من يأخذ هذا

المصحف يدعوهم إلى مافيه وهو مقتول فقام اليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشو فقال أنا فأعرض عنه ثم قال من يأخذ هذا المصحف يدعوهم الى مافيه وهو مقتول فقال الفتى أنا فأعرض عنه ثم قال من يأخذ هذا المصحف يدعوهم الى ما فيه وهو مقتول فقال الفتى أنا فدفعه اليه فدعاهم فقطعوا يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى فدعاهم فقطعوا يده اليسرى فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه فقتل رضى الله عنه فقال علىّ الآن حل قتالهم فقالت أم الفتى بعد ذلك فيما ترثى

لاهُمَّ إنَّ مُسْلِمًا دَعاهُمْ   يَتْلو كتابَ الله لا يَخْشاهُمْ
وأُمُّهُمْ قائمة تَراهُمْ   يأتمرون الغَىّ لا تَنْهاهُمْ
قد خُضِبَتْ مِنْ علقٍ لِحاهُمْ

❊ حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو مخنف عن جابر عن الشعبي قال حملت ميمنة أمير المؤمنين على ميسرة أهل البصرة فاقتتلوا ولاذ الناس بعائشة رضى الله عنها أكثرهم ضبة والأزد وكان قتالهم من ارتفاع النهار الى قريب من العصر ويقال الى أن زالت الشمس ثم انهزموا فنادى رجل من الأزد كروا فضربه محمد بن علىّ فقطع يده فنادى يا معشر الأزد فروا واستحر القتل بالأزد فنادوا نحن على دين علىّ بن أبى طالب فقال رجل من بنى ليث بعد ذلك

سائل بنا يَوْمَ لقينا الأزْدا   والخَيْلُ تَعْدو أشْقَرًا ووَرْدا
لمّا قَطَعْنا كِبْدَهُمْ والزَّندا   سُحْقًا لَهُمْ فى رَأْيِهِمْ وبُعْدا

❊ حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال حمل عمار على الزبير يوم الجمل فجعل يحوزه بالرمح فقال أتريد ان تقتلنى قال لا انصرف وقال عامر بن حفص أقبل عمار حتى حاز الزبير يوم الجمل بالرمح فقال أتقتلنى يا أبا اليقظان قال لا يا أباعبد الله ﴿رجع الحديث الى حديث سيف﴾ عن محمد وطلحة قالا ولما انهزم الناس فى صدر النهار نادى الزبير أنا الزبير هلموا الىّ أيها الناس ومعه مولى له ينادى أعن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهزمون وانصرف الزبير نحو وادى السباع واتبعه فرسان وتشاغل الناس عنه بالناس فلما

رأى الفرسان تتبعه عطف عليهم ففرق بينهم فكروا عليه فلما عرفوه قالوا الزبير دعوه فلما . . نفر فيهم علباء بن الهيثم ومر القعقاع فى نفر بطلحة وهو يقول الىّ عباد الله الصبر الصبر فقال له ياأبا محمد انك لجريح وانك عما تريد لعليل فادخل الأبيات فقال ياغلام أدخلنى وابغنى مكانا فأدخل البصرة ومعه غلام ورجلان فاقتتل الناس بعده فأقبل الناس فى هزيمتهم تلك وهم يريدون البصرة فلما رأوا الجمل أطافت به مضر عادوا قلباً كما كانوا حيث التقوا وعادوا الى أمر جديد ووقفت ربيعة البصرة منهم ميمنة ومنهم ميسرة وقالت عائشة حل يا كعب عن البعير وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم اليه ودفعت اليه مصحفاً وأقبل القوم وأمامهم السبائية يخافون أن يجرى الصلح فاستقبلهم كعب بالمصحف وعلىٌّ من خلفهم يزعهم ويأبون إلا إقداما فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً فقتلوه ورموا عائشة فى هودجها فجعلت تنادى يابنىّ البقية البقية ويعلو صوتها كثرة الله الله اذكروا الله عز وجل والحساب فيأبون إلا إقداما فكان أول شىء أحدثته حين أبوا أن قالت أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم وأقبلت تدعو وضج أهل البصرة بالدعاء وسمع على ابن أبى طالب الدعاء فقال ماهذه الضجة فقالوا عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم فأقبل يدعو ويقول اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم وأرسلت إلى عبد الرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحارث اثبتا مكانكما وذمرت الناس حين رأت أن القوم لا يريدون غيرها ولا يكفون عن الناس فازدلفت مضر البصرة فقصفت مضر الكوفة حتى زوحم علىٌّ فنخس علىٌّ قفا محمد وقال احمل فنكل فأهوى على إلى الراية ليأخذها منه فحمل فترك الراية فى يده وحملت مضر الكوفة فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرسوا والمجنبات على حالها لا تصنع شيئاً ومع على أقوام غير مضر فمنهم زيد بن صوحان فقال له رجل من قومه تنح إلى قومك مالك ولهذا الموقف ألست تعلم أن مضر بحيالك وأن الجمل بين يديك وأن الموت دونه فقال الموت خير من الحياة الموت ماأريد فأصيب وأخوه سيحان وارتث صعصعة واشتدت الحرب فلما رأى ذلك على بعث إلى اليمن وإلى ربيعة أن اجتمعوا على من يليكم

فقام رجل من عبد القيس فقال ندعوكم إلى كتاب الله عز وجل قالوا وكيف يدعونا إلى كتاب الله من لا يقيم حدود الله سبحانه ومن قتل داعى الله كعب بن سور فرمته ربيعة رشقا واحدا فقتلوه وقام مسلم بن عبد الله العجلى مقامه فرشقوه رشقا واحداً فقتلوه ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان القتال الأول يستحر إلى انتصاف النهار وأصيب فيه طلحة رضى الله عنه وذهب فيه الزبير فلما أووا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال ولم يريدوا إلا عائشة ذمرتهم عائشة فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا وذلك يوم الخميس فى جمادى الآخرة فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير وفى وسطه مع عائشة وتزاحف الناس فهزمت يمن البصرة يمن الكوفة وربيعة البصرة ربيعة الكوفة ونهد على بمضر الكوفة إلى مضر البصرة وقال إن الموت ليس منه فوت يدرك الهارب ولا يترك المقيم * حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو عبد الله القرشى عن يونس بن أرقم عن على بن عمرو الكندى عن زيد بن حساس قال سمعت محمد بن الحنفية يقول دفع إلى أبى الراية يوم الجمل وقال تقدم فتقدمت حتى لم أجد متقدما إلا على رمح قال تقدم لا أم لك فتكأكأت وقلت لا أجد متقدما إلا على سنان رمح فتناول الراية من يدى متناول لا أدرى من هو فنظرت فاذا أبى بين يدى وهو يقول

أَنتِ الَّتى غَرَّكِ مِنّى الْحُسْنَى ... ياعَيْشَ إنّ القَوْمَ قَوْمٌ أعْدا

الخَفْضُ خَيْرٌ مِن قِتال الأبنا

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا اقتتلت المجنبتان حين تزاحفتا قتالا شديداً يشبه ما فيه القلبان واقتتل أهل اليمن فقتل على راية أمير المؤمنين من أهل الكوفة عشرة كلما أخذها رجل قتل خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن فلما رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها فثبتت فى يده وهو يقول

قد عِشْتِ يا نَفس وقد غَنِيتِ ... دَهْرًا فقَطْكِ اليومَ ما بَقِيتِ

أَطْلُبُ طول العُمْرِ ماحَيِيتِ

وإنما تمثلها وهو قول الشاعر قبله وقال نمران بن أبى نمران الهمدانى .

جَرَّدتُ سَيْفِى فى رِجال الأَزْدِ أَضرِبُ فى كُهولِهِمْ والمُرْدِ
كلَّ طَوِيلِ السـاعِدَيْنِ نَهْدِ

وأقبلت ربيعة فقتل على راية الميسرة من أهل الكوفة زيد وصرع صعصعة ثم سيحان ثم عبدالله بن رقبة بن المغيرة ثم ابو عيدة بن راشد بن سلمى وهو يقول اللهم أنت هديتنا من الضلالة واستنقذتنا من الجهالة وابتليتنا بالفتنة فكنا فى شبهة وعلى ريبة حتى قتل ثم الحصين ابن معبد بن النعمان فأعطاها ابنه معبداً وجعل يقول يا معبد قرب لها بوًّها تحدب فثبتت فى يده (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما رأت الكماة من مضر الكوفة ومضر البصرة الصبر تنادوا فى عسكر عائشة وعسكر علىّ يا أيها الناس طرفوا إذا فرغ الصبر ونزع النصر فجعلوا يتوجؤن الأطراف الأيدى والأرجل فما رؤيت وقعة قط قبلها ولا بعدها ولا يسمع بها أكثر يداً مقطوعة ورجلا مقطوعة منها لا يدرى من صاحبها وأصيبت يد عبد الرحمن بن عتاب يومئذ قبل قتله وكان الرجل من هؤلاء وهؤلاء إذا أصيب شىء من أطرافه استقتل إلى أن يقتل (كتب إلى السرى) من شعيب عن سيف عن الصعب بن عطية بن بلال عن أبيه قال اشتد الأمر حتى أرزت ميمنة الكوفة إلى القلب حتى لزقت به ولزقت ميسرة البصرة بقلبهم ومنعوا ميمنة أهل الكوفة أن يختلطوا بقلبهم وإن كانوا إلى جنبهم وفعل مثل ذلك ميسرة الكوفة وميمنة البصرة فقالت عائشة رضى الله عنها لمن عن يسارها من القوم قال صبرة بن شيمان بنوك الأزد قالت يال غسان حافظوا اليوم جلادكم الذى كنا نسمع به وتمثلت

وجالَدَ مِنْ غَسّانَ أَهْلُ حِفاظِها وهِنْبٌ وأَوْسٌ جالَدَتْ وشَبِيبُ

وقالت لمن عن يمينها من القوم وقالوا بكر بن وائل قالت لكم يقول القائل

وجاؤا إلَيْنا فى الحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ مِنَ العِزَّةِ القَعْساءِ بَكْرُ بْنُ وائِلِ

إنما بإزائكم عبدالقيس فاقتتلوا أشد القتال من قتالهم قبل ذلك وأقبلت على كتيبة

بين يديها فقالت من القوم قالوا ابنو ناجية قالت بخ بخ سيوف أبطحية وسيوف قرشية فجالدوا جلادا يتفادى منه ثم أطافت بها بنو ضبة فقالت ويهن جمرن الجمرات حتى إذا رقوا خالطهم بنو عدى وكثروا حولها فقالت من أنتم قالوا بنو عدى خالطنا إخواننا فقالت مازال رأس الجمل معتدلا حتى قتلت بنو ضبة حولى فأقاموا رأس الجمل ثم ضربوا ضربا ليس بالتعذير ولا يعدلون بالتطريف حتى إذا كثر ذلك وظهر فى العسكرين جميعا راموا الجمل وقالوا لا يزال القوم أو يصرع وأرزت مجنبتا على فصارتا فى القلب وفعل ذلك أهل البصرة وكره القوم بعضهم بعضا وتلاقوا جميعا بقلبيهم وأخذ ابن يثربى برأس الجمل وهو يرتجز وادعى قتل علباء ابن الهيثم وزيد بن صوحان وهند بن عمرو فقال

أنا لمِنْ يُنكِرُنى ابْنُ يَثْربى قاتِلُ عِلْباء وهِنْدِ الجملى
وابْنٍ لِصُوحانَ عَلَى دِينِ على

فناداه عمار لقد لعمرى لذت بحريز وما إليك سبيل فإن كنت صادقا فاخرج من هذه الكتيبة إلىّ فترك الزمام فى يد رجل من بنى عدى حتى كان بين أصحاب عائشة وأصحاب علىّ فزحم الناس عمارا حتى أقبل اليه فاتقاه عمار بدرقته فضربه فانتشب سيفه فيها فعالجه فلم يخرج فخرج عمار اليه لا يملك من نفسه شيئا فأسف عمار لرجليه فقطعهما فوقع على استه وحمله أصحابه فارتث بعد فأتى به على فأمر بضرب عنقه ولما أصيب ابن يثربى ترك ذلك العدوى الزمام ثم خرج فنادى من يبارز فخنس عمار وبرز اليه ربيعة العقيلى والعدوى يدعى عمرة بن بجرة أشد الناس صوتا وهو يقول

يا أمّنا أعقّ أمٍّ نَعلَمُ والأُمُّ تغذوا ولَدًا وتَرْحَمُ
ألا تَرَيْنَ كَمْ شجاعٍ يُكلَمُ وتُختَلَى مِنْهُ يَدٌ ومِعْصَمُ

ثم اضطربا فأثخن كل واحد منهما صاحبه فماتا وقال عطية بن بلال ولحق بنا من آخر النهار رجل يدعى الحارث من بنى ضبة فقام مقام العدوى فما رأينا رجلا قط أشد منه وجعل يقول

نحن بنو ضَبَّةَ أصحابُ الجملْ تَنَعَى ابن عفانَ بأطرافِ الأسَل
الموتُ أحلَى عندنا من العَسل رُدوا علينا شيخَنا ثمَّ بَجَلْ

*حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا الحسن عن المفضل بن محمد عن عدى بن أبى عدى عن أبى رجاء العطاردى قال انى لأنظر إلى رجل يوم الجمل وهو يقلب سيفا بيده كأنه مخراق وهو يقول

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننازلُ الموتَ إذا الموتُ نزل
والموت أشهى عندنا من العسل ننعى ابنَ عفان بأطراف الأسل
رُدوا علينا شيخنا ثمَّ بجل

*حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن عن المفضل الضبى قال كان الرجل وسيم ابن عمرو بن ضرار الضبى *حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن عن الهذلى قال كان عمرو بن يثربى يحضض قومه يوم الجمل وقد تعاوروا الخطام يرتجزون

نحن بنو ضبة لا نفرّْ حتى نَرَى جماجمًا تَخِرّْ
يَخِرُّ منها العَلَقُ المُحْمَرّْ

يا أُمَّنا يا عيْشَ لن تُراعى كلُّ بنيكِ بطَلٌ شُجاعُ
يا أمنا يازوجَةَ النبيّ يازوجة المباركِ المهْدىّ

حتى قتل على الخطام أربعون رجلا وقالت عائشة رضى الله عنها مازال جملى معتدلا حتى فقدت أصوات بنى ضبة وقتل يومئذ عمرو بن يثربى علباء بن الهيثم السدوسى وهند بن عمرو الجملى وزيد بن صوحان وهو يرتجز ويقول

أضرِبُهُمْ ولا أرى أبا حَسَنْ كفى بهذا حَزَنًا من الحزنْ
إنا نُمِرُّ الأمر إمرارَ الرَّسَنْ

فزعم الهذلى أن هذا الشعر تمثل به يوم صفين وعرض عمار لعمرو بن يثربى وعمار يومئذ ابن تسعين سنة عليه فرو قد شد وسطه بحبل من ليف فبدره عمرو بن يثربى فنحى له درقته فنشب سيفه فيها ورماه الناس حتى صرع وهو يقول

إن تقتلونى فأنا ابنُ يثربى قاتلُ عِلباءَ وهنْد الجملى

ثمّ ابن صُوحانَ على دينِ على

وأخذ أسيرا حتّى انتهى به إلى علىّ فقال استبقنى فقال أبعد ثلاثة تقبل عليهم بسيفك تضرب به وجوههم فأمر به فقتل ❊ وحدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو مخنف عن اسحاق بن راشد عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال مشيت يوم الجمل وبى سبع وثلاثون جراحة من ضربة وطعنة وما رأيت مثل يوم الجمل قط ما ينهزم منا أحد وما نحن الا كالجبل الأسود وما يأخذ بخطام الجمل أحد الا قتل فأخذه عبد الرحمن بن عتاب فقتل فأخذه الأسود بن أبى البخترى فصرع وجئت فأخذت بالخطام فقالت عائشة من أنت قلت عبد الله بن الزبير قالت واثكل أسماء ومر بى الأشتر فعرفته فعانقته فسقطنا جميعا وناديت اقتلونى ومالكا فجاء ناس منا ومنهم فقاتلوا عنا حتى تحاجزنا وضاع الخطام ونادى علىّ اعقروا الجمل فانه ان عقر تفرقوا فضربه رجل فسقط فما سمعت صوتا قط أشد من عجيج الجمل وأمر علىّ محمد بن أبى بكر فضرب عليها قبة وقال انظر هل وصل اليها شىء فأدخل رأسه فقالت من أنت ويلك فقال أبغض أهلك إليك قالت ابن الخثعمية قال نعم قالت بأبى أنت وأمى الحمد لله الذى عافاك ❊ حدثنى اسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبا بكر بن عياش يقول قال علقمة قلت للأشتر قد كنت كارها لقتل عثمان رضى الله عنه فما أخرجك بالبصرة قال إن هؤلاء بايعوه ثم نكثوا وكان ابن الزبير هو الذى أكره عائشة على الخروج فكنت أدعو الله عز وجل أن يلقينيه فلقينى كفة لكفة فما رضيت بشدة ساعدى أن قمت فى الركاب فضربته على رأسه فصرعته ❊ قلنا فهو القائل اقتلونى ومالكا قال لا ما تركته وفى نفسى منه شىء ذاك عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد لقينى فاختلفنا ضربتين فصرعنى وصرعته فجعل يقول اقتلونى ومالكا ولا يعلمون من مالك فلو يعلمون لقاتلونى ❊ ثم قال أبو بكر بن عياش هذا كتابك شاهده ❊ حدثنى به المغيرة عن إبراهيم عن علقمة قال قلت للأشتر حدثنى عبد الله بن أحمد قال حدثنى أبى قال حدثنى سليمان قال حدثنى عبد الله عن طلحة بن النضر عن عثمان بن سليمان عن عبد الله بن الزبير قال وقف علينا

شاب فقال اجذوا هذين الرجلين فذكره وعلامة الأشتر أن إحدى قدميه بادية من شىء يجد بها قال لما التقينا قال الأشتر لما قصد لى سوى رمحه لرجلى قلت هذا أحمق وما عسى أن يدرك منى لو قطعها ألست قاتله فلما دنامنى جمع يديه فى الرمح ثم التمس به وجهى قلت أحد الأقران ❊ حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن عن أبى مخنف عن ابن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه عن جده قال كان عمرو ابن الأشرف أخذ بخطام الجمل لا يدنو منه أحد إلا خبطه بسيفه إذ أقبل الحارث ابن زهير الأزدى وهو يقول

يا أُمَّنا ياخيرَ أُمٍّ نَعلَمُ أما تَرَيْنَ كم شُجاعٍ يُكلَمُ
وتُختَلَى هامَتُهُ والمِعْصَمُ

فاختلفا ضربتين فرأيتهما يفحصان الأرض بأرجلهما حتى ماتا فدخلت على عائشة رضى الله عنها بالمدينة فقالت من أنت قلت رجل من الأزد أسكن الكوفة قالت أشهدتنا يوم الجمل قلت نعم قالت ألنا أم علينا قلت عليكم قالت أفتعرف الذى يقول ياأمنا ياخير أم نعلم قلت نعم ذاك ابن عمى فبكت حتى ظننت أنها لا تسكت ❊ حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن عن ابن أبى ليلى عن دينار بن العيزار قال سمعت الأشتر يقول لقيت عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فلقيت أشد الناس وأروعه فعانقته فسقطنا إلى الأرض جميعاً فنادى اقتلونى ومالكا ❊ حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن عن ابن أبى ليلى عن دينار بن العيزار قال سمعت الأشتر يقول رأيت عبد الله بن حكيم بن حزام ومعه راية قريش وعدىّ بن حاتم الطائى وهما يتصاولان كالفحلين فتعاورناه فقتلناه يعنى عبد الله فطعن عبد الله عديا ففقأ عينه ❊ حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن عن أبى مخنف عن عمه محمد بن مخنف قال حدثنى عدة من أشياخ الحىّ كلهم شهدا الجمل قالوا كانت راية الأزد من أهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل يومئذ فتناول الراية من أهل بيته الصَّعب وأخوه عبد الله بن سليم فقتلوه فأخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهى فى يده وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن مسلم فقتل وقتل معه زيد

ابن صوحان وسيحان بن صوحان وأخذ الراية عدة منهم فقتلوا منهم عبد الله ابن رقية وراشد ثم أخذها منقذ بن النعمان فدفعها إلى ابنه مرة بن منقذ فانقضى الأمر وهي في يده وكانت راية بكر بن وائل من أهل الكوفة في بني ذهل كانت مع الحارث بن حسان بن خوط الذهلي فقال أبو العرفاء الرقاشي أبق على نفسك وقومك فأقدم وقال يامعشر بكر بن وائل إنه لم يكن أحد له من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل منزلة صاحبكم فانصروه فأقدم فقتل وقتل ابنه وقتل خمسة إخوة له فقال له يومئذ بشر بن حسان بن خوط وهو يقاتل

أنا ابنُ حسانِ بن خُوطٍ وأبي رسولُ بَكْرٍ كلّها إلى النبي

وقال ابنه

أنْعَى الرئيسَ الحارثَ بنَ حسان لِآلِ ذُهْل ولآلِ شَيْبان

وقال رجل من ذهل

تَنعَى لنا خيرَ امْرِئٍ مِنْ عَدْنان عند الطِّعانِ ونِزالِ الأقران

وقتل رجال من بني محدوج وكانت الرئاسة لهم من أهل الكوفة وقتل بني ذهل خمسة وثلاثون رجلا فقال رجل لأخيه وهو يقاتل ياأخي ماأحسن قتالنا إن كنا على حق قال فإنا على الحق إن الناس أخذوا يميناً وشمالا وإنما تمسكنا بأهل بيت نبينا فقاتلا حتى قتلا وكانت رئاسة عبد القيس من أهل البصرة وكانوا مع علي لعمرو بن مرحوم ورئاسة بكر بن وائل لشقيق بن ثور والراية مع رشراشة مولاه ورئاسة الأزد من أهل البصرة وكانوا مع عائشة لعبد الرحمن بن جشم بن أبي حنين الحمامي فيما حدثني عامر بن حفص ويقال لصبرة بن شيمان الحداني والراية مع عمرو بن الأشرف العتكي فقتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلا من أهل بيته

حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو ليلى عن أبي عكاشة الهمداني عن رفاعة البجلي عن أبي البختري الطائي قال أطافت ضبة والأزد بعائشة يوم الجمل وإذا رجال من الأزد يأخذون بعر الجمل فيفتونه ويشمونه ويقولون بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك ورجل من أصحاب عليّ يقاتل ويقول

جَرَّدتُ سيفى فى رجال الأزْدِ أَضْرِبُ فى كُهولِهِمْ والمُرْدِ
كلَّ طويلِ الساعِدَيْنِ نَهْدِ

وماج الناس بعضهم فى بعض فصرخ صارخ اعقروا الجمل فضربه بجير بن دُلجة الضبي من أهل الكوفة فقيل له لمَ عَقرته فقال رأيت قومى يقتلون فخفت أن يفنوا ورجوت ان عقرته أن يبقى لهم بقية ❊ حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا الصلت ابن دينار قال انتهى رجل من بنى عقيل إلى كعب بن سور رحمه الله وهو مقتول فوضع زُج رمحه فى عينيه ثم خضخضه وقال مارأيت مالا قط احكم نقد منك ❊ حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا عوانة قال اقتتلوا يوم الجمل يوما إلى الليل فقال بعضهم

شَفَى السَّيْفُ من زَيدٍ وهِنْدٍ نفوسَنا شِفاءً ومن عيْنَيْ عَدِىِّ بن حاتِمِ
صَبَرْنا لهم يوماً إلى الليل كلَّهُ بصُمِّ القنا والمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ

وقال ابن صامت

ياضَبُّ سِيرى فإن الأرضَ واسعةٌ على شِمالِكِ إن الموتَ بالقاعِ
كَتيبةٌ كشعاعِ الشمسِ إذ طلعتْ لها أَتِيٌّ إذا ما سال دُفّاعُ
إذاً نُقيمُ لكم فى كلِّ مُعْتَرَكٍ بالمَشْرَفيَّةِ ضَرباً غيرَ إبْداعِ

❊ حدثنا العباس بن محمد قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا روح عن أبى رجاء قال رأيت رجلا قد اصطُلمت أذنه قلت أخلقة أم شيء أصابك قال أحدثك بينا أنا أمشى بين القتلى يوم الجمل فاذا رجل يفحص برجله وهو يقول

لقد أوْرَدَتْنا حَوْمَةَ الموتِ أمنا فلم ننصرفْ إلا ونحن رِواءُ
أطعنا قريشاً ضلّةً من حُلومِنا ونُصْرَتنا أهلَ الحجازِ عَناءُ

قلت ياعبد الله قل لا إله إلا الله قال ادن منى ولقنى فان فى أذنى وقراً فدنوت منه فقال لى ممن أنت قلت رجل من الكوفة فوثب علىّ فاصطلم أذنى كما ترى ثم قال إذا لقيت أمك فأخبرها أن عمير بن الأهلب الضبي فعل بك هذا ❊ حدثنى عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا المفضل الراوية وعامر بن حفص وعبد المجيد

الأسدى قالوا جرح يوم الجمل عمير بن الأهلب الضبي فمر به رجل من أصحاب عليّ وهو فى الجرحى فقال له عمير ادن منى فدنا منه فقطع أذنه وقال عمير بن الأهلب

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا   فلم ننصرف إلا ونحن رواءُ
لقد كان عن نَصرِ ابن ضبة أمّهُ   وشـيعَتَها مَندوحةٌ وغَنَاءُ
أطعنا بنى تَيمِ بن مُرَّةَ شَقْوَةً   وهل تيم الّا أَعْبُـدٌ وإماءُ

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن المقدام الحارثى قال كان منا رجل يدعى هانئ بن خطاب وكان ممن غزا عثمان ولم يشهد الجمل فلما سمع بهذا الرجز يعنى رجز القائل

نحنُ بنو ضبة أصحابُ الجملْ

فى حديث الناس نقض عليه وهو بالكوفة

أبَتْ شيوخُ مَذْحِج وهمْدان   أن لا يَرُدُّوا نعثَلًا كما كان
خلقاً جَديداً بعد خلق الرحمن

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن عطية عن أبيه قال جعل أبو الجرباء يومئذ يرتجز ويقول

أسامعٌ أنت مطيعٌ لِعَلى   من قبلِ أن تذوقَ حَدَّ المَشْرَفى
وخاذِلٌ فى الحقِّ أزواج النبى   أعرِفُ قوماً لستُ فيه بِعَنى

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كانت أم المؤمنين فى حلقة من أهل النجدات والبصائر من أفناء مضر فكان لا يأخذ أحد بالزمام إلا كان يحمل الراية واللواء لا يحسن تركها وكان لا يأخذه إلا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب لها أنا فلان بن فلان فوالله إن كانوا ليقاتلون عليه وإنه للموت لا يوصل اليه إلا بطلبة وعَنت وما رامه أحد من أصحاب علىّ إلا قتل أو أفلت ثم لم يعد ولما اختلط الناس بالقلب جاء عدى بن حاتم فحمل عليه ففقئت عينه ونكل فجاء الأشتر فحامله عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وإنه لأقطع منزوف فاعتنقه ثم جلد به الأرض عن دابته فاضطرب تحته فأفلت وهو جريض (كتب إلى السرىّ) عن شعيب عن

سيف عن هشام بن عروة عن أبيه قال كان لا يجيء رجل فيأخذ بالزمام حتى يقول أنا فلان بن فلان يا أم المؤمنين فجاء عبد الله بن الزبير فقالت حين لم يتكلم من أنت فقال أنا عبد الله أنا ابن أختك قالت واثكل أسماء تعنى أختها وانتهى إلى الجمل الأشتر وعدى بن حاتم فخرج عبد الله بن حكيم بن حزام الى الأشتر فمشى اليه الأشتر فاختلفا ضربتين فقتله الأشتر ومشى اليه عبد الله بن الزبير فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحا شديداً وضرب عبد الله الأشتر ضربة خفيفة واعتنق كل واحد منهما صاحبه وخرّا الى الأرض يعتركان فقال عبد الله بن الزبير اقتلونى ومالكا * وكان مالك يقول ما أحب أن يكون قال والأشتر وان لى حمر النعم وشد أناس من أصحاب علىّ وأصحاب عائشة فافترقا وتنقذ كل واحد من الفريقين صاحبه (كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن عطية عن أبيه قال وجاء محمد بن طلحة فأخذ بزمام الجمل فقال يا أماه مرينى بأمرك قالت آمرك أن تكون كخير بنى آدم إن تركت قال فحمل فجعل لا يحمل عليه أحد إلا حمل عليه ويقول حمّ لا ينصرون واجتمع عليه نفر فكلهم ادعى قتله المكعبر الأسدىّ والمكعبر الضبى ومعاوية بن شداد العبسى وعفان بن الأشقر النصرىّ فانفذه بعضهم بالرمح ففى ذلك يقول قائله منهم

وأشعثَ قوّامٍ بآياتِ ربهِ قليلِ الأذى فيما ترى العينُ مُسلِمِ
هتكتُ له بالرمح جَيْبَ قميصهِ فخرَّ صريعاً لليدين وللفمِ
يُذكِّرُنى حمٓ والرمحُ شاجِرٌ فهلّا تلا حمٓ قبلَ التقدُّمِ
على غيرِ شيءٍ غيرَ أنْ ليس تابِعا عليًّا ومن لا يتبع الحقَّ يَندَمِ

(وكتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن عطية عن أبيه قال قال القعقاع بن عمرو للأشتر يؤلبه يومئذ هل لك فى العود فلم يجبه فقال يا أشتر بعضنا أعلم بقتال بعض منك فحمل القعقاع وإن الزمام مع زفر بن الحارث وكان آخر من أعقب فى الزمام فلا والله ما بقى من بنى عامر يومئذ شيخ إلا أصيب قدام الجمل فقتل فيمن قتل يومئذ ربيعة جد إسحاق بن مسلم وزفر يرتجز ويقول

يا أمنا يا عيش لن تراعى كلُّ بَنيكِ بطلٌ شجاع

ليس بوَهّامٍ ولا بِراعى

وقال القعقاع يرتجز ويقول

إذا وَرَدْنا آجناً جَهَرْناهْ ولا يُطاقُ وِردُ ما منعناهْ

تمثلها تمثلا (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان من آخر من قاتل ذلك اليوم زفر بن الحارث فزحف اليه القعقاع فلم يبق حول الجمل عامرى مكتهل إلا أصيب يتسرعون إلى الموت وقال القعقاع يابجير بن دلجة صِح بقومك فليعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين فقال يال ضبة ياعمرو بن دلجة ادع بى اليك فدعابه فقال أنا آمن حتى أرجع قال نعم قال فاجتث ساق البعير فرمى بنفسه على شقه وجرجر البعير وقال القعقاع لمن يليه أنتم آمنون واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملا الهودج فوضعاه ثم أطافا به وتفار من وراء ذلك من الناس (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن الصعب ابن عطية عن أبيه قال لما أمسى الناس وتقدم على وأحيط بالجمل ومن حوله وعقر بجير بن دلجة وقال إنكم آمنون فكف بعض الناس عن بعض وقال علىّ فى ذلك حين أمسى وانخنس عنهم القتال

إليك أَشكو عُجَرى وبُجَرى ومَعشَرًا غَشَّوْا عَلَىَّ بَصَرى
قتلت منهم مُضَرًا بِمُضَرى شفَيْتُ نفسى وقتلتُ مَعْشَرى

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبى خالد عن حكيم بن جابر قال قال طلحة يومئذ اللهم أعط عثمان منى حتى يرضى فجاءسهم غَرب وهو واقف فخل ركبته بالسرج وثبت حتى امتلأ مَوْزجه دما فلما ثقل قال لمولاه اردفنى وابغنى مكانا لاأعرف فيه فلم أر كاليوم شيخا أضيع دما فركب مولاه وأمسكه وجعل يقول قد لحقنا القوم حتى انتهى به إلى دار من دور البصرة خربة وأنزله فى فيئها فمات فى تلك الخربة ودفن رضى الله عنه فى بنى سعد (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن البختري العبدى عن أبيه قال كانت ربيعة مع علىّ يوم الجمل ثلث أهل الكوفة ونصف الناس يوم الوقعة وكانت تعبيتهم

مضر ومضر وربيعة وربيعة واليمن واليمن فقال بنو صوحان ياأمير المؤمنين ائذن لنا نقف عن مضر ففعل فأتى زيد فقيل له مايوقفك حيال الجمل وبحيال مضر الموت معك وبإزائك فاعتزل الينا فقال الموت نريد فأصيبوا يومئذ وأفلت صعصعة من بينهم (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن عطية قال كان رجل منا يدعى الحارث فقال يومئذ يال مضر علامَ يقتل بعضكم بعضا تبادرون لا ندرى إلا أنا إلى قضاء وماتكفون فى ذلك ❊حدثنى عبد الله بن أحمد قال حدثنى أبى قال حدثنى سليمان قال حدثنى عبد الله بن المبارك عن جرير قال حدثنى الزبير بن الحريث قال حدثنى شيخ من الحرمين يقال له أبو جبير قال مررت بكعب بن سور وهو آخذ بخطام جمل عائشة رضى الله عنها يوم الجمل فقال ياأبا جبير أنا والله كما قالت القائلة يا بُنَىَّ لا تَبِنْ ولا تُقاتِلْ

❊حدثنى الزبير بن الحريث قال مر به علىّ وهو قتيل فقام عليه فقال والله إنك ماعلمتُ كنتَ لصليبا فى الحق قاضيا بالعدل وكيت وكيت فأثنى عليه (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن ابن صعصعة المزنى أو عن صعصعة عن عمرو ابن جأوان عن جرير بن أشرس قال كان القتال يومئذ فى صدر النهار مع طلحة والزبير فانهزم الناس وعائشة توقع الصلح فلم يفجأها إلا الناس فأحاطت بها مضر ووقف الناس للقتال فكان القتال نصف النهار مع عائشة وعلىّ وقد كان كعب ابن سور أخذ مصحف عائشة وعلىّ وقد كان كعب بن سور أخذ مصحف عائشة فبدر بين الصفين يناشدهم الله عز وجل فى دمائهم وأعطى درعه فرمى بها تحته وأتى بترسه فتنكبه فرشقوه رشقا واحدا فقتلوه رضى الله عنه ولم يمهلوهم أن شدوا عليهم والتحم القتال فكان أول مقتول بين يدى عائشة من أهل الكوفة (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن مخلد بن كثير عن أبيه قال أرسلنا مسلم بن عبد الله يدعو بنى أبينا فرشقوه كما صنع القلب بكعب رشقا واحدا فقتلوه فكان أول من قتل بين يدى أمير المؤمنين وعائشة رضى الله عنها فقالت أم مسلم ترثيه

لاهُمَّ إنَّ مسلماً أتاهُمْ مُسْتَسْلِمًا للموتِ إذ دَعاهُمْ

إلى كتابِ اللهِ لا يَخشاهم فرمَّلوءُ من دَمٍ إذ جاهُمْ
وأمُّهمْ قائمــة تراهم يأتمرون الغَىَّ لا تنهاهُمْ

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن حكيم بن شريك عن أبيه عن جده قال لما انهزمت مجنبتا الكوفة عشية الجمل صاروا إلى القلب وكان ابن يثربى قاضى البصرة قبل كعب بن سور فشهدهم هو وأخوه يوم الجمل وهما عبد الله وعمرو فكان واقفا أمام الجمل على فرس فقال علىّ من رجل يحمل على الجمل فانتدب له هند بن عمرو المرادى فاعترضه ابن يثربى فاختلفا ضربتين فقتله ابن يثربى ثم حمل سيحان بن صوحان فاعترضه ابن يثربى فاختلفا ضربتين فقتله ابن يثربى ثم حمل علباء بن الهيثم فاعترضه ابن يثربى فقتله ثم حمل صعصعة فضربه فقتل ثلاثة أجهز عليهم فى المعركة علباء وهند وسيحان وارتثَّ صعصعة وزيد أحدهما وبقى الآخر (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبى قال أخذ الخطام يوم الجمل سبعون رجلا من قريش كلهم يُقتل وهو آخذ بالخطام وحمل الأشتر فاعترضه عبد الله بن الزبير فاختلفا ضربتين ضربه الأشتر فأمه وواثبه عبد الله فاعتنقه فخرّ به وجعل يقول اقتلونى ومالكا وكان الناس لا يعرفونه بمالك ولو قال والأشتر وكانت له ألف ألف نفس مانجا منها شىء ومازال يضطرب فى يدى عبدالله حتى أفلت وكان الرجل إذا حمل على الجمل ثم نجا لم يعد وجرح يومئذ مروان وعبدالله بن الزبير ❊ حدثنى عبدالله بن أحمد قال حدثنى عمى قال حدثنى سليمان قال حدثنى عبد الله عن جرير بن حازم قال حدثنى محمد بنُ أبى يعقوب وابن عون عن أبى رجاء قال قال يومئذ عمرو بن يثربى الضبى وهو أخو عميرة القاضى :

نحن بنو ضبة أصحابُ الجملْ ننزِلُ بالموتِ إذا الموتُ نَزَلْ

وزاد ابن عون وليس فى حديث ابن أبى يعقوب :

القَتْلُ أحلى عِندنا من العسلْ ننعَى ابن عفانَ بأطراف الأسَلْ
رُدُّوا علينا شَيْخَنا ثم بَجَلْ

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن داود بن أبى هند عن شيخ من بنى ضبة قال ارتجز يومئذ ابن يثربى:

إنا لمن أنكَرَنى ابنُ يثربى قاتِلُ عِلباءَ وهِنْدِ الجملى
وابنٍ لِصوحانَ عَلى دينِ عَلى

وقال من يبارز فبرز له رجل فقتله ثم برز له آخر فقتله وارتجز وقال:

أَقتُلُهُمْ وقد أرى عليًّا ولو أشا أوْجَرْتُهُ عمريا

فبرز له عمار بن ياسر وإنه لأضعف من بارزه وإن الناس ليسترجعون حين قام عمار وأنا أقول لعمار من ضعفه هذا والله لاحقٌ بأصحابه وكان قضيفا حمش الساقين وعليه سيف حمائله بشقه قائمه قريب من إبطه فيضربه ابن يثربى بسيفه فنشب فى حَجَفته وضربه عمار وأوهطه ورمى أصحاب علىّ ابن يثربى بالحجارة حتى أثخنوه وارتثُّوه (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن حماد البرجمى عن خارجة بن الصلت قال لما قال الضبى يوم الجمل:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننعى ابن عفان بأطراف الأسل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل

قال عمير بن أبى الحارث:

كيف نَرُدُّ شيخكُمْ وقد قَحَلْ نحن ضَرَبنا صدرَهُ حتّى انجَفَلْ

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن حكيم عن أبيه عن جده قال عقر الجمل رجل من بنى ضبة يقال له ابن دلجة عمرو أو بجير وقال فى ذلك الحارث بن قيس وكان من أصحاب عائشة:

نحن ضربنا ساقَهُ فانجَدَلا من ضربَةٍ بالنّفْرِ كانت فَيْصَلا
لو لم نكُوْنْ للرسولِ ثِقَلا وحُرْمَةً لاقتَسَموا نا نَجَلا

وقد نحل ذلك المثنى بن محرمة من أصحاب علىّ

شدة القتال يوم الجمل وخبر أعين بن ضُبيعة واطلاعه فى الهودج

(كتب الىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن نويرة عن أبى عثمان

قال قال القعقاع ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من قتال القلب يوم الجمل بقتال صفين لقد رأيتنا ندافعهم بأسنتنا وتتكئ على أزجتنا وهم مثل ذلك حتى لو أن الرجال مشت عليها لاستقلت بهم ❊ حدثنى عيسى بن عبد الرحمن المروزى قال حدثنا الحسن ابن الحسين العُرنى قال حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمى عن سليمان بن قرم عن الأعمش عن عبد الله بن سنان الكاهلى قال لما كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيت وتطاعنا بالرماح حتى تشبكت فى صدورنا وصدورهم حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت ثم قال على السيوف يا أبناء المهاجرين (قال الشيخ) فما دخلت دار الوليد إلا ذكرت ذلك اليوم ❊ حدثنى عبد الأعلى بن واصل قال حدثنا أبو نُعيم قال حدثنا فِطر قال سمعت أبا بشير قال كنت مع مولاى زمن الجمل فما مررت بدار الوليد قط فسمعت أصوات القصارين يضربون إلا ذكرت قتالهم ❊ حدثنى عيسى بن عبد الرحمن المروزى قال حدثنا الحسن بن الحسين قال حدثنا يحيى بن يعلى عن عبد الملك بن مسلم عن عيسى بن حطان قال حاص الناس حيصة ثم رجعنا وعائشة على جمل أحمر فى هودج أحمر ما شبهته إلا القنفذ من النبل ❊ حدثنى عبد الله بن أحمد قال حدثنى أبى قال حدثنى سليمان قال حدثنى عبد الله قال حدثنى ابن عون عن أبى رجاء قال ذكروا يوم الجمل فقال كأنى أنظر إلى خدر عائشة كأنه قنفذ مما رمى فيه من النبل فقلت لأبى رجاء أقاتلت يومئذ قال والله لقد رميت بأسهم فما أدرى ما صنعن (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن راشد السلمى عن ميسرة أبى جميلة أن محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر أتيا عائشة وقد عقر الجمل فقطعا غُرْضة الرحل واحتملا الهودج فنحياه حتى أمرهما على فيه أمره بعدُ قال أدخلاها البصرة فأدخلاها دار عبد الله بن خلف الخزاعى (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا أمر على نفرا بحمل الهودج من بين القتلى وقد كان القعقاع وزفر بن الحارث أنزلاه عن ظهر البعير فوضعاه إلى جنب البعير فأقبل محمد بن أبى بكر إليه ومعه نفر فأدخل يده فيه فقالت من هذا قال أخوك البر قالت عَقوق قال عمار بن ياسر كيف رأيت

ضرب بنيك اليوم ياأمه قالت من أنت قال أناابنك البار عمار قالت لست لك بأم قال بلى وإن كرهت قالت فخرتم ان ظفرتم وأتيتم مثل مانقمتم هيهات والله لن يظفر من كان هذا دأبه وأبرزوها بهودجها من القتلى ووضعوها ليس قربها أحد وكأن هودجها فرخ مقصّب مما فيه من النبل وجاء أعين بن ضبيعة المجاشعى حتى اطلع فى الهودج فقالت إليك لعنك الله فقال والله ماأرى إلا حميراء قالت هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمى به عريانا فى خربة من خربات الأزد فانتهى إليها علىّ فقال إى أمه يغفر الله لنا ولكم قالت غفر الله لنا ولكم (كتب الىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن حكيم بن شريك عن أبيه عن جده قال انتهى محمد بن أبى بكر ومعه عمار فقطع الانساع عن الهودج واحتملاه فلما وضعاه أدخل محمد يده وقال أخوك محمد فقالت مذمم قال ياأخية هل أصابك شىء قالت ماأنت من ذاك قال فمن اذاً ألضلال قالت بل الهداة وانتهى اليها علىّ فقال كيف أنت ياأمه قالت بخير قال يغفر الله لك قالت ولك (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا ولما كان من آخر الليل خرج محمد بعائشة حتى أدخلها البصرة فأنزلها فى دار عبد الله بن خلف الخزاعى على صفية ابنة الحارث بن طلحة بن أبى طلحة بن عبدالعزى بن عثمان بن عبد الدار وهى أم طلحة الطلحات بن عبدالله ابن خلف . وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ فى قول الواقدى

مقتل الزبير بن العوام رضى الله عنه

(كتب إلى السرىّ) عن شعيب عن سيف عن الوليد بن عبد الله عن أبيه قال لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحة والزبير رمضى الزبير رضى الله عنه حتى مر بعسكر الأحنف فلما رآه وأخبر به قال والله ماهذا انحياز وقال للناس من يأتينا بخبره فقال عمرو بن جُرموز لأصحابه أنا فأتبعه فلما لحقه نظر إليه الزبير وكان شديد الغضب قال ماوراءك قال إنما أردت أن أسألك فقال غلام للزبير يدعى

غطية كان معه أنه معدّ فقال مايهولك من رجل وحضرت الصلاة فقال ابن جرموز الصلاة فقال الزبير الصلاة فنزلا واستدبره ابن جرموز فطعنه من خلفه فى جربان درعه فقتله وأخذ فرسه وخاتمه وسلاحه وخلى عن الغلام فدفنه بوادى السباع ورجع الى الناس بالخبر فأما الأحنف فقال والله ماأدرى أحسنت أم أسأت ثم انحدر الى علىّ وابن جرموز معه فدخل عليه فأخبره فدعا بالسيف فقال سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث بذلك الى عائشة ثم أقبل على الأحنف فقال تربصت فقال ما كنت أرانى إلا قد أحسنت وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين فارفق فان طريقك الذى سلكت بعيد وأنت الىّ غدا أحوج منك أمس فاعرف احسانى واستصف مودتى لغد ولا تقولن مثل هذا فانى لم أزل لك ناصحا

من انهزم يوم الجمل فاختفى ومضى فى البلاد

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا ومضى الزبير فى صدر يوم الهزيمة راجلا نحو المدينة فقتله ابن جرموز قالا وخرج عتبة ابن أبى سفيان وعبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم يوم الهزيمة قد شججوا فى البلاد فلقوا عصمة بن أبير التيمى فقال هل لكم فى الجوار قالوا من أنت قال عصمة بن أبير قالوا نعم قال فأنتم فى جوارى إلى الحول فمضى بهم ثم حماهم وأقام عليهم حتى برئوا ثم قال اختاروا أحب بلد إليكم أبلغكموه قالوا الشأم فخرج بهم فى أربعمائة راكب من تيم الرباب حتى إذا وغلوا فى بلاد كلب بدومة قالوا قد وفيت ذمتك وذمتهم وقضيت الذى عليك فارجع فرجع وفى ذلك يقول الشاعر

وَفَى ابنُ أُبَيْرٍ والرماحُ شوارعُ ... بِآلِ أَبى العاصى وَفاءً مُذَكرا

وأما ابن عامر فانه خرج أيضاً مشججاً فتلقاه رجل من بنى حرقوص يدعى مرى فدعاه للجوار فقال نعم فأجاره وأقام عليه وقال أى البلدان أحبّ اليك قال دمشق فخرج به فى ركب من بنى حرقوص حتى بلغوا به دمشق وقال حارثة بن بدر وكان مع عائشة وأصيب فى الوقعة ابنه أو أخوه زراع (وفى نسخة أخرى دراع)

أتانى من الأنباءِ أنَّ ابْنَ عامِرٍ أناخ وألقى فى دِمَشْقَ المَراسِيا

وأوى مروان بن الحكم إلى أهل بيت من عنزة يوم الهزيمة فقال لهم أعلموا مالك بن مِسمع بمكانى فأتوا مالكا فأخبروه بمكانه فقال لأخيه مقاتل كيف نصنع بهذا الرجل الذى قد بعث الينا يعلمنا بمكانه قال ابعث ابن أخى فأجره والتمسوا له الأمان من علىّ فان آمنه فذاك الذى نحب وان لم يؤمنه خرجنا به وبأسيافنا فان عرض له جالدنا دونه بأسيافنا فإما أن نسلم وإما أن نهلك كراما وقد استشار غيره من أهله من قبل فى الذى استشار فيه مقاتلا فنهاه فأخذ برأى أخيه وترك رأيهم فأرسل إليه فأنزله فى داره وعزم على منعه إن اضطر إلى ذلك وقال الموت دون الجوار وفاءٌ وحفظ لهم بنو مروان ذلك بعد وانتفعوا به عندهم وشرفوهم بذلك وأوى عبد الله بن الزبير إلى دار رجل من الأزد يدعى وزيراً وقال ائت أم المؤمنين فأعلمها بمكانى وإياك أن يطلع على هذا محمد بن أبى بكر فأتى عائشة رضى الله عنها فأخبرها فقالت علىّ بمحمد فقال يا أم المؤمنين إنه قد نهانى أن يعلم به محمد فارسلت إليه فقالت اذهب مع هذا الرجل حتى تجيئنى بابن أختك فانطلق معه فدخل بالأزدى على ابن الزبير قال جئتك والله بما كرهت وأبت أم المؤمنين إلا ذلك فخرج عبد الله ومحمد وهما يتشاتمان فذكر محمد عثمان فشتمه وشتم عبد الله محمدا حتى انتهى إلى عائشة فى دار عبد الله بن خلف وكان عبد الله بن خلف قتل يوم الجمل مع عائشة وقتل عثمان أخوه مع علىّ وأرسلت عائشة فى طلب من كان جريحا فضمت منهم ناسا وضمت مروان فيمن ضمت فكانوا فى بيوت الدار (كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وغشى الوجوه عائشة وعلىّ فى عسكره ودخل القعقاع بن عمرو على عائشة فى أول من دخل فسلم عليها فقالت إنى رأيت رجلين بالأمس اجتلدا بين يدى وارتجزا بكذا فهل تعرف كوفيّك منهما قال نعم ذاك الذى قال أعقّ أم نعلم وكذب والله إنك لأبر أم نعلم ولكن لم تطاعى فقالت والله لوددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وخرج فأتى علياً فأخبره أن عائشة سألته فقال ويحك من الرجلان قال ذلك

أبو هالة الذى يقول كيما أرى صاحبه عليا فقال والله لوددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة فكان قولهما واحدا (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وتسلل الجرحى فى جوف الليل ودخلوا البصرة من كان يطيق الانبعاث منهم وسألت عائشة يومئذ عن عدة من الناس منهم من كان معها ومنهم من كان عليها وقد غشيها الناس وهى فى دار عبد الله بن خلف فكلما نعى لها منهم واحد قالت يرحمه الله فقال لها رجل من أصحابها كيف ذلك قالت كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان فى الجنة وفلان فى الجنة وقال على بن أبى طالب يومئذ إنى لأرجو ألا يكون أحد من هؤلاء نقى قلبه إلا أدخله الله الجنة (كتب الى السرى) عن شعيب عن سيف عن عطية عن أبى أيوب عن على قال ما نزل على النبى صلى الله عليه آية أفرح له من قول الله عز وجل (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) فقال صلى الله عليه وسلم ما أصاب المسلم فى الدنيا من مصيبة فى نفسه فبذنب وما يعفو الله عز وجل عنه أكثر وما أصابه فى الدنيا فهو كفارة له وعفو منه لا يعتد عليه فيه عقوبة يوم القيامة وما عفا الله عز وجل عنه فى الدنيا فقد عفا عنه والله أعظم من أن يعود فى عفوه

توجع على على قتلى الجمل ودفنهم وجمعه ما كان فى العسكر والبعث به إلى البصرة

(كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وأقام على ابن ابى طالب فى عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة وندب الناس إلى موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم فطاف على من معهم فى القتلى فلما أتى بكعب بن سور قال زعمتم أنما خرج معهم السفهاء وهذا الحبر قد ترون وأتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال هذا يعسوب القوم يقول الذى كانوا يطيفون به يعنى أنهم قد كانوا اجتمعوا عليه ورضوا به لصلاتهم وجعل على كلما مر برجل فيه خير قال زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء هذا العابد المجتهد وصلى على قتلاهم من أهل البصرة وعلى قتلاهم من أهل الكوفة وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء فكانوا مدنيين ومكيين ودفن على الأطراف فى قبر عظيم وجمع ما كان فى العسكر من شىء ثم بعث

به إلى مسجد البصرة أن من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً كان فى الخزائن عليه سمة السلطان فإنه مما بقى مالم يعرف خذوا ما أجلبوا به عليكم من مال الله عز وجل لا يحل لمسلم من مال المسلم المتوفى شىء وإنما كان ذلك السلاح فى أيديهم من غير تنفل من السلطان

عدد قتلى الجمل

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان قتلى الجمل حول الجمل عشرة آلاف نصفهم من أصحاب على ونصفهم من أصحاب عائشة من الأزد ألفان ومن سائر اليمن خمسمائة ومن مضر ألفان وخمسمائة من قيس وخمسمائة من تميم وألف من بنى ضبة وخمسمائة من بكر بن وائل وقيل قتل من أهل البصرة فى المعركة الأولى خمسة آلاف وقتل من أهل البصرة فى المعركة الثانية خمسة آلاف فذلك عشرة آلاف قتيل من أهل البصرة ومن أهل الكوفة خمسة آلاف قالا وقتل من بنى عدى يومئذ سبعون شيخاً كلهم قد قرأ القرآن سوى الشباب ومن لم يقرإ القرآن وقالت عائشة رضى الله عنها مازلت أرجو النصر حتى خفيت أصوات بنى عدى

دخول علىّ على عائشة وما أمر به من العقوبة فيمن تناولها

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا ودخل علىّ البصرة يوم الاثنين فانتهى إلى المسجد فصلى فيه ثم دخل البصرة فأتاه الناس ثم راح إلى عائشة على بغلته فلما انتهى إلى دار عبد الله بن خلف وهى أعظم دار بالبصرة وجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابنى خلف مع عائشة وصفية ابنة الحارث مختمرة تبكى فلما رأته قالت يا علىّ ياقاتل الأحبة يا مفرق الجمع أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبد الله منه فلم يردعليها شيئاً ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها وقال لها جَبَهَتْنَا صفية أما إنى لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم فلما خرج على أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام فكف بغلته وقال أما لهَمَمْتُ وأشار إلى الأبواب من الدار أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه

ثم هذا فأقتل من فيه ثم هذا فأقتل من فيه وكان أناس من الجرحى قد لجأوا إلى عائشة فأخبر على بمكانهم عندها فتغافل عنهم فسكت فخرج علىّ فقال رجل من الأزد والله لاتفلتنا هذه المرأة فغضب وقال صه لاتهتكن ستراً ولا تدخلن داراً ولا تهيجن امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسفّهن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب فيُعير بها عَقبه من بعده فلا يبلغنى عن أحد عرض لامرأة فأنكل به شرار الناس ومضى على فلحق به رجل فقال يا أمير المؤمنين قام رجلان عمن لقيت على الباب فتناولا من هو أمضّ لك شتيمة من صفية قال ويحك لعلها عائشة قال نعم قام رجلان منهم على باب الدار فقال أحدهما

جُزيتِ عنّا أمّنا عُقوقا وقال الآخر يا أمنا توبى فقد خَطِئتِ

فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب فأقبل بمن كان عليه فأحالوا على رجلين فقال اضرب أعناقهما ثم قال لأنهكنهما عقوبة فضربهما مائة مائة وأخرجهما من ثيابهما (كتب إلى السرىّ) عن شعيب عن سيف عن الحارث بن حصيرة عن أبى الكنود قال هما رجلان من أزد الكوفة يقال لهما عجل وسعد ابنا عبد الله

بيعة أهل البصرة علياً وقسمه ما فى بيت المال عليهم

(كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا بايع الأحنف من العشى لأنه كان خارجا هو وبنو سعد ثم دخلوا جميعاً البصرة فبايع أهل البصرة على راياتهم وبايع علىّ أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمنة فلما رجع مروان لحق بمعاوية * وقال قائلون لم يبرح المدينة حتى فرغ من صفين قالا ولما فرغ علىّ من بيعة أهل البصرة نظر فى بيت المال فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة فقسمها على من شهد معه فأصاب كل رجل منهم خمسمائة وقال لكم إن أظفركم الله عز وجل بالشأم مثلها إلى أعطياتكم وخاض فى ذلك السبائية وطعنوا على علىّ من وراء وراء

سيرة علىّ فيمن قاتل يوم الجمل

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن راشد عن أبيه قال كان من سيرة علىّ أن لا يقتل مدبراً ولا يذفف على جريح ولا يكشف ستراً ولا يأخذ مالا فقال قوم يومئذ ما يحل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم فقال علىّ القوم أمثالكم من صفح عنا فهو منا ونحن منه ومن لجّ حتى يصاب فقتاله منى على الصدر والنحر وإن لكم فى خمسه لغنى فيومئذ تكلمت الخوارج

بعثة الأشتر إلى عائشة بجمل اشتراه لها وخروجها من البصرة إلى مكة

❋ حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا يحيى بن آدم عن أبى بكر بن عياش عن عاصم بن كليب عن أبيه قال لما فرغوا يوم الجمل أمرنى الأشتر فانطلقت فاشتريت له جملا بسبعمائة درهم من رجل من مَهرة فقال انطلق به إلى عائشة فقل لها بعث به إليك الأشتر مالك بن الحارث وقال هذا عوض من بعيرك فانطلقت به إليها فقلت مالك يقرئك السلام ويقول إن هذا البعير مكان بعيرك قالت لا سلم الله عليه إذ قتل يعسوب العرب تعنى ابن طلحة وصنع بابن أختى ما صنع قال فرددته إلى الأشتر وأعلمته قال فاخرج ذراعين شعراوين وقال أرادوا قتلى فما أصنع

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا قصدت عائشة مكة فكان وجهها من البصرة وانصرف مروان والأسود بن أبى البخترى إلى المدينة من الطريق وأقامت عائشة بمكة إلى الحج ثم رجعت إلى المدينة

ما كتب به علىّ بن أبى طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة

(كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وكتب علىّ بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب فى أمرها وهو يومئذ بمكة من عبد الله علىّ أمير المؤمنين أما بعد فإنا التقينا فى النصف من جمادى الآخرة بالخريبة فناء من أفنية البصرة فأعطاهم الله عز وجل سُنة المسلمين وقتل منا ومنهم قتلى كثيرة وأصيب ممن أصيب منا ثمامة بن المثنى وهند بن عمرو وعلباء بن الهيثم وسيحان وزيد ابنا صوحان ومحدوج وكتب عبد الله بن رافع وكان الرسول زفر بن قيس

إلى الكوفة بالبشارة فى جمادى الآخرة

أخذ على البيعة على الناس
وخبر زياد بن أبى سفيان وعبد الرحمن بن أبى بكرة

وكان فى البيعة عليك عهد الله وميثاقه بالوفاء لتكونن لسلمنا سلماً ولحربنا حرباً ولتكفن عنا لسانك ويدك وكان زياد بن أبى سفيان ممن اعتزل ولم يشهد المعركة قعد وكان فى بيت نافع بن الحارث وجاء عبد الرحمن بن أبى بكرة فى المستأمنين مسلماً بعد ما فرغ علىّ من البيعة فقال له على وعمك المتربص المقاعد بى فقال والله يا أمير المؤمنين إنه لك لوادّ وإنه على مسرتك لحريص ولكنه بلغنى أنه يشتكى فأعلم لك علمه ثم آتيك وكتم عليا مكانه حتى استأمره فأمره أن يعلمه فأعلمه فقال علىّ امش أمامى فاهدنى إليه ففعل فلما دخل عليه قال تقاعدتَ عنى وتربصت ووضع يده على صدره وقال هذا وجع بيِّن فاعتذر إليه زياد فقبل عذره واستشاره وأراده على على البصرة فقال رجل من أهل بيتك يسكن اليه الناس فإنه أجدر أن يطمئنوا أو ينقادوا وسأكفيكه وأشير عليه فافترقا على ابن عباس ورجع علىّ الى منزله

تأمير ابن عباس على البصرة وتولية زياد الخراج

وأمّر ابن عباس على البصرة وولى زياداً الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس أن يسمع منه فكان ابن عباس يقول استشرته عند هنة كانت من الناس فقال إن كنت تعلم أنك على الحق وأن من خالفك على الباطل أشرت عليك بما ينبغى وإن كنت لا تدرى أشرت عليك بما ينبغى كذلك فقلت إنى على الحق وإنهم على الباطل فقال اضرب بمن أطاعك من عصاك ومن ترك أمرك فإن كان أعز للإسلام وأصلح له أن يضرب عنقه فاضرب عنقه فاستكتبته فلما ولى رأيت ما صنع وعلمت أنه قد اجتهد لى رأيه وأعجلت السبائية علياً عن المقام وارتحلوا بغير إذنه فارتحل فى آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن كانوا أرادوه وقد كان له فيها مقام (كتب إلىّ السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا علم أهل المدينة بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب

الشمس من نسر مر بما حول المدينة معه شيء متعلقه فتأمله الناس فوقع فإذا كف فيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وجفل من بين مكة والمدينة من أهل البصرة من قرب من البصرة أو بعد وقد علموا بالوقعة مما ينقل إليهم النسور من الأيدى والأقدام

تجهيز علىّ عليه السلام عائشة رضى الله عنها من البصرة

(كتب إلىّ السرىّ) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وجهز علىّ عائشة بكل شيء ينبغى لها من مركب أو زاد أو متاع وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال تجهز يا محمد فبلغها فلما كان اليوم الذى ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها وحضر الناس فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم وقالت يا بنىّ تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك إنه والله ما كان بينى وبين علىّ فى القديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه عندى على معتبتى من الأخيار وقال علىّ يا أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بينى وبينها الا ذلك وإنها الزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ٣٦ وشيعها علىّ أميالا وسرح بنيه معها يوما

ماروى من كثرة القتلى يوم الجمل

❊ حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا محمد بن الفضل بن عطية الخراسانى عن سعيد القطعى قال كنا نتحدث أن قتلى الجمل يزيدون على ستة آلاف

❊ حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبّويه قال حدثنى أبى قال حدثنا سليمان بن صالح قال حدثنى عبد الله عن جرير بن حازم قال حدثنى الزبير بن الخريت عن أبى لبيد لمازة بن زياد قال قلت له لمَ تسب علياً قال ألا أسب رجلا قتل منا ألفين وخمسمائة والشمس هاهنا قال جرير بن حازم وسمعت ابن أبى يعقوب يقول قتل علىّ بن أبى طالب يوم الجمل ألفين وخمسمائة ألف وثلثمائة وخمسون من الأزد وثمانمائة من بنى ضبة وثلثمائة وخمسون من سائر الناس ❊ وحدثنى أبى عن سليمان عن عبد الله عن جرير قال

قتل المعرض بن علاط يوم الجمل فقال أخوه الحجاج

لم أرَ يَوْمًا كان أكْثرَ ساعِيًا بِكف شِمالٍ فارَقَتْها يَمينها

قال معاذ وحدثني عبدالله قال قال جرير قتل المعرض بن علاط يوم الجمل فقال أخوه الحجاج

لم أر يوماً كان أكثر ساعيا بكف شمال فارقتها يمينها

ماقال عمار بن ياسر لعائشة حين فرغ من الجمل

❊ حدثني عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي عن سليمان قال حدثني عبدالله عن جرير بن حازم قال سمعت أبا يزيد المديني يقول قال عمار بن ياسر لعائشة رضى الله عنها حين فرغ القوم ياأم المؤمنين ماأبعد هذا المسير من العهد الذي عهد اليك قالت أبو اليقظان قال نعم قالت والله إنك ماعلمت قوال بالحق قال الحمد لله الذي قضى لي على لسانك

آخر حديث الجمل

بعثة عليّ بن أبي طالب قيس بن سعد بن عبادة أميراً على مصر

﴿وفي هذه السنة﴾ أعني سنة ٣٦ قتل محمد بن أبي حذيفة وكان سبب قتله أنه لما خرج المصريون إلى عثمان مع محمد بن أبي بكر أقام بمصر وأخرج عنها عبدالله ابن سعد بن أبي سرح وضبطها فلم يزل بها مقيما حتى قتل عثمان رضي الله عنه وبويع لعليّ وأظهر معاوية الخلاف وبايعه على ذلك عمرو بن العاص فسار معاوية وعمرو إلى محمد بن أبي حذيفة قبل قدوم قيس بن سعد مصر فعالجا دخول مصر فلم يقدرا على ذلك فلم يزالا يخدعان محمد بن أبي حذيفة حتى خرج الى عريش مصر في ألف رجل فتحصن بها وجاءه عمرو فنصب المنجنيق عليه حتى نزل في ثلاثين من أصحابه وأخذوا وقتلوا رحمهم الله ﴿وأما هشام بن محمد﴾ فانه ذكر أن أبا مخنف لوط بن يحيي بن سعيد ابن مخنف بن سليم حدثه عن محمد بن يوسف الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج عن عباس بن سهل الساعدي أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف هو الذي كان سرب المصريين إلى عثمان بن عفان وأنهم لما ساروا الى عثمان

فحصروه وثب هو بمصر على عبدالله بن سعد بن أبى سرح أحد بنى عامر بن لؤى القرشى وهو عامل عثمان يومئذ على مصر فطرده منها وصلى بالناس فخرج عبدالله ابن سعد من مصر فنزل على تخوم أرض مصر مما يلى فلسطين فانتظر ما يكون من أمر عثمان فطلع راكب فقال يا عبد الله ما وراءك خبرنا بخبر الناس خلفك قال أفعل قتل المسلمون عثمان رضى الله عنه فقال عبدالله بن سعد إنا لله و إنا إليه راجعون ياعبدالله ثم صنعوا ماذا قال ثم بايعوا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ ابن أبى طالب قال عبدالله بن سعد إنا لله وإنا اليه راجعون قال له الرجل كأن ولاية علىّ بن أبى طالب عدلت عندك قتل عثمان قال أجل قال فنظر اليه الرجل فتأمله فعرفه وقال كأنك عبدالله بن أبى سرح أمير مصر قال أجل قال له الرجل فإن كان لك فى نفسك حاجة فالنجاء النجاء فإن رأى أمير المؤمنين فيك وفى أصحابك سيء إن ظفر بكم قتلكم أو نفاكم عن بلاد المسلمين وهذا بعدى أمير يقدم عليك قال له عبدالله ومن هذا الأمير قال قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى قال عبدالله بن سعد أبعد الله محمد بن أبى حذيفة فإنه بغى على ابن عمه وسعى عليه وقد كان كفله ورباه وأحسن اليه فأساء جواره ووثب على عماله وجهز الرجال اليه حتى قتل ثم ولى عليه من هو أبعد منه ومن عثمان لم يمتعه بسلطان بلاده حولا ولا شهرا ولم يره لذلك أهلا فقال له الرجل أنج بنفسك لا تقتل فخرج عبدالله بن سعد هاربا حتى قدم على معاوية بن أبى سفيان دمشق ﴿قال أبو جعفر﴾ فخبر هشام هذا يدل على أن قيس بن سعد ولى مصر ومحمد بن أبى حذيفة حىّ ﴿وفى هذه السنة﴾ بعث علىّ بن أبى طالب على مصر قيس بن سعد ابن عبادة الأنصارى فكان من أمره ما ذكر هشام بن محمد الكلبى قال حدثنى أبو مخنف عن محمد بن يوسف بن ثابت عن سهل بن سعد قال لما قتل عثمان رضى الله عنه وولى علىّ بن أبى طالب الأمر دعا قيس بن سعد الأنصارى فقال له سر إلى مصر فقد وليتكها واخرج الى رحلك واجمع اليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فان ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك فاذا أنت قدمتها إن

شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فان الرفق يمن فقال له قيس بن سعد رحمك الله ياأمير المؤمنين فقد فهمت ماقلت أما قولك اخرج اليها بجند فوالله لئن لم أدخلها إلا بجند آتيها به من المدينة لاأدخلها أبدا فأنا أدع ذلك الجند لك فان أنت احتجت اليهم كانوا منك قريبا وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عدة لك وأنا أصير اليها بنفسي وأهل بيتي وأما ماأوصيتني به من الرفق والإحسان فان الله عز وجل هو المستعان على ذلك قال فخرج قيس بن سعد فى سبعة نفر من أصحابه حتى دخل مصر فصعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين فقرئ على أهل مصر بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فانى أحمد اليكم الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فان الله عز وجل بحسن صنعه وتقديره وتدبيره اختار الاسلام دينا لنفسه وملائكته ورسله وبعث به الرسل عليهم السلام إلى عباده وخص به من انتخب من خلقه فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الأمة وخصهم به من الفضيلة أن بعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة لكيما يهتدوا وجمعهم لكيما لا يتفرقوا وزكاهم لكيما يتطهروا ورفههم لكيما لا يجوروا فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله عز وجل صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ثم إن المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين عملا بالكتاب والسنة وأحسنا السيرة ولم يعدوا السنة ثم توفاهما الله عز وجل رضى الله عنهما ثم ولى بعدهما وال فأحدث أحداثا فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا ثم نقموا عليه فغيروا ثم جاؤنى فبايعونى فأستهدى الله عز وجل بالهدى وأستعينه على التقوى ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والقيام عليكم بحقه والتنفيذ لسنته والنصح لكم بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل وقد بعثت اليكم قيس بن سعد بن عبادة أميرا فوازروه وكانفوه وأعينوه على الحق وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم وهو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته أسأل الله عز وجل لنا ولكم عملا

زاكيا وثوابا جزيلا ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتب عبيد ابن أبى رافع فى صفر سنة ٣٦ قال ثم إن قيس بن سعد قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى جاء بالحق وأمات الباطل وكبت الظالمين أيها الناس انا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم فقام الناس فبايعوا واستقامت له مصر وبعث عليها عماله إلا أن قرية منها يقال لها خربتا فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وبها رجل من كنانة ثم من بنى مدلج يقال له يزيد بن الحارث من بنى الحارث بن مدلج فبعث هؤلاء إلى قيس ابن سعد إنا لا نقاتلك فابعث عمالك فالأرض أرضك ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر الى ما يصير أمر الناس قال ووثب مسلمة بن مخلد الأنصارى ثم من ساعدة من رهط قيس بن سعد فنعى عثمان بن عفان رضى الله عنه ودعا الى الطلب بدمه فارسل اليه قيس بن سعد ويحك علىَّ تثب فو الله ما أحب ان لى ملك الشأم الى مصر وانى قتلتك فبعث اليه مسلمة انى كافٌّ عنك مادمت أنت والى مصر قال وكان قيس بن سعد له حزم ورأى فبعث الى الذين بخربتا انى لا أكرهكم على البيعة وأنا أدعكم وأكف عنكم فهادنهم وهادن مسلمة بن مخلد وجبى الخراج ليس أحد من الناس ينازعه قال وخرج أمير المؤمنين الى أهل الجمل وهو على مصر ورجع الى الكوفة من البصرة وهو بمكانه فكان أثقل خلق الله على معاوية بن أبى سفيان لقربه من الشأم مخافة أن يقبل اليه علىٌّ فى أهل العراق ويقبل اليه قيس بن سعد فى أهل مصر فيقع معاوية بينهما وكتب معاوية بن أبى سفيان الى قيس بن سعد وعلىٌّ بن أبى طالب يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين من معاوية بن أبى سفيان إلى قيس ابن سعد سلام عليك أما بعد فإنكم إن كنتم نقمتم على عثمان بن عفان رضى الله عنه فى أثرة رأيتموها أو ضربة سوط ضربها أو شتيمة رجل أو فى تسييره آخر أو فى استعماله الفُتىَّ فانكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يكن يحل لكم فقد

ركبتم عظيما من الأمر وجئتم شيئاً إدًّا فتب إلى الله عز وجل يا قيس بن سعد فإنك كنت فى المجلبين على عثمان بن عفان رضى الله عنه ان كانت التوبة من قتل المؤمن تغنى شيئاً فأما صاحبك فإنا استقينا أنه الذى أغرى به الناس وحملهم على قتله حتى قتلوه وانه لم يسلم من دمه عظم قومك فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل تابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقين إذا ظهرت ما بقيت ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لى سلطان وسلنى غير هذا مما تحب فانك لا تسألنى شيئاً الا أوتيته واكتب الىّ برأيك فيما كتبت به اليك والسلام فلما جاءه كتاب معاوية أحب أن يدافعه ولا يبدى له أمره ولا يتعجل له حربه فكتب اليه أما بعد فقد بلغنى كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان رضى الله عنه وذلك أمر لم أقارفه ولم أطف به وذكرت أن صاحبى هو أغرى الناس بعثمان ودسهم اليه حتى قتلوه وهذا ما لم أطلع عليه وذكرت أن عُظم عشيرتى لم تسلم من دم عثمان فأول الناس كان فيه قياما عشيرتى وأما ماسألتنى من متابعتك وعرضت علىّ من الجزاء به فقد فهمته وهذا أمر لى فيه نظر وفكرة وليس هذا مما يسرع اليه وأنا كاف عنك ولن يأتيك من قبلى شىء تكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله والمستجار الله عز وجل والسلام عليك ورحمة الله وبركاته قال فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مقاربا مباعداً ولم يأمن أن يكون له فى ذلك مباعدا مكايداً فكتب اليه معاوية أيضا أما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلما ولم أرك تباعد فأعدك حرباً أنت فيما ههنا كحنك الجزور وليس مثلى يصانع المخادع ولا ينتزع للمكايد ومعه عدد الرجال وبيده أعنة الخيل والسلام عليك فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية ورأى أنه لا يقبل معه المدافعة والمماطلة أظهر له ذات نفسه فكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم من قيس بن سعد إلى معاوية ابن أبى سفيان أما بعد فان العجب من اغترارك بى وطمعك فىّ واستسقاطك رأيى أتسومنى الخروج من طاعة أولى الناس بالإمرة وأقولهم للحق وأهداهم سبيلا وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة وتأمرنى بالدخول فى طاعتك

طاعة أبعد الناس من هذا الأمر وأقولهم للزور وأضلهم سبيلا وأبعدهم من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وسيلة ولد ضالين مضلين طاغوت من طواغيت إبليس وأما قولك إني مالئ عليك مصر خيلا ورجلا فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم اليك إنك لذو جَد والسلام فلما بلغ معاوية كتاب قيس أيس منه وثقل عليه مكانه ﴿ حدثني عبد الله بن أحمد المروزى قال حدثني سليمان قال حدثني عبدالله عن يونس عن الزهرى قال كانت مصر من حين على عليها قيس ابن سعد بن عبادة وكان صاحب راية الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ذوى الرأى والبأس وكان معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص جاهدين على أن يخرجاه من مصر ليغلبا عليها فكان قد امتنع فيها بالدهاء والمكايدة فلم يقدرا عليه ولا على أن يفتتحا مصر حتى كاد معاوية قيس بن سعد من قِبل علىّ وكان معاوية يحدث رجالا من ذوى الرأى من قريش يقول ماابتدعت مكايدة قط كانت أعجب عندى من مكايدة كدت بها قيسا من قبل علىّ وهو بالعراق حين امتنع منى قيس قلت لأهل الشام لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا إلى غزوه فانه لنا شيعة يأتينا كيِّس نصيحته سرا ألا ترون مايفعل باخوانكم الذين عنده من أهل خربتا يجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويؤمن سربهم ويحسن إلى كل راكب قدم عليه منكم لا يستنكرونه فى شىء (قال معاوية) وهممت أن أكتب بذلك إلى شيعتى من أهل العراق فيسمع بذلك جواسيس علىّ عندى وبالعراق فبلغ ذلك عليا ونماه إليه محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبى طالب فلما بلغ ذلك عليا اتهم قيسا وكتب إليه يأمره بقتال أهل خربتا وأهل خربتا يومئذ عشرة آلاف فأبى قيس بن سعد أن يقاتلهم وكتب إلى علىّ إنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ منهم وقد رضوا منى أن أومن سربهم وأجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم وقد علمت أن هواهم مع معاوية فلست مكايدهم بأمر أهون علىّ وعليك من الذى أفعل بهم ولو أنى غزوتهم كانوا لى قرنا وهم أسود العرب ومنهم بسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج فذرنى فأنا أعلم بما أدارى منهم فأبى علىّ إلا قتالهم وأبى قيس

أن يقاتلهم فكتب قيس إلى علىّ إن كنت تتهمنى فاعزلنى عن عملك وابعث إليه غيرى فبعث على الاشتر أميرا إلى مصر حتى إذا صار بالقلزم شرب شربة عسل كان فيها حتفه فبلغ حديثهم معاوية وعمراً فقال عمرو إن لله جنداً من عسل فلما بلغ علياً وفاة الأشتر بالقلزم بعث محمد بن أبى بكر أميرا على مصر فالزهرى يذكر أن علياً بعث محمد بن أبى بكر أميرا على مصر بعد مهلك الأشتر بقلزم . وأما هشام ابن محمد فانه ذكر فى خبره أن عليا بعث بالأشتر أميراً على مصر بعد مهلك محمد ابن أبى بكر (رجع الحديث إلى حديث هشام عن أبى مخنف) ولما أيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره شق عليه ذلك لما يعرف من حزمه وبأسه وأظهر الناس قبله إن قيس بن سعد قد تابعهم فادعوا الله له وقرأ عليهم كتابه الذى لان له فيه وقاربه قال واختلق معاوية كتابا من قيس بن سعد فقرأه على أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم للامير معاوية بن أبى سفيان من قيس بن سعد سلام عليك فانى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فانى لما نظرت رأيت أنه لا يسعنى مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلما محرما برا تقيا فنستغفر الله عزّ وجلّ لذنوبنا ونسأله العصمة لديننا ألا وإنى قد ألقيت إليكم بالسلم وإنى أجبتك إلى قتال قتلة عثمان رضى الله عنه إمام الهدى المظلوم فعول على فيما أحببت من الأموال والرجال أعجل عليك والسلام فشاع فى أهل الشام أن قيس بن سعد قد بايع معاوية بن أبى سفيان فسرحت عيون علىّ بن أبى طالب إليه بذلك فلما أتاه ذلك أعظمه وأكبره وتعجب له ودعا بنيه ودعا عبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك فقال ما رأيكم فقال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك اعزل قيساً عن مصر قال لهم على إنى والله ما أصدق بهذا على قيس فقال عبد الله يا أمير المؤمنين اعزله فوالله لئن كان هذا حقاً لا يعتزل لك إن عزلته فانهم كذلك إذ جاء كتاب من قيس بن سعد فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن قبلى رجالا معتزلين قد سألونى أن أكف عنهم وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فنرى ويروا رأيهم فقد رأيت أن أكف عنهم وألا أتعجل حربهم وأن أتألفهم فيما بين ذلك

لعل الله عز وجل أن يقبل بقلوبهم ويفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله فقال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين ما أخوفنى أن يكون هذا ممالأة لهم منه فمره يا أمير المؤمنين بقتالهم فكتب إليه على بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلا فناجزهم إن شاء الله فلما أتى قيس بن سعد الكتاب فقرأه لم يتمالك أن كتب إلى أمير المؤمنين أما بعد يا أمير المؤمنين فقد عجبت لأمرك أتأمرنى بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لقتال عدوك وإنك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوك فأطعنى يا أمير المؤمنين واكفف عنهم فإن الرأى تركهم والسلام فلما أتاه هذا الكتاب قال له عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبى بكر على مصر يكفك أمرها واعزل قيساً والله لقد بلغنى أن قيساً يقول والله إن سلطاناً لا يتم إلا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء والله ما أحب أن لى ملك الشأم إلى مصر وإنى قتلت بن المخلد قال وكان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبى بكر لأمه فبعث على محمد بن أبى بكر على مصر وعزل عنها قيساً

ولاية محمد بن أبى بكر مصر

قال هشام عن ابن مخنف فحدثنى الحارث بن كعب الوالبى من والبة الأزد عن أبيه أن علياً كتب معه إلى أهل مصر كتاباً فلما قدم به على قيس قال له قيس ما بال أمير المؤمنين ما غيره أدخل أحد بينى وبينه قال له لا وهذا السلطان سلطانك قال لا والله لا أقيم معك ساعة واحدة وغضب حين عزله فخرج منها مقبلا إلى المدينة فقدمها فجاء حسان بن ثابت شامتاً به وكان حسان عثمانياً فقال له نزعك على بن أبى طالب وقد قتلت عثمان فبقى عليك الإثم ولم يحسن لك الشكر فقال له قيس بن سعد يا أعمى القلب والبصر والله لولا أن ألقى بين رهطى ورهطك حرباً لضربت عنقك اخرج عنى ثم إن قيساً خرج هو وسهل بن حنيف حتى قدما على على فخبره قيس فصدقه على ثم إن قيساً وسهلا شهدا مع على صفين (وأما الزهرى) فإنه قال فيما حدثنى به عبد الله بن أحمد قال حدثنى أبى قال حدثنى سليمان قال حدثنى عبد الله عن يونس عن الزهرى أن محمد بن أبى بكر قدم مصر

وخرج قيس فلحق بالمدينة فأخافه مروان والأسود بن أبى البخترى حتى إذا خاف أن يؤخذ أو يقتل ركب راحلته فظهر إلى علىّ فبعث معاوية الى مروان والأسود يتغيظ عليهما ويقول أمددتما عليا بقيس بن سعد ورأيه ومكانه فوالله لو أنكما أمددتماه بمائة ألف مقاتل ماكان ذلك بأغيظ لىّ من إخراجكما قيس ابن سعد الى علىّ فقدم قيس بن سعد على علىّ فلما أنبأه الحديث وجاءهم قتل محمد ابن أبى بكر عرف أن قيس بن سعد كان يقاسى أمورا عظاما من المكايدة وأن من كان يهزه على عزل قيس بن سعد لم ينصح له فأطاع علىّ قيس بن سعد فى الأمر كله (قال) هشام عن أبى مخنف قال حدثنى الحارث بن كعب الوالبى عن أبيه قال كنت مع محمد بن أبى بكر حين قدم مصر فلما قدم قرأ عليهم عهده بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى محمد بن أبى بكر حين ولاه مصر وأمره بتقوى الله فى السر والعلانية وخوف الله عز وجل فى الغيب والمشهد وباللين على المسلمين وبالغلظة على الفاجر وبالعدل على أهل الذمة وبإنصاف المظلوم وبالشدة على الظالم وبالعفو عن الناس وبالإحسان ما استطاع والله يجزى المحسنين ويعذب المجرمين وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة فإن لهم فى ذلك من العاقبة وعظيم المثوبة مالا يقدرون قدره ولا يعرفون كنهه وأمره أن يجبى خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينتقص منه ولا يبتدع فيه ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل وأن يلين لهم جناحه وأن يواسى بينهم فى مجلسه ووجهه وليكن القريب والبعيد فى الحق سواء وأمره أن يحكم بين الناس بالحق وأن يقوم بالقسط ولا يتبع الهوى ولا يخف فى الله عز وجل لومة لائم فإن الله جل ثناؤه مع من اتقى وآثر طاعته وأمره على ما سواه وكتب عبد الله ابن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرة شهر رمضان قال ثم إن محمد بن أبى بكر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق وبصرنا وإياكم كثيراً مما عمى عنه الجاهلون ألا إن أمير المؤمنين ولانى أموركم وعهد إلىّ ما قد سمعتم وأوصانى بكثير منه مشافهة ولن آلوكم

خيراً ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب فإن يكن ما ترون من إمارتي وأعمالي طاعة لله وتقوى فاحمدوا الله عز وجل على ما كان من ذلك فانه هو الهادي وإن رأيتم عاملا لي عمل غير الحق زائغا فارفعوه إليّ وعاتبوني فيه فاني بذلك أسعد وأنتم بذلك جديرون وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته ثم نزل * وذكر هشام عن أبي مخنف قال وحدثني يزيد بن ظبيان الهمداني أن محمد ابن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولي فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهتُ ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة قال ولم يلبث محمد بن أبي بكر شهراً كاملا حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادَعهم فقال ياهؤلاء إما أن تدخلوا في طاعتنا وإما أن تخرجوا من بلادنا فبعثوا اليه إنا لا نفعل دعنا حتى ننظر إلى ما تصير اليه أمورنا ولا تعجل بحربنا فأبى عليهم فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم فكانت وقعة صفين وهم لمحمد هائبون فلما أتاهم صبرُ معاوية وأهل الشأم لعلي وأن عليا وأهل العراق قد رجعوا عن معاوية وأهل الشأم وصار أمرهم إلى الحكومة اجترؤا على محمد بن أبي بكر وأظهروا له المبارزة فلما رأى ذلك محمد بعث الحارث بن جمهان الجعفي إلى أهل خربتا وفيها يزيد بن الحارث من بني كنانة فقاتلهم فقتلوه ثم بعث إليهم رجلا من كلب يدعى ابن مضاهم فقتلوه

(قال ابو جعفر) وفي هذه السنة فيما قيل قدم ماهويه مرزبان مرو مقراً بالصلح الذي كان جرى بينه وبين ابن عامر على علي

ذكر ذلك

قال علي بن محمد المدائني عن أبي زكرياء العجلاني عن ابن اسحاق عن أشياخه قال قدم ماهويه ابراز مرزبان مرو على علي بن أبي طالب بعد الجمل مقراً بالصلح فكتب له علي كتابا إلى دهاقين مرو والأساورة والجند سلارين ومن كان في مرو بسم الله الرحمن الرحيم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان ماهويه أبراز مرزبان مرو جاءني واني رضيت عنه وكتب سنة ٣٦ ثم انهم كفروا وأغلقوا أبرشهر

توجيه علي خليد بن طريف إلى خراسان

قال علي بن محمد المدائني أخبرنا أبو مخنف عن حنظلة بن الأعلم عن ماهان الحنفي عن الأصبغ بن نباتة المجاشعي قال بعث علي خليد بن قرة اليربوعي ويقال خليد ابن طريف إلى خراسان

ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية

﴿وفي هذه السنة﴾ أعني سنة ٣٦ بايع عمرو بن العاص معاوية ووافقه على محاربة علي وكان السبب في ذلك ما كتب به إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا لما أحيط بعثمان رضي الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجها نحو الشأم وقال والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل ومن لم يستطع نصره فليهرب فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد وخرج بعده حسان بن ثابت وتتابع على ذلك ما شاء الله قال سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا بينا عمرو بن العاص جالس بعجلان ومعه ابناه إذ مر بهم راكب فقالوا من أين قال من المدينة فقال عمرو ما اسمك قال حصيرة قال عمرو حصر الرجل قال فما الخبر قال تركت الرجل محصوراً قال عمرو يقتل ثم مكثوا أياما فمر بهم راكب فقالوا من أين قال من المدينة قال عمرو ما اسمك قال قتال قال عمرو قتل الرجل فما الخبر قال قتل الرجل قال ثم لم يكن إلا ذلك الى أن خرجت ثم مكثوا أياما فمر بهم راكب فقالوا من أين قال من المدينة قال عمرو ما اسمك قال حرب قال عمرو يكون حرب فما الخبر قال قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وبويع لعلي بن أبي طالب قال عمرو أنا أبو عبد الله يكون حرب من حك فيها قرحة نكأها رحم الله عثمان ورضي الله عنه وغفر له فقال سلامة بن زنباع الجذامي يا معشر قريش إنه والله قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا بابا إذ كسر الباب فقال عمرو وذاك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس في العدل سواء ثم تمثل عمرو في بعض ذلك

يا لَهْفَ نفسي على مالكٍ وهل يَصْرِفُ اللهْفُ حِفْظَ القَدَرْ

أنزَعُ من الحرِّ أوْدَى بهم فأعـذِرَهم أم بقومى سَـكرْ

ثم ارتحل راجلا يبكى كما تبكى المرأة ويقول واعثماناه أنعَى الحياء والدين حتى قدم دمشق وقد كان سقط اليه من الذى يكون علمٌ فعمل عليه (كتب إلى السرى) عن شعيب عن سيف عن محمد بن عبد الله عن أبى عثمان قال كان النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث عمراً إلى عمان فسمع هنالك من حبر شيئاً فلما رأى مصداقه وهو هناك أرسل إلى ذلك الحبر فقال حدثنى بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرنى من يكون بعده قال الذى كتب إليك يكون بعده ومدته قصيرة قال ثم من قال رجل من قومه مثله فى المنزلة قال فما مدته قال طويلة ثم يقتل قال غيلة أم عن ملإ قال غيلة قال فمن يلى بعده قال رجل من قومه مثله فى المنزلة قال فما مدته قال طويلة ثم يقتل قال أغيلة أم عن ملإ قال عن ملإ قال ذلك أشد فمن يلى بعده قال رجل من قومه ينتشر عليه الناس ويكون على رأسه حرب شديدة بين الناس ثم يقتل قبل أن يجتمعوا عليه قال أغيلة أم عن ملإ قال غيلة ثم لا يرون مثله قال فمن يلى بعده قال أمير الأرض المقدسة فيطول ملكه فيجتمع أهل تلك الفرقة وذلك الانتشار عليه ثم يموت (وأما الواقدى) فإنه فيما حدثنى موسى بن يعقوب عن عمه قال لما بلغ عمراً قتل عثمان رضى الله عنه قال أنا عبد الله قتلته وأنا بوادى السباع من يلى هذا الأمر من بعده إن يَلِه طلحة فهو فتى العرب سيْبا وإن يَلِه ابن أبى طالب فلا أراه إلا سيستنظف الحق وهو أكره من يليه إلىّ قال فبلغه أن علياً قد بويع له فاشتد عليه وتربص أياما ينظر مايصنع الناس فبلغه مسير طلحة والزبير وعائشة وقال أستأنى وأنظر مايصنعون فأتاه الخبر أن طلحة والزبير قد قتلا فارتج عليه أمره فقال له قائل إن معاوية بالشأم لا يريد يبايع لعلىّ فلو قارنت معاوية فكان معاوية أحبّ اليه من علىّ بن أبى طالب وقيل له إن معاوية يعظم شأن قتل عثمان ابن عفان ويحرض على الطلب بدمه فقال عمرو ادعوا لى محمدا وعبد الله فدُعيا له فقال قد كان ماقد بلغكما من قتل عثمان رضى الله عنه وبيعة الناس لعلىّ ومايرصد معاوية من مخالفة علىّ وقال ما تريان أما على فلا خير عنده وهو رجل يدل

بسابقته وهو غير مشركى فى شيء من أمره فقال عبد الله بن عمرو توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض وتوفى أبو بكر رضى الله عنه وهو عنك راض وتوفى عمر رضى الله عنه وهو عنك راض أرى أن تكف يدك وتجلس فى بيتك حتى يجتمع الناس على امام فتبايعه وقال محمد بن عمرو أنت ناب من أنياب العرب فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذكر قال عمرو أما أنت يا عبد الله فأمرتنى بالذى هو خير لى فى آخرتى وأسلم فى دينى وأما أنت يا محمد فأمرتنى بالذى أنبه لى فى دنياى وأشر لى فى آخرتى ثم خرج عمرو بن العاص ومعه ابناه حتى قدم على معاوية فوجد أهل الشأم يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان فقال عمرو بن العاص أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم ومعاوية لا يلتفت إلى قول عمرو فقال ابنا عمرو لعمرو ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إلى قولك انصرف إلى غيره فدخل عمرو على معاوية فقال والله لعجب لك إنى أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عنى أما والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن فى النفس من ذلك ما فيها حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته ولكنا إنما أردنا هذه الدنيا فصالحه معاوية وعطف عليه

توجيه على بن أبى طالب جرير بن عبد الله البجلى إلى معاوية يدعوه إلى الدخول فى طاعته

﴿وفى هذه السنة﴾ وجه على عند منصرفه من البصرة إلى الكوفة وفراغه من الجمل جرير بن عبد الله البجلى إلى معاوية يدعوه إلى بيعته وكان جرير حين خرج على إلى البصرة لقتال من قاتله بها بهمذان عاملا عليها كان عثمان استعمله عليها وكان الأشعث بن قيس على آذربيجان عاملا عليها كان عثمان استعمله عليها فلما قدم على الكوفة منصرفا اليها من البصرة كتب اليهما يأمرهما بأخذ البيعة له على من قبلهما من الناس والانصراف اليه ففعلا ذلك وانصرفا اليه فلما أراد على توجيه الرسول إلى معاوية قال جرير بن عبد الله فيما حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن عن عوانة ابعثنى اليه فانه لى وُدٌّ حتى آتيه فأدعوه إلى الدخول فى طاعتك

فقال الأشتر لعلى لا تبعثه فوالله إنى لأظن هواه معه فقال على دعه حتى تنظر ما الذى يرجع به الينا فبعثه اليه وكتب معه كتاباً يعلمه فيه اجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وما كان من حربه إياهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته فشخص اليه جرير فلما قدم عليه ماطله واستنظره ودعا عمرا فاستشاره فيما كتب به إليه فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشأم ويلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم ففعل ذلك معاوية وكان أهل الشأم فيما كتب إلى السرى يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف عن محمد وطلحة لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان رضى الله عنه الذى قتل فيه مخضباً بدمه وبأصابع نائلة زوجته مقطوعة بالبراجم أصبعان منها وشىء من الكف وأصبعان مقطوعتان من أصولها ونصف الإبهام وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر إلى الأجناد وثاب اليه الناس وبكوا سنة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه وآلى الرجال من أهل الشأم ألا يأتوا النساء ولا يمسهم الماء للغسل إلا من احتلام ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشىء أو تفنى أرواحهم فمكثوا حول القميص سنة والقميص يوضع كل يوم على المنبر ويجلله أحياناً فيلبسه وعلق فى أردانه أصابع نائلة رضى الله عنها فلما قدم جرير بن عبد الله على على فيما حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن عن عوانة فأخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشأم معه على قتاله وانهم يبكون على عثمان ويقولون إن علياً قتله وآوى قتلته وإنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه فقال الأشتر لعلى قد كنت نهيتك أن تبعث جريرا وأخبرتك بعداوته وغشه ولو كنت بعثتنى كان خيرا من هذا الذى أقام عنده حتى لم يدع باباً يرجو فتحه إلا فتحه ولا باباً يخاف منه إلا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان رضى الله عنه فقال الأشتر لو أتيتهم والله ياجرير لم يعينى جوابهم ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر ولو أطاعنى فيك أمير المؤمنين لحبسك وأشباهك فى محبس لا تخرجون منه حتى تستقيم هذه الأمور فخرج جرير بن عبد الله إلى قرقيسياء وكتب إلى معاوية فكتب اليه يأمره بالقدوم عليه وخرج أمير المؤمنين

فعسكر بالنخيلة وقدم عليه عبد الله بن عباس بمن نهض معه من أهل البصرة

خروج علي بن أبي طالب إلى صفين

* حدثني عبد الله بن أحمد المروزي قال حدثني أبي عن سليمان عن عبد الله عن معاوية بن عبد الرحمن عن أبي بكر الهذلي أن علياً لما استخلف عبد الله بن عباس على البصرة سار منها إلى الكوفة فتهيأ فيها إلى صفين فاستشار الناس في ذلك فأشار عليه قوم أن يبعث الجنود ويقيم وأشار آخرون بالمسير فأبى إلا المباشرة فجهز الناس فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص فاستشاره فقال أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك قال أما إذاً يا أبا عبد الله فجهز الناس فجاء عمرو فحضض الناس وضعف علياً وأصحابه وقال إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم وفلّوا حدهم ثم إن أهل البصرة مخالفون لعليّ قد وترهم وقتلهم وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل وإنما سار في شرذمة قليلة منهم من قد قتل خليفتكم فالله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم أن تبطلوه وكتب في أجناد أهل الشأم وعقد لواءه لعمرو فعقد لوردان غلامه فيمن عقد ولابنيه عبد الله ومحمد وعقد عليّ لغلامه قنبر ثم قال عمرو:

هل يُغْنِيَنْ وَرْدانُ عَنِّي قَنْبَرا ... وتُغْنِيَ السَّكونُ عَنِّي حِمْيَرا

إذا الكُماةُ لَبِسوا السَّنَوَّرا

فبلغ ذلك علياً فقال:

لأُصَبِّحَنَّ العاصِيَ ابنَ العاصي ... سبعين ألفاً عاقِدي النَّواصي

مُجَنِّبينَ الخيلَ بالقِلاصِ ... مُسْتَحْقِبينَ حَلَقَ الدِّلاصِ

فلما سمع ذلك معاوية قال ما أرى ابن أبي طالب إلا قد وفى لك فجاء معاوية يتأنى في مسيره وكتب إلى كل من كان يرى أنه يخاف علياً أو طعن عليه ومن أعظم دم عثمان واستغواهم إليه فلما رأى ذلك الوليد بعث إليه يقول:

ألا أبْلِغْ معاوية بنَ حرْبٍ ... فإنك من أخي ثِقَةٍ مُليمُ

قَطَعْتَ الدهْرَ كالسَّدِمِ المُعَنَّى ... تُهَدِّرُ في دمشقَ فما تَريمُ

وإنك والكتابَ إلى عليٍّ ... كدابِغَةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ

يُمَنّيكَ الإمارةَ كلُّ ركْبٍ لأنقاضِ العراقِ بها رَسيمُ
وليس أخو التّراتِ بمن توانى ولكنْ طالبُ التّرَةِ الغَشومُ
ولو كنتُ القتيلَ وكان حيا لَجَرَّدَ لا ألَفُّ ولا سَؤومُ
ولا نَكِلٌ عن الأوتارِ حتى يُبيءَ بها ولا بَرِمٌ جَثومُ
وقومَكَ بالمدينة قد أبيروا فهُمْ صَرعى كأنهُمُ الهَشيمُ

وقال غير أبي بكر فدعا معاوية شداد بن قيس كاتبه وقال ابغني طومارا فأتاه بطومار فأخذ القلم فكتب فقال لا تعجل اكتب

ومُستعجِبٍ مما يَرَى مِن أناتِنا ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يَترَمْرَمِ

ثم قال اطو الطومار فأرسل به إلى الوليد فلما فتحه لم يجد فيه غير هذا البيت قال أبو بكر الهذلي وكتب رجل من أهل العراق حيث سار عليٌّ بن أبي طالب إلى معاوية بيتين

أبلِغْ أميرَ المؤمنيـ ـن أخا العراق إذا أتَيْتا
إنَّ العراقَ وأهلَها عُنُقٌ إليك فهَيْتَ هَيتا

عاد الحديث إلى حديث عوانة

فبعث عليٌّ زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف وبعث معه شريح بن هانئ في أربعة آلاف وخرج عليٌّ من النخيلة بمن معه فلما دخل المدائن شخص معه من فيها من المقاتلة وولى على المدائن سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد ووجه عليٌّ من المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيه

ما أمر به عليّ بن أبي طالب من عمل الجسر على الفرات

فلما انتهى عليٌّ إلى الرقة قال فيما حدثت عن هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني الحجاج بن علي عن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارقي لأهل الرقة اجسروا لي جسرا حتى أعبر من هذا المكان إلى الشأم فأبوا وقد كانوا ضموا اليهم السفن فنهض من عندهم ليعبر من جسر منبج وخلف عليهم الأشتر وذهب ليمضي بالناس كيما يعبر بهم على جسر منبج فناداهم الأشتر فقال يا أهل هذا الحصن ألا اني أقسم لكم بالله عز وجل لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم جسرا حتى يعبر لأجردن فيكم السيف ثم لأقتلن الرجال ولأخربن الأرض ولآخذن الأموال

قال فلقى بعضهم بعضا فقالوا أليس الأشتر يفى بما حلف عليه أو يأتى بشر منه قالوا نعم فبعثوا اليه إنا ناصبون لكم جسرا فأقبلوا وجاء علىّ فنصبوا له الجسر فعبر عليه بالأثقال والرجال ثم أمر علىّ الأشتر فوقف فى ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق من الناس أحد إلا عبر ثم إنه عبر آخر الناس رجلا * قال أبو مخنف وحدثنى الحجاج ابن علىّ عن عبدالله بن عمار بن عبد يغوث أن الخيل حين عبرت زحم بعضها بعضا فسقطت قلنسوة عبدالله بن أبى الحصين الأزدى فنزل فأخذها ثم ركب وسقطت قلنسوة عبدالله بن الحجاج الأزدى فنزل فأخذها ثم ركب وقال لصاحبه

فإن يكُ ظَنُّ الزاجِرى الطَّيْرِ صادقاً كما زعموا أُقْتَلْ وَشيكا وتُقْتلُ

فقال له عبدالله بن أبى الحصين ماشىء أوتاه أحب إلىّ مما ذكرت فقتلا جميعا يوم صفين * قال أبو مخنف فحدثنى خالد بن قطن الحارثى أن عليا لما قطع الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ فسرحهما أمامه نحو معاوية على حالهما التى كانا خرجا عليها من الكوفة قال وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة أخذا على شاطئ الفرات من قبل البر مما يلى الكوفة حتى بلغا عانات فبلغهما أخذ علىّ على طريق الجزيرة وبلغهما أن معاوية قد أقبل من دمشق فى جنود أهل الشأم لاستقبال علىّ فقالا لا والله ماهذا لنا برأى أن نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر ومالنا خير فى أن نلقى جنود أهل الشأم بقلة من معنا منقطعين من العدد والمدد فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات وحبسوا عنهم السفن فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت ثم لحقوا عليا بقرية دون قرقيسياء وقد أرادوا أهل عانات فتحصنوا وفروا ولما لحقت المقدمة عليا قال مقدمتى تأتينى من ورائى فتقدم اليه زياد بن النضر الحارثى وشريح بن هانئ فأخبراه بالذى رأيا حين بلغهما من الأمر ما بلغهما فقال سددتما ثم مضى علىّ فلما عبر الفرات قدمهما أمامه نحو معاوية فلما انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمى عمرو بن سفيان فى جند من أهل الشأم فارسلا إلى علىّ إنا قد لقينا أبا الأعور السلمى فى جند من أهل الشأم وقد دعوناهم فلم يجبنا منهم أحد فمرنا بأمرك فأرسل علىّ إلى الأشتر فقال يا مالك إن زيادا وشريحا أرسلا إلىّ يعلمانى أنهما لقيا أبا الأعور السلمى فى جمع من أهل الشأم وأنبأنى

الرسول أنه تركهم متوافقين فالنجاء إلى أصحابك النجاء فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال الا أن يبدؤك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع ولايجرمنك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا وقف من أصحابك وسطاً ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم بُعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك فإنى حثيث السير فى أثرك إن شاء الله قال وكان الرسول الحارث بن جُمهان الجعفى فكتب علىّ إلى زياد وشريح أما بعد فإنى قد أمرت عليكما مالكا فاسمعا له وأطيعا فانه ممن لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه عما الأسراع إليه أحزم ولا الأسراع إلى ماالبطاء عنه أمثل وقد أمرته بمثل الذى كنت أمرتكما به ألا يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم ويعذر اليهم وخرج الأشتر حتى قدم على القوم فاتبع ماأمره علىّ وكف عن القتال فلم يزالوا متوافقين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السلمى فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم إن أهل الشأم انصرفوا ثم خرج اليهم من الغد هاشم بن عتبة الزهرى فى خيل ورجال حسن عددها وعدتها وخرج اليه أبو الأعور فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال وصبر القوم بعضهم لبعض ثم انصرفوا وحمل عليهم الاشتر فقتل عبد الله بن المنذر التنوخى قتله يومئذ ظبيان بن عمار التيمى وماهو إلا فتى حدث وإن كان التنوخى لفارس أهل الشأم وأخذ الأشتر يقول ويحكم أرونى أبا الأعور ثم إن أبا الأعور دعا الناس فرجعوا نحوه فوقف من وراء المكان الذى كان فيه أول مرة وجاء الأشتر حتى صف أصحابه فى المكان الذى كان فيه أبو الأعور فقال الأشتر لسنان بن مالك النخعى انطلق إلى أبى الأعور فادعه إلى المبارزة فقال إلى مبارزتى أو مبارزتك فقال له الاشتر لو أمرتك بمبارزته فعلت قال نعم والله لو أمرتنى أن أعترض صفهم بسيفى مارجعت أبدا حتى أضرب بسيفى فى صفهم قال له الاشتر يا ابن أخى أطال الله بقاءك قد والله ازددت رغبة فيك لا أمرتك بمبارزته إنما أمرتك أن تدعوه إلى مبارزتى إنه لا يبرز إن كان ذلك من شأنه إلا لذوى الأسنان والكفاءة والشرف وأنت لربك الجد من أهل الكفاءة والشرف غير أنك فتى حدث السن فليس بمبارز الاحداث ولكن ادعه إلى مبارزتى

فأتاه فنادى آمنونى فإنى رسول فأومن فجاء حتى انتهى إلى أبى الأعور * قال أبو مخنف فحدثنى النضر بن صالح أبو زهير العبسى قال حدثنى سنان قال فدنوت منه فقلت إن الاشتر يدعوك إلى مبارزته قال فسكت عنى طويلا ثم قال إن خفة الاشتر وسوء رأيه هو حمله على إجلاء عمال ابن عفان رضى الله عنه من العراق وانتزائه عليه يقبح محاسنه ومن خفة الاشتر وسوء رأيه أن سار إلى ابن عفان رضى الله عنه فى داره وقراره حتى قتله فيمن قتله فأصبح متبعا بدمه ألا لا حاجة لى فى مبارزته قال قلت إنك قد تكلمت فاسمع حتى أجيبك فقال لا لا حاجة لى فى الاستماع منك ولا فى جوابك اذهب عنى فصاح بى أصحابه فانصرفت عنه ولو سمع إلىّ لأخبرته بعذر صاحبى وحجته فرجعت إلى الأشتر فأخبرته أنه قد أبىَ المبارزة فقال لنفسه نظر فواقفناهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم وبتنا متحارسين فلما أصبحنا نظرنا فاذا القوم قد انصرفوا من تحت ليلتهم ويصبحنا علىّ بن أبى طالب غدوة فقدم الاشتر فيمن كان معه فى تلك المقدمة حتى انتهى إلى معاوية فواقفه وجاء علىّ فى أثره فلحق بالاشتر سريعا فوقف وتواقفوا طويلا ثم إن عليا طلب موضعا لعسكره فلما وجده أمر الناس فوضعوا الأثقال فلما فعلوا ذهب شباب الناس وغلمتهم يستقون فمنعهم أهل الشأم فاقتتل الناس على المـاء وقد كان الأشتر قال له قبل ذلك إن القوم قد سبقوا إلى الشريعة وإلى سهولة الأرض وسعة المنزل فان رأيت سرنا نجوزهم إلى القرية التى خرجوا منها فانهم يشخصون فى أثرنا فاذا هم لحقونا نازلنا فكنا نحن وهم على السواء فسكره ذلك علىّ وقال ليس كل الناس يقوى على المسير فنزل بهم

القتال على المـاء

قال أبو مخنف وحدثنى تميم بن الحارث الأزدى عن جندب بن عبد الله قال إنا لمـا انتهينا إلى معاوية وجدناه قد عسكر فى موضع سهل أفيح قد اختاره قبل قدومنا إلى جانب شريعة فى الفرات ليس فى ذلك الصقع شريعة غيرها وجعلها فى حيزه وبعث عليها أبا الأعور يمنعها ويحميها فارتفعنا على الفرات رجاء أن نجد شريعة غيرها نستغنى بها عن شريعتهم فلم نجدها فأتينا عليا فأخبرناه بعطش الناس وأنا لا نجد غير شريعة القوم قال فقاتلوهم عليها فجاءه الأشعث بن قيس الكندى فقال أنا أسير اليهم فقال له علىّ فسر اليهم فسار وسرنا معه حتى إذا دنونا من الماء

ثاروا فى وجوهنا ينضحوننا بالنبل ورشقناهم والله بالنبل ساعة ثم اطّعنا والله بالرماح طويلا ثم صرنا آخر ذلك نحن والقوم إلى السيوف فاجتلدنا بها ساعة ثم إن القوم أتاهم يزيد بن أسد البجلى ممدّاً فى الخيل والرجال فأقبلوا نحونا فقلت فى نفسى فأمير المؤمنين لا يبعث إلينا بمن يغنى عنا هؤلاء فذهبت فالتفت فإذا عدة القوم أو أكثر قد سرحهم إلينا ليغنوا عنا يزيد بن أسد وأصحابه عليهم شبث بن ربعى الرياحى فوالله ماازداد القتال إلا شدة وخرج إلينا عمرو بن العاص من عسكر معاوية فى جند كثير فأخذ يمدّ أبا الأعور ويزيد بن أسد وخرج الأشتر من قبل علىّ فى جمع عظيم فلما رأى الأشتر عمرو بن العاص يمد أبا الأعور ويزيد بن أسد أمد الأشعث بن قيس وشبث بن ربعى فاشتد قتالنا وقتالهم فما أنسى قول عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدى

خَلوا لنا ماءَ الفُراتِ الجارى ... أو اثبُتوا لِجَحْفَلٍ جَرّارِ
لِكلِّ قَرْمٍ مُسْتميتٍ شارى ... مُطاعِنٍ برُمْحِهِ كَرّارِ
ضَرّابِ هاماتِ العِدَى مِغْوارِ

قال أبو مخنف وحدثنى رجل من آل خارجة بن التيمى أن ظبيان بن عمارة جعل يومئذ يقاتل وهو يقول

هل لك ياظَبْيانُ مِن بَقاءِ ... فى ساكِنِ الأرْضِ بِغَيْرِ ماءِ
لا وإله الأرضِ والسماءِ ... فاضْرِبْ وُجوه الغُدُرِ الأعْداءِ
بالسَّيْفِ عند حَمَسِ الوِغاءِ ... حتّى يُجيبوكَ إلى السَّواءِ

قال ظبيان فضربناهم والله حتّى خلونا وإياه * قال أبو مخنف وحدثنى أبى يحيى ابن سعيد عن عمه محمد بن مخنف قال كنت مع أبى مخنف بن سليم يومئذ وأنا ابن سبع عشرة سنة ولست فى عطاء فلما منع الناس الماء قال لى أبى لا تبرحن الرحل فلما رأيت المسلمين يذهبون نحو الماء لم أصبر فأخذت سيفى وخرجت مع الناس فقاتلت قال وإذا أنا بغلام مملوك لبعض أهل العراق ومعه قربة فلما رأى أهل الشأم قد أفرجوا عن الشريعة اشتد حتى ملأ قربته ثم أقبل ويشتد عليه رجل من أهل الشأم فيضربه فيصرعه وسقطت القربة منه قال وأشد على الشامى فأضربه فأصرعه واشتد أصحابه فاستنقذوه فسمعتهم وهم يقولون لا تأمن عليك ورجعت إلى المملوك فاحتملته فإذا هو يكلمنى وبه جرح رغيب فما كان أسرع من أن جاءه مولاه فذهب

به وأخذت قربتــه وهي مملوءة وأتى بها أبى مخنفاً فقال من أين جئت بها فقلت اشتريتها وكرهت أن أخبره الخبر فيجد عليّ فقال اسق القوم فسقيتهم ثم شرب آخرهم ونازعتنى نفسى والله إلى القتال فأنطلق فأتقدم فيمن يقاتل فقاتلناهم ساعة ثم أشهد أنهم خلوا لنا عن المــاء فما أمسينا حتى رأينا سقاتنا وسقاتهم يزدحمون على الشريعة وما يؤذى إنسان إنساناً فأقبلت راجعاً فإذا أنا بمولى صاحب القربة فقلت هذه قربتك عندنا فأرسل من يأخذها أو أعلمنى مكانك حتى أبعث بها إليك فقال رحمك الله عندنا ما نكتفى به فانصرفت وذهب فلما كان من الغد مر على أبى فوقف فسلم عليه ورآنى إلى جنبته فقال ما هــذا الفتى منك قال ابنى قال أراك الله فيه السرور أنقذ الله عز وجل أمس غلامى به من القتل حدثنى شباب الحى أنه كان أمس أشجع الناس فنظر إلى أبى نظرة عرفت منها فى وجهه الغضب فسكت حتى إذا مضى الرجل قال هذا ما تقدمت إليك فحلفنى ألا أخرج إلى قتال إلا بإذنه فما شهدت من قتالهم إلا ذلك اليوم حتى كان يوم من أيامهم * قال أبو مخنف وحدثنى يونس بن أبى اسحاق السبيعى عن مهران مولى يزيد بن هانئ قال والله إن مولاى يزيد بن هانئ ليقاتل على المــاء وإن القربة لفى يده فلما انــكشف أهل الشأم انكشافة عن المــاء استدرت حتى أسقى وإنى فيما بين ذلك لا أقاتل وأرامى * قال أبو مخنف وحدثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر قال لمــا قدمنا على معاوية وأهل الشأم بصفين وجدناهم قد نزلوا منزلا اختاروه مستويا بساطا واسعا أخذوا الشريعة فهى فى أيديهم وقد صف أبو الأعور السلمى عليها الخيل والرجال وقد قدم المرامية أمام من معه وصف صفا معهم من الرماح والدرق وعلى رؤوسهم البيض وقد أجمعوا على أن يمنعونا المــاء ففزعنا إلى أمير المؤمنين فخبرناه بذلك فدعا صعصعة ابن صوحان فقال له ائت معاوية وقل له إنا سرنا مسيرنا هذا إليكم ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم وإنك قدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالقتال ونحن من رأينا الكف عنك حتى ندعوك ونحتج عليك وهذه أخرى قد فعلتموها قد حلتم بين الناس وبين المــاء والناس غير منتهين أو يشربوا فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين المــاء ويكفوا حتى ننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمناله وقدمتم له وإن كان أعجب إليك أن نترك

ما جئنا له وتترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا،
فقال معاوية لأصحابه ما ترون فقال الوليد بن عقبة امنعهم الماء كما منعوه عثمان،
ابن عفان رضى الله عنه حصروه أربعين صباحا يمنعونه برد الماء ولين الطعام،
اقتلهم عطشا قتلهم الله عطشا فقال له عمرو بن العاص خل بينهم وبين الماء فإن
القوم لن يعطشوا وأنت ريان ولكن بغير الماء فانظر ما بينك وبينهم فأعاد
الوليد بن عقبة مقالته وقال عبد الله بن أبى سرح امنعهم الماء إلى الليل فإنهم إن
لم يقدروا عليه رجعوا ولو قد رجعوا كان رجوعهم فلا امنعهم الماء منعهم الله
يوم القيامة فقال صعصعة إنما يمنعه الله عز وجل يوم القيامة الكفرة الفسقة
وشربة الخمر ضربك وضرب هذا الفاسق يعنى الوليد بن عقبة قال فتواثبوا إليه
يشتمونه ويتهددونه فقال معاوية كفوا عن الرجل فإنه رسول ٭ قال أبو مخنف
وحدثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر أن صعصعة رجع إلينا
فحدثنا عما قال لمعاوية وما كان منه وما رد فقلنا فما رد عليك فقال لما أردت
الانصراف من عنده قلت ماترد على قال معاوية سيأتيكم رأيى فوالله ماراعنا إلا
تسريته الخيل إلى أبى الأعور ليكفهم عن الماء قال فأبرزنا على إليهم فارتمينا ثم
اطّعنا ثم اضطربنا بالسيوف فنصرنا عليهم فصار الماء فى أيدينا فقلنا لا والله
لا نسقيهموه فأرسل إلينا على أن خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكركم
وحلوا عنهم فإن الله عز وجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم

دعاء على معاوية إلى الطاعة والجماعة

قال أبو مخنف حدثنى عبد الملك بن أبى حرة الحنفى أن عليا قال هذا يوم نصرتم فيه
بالحمية وجاء الناس حتى أتوا عسكرهم فمكث على يومين لا يرسل إلى معاوية أحداً
ولا يرسل إليه معاوية ثم إن عليا دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصارى وسعيد بن قيس
الهمدانى وشبث بن ربعى التميمى فقال ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة
والجماعة فقال له شبث بن ربعى يا أمير المؤمنين ألا تطمعه فى سلطان توليه إياه ومنزلة
يكون له بها أثرة عندك إن هو بايعك فقال على ائتوه فألقوه واحتجوا عليه وانظروا
ما رأيه وهذا فى أول ذى الحجة فأتوه ودخلوا عليه فحمد الله وأثنى عليه أبو عمرة
بشير بن عمرو وقال يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة وإن

الله عز وجل محاسبك بعملك وجازيك بما قدمت يداك وإنى أنشدك الله عز وجل أن تفرق جماعة هذه الأمة وأن تسفك دماءها بينها فقطع عليه الكلام وقال هلا أوصيت بذلك صاحبك فقال أبو عمرة إن صاحبى ليس مثلك إن صاحبى أحق البرية كلها بهذا الأمر فى الفضل والدين والسابقة فى الإسلام والقرابة من الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال فيقول ماذا قال يأمرك بتقوى الله عز وجل وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك فى دنياك وخير لك فى عاقبة أمرك قال معاوية ونُطل دم عثمان رضى الله عنه لا والله لا أفعل ذلك أبداً فذهب سعيد بن قيس يتكلم فبادره شبث بن ربعى فتكلم فحمد الله وأثنى عليه وقال يامعاوية إنى قد فهمت ما رددت على ابن محصن إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب إنك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا قولك قتل إمامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه فاستجاب له سفهاء طغام وقد علمنا ان قد أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التى أصبحت تطلب ورُبَّ متمنى أمر وطالبه الله عز وجل يحول دونه بقدرته وربما أوتى المتمنى أمنيته وفوق أمنيته ووالله مالك فى واحدة منهما خير لئن أخطأت ما ترجو انك لشر العرب حالا فى ذلك ولئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك صُلِيَّ النار فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان أول ماعرفت فيه سفهك وخفة حلمك قطعك على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم عنيت بعد فيما لا علم لك به فقد كذبت ولو مت أيها الأعرابى الجلف الجافى فى كل ما ذكرت ووصفت انصرفوا من عندى فانه ليس بينى وبينكم إلا السيف وغضب وخرج القوم وشبث يقول أفعلينا تهول بالسيف أقسم بالله ليعجلن بها إليك فأتوا عليا وأخبروه بالذى كان من قوله وذلك فى ذى الحجة فأخذ علىّ يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج معه جماعة ويخرج اليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة فيقتتلان فى خيلهما ورجالها ثم ينصرفان وأخذوا يكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشأم لما يتخوفون أن يكون فى ذلك من الاستئصال والهلاك فكان

علىٌّ يخرج مرة الأشتر ومرة حجر بن عدى الكندى ومرة شبث بن ربعى ومرة خالد بن المعمر ومرة زياد بن النضر الحارثىّ ومرة زياد بن خصفة التيمىْ ومرة سعيد بن قيس ومرة معقل بن قيس الرياحىّ ومرة قيس بن سعد وكان أكثر القوم خروجا اليهم الأشتر وكان معاوية يخرج اليهم عبدالرحمن بن خالد المخزومى وأبا الأعور السلمىّ ومرة حبيب بن مسلمة الفهرىّ ومرة ابن ذى الكلاع الحميرىّ ومرة عبيد الله بن عمر بن الخطاب ومرة شرحبيل بن السمط الكندى ومرة حمزة بن مالك الهمدانى فاقتتلوا من ذى الحجة كلها وربما اقتتلوا فى اليوم الواحد مرتين أوله وآخره * قال أبو مخنف حدثنى عبد الله بن عامر الفائشى قال حدثنى رجل من قومى أن الأشتر خرج يوما يقاتل بصفين فى رجال من القراء ورجال من فرسان العرب فاشتد قتالهم فخرج علينا رجل والله لقلّ ما رأيت رجلا قط هو أطول ولا أعظم منه فدعا إلى المبارزة فلم يخرج اليه أحد إلا الأشتر فاختلفا ضربتين فضربه الأشتر فقتله وآيم الله لقد كنا أشفقنا عليه وسألناه ألا يخرج اليه فلما قتله الأشتر نادى مناد من أصحابه

يا سَهْمُ سَهْم ابن أَبِى العَيْزارِ   ياخَيْرَ مَنْ نَعْلَمُهُ مِن زارِ

وزاره حىٌّ من الأزد وقال أقسم بالله لأقتلن قاتلك أو ليقتلنى فخرج فحمل على الأشتر وعطف عليه الأشتر فضربه فاذا هو بين يدى فرسه وحمل عليه أصحابه فاستنقذوه جريحا فقال أبو رفيقة الفهمى هذا كان نارا فصادف إعصارا واقتتل الناس ذا الحجة كلها فلما انقضى ذو الحجة تداعى الناس إلى أن يكف بعضهم عن بعض المحرم لعل الله أن يجرى صلحا أو اجتماعا فكف بعضهم عن بعض (وحج) بالناس فى هذه السنة عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بأمر علىّ إياه بذلك كذلك حدثنى أحمد بن ثابت الرازى عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر (وفى هذه السنة) مات قدامة بن مظعون فيما زعم الواقدى

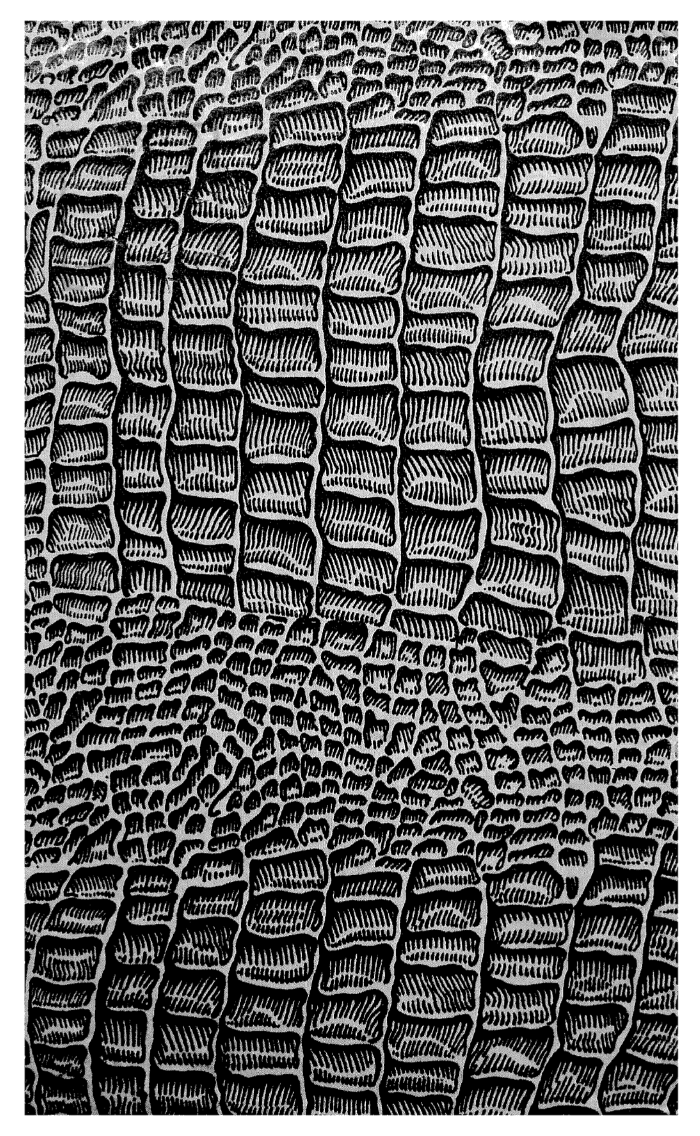
(تم بعون الله ـ الجزء الثالث من تاريخ الأمم والملوك)

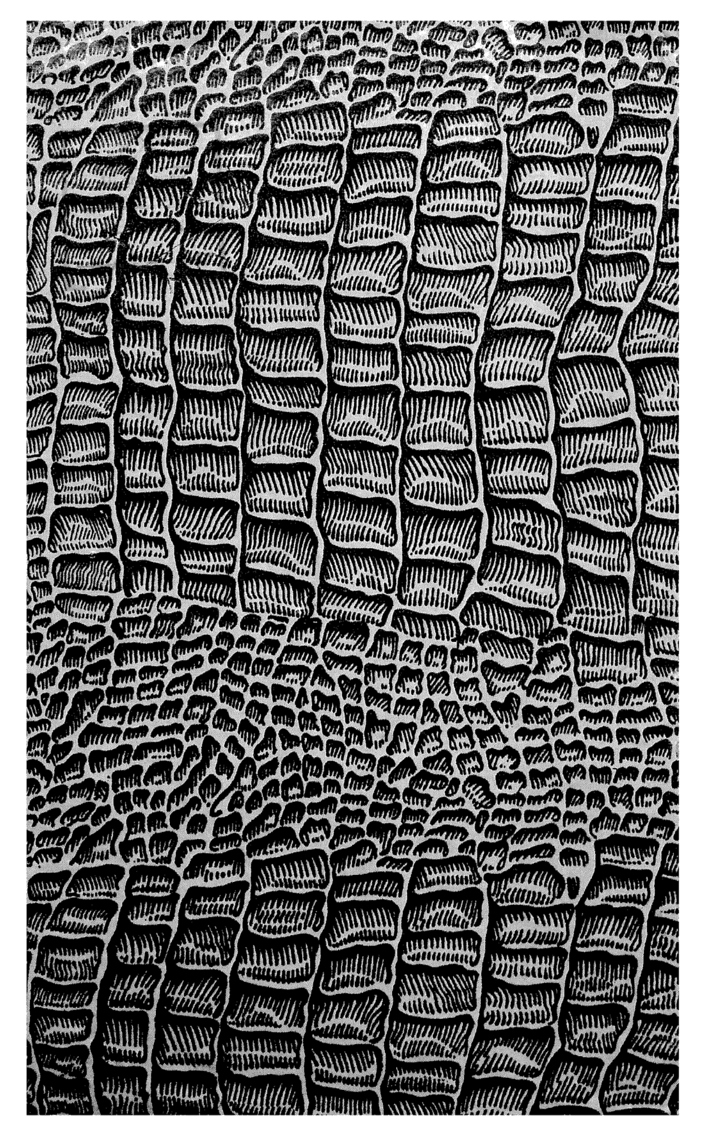
(ويليه ـ إن شاء الله ـ الجزء الرابع وأوله «سنة ٣٧»)

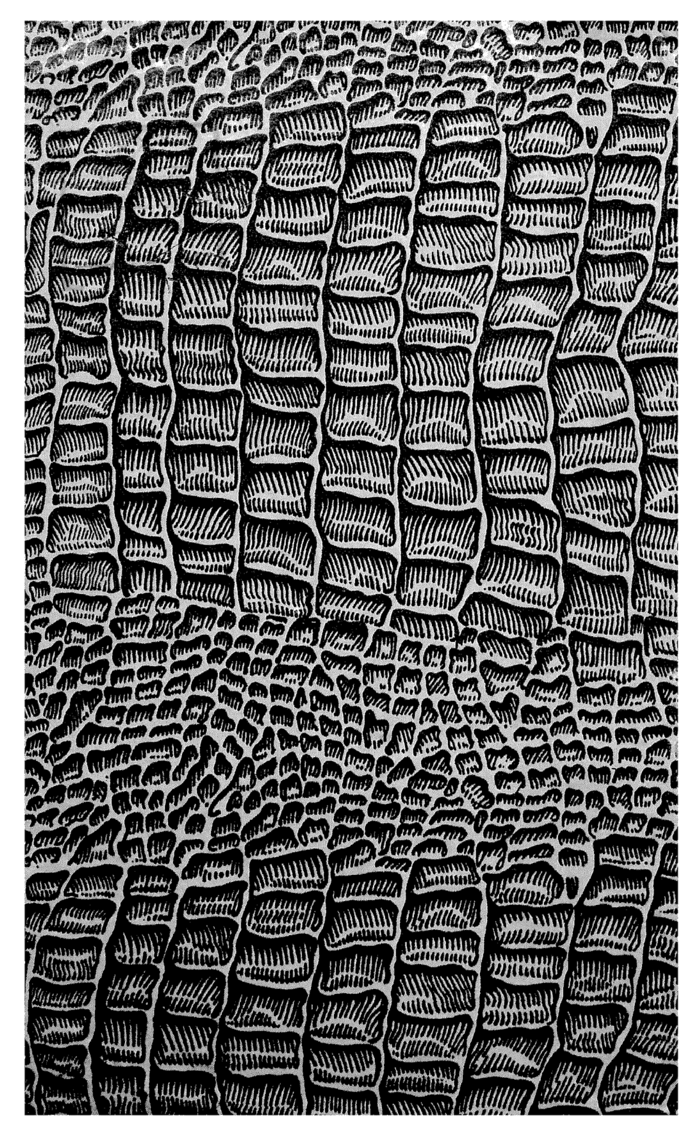
فهرس الجزء الثالث
من تاريخ الأمم والملوك

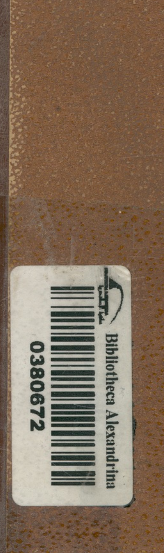
صفحة

صفحة








Bibliotheca Alexandrina
0380672